

المجلة

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لنشرها

الشيخ محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

مصر — الخميس سلخ الحرم سنة ١٣٢٨ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صحيحاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ٢٠ فرنكاً
و١٧ شلماً في الهند و٨ روابل في روسيا والدفع سلفاً

الطبعة الاولى

« حقوق إعادة الطبع والترجمة لكل أو البعض محفوظة للنشر » المجلة »

فاتحة السنة الثالثة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعلنا أمة التوحيد ، وجعل ديننا دين التوحيد ،
وسياستنا سياسة التوحيد ، وأعز من استقاموا منا على التوحيد ، وأذل من
انحرف عن محجة التوحيد ، ليعيدنا كما بدأنا إلى التوحيد ، أنه هو يدي
ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فقال لما يريد *
والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه ورسوله ، وصفوته من خلقه ،
الذي بشه بتوحيد الألوهية ، ليحرر الخلق من رق العبودية ، للعوالم السماوية
أو الأرضية ، وبتوحيد الربوبية ، ليعتقهم من رق التقاليد الدينية ، التي ألحقها
رؤساء الأديان بالشرايع الإلهية ، وبتوحيد السياسة ليكون الشعوب والقبائل
أمة واحدة ، تضمها شريعة عادلة واحدة ، وتعارف بلغة واحدة ، ليطلقهم من
قيود الحكومة الشخصية الجائرة ، ويفكهم من أغلال العصبية الجنسية الخاسرة
فاهتدى بكتابه المقلاء المستقلون ، وضل به السفهاء المقلدون ، فز باتباعه
المؤمنون ، وذل بأعراضهم المعرضون ، وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * واو جملناه قرا نأعجيبا قالوا
لولا فصلات آياته أأعجمي وعربي * قل هو الذي آمنوا هدى وشفاعة ، والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد *

وبعد فقدم للمزار اثني عشر عاما ، كان له منها اثني عشر سفرا كبيرا
فهي في هذه الامة كمنقبا بني اسرائيل ، تجوب الاقطار داعية الى ذلك
التوحيد ، مذكرة آخرها بما صلح به أولها ، وانها كالطمر رجا كان الخير
الكثير في آخرها ، وقد وعدنا الله تعالى بالاستخلاف في الارض ،
واظهار دينها على الدين كله ، فلا يذر في الاسلام اليائسون ، ومن يقط
من رحمة ربه الا القوم الضالون * وهو الذي ينزل الفيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته وهو الولي الحميد *

بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ،^(١) ومن تمام التشبيه أن يكون
على غربته شديد القوى ، فيوحده بداية القرآن المتعدين ، ويجمع بارشاده
المفرقين ، فيطهرهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم باتباع السنة ، ويعيد اليهم
ما فقدوا من استقلال العقل والارادة ، فيخرجون من جحر الابتداع
والقليد ، ويظهرون في حاتي المجد الطارف والتليد ، أقمينا بالخلق الاول
بل هم في لبس من خلق جديد *

صادفت الدعوة مقاومة من قوم وارتياحا من آخرين ، كما بينا ذلك
في فوائحه ما سبق من السنين ، ومن اكبر الآيات المبشرات ، بأننا في
اقبال حياة لا في ادبار ممات ، أن الورقات الخضراء ، في شجرة الامة
الجرداء ،^(٢) تزداد خضرة في كثرة ، لا سقوطا ولا صفرة ، فيا لها من شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، حفظت حياتها على طول العهد بانقطاع
الماء ، فكأنك بها وقد أصابها الوابل فأتت أكلها ضامين ، وأوتى أهلها
أجرهم مرتين ، قل هل تَرَبِّصُونَ بنا الا احدي الحسنيين ، وهل تَرَبِّصُونَ

(١) اشارة الى حديث مسلم الذي يحتج به اليائسون وهو حجة عليهم (٢) اشارة الى قول الاستاذ الامام:
الورقة في حياة الشجرة الجرداء، ورقات خضراء ولا أخرى أهم من بقايا الحياة القديمة، هي بداية حياة جديدة

باتقنا الايمان وعندها من سعادة الدارين ، قل ان ربي يقذف بالحق علام
الغيوب * قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يُعيد *

قد تمهد طريق الاصلاح ، ونادى مؤذنه حي على الفلاح ، فسمعه
العربي والتركي ، والفارسي والهندي ، والتتري والصيني ، والملاوي والنجي ،
الحضري منهم والبدوي ، فأقبل كثير من المرضين ، وعرف كثير من
المنكرين ، ونطق كثير من الساكتين ، ودعا كثير من المشطين ، وأدعى
كثير من الكاذبين ، فان كان قد آن لمن تمهد لهم الطريق ان يقولوا ، فقد
آن للممهدين ان يسيروا ، ولمن قالوا من قبل ان يفعلوا ، وهذؤا إلى
الطائب من القول وهذؤا إلى صراط الحميد *

هذا ما أعد الله له الأمة ، بعد ان طال عليها أمد الفقة ، رأى أهل
البصيرة من عقلانها ما أصابها من الادواء ، وشعروا بشدة الحاجة الى الدواء
كان مرضها واحدا ، فكان شعورهم كذلك واحدا ، ذلك بأن الاسلام قد
جعلها أمة واحدة في صحتها ، وواحدة في مرضها ، لم يقو على توحيد إياها
اختلاف المذاهب واللغات ، ولا تباعد الجهات وتمدد الحكومات ، فكما
كانت صحتها بالاهتداء بكتابه وسننه ، كان مرضها بالاعراض عن هدايته ،
التي جمعت بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، واستقلال العقل والارادة
في العلم والعمل ، ورابطتي الاخوة والفضل والبر والعدل بين جميع الملل
والنحل ، ^(١) وانما العلاج ان يرجعوا من دينهم الى خير ما فقدوا ، وبأخذوا
لمصلحة دنياهم أحسن ما وجدوا ، وكذلك فعل المنعم عليهم ، الذين كانوا

١ « كتبنا في المنار من قبل مقالة في جنسية الاسلام بينا فيها ان الاسلام جاء برابطتين اجتماعيتين
احدهما دينية اجتماعية وهي تربط جميع من يعيشون في دياره ويخضعون لسلطانه بشريعة العدل والمساواة
والبر والاحسان مهما اختلفت أديانهم . والثانية روحانية تربط الأخدين بمقائمه وآدابه بأخوة أخرى

الناسي والاهتداء بهم ، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد .
 لقد رخصت النوازل هذه الأمة رخصاً ، ثم غلظتها نوائب مخضاه ، وقد آن أن تخرج زبدها محضاً ، فقد ظهرت نقطه من زمن بعيد ، وكثرت ذراته من عهد قريب ، ولم يبق إلا أن يجذب بعضها إلى بعض ، وتتكون في جانب من الزق ، هناك يظهر خير الإسلام ، ويعرف فضله في جميع الأنام ، وإن ذلك لواقع ماله من دافع ، أنهم يرونه بعيداً ، وراه قريباً ، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد .

فالمنازل يذكر مردي الإصلاح في هذا العام ، بوجوب التعاون على الاستعداد من هذا الاستعداد العام ، فبادروا إلى اغتنام فرص الزمان ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، وما ذاك إلا أن تجتمعوا على حقكم ، وتعارفوا أنتم ومن يشعرونكم ويرى رأيكم ، وتوحدوا طريق التربية والتعليم ، في الجمع بين علوم الدنيا والدين ، قبل أن يطبقكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعليم التقليدي المذبذبة ، الذين تحولوا عن التقاليد الإسلامية ، إلى التقاليد الأفريقية العنصرية ، فهم يدحرجون الأمة من تقليد إلى تقليد ، ويقدفون بالغيب من مكان بعيد ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وتبليغ كل شيطان مردي .

لقد وقف سلفنا المقار والاراضي الواسعة ، وبذلوا الدثور والاموال الكثيرة ، على معاهد العلم كالمدارس والمكاتب ، ومعاهد التربية والارشاد كالمباني والتكايا والزوايا ، وما نحن أولاء نرى الخلف ، قد انشأوا يحبون

سنة السلف ، فهم يذلون الاموال الكثيرة للأعمال الطيبة والخيرية ،
والاحزاب والجماعات السياسية ، أخصبتهم أن الأمة تسخر في نهضتها على
المحفوظ والمنافع العاجلة ، ويهمل على الإصلاح الاسلامي الجامع بين سعادة
الدنيا والآخرة ، تلك اذا كرت خاسرة ، وانا لمردودون في الحافرة ، فلا اننا
أمة قد كنت فيها وما فارقتها الحياة ، وان الاسلام قائم في قلوب العامة فيحتاج
الى الايقاظ ، وقد كثرت صيحات الموقظين ، الا أنهم لا يزالون متفرقين
ومختلفين ، وقد أذن اليوم بينهم مؤذن التوحيد ، وجاءت كل نفس بمهاستق
وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .
ان المجتمعين أجدر بالفلاح من المتفرقين ، وان المتفقين أحق بالنجاح
من المختلفين ، وان المستقلين أولى بالثبات من المقلدين ، وان الثابتين أقوى
في الجلاء من المتزلزلين ، على أننا لا نجاهد أعداء الإصلاح بسيف ولا سنان ،
وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ، ونحاشيهم الى السنة والقرآن ، ونصبر على
ما آذونا ، ونحسن اليهم وان أساؤا الينا ، ولكن لا نترك أمر الأمة في التربية
والتعليم ، يتنازعه التفرج الحديث والجمود القديم ، فلم يدون ذلك ما يشاؤون ،
وليعملوا على مكائدهم انا حاملون ، ولينتظروا انا منتظرون ، من عمل صالحاً
فلنفسه ومن أساء فلنفسه وما ربك بظلام للعبيد .

يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم ، فعبار اليوم حجة عليكم ،
أخبركم الله فيه أن الارض يرثها عباده الصالحون ، وان العزة لله ولرسوله
والمؤمنين ، وان حقاً عليه نصر المؤمنين ، وانه وعد الدين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، وقال « وان يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلاً » ، وبين ذلك بقوله « ما على المحسنين من سبيل ، انما السبيل

على الذين يظلمون الناس ويبنون في الارض ، فبال الناس يرثون أرضكم ،
ويخلعونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضاء بل لا تحفظون أروا ، وما بالهم
يسلكون كل سبيل الاقيات عليكم ، وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديهم
وأيديكم ، كيف ذهبت عنكم ، وكيف فضدت شوكتكم ، وكيف كنتم
تأخذون فتحمدون ، فصرتم تطعون فتذمون ، هل رضيتم بأن تكونوا من
الظالمين الباغين ، بعد ان كنتم خير الامم المحسنين ، أليس منكم رجل رشيد ،
اترضون ان تكونوا ممن نزل فيهم « بأسمهم بينهم شديد » ألا تتدبرون قوله
تعالى « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد »
يا أهل القرآن : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر » ، وجعلكم الله أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس من
أفرط منهم ومن فرط ، ولكنكم غيرتم ما بأفئسكم ، فقير الله ما بكم ، فتبه
الوثنيون وأنتم فافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى
وأنتم متخلفون ، وهما أنتم أولا تستيقظون ، فان سرتم الهوى فافاناس مجدون ،
وان كنتم لا تزالون تختلفون فهم يتفقون ، فلا يفرقن بينكم جنس ولا نسب ،
ولا لغة ولا مذهب ، ولا سياسة ولا مشرب ، فان تفرقتم فهي القاضية ،
فانما يأكل الذئب من الغنم القاضية ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الامم
في عصركم ، وتدبروا القرآن ، وما ينشئ من سنن الله في نوع الانسان ، فقد آن
الاوان ، واستدار الزمان ، واتصل القريب بالبعيد ، وامتاز القوي من الرضيع ،
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

منشيء المنار ومحرمه

محمد رشيد رضا الحسيني

الانتقاد على المنار

نريد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا إلينا بانتقاد ما يرونه متقدماً في المنار من مسائل الدين وغيرها عملاً بما أوجب الله تعالى من التواصي بالحق والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط أن تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المتقدمة ويبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا وإذا ذكر عدد الصفحة يمكن أن يستغنى عن عدد الجزء وان لا يحتاج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الأجماع والقياس فيما هما حجة فيه وأن لا يكون في الكلام استطراد إلى مسائل أخرى لا تفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئاً من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر ما يكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لأنه لا يمكن أن نشغل كثيراً من صفحات المنار بالجدل والقليل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقاداً مبهماً على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علاه وأجبنا عنه فانتقل إلى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علاته أيضاً وأجبنا عنه . فأرسل إلينا رداً آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها إلى إدارة المنار وأرسلها الإدارة إلينا في القسطنطينية فقرأنا جملاً من مواضع منها فإذا هي مملوءة بالتناقض والعسلة والأغلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على ما نشرناه من قبل فإذا يقولون إذا نشرناه هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بإرساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟

يقول احمد بدوي افندي اننا ظلمناه فيما كتبناه عن انكاره لطم الله بجزئيات أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بقترات من رسالة يحتج بها علينا في ذلك ثم انه اماتنا بقترات كثيرة ومبرنا بتقليد الغزالي كما عبرنا من قبل بتقليد ابن تيمية، فليقل في ذلك ماشاء الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه من كلامه والقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما فهمه المسلمون ولا جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بها في المنار والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن يائها وعن فهم ما يرد عليها لضعفه في اللغة العربية وعلى اعجابه بها بحيث لا يطيق قبول شيء يخالفها فنحن لا ننشر له بعد الذي نشرناه شيئا منها لاسباب (منها) ان المنار لم ينشأ لنشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوш بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والعلامة والخطأ في العبارة (ومنها) عدم الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاعجابه برأيه وكونه لا يفهم ما يوجه اليه من الكلام العربي الصحيح فهما تاما وأوضح الآيات على ذلك انه فهم من قراءة المنار في الزمن الطويل ان منشئ المنار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا ما جزم به في رسائله الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد نفسه !!! (ومنها) اضاءة كثير من صفحات المنار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلا أحد بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبحث عن مجلة غير المنار

هذا واننا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه ونعذره من بعض الوجوه على ما نراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون مخطئتا له في بعض المسائل لضعف عبارته وكونها لا تؤدى مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداد له لفلسفة الدين قد أخطأ ويخطئ كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو اتقن اللغة العربية واطلم على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يجي منه خبر كثير والله الموفق

﴿ آدم أبو البشر ﴾

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامع الزيتونة في (تونس) ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا
الله وإياه على الطريقة المثلى

انا قرأ في فاتحة كل مجلد من مناركم وخاتمة الدعوة الى انتقاد ما ينهم انتقاده
من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمثني اليينات على طهارة
نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتي نكتب اليكم في شأن ما أشكل
علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعبيرة من شعائر الدين أماتها
الجهل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة
(سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم للبشر لا يرتضيه القرآن فيما نرى فإدركنا الى الكتابة
اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قام ان للاستاذ الامام رأيين في تفسير آية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة
آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق
بأبوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جنابكم الرضا عما ذهب اليه « تفضله الله
برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى
به التمييز بالناس والروايات المستفيضة في مدنية السورة تقعد في طريق من يحمل
الناس على اهل مكة فانظاهر الحمل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية
الاهراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

الآية لوجهين الأول أن سورة النساء مدنية وسورة الاعراف مكة ثانيهما أن في حمل آية الاعراف على العموم مسأ لمقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين ؛
وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بأبوة آدم للبشر اجمعين وانخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعبا لمذهب دارون يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الامام « رحمه الله » وجريتم « حفظكم الله » على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس يني آدم في مقام الوصية باخذ الحذر من وسوسة ابليس وفتنه ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة ايهم ابناء آدم عليه السلام وما نقلتموه عن الاستاذ الامام في تأويل ذلك بعيد كما يتجلى لفضيلتكم بقليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب الى بني آدم اذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟
أما السنة السنية فمن أظهر ماورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم تراب » وما جاء في حديث الاسراء من الاسودة عن عيين آدم وشماله وأنها نسمة بنه أفكانت ارواح غير الادميين في مقرأ آخرام كانت في ذلك المهر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم « اذ لم يسأل عنها » لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس » الحديث . وفي سعة علمكم بالسنة ما يعني العبد عن حشر أكثر من هذا ان لم تكن الآيات والاحاديث نصوصا قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر اذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الأصوليون ولو ذهب ذاهب الى أنها لا تفيد أكثر من الظن كان للقاتل بأبوة آدم للناس اجمعين ان يسأله عن الوجه في إثبات ذلك الظني على هذا الظني فإن كان الوجه عنده درء ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالنسب أكثر من أولئك عددا وأقوى شبرا فهل نوول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم وينقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « ان المسألة عليا لادينية - وقولكم - ان المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية - أو قريب من هذه العبارات - فللبد فيما نظر
أما الأول فلأن ما بين دفتي المصحف دين لا شيء منه يجاز مخالفته وهل يأذن
الدين لاحد ان يذهب الى مالا يصادق عليه القرآن في تكوّن الجنين باسم علمية
هذا البحث أم هل يأذن لاحد أن يقول بما ينقضه القرآن في تأريخ فروعون باسم ان
المسألة تأريخية ؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية أو البشرية أمر
اعتباري لا يصح ان يكون منشأ الخلق والايجاد هذا ما ينسجم له الوقت من البحث
وفما آتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي ما يقني عن التذكير
بأقل من هذا والسلام عليكم أولا وآخرآ . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧
(المناج) نشكر لا خينا في الله امتقاده وتذكيره وغيثه على الدين والعلم ونجلي
ما ألم به من المسائل بما يأتي :

- (١) ان الاستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولا قال ان القرآن ينفي
أن يوثل ليوافق دارون أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم
أبا لجميع البشر ثبوتا قطعيا حتى يوثل لاجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم
أيضا في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وانما قصارى رأيه انه اذا ثبت
ما يقولون لم يكن ذلك مخالفا للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل
فعلى هذا يكون فهمه رحمه الله للآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه
صوابا أم خطأ لانه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره واتماقهم
الآية وأمثالها فهما لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة
- (٢) قلتم انه ظهر لكم انني راض عما ذهب اليه قلتم هذا بعد نقل المسألتين فعلم
منه انكم فهمتم انني راض عنهما كليهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به
من تكثير ما بثه من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير ما فسرهما
به رحمه الله تعالى وغير ذلك وفيه الوعد بتحقيق مسألة ما يفيد مجموع آيات القرآن
المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ما ورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنین،

فلم من هذا الوعد اننا لما بين رأينا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لا يقدونهم تعابدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء وانما كان يبحث على الاستقلال . وبعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم شارين: فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لا يجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فانخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لا يقتضي كون القول بهذا شاذاً فانه معزوق الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لأهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام ديناً عاماً كما انه لا يقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو الى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان مورده خاصاً ولو شخصياً ما لم يعم دليل على الخصوصية . مثال ذلك في العرب قوله تعالى (٩٨:٩) لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير أنفسكم بالعرب لا ينفي كون الرسالة عامة لجميع البشر . ومثاله في الامور الشخصية ماورد في الافتاء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأستثمهم المعبر عنها بمثل بسألوئك ويستفتونك كما هو مكرور في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون الخطاب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لأهل مكة هو العمدة في الاستدلال على ما فسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ماورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما مما لا يقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها وأحاديث ولا يكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الآية تنفي كونه أبا لجميع البشر .

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون ما فيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على العموم لا يصح لأنه يمس مقام النبوة فإذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يتمتع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بمجذاته حتى قول اننا أولنا آية الاعراف لتطابق القول بمصمة الانبياء ولا حاجة الى تأويل آية النساء فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلاً لها لأن لفظ النفس ليس مرادفاً لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان ما يرد في تفسير مبهمات القرآن لا يجعل اللفظ المبهم نصاً ولا ظاهراً في المعنى الذي فسر به في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا قبل ذلك التفسير اذا صح عندنا مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) هو فلان بن فلان فأتنا قبل هذا التفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لأن الرببي الذي لا علم له بذلك الحديث لا يفهم هذا المعنى من اللفظ ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم ألبتة فكيف نقول ان ما ورد في ذلك يجعلها نصاً أو ظاهراً وهو لم يرد تفسيراً لها؟ وهذا هو مرادنا بما قلناه في (ص ٨٦ م ١٢) ان الذين فسر وا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسئلة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدلل صديقنا المتقد على كون جميع الناس من نبي آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالخير من فتنة الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكته ويمكن أن يجاب بأن نكته ذلك في الآية التي أشار إليها هي إقامة الحجج عليهم بما كان من عاقبة وسوسته لا يهمل الصبين هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يهتنبوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم . ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى «يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والأنجيل» فيعلم انه لا يكون على شيء يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن . وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث لمن أهل الكتاب الذين اتخنوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت «يحذر ما صنعوا» وقد بينا آفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لا ينافي عموم التكليف فإذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم . ومن ذلك خطاب الانصار بقوله تعالى «٣: ١٥٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» وهي هداية لجميع المسلمين أيضا كما قبلها وبعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الألوف لا يعتقدون أنهم أبناء آدم ولم يسمعوا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم الى آدم والمأثور المقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث العاقل للقوم على ما يهودون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء يخالف لما يعتقدون جاء به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا ويشيرون الى هذا في أول كتب المعاني وفي صحيح البخاري من حديث علي موقفا حدثوا الناس بما يعرفون «أتحبون يكذب الله ورسوله؟» وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود «ما أنت بمحدث قوم حديثا لا تلافه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة» وورد في الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لا يعرفون آدم ولا يعتقدون أبوتهم هو الصمد في جزم الاستاذ الامام بعدم حمل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة عند المبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ما أوردتموه من الاحاديث ليس نصا أصليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «كلكم من آدم» لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمر يكاولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسودة التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لا تدل على كونه أبا لجميع البشر ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر أنه رأى هناك أوفي مكان آخر نسم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لا يمنع ان يكون هناك أوفي مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والانبياء ولا دليل فيه على كون ما رآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان ما رآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لاجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لا يتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم » وان من أمة الا خلا فيها نذير »

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيرا للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لاحجة فيه على القرآن ان صح ولا وجه لأن يكون حائلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجمال والابهام والاملاق والمعجم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن تطرق الريب اليه ونحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يوثق فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى ينظره واقفه الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثون عشر قرنا ونيف لم يظفر هذا القرآن

الذي جاء به النبي الأمي الناشي في الآمين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الأعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمور العالم دون أمور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وإن لم ينقض ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمتقدم أن يذكر ما عنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة أصول كما تمنينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المتقدم أن شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أبا لجميع البشر أو يعتقدون أن لهم عدة آباء فهل نؤول آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول أن هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لا يوردون شبهات على عالم الغيب وإنما هم قوم تاهون لحسهم يقولون أننا لا نؤمن إلا بما نراه أو نحس به وهم يعلمون أن عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى أخبار عالم الغيب مانعة من إيمانه وما كنت أظن أن هذا يخفى على المتقدم الفاضل ولعله مرى إليه من بعض المارقين الذين كفروا بالله ورسله تقليدا لبعض الأفرنج إذ يسمعونهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألهم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا أو شبهة ؟ لا لا ! وإنما يقولون أنه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ونحن المؤمنين نقول مثل ذلك ونزيد أنه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تثقون بخبرهم إذا قالوا لكم أن في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المتقدم بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يهنيه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في المآرج من قبل وهي أن الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره - هذان الأمران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن بما تطبعه عاداته الفصحى

ويبادر من أسلوبه الأعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلّمات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان وأنا نرى كثيراً من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات المأثورة عن السلف عند تنبيههم لها إذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الأسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستراه في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الأولين

(١٤) أما انتقاده لنفسه الله بغيره على العلم والدين لقولنا إن المسألة علمية لا دينية فإني أجيبه عنه بالإيجاز وإن لم أتذكر أنني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجده وقتاً للرجعة فأقول إن ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراره لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلاً لأن هذا ليس من مقاصد الدين وإنما يذكر على أنه من الآيات على قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه ورحمته بعباده ، ومن المنهات للارتفاع بما في هذه المخلوقات والشكر عليها ، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى « وجدها تغرب في عين حمة » فلا يراد به أن ذا القرائين وجد الشمس تنزل من السماء فتغرب في عين حمة من عيون الأرض . ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن إلا صادقاً ولكننا لا نعرف إن أحداً من علماء المسلمين عني كنهائنا وعناية شيخنا الأستاذ الإمام بالدعوة إلى الاهتمام بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم إلى ما كثر الإرشاد إليه في آياته كالبحث في خلق السموات والأرض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسير في الأرض والاعتبار بسنن الله في أحوال الأمم بعد معرفة تأريخها ، فأننا نرى علماء المذاهب الدينية فيما قد أهلوا أكثر ما أرشد إليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جلّه محصوراً في الأحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الأحكام الدنيوية كالبيع والشركات والمخاصيات فلا يقال لئنا إن كل ما في القرآن دين وإن الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولاً لا يصادق

عليه القرآن فتحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهدية فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتي في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعتبر شرعا اكثر مما حدده القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المتقدما كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي . فاذا جاز ان يعتمد آئمة الفقهنا على قول بعض النساء اللواتي هن مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان ما نطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وإنما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضعفاء منهم لأنهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس . على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ما قاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلقهم ولكنا اخترنا ان ندفع ما أبهمه القرآن على إيهامه (ص ٤٨٦ م ١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٥) وأما انتقاده الأخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناء على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة ناسيا ما فسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا . ونعني بذلك الروح الانسانية التي أتحدت بالجسد فصارت مجموعتهما حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكون منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا . فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري ؟ ؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار قهقناه وزدنا فيه فوائد

اثبتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حديثها منها ان لبعض الباحثين من المسلمين المصريين رأيين آخرين في النفس الواحدة أحدهما انها الانثى وانك وردت مؤنثة في كل آية وصرح بتذكير زوجها الذي خلق منها في بعض الآيات وثانيهما انها كانت جامعة لأعضاء الذكورة والانوثة وذكرنا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣٩ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمع لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بأبوة آدم لجميع البشرية وقد وعدنا هناك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

﴿ في الاسلام ﴾

أيها السادة

كفتي اليوم في قضاء الفرد وقضاء الجماعة في الاسلام وحيثما قلت قضاء الجماعة فأتما أريد مدلوله العام أي القضاء والافتاء والتشريع أو التفريع تعلمون ان كفالة العدل الذي هو مناط الراحة والسعادة في كل مجتمع إنما هو القانون أو الشريعة التي تصان بها الحقوق وترد المظالم ويقاقب المجرمون المجترعون على انتهاك حرمة الراحة والامن في الهيئة الاجتماعية وهذه القوانين اما أن تكون وضعية أو شرعية وقد عرفها ابن خلدون بقوله :

« إذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء أو كابر الدولة وبصرائها كانت سياسية عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسية دينية »
وتعلمون ان الفقه الاسلامي وأريد به قسم المعاملات والعبادات هو قانون المسلمين الشرعي ومناط الاحكام التي يفصل بها في المنازعات والخصومات التي تقع بين الناس

أقول القانون الشرعي فجزأ اذ أن أحكام الشريعة الاسلامية وقانونها الجامع إنما هو الكتاب والسنة وهما الاصل أما الفقه فأتما يسمونه شرعاً باعتبار ان مأخذهم من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والاجماع والقياس فإذا انطبق عليه تعريف ابن خلدون فأتما ينطبق عليه من هذه الجهة أي ان تلك القوانين لها أصل في الشرع لائتمها هي بعينها المفروضة من الله

وبما ان أساس التفريع أو التشريع عند الفقهاء هذه الاصول الخمسة فقد سموا

(*) خطبة لرفيق بك العظيم المؤرخ المشهور القاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعي بمصر

الاحكام الفقهية شرعا وخالفهم في ذلك كثير من أئمة العلم والمحدثين فقالوا كل حكم لا يستند الى دليل او لا يعرف دليله من الكتاب أو السنة فليس بشرع وليس من غرضي في هذا البحث الحكم بين الفريقين وإنما الغرض منه تقديم مقدمة تساعدنا على الانتقال الى النظر نظرا صحيحا في سير القضاء وتأريخه وكيف كان القضاء والافتاء في الاسلام وما هو ضمان العدالة فيهما وما منزلة قضاء الفرد وقضاء الجماعة من الصواب والخطأ ونستطرد من ثم الى ما تخلل التشريع والقضاء من الشؤون التي لا يتخلو يانها من فائدة وإن كنت لأستطيع من البيان غير جهد المقل علمنا ان أساس الشرع وأصله في الاسلام هما الكتاب والسنة بمعنى أن الاحكام الدينية أي العبادات والقوانين الدنيوية أو السياسية كما يسميها ابن خلدون وهي أحكام المعاملات والعقوبات التي وردت في الاصلين المذكورين قد قررهما الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم فصارت شرعا وهذا الشرع لا يدخل تحت مدلول قضاء الجماعة المراد به جعل قوة التشريع لآفي يد واحد بل جماعة الا من حيث لزوم فهمه على وجوهه التي ارادها الشارع أي إن تفهم الحكم من هذا الاصل وتقريره هو الذي يلزم ان يناط بالجماعة دون الفرد تقاديا من الخطأ والاثم

وتعلمون بالضرورة أن الاحكام التي شرعها لنا الشارع كانت تشريع تدريجيا فكلما عرضت له حادثة أو سئل عن حكم شرع له شرعا حتى كان من ذلك في الكتاب والسنة نحو ست مئة وخمسين حكما أو تزيد اعتبرها أئمة الفقه بعد ذلك اساسا للتشريع فوضعوا لنا كتب الفقه التي كانت في المالك الاسلامية ولم تزل في بعضها مدار الاحكام الشرعية في المعاملات والعقوبات وما يتبعها من قضاء المظالم والحسبة وسياسة الرعية وغير ذلك الى اليوم

ويبدأ تدوين الاحكام الفقهية من أواخر العصر الاول واوائل الثاني فالتشريع إذا له في الاسلام تاريخان : تأريخ تقرير أصول الشريعة والعمل بهذه الاصول ، وتأريخ التفريع أو الفقه والعمل به . يتخلل ذلك أيضا تأريخان : تأريخ حفظ الشريعة في الصدور ، وتأريخ قيدها في الدفاتر والسطور

ولبيان ذلك وبيان كيف كان يقضي الصحابة والتابعون أقول :
علينا ان اساس الاحكام ومدارها ومعمول القضاء في الصدر الأول كان على
الكتاب والسنة أما الكتاب الكريم فقد كتب متفرقا في عهد النبوة في خلافة أبي
بكر كما هو معروف مشهور . وأما السنة السنية فقد بقيت محفوظة في الصدور إلى
اواخر عهد التابعين او كتب منها في غضون هذه المدة شيء يسير
فكان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين ملازما للافتاء بالضرورة لان القضاء
كان إلى الخليفة وهو لا يحفظ الاحكام التي وردت عن الشارع كلها بل كان كثير
من الصحابة يحفظ كل واحد منهم شيئا منها فاستأثروا في معرفة الحكم ضروري
واليكم ما روي عن قضاء أبي بكر وعمر

اخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخوض
نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب
وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياء خرج فسأل المسلمين وقال
اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله قضى في ذلك بقضاء فرموا اجتمع عليه نفر
كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء . فيقول أبو بكر الحمد الذي جعل بيننا من يحفظ عن
نبينا . فان اعياء ان يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم
فان اجمع رأيهم على امر قضى به وكان عمر يفعل ذلك فان اعياء ان يجد في القرآن
والسنة نظر هل كان فيه لابي بكر قضاء فان وجد ابا بكر قضى فيه بقضاء قضى به
والا دعا رؤوس المسلمين فاذا اجتمعوا على امر قضى به

هذه رواية البغوي عن قضاء أبي بكر وعمر ومنها يتضح أن القضاء في عهدهما
قضاء الجماعة وعليه يقاس قضاء من بعدهما من الخلفاء الراشدين في الدور الأول
لتأريخ القضاء في الاسلام أي إلى العهد الذي بدأ فيه التدوين والعمل بالفروع بدليل
انه كان في كل عصر من الامصار الاسلامية نفر من الصحابة ثم التابعين يسمون
الفقهاء لحفظهم الاحكام وتفقهم في الدين وكانوا يستشارون في النوازل عند القضاء
فيها لانهم حفاظ الشريعة والرايون للاخبار الصحيحة فلا مندوحة عن الرجوع
اليهم في القضاء

ومن الفقهاء الكبار في الصحابة علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك ومعاذ بن جبل ومن في طبقتهم ممن يحفظ عن رسول الله قليلا أو كثيرا

وقال ابن القيم ان عدد من حفظت عنهم الفتوى من الصحابة مئة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة . وكان أكثر هؤلاء مؤرخين في الامصار بالضرورة وهم شوري القضاء حيا وجد منهم جماعة يستشارون كما أثبت ذلك التاريخ وتلي هؤلاء طبقة أخرى من أصحابهم وهم التابعون صارت اليهم الفتوى في الامصار فكان في المدينة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد الى غير هؤلاء . وتليهم طبقة أخرى منهم محمد بن شهاب الزهري المشهور وأضرابه وطبقة أخرى فيهم الامام مالك بن أنس صاحب المذهب في المدينة وكان من المفتين في مكة عطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان ومجاهد بن جبر وغيرهم وتليهم طبقة ثم طبقة الى قيام الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب في مكة

وكان من المفتين في البصرة عمرو بن سلمة الجرمي وأبو عرويم الحنفي والحسن البصري وغيرهم وتليهم طبقة فطبة وعلى هذا تقاس بقية الامصار كالكوكة ومصر والشام وغيرها وكلها كان فيها العدد الجم من التابعين وتابعي التابعين يستشارون في الاحكام ويتناقلون الشريعة حفظا في الصدور الى أن دوت في السطور

إذا أضفنا الى هذا ان رسول الله شرع لهم الاجتهاد عند عدم وجود النص وان أبا بكر وعمر كانا لا يجتهدان في مسألة الا اذا جمعا رؤوس الناس وخيارهم لاستشارتهم وحكما ان بقية الخلفاء الراشدين كانوا كذلك وقسنا على ورعهم ورع من بعدهم من التابعين وتابعيهم واتباعهم سنن من قبلهم خوفا من بقية الفرد بالرأي واعتصامهم بالشورى مع اهل العلم والحديث بدليل ما رواه عن قضاء الجماعة في عصرهم ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن المسيب بن أبي رافع الاسدي المتوفى سنة ١٠٥ قال : كان اذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا السنة صي

صوا في الأمراء فيرفع اليهم فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق
اذا أضفنا هذا كله الى ما سبق بيانه نتج لنا منه أن القضاء في العصر الاول
كان قائما بالشورى أو هو قضاء الجماعة الذي فيه كفالة الحقوق ونحري العدل
والحق وهو خير من قضاء الفرد وأبقى لسعادة الأمة وأضمن لبقاء الدول بلاريب
ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما
قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضا جعل قوة التشريع القضائي مصونة
عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتا من الحكم واطمئنانا للدليل
واعتمادا على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص

ان مراعاة الاصلح قاعدة من أهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج
وتدبراً للمفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند
الضرورة مع وجود النص كما يأتي بيانه بعد ويتنازعون على المسألة الواحدة يجي
بها النص من عدة روايات أو يحتاج الى التفهم الدقيق تثبتا من الحكم ورغبة بمحض
الخير للأمة والعدل بين المتقاضين وبذلا للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال
ابن القيم : تنازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة
من مسائل الاسماء والصفات والافعال . أي المسائل التي تتعلق بالايان

قلنا ان المراد بقضاء الجماعة قوة التشريع القضائي في حياز جماعة لا فرد لان ذلك
اسلم وابعد عن الخطأ وضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي
والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من الروايات
تحتاج الى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وإن توفرت له فربما لا يتيسر له تحري
المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته
من اهل العلم

اعتبروا ذلك في أئمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم في
تقرير فروع المذهب واصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتببع
اصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف أتباعهم بعد ذلك
اختلفهم ايضا فكان من ذلك اتقسام القضاء الاسلامي على نفسه حتي وجد في

بعض المصور اربعة قضاة لاربعة مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية
هذا فضلا عن اختلاف فقهاء كل مذهب أيضا في المسألة الواحدة حتى أصيب
الافتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والاقسام واضطرب أمر العدالة أيما اضطراب
مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين
لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من أحدهم أن
يحيل بعضهم على بعض أو يستشير بعضهم بعضا في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في
كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلمة أو اثم ولا سيما فيما يحتاج الى الاجتهاد
ما لم يستشر خاصة المسلمين

قلت فيما سبق ان الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم شرع لنا مراعاة المصلحة
ولو مع وجود النص واقتدى به الصحابة الكرام في العمل بهذه القاعدة وينا
لهذا أقول :

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشرعية الاسلامية
أخرى الشرائع برعاية هذين الأمرين فقد سن الشارع إيقاف العمل بالنص مراعاة
لمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبت المصلحة ولزومها على وجه لا يقبل
الشك في أن المصلحة التي تترتب على المدول عن النص أكبر من المصلحة التي
تترتب على العمل به واستن بسنة صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك
شرعا أيضا فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل :

في حديث لابي داود أن رسول الله نهى أن تقطع الأيدي في الغزو . واقم
تطون أن القاطع حد من حدود الله لم يستثن النص القرآني منه الفزاة لكن النبي
نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية أن ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالمدو
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار أخرى من هذا القبيل لا محل لذكرها
هنا وهي مبسطة في كتب الحديث

وقد استن الصحابة بسنة وأوقفوا الحدود في أحوال مخصوصة تدعو اليها

الضرورة

جاء في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس ألا لا يجلدن امير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لثلاثته حية الكفار

وروى ابن القيم في إعلام الموقعين عن ابن حاطب بن أبي بلعة ان غلة لايه سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقرأوا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقرأوا على انفسهم فقال عمر يا كبير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولي بهم ودهم عمر ثم قال أما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجميعونهم حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وأيم الله ان لم افعل لا غرمك غرامة توجعك ثم قال يا مزي بنك اريدت منك ناقة ؟ قال بأربع مئة قال عمر (اي لعبد الرحمن) اذهب فأعطه ثمان مئة

وغير هذا فقد أسقط عمر الحد في عام الجماعة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون تثبت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله قبل ذلك بما صنعه بيني جذيمة لما أرسله داعيا لا محارب فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسي منهم فبرئ رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك الا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام

وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن في حرب القادسية في خبر مشهور طويل لا محل لذكره هنا وقال والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى للمسلمين ما أبلاهم

والشواهد على هذا من أعمال النبي وأصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات البدنية كالسن بالسن والعين بالعين واستبدلت بها العقوبات الادبية كالحبس والتغريم مثلا لضرورة تغير الزمان أو لفشو المنكرات فشوا لم ينجم في تأديب مرتكبها الا حبس حرمتهم في السجن أو غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية ليس فيما ذكر غرض من مقام الشريعة أو من لاصولها المقدسة مادام من اصولها

وقواعدها أيضا العدول عن النص عند ثبوت المصلحة أو دواء المفسدة بأقل ضرراً منها والشريعة كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والأئمة من بعده إلى تقرير قاعدة مراعاة الأصلح وهو ما يسمونه النسخ وما هو بفسخ وإنما هو تقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه وأحوال اقتضته حكم جهاد المشركين من العرب في مبدأ امر الدعوة لحمايتهم وحماية المسلمين من أعدائهم واعدائهم وفيه الأذن بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ثم تقرير حكم آخر بعده أي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن كما في قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله (افأنت نكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وكحكم النهي عن الصلاة في حال السكر في قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) وكان هذا في احوال اقتضته ثم جاء حكم التحريم بناتا في احوال اقتضته ايضا

و بالجملة فان ملخص ما تلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

(الاولى) ان القضاء في المصير الاول كان مرجعه نصوص الشريعة أي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص

(الثانية) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او يتعذر على الواحد الاحاطة بها فاحتيج في القضاء الى استشارة حفاظها

(الثالثة) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص او مسوغ الحكم اذا كان اجتهاديا تثبتا من وضع الشيء في محله جهد الامكان

(الرابعة) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع

(الخامسة) ان ووعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع في الاثم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد

هذه المقدمات تنتج شيحتين مهمتين احدهما أن القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لا قضاء الفرد على نحو ما سبقت الإشارة اليه كثيرا

والثانية أن الشريعة الاسلامية بما تقرر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية المصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتحيي لكل ضرورة حكما يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعا أيضا خلافا لما يقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضعيفة توافق زمانا غير زماننا هذا ومكانا غير مكان الام الراقية لهذا العهد فهي اذا صلت لاهل ذلك العصر لا تصلح لمصر نسير شرائعهم مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجتها سيرا تدريجيا في كل ما يقتضيه ترقى المجتمعات . ومنشأ قولهم هذا الجهل بمحققة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكتابتها يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الأصول وردد لهم لكل ما لم يرد فيها من أسباب التيسير وان ورد في أصول الشريعة وكتابتها مع ان في كتب الفروع من الأحكام التي لا تستند الى دليل قطعي مالا يعد ومبناها الاجتهاد أو الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الأحكام على الرجوع الى أصل الشريعة مهما كان فيها من التقليد والتضييق على أنفسهم والامة وبها ترتب على ذلك من التهم الباطلة التي يرميها بها الباحثون في طبائع الاجتماع

وحجة هؤلاء العلماء في هذا سد الذريعة أو خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة مقولة ومسلمة لا يخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع أو الاجتهاد الى الافراد وأطلق العنان لكل قائل أن يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم أن يحكم بما يرى ويقول

ومعاذ الله أن يريد هذه الفوضى للشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد أن ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات على شرط عدم الوقوع في ذلك المخدور الذي يخشاه العلماء وذلك بأن تناط قوة التشريع أو الاجتهاد على المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من أهل العلم الواقفين على دقائق الكتاب

والسنة والعارفين بمحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الاحكام تصديق أهل الجبل والعقد فتصبح قانونا رسميا يتحكم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لا يبدل عنه الى غيره من أقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان يحدد هذه القوانين تحديدا يقني عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافا كثيرا يؤدي في كثير من الاحيان الى التهويش على القضاء ويكفي ان تكون تلك الكتب شروحا لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام المدنية المعمول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها ولهذا البحث تمة سآتي عليها في الكلام على القضاء في دوره الثاني وها أنا ذا متكلم فيه :

* * *

قلت فيما سبق إن القضاء في الإسلام له دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق أو اختصار البحث خوفا من تعب القارئ والسامع مع ان أدواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جدا اذا اعتبرنا تقسيمه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الحنفية مثلا فقد قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام .

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخفاف والطحاوي والسرخسي والحلواني والبزدوي وغيرهم وهم لا يقدرّون على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لا رواية فيها على حسب الاصول

والثالثة طبقة اصحاب التخرج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد

والرابعة طبقة اصحاب الترجيح كالثدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية

والخامسة طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كاصحاب المتون الاربعة المعتبرة

والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الفث والسمين والشمال واليمين فلو تتبعنا الكلام على هذه الطبقات والادوار التي مرت على الشريعة بالتفصيل لاحتاج ذلك الى كتاب مطول ورجل اعظم رسوخا مني في العلم ووقوفا على تاريخ القضاء لذا حصرت الكلام على القضاء من الوجهة الاجمالية في دورين واذ قد مضى الكلام على الدور الاول فما انا ذا أتكلم على الدور الثاني على قدر ما يمكنني من الاختصار



لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستيعاب الصمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الام الداخلة في الاسلام من غير العرب وخيف لهذا من تشتت احكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتيج بالضرورة الى امرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب . والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع . وأول من تنبه للحاجة الى هذين الامرين على ما أظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الأموي وسدا للحاجة الاولى أمر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفتار وتوزيعها على الامصار في أواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف

أما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ما روي

عن الامام مالك بن أنس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الائمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها أتباع لهذا الصمد كداود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم الى اليوم زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتبوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو الى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعدوا الى النظر في أصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الاحكام ووسعوها ورتبوها ودونوها كل على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الأصول مما لا يسني بسطه الآن وكلكم أعرف مني به فضبطوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وأدى اليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعا يعمل به أتباعه الى اليوم

ولنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الائمة الكبار وحسب هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الامة والشرع انها تصون منزلة الافتاء والقضاء عن تناول كل من ادعى أن عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو أحسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه

نعم قد انتقد كثير من أئمة السلف ما صار اليه الحال بعد وضع كتب المذاهب من ترك أصول الشريعة والمذاهب مع التقليد البحت لكن لم يكن هذا الانتقاد موجها الى الائمة المجتهدين الا فيما أخطأ فيه اجتهادهم وانما كان جل الانتقاد موجها الى من جاء بعدهم من الفقهاء والمقلدين لتزليلهم كلام الائمة منزلة اصول الشريعة والعمل بأقوالهم ما أصاب منها وما أخطأ بلا بحث في الدليل مع أن الائمة انفسهم نهوا عن العمل بقول من أقوالهم دون معرفة دليله من أصول الشريعة كما تعلمون

أراد الائمة المجتهدون أن تكون طريقتهم في التفريع ميسرة في العلم في قياس الحوادث بعضها على بعض وردها الى اصولها عند تجديد الحوادث سدا لحاجة المتقاضين . وأطالوا في الاستقصاء والبيان والتفريع كي لا يدعووا وجه التهميم كل أمر

على أصول الشريعة من الكتاب والسنة لبقى بعلم و بعير علم فيصير القضاء الى الفوضى وانتشت بعد اقراض طبقة حفاظ الشريعة من التابعين وتابعي التابعين واتساع دائرة الاسلام اتساعا يفقر معه المسلمون الى قوانين قرية التناول من الفهم . لكن أساء من جاء بعدهم من اتباعهم من العلماء فهم الغاية فآلقوا بأنفسهم في نفس الخطر الذي أراد اقهاء الأئمة المجتهدون اذ ساروا في سبيلين متباينين سبيل التضييق على أنفسهم الى ما لا يبلغ بهم أدنى الحد وسبيل التوسع الى ما يتجاوز كل حد ا

حرموا في الاول على أنفسهم الاجتهاد ولو في المسائل التي تدعو اليها الضرورة والمصلحة العامة التي هي من قواعد ومقاصد الشرع الاسلامي فكان من ذلك ان أخرجوا الامة والجالوا بعض الحكومات الاسلامية لهذا العهد الى العمل ببعض القوانين المقررة عند الامم الاوربية خصوصا الجنائية والتجارية

وتوسموا في الثاني حتي ملأوا بطون الكتب بالخواشي والشروح يوثي فيها بعدة أقوال في المسألة الواحدة ولو تافهة أو من قيل تقدير المستحيل وكل هذه الاقوال تعتبر شرعا أو شريعة وتركوا العمل بالصحيح منها أو الاصح أو المقتى به أو المعول عليه الي رأي القضاة فكان من ذلك ان اطلقوا لقضاء الفرد العنان بلا شرط ولا قيد فوقموا وأوقعونا فيما أواد دفعه الأئمة المجتهدون وحرم المسلمون من قضاء الجماعة الذي هو كفيل بالعدل وذلك منذ انقضاء العصر الاول الى اليوم

نعم إن اختلاف الاقوال في المسألة الواحدة وكثرة الخواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلا له شراح من المشرعين وأشهرهم دالوز وكاربانتيه وسيريه وغيرهم كثيرون الا أن القضاء عند تلك الامم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الافراد بل من حق الامة ونوابها فدستور العمل عندهم ما أجمعت على وضعه قوة التشريع وصادقت على قبوله الحكومة فصار قانونا للقضاء لا يعدل عنه الى تلك الخواشي والشروح وآراء المشرعين ويصار اليها الا لتفسير مبهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض

لشريعة المسلمين أصول وكمليات كما قلنا في صدر الكلام تعتبر أساسا للتشريع ومم أن أحكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتقربين

منهم هذا فيما نص منها على ما يرد عليهم من النوازل فما بالكم فيما أحتاج الى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الاصول أو الاستنباط منها وقد سمعتم فيما مروا أنهم كانوا لا يحكمون حكما الا بعد استشارة خيار الامة وعلمائهم واقرارهم جميعا على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الائمة المجتهدين بعض احكام الصحابة لقوتها شرعا أو أصلا من الاصول التي ينسب عليها التفريع سموه عمل الصحابة أو اجماعهم كاسقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول

اذا كان اجماع الصحابة على مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعا يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا أمران :

الاول ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعا يلزمنا العمل به وهو ما تفعله الامم الاوربية في قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي فتركناه وأصبحنا نقبط الامم الاوربية وقوانينها أو قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم

والامر الثاني أن كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الا من حيث اشتغالها على أحكام يرد بعضها الى أصول الشريعة إلا أنه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر • وإناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قرره من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول أو الحكم قوة التشريع ليسمى شرعا أو قانونا وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المشرعين أو المرجحين وهذا ما أردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكن لا ليتناوله من شاء فيما شاء ! كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التي تدعو اليها المصلحة وتتجدد بتجدد الزمان

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع أيضا وذلك لجمع اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ما أصاب من تلك الاقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح في كتاب بينه يعتبر قانونا في المعاملات مجعما عليه من العلماء يعرف منه كل مسلم ماله من الحقوق وما عليه لانتقاده اقوال الفقهاء من خلاف لا آخر ومن قول

لنقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون وليس اختلاف المذاهب بانهم من أن يحكم للشافعي أو عليه بقول للحنفية أو المالكي بقول للشافعية مثلا اذ كل أتباع المذاهب أبناء دين واحد وكل أقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت أن أحكام المعاملات كانت في أكثر الممالك الإسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان أكثر الرعية من أتباع مذهب غير مذهبها

ومع هذا فليس ثمة تكبر من العلماء على أهل الدولة فلا سبيل لهم الى التكبر على القائلين بلزوم جمع الأقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والمصير من كتب المذاهب وجعلها قانونا جامعا في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لأصلاح القضاء وربما اغتفرت الفقهاء ما في تفريقهم وحدة الأمة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الاسلام

ليس اضطراب حبل القضاء في الاسلام بمجديد وليس الظلم والفساد الذي لاقاه المسلمون من حكاهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة توكلهم على ضعف القضاء خصوصا ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لنقص في الدين أو الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ

إن الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار ويقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر بإقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالما ولن يكون وإنما المسلمون أنفسهم يظلمون

ربما يطالبني كلكم أيها السادة بدليل على قولي ان اضطراب نظام القضاء وما نشأ عنه من الجور ليس بمجديد في الاسلام وهذا الطلب من حقكم بعد هذا الكلام واليكم دليلا واحدا اكتفي به عن أدلة لو أحصيت لكانت كتابا ليس كالكتب مما تقرأون

تأملون أن أحفل المصور الإسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء والمشرعين وأرفأها في سلم المدنية الإسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في إبان

وهو ما والتفريع في مبدأ مجده والأئمة المجتهدون هم القائمون بالتشريع والى كتبهم ترجع الفتوى

في ذلك العصر الزاهر بمجد الاسلام وأمجاده العظام يرى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يلجئه الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الا آية أو حديث أو مثال من قضاء الصحابة أي كله من أصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه أو قضاء الجماعة المتين قائلا : ارجع يا أمير المؤمنين الى هذه الاصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء ، اقم يا أمير المؤمنين بنفسك المظالم وانصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغتني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه !

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وأئمة الشريعة أحياء برزقون فما بالكم بما جاء بعده من المصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقول قولي أو قول فلان هو شريعة الله المتي بها والمعمل عليها وما هو الا تفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة الا بالله !

والنتيجة أيها السادة أن ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد وأعني ان التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء إلا اذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ - ولا تظنوا ان هذا «المطربش» الواقف أمامكم يريد شيئا جديدا في الدين أو قلنا لكان الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا أئمة المجتهدين

كلا فليس قضاء الجماعة بمجديد في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو أساسه المتين في الدور الاول للقضاء في الاسلام

أما الدور الثاني فالذي أذكره أن دولتين من دول الاسلام تنبتا اليه وعولتا

عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جعلت في القرن الثالث دارا في قرطبة لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليهم في تقرير الاحكام والحق اقول اني لم اظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن مارأته عنها في ثنايا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفع الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاورا وطلب فلان الى الشورى فأبى ونقل الي ثقة عن كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الاحكام للقرطبي ورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله: ان الشورى خالفت الامام مالكا في عدة احكام أخذت فيها بقول أبي القاسم

وفي هذا دليل كاف على انه كان لديهم سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتها

أما الدولة الثانية التي تبعت الى مثل ما تنبى اليه الامويون فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فاتها جمعت من علماء الامة وفقهاؤها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة ستمتهم جمعية المجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب الحنفي قانونا جامعا لاحكام المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام المدنية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم وستجتمع هذه الجمعية أيضا لادخال بعض الزيادة والتحرير عليه مما مست اليه الحاجة ولو بأخذ من غير المذهب الحنفي هذا مجمل تأريخ القضاء في الاسلام وما تخلله من الشؤون بسطته لديكم مع رجائي ان تصفحوا عن كل خطأ بدر مني أو تردوه ولو سمح الوقت لاثبت على شيء كثير من كيفية تقسيم ولاية القضاء وترتيبها ومحاسن الفقه الاسلامي وما انتقد عليه وانه لو أحسن العلماء العمل به لكان لنا منه قانون جامع لا حسن قوانين الام المدنية وربما أعود الى هذا البحث في فرصة أخرى ان شاء الله



تصنيف كتب في الكلام ملائمة لحاجة العصر

توحيد المذاهب الإسلامية

اصلاح نظام التعليم في المدارس الدينية

ألقى أستاذنا الفاضل موسى كاظم افندي العضو في مجلس الاعيان ،
والاستاذ في مدرستي الحقوق والقضاة - محاضرة في هذه الموضوعات الثلاثة ،
فضبطها عنه حضرة الاديب حسين أشرف بك أديب صاحب مجلة «صراط مستقيم»
التركية ، فرأيت أن أترجمها لقراء مجلة المنار النافعة بما يأتي :

كان الراسخون في العلم من أهل الصدر الاول للإسلام يكتبون بظاهر المعنى
الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ويرجعون الى صاحب الرسالة في كل ما يشبهون
به من المسائل على عهد . ولهذا لم تضطرهم الحاجة الى وضع المصنفات ومراجعة
الاسفار

ثم ظهر الاختلاف على عهد التابعين ، فأروا أن يدونوا الكتب احتفاظاً بوحدة
الدين من وقوع التفرقة ، وبعدا بها عن مزالق الانشقاق وقدان القوة - اذا
نشئت آراء ذوي الرأي ، واختلفت أنظار أهل النظر ، وهناك الطامة الكبرى ،
والخسران العظيم

فأخذوا يدونون العلم ، وأكثروا مادونوا كان في علم الكلام ، لانه هو منشأ
الخلاف ، فكان لذلك فائدة عظيمة

على أن الفلسفة لم تكن قد دخلت بادئ بدء في المصنفات الاولى ، لأن
الامة لم تكن قد عانتها بعد ، بل كانوا يبرهنون على مذاهبهم بنص من الكتاب

والسنة ، وهي طريقة علماء السلف ، ولم يكن ذلك العصر في حاجة الى أكثر من ذلك

ثم انتقلت علوم الفلسفة الى العربية ، فتشعبت الآراء طرائق ومذاهب ، وعرف أبناء هذه اللغة لأول مرة ماهية مذهب « الفلاسفة المشائين » وآراء « الفلاسفة الطبيعيين » ، وأخذوا يدخلون فيها ، ويقولون بقول أصحابها على قلة عددهم ، لولا أن المشائين تغلبوا على الطبيعيين من حيث اقبال الطالبين على كتبهم ، حتى اضطر علماء الدين الى مناهضتهم جميعا ، واتقاص ما لهم من السلطة والنفوذ في قلوب الدارسين والمفكرين ، ومن الردود على المشائين والاشراقيين تألف علم الكلام متمزجا بالفلسفة كما قضت الحاجة . لان علماء الكلام كانوا يدرسون كتب الفلاسفة أولا ، ثم يردون عليها ، الى أن كسدت سوق « الفلسفة الاشراقية » ، وكثر انتقاد اقوال المشائين فدالت دولتها ، واقرضت سلطتها ، ولم يبق لها ولي ولا نصير لم تنكس تلقي هذه الحرب أوزارها ، حتى كان لعلماء الكلام من ظهور « الماديين » في هذا العصر ميدان آخر للنضال والكفاح ، فهو لاء يجب أن نشغل اليوم كما كان اسلافنا يشتغلون بالطبيعيين والمشاين والاشراقيين بالامس وروب قائل يقول : كيف يجوز لنا أن نزيد من عندنا في علم الكلام ما لم ينص عليه من قبلنا ؟ أوليس من الواجب علينا ان نتبع الاولين في ما قالوه . ونسلك السبيل الذي اتجهوه ؟

فنجيبه بأن الفلاسفة الذين عني السابقون من المتكلمين بتزيف أقوالهم لم يبق في زماننا من يذهب الى صحة نحلهم ، واذا كانت براهين اسلافنا سلاحا قاطعاً تلك المزاعم ، فأن من يحاربنا لنصده بها ، وهذا الميدان خال منهم على حين نرى جهة أخرى غاصت بأعداء آخرين لا يعمل فيهم ذلك السلاح ، أو هو لا يقابل الاسلحة التي يستعملونها ، والحاجة ماسة الى اختراع سلاح آخر يصلح أن نقابلهم به .

لا يوجد اليوم علماء معروفون يقولون إن العالم ثلاث عشرة طبقة كرية الاولى تراب والثانية ماء والثالثة هواء والرابعة نار والافلاك بعد ذلك تسعة متواليات بعضها فوق

بعض وانها أزلية أبدية في نوعها وفي جنسها ، وهي بهذا الاعتبار قديمة .
 فإذا قلنا للفلاسفة اليوم : انكم كنتم تزعمون قبل عصور أن الارض وما عليها
 قديم ولدينا حجج تدحض مدعاكم وتبرهن على حدوث الارض وما عليها ، أجاوبونا
 قائلين : كلا نحن لا نقول بقدم الارض ، بل نذهب إلى ما تذهبون اليه من أنها حادثة .
 ومن منهم يصفى إلينا إذا قلنا له : إنك تقول برأي بطليموس من أن الافلاك
 تسمة متداخلة أزلية أبدية . وهو يرى « أن هذا الفضاء لانهائي ، ولا نهاية لما فيه من
 الاجرام ، وهي حادثة من حيث صورها ، ولا قديم فيها إلا اجزاؤها الفردة » وربما
 سخر منا عندما نبرهن له على فساد ما لا يتقد صحتة .

فمن الواجب علينا إذا اصلاح الدروس الكلامية وفقا لحاجة هذا العصر
 وأهله ، ووضع مصنفات جديدة في دحض مذاهب هذه الازمان . وأن نعلم أن
 الدين لا يناضل عنه اليوم بسلاح الامس ، لما بين العدوين من البون الشاسع
 والفرق العظيم .

كان المشاؤون يعترفون بوجود الله تعالى وأنه العلة الاولى ، وواجب الوجود ،
 ولكنهم كانوا يقولون : هو فاعل مضطر ، لافاعل مختار . أما الماديون في هذه الايام
 فلا تنقصهم براهيننا على ذلك لانهم لا يسمون بوجود الله سبحانه . وكان الحكماء
 يقولون : ان الله واحد حقيقي . وباطل وصفه بتلك الصفات المتعددة لانها تنافي
 الوحدة . فهو قائم بذاته ، عالم بذاته ، قادر بذاته ، مرید بذاته ، والعلم عين الذات ،
 والقدرة عين الذات ، إلى غير ذلك من الصفات الاخرى ، وبهذا قالت المعتزلة .
 أما الماديون فهم يضحكون منا إذا برهنا لهم على أن الله عالم بعلمه ، قدير بقدرته
 مرید بإرادته : لاننا متخالفون معهم من حيث المبدأ الذي يجب علينا ان تقر بهم إلينا
 فيه بوضع كتب حديثة تصلح لائقائهم ، ولا يقسنى لنا ذلك إلا بدوس فنونهم ،
 وإلزامهم بأقوالهم وآرائهم .

وبعد فان الاسلام قد مني باختلافات ذهبت بأهله مذاهب كثيرة باد أكثرها
 وبقي بعضها ، فالشافعية والحنبلية والمالكية يخالفوننا نحن « مشر الحنفية بالنزوع وإن

كانوا كلهم أهل سنة . فن الواجب علينا ان لا ننزل هذا الاختلاف بمنزلة الخصومة فنعد الشافعي خصما لنا ، بل الصواب أن نرى لنا مائنا ، ويرون لهم ما لهم . ووبما كان الحق في جانب أحد الطرفين مرة ، وفي الجانب الآخر تارة أخرى . لان المسألة مسألة اجتهاد ، والاجتهاد يبنى على الادلة الظنية التي يستدل بها كلا الطرفين ولا فرق في ذلك بينهما . ولذلك نصوا على ان الاجتهاد لا يتقضى بالاجتهاد .

كانت هذه الحال مدعاة للتفرقة وانشقاق القوة ، ومباينة لأمر الله به من الاعتصام بمجمل الاتحاد والاجتماع ، وما أشد ضرر التخاصم في المذاهب والفروع وفي الاسلام اليوم غير هذه المذاهب مذهب آخر وهو مذهب الشيعة ، والمداوة بينهم وبين السنيين شديدة ، وفي نظري ان هذا العداء أمر منكر يجب إزالته لينتسئ للمسلمين أن يتحدوا وإلا التهمهم الغرب قبل مرور نصف عصر ، وكانت القضية على المسلمين اجمعين .

اجل ! يجب علينا أن نعتصم جميعا بمجمل الله ، ونتحدا مع كل قائل بوحدة الله ، ونبوة رسول الله ، ونحاول بعد ذلك توحيد الاود ، وإرجاع المنحرفة إلى أصلها ، ومجادلة أهل المذاهب الاخرى لا كما يجادل العدو العدو ، بل بالتي هي أحسن ، وذلك بأن يجتمع العلماء من كل فريق ، ويقول بعضهم لبعض : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نتجنب ما تقوم الحجة على بطلانه ، ونعمل بما تبرهن الادلة على صحته . وفي يد كلا الفريقين كتاب الله يؤمنان به وبعين أنزله وبعين نزل عليه . وبهذا ينجو المسلمون مما فنوا به من التفرقة والانشقاق ، وأنا الكفيل بأن المسلم لا يلبث أن يذعن للحق ولو هما بهدعنه .

واني أقص عليكم هنا تفاصيل مناظرة دارت بيني وبين أحد علماء الشيعة وكان متعصبا وعلى مكانة من الجد في وقت واحد . فبادرته أنا سائلا :

— أين هو موضع النزاع بيننا وبينكم ، وفيه ترتابون من عقيدتنا ؟ فأجابني :

— الخلافة هي موضع النزاع . . . قلت له :

— إن هذه المسألة في رأيي ليست مما يستحق النزاع . قال :

— كلا بل هي ذات شأن عظيم لا ينكر فهي التي قضت على الاسلام ،

وشتت شمل المسلمين ، وقلبت بالدين رأسا على عقب . . . إن الخليفة بعد النبي كان يجب أن يكون عليا . فأجبه :

— تلك دعوى لا نسلم بها ما لم يقر على صحتها برهان ساطع ، فما هو برهانكم على ذلك ؟

وها هنا عدد اشياء كثيرة كانت كلها واهية في نظري . وبعد أن أضفيت إليه كثيرا قلت له :

— ليس كل هذا مما يتألف منه دليل واحد ، لأن ما قلته لا يفيد إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا . أنت سرودت على مسامعي قضية هي من المطالب اليقينية ، وأنى لمثلها من مسائل الاعتقاد أن يبرهن عليه بشيء من الظن الذي ربما كان مقنا في مسائل الفروع

فترك صاحبنا هذه السبيل وانتهج منها آخر تكلم فيه أكثر مما تكلم من قبل ولكن هذا أيضا كان واهيا . فقلت له حينئذ :

إني أدعي انه لم يؤثر عن النبي قول يستدل به على تعيين خليفة باسمه ، وبرهاني على ذلك أنه لو كان ثمة قول صريح في هذا الباب لما اختلف الصحابة في ذلك الامر ، وهم على ما هم عليه من التمسك بسنته ، والخضوع لطاعته . أجل ! لم يصرح النبي بذلك لأن المهاجرين والانصار وقع بينهما على الخلافة اختلاف كان من نتيجته أن قال الانصار : « منا أمير ومنكم أمير » فدحض الصديق ما طلبوا بمحدث « الائمة من قریش » فأجابوه : إذا لم يبق بيننا مدعاة للخلاف بعد هذا . ومن ذلك تعلم أنه ليس ثمة صراحة قولية يستدل بها على تعيين خليفة بشخصه ، وإنما هم رجعوا الصديق لتوايه الصلاة بالناس في مرض النبي ولم يرجعوا عليا ، وهذا ما أداهم اليه اجتهادهم .

وكان أبو بكر قد سعى عمر لولاية المهد قبل وفاته ، فلم يبق مجال للنزاع

وجعلها عمر شوري من بعده ، فوقع الاختيار على عثمان

ثم تولى منصب الخلافة من بعدهم علي

هذا كل ما في الامر ، فأين ما تذكره من أن هذه المسألة هي التي قضت

على الاسلام ، وقلت الدين رأسا على عقب . . . هل سلك ابو بكر غير منهج الرسول ؟ كلا . انه لم يفعل ذلك باعترافكم . وهكذا فعل عمر ، وهو الذي افتتح الاقطار ، وعلى يده دخلت في الاسلام ، وأصبح المسلمون يحكمون بلادا فيها مئة مليون من النفوس . ومع كل ما كان له من النصر ، وللإسلام من المجد ، بقي في آخرته كما كان في أولاه يرضى على قدميه بجذائين يخرج منهما من بيت المال ، فأهرومضى « القضاء على الاسلام » حيثن ؟

وهنا سكت صاحبا ولم يفه ينت شقة ، فواصلت كلامي قائلا : نحن قدس مولاء لانهم لم يعبثوا عن خطة النبي قيد أنملة ، ومن الواجب على كل من في قلبه ذرة من ايمان أن ينتظر اليهم بالنظر الذي تنتظر به اليهم . فأجاني :
ان عليا كان على سعة من العلم والفضل ، وواقفا على سر الكتاب . قلت له :
ذلك مما لا ريب فيه . قال :

فلماذا اذا لم يجعلوه خليفة ؟ أجبه :

انت الآن تخرج عن الصدد . قد عدلت عن زعمك الاول من أن الاسلام قد قضى عليه ، ورحت تقول الآن : كان الاولى تولية علي لانه كان أعلم وأفضل . فقال لي :
انك يا اخي لاتدع لي مجالاً للافصاح عن رأيي . انني أقول : إن عليا واقف على سر الكتاب ولو كان اول خليفة في الاسلام لخدمه خدمات جلي ؛ ولتعالى الدين أكثر مما شهدنا . قلت له :

أنت غيرت دعواك . ومع ذلك فاني أقول لك : كان من الواجب عليه اذا كان الامر كذلك أن يبين تصوراتيه في اعلاء شأن الاسلام لمن تولى أمرا الخلافة من قبله . وفي كل حال انه صار خليفة بعد ذلك ، وكان في وسعه أن يقوم بالخدمات التي تذكرها

وبعد أن أفضت البحث في هذا الباب أذعن مناظري للحق ورجع الى انصافه

ثم قال :

الحق أقول ان هذه المسألة مسألة سياسية ، لا مسألة دين ، وما هي الا وسيلة

جعلت في القديم لاحداث التفرقة بين فريق وفريق

قري من هذا أنه مها كان بين المسلم والمسلم من الاختلاف ، يرجع احدهما الى الحق بعد ظهوره له ، لان المسلم منصف على كل حال ويألت شرعي كيف يجوز لنا أن نجعل الاختلاف في المذهب سببا للمداوة ونحن كلنا مسلمون ، في حين أن من المحذور على المسلم أن يجعل المداوة في قلبه حتى لغير المسلمين . حقا إن هذه حال قد سئمتها النفوس ، وتعت منها مضارا ، أوف الوقت الذي يجدر بنا فيه أن نعلم عن هذه البغضاء الشائنة ، ونؤسس فيما بيننا وبين جميع الفرق المسلمة وغير المسلمة وحدة صحيحة ، فيكون الاتحاد شعارنا في كل أين وأن . لان بالاتحاد نجاتنا ، وبالأعراض عنه اضمحلالنا .

فن الواجب علينا أن نضع كتابا في علم الكلام مؤسسة على مبادئ عدة . كأن ندرس مذاهب الفلاسفة المعاصرين ، ونجادل اصحابها ولكن « بالتي هي أحسن » فهذا يزول الخلاف ، وتلك كانت خطة النبي (ص) في جدله

نحن نفكر اليوم في أمر اصلاح المدارس الدينية ، وحسبنا انكم قدرون هذا الاصلاح حق قدره . (الطالبة : تلك حقيقة ناصمة فخرجوكم ان تبايروا على الاصلاح) انكم إذا كنتم على غير رأينا في لزوم هذا الاصلاح ، فليس في وسعنا ان نأتي بعمل ، أما اذا عرقت وجوبه ، فهو أهم الاصلاحات في نظرنا .

يجب أن ندخل على نظام المدارس القديم خمسة من الفنون الحديثة أو أكثر ، وأن نعدل ذلك النظام تعديلا هاما ، فنبتل تدريس الحواشي والتقارير بة ، ونعلم الطالبين المتون فقط ، ولكن تعلما حقيقيا ، وتوسع كثيرا في درس اللغة والادبيات .

نرى ماهي الحواشي والتقارير ؟ هي انتقادات قواعد لغة لا نعرفها بعد . وأحر بنا أن ندرس تلك اللغة نفسها قبل أن نقرأ انتقاد قواعد لها .

ولعل قائلًا منكم يقول : نحن لا ندرس لغة العرب ، بل ندرس كتابا انشئت باللغة العرب ، وكان خيرا لنا لو ترجم القرآن الى التركية ، فدرسناه بلقنا ، كما يدرس العرب القرآن واليهود التوراة بلقتهيم (١١) .

فأجيب هذا القائل : إن ترجمة القرآن متوقفة على معرفة اللغة العربية معرفة تامة ،

وهذا ماندعوا اليه الطلبة والعلماء ونريد منهم أن يكونوا ذوي وقوف تام على هذه اللغة ، ولا يكون هذا الا بدرس المتون أولا ، والتوسع بالادبيات بعد ذلك جهد المستطاع . ولا بأس إذا رجع التلميذ بنفسه الى بعض الشروح عند مسيس الحاجة ولست أدري كيف أعرض الطلبة قبلنا عن المتون وتعطوا بهذه الشروح حتى اذا أتموها شرعوا بقراءة الحاشية فحاشية غيرها ثم بالتقريرات فقريرات أخرى . وبعد أن يصرف الطالب أكثر من خمس سنين على هذا المنوال في كتاب واحد تمتعته فيه فلا تجده على شيء !! ولا يقدر أن يفهم معنى سطر واحد من الشعر العربي . ذلك لأنه بدد وقته بمناقشة مآقاله العصام وما نبه اليه عبد النفور ، وبوجه التفهم من قوله (فافهم) عند ما تعرض مسألة من المسائل .

فكروا يا هؤلاء قليلا : يجتهد عالم بتلخيص القواعد في متن يسهل به على الطلبة سبيل الوقوف على أصول أحد العلوم ، فيجيء غيره ينتقدها كتهـ وهو حر فيما يعملـ ثم يجيى آخر فينتقد الانتقاد !

نحن لا نعترض عليهم لا نقادهم ، فليبدوا رأيهم في مسائل العلم ، والانتقاد في الحقيقة فلسفة العلوم . ولكن الذي استغرب به هو تسابق الشيوخ إلى هذه الحواشي والتقريرات مما تجادل به العصام وعبد النفور ، يجعلونها كتبا مدرسية يقرأونها على الطلبة قبل أن يدرسوا أصول العلم نفسه !

اعترضوا علي ما أقول إذا كان لكم اعتراض !
نعم ! إن هذه الحواشي ليست مما يقرأ قبل درس قواعد اللغة ، وإنما مع ذلك لم تواف عبثا ، فإن أصحابها لاحظوا من تأليفها تربية قوة المناقشة والانتقاد في نفوس الطلبة فصنفوها . وما علينا الا أن نستعملها في الموضع الذي وضعوها له . وقد كان من تحريفنا الاشياء عن مواضعها أننا ظللنا جاهلين اللغة العربية ، وإذا عرض لنا بيت من الشعر ، وقفنا أمامه باهتين ، تنتظر من عبد النفور ومن العصام إمدادا فلا نرى من معين ! ثم نسعى لفهم البيت من كتب اللغة فيخفق سمينا لاننا لم ندرس الادبيات العربية . وغاية الامر أن اصلاح المدارس يتوقف على درس متون العربية وكتب اللغة

والادب . ثم يلتفت الطالب الى الفقه والتفسير والحديث ، تلك العلوم التي أهملناها ، لان الحواشي والتقريرات استغرقت منا كل وقت .

أتمنى من الطلبة كلهم أن يجتمعوا في مكان واحد ، ويفكر واقفا بحججهم لاصلاح مدارسهم ، ويستجلبوا برنامجات المدارس الدينية في مصر ، فان المدارس الدينية في ذلك القطر قد أصلح نظامها ، فأثمر التعليم فيها ثمرات شبيهة . وبعد الاطلاع على تلك البرنامجات يضعون لأنفسهم برنامجا يوافق حالهم وحال العصر معا . ويكفل لهم التقدم في اللغة العربية ، ثم يبحثون في أي الفنون الحديثة أكثر لزوما لهم .

أما أمر معاشكم فنحن نكفله لكم . لان لكم أوقافا كثيرة جداً استولت عليها الأيدي ، وهي تفل لكل واحد منكم ثلاثة جنيهات مشاهرة ، لو كان عددكم خمسة آلاف طالب . وعدا ذلك فان الأمة لاتنساكم . وما عليكم إلا أن تبهنوا على كفاءتكم ثم إنكم في حاجة إلى تعلم لغة أجنبية ، وليس في هذا ما يخالف الدين ، لانه ليس للدين لغة خاصة به .

هذه اللغة العربية بنت ستة آلاف سنة ، والدين الاسلامي لم يكن إلا منذ ألف عام وزيادة . وهو لاء مسلمو كريد لا يعرفون العربية ولا التركية ، ولقتهم لغة يونان ، فهل كان ذلك مانعا لاسلامهم . ونحن أنفسنا لقتنا التركية ، فهل نتركها لانها ليست لغة القرآن التي انزل بها . وهل اليهود من العرب مسلمون لان لقتهم عريية ؟ كلا . واذا كانت العربية لسان الدين ولا يجوز للسلم أن يتكلم بغيرها ، فنحن آثمون لاننا لم نترك التركية . وهذا مالا يسلم به عقل ولم يرد به نص .

فالتركية من هذا القبيل لا فرق بينها وبين الفرنسية والانكليزية ، لان هذه اللغات الثلاث كلها غير العربية ، وعدا ذلك فنحن ندرس في جوامعنا باللغة التركية ، فلماذا لاندوس بالفرنسية أيضا ؟ ولماذا لاتعلم في مدارسنا لغة أجنبية ؟ فاذا قلتم : إن التركية لغة أمة اسلامية . اجيبكم : ان في الصين تركيا أكثر منا عددا وهم كلهم مشركون فتبين من هذا أن اللغة شيء والدين شيء آخر ، وما التعصب في هذا الباب إلا الجهل الذي يسخر من صاحبه الناس اجمعون .

محسب الدين الخطيب بالقاهرة (المئارج) بحث الي إدارة المجلة بهذه المقالة المترجمة واناني الاستانة لا رى

وأبي في نشرها فلما قرأتها رجحت المقتضي على المانع وأذنت بنشرها ، أما المانع فهو أنه قد سبق لنا في المنار بيان هذه المسائل الثلاث الأساسية التي بنيت عليها محاضرة الكاظم وتصنيف كتب في العقائد ملائمة لحال هذا العصر ، وتوحيد المذاهب الإسلامية وإصلاح التعليم في المدارس الدينية ، بل هي من مقاصد المنار التي أبدينا وأعدنا القول فيها كثيراً ، وكررهنا كثيراً ، فقرأ المنار لا يستفيدون بنشر ترجمة هذه المحاضرة شيئاً جديداً في هذه المسائل التي طرقت سامعهم وجالت في مباحثها أبصارهم وعلم أكثرهم ما لقي شيخنا الأستاذ الإمام من العناية في محاولة إصلاح التعليم في الأزهر والمدارس التابعة له . وأما المقتضي فهو ما يستفيدة قارىء هذه المقالة من تشابه علل المسلمين وأمراضهم بل وحدتها ومن اتفاق آراء العقلاء ومطالب الإصلاح لها على اختلاف اللغات وتباعد الأفكار ، فموسى كاظم أفندي من علماء الآستانة قام بطالب في عهد الحرية ماسبقه إليه اخوانه من عقلاء العلماء في مصر والهند من غير تواطؤ بينه وبينهم ولا اطلاع منه على أقوالهم وأعمالهم ، فالمسلمون أمة واحدة مرضهم واحد وعلاجهم واحد وأطباؤهم هم العلماء والعقلاء العارفون بحال العصر الذين يصدق عليهم تعريف الفقيه في أقوال أحد أئمتهم وهو المقبل على شأنه العارف بأهل زمانه .

قد احسن الكاظم في حثه طلاب الترك على تعلم أديان اللغة العربية لأن اللغة نفسها إنما تعرف بأدبياتها لا بفلسفة فنونها الصناعية وفي حثه إياهم على تعلم بعض لغات العلوم الدنيوية وحيثه في هذه المسألة أقرب إلى القبول من حجة من يدعو أمثال طلاب الأزهر إلى تعلم الفرنسية والانكليزية لأنه لا فرق بين التركية والفرنسية في نظر الدين وأما العربية فهي لغة الإسلام لا يمكن أن يفهم الإسلام حق فهمه ويكون من علمائه إلا من يكون متقناً لها وترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الأصل العربي وتغني عنه في الفهم والاستنباط والهداية هي متعذره كما بينا ذلك من قبل ، ويحتاج في فهم الإسلام إلى فهم السنة ومعرفة طرق روايتها الخ الخ ولم يعط الكاظم هذه المسألة حقه من البيان والتحقيق وهي لم تكن موضوع محاضراته وإنما جاءت بالعرض ، وقد عرفت الرجل هنا وأرجو أن يكون من خير انصاري على ما أسعى إليه من الخير للمسلمين الذي يدخل فيه موضوع محاضراته

﴿ رسالة جمع النفائس ، لتحسين المدارس ﴾

يقول الذين أرسلوا إلينا هذه الرسالة ان السيد عثمان بن عبدالله بن عقيل كتبها ليقاوم بها نهضة المسلمين الحديثة لانشاء المدارس وطلبوا منا ان ندين لهم رأينا فيها كما ذكرنا ذلك في الجزء الحادي عشر . وقد تصفحنا معظم الرسالة فظهر لنا ان كاتبها قد كتب ما يعتقد انه النافع كما هو ظنتنا في سائر مكتوباته وانه لم يقصد تثبيط المسلمين عما هو نافع لهم ارضاء للحكام أو تغير الحكام ولكن الذين فهموا منها تثبيط المسلمين عما ينفعهم معذورون ولا يسوغ لنا ان نقول انهم متعاملون ،

الرسالة مؤلفة من ثلاثة فصول أولها في العلم والتعليم والمدرسة وبذل المال لهذا الامر ونتيجة العلم وقد جاء في ذلك فوائد ونصائح لا بأس بها وان كان فيما استدل به احاديث ضعاف لا يحتاج بمثلها ولا تطيل في ذلك لما جرى عليه المؤلفون من التساهل في ايراد مثل هذه الاحاديث في فضائل الاعمال ولا سيما الفزالي رحمه الله تعالى ورأيت يذكر في هذا الفصل كثيره السلف الصالح ويحث على اتباعه ويعد من ذلك قراءة رسائل وكتب احمد بن زين وسالم بن سمير وعبدالله بن علوي الحداد وغيرهم ممن ليسوا من سلف الامة وهم أهل القرون الثلاثة على المشهور فكأنه يعد المتأخرين من أهل حضرة موت وغيرهم من السلف ولا أدري ماهي مزييتهم على علماء هذا العصر في الهند و مصر وتونس . وعندي انه لا يعتد برأيه في الكتب النافعة ولا في طريقة التدريس . والفصل الثاني عشرة اسطر في الاتفاق على العمل وبذل المال له ولا بأس به واما الفصل الثالث فهو الذي يثبط همة من تلقاه بالقبول على علاته لانه ينفر المسلمين من كل ما عليه الاجانب في علومهم وأعمالهم الدنيوية التي بها صاروا اقوى وأعز من المسلمين حتي ان دولة صغيرة في شمال أوربا تستولي على أكثر من ثلاثين ألف مسلم في جنوب آسيا وتتصرف فيهم تصرف السيد في عبيده الضعفاء ولو عملت الدولة العثمانية بمثل هذه الآراء لاستولى عليها الاجانب من زمن بعيد ولم تبق للمسلمين حكومة مستقلة

ومن بلايا تناقض هؤلاء المقلدين انهم يحرمون الاستدلال بالكتاب والسنة على من أهدى أهل له ويبيحونه لانفسهم مع اعترافهم بأنه ليسوا من أهله ومن ذلك استدلالهم بحديث ابن عمر « من تشبه بقوم فهو منهم » على تحريم كل شيء نافع سبقتا اليه أوربا والحديث لا يدل على ذلك على ان سنده ضعيف عند رواة وهم احمد وأبو داود والطبراني في الكبير ، وتصحيح ابن حبان له لا يعتد به لتساهله في التصحيح ومعناه ان من تكلف ان يكون شبيها بقوم فان التكليف يصير خلقا بعد تكرار العمل فيصير بذلك من القوم فيما تشبه بهم فيه فان تشبه بهم في الكتب من أمور الصناعة صار صانعا مثلم وإن تشبه بهم في الاعمال الحربية صار كواحد منهم في ذلك ، وإن تشبه بهم في كل شيء صار مثلم في كل شيء ولكنه اذا تشبه بهم في بعض الأزياء او العادات لا يصير منهم في أمور الصناعة أو الحرب أو الدين واذا تشبه بهم في أعمال الدين فقط لا يصير منهم في السياسة أو الإدارة ولا في الصناعة والزراعة . فالمسلمون في العراق موافقون لمسلمي مصر في الدين لا متشبهون وهم ليسوا مثلمين في اتقان الزراعة فن الجمل الفاضح ان يقال ان من تشبه بآخر في شيء يصير مثله في غيره ، ويتفرع على هذا اتان نحن المسلمين اذا تشبهنا بالافرنج في الامور الحربية والسياسة والهجية وطرق الكسب فاننا لانكون معدودين منهم في دينهم وإن في بلادنا من هم موافقون لهم في دينهم وكثير من عاداتهم وهم مع ذلك ليسوا مثلمين ولا يعدون منهم في الامور السياسية والحربية مثلاً .

وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس الجبة الرومية والطباسة الكسروية (من لباس المجوس) . ولا أخبره سلمان الفارسي (رض) ان المجوس يحفرون الخنادق حول بلادهم اذا هاجمها العدو أعجبه ذلك وأمر بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الاحزاب وعمل فيه بنفسه بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم . فهذا البيان يظهر خطأ السيد عثمان بن عقیل في منعه أن يكون في مدارس المسلمين شيء ما يشبه ما في مدارس الاجانب وخطأ ما أطلت به مجلة « دين ومهيشة » الروسية في بعض المسائل التي جعلت تكأنها فيها حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وهذه المدارس النظامية في مصر والآستانة والشام على طراز

المدارس الاجنبية ولم ينكر ذلك أحد من العلماء في هذه البلاد وما أظن أن السيد عثمان يعد نفسه في طبقة علماء الازهر

وقد أورد السيد عثمان في هذا المقام حديثا آخر وهو « من أحب قومًا حشر معهم » وهذا الحديث أورده الحاكم في المستدرک بلا سند فلا يحتاج به ولو كان الرجل عالما بالحديث لاورد ما صح بمعناه وهو حديث أنس عند الشيخين « المرء مع من أحب » وفي المعنى حديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وهو ضعيف ولكن حسنه الترمذي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . والمراد بالحب هنا ما يحمل الحب أن يتقرب الي من يحبه ويطيعه ويقتدي به ، وما كل نوع من أنواع الحب يحمل على ذلك وقد أباح تعالى للمسلم أن يتزوج باليهودية والنصرانية والزواج بحب زوجه فلو كان معنى الحديث ان كل محب يكون مع من أحببه في الدنيا والآخرة لاستلزمته إباحة نكاح الكتابية كفر المسلم الذي يتمتع بهذا المباح ولاستلزم ذلك الترجيح بالمرجح فيما إذا أحب كل من هذين الزوجين الآخر كما هو الغالب وهو محال . وأبلغ من ذلك ان الله تعالى قال في خطاب المؤمنين مع اليهود الذين كانوا أشد الناس عداوة لهم (١١٩ : ٣) ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) فراجع تفسير الآية في ص ٨٨ ج ٢ تفسير من القرآن الحكيم

ومع هذا كله نقول ان الذين ينظمون مدارسهم على طريقة الاوربيين ويتعلمون علومهم لا يقتضي ذلك أن يحبهم بل نرى من المتعلمين في أوروبا من هم أشد تعصبا من غيرهم وقد ذكرت هذا لبعض العثمانيين هنا (في الآستانة) فقال والمتعلمون منا على الطريقة الاوربية كذلك . فالسيد عثمان ليس مختبرا ولا عارفا بهذه المسائل وقد علمت ان الحديثين اللذين أوردهما لا يدلان على مراده إن قلنا بأنه يحتاج بهما ، وما كتبه صار جدا وان أراد به النفع بحسب اجتهاده وما هو بأهل للاجتهاد سألحه الله تعالى

ومن تهافته انه بعد أن استدلل بالحديثين على ما لا يدلان عليه لقلة بضاعته في العربية على كونها بضاعة مزجاة - شرع يحذر ترك قراءة كتب السلف الصالحين والاستعاضة

عنها بقراءة كتب التاريخ والجرائد ، وذكر من مضارها انها تورث العقائد الفاسدة ودعوى الاجتهاد والاخذ من الكتاب والسنة . واذا جاز لثله أن يأخذ من الكتاب والسنة فعلى من يتمتع ذلك ؟ واتي أقل شيئا من كلامه بنصه لتلايتهم بعض قراء المنار اننا نرد على عالم مؤلف أخطأ فكبرنا خطأه أو بالفنا في استهجانه . انه حصر عيوب المكاتب والمدارس في ثلاثة أشياء وذكر الاولين منها وهما في المعنى أمر واحد هو التشبه بالاجانب ثم قال مانصه وصورة رسمه :

« والثالث من تلك الفواقر والخسائر ترك قراءة الكتب التي يقرءونها السلف الصالحون التي يكتسبون منها العلوم النافعة وخشية الله والأعمال الصالحة وتبديل تلك الكتب بكتب التواريخ الخلقية والجرائد المعتقد التي يورث في اللسان اللقطة وفي القلب العقائد الفاسدة وفي الدين القساحل وتبعية الرخص بل تورث دعوى الاجتهاد المشبه بخرط القتاد ودم التقليد بلا تقيد ودعوى استقلال الاخذ من السنة والقرآن مخالفة لما عليه المفسرون الاعيان فاهي الاكراكة التان تظن انها تسابق الفرسان ومضادا لسيرة السلف الصالحين بل استخفافا بهم بأنواع التقيص وعنادا بالمكابرة والمغالطة بالادلة الساقطة » اهـ

ولا يحسن القارئ أننا اخترنا هذه العبارة اختيارا لركاكتها وكثرة غلطها ووضوح دلالتها على تجرد صاحبها من الفنون العربية كلها بل جميع عباراته كذلك وهو مع هذا يستنبط الاحكام من الآيات والاحاديث فيحرم على الناس ما أحل الله لهم ويحل لهم ما حرم الله عليهم ولا سيما القول في الدين بغير علم ثم ينكر على العلماء الراشدين مثل هذا الاستدلال !!

هذا — وانا ننصح لأولئك الابرار الاخيار الذين ينشئون المدارس أن لا يلتفتوا الى هذه الرسالة ولا الى شيء من رسائل هذا الرجل وليختاروا لمدارسهم المعلمين الا كفاه الذين يجمعون لهم بين علم الدين وما يلزم لهم من علوم الدنيا وان يكون لسان حالهم ومقالمهم هو لسان القائلين « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وثنا عذاب النار » أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

الفصل الخامس عشر (١١)

(بيت خديجة بعد الزواج)

وبدأت السيدة «خديجة» بعد هذا القران السيد زردامعرفه بهذا الجوهر الكريم الذي أتاه الله اليها فألقت الى يده هذا الامين بكل ما تملك ولم يرعها أن الكرم المستعكم في سجاياه سيحمله على اخراج نصيب كبير من هذا المال الى الضيف والمائل فان سيدتنا لم تكن — مع تدبيرها — بالشعيحة الكاظة على المال الفاني بل كانت قد خاقت لتكون مساعدة على الجود . وهل بعد معرفتها بهذا الكفو الشريف ترى لنفسها معه أمرا ينافي أمره ، أو رأيا يفاير رأيه ، وهي تلك العاقلة الحكيمة المستعدة ان تزداد كالا كلما أشرق لها من سماء الفيض الالهي نور منه

وأصبح هذا البيت مثابة للمضطرين وأمانا ، فقصدته الايام ، وشبعت فيه اليتامى ، وخففت فيه أحمال كثيرين ممن حنيت ظهورهم بكثرة الآل ، وقلة المال .

كانت تلك البلاد احيانا تصاب بمسر بل كل بلاد العالم لا تسلم من السر على الدوام فمساعدة الموسرين في زمن السر للمعسرين أمر قضي به الانسانية ولكن قليل من الناس من يكون لهم حظ بالتطلب على شياطين

(*) تابع لما في (ص ١١٥٤٩) من سيرة السيدة خديجة ، وقد كان كاتب هذه السيرة السيد عبد الحميد الزهراوي اضطر الى ارجاء الكتابة لاعماله السياسية الكثيرة في مجلس الامة

الشكوك والالوهام التي تنهى عن الاتحاق خشية الاملاق أما سيدتنا فكانت ترى إتفاق زوجها ومساعدته للمصريين وأخذها بيد العاطلين من جملة المزايا العالية التي تقرُّ بها عينها

وفي احدى الازمات كانت ملائكة الرحمة تحوم في ذلك البيت حول أحد الصبيان وتطوف في آفاق نفسه لتطهرها من كل شر حتى لا يخرج من هذا البيت الا وهو امام للناس في الخير والصلاح

وكان هو لاهيا عما أعيد له ، وعابدا بمثل ما يصبث به أترابه ، ولم يكن هذا الصبي يتجمل بل كان أبوه حيا ولكن أبناء السعادة ، أبناء المجد الابدي ، أبناء المجد السرمدي ، تستأثر المنايا الازلية بكفالتهم وتربيتهم بصورة خاصة وظاهرة يراها من استهدت بصائرهم للاطلاع الجيد

لم يكن أبوه هذا الصبي ليسبح وهو حي أن يتربى كالايتام في غير بيته لأنه هو ذلك الشهم الشهير والشريف الخطير « أبو طالب » ولكن اشتداد الازمة في احدى السنين اضطره ان يقبل رجاء أخيه « العباس » وابن أخيه « محمد الامين » بأن يأخذ كل واحد منهما ولداً من أولاده تخفيفاً عنه فكان هذا الاسعد الذي أخذه الامين هو علياً الذي صار الامام أباً للأئمة ، وبدر سماء السيادة في الأئمة

كانت تربية علي في البيت من جملة المكثوب للسيدة « خديجة » من حسن الحفظ فان الغيب كان يمد له لأمراً جليل له علاقة بهذا البيت

لعله لم يخطر في بال أهل هذا البيت اذ ذاك أن هذا الصبي الذي يدرج أمامهم فيسرون به سيكون الواسطة الوحيدة لحفظ نسلهم ، ومن أين كانت

تُعرف السيدة «خديجة» أنه لا يمشي لها من الذكور ولد وأن هذا الصبي الصغير قد أعدّه القيب ختنًا كريماً وبِعلاً صالحاً لبنتها الصغيرة، وكيف تعلم أنه لا يتسلسل لها عقب إلا من تلك الكريمة «فاطمة الزهراء» وأنى يخطر في بالها أنها إنما كانت تربي هي وزوجها جداً لمرتبة تتصل بهذا البيت سيدها العالم من أشرف العتر وستبقى مباركة في الأرض دهوراً طويلة عالية النار، عظمة الشأن

نعم كل ذلك لم يخطر في البال إذ ذاك ولم يكن الذي في القلب إلا القيام بالواجب الذي يقضي به التضامن

نعم ! نعم ! كل ذلك لم يخطر في البال ولا نوى سيدها البيت مكافأة عمه على تربيته التي سبقت له فإن بين ذوي القربى لا توجد المكافأة بل يوجد التضامن ولكن كان هذا البيت المملوء نعماً يتقاضى وجود نفوس كثيرة تشاركه في تلك النعم لأن لاهله نفوساً لا تعرف الاستثناء، بل تراه من العار والشار، لاسيما إذا بنس الجار

وقد استفاد من مادة هذا البيت كثيرون كما أشرنا إليه أما علي فأنما خصصناه بالذكور ليعرف من عرفه أوسع بمناقبه العالية وفضائله الزاكية كيف كان هذا البيت السيد مسدداً للأرواح، كما كان مسدداً للاشباح، ويعرف القاريء بسهولة أن البيت الذي أخذ ابن أبي طالب آدابه فيه منذ كان صبياً قد كان مهدياً لا كرم الآداب وأعلامها فإن علياً المرتضى هو من عرفه العالم كله، هو ذلك الامام الأكبر الخلق إن يكون مثال القدس وزكاه النفس، هو مجسم الممالي وملتهى الأسرار العظمى ومظهر الولاية الكبرى فما أكرم هذا البيت السيد وما أعظم بركاته ! قدراً لنا الأمين بمجده

محالا للتخفيف عن المثقلين ، والتنفيس عن المكروبين ، وفيه وجد القصاد
صدورا رحية ، وأيدي مبسوطة ، ولديه خيم الوجود والسخاء ، كاخيم العدل
والوفاء ، ومنه اشترقت الآداب العالية ، والتربية الكاملة ، وماذا نرى من
بركات هذا البيت بعد ذلك ياترى ؟

الفصل السادس عشر

(العمل الروحي)

أشر فنا الآن على بحر كثيرة لجبهه ، صعبة مسالكه ، وصلنا الى ساحل هذا
البحر ولا بد من جوزه ، وأكثر السفن لا يوثق بها في غمراته ، ولا يسو
ثوب الهداية رأس مالم الدعوى ، وما حيلة الحائرين غير الرجوع الى الله
في الجهر والنجوى

هنا نبأ جليل تحار العقول المستقلة بفهمه ، وتشتاق أن تقف على روحه
وحده ورسمه ، هنا قد بلغنا من سيرة هذه السيدة الجليلة أن بطرا كان من
دأبه أن يعبد بعض الاوقات في غار من جبل قرب مكة اسمه « حراء » فهاهو
هذا التعبد وكيف هو ، وما الذي ساق نفسه اليه ، وأي دين فرضه عليه ؟
هذا هو النبأ العظيم الذي تمسك بنا المقول المستقلة اذ تسممه ولا
تدعنا نجوزه الى غيره من غير أن نوضحه ، واذا أخذنا بإيضاحه نخشى أن
نبعد بالقارى عن سياق السيرة ، ولكن يقوى عن منا على هذا الايضاح
ظننا بأن الراوى الذي يشرح كل دقيقة فيما يمر به من حكاياته قد يفيد القراء
أكثر مما يسرد الاخبار سردا

ان الاديان كلها رسمت أعمالا اسمها عبادات ولكن يعمل السيدة

«خديجة» لم يكن تابعا اذ ذاك لدين لأن دين قومه كانت عبادة مباركة عن تعجيد بعض الاحجار التي هي عندهم تماثيل أشخاص مقدسين ولم يكن هو قد تعود هذه العبادة التي لهم

العبادة التي عرفت في الاديان كلها هي بحسب الظاهر أعمال وحركات يزعمها رؤساء الدين من أنبياء وغيرهم، أما لبها فأشواق روحية تقوم في نفس العابد أمام معبوده ويصح أن نسميها عملا روحيا حينئذ كان يعمل هذه السيدة يأتي في فار حراء يعمل رוחي توجه فيه روحه تلقاء باري السموات والارض ومشرف مكة وسائق قوس العرب اذ ذاك اليها، ولم يكن مقيا أعمالا رسمية

ان البحث عن سبب تسمية تلك الاعمال الرسمية عبادة في لفتنا يكاف به شرح اللفظة، والبحث عن اسباب اختيار الاقوام السابقين هذه الصور والاعمال المخصوصة تحت اسم العبادة يكاف به شرح التأريخ، أما البحث عن الاشواق الروحية أو التعب المحمدي في «حراء» فكاف به كاتب سيرة السيدة «خديجة»

المباركة لا تشفي الصدر في تجلية هذه المعاني ولكن شدة ارتباط هذا الموضوع بهذه السيرة داعية الى السير في هذا البحر العظيم قد سمعنا في سيرة زوج هذه السيدة أن روحه كانت من أعلى الارواح ونحن نؤمن بهذا ولكن اذا نحن لم نعرف بالروح ولو قليلا فاذا يكون معنى ايماننا بهذا؟ لا جرم أن نترقنا بالروح ضروري في هذه المقامات وهو أمر يشتهي كل امرئ لان كل واحد منا تخبط في بالله هذه المسألة :

ما نحن ؟

هذا سؤال قد علم الدين بعد نظرهم في ماضي البشر أنه من جملة فضل الله عليهم وهو أساس ما يسمى في لغتنا ديانة وملة وأحد الأصول والأسباب في ترقى هذا النوع الانساني وتكمله

هذا سؤال تحيط به محارة طال وقوف العقل فيها . وهنا مرمى سفينة العقل الذي يحاول معرفة نفسه ومنها يتبدى مجراه لأجل ادراك هذا الجوهر

مواقف الباحثين كادت تتساوى أمام صعوبة هذا السؤال، إذ لا براهين عقلية قطعية في نفي شيء أو اثبات شيء في جوابه، ولكن إذا عزت هذه البراهين لا يعدم عشاق هذا المطلوب آيات كثيرة في الوجودات ومن فضل الله على اهل هذه الصورة البشرية جعل قلوبهم مستعدة لقبول ما تأتي به هذه الآيات من ضياء ولا يحرمه الا قليل تزامن فيهم الخيرة لأسباب محسوسة وغير محسوسة

هذه الوجودات قدمت آيات، فإذا حالت دونها الحجب لج العقل في محارات أو محايات، وإذا بدت لا يحجبها حاجب نهج في هدايات انها لمن تأمل مراتب وصفوف، ولكل وجود قوة، ولكل قوة أثر، واختلاف القوى وآثارها، هو على مقدار أشكال الوجودات وصورها وحيزها، ولما رزق الانسان هذا النطق الواسع وضع أسماء لكل ملاح له من وجود وظن المسكين أنه بوضع الأسماء أحاط بالحقائق وهي لم تزد عنها الا بعدا الانسان بعض هذه الوجودات وفيه قوى تحتاج حسب عادته الى

أسماء فالروح للانسان اسم للقوة العظمى التي فيه ، اسم لما يكون به الانسان مستقلا متميزا بقول أنا ويقال عنه هو وان عفا أثره

آمن الناس بهذا الاسم متفقين ولكن فيما يدل عليه قد اختلفت آرائهم وحر نظرم في ادراك حقائق هذه القوى التي في الانسان وفي كيفية علاقتها بهذا الجسم البشري الذي متى برحته أصبح لا فرق بينه وبين كثير من صفوف الجمادات والذي يزيد حيرتهم شدة تساوي بعض الارواح كروح من سعدت بقربه سيدتنا صاحبة هذه السيرة

بحث كالباحثين ، وحررت كالحائرين ، ثم وجدت كالواجدين ، فما ألدها على القلب من حيرة عبقها بلوغ الغاية والحمد لله رب العالمين

إليك حديث نفسي بشأنها : أفقت اليوم من النوم ونصل حسبي وشعوري من غلافه ، كما نصل هذا الفجر من غمده ، فوجدتني كائنني وليد هذه الساعة ، لاني قبل هذه اللحظة لم أكن أرى هذه الا كوان ، ولم احس بما فيها من الاصوات والالوان ، ولم أكن أشعر بلاثماني ومؤلماتي ، فكأنني كنت غير هذا الموجود الجديد ،

أين كانت لذتي برؤية هذه القبة ، وأني بما على هذا البساط ، وأني كان ابتهاجي بزواهر هذه الزرقاء ، وزواجر هذه الغبراء ، . . . ومن حولي الآن أغاني طيور ، ورقص غصون ، وأريج زهور ، وبدائم نقوش ، وترتيب صنوف ، وحرركات نور ، وتجليات سكون ، وفي أنا آثار انفعال من كل هذا قد تحرك بها ما اسمه فكري ثم تحرك بها ما اسمه لساني فسمعتني أقول « سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا »

سبحانك يا فاطم يا باري . يا مصور ولك الحمد ، أنا متذكر الآن أنني

أبصرت هذه المراتي ، وسمعت هذه الامالي أمس لما برز الفجر بزوغه
هذا فأين ذهب ابصاري وسمعي بين ذينك الابصار والسمع اللذين كانا
أمس وبين هذين الابصار والسمع اللذين اتيانني الآن وأنا متذكر أن
هذا الامر وقع لي مرارا كثيرة ألوف من المرات فما هذا الاحتجاب ثم
الظهور ، وأين كان الاحساس محتجبا قبل ان عرفته أول مرة ؟

رباه ! من اسائل عن هذا .. ان هذه الصوامت التي من حولي لا تجيب
لعلها لا تسمعي ، أو لعلها لا تسمعها ، أو لعلها لا ذكر لها في هذه المسائل ،
وكيف أصبر على جهلي بشيء يتعلق بي ، كيف لا أبحث عن أصل احساسني
وعن احتجابي ! ألا يهينني أن أعرف هل أمره كأمر هذه الشجيرات يتحات
ورقها ثم يموت ثم تيبس مرة واحدة فتصير حطبا ثم رمادا أم أمره كأمر
هذه الشمس يظهر نورها على جهة ثم يغيب عنها ثم يموت دليها وهو لا يزول أبدا .
كيف أقنع للنفس الانسانية بحالة هذه الشجيرات وهي لها من الخواص
والآثار ما ليس لشيء غيرها في هذه الارض . كلا مسائل ثم كلا مسائل !
رفعت رأسي الى السماء فأنفيت بواهر ولا محجب ، وأهويت بهالى
الارض فأنفيت بواهر ولا محجب !

فضاء أمامي ، لا أعرف له ساحلا وحدًا ، تارة يفيض نورا ، وأخرى
يحتجب بالظلمات ، أراني وأرضي محمولين فيه ولا أعرف من هذا المتن العظيم
الاسماء وضموها له لا تشرح كنها ولا تؤذن بدلالة كافية
تلاعب فيه السمات لعلها ناسية أن الامر جده وما هو بالهزل واللعب ،
وتتناغي فيه الاصوات كأنها تحسب أن في كل موجود دما غايأخذ يحظ
منها ولعل حسابها غائب !

يني وبين كل ما هو محمول في الفضاء مثلي علاقة قد عرفت بها بهذا النور
البارع، فهل بزغ هذا النور لا عرفها أم تعرفني وهل كانت لي أم كنت لها أم كنا
جميعا لهذا النور أم كان هو لنا ؟ ولكنني أعرف بانورانه لولاك لما عرفت شيئا
سلام عليك ايها النور ! يا حامل انعمة المعرفة البناء وشكرا لمن تسبح

ايها النور بجلاله ، وتهدينا الى آيات جماله

بالنور عرفت ما عرفت ولكن لست ادري كيف عرفت ، قد نقشت
السموات والارض على عظمتها في لوح لا يكاد يحس في دماغي ، فهذا اليم
الذي يصبغ الآن أمام غرقي اصبح لاشيء عندي على انساعه لانه محدود
وهذه الشمس العظيمة التي بدأت تبرز هذه الساعة قد غدت صغيرة في
عيني لاني احطت بها ، وهذه الارض التي اراها كسريري قد تلاشت
في نظري اذ وجدتها هي وكل بحورها ذرة طافية في ذلك اليم الذي
لا ساحل له ، ادركت في هذه الساعة أن هذه الأشياء كلها عظم حجمها
فهي كالصغر بالنسبة الى ما لا يتناهي ، فطمت ان ليس فيما أحاط به حسي
ما يدفع عن فكري عطشه

راقتي جمال هذه الكائنات ثم حيرني منها انها كلها مسخرة لنا وما
نحن لها بمسخرين فهل نحن على صغر حجمنا اكرم معنى منها ؟

تركت حيرتي ههنا والتفت الى هذه الشجيرات التي اراها تزخر
كمراثس الانس وسألتها فلم تجب او لم افهم حقيقتها ، وانثيت الى هذه
اليامات الراقصة باغناقها فسألتها فلم تجب او لم افهم هديتها ، لكنني
استأنست بهذه وتلك اكثر من استئناسي بالمتحجرات لاشوق بخالط منها
الجنان ، ولا حركة لها الا على يد الانسان ، وطال أنسي بهذه الخضرة

الترنحات ، والورق المتفتيات ، حتى كدت أفقه حديثها ، وأفسر تبيانها ،
هذه ذكرتني بمعنى الحياة وأعادتنني الى نفسي وهي ضالتي المنشودة وبها
الهدى الى ما أنشده

لم أجد غير نفسي يجيبني عن نفسي بعد أن ساح حسي وفكري في
هذه العوالم المحدودة .. أياها ناجيت ، وكلامها وعيت ، فهي التي حدثتني
أني لست الا ذرة صغيرة جداً سابحة في هذا الفلك ، وفي هذه الذرة
الصغيرة ذرات كثيرة كل واحدة منها بالنسبة الى الذرة الجامعة هي كواحد
من ألوف ألوف ألوف الالوف ، وفي كل واحدة توجد الحياة ولكن ليست
كلها مركزاً للحياة لاننا نجد أن ألوف ألوف ألوف من هذه اذا أفسد
وضعها لا تزول الحياة ولكن هناك بعض ذرات اذا أفسد وضعها تزول
الحياة كلها من جميع هذه الذرات التي يتكون من مجموعها الجسم فهذه
الذرات القليلة التي هذا شأنها هي مركز الحياة

أعظم مجالي الحياة في نظري هو الادراك الفكري وهو قارئ ذرات
قليلة لا يحاط بها

أدهشني هذا الموقف الذي وصلت اليه ، وهذا المرأى الذي وقفت
عليه ، حيرني من هذه الذرات أن تسم صور السموات والارض وصور
أعمال البشر منذ كانوا الى اليوم ، وحيرني منها أن هذه النتائج العظيمة
التي تصدر عنها انما تصدر اذا كانت بوضعها المخصوص وما أسرع زوال
هذه النتائج اذا اختلف وضع الذرات

رأيت هذا الامر المعجيب ولكن لا مستقر للفكر عند هذا المرأى اذ قصاره

أني عرفت شيئاً صغيراً جداً يسم الأشياء لا تخصي مع أنني انما أبني أن أعرف ما هو ذلك الشيء ، الصغير مبناه جداً جداً العظيم معناه جداً جداً ؟ ما هو ذلك الشيء الذي وجوده على حالة مخصوصة يكون هذا الجسم متحركاً حساساً محيطاً بالسموات والأرض ويتغيره يقدو هذا الجسم ترايا صامتا صابراً تحت الأقدام ؟ ما هي تلك الحالة الخصوصية ؟ وما هو تغيرها وكيف نظامها ؟ هل هو في احاطته تلك تابع لهذا النظام أم النظام تابع له ؟ هل هو يحتاج الى هذا النظام بعينه أم يستطيع ان يؤلف نظاماً آخر متى تغير نظامه هذا ؟ وان كان تابعا لهذا النظام بعينه فهل وجدت هذه الصيغة تنزول بأسرع من لمع البصر بالنسبة الى عمر غيرها على ما يتخال وجودها من الاحتجابات ؟ محارات بعد محارات ، ولكن تلوح خلالها آيات ، اذ قد ملأنا رب الوجود أمثالا ، وأتاحت لنا معرفتنا بالامثال أن حقائق الاشياء محتجبة والظاهر انما هو آثارها : فهذا النور الذي يملأ الفضاء لا نعلم كنهه ، وهذه الشمس وما حولها لا ندري كيف قامت ، قصاراتنا أنا عرفنا سببها في هذا الفضاء ، لا يسند لها عمد ، ولا يعتريها سكون ، وهي مع ذلك سائرة بنظام ، ودائرة بإحكام ، لا تخرج عن مستقراتها ، ولا تجرد عن مجاريها ، ولكن ما هو ذلك السر الذي قامت به هذا المقام ؟ سمو شيئاً من ذلك بالجاذبية فهل هذه التسمية دالة على الكنه والحقيقة ؟

إن قصارى مانعرفه من هذه المركبات أنها قابلة للتحلل فاذا حللناها اتينا الى عناصر قليل عددها لا تتحول ولا تتحلل هي الامهات ثم هي تنتهي الى أم واحدة لا نعرف من أمرها شيئاً !

المشاهدة هي أكبر وسائط معارفنا ، ولكن لا هذه المشاهدة عاجزة

عن أن ترىنا الأشياء كما هي، ولو اقتصر الأمر عليها لكانت علومنا بهذه الكوائن خطأ من أولها إلى آخرها

هذه الشمس التي نحن وأرضنا في نظامها الكبير أقل من حبة رمل في جبل عظيم - ليست أمام المشاهدة الخصوصية لكل واحد منا إلا كمصباح بسيط يشتعل ساعات وينطفئ ساعات، وما هي إلا مجسم كرة مما يلعب بها اللاعبون على هذه النسبة من الخطأ ترى كل شيء أقل من حجمه وعلى خلاف وضعه، فقد ترى واحداً وهو متعدد، وبسيطاً وهو متركب، وساكناً وهو متحرك، وصغيراً وهو كبير، حتى نصل إلى ما هو صغير جداً فلا نراه البتة كما دللنا التجارب بعد أن اهتمدنا للآلات الصناعية التي تساعد بواسطتها الطبيعة إنما مساعدة... بهذه الآلات استطعنا أن نرى أنواعاً من الحيوانات كانت خافية على الإبصار دهوراً دهارير. ولطنا سنهتدي إلى ما يرىنا أصغر من تلك الصغائر. ونحن في مثل هذه الهدايات العظيمة التي جاءتنا هدية من الفاطر على يد التجارب لا نجد ما يمنعنا من الظن بأننا مهما استطعنا بالآلات تبقى في مشاهداتنا بعيدين عن كشف الأشياء كما هي وتبقى أشياء كثيرة خافية على إبصارنا وآلاتنا مهما بلغت أبعادها فما اكرمك يا عيني علي! أنت أنت كنت سبب ارشادي إلى حقيقتي إذ لم تربها لاني عرفت بالتجربة أنك مسكينة عاجزة لا ترين كل شيء ولا ترين شيئاً مما ترينه على وضعه وحقيقته فاضطرت أن أنيس وجودي على وجود غيري... لا جرم أن لي حقيقة مستترة عنك وراء وجودي الجسدي الذي تشاهدونه كما أن وراء النور حقائق مستترة ولا جرم أن حقيقتي هي سبب وجودي كما أن الحقائق المستترة وراء النور هي سبب وجوده

ان الحقيقة المظلمة التي هي باطنية من وراء الاشياء كلها ، وظاهرة عليها كلها هي حقيقة واجب الوجود ، حقيقة من لا بد لوجودنا من وجوده ، ولا بد لتشككنا وتوعدنا من فيض تخصيصه وجوده . . هي حقيقة من له الحياة الازلية الابدية لان الحياة التي نعرفها منه صدرت ، وله العلم الازلي الابدی لان العلوم التي نهدىها من فضله آتت ، وله الارادة الازلية الابدية لان الارادة التي نجدها من لدنه أهديت ، وله القدرة التامة الشاملة لان القدرة من عنده نشأت . . هي حقيقة من لا مثال له في كمال وجوده ، وعنه صدرت امثلة الكمال في الوجودات الظاهرة . . هي حقيقة الباري المصور الذي برأ حقيقة مثال كامل حي

سليم بصير مريد وجمل حجاب هذا الهيكل البشري

أصبحت لا أرتاب في أن الحقيقة المظلمة هي التي تهبنا بآثارها وبامداداتها الى كل شيء مما نعرفه ، ولكن لشدة ظهورها الذي قديمادل البطون ربما تخفى ، فاذنطلب معرفة النفس تظهر آياتها المظلمة فسبحان الله

من عرف ربه فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

عرفت الآن من امر نفسي أو روعي أنها لا يعرف كنهها ولم يزدني جهلي بكنها الا ايماناً بحقيقتها الجلية المستقلة عن الجسد لاني لم أعرف من أمر كل جزء من اجزاء الجسد الا مشابهته لهذه الجمادات التي أمامي وليس فيما أمامي شيء يجمع فيه ما تجمعه هذه الروح . وقد حاولت كما يفعله بعضهم أن انسب هذه الخواص الى المجموع المركب من هذه المواد على نظام خاص فلم يسلس له فكري بل جمع عنه كثيراً لتذكره النظام الشمسي وذهابه الى انه انما قام بما يسمونه الجاذبية ولم يتم هي به

فما نفسنا او روحنا الا جاذبية النوع و كهربائية الخصائص والمزايا ، وهي هي مؤلفة الهياكل وناظمتها . لا بدع في ذلك فالكواثر كلها من اصل لا يرى ولم تفصل عنه ولا يكون الاصل تابعا للفرع ولا ضرورة لتغير الاصل اذا تغير الفرع . ولا يصعب فهم هذا على من عرف كيف يتجسد ما لا يرى فيصير مما يرى ، وكيف يتلطف ما يرى فيصير مما لا يرى . الصناعة بهذا ضمنية ، والتجربة فيه هادية امينة ، ولا يصعب ايضا على من عرف آيات النفس التي تظهر في بعض الاشخاص لتعلم بها ان لها شؤوننا غريبة جدا فوق المهود منها والمألوف من دخولها في قيد الحس ، سبحانه الله كم لها من انطلاق منه يظهر معه ان لا حاجة لها بهذه الآلات المضنية والعظمية والمصبية نحن شاهدنا من هذا كثيرا ، وشاهد مثلنا خلق لا يحصون ، والباحثون المحققون شاهدوا ايضا او نقل اليم ثقات كثيرون مجموعهم يدفع عن نفوسهم الرب وما علمنا انهم وجدوا لهذا الامتياز الفائق اسبابا جليلة ، غاية ما صنعوا انهم وضعوا لبعض هذه الامور اسماء وظن القاصرون ان هذه الاسماء تحمل الاشكال ، ونحكي حقيقة الحال :

وسمينا سمائنا لا يستطيع الرب معه البقاء أن اشخاصا يشفون امراضا معقدة بغير علاج ولم يقل لنا علماء الابدان في تحليل هذا الامر الا انه شفاء بالوهم فياعجبا ما هو هذا الوهم الشافي ولماذا لا يشفى بالوهم كل شخص ؟ حالة النوم تنوينا منطقيا هي من الادلة الصريحة في هذا الباب على شدة غرابة امر هذا الوجود الصغير الكبير واستعدادة لخرق الحجب الكثيفة ، وقد القيود الحسية ، وعمله الاعمال العظيمة من غير حركة يديها او واسطة يأتيا :

هذا حديث نفسي وخلاصة مظهر لي أن الروح خلق مستقل ذو
ظهورات فائقة ، واحتجابات محيرة ، هو اقسام كثيرة ، نصينا منه
عظيم ، وارتقاء نوعنا لولاه عديم ، هو الحى السميع البصير المريد
المستعد للظهور والاجتنان ، المصنوع آية كبرى دالة على جامع الا كوان
وظهر لي ان خصائص الروح الشوق ، ولو قلت ان الروح هو الخلق
ذو الشوق لما وجدت هذا غريبا في تعريفها . ولكل روح شوق يناسبها
وعلى نسبة شوقها تكون رتبها وصفها في عالمها الذي هي منه ، وفي عالم
المثال والعيان الذي دفنها اليه شوقها الى الظهور



كانت روح هذا السيد بعل سيدتنا « خديجة » من اعلى الارواح ،
وكان شوقها ازكى شوق واقدس ، كانت عظيمة الشوق الى رؤية فاطرها
ولكن هل الفاطر عز وجل يرى ؟ لعلها حازت زمنا في هذا الامر ، ولعلها
قالت لو كان يرى لكان محدودا وكيف يدخل في حدم من برأ الحدود ؟
ولعلها عادت الى زيادة التبصر فقالت هل الرؤية مخصوصة بهذه الباصرة ؟
وهل يشترط أن يكون المرئي متشخصا ، أليس القصد من الرؤية العلم ،
ألا يمكن العلم بالناظر مع انه غير متشخص ؟

هذا ما كانت تحوم حوله هذه الروح العلوية التي كان مظهرها وبيتها
الصوري في بيت « خديجة » ومطافها ومطارها ملكوت الحق ، ملكوت
الوجود الاعلى

ولعلها بثت من ان تجد فيها حوالها ما يروي اوارها من معرفة فاطرها
الذي اشتد شوقها اليه بل لعلها غلب عليها ذلك الشوق حتى اصبحت

زاهدة في كل رؤية وكل سمع لأنها تريد أن ترى وتسمع الذي إليه طارت شوقاً ولذلك رأينا «محمدًا» (صلى الله عليه وسلم) قد حببت إليه الخلوة والافتراء ولا سيما إذ شارف الأربعين من سنه وكان لغار «حراء» الحظ من هذه الروح الحائمة على حبيبها وطبيب شوقها

من ذا الذي يعلم غير الله ما كان يقوله هذا المنقطع في ذلك النار ولكن يصح لنا أن نظن بأنه كان يساقط الدموع ويناجي المقصود المطلوب بقوله : رباه ! رباه ! كيف الوصول إلى حضراتك؟ كيف السبيل إلى مشاهدات تجلياتك؟ إليك أيها المولى من مزيد حيي قياسي وقمودي، ورگوعي وسجودي، ومن مزيد شوقي ذرف دموعي، وفرط ولوعي، رحماك رحماك ياربني! كبد تذوب وعين تسيل، وفكر يتدله، وانت انت مطالوبي وانت انت ذو الكرم والجود!



على هذا المثال كانت حاله، وهذا هو العمل الروحي الذي شغل به ياله، وقد فهم القرييون من فهم الروح مقدار فوائده هذه النجوى القدسية وأما البعيدون عن هذا الشوق فيمجبون وينكرون، وليتهم يتذكرون عن الناس وتدلهمات هذه التغيرات من صور وأشكال لا تتوقف الحياة عليها، ولا يجدون الطمانينة لديها، هذه الحن والتدلهمات أقضي بالمحب لعمر الحق لو كانوا يعلون . وأما ابتعاد روح عن المحسوسات في سبيل الاقتراب من حضرة من لا تدركه إلا بصار فسمي وراء مبتغى جليل .

العمل الذي فيه لذة لا مضرة على الغير فيها لا ينكره عقل، ولا رباب الأعمال الروحية لذات لا يستبدلون بها كل لذات المفتوين بالمحسوسات

ففى أن يتذكر العقل المستقل هذا المعنى فلا يكبر عليه أن يفهم أقل الحكم
فى الأعمال الروحية وهى لذة أربابها واتعاشهم وتفتح بصائرهم لرؤية الممالى
كماهى فلا يحزنهم شىء بعد فى قلبها ولا تقف همهم أمام حزن فى طريقها
كانت السيدة « خديجة » شديدة الفهم وعظيمة الثقة بركات هذا
العمل الروحي فساعدت عليه ولم تلم صاحبه ولا عيبته، كانت عظيمة الايمان
بالقوة العظمى، والحقيقة الكبرى، فلم تر بأسا بل لم تر الا الخير بتوجه
وجه زوجها الكريم تلقاء سوانح الامدادات الفائضة من لدن ذلك الملكوت
الذى لا حد له.. كانت قد عرفت أن هذا الفار فى « حراء » الفارغ من كل
مشتهى حسي كان حريا أن يكون مثابة لهذا الشبح الشريف الحامل قلبا
قد فرغ من كل شىء غير الواله بالممالى القدسية، والشوق الى الحضرات
الربانية. فكانت تبارك على هذا الفار الفارغ وتسال الله أن يملأه معالى وبركات
وقد أجاب الله تعالى كرمه سؤالها وكتب « حراء » فى الصف الاول بين
الاماكن التى تتوج بتمجيد الناس وتمجائهم ومحامدهم. وكم قد ترجمت
قرايع الشعراء عن احتراماتهم وتكريمتهم لهذا الفار أو لهذا المطلع الذى
فاق بدره البدور، قال قائل منهم :

سلامٌ عليك حراء الشير
سلامٌ فؤاد ذكور شكور
أطلع ذاك الضياء العظيم
بقدر الذى قد صحبت عليم

• •

لأنت يثيمة عهد الوطن
بذكراك يلقى الفؤاد السكن
ففيك أضاء السراج المنير
فذكراك ذكرى عطاء كبير

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدام الله أولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و د منارا ه كنفار الطريق

(مصر الجمعة سلخ صفر ١٣٢٨ - ١١ مارس (آذار) ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م)

فتاوى المبتلىين

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان ير مز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج غالباً ورماعدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا . ولن
مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يد كره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عدو صحيح لا فضاله

الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن

(س ١) من صاحب الامضاء الرمزي بالجبل الاسود

الى حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد محمد رشيد رضا

في هذه الايام صدر الامر من نظارتنا (الجبل الاسود) : اذا مات انسان ان
لا يدفن قبل أربعة وعشرين ساعة مسلماً كان أو غيره ومن أراد دفنه ينبغي أن يأتي

(المأرج ٢م ١٣) الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن ١٠١

بحكم (دوقور) يجري المأينة للجنزة ذكرأ كان أو انى (وهذا لايجوز لقائنا)
والأ فالسجن من يوم الى عشرة أيام أو الجزء في حق التقدي من خمسة الى مة
كودون في أول مرة

فمن المسلمين مضطرون من هذا الأمر لأن نعتقد أن تأخير الجنزة ٢٤ ساعة
لايجوز شرعا فانا على قدم الخروج والهجرة من بلادنا وترك أوطاننا بسبب ذلك
فأرجو من حضرتكم ان تبينوا رأيكم الطبي في أسرع وقت يمكنكم الجواب
لازلم هادين مهدين خادمين للشريعة المطهرة المحمدية ح . ح

(ج) لقد سبق لنا الاقفاء في هذه المسألة (ص ٣٥٨ م ١٠) فليراجع السائل
على ان الظاهر من السؤال انه يعلم ان السنة تقضي بتسجيل الدفن بعد تحقق الموت
فاذا كان هناك ارباب في الموت وجب تأخير الدفن الى ان يتحقق الموت والشرع
لا يمنع الاستعانة بالطبيب على ذلك واذا جاز كشف الطبيب على المرأة المريضة اذا
لم يوجد امرأة طيبة تقى عنه فانه يجوز أيضا ان يكشف على المرأة الميتة لأجل العلم
بتحقق الموت اذا كان هناك أدنى ارباب فيه لئلا تكون معنى عليها فتدفن ثم يزول
الاغناء بعد الدفن فتوت أشنع مئة وقد وقع مثل هذا كثيرا ولولاه لما عنت
الحكومات التي ارتقي فيها علم الطب وكثرت فيها التجارب بالكشف على الموتى
وتأخير دقهم . وهب ان بعض المسلمين علم أن مئة قد توفاه الله حيا بحيث صار
تأخير دفنه عدة ساعات مخالفا للسنة فهل إكراه الحكومة إياه على هذا التأخير لأجل
المصلحة التي نعتقدها لأجل مصادرة في دينه يوجب عليه الهجرة مطلقا وإن كان
يترتب عليها إضاعة ماله وذهاب شيء من عقاره وترك ذلك لغير المسلمين كما هو
الغالب فيمن يهاجرون الآن من مثل الجبل الاسود ؟ المسألة فيها نظر . فان لم يكن في
الهجرة ضرر على المهاجرين من مثل تلك البلاد فليهاجروا الى البلاد العثمانية فان فيها
أرضا واسعة تحتاج الى مثلهم والدولة تعزز بهم ويسهل عليهم إقامة دينهم في بلادها
الآن ولم يكن يسهل في زمن الاستبداد اذ كان المسلم مضطهدا أكثر من غير المسلم
وإنما أريد بهذا العهد ان لا يستفهم الفيظ من الكشف الطبي فيحملهم على ترك ارضهم
وعقارهم أو يبعثون بنحس لأجل التسجيل بالهجرة

قد يترك الثاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزل

• • •

﴿ غروب الشمس والافطار ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء في (ستافوره)

الى معلم النور المنير حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا مع الله المسلمين بحياته
سيدي : اختلف أهل طرفنا فيما اذا غربت الشمس رأى العين في البحر فأفطر من
بالساحل وصلى المغرب ثم صعد في منطاد (بالون) الى علو بعيد ورأى الشمس من ثم يضاء
تقية لم تغرب هل يبطل صومه او يغروبها في نظره يجب عليه الصلاة ثانيا للمغرب !
ولو كان لم يصل العصر فصلاها حينئذ في منطاده هل قما اداء أم قضاء ؟ وفيما اذا كان على
الساحل بناء شامخ كبرج « ايفل » بفرنسا أو بنايات نيويورك فان الشمس ترى من
اعلاها بعد تحقق الغروب عند من هو بالحضيض فهل لكل حكم أم حكمها واحد ؟ أم
يختلف الحال قبل وجود تلك الملالي تحكم بالغروب بمجرد اختفاء قرص الشمس
تحت الافق في نظر من بالساحل وبعد وجودها لا تحكم بالغروب الا بعد اختفاء
قرص الشمس عن نظر من يكون باعلا تلك القنن ! واذا كان بقطر واحد ساحل
غربي يجاوره جبل عال كجبال هملايا فهل يتحد وقت الغروب عند من بالساحل ومن
بالقنن أم يختلف ويكون اختلاف الملو كاختلاف المطالع وهل لذلك من ضابط ؟
افيدونا بما ترونه الصواب محمد بن سالم الكلالي

(ج) المعتبر في غروب الشمس شرعا هو ان يغيب قرصها تحت الافق ويذهب
شعاعها عن جدران المباني والجبال ولكل أحد حكمه بحسب ما يشاهده في ذلك
ومن أفطر وصلى المغرب بعد غروبها ثم ارتفع في المنطاد فرآها لا يفسد صومه يومه ذاك
ولا يجب عليه اعادة المغرب فيما يظهر لنا لأنه لا يكلف في يوم واحد تكرار فريضة
واحدة وقد مضت الاولى على الصحة فلا يؤثر في صحتها ما يطرأ بعدها وقريب من
ذلك الشك في الصلاة قبل السلام يؤثر ويترتب عليه حكمه وبمده لاحكم له لأن
الصلاة انتهت على الصحة . واذا فاتته صلاة العصر بغير عذر يكون عاصيا ولا يرفع عنه

المعصية رؤية الشمس في المنطاد بل تجب عليه التوبة وإن حسبت له صلاحها في المنطاد أداء كما أن الذي يفطر يوما من أثناء رمضان ثم يسافر إلى بلد تختلف مطالبه عن مطالع بلده فيجد أهله قد صاموا بعد أهل بلده بيوم أو كلوا عدة رمضان ثلاثين يوما فراقهم وصام الحادي والثلاثين فكان هو الثلاثين له

﴿ عدة الوفاة ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في (حواء : سوريّة)

الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي المنير أمتع الله بعلومه المسلمين نظرا لعلنا انكم وقّعت حياتكم على خدمة الدين وتمحيص الحقائق وحل المضلات جئت بالسؤال الآتي ارجو منكم جوابه على صفحات المنار الاغر ولكم الفضل

امرأة كانت تحيض ثم اقطع حيضها وبعد شهرين من اقطاعه توفي زوجها ومضى عليها بعد وفاته سبع سنين ولم تحيض وهي الآن لا تزال فية وتريد أن تزوج والمشايخ يمنعونها من الزواج بحجة الاستبراء قائلين لما لا يصح أن تزوجي إلا بعد أن تبالي سن اليأس فهل يجوز في الدين الحنفي أن تبقى هذه الفتاة المسكينة بحسرة النكاح مدة عمرها وهي لم تأت ذنبا . وإذا كان ما افادها المشايخ بمصحيها فما هي الحكمة التي يترجح بها جانب الظلم على كفة العدالة في هذه المسألة ؟ افرونا مأجورين ولكم الفضل .

احمد جمال

(ج) عدة من يموت عنها زوجها اربعة اشهر وعشر ليل بالنص القرآن فان كانت حاملا فمدتها أن تضع حملها بالنص ايضا وتقدم بيان ذلك في تفسير سورة البقرة وقد مضى على المرأة المسئول عنها الزمن الذي علم فيه انها لم تكن حاملا منه على جميع اقوال الفقهاء في أكثر مدة الحمل فلا مانع يمنع من زواجها على ذلك والحكم لله العلي الكبير

﴿ طريقة الشاذلية ﴾

(م ٤) من احد علماء سرنديب (سيلان — Ceylan)

ماقولكم يا علماءنا الاعلام شيد الله بكم مباني الاسلام :
إن بعض اقوام يذكرون الله بالرقص والتواجد و يسمون هذه طريقة شاذلية
فهل هذا القول صحيح أم لا ؟ افتونا مأجورين
(ج) انا وأينا كما رأيتم اقواما يأتون ما ذكروا واكثر مما ذكروا من البدع
وينسبون انفسهم الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي ولو رأهم ابو الحسن لجرأ منهم .
وقد سبق لنا في المنار افكار هذه البدع مرارا كثيرة ونشرنا في مجلد السنة الماضية
(ص ٢٧٣ م ١٢) فتوى لطائفة من علماء الازهر في الانكار الشديد على ذلك فلتراجع

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٥) من الشيخ حسن أبو احمد مأذون الشرع بنقيطه (المنصورة)

في مطوية المنزلة خلاف بين طائفتين في عذاب القبر هل هو ثابت بصرح
القرآن والسنة الصحيحة أم لا ؟ ارجو التكرم بإيفاء هذا الموضوع حقه من غير احالة
على اعداد مضت لأني وعدتهم بذلك وعرفتهم بقولك الفصل ولكم الفضل
(ج) قد سبق لنا بيان هذه المسألة في المنار ونقول الآن انها لم يصرح بها في
القرآن ولكن ورد فيها احاديث صحيحة مشهورة وليراجع ما كتبناه من قبل
(ص ٩٤٦ م ٥) و (ص ٢٥٦ م ٨)

(الاثمة الأربعة ومقدم واجتهاد الماي)

(س ٦) من صاحب الامضاء الرمزي في سورا كاراتا (جاوه)
حضرة سيدي الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أقدم الي سعادتكم سوألا خطري
يالي وليس بجيني غيركم عنه وهو هذا :

ماقولكم رضي الله عنكم في الأئمة الاربعة ومقلديهم من عصرهم الى هذا الزمان
هل مادونوه في كتبهم وتبعهم عليه اتباعهم هل أخذوه عن الكتاب والسنة أم من
تلقاه أنفسهم وهل مقلدوهم في الاحكام الشرعية على هدى أو في ضلال؟ وهل الأئمة
المتأخرون مثل ابن حجر المكي ومن هم في طبقة دونوا كتب الفقه على ما جاء به
الكتاب والسنة أو يخالف لها؟ فان كانوا وضعوها على خلاف السنة والكتاب فالمطلوب
من فضلكم بيان ما يخالف الكتاب والسنة لاجل أن نتجنبه ونصل بما يوافق الكتاب
والسنة ونعلم بخطأهم لان كتبهم معتبرة في الاحكام الشرعية ويحكمون بما قرروه
فيها في المحاكم الاسلامية

افيدوني بالجواب الشافي لاني رجل عامي اخذتني الحيرة لما وقفت على السؤال
الذي ورد اليكم من بتاوى وجوابكم عنه في الجزء الثامن من المجلد ١٢ سنة ١٣٢٧
صفحة ٦١٤ من المنار فلماذا رفعت اليكم هذا السؤال أرجو من فضلكم الجواب الشافي
ولكم من الله الاجر والثواب ولا تقدموا عذراً في ذلك وهذا سؤال آخر ملحق بما تقدم
ماقولكم في العامي المقلد هل يجوز له الاجتهاد المطلق ويترك مذهب امامه أم لا؟
وكيف يبلغ رتبة الاجتهاد من لا يعرف قواعد مذهب امامه ا افيدوني مأجورين

من : ب . د

(ج) كان الأئمة الاربعة ورحمهم الله تعالى على هدى من ربهم يتبعون ما فهموه
من كتاب الله عز وجل وهدى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما أجمع عليه سلف الامة
الصالحون من علماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وما لم يجدوا فيه
تقلا يتبع قاسوه على نظيره مما ورد من آية أو حديث فهم مجتهدون مأجورون على
ما أصابوا فيه مرتين وعلى ما أخطأوا فيه مرة واحدة كما ورد في الحديث ومن حذا من
اتباعهم حذوهم هذا وجرى على طريقهم في اتباع الكتاب والسنة واجماع سلف الامة

كمحمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة والمزني من اصحاب الشافعي (مثلا) فهم مثلهم على هدى من ربهم

وأما المتأخرون كابن حجر المكي فهم ليسوا من الأئمة الذين ينظرون في الكتاب والسنة ابتداءً ويقدمون ما يفهمون منها على قول كل أحد ورأيه وإنما هم ينظرون في كتب السابقين من أهل المذهب الذي اتبعوا إليه ويأخذون مؤلفاتهم منها إما بتلخيص واختصار وإما بيسط وإيضاح كل بحسب فهمه وقدرته على الكتابة وما يذكرونه فيها من الأدلة منقول من تلك الكتب أيضاً فالواحد منهم لا يتحرى في المسألة كل ما ورد في الكتاب والسنة وهدى السلف فيأخذ بالراجح بل منهم من يظهر له الدليل على خلاف مذهبه فلا يكتبه في كتابه بل ربما تحمل في الرد على من أخذ بذلك الدليل الراجح من أهل المذاهب الأخرى اقتصاراً لمذهبه ؛ بل يفعل هذا من هم في طبقة أعلى من طبقة ابن حجر كالنوي فإنه في كتبه الفقهية يستدل على صحة المسائل التي يعلم أنها مرجوحة من مسائل المذهب إذا وزنت بميزان الكتاب والسنة وقد يصرح هو نفسه بذلك في غير كتب الفقه كما يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم أحياناً: الأصح من حيث الدليل كذا ومن حيث المذهب كذا ؛ وقد يقول في بعض مسائل المذهب أنه لا يقوم عليها دليل ومن ذلك - أن لم أكن واحداً فيما أتذكره وأنا بعيد عن الكتب - مسألة الفصل من نجاسة الخنزير سبع مرات إحداهن بالتراب . وقد نقل الغزالي عن بعض الفقهاء الذين وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد المطلق أنهم كانوا يفتون على مذهب الأئمة الذين اشتهروا بالاتباء إليهم ويصلون بخلاف ما أفتوا به ويمتدرون عن ذلك بأن السائل إنما سألهم عن الحكم في مذهب الإمام فأجابوه عما سألهم من باب الأمانة في النقل وأنه لو سألهم عن مذهبهم لأفتوه به ؛ تلك الكتب التقليدية لا يقال إنها وضعت على أصل الكتاب والسنة كما يقال في مثل كتاب (الام) للإمام الشافعي رضي الله عنه لأنها وإن كان الغرض منها بيان أحكام مذهبه لم تؤخذ من الكتاب والسنة مباشرة ولم يلتزم مؤلفوها ذلك لأنهم يستقدون في أنفسهم أنهم ليسوا أهلاً للاخذ من الكتاب والسنة ، ولا يقال إنها وضعت على خلاف الكتاب والسنة لأنه لم يقصد بها ذلك الخلاف . ومطالبنا ببيان

ما فيها من مخالفة الكتاب والسنة لأجل أن يجتنب من الأعنات فإن من يريد ترك تقليد تلك الكتب واتباع الكتاب والسنة مباشرة لا يحتاج إلى قراءتها على طولها وصعوبتها وإن ما يوافق الكتاب والسنة منها وما لا يوافقه بل الأولى والأسهل له أن يقرأ الكتاب والسنة ابتداءً ويعمل بهما . فإن كان لا يفهمها بنفسه ويقول أريد أن أستعين على فهمها بكلام العلماء يقال له اقرأ التفسير وشرح الحديث ولا سيما تفاسير السلف كابن جرير ومثل شرح الشوكاني لأحاديث الأحكام وكتاب المهدي النبوي لابن القيم واستعن بها على ذلك فإن اختلف المفسرون والشارحون فاعمل بما يظهر لك أنه الحق من كلام المختلفين ، ومن لا يريد ترك تقليدها فلا يسمع لك فيها قولاً وإن اقتت له عليه ألف دليل

وأما العامي المقلد فلا يجوز له أن يتصدى للاجتهاد المطلق مادام عامياً ليس له من العلم ما يؤهل له لذلك بل عليه أن يستقي في المسائل التي يجهل حكمها أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فتدروا له في المسألة نصاً صحيحاً وجب عليه العمل به فإن لم يفهم النص استعان بهم على فهمه . وإن العوام الذين يسألون في الوقائع التي تعرض لهم عن قول مثل ابن حجر فيها لا يفهمون أقوالهم بل يعتمدون على المفتي في إيفاءهم إياها فإذا كانوا محتاجين للمفتي في كل حال فلماذا يستعينون به على فهم قول مقلد قد تبع في كتبه أمثاله ولا يستعينون به على فهم كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وحديثه؟ الجواب عن هذا السؤال سهل على المقلدين مشهور بينهم يقولون إنه لا يوجد في هذه المصنوع من يقدر على فهم الكتاب والسنة بنفسه وإنما قدر على ذلك في القرون الأولى أفراد معدودون وفهم كلام هؤلاء أفراد دونهم وهكذا كان أهل كل عصر يفهمون كلام من قبلهم مباشرة فيجب على المتأخر أن يأخذ بكلام مثل الباجوري الذي أخذ من مثل الرملي وابن حجر اللذين أخذوا من مثل الشيخ زكريا الذي أخذ من مثل النووي الذي أخذ من مثل الغزالي - إلى أن يصلوا إلى الشافعي .^{١١} ويحجبهم أهل السنة بأن كلام الله ورسوله أفصح الكلام فهو أسهل فهماً وإن الأئمة المجتهدين حرموا الأخذ بكلامهم من غير معرفة مأخذهم من الكتاب والسنة ، وبغير ذلك مما يتناه في محاورات المصلح والمقلد وفي مواضع أخرى

من المناد وهي تبلغ مئات من الصفحات فلا يمكن تلخيصها في هذا الجواب ، والله الهادي والموفق للصواب

(اسباق من منظور)

(س ۶ و د و ه) من م س س ی فی سنشافورہ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ما حكم مجلة طوابع الملوك وما حكم الاعلان عنها واللغات الناس الى
ترباتها وهل ذلك من خدمة الدين والوطن ولماذا سكت عنها وعن ما يقال فيها
علاء مصر؟ أقولهم بنفسي أم لعدم كثراتهم بما يتعلق بالدين والمصالح العامة أم
لجهلهم بها ؟

(٢) بينوا لنا حال الشيخ ابن حجر الميمني ومنزله في العلوم ومنزلة كتبه
فاني رأيتها كثيرة التعقيد وعباراتها سيئة التركيب وكثير منها يسهل على طالب العلم
المتوسط الحال أن يجمع ما حوته من المعاني في أقصر منها وأسلس وأوضح ويظهر
لي أنه شديد التعصب للصوفية يتعسف في أويل طامنت بعضهم ثم هو يندم ويسب
شيخ الاسلام ابن تيمية وينزه بتكفير المسلمين ولعل من كفره ابن حجر في كتابه
والاعلام بقواطع الاسلام ، أضاف من كفره ابن تيمية ويظهر لي أيضا أنه
سأحه الله يتعصب ضد اهل البيت مع تظاهره بحبهم ويتأول لاعدائهم بما هو بديهي
البطلان او قريب منه حتى خلت أنه مقلد محض وآل حضر موت يقدسونه

(٣) إن سيدي له إمام ومعرفة بأحوال الصوفية فإهي حقيقة التجزي الذي يزعمونه وهل له شاهد أو دليل عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وهل عرفه الصدر الأول أم لا ؟

حكم مجلة طوائع الملوك والترغيب فيها بالاعلان

(الملاح) جاءتنا هذه الاسئلة في العام الماضي فلم ننشرها بل قدّمنا عليها بعض

ما عندنا من الاسئلة الكثره عملا بتقديم الالم على الملم وقد اعاد السائل علنا اسئلته من عهد قارب وألح في طلب الجواب فنقول : اما مجلة طوالم الملوك فانا لم نقرأها نرى ما فيها فلا نرسل المأرج الى صاحبها ولا هو يرسلها إلنا ومن البديهي اننا لا نشرها ولكننا سمعنا بعض من اطلع عليها من اهل الفضل يقولون انها مجلة هراقة وكفاة وتنجم وروحانيات وطلسمات ورأينا في بعض الجرائد وصفها بانحو من ذلك في باب الاعلان ولا عجب فان الجرائد لا تنزه عن الكسب باعلان المنكرات ورويحها كترغب الناس في الخور ورقص النساء المتهكات وبعض ضروب القمار فاذا صح باسمعناه من وصف هذه المجلة فحكم قراءتها كحكم قراءة الكتب المشتملة على مثل ما تشتمل عليه وهو يختلف باختلاف قصد القاري فان كان يقرأها ليأخذ بأقوالها ويصل بما فيها مما يحظره الشرع فقرأته إياها محظورة حظرا شديدا وقد بينا من قبل بعض ما قاله العلماء في هذا الباب ومن شدد فيه ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية . وقرب أن يكون تصديق ما فيها من الاخبار عما وقع او سيقم كتصديق العرافين والكهان وفي حديث مسلم « من أتى عرافا فسأله وهو يصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وآله وسلم ، وان كان يقرأها ليعرف ما فيها ويحذر الناس مما فيه من مخالفة الشرع فهو مثاب على قراءتها ، ولا يخفى حكم سائر المقاصد وسكوت علماء مصر عنها يحتمل ان يكون سببه عدم الاطلاع عليها لأنه قلما يوجد فيهم من له عناية بالوقوف على امثال هذه المطبوعات ، ولكن هذا الاحتمال بعيد والغالب أن يكون قد اطلع عليها بعضهم دون بعض ، فيوشك أن يكون منهم من اطلع على جزء أو أجزاء لم يستنكر منها شيئا ، وأن يكون المستنكر لبعض ما فيها قد نهي عن قراءتها أو عن نشرها بالقول دون الكتابة في الجرائد ، وأن يكون منهم من لم ينه صاحبها عن نشرها ولا الناس عن قراءتها مع اعتقاده بطلان ما فيها وتحريم نشره وتصديقه لان المنكرات قد كثرت وألف العلماء وغيرهم ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا قليلا منهم ، ولا سيما الانكار بالكتابة والنشر في الجرائد . ولكن هذا الذنب لا يصح استاده الى علماء مصر كافة لما ذكرناه من الاحتمال والغالب في المسألة

ابن حجر الهيتمي وكتبه

وأما ابن حجر الهيتمي فحاله في العلم قد بيناها في الفتوى السادسة من هذا الجزء فهو
مقلد لفقهاء الشافعية في مرتبة الدين يرجعون بعض اقوالهم على بعض وكتبه من أحسن
كتب متأخريهم ولكنها لا تبلغ كتب النووي في انسجامها وسلامة عبارتها ، ولا
كتب الماوردي في أسلوبها وبلاغتها ، ولا كتب الغزالي في بسطها وفصاحتها ،
ومع هذا نرى السائل قد بالغ في مضمها إذ ادعى انه يسهل على طالب العلم المتوسط
الحال جمع ما حوته من المعاني في كتب اخصر منها واسلس وأوضح ، وقد بينا
وأنا فيما شنع به على شيخ الاسلام ابن تيمية في (ص ٦٢٢ م ١٢) فليراجعه
السائل ، نعم إنه يتعصب للصوفية لأنه تربي من صغره على الخضوع والتسليم
للمتسبين الى التصوف والمعروفين بالصلاح والتأويل لم فيما يخالفون فيه الفقه الذي
هو عنده فوق كل علم لقوله في فتاويه : إن اقوال الفقهاء اذا تعارضت مع اقوال
المفسرين او المحدثين فالمرجح الذي يجب العمل به هو ما يقوله الفقهاء !! ، ولكن
لا يظهر لي ما ظهر للسائل من تعصبه على آل البيت وإن تأوّل لاعدائهم كما قال ،
ولكنه مقلد كما خال ، ومن شأن الذين يضعون الكتب في المسائل الجزئية أن
يتمحلوا ويتعسفوا ويأتوا بالضعيف والفقير الذي لا يفيد المراد ولا يؤيد المقصود ،
فهذا أحد سببين في تهافت ابن حجر في كتابه (تطهير اللسان والجنان) الذي يشير
اليه السائل ، والسبب الثاني هو الانتصار لقوم على قوم ومن كان كذلك لا يظهر
له الحق في المسائل كما هو لانه لا ينظر اليها من كل جانب بل يوجه كل قواه
المدركة الى البحث عما يوافق غرضه من تأييد رأي وتفنيد آخر فيكبر الاول ويصغر
الثاني ان هو أدركه ، وتقديس اهل حضرموت له سببه انهم مقلدون لعلماء الشافعية
وقد جعلوا كتبه عمدتهم في المذهب كما اشتهرت كتب الشمس الرملي من اهل
طبقته في مصر

التجري عند الصوفية واصطلاحاتهم

لأنكسب في المنار شيئا من حقيقة التجري إلا إذا علمنا أن في الناس من يفهمونه
فهما ضارا في الدين وترجي هدايتهم بالمنار ولكننا نقول أنه ليس من الأمور الدينية
وأنما هو من قيل الاصطلاحات الفنية وهكذا نقول في أكثر اصطلاحات الصوفية
كالفرق والجمع والسكر والصحو . فاقوم قد استعاروا لأنفسهم ألفاظا من اللغة أخرجوها
عما وضعت لأجله وعبروا بها عن أذواقهم ومعارفهم كما فعل غيرهم من أهل الفنون
الفنية والشرعية والعقلية والطبيعية فلا يشترط في إباحة ذلك لم أن يكون كل
ما يقولون به قد نطق به الشرع من قبل . وغاية ما ينكر عليهم في ذلك أمران أحدهما
أن يجعلوا بعض عرفهم واصطلاحهم من الدين والشرع بغير دليل شرعي وثانيهما
أن يكون في ذلك ما ثبت بالدليل أنه مخالف للكتاب والسنة الثابتة بلا نزاع وذلك
أنهم فلاسفة يدينون بالاسلام ، مع الاجتهاد والاستقلال ، إذ الصوفي الحقيقي لا يكون
مقلدا إلا في بداية سلوكه فإنه حينئذ يقلد استاذه ومر يه دون غيره

﴿ تزيين شعر الرأس والزي الأوربي ﴾

(س ١٠ و ١١) من صاحب الامضاء في (قلستان - الجزائر)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الفراء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نسلم ونتم جميع دأرتكم
ثم أطلب من فضلكم فتواكم في العدد الآتي في مجلتكم عن تزيين شعر الرأس
واللحية مثل الأوربيين أيجوز شرعا أم لا ؛ وكذلك اللباس الأوربي أيجوز أم لا ؛
أوجوكم الايضاح عن هذين السؤالين ولكم جزيل الفضل والمعروف والسلام
خوره تليذكم مصطفى الباجي

(ج) ورد في السنة طلب تزيين شعر الرأس والهيئة بالمشط والدهن والطيب وفي الشرائع النبوية الشريفة أحاديث في فرق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لشعره وسدله له ، فمن زين شعره من المسلمين فليقصد بذلك اتباع السنة السنية سواء وافق ما عليه الأوربيين أم خالفهم ولا يبالى بأقوال الجاهلين الذين يخوضون في عرض كل من يفعل شيئا يوافق ما عليه الأفرنج وإن كان من المحاسن التي سبق الإسلام إلى طلبها وعمل النبي (ص) والسلف الصالح (رض) بها فإنا لا نترك محاسن دين الفطرة إذا أخذ بها غيرنا بل نسر باتباع الناس لأداب ديننا وفضائله وإن لم يدينوا به وفي ذلك فوائد كثيرة ليس هذا المقام بمحل لشرحها . وأما من يقصد بتزيين شعره تقليد الأفرنج فهو وضع ضعيف العقل والنفس لأنه مقلد لمن يراهم نخسته أشرف منه وأكل . وهكذا شأن كل تقليد فإن من يثق بمعرفة الحق أو الفضيلة أو الأدب الصحيح لا يقلد في شيء من ذلك غيره تقليدا ، فالتقليد هو شأن الأطفال مع الكبار والاستقلال هو شأن العقلاء المستقلين والعامل إنما يعمل ما يعتقد أنه الأولى بالدليل العقلي في الأمور العقلية والدليل الشرعي في الأمور الشرعية وهكذا . والجاهلون يتمسكون بالعادات ويجعلونها ديناً ينكرون على مخالفهم فيها

وأما المسألة الثانية فيعلم حكمها مما تقدم فمن المعلوم أن الإسلام لم يحرم على أهله زيا ويفرض عليهم زيا آخر بل ترك الأزياء لاختيارهم وفي السنة السنية ما يدل على ذلك فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من أزياء الروم والطيايسة الكسروية من أزياء المجوس ولم يقصد تقليد القوم وإنما جيء بذلك فلبسه . وإنما نهى عمر (رض) جيشه في بلاد الفرس عن زي الأعاجم لئلا يفرهم ما غنموه من اللباس النفيس فيتمتعوا بنعمته ويغلب عليهم الترف فيضعفوا عن الجهاد وحفظ البلاد ولذلك أمرهم في كتابه ذلك إلى القائد عتبة بن غرقة بأن يخشوشوا ويتمعدوا ويدأبوا على الثمن على رمي السهام ويرزوا الشمس فقال عليكم بالشمس فإنها حمام العرب ولهذا اختلفت أزياء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وخليفة المسلمين وأكبر أمرائهم يلبسون زي الأفرنج في هذا العصر لاستحسانه

﴿ الرضاة من كناية — لبس البرنيطة ﴾

﴿ حديث « من تشبه بقوم » — الزنار و « اربطة الرقة » ﴾

(من ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (سبب برنيو الغريه — جاوه)

(١) هل يثبت الحرمة رضاع بين الكافر والمسلم مع مراعاة الشروط المدونة في كتب الفقه ؟ كما لو رضع مسلم لكافرة او كافر لمسلمة

(٢) هل يجوز لمسلم لبس البرنيطة (القبة) لحاجة كالإلقاء من الشمس أو غيرها ؟

(٣) ما حكم التشبه بالافرنج في الملبس وغيره بحيث لا يمكن التمييز بعلامة ما . فهل يجوز ام لا ؟ لان ذلك مما عمت وطمت به البلوى خصوصا عند الطبقة العليا فانهم يلبسون البرنيطة فوق الكوفية المعتادة لهم

فمن الناس من قال انه حرام وحمته قوله عليه السلام « من تشبه بقوم فهو منهم » . وبعضهم قال انه جائز لا بأس به وحمته انه لم يرد في كتاب الله ولا في سنن رسله وانبيائه أمر لا منهم باتباع ملابسهم او تغييرها بزي معلوم او نهي عن ذلك بل ربما ورد أن بعض الصعابة لبس شيئا من ملابس الكفار في الصدر الاول للاسلام ولم ينكره احد من الصعابة

(٤) الزنار « اربطة الرقة » فالتشهور من بعض الافاضل المتقدمين ان لبسه حرام باتفاق ولكن المشاهد في عصرنا هذا شيوع استعماله في مسلمي الدنيا . هل هو حرام أم لا ؟ ينونا لنا رأيكم ورأي علماء مصر المصري ليستك المخرج والمرج فلكم منا جزيل الشكر والامتنان .

م . ب . ج . م . ع

(المجلد الثالث عشر)

(١٥)

(المار ج ٢)

(ج) اما الجواب عن الاول فنعم فمن رضع من كتابية حرم عليه ان يتزوج احدا من اصولها أو فروعها وقد رأيت التفصيل في احكام الرضاعة في تفسير هذا الجزء واما الاسئلة الثلاثة الاخر فضاهاواحد وتعرفون حكمها من الفتويين العاشرة والحادية عشرة في هذا الجزء ومما كتبناه عن حديث « من تشبه بهموم فهو منهم » في الجزء الماضي . ولكن الزنار غير « اربطة الرقبة » التي فسرتموه بها وهاذكر منه في كتب الفقه يراد به زنار الرهبان والقسيسين الذي هو من تقاليدهم الدينية ولا يجوز للمسلم ان يتبع تقاليد دين من الاديان بل يتبع في الدين كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأما الأزياء والعادات التي ليست من اديانهم فهي التي يتبع الناس فيها مصالحهم ان لم يخالف نصا شرعيا . ولا نص في تحريم ازياء المخالفين لنا في الدين التي هي من العادات لما علمت من لبس النبي (ص) لبعض ازياء الروم والمجوس

﴿ الكلام وقت خطبة الجمعة ﴾

(س ١٦) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو)

حضرة العالم العلامة سعد الملة وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بشريف وجوده آمين .

بعد اهديكم أطيب التحية والاحترام أرجو ان تفيدوني بالاجابة عن هذه الاسئلة واشكركم سلفا ، إنه قد جرت عادة في بعض بلاد جاوه يقرأ المؤذن او المرقى عند صعود الخطيب على المنبر لقراءة الخطبة آية: إن الله وملائكته الآية او شيئا من الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك والاهام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد نفوت » أه الجامع الصغير فهل يسن ذلك ام لا ؟ ومما قاله (المؤذن او المرقى) روي عن ابي هريره (رض) أن يوم الجمعة سيد الأيام وحج الفقراء وعبد المساكين والخطبة فيها مكان الركعتين . فاذا صعد الخطيب على المنبر فلا يتكلمن أحدكم ومن يتكلم فقد لنا ومن لنا فلا جمعة له اه فهل صح أن

هذا الحديث رواه أبو هريرة (رض) أو غيره ، أو هو من أقوال العلماء ، وفي أي كتاب يذكر ؟ هذا والمرجو لسببي من فضيلتكم أن تجيئوني وأكون ذا كراً لكم جميل الذكركم وحسن الثناء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . م . ب

(ج) هذه العادة معروفة في مصر وسورية أيضاً وما هي بسنة مأثورة تتبع وإنما هي عادة كما ذكرتم والحديث الأول متفق عليه في الصحيحين ولا بأس بذكره قبل الخطبة بقصد النصيحة والتذكير ولكن لا ينبغي أن يداوم عليه بكيفية مخصوصة توهم أن تلاوته سنة مأثورة وأما الحديث الثاني « يوم الجمعة سيد الأيام » الخ فلا يصح وأوله ذكر في بعض كتب الموضوعات

﴿ إباحة الفناء ﴾

(س ١٧ و ١٨) من صاحب الامضاء في روسيا

سيدي متع الله الأنام بطول بقائكم وانفعهم بأفيد كلامكم ، إن لي مسألتين نشأتني إلى يأتها ونحتاج إلى إيضاحها أرجو توضيحها في أحد أجزاء مجلة المنار ولكم الأجر إن شاء الله

(١) قال في التفسيرات الاحمدية في تفسير الآيات المتطرفة الاحكام في سورة لقمان: ومن الحجج الدالة على إباحتها (أي التضييق) ما ذكر في العوارف فمن الآيات ما ذكر في العوارف قوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقوله تعالى (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية ومن الأحاديث ما قال أخبرنا الشيخ الطاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو بكر القاسم الحسن بن محمد الخوافي قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمر بن الخطاب (رض) قال حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جارية

تقنيان وتضر بان بدفين ورسول الله منسج بثوبه فانتهرها ابو بكر فكشف رسول الله عن وجهه وقال « دعهما يا ابا بكر فاتها ايام عيد » وسقط هنا في البين حديثان استقطبهما قصدا وفيه ايضا قال اخبرنا ابو زرعه طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي قال اخبرنا ابو علي فضل بن منصور بن نصر الكاغذي السمرقندي اجازة قال حدثنا الهشيم بن كليب قال حدثنا ابو بكر عمار بن اسحاق قال حدثنا سعد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان قراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمس مئة ففرح رسول الله عليه السلام فقال: أفبكم من ينشدنا؟ قال بدوي نعم أنا يا رسول الله قال: هات، فانشد البدوي

قد لست حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

ان الحبيب الذي شفقت به فعنده رقيبتي وترياق

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوى كل احد منهم مكانه قال معاوية بن ابي سفيان ما احسن لعبيكم يا رسول الله ! فقال: يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب، ثم قسم وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي من حاضرهم اربع مئة قطعة، وهذا الحديث اورده مسندا كاشمونه ووجدناه اه اوجوكم ان تفيديوني عن هذه الآيات التي ذكرت هل هي دالة على ما ادعاه وما وجه الدلالة ونحن لا نصلح ولا نفهم وجه دلالة عليه وما الاحاديث التي اوردها وسردها هل هي معتبرة وماخوذة عند الحديثين ام من الخرافات التي انشدها واحدها المحترعون؟؟ افيدوني يا سيدي ولكم الاجر ان شاء الله

(٢) ولودفع الى الفقير من مال حرام شيئا برجو الثواب يكفر واو علم الفقير بذلك الحرام فدعا للمعطي كفر (خادمي شرح الطريقة في الجلد الاول في النوع الثالث من الكفر الحكم منه ٤٤٥ في نسختنا)

أقول من المقرر في كتب الفقهاء والفتاوى كالحبيط وابن عابدين وغيرهما ان

من كان عنده مال خيـث حرام كالظالم وكرجـ المقصوب والامانة والمبيع يباعا فاسدا
يجب التصديق به ، فيكون مأمورا بالتصدق فمن أتى بالمأمور به كيف يكون كافرا ؟
وايضا الداعي انما يدعو لمن أتى بالمأمور به فكيف يكون كافرا بالدعاء له ؟ بينوا يا سيدي
توَجَّروا

(ج) ليس في القرآن شيء يدل على التقى ومحابب العارفين انما يستدل بما ذكر
من الآيات على السماع المعروف عندهم وهو يكون سماع قرآن وسماع شعر أو غناء
لأجل تحريك شعور النفس من خشوع أو حزن أو وجد لا على مطلق التقى
والاستدلال بالآيات على سماع الشعر أو الغناء تكلف مردود واما الحديثان فاولهما
وهو حديث عائشة صحيح لا نزاع فيه وثانيهما وهو حديث سماع النبي (ص)
وتواجه موضوع لا نزاع في كذبه تزونه في كثير من كتب الموضوعات والمشهورات
على السنة العامة . وقد بينا احاديث اباحة السماع وحظره بالتفصيل في أول المجلد
العاشر

وأما ما ذكره الخادمي من كفر من يتصدق بالمال الحرام وكفر من يدعو له
فهو تشديد ظاهر البطلان لا حاجة الى الامالة في بيانه وسنكتب في المكفرات
شيئا نافعا ان شاء الله

﴿ علم الهيئة والسنة النبوية ﴾

(ص ١٩) من احد المشتركين في دمشق الشام

الى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد افندي رشيد رضا متعا الله بطول بقاءه
لدينا كتاب مخطوط عنوانه « هيئة الاسلام وحكمة اهل الايمان » لمؤلفه ابراهيم
الهرماني الآمدي افصح بمقدمة قال فيها بعد البسملة والحمدلة ما ملخصه :
« لما طالعت كتاب الهيئة على اعتقاد اهل السنة والجماعة للدولى العلامة أبي الفضل
جلال الدين السيوطي وجدت مباني مباحثها مطابقا لمضمون الاحاديث والآثار

مواقفا لفهم كلام التابعين الاخير انتخبت منه ومن الكتب المقبرة نحو تفسير الامام أبي الليث السمرقندي وتفسير الامام القرطبي وتفسير الامام البغدادي وتفسير الامام الثعلبي والقشيري وعثمان الداري وابن الجوزي وابن أبي طالب المكي وابن كثير والكرمانى والوسيط والسمرقندي والصنهاجي والسمرقندي والفتاوى الكبرى والشفاء وشرح العقائد للتفتازاني ما هو لازم اعتقاده مرتبا على ابواب وفصول »

ثم يلي ذلك كلام في تقديم الكتاب الى السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم العثماني ثم ابواب الكتاب وفصوله وهي بوجه الاختصار : في عدد السماوات والارضين . في المسافة بين كل اثنين منها . في الثخن والكثافة . في مادة السماء في العرش والكرسي واللوح والقلم . بعض عجائب السماء . مكان الجنة والنار . مستقر الارواح . مستقر الشمس بعد الغروب . جبل قاف . كون الارض بسيطة . بيان بعض عجائب الارض . بيان الصخرة المذكورة في القرآن . أحوال الشمس والقمر . الخسوف والهلل والليل والنهار والكواكب . الرياح والامطار والقوس والرعد والبرق والصاعقة . الخ ويلى ذلك احاديث يستشهد بها المؤلف على ما تضمنه الباب أو الفصل وأكثر هذه الاحاديث اذا لم نقل كلها لا ينطبق على الحقيقة ونحن لعدم تضاعفنا من علم الحديث لانعلم مكانها من الصحة وان ذلك ننقل هنا شيئا منها لتقفوا عليه قال تحت عنوان أحوال الشمس مانصه : قال العلامة السيوطي أخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر وجوههما الى العرش وقفاهما الى الناس » وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله (ص) « وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أصابت شيئا الا احرقته » . وقال في الكلام على الرعد : أخرج احمد والترمذي عن ابن عباس ان اليهود قالوا يا رسول الله اخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله » قالوا فما الصوت الذي نسمعه ؟ قال « زجره حتى ينتهي الى حيث أمر » قالوا صدقت والكتاب كله على هذا النمط وقد بلغني ان هذا الكتاب ترجم الى اللغة التركية وطبع في الآستانة منذ عشرين سنة تحت اسم (هيئت اسلاميان) فضل به كثيرون

من تلامذة المكاتب وغيرهم لأنه مخالف لما تلقوه من المبادئ المقررة في علم الهيئة والاحداث الجوية التي لا يشكون فيها لقيام الأدلة عندهم عليها فاقولكم رحمكم الله في هذا الكتاب وامثاله؛ تكرموا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(ج) اكثر ماورد في هذا الباب من الاحاديث يدخل في باب الموضوعات المكذوبة قطعاً أو الواهيات التي تقرب منها وسنين ذلك في مقال خاص بعد إلقاء عصا التسيار والاستقرار في مقام العمل ان شاء الله تعالى

﴿ حركة الأرض ودورانها ﴾

« والاستدلال على ذلك من القرآن »

(من ٢٠) من الشيخ عبد القادر نور الله معلم مدرسة (بانياس) الابتدائية

سألنا عن دليل حركة الأرض ودورانها وعن استدلال بعض الناس على ذلك بقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقد سبق لنا بحث طويل في هذه المسألة فليراجعه السائل في (ص ٢٦٠ م ٧) اذ لا سبيل الى إعادته والأدلة العلمية في ذلك مبسطة في كتب الجغرافية ومن يرى الآية التي أشار إليها دالة على دوران الأرض يرد على من يقول ان المراد بها حركتها عند خراب العالم بقيام الساعة بقوله تعالى بعد ما تقدم آنفاً « صنم الله الذي اتقن كل شيء » واتقان الصنع يناسب الانشاء والتكوين لا ضدهما. وهناك آيات أخرى ذكرناها في الموضع المشار إليه وسألنا أيضاً عن مسألة مشككة في كتاب (تنبيه الافهام) لرفيق بك العظم

وسنجيب عنها عند ما يتيسر لنا مراجعة ذلك الكتاب بعد انتهاء سفرنا

المشورة (*)

قضت سنة الله في خلقه ان سلطة شرع الاحكام ونصريف الاوامر والزواجر لا تستقل وحدها برودع الخليفة وقيادتهم الى سابلة العدالة فكثير من الناس من يجري مع اهوائه بغير عنان ولا يدخل بأعماله الاختيارية تحت مراقبة العقل على الدوام ألا ترى الى جملة من احكام الشريعة كيف بنيت على رعاية الوازع الطبيعي وتغلبه على الوازع الشرعي كرد شهادة العدو على عدوه وعدم قبول شهادة الرجل لابنه أو لآبيه واقاربه في حال مرضه لصديق ملاطف أو واثق قريب . فلا بد اذا من سلطة أخرى لتنفيذ تلك الاحكام المشروعة بالوسائل المؤثرة وان كره المبطلون كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة القضاء لأبي موسى الأشعري : واخذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . وتسمى هذه السلطة بالسلطة القضائية وكان زمانها في عهد نزول الوحي بيد النبي صلى الله عليه وسلم يتولى الحكومة على الجاني ويأمر فصل التوازل بنفسه من غير ان يدور في حسابان مسلم مطالبته بإعادة النظر في القضية أو استئنافها لدى غيره وما كانوا يرون قضاءه الاحكام مسماة بآذنه بأذن واحدة وصدر رقيب لهم يقينا كهود الصبح انه حكم الله الذي لا يقابل بغير التسليم قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) وان تعجب فلا تعجب لهذا فان الوازع الشرعي قد يتمكن من النفوس الفاضلة الى ان يصير بمنزلة الطبيعي أو اقوى داعيا ، وسهل اقياد العرب على ما كانوا عليه من الافقة وصعوبة المراسم وانصاعوا الى قانون الشريعة مجلا ومفضلا من جهة ان الدين محدود من وجدانات القلوب فالأقياد لاحكامه من قبل الاقياد الى ما يدعو اليه الوجدان وليست

(*) بل الشيخ محمد الحفر بن الحسين من العلماء النجاشيين بجامع الزيتونة بتونس في مسامحة

الشرائع الوضعية بهذه الدرجة فإن الناس إنما يساقون إليها بسوط القهر والظلمة ويحترمونها اتفاقاً للادب والمقربة ولا يتقونها بداعية من انفسهم الا اذا أدركوا منها وجه المصلحة على التفصيل

وانما ورد من فصل قضائه صلى الله عليه وسلم قد ريسر بالنسبة الى مدة حياته لما كانت عليه حالة المسلمين يومئذ من الاستقامة والثبات المواقف القاضية بأن تكون معاملاتهم خالية من الدسائس خالصة من المشاكل وهكذا ما ساد الادب وانتشرت الفضيلة بين أمة الا اتبعوا شرعة الانصاف من عند انفسهم والتحقوا برداء الصدق والامانة بمجرد بث النصيحة والموعظة الحسنة فيخفت ضجيج الضارعين وصخب المبطلين ولا تكاد نسمع لها في اجواف المحاكم حسيباً . وضم صلى الله عليه وسلم الى السلطة القضائية فيما يخص الحق المدني سلطة التنفيذ فيما يختص بمحقق الامم كاشهار الحرب وابرار الصلح وتلافي أمر الهجوم ولم يكن مع يقينه باستماتة اصحابه في طاعته وتفاخي مهجهم في محبة لينفرد عنهم بتدبير هذه السلطة بل يطرحها على بساط المحاوراة ويمجادهم اطرافها على وجه الاستشارة عملاً بقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقد يترجح بعض الآراء بوحى سماوي كما نزل قوله تعالى (وما كان لني أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض) مؤيداً للرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر

اذن له صلى الله عليه وسلم بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء تطيباً لنفوس اصحابه وقريراً لسنة المشاورة للامة من بعده . اخرج البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم داما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لأمي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً »

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة الا بعد ان تتداولها آراء جماعة من الصحابة واذا قل له احدهم نعماً صريحاً ينطبق

على الحادثة قال : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا .
وعهد بأمر الخلافة الى عمر بن الخطاب بعد استشارة جماعة من المهاجرين
والانصار مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان واسيد بن حضير وسعيد بن
زيد وغيرهم وانما لم يبق الامر شورى بينهم كما صنع الخليفة الثاني او يتركه لآراء
المسلمين عامة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اعتمادا على ما تفرسه في عمر من
الكفاءة والمقدرة وحذرا من أن يتنازعها ذوو الاهلية فتثور ثائرة الفتنة ويرتخي جبل
الاخوة في ايدي المسلمين

ونحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الجمادة شبرا بشبر ودراعا بذراع
قال من خطبة ارسلها في هذا الغرض : كذلك يحق على المسلمين ان يكونوا وامرهم
شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم - ثم قال - ومن قام بهذا الامر فانه تبع لاولي
رايهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم . وهذا ايماء الى الحكم النيابي ويدل له من كتاب
الله قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون) وضع الاسلام اساسه وبنى عليه الخلفاء سياستهم
ثم انتفض بناؤه في دولة بني مروان ومذ شمرت الامم الآخذة بمذاهب الحرية
بانه الضربة القاضية على السلطة الشخصية طفقوا يهرعون الى اقامة حكوماتهم على
قاعدته الخبيثة

واخذ عمر بقاعدة الشورى في أمر الخلافة من بعده ففوض امرها الى ستة من كبار
الصحابة ليختاروا رجلا منهم وقال لهم : ويحضركم عبد الله بن عمر مشبرا وليس له
من الامر شيء ! وضمه عبد الله بن عمر الى الستة وتشريكه لهم في الرأي وارد
على ما ينبغي في مجالس الشورى من جعل نظامها موثقا من العدد الفرد ليمكنهم
ترجيح جانب الأكثر عند الاختلاف ويلوح الى هذا بطرف خفي قوله تعالى
(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من
ذلك ولا أكثر الا هو معهم) فذكر العدد الفرد صراحة والاقتصار عليه دون الزوج
في ضمه اشارة الى ما ينبغي مراعاته في المجالس الموثقة للمناجاة

هذا هو الاصل في الشورى وقد تواف من عدد زوج ويعتبر احد افراد

الجنة بمنزلة رجلين اثنين ويسمى رئيسا لما يرجع به الجانب الذي ينحاز اليه عند التساوي والدليل على صحته شرعا قول عمر بن الخطاب لأبي طلحة الانصاري: ان الله قد اعز بكم الانصار فاختر خمسين رجلا من الانصار وكن مع هؤلاء حتى يختاروا رجلا منهم - ثم قال له - وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فلكوا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف

والمشورة سنة متبعة عند بعض الأمم من قديم الزمان وردت في قصة بلقيس حين دعاها وقومها رسول الله سليمان عليه السلام ان لا يعاوا عليه ويأتوه مسلمين قال الله تعالى (قالت يا أيها الملأ افترني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » قالت ان الملوكة اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) ووردت الشورى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملائه قال الله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون إن هذا الساحر علم » يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فإذا تأمرون » قالوا اؤرجه وأخاه وابث في المدائن حاشرين) وكأن قاعدة الشورى بين فرعون وملائه لم تطرد على اساس صحيح بدليل ما سام به بني اسرائيل من العذاب المين وقطع مجلس الشورى عند فرعون رأيه وابرم في النازلة حكمه لأنه فوض اليهم ذلك بقوله « فإذا تأمرون » وليس له من الامر شيء سوى تنفيذ افعالهم والعمل بما يشيرون بخلاف مجلس الشورى عند ملكة سبأ فلم يزيدوا على ان عرضوا عليها رأيهم بطريق التلويح حين « قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد » يشيرون الى اختيار الحرب ثم اوكلوا الامر اليها بقولهم « والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » لأنها لم تفوض اليهم الحكم في القضية وانما طلبت منهم ان يصرحوا بأرائهم ويوضحوا بانفسارهم فقط بدليل قولها « ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » اي إلا بمحضركم وقولها « افترني في امري » أي اذكروا ما تستصوبون فيها لأنها زينت رأيهم واشعرتهم بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام حدودهم فيسرع الى افساد ما يصادمه من اموالهم وعماراتهم فقالت « ان الملوكة اذا دخلوا قرية افسدوها »

لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية واعوانها الا اذا وضع حجرها

الاول على قصد الخنان والرأفة بالرعية واما المشاركة في الرأي وحدها ولا سيارأي من لا يطاع فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد

وام فوائد المشورة تخلص الحق من احتمالات الآراء وذهب الحكماء من الادباء في تصوير هذا المفرد وتمثيله في النفوس الى مذاهب شتى قال بعضهم :

اذا عن امر فاستشر فيه صاحبا وان كنت ذا رأي تشير على الصعب
فاني رأيت العين تجهل نفسها وتترك ما قد حل في موضع الشهب

وقال غيره :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على الاثنين

والمرء مرآة تراه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقال آخر :

الرأي كالليل مسودّ جوانبه والليل لا ينجلي الا بمصباح

فاضم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

ولا يدخل في وهم امرئ سمع قولهم (انما العاجز من لا يستبد) ان اقتداه

بسنة الشورى يشهر الناس بهجره وحاجته اليهم فتسقط جلالته من أعينهم ويفوته

الفخر بالاستغناء عنهم فان الناصح الامين لا تجده يجعل الفخار محورا يدير عليه

سياسة فيلقي له بالا وانما يبني اعماله على مصالح يجلبها او مفاسد يندوؤها ومن كان

يريد التمجيد والثناء ففته بعدم الانفراد بالرأي أخير لذكره وأشرف لسياسة من

وصفه بصفة الاستبداد قال تعالى في الثناء على الانصار (والذين استجابوا لربهم

وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وروي

ان هذا دأبهم من قبل الاسلام ولعله هذا هو الوجه في مخالفة اسلوب الوصف

به لما قبله وما بعده حيث اورد في جملة اسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار

ومن فوائدها استطلاع افكار الرجال ومعرفة مقاديرها فان الرأي يمثل لك

عقل صاحبه كما تمثل لك المرأة صورة شخصه اذا استقبلها



الاسلام في البلاد المسيحية (*)

كان المسلمون في الأزمنة الغابرة لا يقصدون البلاد المسيحية الا لفتح والاستيلاء عليها . وكان يندر جدا من يقصدها لغير هذا الغرض . والسبب في ذلك أن حوائج المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية كانت لا تهفي على ما يرام في غير بلادهم . ولذلك كان القاطنون في الديار المسيحية من المسلمين أندر من الكبريت الاحمر مع وجود ملايين من المسيحيين في البلاد الاسلامية

إن كثيرا من المسلمين أجلوا في المصور الماضية عن اوطانهم الى البلاد المسيحية جزاء لمطالبتهم بالاستقلال : من ذلك ان حكومة هولاندا اجلت في القرن السادس عشر من آسيا الشرقية (من جزائر جاوه و بورنيو وصومطرة) عدة آلاف من المسلمين المتبعين لجنس « ملايو » الى كابلانده في جنوب إفريقيا . وفي ذلك العصر نفسه أرغمت الحكومة البولونية كثيرا من التتر على المهاجرة الى بولونيا . فبقايا هؤلاء وان أضعوا قوميتهم بمناها الاوربي أي وان نسوا لغتهم الاصلية واستبدلوا بها لغة البلاد التي استوطنوها فانهم لا يزالون يحتفظون بدينهم ويتمسكون به شديد التمسك واما اختلاط المسلمين بالمسيحيين بحسن اختيارهم واراדתهم فقد بدأ منذ زمن غير بعيد . ففي بادئ الامر اخذ الطلاب المسلمون يقصدون أمريكا وانكلترا وفرنسا بقصد التعلم بمدارسها العالية . ثم اضطرت بعض الاحوال السياسية والاقتصادية المسلمين أن يغادروا بلادهم ويهاجروا الى أوروبا افواجا . فكان هذا الاختلاط هو السبب الرئيسي لانتشار الاسلام في الممالك الغربية

ويوجد الآن في المانيا رجل يسمى سميا متواصلا الى نشر الاسلام فيها ألا وهو محمد عادل بك « اشميتس - دورمولين » . وكان من امره أنه قضى عشرين عاما مهندسا في الشرق ثم اتحل الاسلام وتزوج فتاة مسلمة من أميرة كبيرة . فلما

(*) ترجها بالمرية من جريدة (وقت) النافعة صنعة الله أفندي ييكبولاط من نوابغ الطلاب القازانيين بالآزهر وهي منقولة من جريدة (وولاند اوندماير) النمسية

عاد الى وطنه « المانيا » طفق يدأب على نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فأف في ذلك مؤلفات عديدة من أشهرها « الاسلام » « في الحرم » « الامانة - بلدة الاسلام » وقد اثبت عادل بك في مؤلفاته هذه ان الاسلام قريب جدا من النصرانية الحقيقية وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والأمراض الاجتماعية

ومن مشهوري الذين يمجدون في نشر الاسلام في أوروبا غير عادل بك عمر رشيد بك وقرينته مادام « يلينا فولو » في مدينة مونيخ وقد أسست في فرنسا في هذه الايام الاخيرة جمعية « الاخوة الاسلامية » ومن أعضائها الآنسة الفرنسية « عزيزة روشه لرون » التي انتحلت الاسلام منذ أربعة أشهر . وهي تخدم في هذه الجمعية من غير ملل ولا ضجر ، وقد أنشأت هذه الآنسة مجلة سمتها « النظر الى الشرق » مبدؤها تفهيم الاسلام للفرنسيين ومعاونة المسلمين على ارتقايتهم وحضارتهم

وأما البلاد الانكليزية فان انتشار الاسلام فيها أظهر وكلمته أعلى . وتوجد فيها الآن جمعيات عديدة أشهرها « الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و « اتحاد الاسلام » اسسها المهاجرون اليها من مستملكات انكلترا والذين انتحلوا الاسلام من الانكليز انفسهم . وقد شيد باجتهاد هؤلاء جوامع فخمة في لندره وليفربول وغيرها من المدن الانكليزية واسست دواوين وملاجي . للايتام وكتائب لتعليم الصبيان وانشئت عدة من الجرائد والمجلات .

وأعظم الجمعيات المتقدمة الذكر جمعية « اتحاد الاسلام » وهي تمد مركزا لجميع مسلمي إنكلترا . ومن أهم مقاصدها معاونة المسلمين في ترقية شؤونهم الاقتصادية وتهذيب أخلاقهم وترقية العلوم والمعارف في العالم الاسلامي . وهي تتخذ التدابير اللازمة لمنع المعلومات الكاذبة عن المسلمين والاسلام في بلاد الغرب .

ومن أشهر أعضائها العاملين ، محمد عبدا لله المأمون السهروردي الحامي الشير ، هو هندي الاصل . وقد ألف هذا الرجل مم حداثة سنة مؤلفات عديدة في الاسلام

باللغة الانكليزية منها « احاديث محمد » ، « اساس الحقوق الاسلامية » ، « شكسير وأديبات الشرق » ، « لا اكره في الاسلام » وغيرها . وهو يصدر الآن مجلة تبحث في شؤون الاسلام والمسلمين .

ويمكنني ان اعد من الذين اتحلوا الاسلام وهم ينسبون الى الدوائر الكبيرة هؤلاء : لورد استيلي عبد الهادي باركنسون من اعضاء مجلس اعيان انكلترا ، مازور يا الحامي الشهير ، براونينغ ، كاليب شالدراك ، وغيرهم . ومن النساء : مادام ولباست من مشهورات عالمات الموسيقى ، ومادام شلورنيت الرسامة ، وميسيس بيس ، وغيرهن . ومن أشهر هؤلاء النساء مادام « كويليام » التي اتحلت الاسلام هي وأبنائها وبناتها جميعا ، وقد عين احد ابنائها وهو احمد كويليام مقمدا سياسيا للدولة العليا في ليمبول والآخر وهو عبد الله كويليام شيخ الاسلام في انكلترا وهو ينشئ الآن جريدة ومجلة اسبوعية وله مؤلفات عديدة أشهرها « الدين الاسلامي » « التعصب والمتعصبون » وغيرها . وهل كان يدور في خلد احد ان الاسلام تحفقا اعلامه في ربوع امريكا؟ مع انه ليس فيها بأقل انتشارا منه في أوربا وان شيخ الاسلام في تلك البلاد « محمد اسكندر وفيل ووب » يدأب دائما في توسيع نطاق الاسلام هناك وي بذل نفسه ونفيسه في هذا الشأن . وهو يرمي في خطبه ومحاضراته ومؤلفاته الى غرض واحد وهو تفهم الاسلام للأمريكيين وتعرفهم سيرة محمد (ص) . وجريدته المسماة « ته مسلم وورلد » في غاية الرواج والانتشار .

وقد اخذ مسلمو نيويورك في تشييد جامع فخم جدا في الايام الاخيرة وليس امر الاسلام في أستراليا مما يستهان به فقد أخذ في تشييد جامع ثان في مدينة « آديلايد » وخلاصة القول : ان الامر الذي كنا نعدده من قبيل المستحيل من قبل صار من اقرب الممكنات . والذين كانوا يزعمون ان الاسلام لا يصلح أن يوضع في ميدان الحياة اخذوا يتمسكون به ويقدمون النفس والنفيس في الذود عنه ونشره بين الانام فهذه الامور هي اكبر برهان وأعظم دليل على ان الاسلام اكبر مساعد للحياة وأن له قابلية عظيمة للانتشار

أناشيد علي بن أبي طالب

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشعوب
 منزعة عن التفحشاء خود من الخفريات آتية عروب
 نوار تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها الميوب
 صفا ماء الشباب بوجنتها غامت حول رونقه القلوب
 ولكن الشوائب أدركته فساد وصفوه كدر مشوب
 ذوى منها الجمال النض وجدا وكاد يحف ناعمه الرطيب
 أصابت من شيبتها الليالي ولم يدرك ذؤابتها المشيب
 وقد غلب القول لها جبين تلوح على أمرته النكوب
 الا ان الجمال اذا علاه نقاب الحزن منظره عجيب



حيلة طيب الاعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
 رعى وردت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
 توثق حبل ودهما حضورا ولم ينكت توثقه المنيب

(*) قصيدة للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي الشهير يتصرف فيها للذهب
 الامام ابن القيم في كتابه « اغاثة الالهقان في حكم طلاق النضبان »

ففاض زوجها الخطاء يوما
 فاقسم بالطلاق لهم يمينا
 وطلقها على جهل ثلاثا
 وافق بالطلاق طلاق بت
 فبانت عنه لم تأت الدنيا
 فظلت وهي باكية تنادي
 لماذا يا نجيب صرمت حبلي
 ومالك قد جفوت جفاء قال
 ابن ذني الي فدتك نفسي
 أما عاهدني بالله ان لا
 لن فارقني وصددت عني
 وما ادماه ترنع حول روض
 فالتفت اليه الجيد حتى
 فراحت من تحرقها عليه
 تشم الارض تطلب منه ريحا
 وتمزج في الفلاة لغير وجه
 بأجزع من فؤادي يوم قالوا
 فأطرق رأسه خجلا وأغضى
 نجبية ! أقصري عني فاني
 وما والله مجرك باختيار

بأمر للخلاف به نشوب
 وتلك الية خطأ وحوب
 كذلك يجهل الرجل القنوب
 ذوو فتيا تمصبهم عصب
 ولم يعلق بها القام المصيب
 بصوت منه ترجف القلوب :
 وهل أذنت عندك يا نجيب ؟
 وصرت اذا دعوتك لا تجيبا
 فاني عنه بعدئذ أتوب ا
 يفرق بيننا الا شعوب ؟
 قلبي لا يفارقه الوجيب
 ويرتع خطفها رشاً ريب
 تحطفه بأزمتيه ذيب
 بداء ما لها فيه طيب
 ونحب والبنام هو النحب
 وآونة لمصرعه تؤوب
 برغم منك فاركك الحبيب
 وقال ودمع عينيه سكوب :
 كفاني من لظى الندم اللبيب
 ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من قوادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلي في الكواكب وهي تسري
فكم قالتها بهواك سهدا
خذي من نور (رفجن) شماعا
والقيه بصدري وانظري
وما المكبول التي في خضم
فراح يقطه التيار غطا
بأهلك يا بنة الامجاد مني
ألا قل في الطلاق لموقعه
غلتم في دياتكم غلوا
أراد الله تيسيرا وانتم
وقد حلت بامتكم مكروب
وهي جبل الزواج ورق حتى
نحيط من لعاب الشمس أدلت
يمزقه من الافواه تفت
فدى (ابن القيم) الفقهاء كم قد
فني (اعلامه) للناس رشد
نحا فيما اتاه طريق علم
وبين حكم دين الله لكن
لعل الله يحدث بعد أمرا

وليس العيش دونك لي يطيب
هوى كالروح في له ديب
يجح الليل تطلع أو تيب
ونجم القطب مظلم رقيب
به للعين تنكشف القيوب
ري قلبي عليك به ندوب
به الامواج تصعد أو تصوب
الى أنت تم فيه له الرسوب
إذا أنا لم يعد بك لي نصيب
بما في الشرع ليس له وجوب
يضيق بفضه الشرع الرحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لالههم الذنوب
يكاد اذا تفقت له يذوب
به في الجو هاجرة حلوب
ويقطعه من النسم المبوب
دعاه للصواب فلم يجيبوا
ومزدجر لمن هو مستريب
نحاما شيخه الخبر الاريب
من الغالين لم تبعه القلوب
لنا فيخيب منهم من يخيب

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غرائب الاغتراب ، وزهه الالباب ﴾

تأليف السيد محمود افندي الآلوسي الحسيني . صفحات ٤٥١
طبع بمطبعة الشايندر ببغداد سنة ١٣٢٧

لا نرى حاجة لتعريف قراء المار بالمؤلف الجليل ، وهو صاحب تفسير روح
المعاني الشهير الذي يندر من لم يستفد منه من ممارسي العلوم الاسلامية . والمؤلف
كثير من المصنفات كانت ظلمات الاستبداد الخالكة مانعة من انبلاج نورها ، حتى
اذا اشرفت شمس الدستور عقد العزم آل الآلوسي الفضلاء على نشر تلك الآثار
ومنها كتاب غرائب الاغتراب .

الكتاب هو مجموع محاضرات ادبية ، وقرات وصفية ، ومقالات في التراجم
ومناظرات في علم الكلام والفقه والتصوف ، كتبها المؤلف فيما رأى ومن رأى في
رحلته من بغداد الى القسطنطينية

تصفحنا صفحات من الكتاب فنبئت لنا روح المؤلف قية طيبة كأرواح
أسلافنا الاولين : نزاعة الى الحق ، وثابة على الباطل ، لا تطيع أنصار ذاك بزخرف
القول ، ولا تدهن ارباب هذا بقول الزور . أما اسلوب الكتاب او الكاتب فقد
طبع على غرار اهل القرون الوسطى : سجع تحف به الصنعة البديعة ، ولكن يخال
قارئه أنه لا تمثّل فيه ولا تكلف ، وقد يغلو من يستنكر هذا النمط من الانشاء
فان لكل عصر اسلوباً ، وانما الكلم الطيب البليغ هو ما ادّعى المراد بدون تصف
ولا تكلف ، ولا ضير على قائله بعد هذا سواء اكان مترسلاً ام جانحاً للسجع .
قلت هذا لانني ارى اكثر ادباء عصرنا يستنكرون السجع كثيراً ، حتى لا يطمأن تكون

أذواقهم صارت تمجده في مثل كلام امام البلاغة جدنا المرتضى عليه السلام ! وهذا من غرائب انكاس الطباع ومرض الاذواق !

﴿ الفرق بين الفرق ﴾

• تأليف الامام ابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس • وقد وقف على طبعه وضبطه وتعليق حواشيه محمد بك بدر المتخرج في جامعة (بن . المانيا) منهجته ٣٥٤ طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بها وبمكتبة المنار بمصرين قرشا صحيحا

لقد سررنا سرورا عظيما بنشر هذا الكتاب ، لا لأن الامة محتاجة الى الاطلاع على آثار اسلافنا العاملين ، بل لأن واحداً من سررة ابنائها اهل الثراء اختار ان تكون حياته حافلة بالعلم والعمل ، هازنا بسير اترابه المقطعين الى اللهو والترف ، فبعد أن ابتعد عن أسرته وخلطائه اعراما قضاها يتقلب فيها دور الموم بأوربا عاد وهو صحيح العزيمة على ان يعمل بما علم و « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وغرض المؤلف من كتابه بيان مذاهب الفرق الثلاث والسبعين التي ورد ذكرها في الحديث ، وقد افاض في ذلك كثيرا فذكر فرقا مزقتها عوادي الايام ، ولولا ذكر مثل المؤلف لما عرف اهل هذا العصر أنها وجدت في هذه الدنيا ، لأنها لم تترك أثارة من علم ولا نبأة من حالها

والكتاب مفيد في بابه ، بليغ في اسلوبه ، قوي الحجته ، وطبعه في غاية الجودة ، ومن محسناته فهرسان للاعلام والكني وضمهما له ناشر الكتاب ، ورتبهما على حروف المعجم ، وقد كتب له مقدمة متينة التركيب بليغة الاسلوب فتني عليه اطيب الثناء

﴿ اغائة اللفان ، في حكم طلاق المضبان ﴾

تأليف الامام شيخ الاسلام ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الشيرازي قيم الجوزية وقد عني بتصحيحه ونمذج احاديثه وتعليق حواشيه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي صفحاته ٤٨ طبع بمطبعة المنار بمصر ويباع بمكتبة المنار بثلاثة قروش صحيحة

الطلاق من ضرورات الاجماع التي لا بد منها ، ولا مندوحة عنها ، وقد اعترف

كثيرون من عقلاء الفرنجة والامريكان بذلك ، بل ان بلاد امريكا اصبح الطلاق فيها اكثر شيوعا منه فى سائر البلاد الاسلاميه ، والسبب فى ذلك تفريطهم وافراطهم ، فقد احكموا فى الاول عقدة النكاح إحكاماً ، صبروا به حلها جناية وأثاماً ؛ وقد بالفوا فى الثانى فى حلها حتى صارت اوهمى من بيت الضكوت ؛

اما المسلمون فيرون الطلاق رخصة من الرخص التي يصار اليها عند الاضطراب كما ارشدهم الى ذلك دينهم ، وهكذا يكون شأن الامة الوسط : لا تفريط ولا افراط وهذه هي الخطة التي تحوم حولها القلوب ، وتهفو اليها النفوس ، لان تحريم الطلاق تحريماً قطعياً من الحرج الذي لا يطاق ولا تستقيم معه حال الاجتماع ، واباحته اباحة عامة من دون شرط ولا قيد من البت الحفل المفسد لنظام الاسر والبيوتات

ولقد يظن كثيرون من الفرنجة والمتفرنجين الذين ينظرون الى الاسلام بعيون خول ان الطلاق يقع بالكلمة تقذفها بادرة غضب فتصبح عقدة النكاح المحكمة مفككة محولة ، وتسمى الزوج التي لم تبين ذنباً اجنبية غير حليلة ، ويرون ان ذلك ليس مما يلثم مع الحكمة ، او يتفق مع المصلحة ، وقد يكونون معذورين فى هذا القول الذي يتفق مع اقوال كثير من الفقهاء ، ولو انهم اطلعوا على الكتاب الذي تقرظه اليوم لا آبوا معترفين للاسلام بأنه دين المدنية والفضيلة والامران

استهل الامام المؤلف كتابه بالحديث الشريف « لا طلاق ولا عتاق فى اغلاق » ثم بين معنى الاغلاق او الغلاق من كلام الأئمة وان معناه الغضب او من معانيه ثم طفق المؤلف يدلي بالحجة تلوا الحجة ويأتي بالدليل بعد الدليل من الكتاب والسنة والمأثور عن أئمة السلف الناطقة كلها بعدم وقوع طلاق الفضبان ، وأفاض المؤلف فى ذلك أياً افاضة شأنه فى كل الموضوعات التي كتب فيها ، ونصب ميزان التعارض وال ترجيح ، فأظهر أثابه الله الرغبة من اللبن الصريح . قال فى استدلاله من السنة على أن طلاق الفضبان لا يتم :

« فأما دلالة السنة فمن وجوه ^(١) احدها حديث عائشة المتقدم وهو قوله « لا طلاق ولا عتاق في اغلاق » وقد اختلف في الاغلاق فقال أهل الحجاز هو الا كراه ، وقال أهل العراق هو الغضب ، وقالت طائفة هو جمع الثلاث بكلمة واحدة ، حكى الاقوال الثلاثة صاحب كتاب مطالع الانوار ، وكان الذي فسر به بجمع الثلاث أخذ من التعليل وهو ان المطلق غلق طلاقه كما يفتق صاحب الدين ماعليه ، وهو من غلق الباب فكأنه أغلق على نفسه باب الرحمة بجمعه الثلاث فلم يحمل له الشارع ذلك ولم يملكه اياه رجعة به ، انما ملكه طلاقا يملك فيه الرجعة بعد الدخول وحجر عليه في وقته ووضعه وقدره فلم يملكه اياه في وقت الحيض ولا في وقت طهر جامعهما فيه ، ولم يملكه ان يبينها بغير عرض بعد الدخول فيكون قد غير صفة الكلام وهذا عند الجمهور ، فلو قال لها : أنت طالق طلقة لا رجعة لي فيها أو طلقة بائنة لذا ذلك وثبتت له الرجعة ، وكذلك لم يملكه جمع الثلاث في مرة واحدة بل حجر عليه في هذا وهذا وكان ذلك من حجة من لم يوقع الطلاق

(١) ذكر من وجوه دلالة السنة ثلاثة وبقي رابع وهو « الاعمال بالنية » الذي استدلل به البخاري على عدم وقوع طلاق الفضبان كما تقدم نقل عبارته وكلام ابن حجر في شرحها وقد أشار اليه في الوجه التاسع الآتي (ووجه خامس) وهو حديث ابن عباس مرفوعا « لا يمين في غضب » أخرجه ابن جرير والدارقطني كما حكاه قبل (ووجه سادس) وهو حديث « كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمفلوب على عقله » رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا وقال غريب ضعيف ، والمفلوب على عقله وإن فسر بالسكران إلا أنه يتناول الفضبان أيضا بل هو أولى كما ستراه للمصنف موضعا في الوجه الثاني من ترجمة (فصل واما آثار الصحابة)

المهرم ولا اثلاث بكلمة واحدة^(١) لانه طلاق محصور على صاحبه شرعا وحجر الشارع يمنع نفوذ التصرف وصحته كما يمنع نفوذ التصرف في النفوذ المالية فهذه حجة من أكثر من ثلاثين حجة ذكرناها على كلام وقوع الطلاق المحصور على المطلق فيه ،

والمقصود هاهنا ان هؤلاء فسروا الاغلاق بجمع الثلاث لكونه أطلق على نفسه باب الرحمة الذي لم يطلقه الله عليه الا في المرة الثالثة (وأما الآخرون) فقالوا الاغلاق مأخوذ من اغلاق الباب وهو ارتجائه واطباقه فالامر المغلق ضد الامر المنفرج والذي أطلق عليه الامر ضد الذي فرج له وفتح عليه فالمكره^(٢) الذي اكراه على امر ان لم يفعله والا حصل له من الضرر ما اكراه عليه - قد أطلق عليه باب القصد والارادة لما اكراه عليه فالاعلاق في حقه بمعنى اغلاق ابواب القصد والارادة له فلم يكن قلبه مفتحا لارادة القول والفعل الذي اكراه عليه ولا لاختيارها فليس مطلق^(٣) الارادة والاختيار بحيث ان شاء طلق وان شاء لم يطلق وان شاء تكلم وان شاء لم يتكلم بل اغلق عليه باب الارادة الا للذي قد اكراه عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن يعزم المسألة فان الله لا مكره له^(٤) » فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يفعل الا اذا شاء

(١) يرى الواقف على كتاب زاد المعاد واغاثة اللفان الكبرى واعلام الموقعين اداة ذلك وحججها سابعة الدليل واسعة الاطراف فمن اراد التوسع فعليه بمراجعتها وكلها للامام المؤلف مطبوعة بمحمد تقي متداولة (٢) مبتدأ خبره قد أطلق عليه الخ (٣) خبر ليس (٤) رواه البخاري عن أبي هريرة

بمخالف المكره الذي يفعل مالا يشاؤه فانه لا يقال يفعل ما يشاء الا اذا كان مطلق الدواعي وهو المختار ، واما من الزم بفعل معين فلا ، ولهذا يقال : المكره غير مختار ويجعل قسم المختار لا قسما منه ، ومن سباه مختارا فانه يعني ان له ارادة واختيارا بالقصد الثاني فانه يريد الخلاص من الشر ولا خلاص له الا بفعل ما أكره عليه فصار مريدا له بالقصد الثاني لا بالقصد الاول

والفضبان الذي يمنعه الفضب من معرفة ما يقول ويقصده فهذا من اعظم الاغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم والمجنون والسكران بل اسوء حالا من السكران لان السكران لا يقتل نفسه ولا يلقي ولده من علو والفضبان يفعل ذلك ، وهذا لا يتوجه فيه نزاع انه لا يقع طلاقه والحديث يتناول هذا القسم قطعا

وحينئذ فنقول الفضب ثلاثة اقسام^(١) (احدها) ان يحصل للانسان مبادئه واوائله بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه ويعلم ما يقول ويقصده فهذا لا اشكال في وقوع طلاقه وعقده وصحة عقوده ولا سيما اذا وقع منه ذلك بعد تردد فكره

(القسم الثاني) ان يبلغ به الفضب نهايته بحيث ينفاق عليه باب العلم

(١) بهذا التقسيم يرد على ابن المراتب حيث قال : الاغلاق خرج النفس وليس كل من وقع له فارق عقله ولو جاز عدم وقوع طلاق الفضبان لكان لكل أحد أن يقول فيما جناه كنت غضباناً ، قلله الحافظ في فتح الباري ووجه الرد أن الفضب ليس على اطلاقه كما فهمه والمرء يدئن في ذلك كما حققه المؤلف في الوجه الحادي عشر والرابع عشر ومواضع أخر

والارادة فلا يعلم مايقول ولا يريد فهدا لا يتوجه خلاف في عدم وقوع طلاقه كما تقدم والنضب قول العقل فاذا اغتال النضب عقله حتى لم يعلم مايقول فلا ريب انه لا ينفذ شيء من أقواله في هذه الحالة فان أقوال المكاف انما تنفذ مع علم القائل بصورها منه ومعناها واراذه للتكلم بها (فالاول) يخرج النائم والمجنون والمبرسم والسكران وهذا النضبان (والثاني) يخرج من تكلم باللفظ وهو لا يعلم معناه البتة فانه لا يلزم مقتضاه (والثالث) يخرج من تكلم به مكرها وان كان عالما بمعناه

(القسم الثالث) من توسط في النضبان (٢) بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته الى آخره بحيث صار كالمجنون فهذا موضع الخلاف ومحل النظر والادلة الشرعية تدل على عدم نفوذ طلاقه وعقده وعقوده التي يعتبر فيها الاختيار والرضا وهو فرع من الاغلاق كما فسر به الاثثة وقد ذكرنا دلالة الكتاب على ذلك من وجوه

(وأما دلالة السنة) فمن وجوه (أحدها) حديث عائشة وقد تقدم ذكر وجه دلالة

(الثاني) ما رواه احمد والحاكم في مستدركه من حديث عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر في غضب وكفارة كفارة يمين»^(١) وهو حديث صحيح وله طرق، وجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم ألغى وجوب الوفاء بالنذر اذا كان في حال الغضب

(١) رواه النسائي عن عمران ورواه الامام احمد واهل السنن عن عائشة

بلفظ: لا نذر في معصية. الخ

مع أن الله سبحانه وتعالى أثني على الموفين بالتذور وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناذر لاطاعة الله بالوفاء بنذره وقال «من نذر أن يطعم الله فليطعمه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه» (١) فإذا كان النذر الذي أثني الله على من أوفى به وأمر رسوله بالوفاء بما كان منه طاعة قد أثر الغضب في انعقاده لكون الغضبان لم يقصده وإنما حمله على بيانه الغضب فالطلاق بطريق الأولى والآخرى (فان قيل) فكيف رتب عليه كفارة اليمين (قيل) رتب الكفارة عليه لا يدل على ترتب موجب ومقتضاه عليه والكفارة لانستلزم التكليف ولهذا تجب في مال الصبي والمجنون اذا قتل صيدا أو غيره وتجب على قاتل الصيد ناسيا أو غفطاً وتجب على من وطئ في نهار رمضان ناسيا عند الأكثرين فلا يلزم من ترتب الكفارة اعتبار كلام الغضبان، وهذا هو الذي يسميه الشافعي نذر الطلق، ومنصوصه عدم وجوب الوفاء به اذا حلف به بل يخبر بينه وبين الكفارة وحكي له قول آخر بتعين الكفارة عينا، وقول آخر بتعين الوفاء به اذا حنث كما يلزمه الطلاق والمناق وهذا قول مالك وأشهر الروايتين عن أبي حنيفة

(الثالث) ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» (٢) ولولا أن الغضب يؤثر في قصده وعلمه لم ينه عن الحكم حال الغضب، وقد اختلف الفقهاء في صحة حكم الحاكم في حال غضبه على ثلاثة أقوال سند ذكرها بعد ان شاء الله .

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن عن عائشة

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الخير متفق عليه من حديث أبي بكر

والكتاب كله على هذا النمط من الايضاح والبيان، وقوة الدليل والبرهان، وفي آخره قصيدة عنوانها « المعلقة » للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي المشهور قلما انتصاراً لمذهب الامام، وقد نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء

* * *

﴿ فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ﴾

« ولعة في تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر »

تأليف مكس هرتس بك ناظر دار الآثار العربية، وترجمه بالعربية علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية . صفحاته ٣٣١ بالقطم الصغير ورسومه ٦٣ طبع بالمطبعة الاميرية بمصر

دار الآثار العربية هي القسم الأدنى من البناء المشيخر في باب الخلق، والقسم الاعلى خاص بدار الكتب، وهاتان الداران انشئتا حديثاً في مصري منذ ثلاثين سنة ونيف، ولا نريد بهذا البناء الجديد الذي قلنا اليه الآثار من عهد غير بعيد بل نريد المحتويات والآثار، ويسوئنا ان دار الآثار العربية لم تنشأ الا بعد أن عثت ايدي الاجانب بأكثر تلك الآثار، ونقلوها الى بلادهم من هذه الديار، ولولا أن المهندس سليمان المشهور رغب الى الخديو اسماعيل باشا بجمعها وانشاء دار لها وتحقيق هذا لرغبته لضاعت البقية الباقية من الآثار العربية التي نراها اليوم فالفضل في ذلك للطالب والمجيب

وقد اهدي اليها « فهرس مقتنيات دار الآثار العربية » فألفناه مرتباً ترتيباً جميلاً، مزينا بالرسوم الكثيرة، افنتحه المؤلف بكلام عن انشاء دار الآثار حقيرة وارتقاها في زمن قصير، ثم تقابل بما سيكون لها من الشأن العظيم، ثم أتى بخلاصة تاريخية للدول الاسلامية في مصر وما كانت عليه الصناعات في ايامها وذكر أن فن المعمار كان له المقام الاول في تلك الازمان . قال « لان البناءات الفخيمة (؟) التي ترونها اليوم فضلاً عن أنها تحدثنا بأزمان اقتضت هي من آثارها تشهد ان العبارة كانت الفن الاجل عند العرب وانها بلغت لديهم ما لم تبلغه عند الامم الغربية » وبلي ذلك الكلام عن الآثار الموجودة وبيان انواعها وتأريخها وغير ذلك من الفوائد فنثني على المؤلف والمترجم ثناء كثيراً

* * *

﴿ لجنة النور ﴾

خفت صوت الموسوس المغرور أحمد ميرزا غلام الذي سعى نفسه بالمسيح حيناً من الزمن قلنا فيه لعل ثاب الى رشده ، او رجع الى عقله ، فلم ان السخافات ليست مما يدوم الخداع فيها ، ثم حملت إلينا الانباء انه قضى نحبه ، ولقي ربه ، قلنا لقد استراح وأراح ، وما كنا نخال انه استخلف من بعده واحدا من ضغفاء العقول الذين استهوهم حتى حمل إلينا يريد الهند كتاباً بهذه طرته د لجنة النور — الى علماء العرب والشام والهنداد (١) والعراق والخراسان (٢) لتجري انهار الايقان والعرفان في ذروع الايمان ١١ وهذا الكتاب الذي ينشره خليفة ذلك الموسوس المغرور من وحي مستخفه يعرف القاري ما فيه من الخلط والخطأ والصلطة من طرته التي في اوله وقد قلناها بنصها . وفي الكتاب كثير من النفاق والدهان للانكليز شأن ذلك المسيح الكذوب في كل كتبه ، وقد كان يفعل هذا حتى لا يصدء الانكليز من دعوته ، ولا يحملوه عن نبذ الاحتفاظ بسخافته ، فما هذه النبوة التي يحتف بها النفاق والدهان ، وتعلم بالخلط والهديان ١١

امام غزالي

رسالة باللغة الثرية ذات ٩٩ صفحة كتبها رضا الدين افندي بن فخر الدين من جلة علماء روسيا النافعين ، وهي ترجمة حافلة للامام الغزالي رحمه الله تعالى ، وقد اثبت على صفحتها الاولى هذه الفقرة الحكيمة للامام الغزالي د استعقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر او الضلال لا يعرف ، فاي داع اكل واعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، واي كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين ، واياك أن تشتغل بخصامهم ، وتطعم في إغاثهم ، فتطعم في غير مطعم ، وتصوت في غير مسمع .

والرسالة تباع بمكتبة الشرق بأورنبورغ

الاسلام وسكوت

رسالة صفحاتها ٧٧ باقطة الصغير . تأليف الشيخ علي احمد الجرجاوي طبعها مؤلفها بمصر وجعل ثمنها ثلاثة قروش . وقد كتبها ردًا على مزاعم افتحارية للمستر سكوت في الدين الاسلامي في كتاب له كان يقرأ دروساً في مدارس الحكومة المصرية ! ثم قررت نظارة المعارف منع تدريسه اذنبها الصحف الى ذلك ، وليس بحبيب ان يلزم المسلمون بدراسة كتاب مظهر مطاعن في دينهم مادام المستر دانتوب راسخ القدم في نظارة المعارف ، بل العجيب كيف تمكن سعد باشا زغلول رجل المقدرة والعمل من القيام بالاصلاحات العظيمة في المعارف ومستر دانتوب مسيطر على كل ما يراد عمله فيها !

حياة اللغة العربية

مسامرة للشيخ السيد محمد الخضر بن الحسين من علماء جامع الزيتونة العاملين النافعين الذي يرى له القراء في (ص ١٢٠) من هذا الجزء قطعة من مسامرة (الحرية في الاسلام) وقد قسم مسامرة هذه الى اقسام منها « تأثير اللغة في الحياة الاجتماعية ، اطوار اللغة العربية ، تعدد اساليبها ، طريق اختصارها ، اتساع وضعها » الى غير ذلك . وهي في ست وخمسين صفحة مطبوعة على ورق جيد ، ويسرنا كثيراً أن نرى من اخواننا علماء تونس هذه النهضة العالية فهي خير ما يبعث النفوس على التفكير ، ويستفزها الى العمل ، ويسوئنا ان لا يضارعهم في ذلك الازهريون ، وسنشر في المنار فصلاً او فصولاً منها

مناسد شهادة الزور

كراسة صغيرة الحجم ، كبيرة الفائدة والنفع ، جمع فيها كاتبها صديقنا الشيخ احمد عمر المحمصاني الآيات والاحاديث الناطقة بفتح شهادة الزور وكونها من اكبر الكبائر ، وتقل اقوال ائمة الصحابة وجمهرة من الفقهاء فيها ، ثم عقد فصلاً لبيان « اضرار شهادة الزور في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية » وكل ذلك صريح في استنكارها

واستبارها ، ولو قتلها الجرائد العربية لا فادت أحسن فائدة ، وأثرت في كثير من القلوب القاسية

مفردات انكليزية وعربية

اهدانا عبده افندي عيد ناظر مدرسة الاتحاد الوطني بيولاقي نسخة من هذه الرسالة ورسالة اخرى في التعريفات الانكليزية وكتباها تأليف وهبه افندي عبده الله المدرس بمدرسة الاتحاد الوطني واهدانا مصورا (خريطة) للقطر المصري من رسم وهبه افندي ، والرسالتان جيدتا الطبع ، سهلتا المثال والوضع ، والمصور دقيق الرسم حسن التلوين فنثني على المهدي والمؤلف

ملكة جهنم

الكونت لاون تولستوي من مشهورى فلاسفة هذا العصر الذين كتبوا وافادوا ، ويمتاز تولستوي على كثير من الفلاسفة بكونه عمليا لا نظريا فقط ، وروح فلسفة تولستوي هي الرجوع بالناس الى سذاجة الفطرة ، وترغيبهم بالهدوء والآننى بل اسرف في ذلك حتى حث على احتمال الاهانة والاستخذاء للشر ، ومبادئ الرجل قريبة من مبادئ بعض متصوفة الاسلام . وقد ترجم له في هذه الآونة سليم افندي قبعين الضليع في اللغة الروسية والشهير بنقل آثاره الى العربية - قصة اسمها « ملكة جهنم » وجعل ثمنها اربعة قروش صحيحة وياحبذا لو اتبحت لنا مطالعتها لنكتب رأينا فيها

الجامعة

عاد فرح افندي انطون من امريكا الى هذه الديار واصدر مجلته منذ ثلاثة اشهر ، وقد جاءنا الجزء الاول والثاني من سننها السابعة فألفيناها حافلين بالمقالات النافعة ، والبحث المفيد ، مطبوعين طبعا نظيفا على ورق جيد ، وعدد صفحات كل جزء منها ٦٥ وقيمة اشراكها ٦٠ قرشا صحيحة في مصر . فترحب بالجامعة في حياتها الجديدة

الهداية

اصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة بهذا الاسم وجعل شعارها هذه الفقرة

(المارچ ۲۴م ۱۳) البراس ، المتقد ، العرفان . الكائنات . الفرائد . الاستاذ ۱۴۳

« مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية » وقد قال بعد ان ذكر الموضوعات التي تبحث فيها المجلة « هذه هي ابواب الهداية وقد يستغرق ما نعدده لعدة ابواب ما كان معدا من الفراغ لباب أو أكثر ، على اننا سنجد في الا نجلي جزءا من باب منها وسنصدرها شهرية في هذه السنة » وقد تصفحنا الجزأين اللذين صدرتا منها فاذا هما حاويان لاكثر الموضوعات الموعود بها فترجو للهداية انتشارا وشيوعا ، وصفحات الجزء من اجزائها ۷۲ وقيمة اشترا كما ستون قرشا صحيحا في مصر

البراس ، المتقد ، العرفان

حل الينا بريد سورية هذه المجلات الثلاث فاذا بهن قد خطون خطوات واسعة في الارتقاء بعد دخولهن في الطام الثاني من حياتهن : فموضوعات نافعة ، وادبيات واثمة ، وطبع جميل ، وورق صقيل . فترحب بهن و نرجو لهن فلاحا ونجاحا

الكائنات

مجلة ذات ۱۶ صفحة بالقطع الكبير لمنشأها « الارشمنديريت باسيلوس » و موضوع المجلة ديني تاريخي وتحتوي على رسوم لكثير من القسيسين وقيمة اشترا كما ۸۰ قرشا صحيحا في مصر

الفرائد

« مجلة علمية أدبية اجتماعية روائية » يصدرها في سان باولو (البرازيل) ابراهيم افندي شحاده فرح . تصفحنا الجزء الاول منها فاذا فيه مقالات مختصرة مفيدة فترحب بهذه المجلة ونرجو لها حياة طيبة

الاستاذ

مجلة يصدرها في بونس ايرس (الارجنتين) يوسف افندي خوري . جاءنا الجزء الاول منها يحتوي على فصول عمرانية ونبد سياسية فسررنا مرورا عظيما بهذه المجلة كما سررنا بمجلة الفرائد ، وصدور المجلات في الامة سواء في بلادها أو في دار هجرتها من أكبر دلائل حياتها العلمية ، فتني أطيب الشاء على اخواننا المهاجرين الذين يتوفرون على احياء لغتهم الشريفة في تلك الاصقاع النائية

المسلم

جريدة يومية سياسية مديرها اسماعيل بك حافظ وقد جعلها رئيس الحزب الوطني لسان حال حزبه بعد أن تنصل من جريدة اللواء ونفض يده منها . صدر منها إلى وقت كتابة هذه السطور بضعة أعداد قرأناها فإذا هي على نمط الجرائد الأخرى إلا أن طبعها أشد، وعسى أن تكون أكثر توفيقاً للخدمة العامة من اللواء فيأضي وقيمة اشترائها ١٨٠ قرشاً صحيحاً في القطر المصري

المناظر

عاد صاحب هذه الجريدة العاقلة صديقنا نعم افندي لبكي من البرازيل الى بلاده سورية واصدر في بيروت جريدته التي كان يصدرها هنالك . اصدرها بثماني صفحات مملوءة بالفوائد، ممتازة بالبحث النافع ، والمناظر في نظرها من أمثل الجرائد ان لم يكن امثلها ، يشارك غيره في كل ما تقوم به الجرائد ، ويمتاز بصراحته ورويته وإنصافه ، وبذل اشترائه في الخارج عشرون فرنكاً ، فنحت كل شفوف بقراءة الجرائد على الاشتراك فيه

العرب

جريدة عربية اسبوعية اصدرها في القسطنطينية محمد عبيد الله افندي مبعوث ازميز ، قرأنا مقدمتها فالفيناها محكمة الانشاء ، غالبية الاطراء ، وقد قال صاحبها إنه أنشأها لخدمة العرب ، ورأيناه يقول فيها « فنحن اذا اردنا أن نعين حقوق العرب بالنظر الى هذه الحقائق الراهنة قلنا ان حق العرب هو ايقاظ المسلمين وارشادهم » ويقول معرضاً فيمن يطالبون بحقوقهم السياسية من العرب في بلاد الدولة « هذا واني لا شك في عربية بعض المدعين الذين يظنون حقوق العرب عبارة عن وجود عضو منهم أو عضوين في الوزارة العثمانية وتوجيه بعض المناصب الى رجال منهم » فكان عبيد الله افندي يرى أنه ليس للعرب حقوق سياسية بته !! بل أن حقوقهم لا تتمدى ان يكون منهم واعظون ومرشدون ! فتتحدد العرب هذا الخادم الناصح فقد اشرع لهم طريق النجاح والفلاح !! وليترغوا بقوله « ان العرب هم الحاكون وان الترك هم الخادمون » فإنه من لحن القول ولذيذ الاحلام !

حسين وصفي رضا

بإسحاق بن عبد الله

رحلت صاحب المآر الى القسطنطينية

(٢)

ذكرت في النبذة الاولى التي كتبها لتشرني (ج ١١ م ١٢) فشرت في (ج ١٢ ص ٩٥٦) اني رحلت الى عاصمة الدولة للسي في أمرين عظيمين : إنشاء معهد علمي اسلامي ، وحسن التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين العرب والترك ، وأشرت الى مصادفته من الارتياح للعلمين كليهما عند وزارة حسين حلي باشا ولكن استقلت تلك الوزارة قبل ان يتم على يدها ما وعدتني به من المساعدة على إنشاء المعهد العلمي الاسلامي والناية باللغة العربية وأهلها . وكنت أظن ان وزارة ابراهيم حقي باشا تنجز ما كانت عزمت عليه وزارة حسين حلي باشا لوجود بعض أعضاء الوزارة الأولى في الثانية فكنت أراجع بعض هؤلاء الأعضاء فأسمع كلاما حسنا ووعودا جميلة وعناية شخصية بالدعوة الى الطام والسمر كما بقيت من الصدر الأول ولكن طال الامر على ذلك فرأيت أن أرفع أمر المساعدة على إنشاء المعهد الاسلامي لتخريج المرشدين الى الصدر الاعظم رئيس هذه الوزارة ففعلت ووجدت ان عنايته بالمشروع ليست دون عناية سلفه بل أعظم . نعم قال لي ان ما كان من السعي على عهد الوزارة السابقة قد ذهب بنهابها وانه ينظر في ذلك من جديد ولكنه مأرجأ ولا سوف بعد ذلك بل أحائي على شيخ الاسلام وناظر المعارف ووعدني وعدا جازما بتنفيذ ما يتفقان معي عليه وكنت قد مهدت السبيل الى ذلك امام هذين الركنين العظميين

لعلوم الدين والدنيا في الدولة فلما تقيتها بعد ان عهد الي واليهما الصدر الاعظم بالذاكرة شرحت المشروع لكل منهما فصادفت منها متهمى الاصفاء والارتياح كنت ذكرت المشروع لمولانا شيخ الاسلام بالاجمال فاهتم به وقال لا بد لنا من تخصيص ليلة للبحث التفصيلي فيه ثم انه دعاني الى الطعام والسر عندده قبل ان يعهد اليه الصدر الاعظم بالبحث معي في المشروع ثم تكلمنا في ذلك وافق ان قابلت الصدر يوم موعده دعوة الشيخ فأخبرني بما عهد اليه... وذكر ذلك بلفظ الرجاء... وكان الشيخ قد دعا في تلك الليلة خالص اقندي وكيل الدرس في المشيخة ليشاركنا في البحث . والمراد بوكيل الدرس مدير المدارس الدينية الذي ينظر في شئونها بالوكالة عن شيخ الاسلام الذي هو الرئيس العام لهذا القسم ولغيره من اقسام باب المشيخة . وقد كان سبق لي الاجتماع بوكيل الدرس اكثر من مرة فرأيت في مقدمة علماء الترك علما وفضلا وهمة ومروءة وسعة اطلاع في الآداب العربية بل لم أرى علماء العاصمة مثله في هذا ولما لقيته للمرة الاولى قال لي بعد التحية والثناء في حضرته الفاضلة بالعلماء : لا تقول في منارك كما قال ابو الطيب المتنبي

على لاحب لا يهتدي بمناره

بل قول ان منارك يهتدي به العالم الاسلامي كله . وقد ذكرت الآن ما تفضل به مولانا شيخ الاسلام عند ما لقيته أول مرة في المنار، قال رفع الله منار العلم والدين على يده ولسانه : إني أتمنى لو كان كل احد يعرف العربية ليقرا المنار . ولسان الشيخ حفظه الله قد عقل اللغة العربية بأقامته زمنا طويلا في بلاد اليمن ، وقد استنسخ منها كتباً نفيسة في العلوم الشرعية واللغة والتاريخ والادب لا يوجد لها نظير في الآستانة ولا في مصر فضلا عما دونهما من الامصار ، وله عناية عظيمة بنقائس الكتب فهو قد انفراد باطلاع لم يشاركه فيه احد ممن نعرف من علماء هذه البلاد ولا علماء مصر والشام كان بدء سمرنا بالفكاهات الادبية ثم انتقلنا الى البحث في المشروع فشرحت لها ولبن حضر السامر وسائله ومقاصده ، ومقدماته ونتائجها ، فرأيت الوجوه تندي تهللا ، والاسارير تشرق بشرا وسرورا ، ووافقني الشيخان حياهما الله تعالى ، وزادها انصافا وكالا ، علي كل رأي رأيته ، وكل اقتراح اقترحت ، حتى خرج مدرسة دار

العلم والارشاد» من دائرة المدارس التي تحت رياستهما بحيث لا تكون تحت ادارتهما ولا مراقبتهما، على اننا لانستقي في ذلك عن الاستشارة برأيهما المنير، والاستفادة من علمهما الغزير، ولكن بصفتهما الشخصية، لا مكانتهما الرسمية، ومن ثم وعدتهما باطلاع خالص افندي على نظام المدرسة الاداري وترتيب الدروس التي تقرأ فيها وعلى قانون الجمعية أيضا

وقد حدثني خالص افندي انه كان منذ سنين سمع من بعض فضلاء مسلمي روسية انني عازم على إنشاء هذه المدرسة الاسلامية العليا في مصر فسر بذلك سرورا عظيما ولما سافر الى الحجاز في آخر زمن الاستبداد عرج على مصر واداد أن يزورني متكررا ليتحدث معي في ذلك ولكنه بصر عن جنب بعين من عيون عبد الحميد « السلطان المخلوع » يتبعه أينما سار فكان هذا هو المانع له من الزيارة فهذه آية من آيات اغتباط هذا الاستاذ بهذا المشروع الذي هو خدمة عامة للاسلام والمسلمين قهوي رجاءنا في دوام مساعدته الثمينة له . واذكر له على سبيل الاستطراد خطين آخرين من أعلا الاخلاق ولا سيما للطاء وهما الإنصاف والشكر وأيتهما انني زرتة مرة فرأيتة ساخطا على ناظر الاوقاف خليل حماده باشا لتأخير اصلاح بعض المدارس التي يريد تنفيذ النظام الجديد للمدارس الدينية فيها ، فقلت له ان هذا الناظر يحب للاصلاح ولا يرضيه هذا التأخير وانا ذاهب الآن لمراجعته في ذلك وأضمن على همته ان يأمر في الحال بانجاز العمل . وقت من حضرته فركبت مركبة اوصلني الى نظارة الاوقاف وذاكرت ذلك الناظر الحازم في ذلك فأمر من ساعته بالاسراع بانجاز اصلاح تلك المدارس وبلغ المشيخة ذلك . واني لم أر خالص افندي بعد ذلك في مكان إلا وكان يشكر لي ذلك ويحدث به الناس قائلا ان فلانا قد ساعدني في مسألة المدارس مساعدة عظيمة ... وذكر هذا المولانا شيخ الاسلام وغيره . فما أتمن وأجل مساعدة من كان متخلقا بهذه الاخلاق ومتصفا بهذه الآداب !

ومن اطلع على حقيقة المشروع من أركان المشيخة الاسلامية الشيخان الجليلان ومن اصحاب الدرجة العليا في علماء العاصمة ولا سيما علم المنقول محمود أسعد

افندي ناظر الدفتر الخاقاني واسماعيل حقي افندي المناستري وموسى كاظم افندي كلاهما من الاعيان والمدرسين في المكاتب العالية - كل واحد من هؤلاء الاساطين قد اقرّ المشروع بل أعجب به كل الاعجاب فهو يعد من خير الاعوان والمساعدين عليه فان مشروعنا دينيا كهذا المشروع لا يمكن تنفيذه في عاصمة السلطنة والخلافة اذا كان رؤساء العلماء وأساطينهم معارضين له او غير راضين عنه

هؤلاء هم العلماء الاعلام الذين اسمعني التوفيق ببقائهم ومذاكرتهم في المشروع وصادفت عندهم من العناية والقبول فوق ما كنت اظن واكثرهم قد كلف ولاية الامور ورغبهم في إنفاذه في الوزارة السابقة والوزارة الحاضرة

وعنى ساعدني في هذا العمل بمجد وإخلاص الصديقان القاضلان احمد نعم بك بابان مدير المكاتب الرشدية بنظارة المعارف ويوسف ضياء بك في قلم الترجمة بنظارة الخارجية فهذا كان الترجمان بيني وبين الصدر الاعظم وغيره من الوزراء وله سعي آخر يشكر وان لم يذكر . واما احمد نعم بك فساعدته لا تقدر قيمتها ولا يستغنى عنها بسواها ، وان ما يرجى منه في المستقبل من المساعدة على التأسيس لأجل ما كبر مما كان في الماضي من المساعدة على التمهيد ، فأسأل الله عز وجل ان يكافي بكرمه وجوده جميع المساعدات ، ويوفقنا جميعا لخدمة الملة والدولة والدين ، ما له حيلة سوى حيلة العا جز إما توصل أو دعاء

وانني ابشر قراء المنار في جميع ارجاء العالم الاسلامي بانه سيشرع في شهر ربيع الاول ، الذي ولد فيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم ، بتأسيس مدرسة (دار العلم والارشاد) العالية التي يتربى فيها المرشدون الذين يقفون نفوسهم على خدمة الدين من الطريق الذي يجمع بينه وبين العلم والمدنية الصحيحة ويدفع عنه الشبهات بحيث يجمع المسلمون بين حقوق الروح والجسد وحسني الدنيا والآخرة وربما تنشر في الجزء الآتي نظام هذه المدرسة العليا . واسرع الآن بذكر شي منه: يتربى ويتعلم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة فهي تنفق عليهم لا يكفون طعاما ولا شرابا ، ولا لباسا ولا كتابا ، وما يشترط فيهم أن يكون لهم المام باللغة العربية والنحو والفقه ، وأن تكون سيرتهم حسنة في اخلاقهم

وأدائهم وعبادتهم . وسيكون من الشدة في المحافظة على الاخلاق والفضائل في المدرسة ان الكذب يكون موجبا للطرد منها . ويشترط فيها أيضا حفظ القرآن ولكن يتسامح في هذا الشرط الآن ويكون للمدرسة سنة تمهيدية لحفظ القرآن ولبعض العلوم والفنون التي تقرأ في المدارس الابتدائية . وإدارة المدرسة هي التي تختار هذا القسم الداخلي من طلاب المدرسة وتفضل بعضهم على بعض بالامتحان

اللغة العربية في البلاد العثمانية

وأما مسألة العناية باللغة العربية وقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعت لها سعيها منذ قدمت دار السلطنة فقد بلغني من الثقات أن رئيس الوزارة الحاضرة ابراهيم حقي باشا بقدرها قدرها ، ووعد بأن يهتم بها وانني لم اوفق الى مذاكرته في ذلك بنفسي ولكنني ذا كرت غيره من أولي الشأن

وقد ذكرت جريدة العرب التي نشرت حديثا في العاصمة انه قرر ان تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان وسمعت أكثر من واحد من الناس هنا يقولون ان هذا صحيح واستدل عليه بعضهم بوضع مبلغ من المال في ميزانية المعارف للسنة المالية القادمة لمعلمين للعربية وهو لا يدل عليه وانني متبع لهذه المسألة وواقف على أطوارها فقد كانت النظارة تذاكرت في توظيف عشرة معلمين ثم في خمسة عشر معلماً باللغة العربية ثم استقر الرأي على خمسة فقط سيجهد اليهم تعليم اللغة نفسها على اسهل الطرق الحديثة لصنفين من الناس احدهما بعض المرشحين للتعليم في المدارس وثانيهما بعض عمال الحكومة الذين يراد ارسالهم الى البلاد العربية لان الحكومة اقتضت بان من لا يعرف لغة قوم لا يستطيع ان يقيم العدل او النظام فيهم واكثر المرشحين لاعمالها من الترك الذين لا يعرفون العربية فهي تريد أن تعلم هذه اللغة لمن تريد ان ترسلهم الى البلاد العربية . نعم ان في تعليم هذه اللغة لطائفة من المرشحين للتعليم في نظارة المعارف تمهيدا لتعليمها على وجهها وقد كان تعليمها مقروا رسميا من زمن الاستبداد ولكنه لم يكن ينفذ بل كان ولا يزال يعهد إلى من لا علم لهم بهذه اللغة أن يكونوا مدرسين لها في مكاتب الدولة حتى في البلاد العربية فترى المعلم التركي او الاوطني يعلم النحو العربي لا بناء العرب باللغة التركية !!!

المدارس الدينية في الآستانة

تألفت في العام الماضي لجنة من العلماء للنظر والبحث في إصلاح التعليم في المدارس الدينية الإسلامية وقد رغب اليّ الصدر الأعظم لوزارة المأذنة أن أكون عضوا فيها وقال انه يكلم شيخ الاسلام في ذلك فاعتذرت لاسباب منها اني لم اكن اريد المكث في الآستانة اكثر من شهر . وقد أتمت هذه اللجنة عملها بهمة خالص افندي وكيل الدرس وكان من الاصلاح الجديد التوسم في اللغة العربية وفنونها وزيادة الفنون الرياضية والحكمة الطبيعية والتاريخ وتقوم البلدان . وقد سر أهل الآستانة سرورا عظيما بهذا الاصلاح . وقد احتفل بالشروع في هذا الاصلاح احتفالا حضره الصدر الأعظم وشيخ الاسلام وكثير من العلماء والوزراء والاعيان والمبعوثين فسال الله تعالى ان يوفق لانفاذه على وجهه المؤدي الى احياء علوم الدين والدنيا

الاسطول العثماني *

بالذي اجراك يارب الخزامى	بلفي (البوسفور) عن (مصر) السلاما
واجمي من كل روض زهرة	واجعلها لحاياتنا كما
وانشري رباك في ذاك الحمى	والتي الارض اذا جئت (الاماما)
ملك للشرق في ايامه	هبة الغرب نهوضا واعتزاما
أيها القائم بالامر لقد	قت في الناس فأحسنتم القياما
جرد الرأي فكم رأي اذا	سل في غمد النهي قل الحساما
وابت (الاسطول) ترمي دونه	قوة الله وراء وأماما
يسكلاً الشرق ويرعى بقعة	رفع الله بها (البيت الحراما)
وشغوراً هن أبهى منظرا	من ثغور الغيد يدين ابتساما
خصها الله بأفق مشرق	ضم في الآلاء (مصر) و (الشاما)
حي يامشرق أسطول الاولى	ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

(*) انشدنا محمد حافظ افندي ابراهيم لنفسه هذه القصيدة في الليلة الموسيقية التي احييت برعاية رؤف باشا المتعهد العثماني هنا ورياسة الامير محمد علي سليم ليخصص ريعها للاسطول العثماني

ملكوا البر فلما لم يسمع
 بجوار منشآت كالدمى
 كلما أوفت على أمواجه
 كان بالبحر إليها ظمأ
 فهي في السلم جوار تجتلي
 وهي في الحرب قضاء ساج
 ما هجوم الرجم من أبراجها
 من مراميها بأنكى موقعا
 وهي بركان اذا ما هاجها
 جبل النار لقد رعت الوردى
 أنت في البر بلا فاذا
 فأتقوا الطود مكينا راسيا
 هلت حربا فكانت حبة
 خافها العالم حتى أصبحت
 بهت المشرق من مرقده
 أيها الشرقي شمر لا تم
 وامتنع العزم جوادا للعلی
 واذا حاولت في الافق منى
 لا تضق ذرعا بما قال العدى
 سابق الغربي واسبق واعتصم
 جانب الاطماع وانهج نهجه
 طلبوا من علمهم أن يعجزوا
 وأرادوا منه أن يرفهم
 « قتل الانسان ما أكفره »
 أخرج الغيب الى أن بره

مجدم قالوا من البحر المراما
 اينما سارت صبا البحر وهاما
 سجد الموج خشوعا واحتشاما
 وعجيب يشتكي البحر الأواما
 تبهر العين رؤاه ونظاما
 يدع الحصن تلالا ورجاما
 اثر عفریت من الجن ترمى
 لا ولا أقوى مراسا وغراما
 هائج الشر عدا وخصاما
 أنت في حاليك لا ترعى ذماما
 ركب البحر غدا موتا وزواما
 واتقوا الطود اذا ما الطود هاما
 نذرا للموت يحتاج الاناما
 رسلا تحمل أمنا وسلاما
 بعد حين « جل » من يحيي العظاما
 واقض العجز فان الجدد قاما
 واجعل الحكمة للعزم زماما
 فاركب البرق ولا ترض الغماما
 رب ذي لب عن الحق تعامى
 بالمروءات وباللباس اعتصاما
 واجعل الرحمة والتقوى لزاما
 قادر الموت وأن يثنوا الحامما
 فوق هام الشهب في الغيب مقاما
 طاول الخلق في الكون وسامى
 سره بزا ولم ينخش انتقاما

قوة الرحمن زينا قوى وافضي في بني الشرق الوثاما
افرغني من كل صدر حقه املاً التاريخ والدنيا كلاما
اسأل الله الذي الهنا خدمة الاوطان شينا وغلاما
ان اوى في البحر والبر لنا في الوغى انداد (توجو) و (أوياما)

﴿ كتاب النصائح الكافية ، لمن يتولى معاوية ﴾

يلح علينا المتأخرون والمتأدون في هذا الكتاب من اهل متفقوره وجاوه بأن
نبدي رأينا فيه ويقولون في كتبهم اليانا انهم ينتظرون ذلك عاجلاً . ونحن بعضهم
أن ما كتب عنه على غلاف المجلة لنا وانه رأي غير مرجح فطلبوا ما هو أصح منه
وجوابنا للجميع أننا لم نجد فراغاً قرأ فيه الكتاب لبدي رأينا فيه وانا قد سافرنا
إلى دار السلطنة في أواخر رمضان لأجل خدمة الاسلام بما هو اجل واقع من
قراءة ذلك الكتاب وشغلنا بذلك عن كل شيء إلا كتابة ما لا بد منه للنار وان
ذلك التقرير أو الاعلان ليس لنا وانما هو كسائر الاعلانات التي تنشر على غلاف
المجلة يكتبها مدير مكتبة المنار وانا ننصح المختلفين أن يتقوا العدا واتباع الا هواء
لأجل اختلاف الآراء ، فتعادي المسلمين ذنب اكبر وأضر من جرح معاوية
وتعديله وكنا ننسئ أن سيكون لهذا التأليف فته عند ما أعلن المؤلف عزمه عليه
بعد أن وقع الخلاف هناك بينه وبين آخرين في لمن معاوية واستفتينا في المسألة
فأفتينا بعدم اللعن ، فان المؤلف يومئذ كتب اليانا يقول انه مخالف لنا فيما أفتينا به
وانه سيبين رأيه في كتاب حافل بوثقه وبطبعه . وأتذكر أنني كتبت اليه ان من
رأي أن لا يفعل ولكتي ما عادته ولا أعاديه لانه خالفتي في هذه المسألة وهو
لا يعاديني كذلك . وهذا هو الواجب على كل مسلم قهديننا عن التحاسد والتباغض
والتدابير وامرنا أن نكون اخوانا ، ولم يشترط المرشد الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم
في هذه الاوامر والنواهي أن نكون متقين في كل مسألة لان هذا من المحال . فافتوا
الله أيها المسلمون في انفسكم وليعذر بعضكم من يخالفه وان جادله فليجادله بالتي
هي احسن ولا يجمله اقل من اهل الكتاب الذين نهينا أن يجادلهم الا بالتي هي
أحسن الا اذا ظلموا بالحرب واقتال ، ولا كلام لنا مع اهل السف والطيش والضلال .

الى مشتركى المنار

كلمة شكوى

لقد رأينا من مطل كثير من المشتركين في السنين الاخيرة عجباً ! وأن كان قولنا يشمل كل بلد فيه مشتركون للمنار فانه موجه بنوع خاص الى مشتركى القطر التونسي الا قليلا منهم ، والى معظم مشتركى الجزائر . هؤلاء واولئك نكتب لهم في المجلة التذكير تلو التذكير فلا يبالون ولا يتذكرون ! حتى اننا في الآونة الاخيرة وضعنا لهم قفزة دائمة على غلاف المجلة ! وكتبنا لهم كتابات خاصة فيها بيان لما عليهم فلم يحقق أحد منهم لنا أملاً ! وما كنا نحسب أن قارئاً يقرأ المنار وكله عظات ونذر وحث على التأمي بأسلافنا الكرام بأعمالهم — يسبل عليه أن يكون من أهل اللي والمطل ، والأعراض عن التذكير بأداء الحقوق !

اننا نريد أهل هذين القطرين أن يكونوا متعمدين لهذا السكوت الطويل الذي لم نستطع له تأويلاً ، وحاشاهم أن يكونوا ممن يأكلون أموال الناس بالباطل وفيهم العلماء والقضاة والمحامون وكبار موظفي الحكومة ، هؤلاء هم عنوان ارقاء الامة وانموذج المجد فيها ، وانه ليسهل علينا ان نلمس لهم في كل يوم عذرا دون أن نريهم بمرجمات الظنون ، فسي أن يكونوا عند حسن ظنتنا بهم وأن تكون هذه القفزة أخرى كلمات الشكوى منهم ، وأن يكون ما بعدها أولى كلمات الشكر لهم !

واننا لنأسف أن يصبح مشتركو روسيا ممن يشتكى منهم وهم الذين لم يذكروا في الماضي الا بالشكر والثناء ! فقد مرت سنين ثلاث وكثيرون منهم لم يمشوا الى اداة المجلة بما عليهم ! هؤلاء هم الذين كنا نباهي بهم ونعد مساهمتهم الى اداء الحقوق عنوانا على احتفاظهم بكثير من الفضائل الاسلامية ، وقد يعز علينا أن يترزّل اعتقادنا فيهم فاننا بقنا في حيرة من امرهم ولا سيما بعد أن كتبنا لهم تذكريا في جريدة وقت ، التي تصدر في اورنبورغ مرتين فلم يزد ذلك اكثرهم الاعراضا وتناحرا !

وكذلك كانت الحال مع مشتركى جنوبي إفريقية والبرازيل والصين وبلاد فارس وفريق من مشتركى جاوة والهند وسنغافورة فلقد كتبنا اليهم مذكرين ميين لهم ما عليهم فلم تنفع الذ كرى الا الاقلين منهم .
ثم ما بال مشتركى السودان ارتضوا لا تقسمهم في العهد الاخير ما كنا نجلهم عنه ؟ فقد كانوا من افضل المشتركين وفاء ، وأحسنهم اداء ، حتى اتنا في السنين الماضية ما كنا نبعث لأحد منهم تذكري خاص ، بل كان من عادهم المبادرة الى الارسال في اول شهر من شهور السنة ، وكنا نعد من جملة الشواغل الكثيرة في الحرم التوقيع على حوالات مشتركى السودان ، ولكنهم في هذا العام وفي العام الماضي خالفوا سنتهم المحسودة ، فبعثنا اليهم بكتوبات خاصة مطالبين لهم بما عليهم فلم يستجب لنا الا القليلون !

اما مشتركى مصر فما زلنا نحمدهم على اعتدالهم فقد كانوا ولا يزالون على وتيرة واحدة : يتذكرون اذا ذكروا ، ويعطون اذا طولبوا ، ولكننا نشك من بعضهم ومن أهل الأقاليم ولا سيما مشتركى الوجه القبلي ومديرتي البحيرة والشرقية ومحافظات دمياط والسويس وبور سعيد ، فلقد مرت سنوات وهم لم يؤدوا الى المجلة حقاً ، فسي ان يكون لهم اسوة حسنة بأهل العاصمتين مصر والاسكندرية

واما مشتركى سورية وفلسطين فهم من احسن الناس وفاء ، واتنا نشكروا كلاء مدينتي الكلاية فانهم قد خدموا المنار أجل خدمة ، وعسى أن يكون مشتركى بيروت وطرابلس الشام وحصن الكراد وبغداد وجبل عامل ادوا ما عليهم للوكلاء ، ومن ليس لديهم وكلاء فليبعثوا الينا بما عليهم مباشرة فنكون لهم من الشاكرين هذا وان في كل ما ذكرناه من البلاد ناسا سباقين إلى الخيرات يبعثون بقيمة اشتراك كل سنة قبل دخولها ، قالى هو لا نوجه عاطر الشاء ، ونخصهم بالتقريظ والاطراء حسين وصفي رضا

(التاريخ الهجري الشمسي) طبعت الكراسة الاولى من هذا الجزء وبقي فيها

هذا التاريخ على ما كان عليه خطأ لأن سنة ١٢٨٥ تصيرت ودخلت سنة ١٢٨٦

الفصل السابع عشر (*)

(بين روح وروح)

أو

(بدء الوحي)

في « حراء » حدثت الحادثة الاولى من التأريخ الجديد الذي سنرى فيه بعل السيدة « خديجة » فائقا فراقا عظيما مدهشا : وهذه الحادثة العظمى التي هي مبدأ هذا التأريخ هي أن روح محمد (صلى الله عليه وسلم) اجتمع هناك في « حراء » بروح غير بشري وأبلغه هذا الروح الغريب رسالة شأنها عظيم

نحن في الفصل السابق ذكرنا من أمر الروح ما فيه كفاية ، ذكرنا فيه ما لعل القاري ينشرح به صدره الى القول بوجود موجودات ذات حياة على أنواع شتى ولا يشترط في بعضها أن تكون لها أشباح كالأشباح البشرية . وهذا قد سبقنا البشر كلهم الى القول به ولم يشذ عنه الا قليل وهم كاهن قائلون ان بين الروح الذي هو انسان وبين الارواح الاخرى اتصالات ، فأنا كاتب هذه السطور لست بمبتدع خبرا ليس له مثال بذكر هذه الحادثة التي قد يراها غريبة من يحبون التباعد عن الروحانيات ،

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

ومن يؤمنون بها أحيانا ويكفرون بها أحيانا من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون

هذه حادثة عظيمة في السيرة التي نحن آخذون بتحريرها ، ونحن مقتنعون بوقوعها ، ولا يدعونا الى استماع هواجس المنكر الا الحرص على القيام بحسن المرافقة . فان كان المنكر ينكر عالم الروح من حيث هو فالحق أن حيلتنا البيانية معه قليلة ، ولكني اظن أن محادثتنا اياه بهذه المسألة في الفصل السابق قد تجديده . وان كان ينكر العلاقة بين الروح الذي هو الانسان والأرواح الأخرى فليس لنا ما توسط به الى ابلاغه هذا المشد غير نفسه ، فليرجع اليها كثيراً وليدقق في حديثها جيداً . وان كان ينكر صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في تحديده بهذه الحادثة مع أنه لا ينكر وقوع مثلها لغيره فالخطب في مذاكرته سهل

كان « محمد » صادقاً شديداً الحرص على الصدق واشتهر منذ حداثة بلقب « الأمين » ، قد عرفنا صدقه كما عرف الناس شجاعة أناس من الشجعان ، وكرم أفراد من الكرماء ، وعلم جماعة من العلماء ، وكما عرف بنو اسرائيل صادق الانسان موسى الذي كان قد سمع الكلام الآلهي ، وظهرت له الارواح العلوية ، وكما عرف النصارى صادق الانسان عيسى الذي كان روحاً من الله ، وكما عرفوا صادق تلاميذه وأنصاره الذين حكوا حكاياته وبشوا بشارته

هذا الصادق الأمين رجع ذات يوم من حراء متفقاً اللون ، مرتجف الصدر ، يملوه اضطراب الوجل الحائر ، وخشوع الخبت الصابر ، فما وقع نظر السيدة « خديجة » عليه حتى عرفت أن أمراً عظيماً قد ألم به .

نفق لأول وهلة قلبها ، وساءت بسرعة البرق نفسها : ماذا أصاب حبيبي ؟ ما خطب ذلك القلب الذي لا تقزعه الرجال ، ولا تجزعه الأهوال ؟ ما بال ذلك الصدر المبسوط تنهيه الرجفات ، وما بال ذلك الطرف القريب تكاد تبادره العبرات ؟ رباه ، رباه ، ماذا أصاب حبيبي ؟ قل لي أيها الحبيب ما ذا أصابك ؟ حنانك قل لي ، قل لي !

— دُرُونِي . دُرُونِي

— لا صبر لي عن معرفة الأمر الآن فقصه عليّ
— بينما أنا في حراء إذ جاءني روح فقال لي اقرأ قلت له « ما أنا بقارىء »
فأخذني وغطني غطة (*) وقال لي « اقرأ » قلت « ما أنا بقارىء » ثم غطني الثانية وقال لي اقرأ فقلت « ما أنا بقارىء » . قال لي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * »

— ألم تسأله من أنت ، ومن جاء بك ، وماذا تريد مني ؟

— سمعته يقول أنا جبريل جئت ابلفك رسالة ربك

* *

هذه هي الأولى من الكلمات التي سمعها محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذلك الروح الذي ظهر له باسم جبريل وهو من النوع المسمى ملائكة والآن قد فتح لصاحب « حراء » بابان : باب حيرة جديدة وباب هدى ، فأما الحيرة فظاهرة يكاد يراها كل من سمع هذه الحادثة فإن ظهور الأرواح غير البشرية لأفراد النوع الانساني ليس من المألوف ، فإذا صادف أحد

(*) ضمني بشدة وضغط

الأفراد شيئاً من هذا القليل لا يقوى طبعه البشري لأول وهلة على تحمل مواجهته والانس به . كل واحد منا يعرف هذا من مفاجأة الأمور التي لم تكن تختر في باله مع أنها من الأمور التي تقع كثيراً فكيف الحال بالأمور التي وقوعها نادر إلى حد أن بعض الناس لا يصدق بوقوعها

انه ليخيل اليانا أن صاحب « حراء » قد دهش لما سمع صوت ذلك الروح يناديه « اقرأ » ، يخيل اليانا أنه قال في نفسه : رباه ما هذا الذي اسمع ؟ رباه ليس ههنا من بشر فهل يتكلم غير البشر ؟ رباه ماذا يراد بي ؟ اني أعلم اني في نقطة لاني منام ، واني اسمع كلاماً لا ريب فيه ، واني أحس بضائط يضططني ولا عهد لي بمثل هذا من قبل . رباه ان هذا أمر يدهش فكن اللهم عوني ، وخذ بيدي ، وثبت فؤادي ، وتقوّني على مواجهته اذا عاودني .

ثم انه ليخيل اليانا المفاجأة بذلك الروح مكذا كان يتناجى في نفسه ويتناجى ربه بمثل هذه الكلمات وهو ذاهب إلى خديجة فلما اقيها قال « دثروني دثروني » واختصر لها الحديث اختصاراً

دثرته « خديجة » وجعل المرق يتصبب منه . وقد عاوده الروح بعد ذلك . وقال له « يا أيها المدثر » قم فأنذر « وربك فكبر » وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * »

ان من مفاجأة بمثل هذا جدير بالحيرة وهذا ما أثرنا اليه هنا ولكن مع هذه المفاجأة قد أونس باسم ربه فكان هذا الاسم الجليل حرياً ان يكون دواء شافياً من تلك الحيرة وكافياً أن يفتح باب الهدى والطمأنينة

الروح «جبريل» يقول له أنا من عند ربك ، جئت أبلغك رسالته ،
جئت ألقى عليك وحيا من عنده ، وفي هذا الوحي الذي جاءه به مفتاح
لتلك المناق التي اشرنا اليها آنفا التي كانت تقف أمامه دائما.. في هذا الوحي
مبدأ ارشاد وتعريف له بربه خالق الانسان ، في هذا الوحي اهاية بفكره
لتناول معارف عليا ، وتعاليم عظمى ، في حقائق الوجود

كانت الحيرة تردفها الحيرة . وأما هذه الحيرة فان الهدى يردفها
لأن الضاية الالهية ظهرت أتم ظهور ، والعطاء الرباني سلّم جليا لتلك اليد
التي كانت مرفوعة في « حراء » تلقاء السماء

وكان أول معراج عرج بصاحب هذه اليد عليه الى تلك الحضرات
القدسية هو اعلامه علم اليقين بأرواح عالية تتكلم هي غير الارواح
الانسانية الحالية في هذه الصور البشرية وذلك بجمل واحد من هذه
الارواح واسطة بينه وبين مفيض الحياة والعلم والارادة

هذه عناية كبيرة جدا لم يروا تأريخ وقوع مثلها الا لقليلين : منهم النبي
ابراهيم ، والنبي موسى ، والنبي عيسى (عليهم السلام)

يقول له الروح «جبريل» «اقرأ باسم ربك الذي خلق» خلق الانسان
من علق «فهذا القول الرباني الجليل يصور له من النشأة المادية في خلق
الانسان صورة يتجلى فيها عظيم قدرة الباري المصور ، وعظيم ضعف
هذه الصورة البشرية لولا روح الله الممد لها

يقول له الروح «جبريل» «اقرأ وربك الاكرم» الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم « وهذا القول المجيد يصور له من النشأة الروحية
في كون الانسان صورة يدهش الالباب فيها عظيم صنع الله في ترقية

الانسان بواسطة قصبة لا يؤبه لها لدى النظر . نعم بواسطة قصبة نفي بها القلم كان الرقي العظيم العقلي لهذا الكائن الذي خصت العناية الازلية نوعه بمزيد خصائص

وغريب في الامر أن المواجه بهذا الخطاب لم يكن من ارباب البراعة بل كان أميا لا يعرف القراءة ولا الخط بالقلم فما معنى أن يكون أول وحي يوحى اليه هو الامر بالقراءة والتتويه بالقلم

لا بدع . لا بدع . ان معنى ذلك هو تكريم الله عز وجل على البشر باعطائهم آية أخرى يفقهون بها أنه قادر أن يعلم من لديه بغير ما عرفوا من الوسائط من شاء ما شاء إذا شاء . وأن يحمل غير القارىء قارئاً ولكن يقرئه بالروح صحفا ربانية قد أنزلها الله على قلوب البشر بأساليب شتى أجلاها وأعلامها هذا الاسلوب



ما أجل هذه العناية وما أجدر « خديجة » بالسرور الذي ليس فوقه بها ولكن هل عرفت هذا السر الرباني تماماً ؟ نعم كان قلبها القوي خليقاً أن لا يفرغ أمام هذه الحادثة التي هي غريبة في ظاهرها بيد أنها كانت محتاجة أن تطرق تفسير هذا السر وهذا المظهر الجديد من أبوابه



بقوت الحكمة من يشاؤون يكون الحكمة قد أتت
غيرا كبيرا وما يند صكر الا ابو الالباب

المجلد الثالث عشر
١٣١٥

فهم جادى الذين يستسبون القول فينبسبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر الاحد ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٨ - ١٠ ابريل (نيسان) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م)

فتاوى المتنبي

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج غالباً ورمزاً متأخراً لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا نلحق هذا . ولن
نفتي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا من صريح لا نغفاه

العمل بمخبر التفوق والتفرائف في الصوم والفطر

(ص ٢١) من السيد محمد بن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بالوزارة في (تونس)

سيدي الاخ الكريم والعلامة الجليل

حدث عندنا تناقض بسبب هلال الفطر (في رمضان الماضي) فان بعض البلاد التونسية
افطروا يوم الخميس الموافق لاربع عشر اكتوبر وحيث تأخر ورود حكم الروية على

١٨٨ العمل بنجر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر (المذارج ١٣م ١٣)

قاضي الحاضرة الي ما بعد عصر الخميس فان الاعلان بالفطر لاهالي مدينة تونس لم يقع الا مع غروب الشمس بحيث أنهم صاموا يوم العيد كله لان القواعد الشرعية التي عليها عمل فقهاء تونس لم تجوز للمسلمين بهذه البلاد ان يتصدوا ما يلزمهم من مشاهدة هلال الصوم والفطر على طريق التلغراف او التلفون لان التلغراف بيد غير المسلمين والتلفون يرد عليه « ان الصوت يشبه الصوت » كما ان « الخط يشبه الخط » ومن اجل هذا طلبنا لعلنا ان يلتصقوا لنا من وجوه الفقه ما يساعد على العمل بالتلغراف لا سيما وان الرية في التبليغ تنفي اذا جلت الاشعار بالروية في اطراف المملكة لا تكون الا بالطريقة الرسمية اي بواسطة تلغراف يرد من الحكومة المحلية اي الجهة التي شوهد فيها الهلال الى مركز الحكومة بتونس وان يكون المخاطب بالتلغراف مأموراً مسلماً كما ان المخاطب به من المسلمين

وعسى ان فضيلتكم تتوفق لتأمل في هذه المسألة المريضة وتشر لقراء المنار ما يبينهم على الاهتداء لحل عقابها سواء كان ذلك بتونس او بالبلاد الاخرى

(ج) اوسل هذا السؤال الى مصر ومنها اليها في القسطنطينية والمطلب عندنا في المسألة سهل لولا ان اكثر المسلمين صاروا لا يجيبون السهولة واليسر في الدين وهو من اصول الاسلام بنص الكتاب والسنة فالسنة في الشرع على ما يحصل به التصديق والاطمئنان من الاخبار او العلامات التي تدل على ثبوت اول الشهر وكل من التلغراف والتلفون طريق من طرق التصديق والاطمئنان وقد بينا ذلك في المنار غير مرة وقد اطلعنا في هذه الايام على فتوى في المسألة لشيخ الازهر وهو ابرع علماء المالكية واشهرهم بمصر واكثر أهل تونس من المالكية ف نحن نورد لهم الفتوى بنصها وهي :

« صاحب الفضيلة مولانا الاكبر شيخ الجامع الازهر حفظه الله

« اتشرف بان أقدم لكم دام النفع بسلامكم فيما يسأل عنه أهل السودان المالكيون وهو انه قد جرت المادة عندهم في هذه السنين ان يرسل اليهم بواسطة التلغراف من الديوان الخديوي باسم بعض رؤسائه انه قد ثبت شرعا ان اول رمضان يوم كذا وربما لم ير أحد منهم الهلال مع الصبح فتنهم من يعتمد على التلغراف و يصبح صائما ومنهم من يزعم ان الصوم منوط بروية الهلال فيصبح « نظرا واذا مضى بهد

(المار ج ٣ م ١٣) الصل بنجر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر ١٨٩

وصول الخبر اليهم ثلاثون يوما وبما لا يرى احد منهم هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو ولا ياتيهم فيها خبر بالتلغراف عما ثبت شرعا بمصر وايضا وبما كان حكم الحاكم المخالف بثبوت الصوم مبنيا على شهادة عدل واحد أو كان حكمه بالصوم مبنيا على رواية عدلين واذا لم ير هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لا يرى تكذيبها بل يرى تكيل العدد ثلاثين بعد رؤيتها هلال رمضان وكذلك حكمه بثبوت الصوم بناء على تمام شعبان الذي ثبت اوله برواية عدلين ولم ير غيرها هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين من منذ (٩) رؤيتها هلال شعبان وكل ذلك مخالف للمذهب المالكي فاذا يصنع أهل السودان في صومهم وافتارهم حتى يكون عملهم موافقا للشرع والحلال كما ذكر في السودان افيدونا مأجورين
كتبه الفقير اليه

ابو القاسم احمد هاشم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
قد نص قهاوتنا على ان يكون الصوم عند الحاكم وان لم يحكم بالفعل وحكمه بالثبوت كل منهما يوجب الصوم على كل من قل اليه سواء قل بعدلين أو جماعة مستفيضة ولو كان الناقل عدلا واحدا لأن هذا من الخبر الصادق لا الشهادة ولو كان المنقول اليهم ممن يمتنون بأمر الهلال

ونصوا ايضا على الاكتفاء في الثبوت بالامارات التي جرت العادة بها في اشهاد الثبوت كتطبيق القناديل الموقدة على المنار حيث جرت العادة انها لا توقد الا بعد الثبوت الشرعي وكضرب المدافع كما هي العادة عندنا بمصر ومن هذا القبيل ارسال الخبر في السلك التلغرافي بل هو في زماننا أدل وأقوى وعليه اعتمدت الملوك والحكام في تبليغ احكامهم ومخاطباتهم واقى الملأ بكفايته في ذلك وهو في ايامنا هذه لا يرسل الا بأذن الحاكم الشرعي باشهار حكمه في جميع الجهات فهو كرسول ارسله لتبليغ حكمه فيجب الصوم على كل من بلغه من أول رمضان كما يجب الفطر على من بلغه به ثبوت رواية هلال شوال ومن خالف بعد بلوغه بصوم وافتار فهو مخالف للحق

والصواب الذي اقي به العلماء ولا عبرة باختلاف المطالع على ما هو المذهب إلا أن يمد جداً كخراسان من الأندلس فإن كل قوم يعملون بما عندهم لا يجري عليهم حكم الآخرين كما حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه . واحتمال أن الحاكم المخالف بنى الحكم على رؤية شاهد واحد في القيم نادر جداً . وعلى فرض من حصوله وتحقيقه ففي المذهب قولان في لزوم الصوم وعدم لزومه يجوز العمل بكل منهما أو تقليد مذهب الحاكم والعمل عليه

د وأما البناء على تمام العدد من ابتداء رؤية العدلين ولو لم ير الهلال ليلة إحدى وثلاثين مع الصحو لكون المخالف لا يرى التكذيب فإن كان قد حكم بالفطر لزم الإفطار وإن كان لم يحكم إلا بثبوت الصوم برؤية العدلين فليس ذلك حكماً بالإفطار إلا أن يحكم حين الرؤية بموجب لزوم الصوم فيجب العمل به في الإفطار وإيضاً كما يجب العمل بكامل العدد إن كانت ليلة إحدى وثلاثين مفيدة . ومثل ذلك حكم بالصوم بكامل شعبان الذي ثبت أوله برؤية عدلين ولم ير غيرها هلال رمضان ليلة إحدى وثلاثين مع الصحو لكونه لا يرى التكذيب فيجب به الصوم قطماً أو كان قد حكم بموجب ثبوت أول شعبان حين حكمه بثبوته فإنه يتضمن الحكم باعتبار تمام العدد من ابتداء الرؤية

د وأما مسألة عدم رؤية هلال شوال مع الصحو ليلة إحدى وثلاثين مع عدم ورود خبر من مصر إليهم فاتهم يصومون يوم الحادي والثلاثين احتياطاً للخروج من العبادة . والغرض عدم الرؤية مع الصحو فإن كان غيماً كثفوا بكامل العدد وإذا جاءهم خبر الإفطار أثناء النهار افطروا ولهم أن يقلدوا الحاكم في مذهبه ويعملوا على الكمال دون التكذيب ويعملوا على رؤيتهم أن تباعد جداً كما سبق عن ابن عبد البر حكاية اتفاق أهل المذهب عليه والذي أراه أن الأيسر في مثل هذه الأمور تقليد مذهب الحاكم المخالف أو اعتبار الجهد جداً أن يتحقق والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير إليه تعالى

شيخ الجامع الأزهر

سلم البشري

﴿ رسالة النبي الى الناس كافة ﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (فاقوس)

حضرة الفاضل الاديب من شاع صيته في حل المشكلات صاحب الدراية
الامة الشيخ رشيد افندي رضا لازال مصدرا لتلك المضلات

مما ينهي فضيلتكم انه حصل في ناحية فاقوس البحث بين طائفة ممن يستون
في البحث عن امور الدين وتجهلوا في مسألة التبليغ وهل دعوة نبينا عليه السلام
بلغت الى كافة الاقاليم التي من ضمنها قارة امريكا لا ؟ وهل هذا الاسم كان
للك القارة قديما او حدث فيما بعد ؟

فقال بعض الحاضرين ان دعوة نبينا بلغت كافة الاثم مستندا الى قوله تعالى
له (وما ارسلناك الا كافة للناس) فعموم هذه الآية يشمل امريكا وغيرها من
كافة الاقاليم

وحيث انه عليه السلام مرسل لكافة الناس فيجب عليه تبليغ العموم ولا شك
انه عالم بكافة المرسل اليهم وان بدت جهاتهم

وقال البعض الآخر ان امريكا اكتشفت حديثا وانه لم يوجد تاريخ من
التواريخ يدل على ان احدا من الصحابة ذهب الى تلك الاقطار لتبليغ الدعوة وان
عدم اكتشاف القارة المذكورة في زمن المصطفى لا ينافي كون النبي صلى الله عليه
وسلم ارسل للناس كافة لأن حكمها كحكم من كان في جبل ولم تبلغه الدعوة في زمن
المصطفى وبلغته بعد وفاته فيكون ممن دخل في حكم الآية الشريفة

ولتقتنا بأن فضيلتكم ممن يعني بمثل هذه الامور نطلب كشف هذا الأمر
وتوضيحه على وجه قام ولكم مزيد الشكر .

علي محمد الصواف

الكاتب بمحكمة فاقوس

(ج) ليس الأمر بالشكل الذي يحتاج الى الايضاح فان بعثة نبينا صلى الله
عليه وآله وسلم الى الناس كافة أمر مجمع عليهم معلوم من ديننا بالضرورة ومن المعلوم

بالضرورة عقلا مؤيدا بالنقل ان تبليغ الدعوة للعرب كان بالتدريج وهم قومه وأهل
لغته وسكان بلاده فهل يمكن ان يكون مكلفا ان يبلغ البشر كلهم دعوته دفعة واحدة
ثم انه بلغ من يقرب من بلاده كالروم والفرس والقبط وما ارسل بلاغا الى أهل
الهند والصين ولا أهل اوربا وغيرهم من الامم التي كانت معروفة حتى يقع الاشكال
في أهل امريكا التي لم تكن معروفة وقد امره الله تعالى ان يقول (واوحى اليّ هذا
القرآن لاندركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة وتجب على
المسلمين دعوة من لم ينسح عمر النبي (ص) لدعوتهم وكذلك فعل السلف الصالحون
وقصر الخلف الظالمون

﴿ طريقة الشاذلية الدرقاوية ﴾

(س ٢٣) من السيد مصطفى منصور في (السلية: دسوق)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوكم أن تفيدنا عن الفتوى الآتية :
انتشر عندنا وفي أنحاء البلاد طريق من طرق الصوفية وسمي طريقة الشاذلية
الدرقاوية نسبة الى مولاي العربي الدرقاوي وهذه الطريقة من شعائرها الاجتماع
صباحاً ومساءً على تلاوة الاوراد والاذكار الا ان من اعمالهم في حال الذكرك من
قيام التأوه بقولهم (آه آه) معتقدين ان هذه الكلمة اسم من اسماء الله تعالى
وقد رفع هذا السؤال الى حضرة الشيخ عبد العزيز جاويز فانكر ذلك في
لواء يوم ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ قائلًا بأنه ليس من أسماء الله تعالى ولم يرد في
كتاب ولا في سنة صحيحة واسماء الله توقفية وليس لله الا الاسماء الحسني وسفه
رأي القائلين بأنه من اسماء الله

فرد عليه اخذ شيخ تلك الطريقة الاستاذ الشيخ محمد حجابي بقوله انه من
اسماء الله تعالى مستندا في ذلك على حديث وارد في الجامع الصغير في حرف الدال
(خ) البخاري و (ت) الترمذي عن أبي هريرة قال الشارح الفريري وكذا رواه

مسلم (دعوه) أي المريض (يُن) أي يقول (آه) (فإن الاثنين اسم من أسماء الله تعالى يسترجع إليه الطليل) وسبب هذا الحديث كما في الكبير عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا مريض يُن فقلنا له اسكت فقال (دعوه) الخ رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن عائشة وهذا الحديث مرتبه الحسن كما قال بذلك سيدي محمد السمراني الشهير بالواعظ ومستندا في ذلك أيضا بما كتبه الباجوري والامير كلاهما على جوهرة اللقاني عند قوله «حتى الاثنين في المرض كما قل» وقال وأما دعوى الشيخ جايوش بأن ليس لله إلا الأسماء الحسنی فردود باجماع المسلمين على أن لله أسماء كثيرة غيرها منها الرب وهو وارد في القرآن في مواضع كثيرة ومنها ملك وهو وارد في القرآن عند قوله تعالى (عند ملك مقتدر) ومنها الختان والمانان وستار وسيد وكلها ثابتة بالسنة وما يؤخذ من حديث «إن لله تسعا وتسعين اسما» لا يفيد الحصر وحيث أننا في حاجة إلى بيان ما عليه هذه الطائفة فلتس منكم الفتوى الشرعية في ذلك جعلكم الله منارا للحق ونبراسا للهدى

(ج) ظهرت الطريقة الدرقاوية في أوائل هذا القرن في بلاد سورية اخذها خلق كثير عن شيخ مغربي كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلل والانحاد وبعض المكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا إباحين وجعلوا شيخهم على نور الدين الشرطي ماثرا هذه الضلالات كلها ولكنني رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه بريء من كل ما خالفوا الشرع فيه ومن هؤلاء المبرزين له شيخنا الشيخ محمد القاروقجي الشهير وقد نشر هذه الطريقة في طرابلس الشام الشيخ نجيب الحفار أحد علمائها المشهورين فلم يزل من تلاميذه من الفسق ولم نسمع عنه أو عنهم القول بالحلل والانحاد فالظاهر أن هذه الطريقة كغيرها من الطرائق المشهورة يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لتشرها فإن كانوا جاهلين ضالين أضلوا العامة بها وإن كانوا على علم وهدى فعمروا من يثني اليهم

(المجلد الثالث عشر) (٢٥) (المجلد الثالث عشر)

بقدر ما يصل إليه علمهم واخلاصهم . وقلا تسلط طريقة في هذا العصر من البدع ، وبعض الشر أهون من بعض ، والشيوخ هم المدة . والذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل كما يتنا ذلك من قبل ، على أن الخطب فيه سهل

﴿ الوصية المنامية المكذوبة ﴾

(م ٢٤) من صاحب الامضاء في (دمشق الشام)

حضرة الاستاذ الكامل «السيد رشيد رضا» رافع «منار» الحقيقة في الاسلام

وعاك الله

ماقول الاستاذ الرشيد ؟ في الشيخ احمد الداعي نفسه ؛ - خادم الحرم الشريف - وما يذبحه في أنحاء البلاد الاسلامية في كل سنة منذ بضع سنين غير قليلة - من الرسائل التي يدعي بها كل مرة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤى الشبيهة بالوحي !! وغضا يروي الوصايا الجملة التي يرى فيها المطلع عليها من الانباء الممين وقوعها من زمن مخصوص ! والمضيق أمرها عن الخلق ! واستقاطه فروضاً من الدين عن كاتب وصيته أو مستأجرها وغفر ذنوبه و... !! وإتيانه على لمن من لم يصدقها ويؤمن بها !! الى غير ذلك من القذائع باسم الدين كما يتضح لكم ذلك في رسالته هذه الاخيرة التي بعثنا بها اليكم : افيدونا ذلك أدامكم الله نجما للهداية ورجاء لارباب النوايا وسيفا قاطعا لرقاب المتدعين وكهفا للمستهدين والسلام عليكم

ياسين قضائي

(ج) أتدكر انني رأيت في صغري وصية مثل هذه الوصية ارسلت الى والدي رحمه الله تعالى وقد سألت بعض الحجازيين هنا في (القسطنطينية) عن الشيخ احمد الذي ينشر هذه الوصية منذ عشرات من السنين فلم يعرفه أحد ويجوز ان يكون منشور الوصية الاولى قد مات وان الذين ينشرونها في هذه السنين قد أعجبهم ذلك فهم يعيدونه بتصريف فيه معزو الى اسم الشيخ احمد . وهذه الوصية ينطبق بعضها

على الشرع دون بعضها الآخر وعندنا من كتاب الله وصحيح احاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يفي عن وصايا الروي إن صدق الراي فيها فكيف اذا قام الدليل على عدم صدقه كدعي هذه الرويا التي تشهد بخالفة بعض ما فيها للثابت من الشرع وغلط أفاظها على براءة الرسول (ص) منها

الكبريت المسوكر

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في (فوه)

سيدي حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني صاحب مجلة المنار الفراء

بعد السلام والتحية نبدي لتفضيلكم انه الآن حصل خلاف بين بعض علماء بندر فوه بخصوص مسألة الكبريت ولا سيما المسوكر فمنهم من قال بنجاسته وان الحامل لشيء منه لا تصح صلاته ومنهم من قال بطهارته وقد انضم لكل من هؤلاء احزاب وضاعت الحقيقة بين الطرفين . نتمس الافادة ولسيادتكم من الامة الاسلامية مزيد الشكر والثناء . امين صندوق جمعية الاصلاح بفوه محمد عبد الحميد

(ج) بينا غير مرة في المنار ان النجس هو الشيء القدر الشديد القذارة والذي يؤخذ من مجموع كلام فقهاء المذاهب ان الشيء المتنجس يظهر بما يزيل القذارة كالماء والنار والشمس والديج والاستحالة . وكل ما قالوه في ذلك حق ومجموعه هو حكم الشرع في طهارة المتنجس وان كان بعضهم لا يعترف بما يخالفه به الآخر ولا يلتفت الى دليله فيه لانه مقلد . والكبريت ليس قدرا في نفسه ولا نعلم ان فيه شيئا من الاقدار النجسة . وسمعت بعض الناس يقول انه نجس لان فيه شيئا من مادة السيرتو او الكحول وقد بينا من قبل في المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦ م ٤) ان الكحول او السيرتو لا يقوم دليل على نجاسته . والحاصل ان الاصل في الاشياء الطهارة لاسيما اذا كانت لا قذارة فيها

ولم يقم في الكبريت دليل يقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقعهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتنب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لأجل إغاثتنا وإخراجنا فكتاب الله حكم يتنا وبينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذه الكلمة العربية مرتين او مرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي قصا لا تشفع له هذه المزية ولا أضافها من المزايا لو وجدت وهو ان معرفته لا تكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صغرها تقرأ على وجوه كثيرة

مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ

مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ

على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللفة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والغم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمها فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ ولك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعنده ذلك ستة تضربها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالجُمُوع زهاء ٤٠٠ صورة .١ ويكفي في الخلال ان تشبه الكلمة بوجهين فقط كالتنخب بكسر الخاء وفتحها بأن لا يخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

ترتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبتها عرضة للغلط والتعريف وكون قرائها كثيري الغلط واللحن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فما بالك بغير العلماء .١ ولولا هذا الصيب في خطنا لكان اكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قومي اللسان بهذه اللغة وان لم تعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المطابع ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم؟ وفي هذا الخط عيب آخر ضار وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتعريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لا يوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة وإطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اشدى بعض الاذكياء من أوائلنا الى هذين الصيغتين في خطنا فوضعوا النقط للفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لالحن فيها ولا غلط . ولكن هذين العلاجين لم يشفيا العلة ولم يرويا الغلة . فاما النقط فمع التزام اكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعمد تقرأ قافا وتغطي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسبب ما قرىء القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يوثق الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشبه الكلمة بكلمة اخرى ولا سيما في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها بيرة دقيقة وهي الباء والتاء والتاء والنون والياء فكلمة يني من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لتغطي النون والباء «يني» من الإبناء . وبمثل ذلك تشبه الانباء بالانباء وعلى ذلك نفس

واما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيرتب على ذلك الخطأ القطعي او الاشتباه وكلاهما شر . وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بمحروف كبيرة ومرة بمحروف دقيقة جدا ولذلك تركه الناس في غير المصاحف الا قليلا . وهو يسر في الطبع كما يسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة ، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل او يزول في اثناء الطبع ، وقلا تجد نساخا يضبط لك شكل كتاب ينسخه لك فيجيء صحيحا ، واندر من ذلك من يستطيع ان يشكل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لا يقدر عليه الا المتكثرون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه باقراثن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

اذا أصلح الخط العربي بكتابه مضبوطة غير متشابهة الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بمحروفهم لانهم يتعلمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن ، ومزيدا في ثروتهم لانهم لا ينتقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ما ينتقونه الآن ، ويكون سببا لسرعة اوراقهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه . وبذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتعني به آدابهم وفضائلهم ويؤمنون من نزغات الالحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روائعهم الاجتماعية وتفسد آدابهم المالية فينشئ فيهم الفسق والخيانة اذ لا يكون لهم هم الا في الاستكثار من المال لأجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم .

إن المسلم الذي لا يفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا ، كنت في مجلس فرأيت أحدا الضباط الشبان يحادث طيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يجب أن يراه متدينا مع ثقته بالعلوم العالية وأصل هذا الدين وأساسه القرآن ، (قال) وهو كتاب لم

أر مثله كتابا د ككا مصطفا يسرع الملل الى قارته ١١١ قال لي الطيب يقول هذا هو لا يفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهم صحيحا ! قلت له ان هذا أحد السببين في ماله من القرآن ، والسبب الثاني هو كفره المادي التقليدي الذي يجب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكراهة اليه الايمان والعمل الصالح ، ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي مؤمن ولا كافر فهما كان حظ العربي من اللغة ضعيفا يفهم في الجملة عاؤ القرآن على سائر الكلام . قال الدكتور شبلي شميل وهو فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وإن أك قد كفرت بدينه هل أكرن بمحكم الآيات

أو ما حوت في ناصع الانفاظ من حجج روادع قلهوى وعظاات

وشرائع لو أنهم عقلا بها ما قيدوا الصرمان بالعادات

وأثبت الأستاذ جبر صومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية يوت في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلافته وأسلوبه ، وما يؤثر عن مشركي العرب البلاء في ذلك مشهور لا محل لشرحه هنا وانما نقول ان اشهر وصف وُصف به القرآن هو كونه لا تمل تلاوته « ولا يخلق عند أهل التلاوة كثرة التريد » ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيقته والاجر على تلاوته هو السبب في عدم الملل فانا نعتقد حقة الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارسها ولكننا اذا قرأنا صحيح البخاري كما قرأ القرآن دائما على قاعدي الايام والسنين نمل من قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن . والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم والاحكام والقصص والامثال والعظاات والبيانات ووصف محاسن المخلوقات وسنن الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان - مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما يثبت ذلك في العقيدة التي وضعتها للتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراذ لانه على أن الجمل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يجهل طريق الاحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كعيد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي
يبت فيها هذا الفكر ليقتنع به قراءها ومأم بالذين يقتنعون

ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكاء المسلمين من العرب والترك واذكاء
نصارى العرب من السوريين قد فكر وافي مسألة اصلاح الخط العربي في أواخر القرن
الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في أيام الطلب على حروف
رسما بعض الاذكاء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون الحرف عدة
أشكال مع حفظ صورته الأصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطعم عليه من الباحثين وبجئت
بجدة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف
اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذا كوني
مخطئة - ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون . وقد تصدى بعض الافرنج
كالانكليزي ويغور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار
اللغة العامية على اللغة الفصيحة ويرى المطلعون على المجلد الاول من المئارج مقالا
طويلا منشورا في موضعين (ص ١٠١ و ١٢٠) في مقاومة هذا الرأي عنوانه (خدمة جديدة
على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية
قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه
الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك . ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة
هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أفتقوا في سبيله جميع
مافي اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكاء بغداد خطا جديدا هو أمثل من
الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يحفل به
أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط
الذي هو من مقوماتهم المالية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولا سيما اذا كان
التفسير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من
الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج

فا كرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قاه لي انا فكرنا في هذه المسألة من قبل وتذا كرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب اصلاح خطنا ليقراء صحيحا كل قاري . فلن ضرر هذا الخط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب نلثرت بعض المواقع وضبط اعيانها مطاهاها وطرقها وقرأها فيكتبون لنا اسماء لاقرأها صحيحة وقد يكون القاط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحرية أول من يستعمل الخط المضبوط في جغرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والأدبي ولا يبيح علينا المتعصين من العلماء لكل قديم . ولكن لم يكدر ينشر بين الناس خبر هذا كرتنا في ذلك حتي لفظ به الناس وعنده جناية على الاسلام وبلغني ان بعضهم قال نحن لا نكتب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاهم بالدين ولكن نكتب على احمد مختار باشا (او قال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين . ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لا يمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لابد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتي ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لا يمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين ما لم يفته في ذلك شيخ الاسلام »

هذا . واتي في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشبه بعضها بعض ولو بالتلفيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق المعسر . وكان بعض المفكرين من النفوس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن مقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات وممايب ولم يرضاها اكثر المطالعين عليها ولا جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطبيب اسماعيل حتي افندي الميلاسي فرأيتة مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف الكلمة لأنه يرسم بتغييرها فيها وازاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لا مثل له في العربية . وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاء الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه عطل أنعري فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت هنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنؤط في المفاضلة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لفهم تتأدى بها أداء صحيحا لأن حروفهم وأصواتهم عين حروفها وأصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم . وخالفهم الا كثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعدهم عن الاسلام والحروف العربية أقربهم منه وقد نفذ رأي الاكثرين بعد ان اتصروا لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يعلمون لفهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية . وقد ذكرت اسماعيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجع عنكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لا صعوبة في ذلك عندهم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريرها . فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلامي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يتبعونهم فيه هذا ملخص ما أتدكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه ورجي قبوله

ولكن قويت الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحاً يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة، وشكلها المعروفة، أو ما يقرب منها، ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للتعليمين، ولا الى ابطال كتب السابقين، ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتعريف والتصحيح والفظ الكثير، من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرّة، وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من مسهلاته مع قلة النقطة. وانا نشير الى ذلك بالايجاز ثم نشرحه عند ما ييسر لنا سبك حروف جديدة له عند هودتنا الى مصر الا أن فيه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك الثمّن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيجبوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمده لهم ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لايمّ الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حداثها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا ما شابه بغيره منها وكان الميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير أو تغيير قليل لا يخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولا يكتفى بالتمييز بالنقط. وذلك ان تكون الباء دائماً هكذا (ب) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنّها تكون من الاسفل كما رسم في خط الثلث (ت) والثاء والنون والياء هكذا دائماً (ث، ن، ي) والجم هكذا (ج) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسر ان منها الاذان كضامي الزاوية أو تجعل كثلث هكذا (ح) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر. ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتب بها المغاربة اي بزيادة شخوب فيكون قريباً من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولا يشبه بذلك على أحد. ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (س، ز) وبين السين والشين كذلك يجعلهما هكذا (س، ش) - وبين الصاد والضاد هكذا (ص، ض) وبين الطاء والظاء بجعل عمود أحدهما معقوفاً كما رسم في الخط الديواني - وبين العين والفين بجعل أحدهما ذات شخوب كما رسم في

الخط الثالث أحيانا - وبين الفاء والقاف هكذا (ف ، ق) ولا بأس بجعل نقطة القاف من الأسفل ونقطة واحدة للقاف من الأعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف هكذا (ك ، ل ، م ، ن ، ه ، و) والرسم الثاني لها ينحصر بالمشاركة بين الاء الهاء . وهمزة الوصل تكتب ألفا بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (أ) وهمزة المقطع هكذا (ا) والممدودة هكذا (آ) وأما ألف المد فيبقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة الوصل ذات علامة والاعطناه هكذا (ل) وواو المد يكون هكذا (و) وياء المد هكذا (ي)

هذا ما نكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار ونرجي التفصيل وبيان الجزئيات الى ان تسبك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الاء فيمكن ان يستقي فيه من علامة الفتح لانه هو الأكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا الآن (ء) ويفرق بينهما بكيفية وضما هكذا (و - ء) واذا كان الحرف منونا نوضع مزدوجة هكذا (و - ء) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى إما العلامة المشهورة وإما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات المصرية مكررة مرتين فقط (::) وعلامة السكون المشهورة في شكلنا نجعل كبيرة وتبقى على حالها . وأما الحرف المشدد فلما أن نبقى له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا وأما ان نكتبه مرتين كما هو الأصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزا مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والمسابك ليعثوا فيه ولهم ان يختاروا بعض الاشكال والشكول على بعض ولكن لا ينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلط العظيم والله الموفق

اطوار اللغة العربية (*)

لم يأت الباحثون عن مبدأ اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه، على ان اختلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعالى او البشر مما لا ترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احد المذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسألة في علم الاصول من الفضول، وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغييرها الى فساد في احكام الشريعة كسمية الثوب فرسا والفرس ثوباً يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيتمتع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعالى وان ثبت بالحجة القاطنة لا يقتضي الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

وأقصى ما ثبت في التأريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرم الأولى ووبار وغيرها وقد اقترنت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة أشعاراً كثيرة ونسبها الى عاد وثمود، ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان الكلداني لسان اهل العراق الاصليين واول من اعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان وبعد ان نشأت منها الحيرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام، ثم انحدرت في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض ويضعون الاسماء بحسب ما يحدث من

(*) بقلم الشيخ محمد الحضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامعة الزيتونة بتونس في مساهمته « حياة اللغة العربية »

المعاني إلى أن ظهرت اللغة في كامل حسنها وبيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير يبلغ
وبذلك على عنايتهم بأمر الفصاحة ما وصل إليها من نتائج أفكارهم وبدائع
خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة أذ يندوت عليها في موسم الحج
ويقيمون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة أيام يتناشدون ما وضعوه من الشعر
ويتناخرون بمجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في
وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات أشعارهم ، وكان بعضهم يهدد بعضا
بنظم الهجاء وتسييره في ذنوبك الموضعين قال أمية بن خلف يهدد حسان رضي الله عنه
ألا من مبلغ حسان عني منظلة تذب إلى عكاظ

وقال حسان في جوابه

أتاني عن أمية زور قول وما هو في الخيب بذي حفاظ
سأشعر أن بقيت له كلاما ينشر في المجنة مع عكاظ

ومن شواهد هذا أن الحارث بن حلزة الإشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي
بوضع (برص) ومن أجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر إليه ويأبى أن
يستمع إلى خطابه إلا من وراء ستار ، فدخل عليه يوما وأنشدين يديه قصيدته الممدودة
في المطلات

آذنتنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وتعرض فيها إلى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهت عمرا برائم نظمها
واستولت على له يسحر يانها فأخذته هزة وارتياح ولم يتمالك أن امر يرفع الستار
ما بينهما

واقترضت غاية العرب لذلك المهد بالأبداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة
أن ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما أنزل عليه من القرآن ، كما جاء
عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بأذن الله لما أرسل إلى
قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ، وكما بعث موسى عليه السلام إلى أمة انتهى
السحر فيها إلى غاية فأتاهم في مقام المعجزة بأبداع ما يكون في قلب الأعيان وإرادتها
في غير صورتها الأولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فتمت عروقتها واثمرت غصونها بالوان مختلفة من الاساليب ومن ماثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت اشدها واخذت زخرفها امور ثلاثة : أحدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك القول فانه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للمصحاء قاطبة وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة وافق كبرا وهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة اللوق وجودة القرينة

ومن النحاة من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعدم القياس عابها كما قصروا حذف حرف المصدر ورفع المضارع بعده على السماع بعد ان اوردوا في مثاله قوله تعالى « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » الآية . ولا أدري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بأنه صاحب البلاغة التي ليس وراءها مطلع ، وإنا لنعلم قولهم في أصول العربية أن ما قل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القياس عليه وان وجد ما يعارضه في القياس يوقف على السماع فنسلم لهم اجراء هذه القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيع السقيم عن القصد فيحرفون الكلمة عن اصل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في كتاب الله الذي أخرس بفصاحته لسان كل منطبق

ثانيها ما تفجر في اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من يتابع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمثانة والابانة عن الغرض بدون تكلف: روي ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في احياء العرب فما رأيت احدا أفصح منك يا رسول الله قال « وما يعني وانا قرشي وارضعت في بني سعد وبنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قريش »

وانما اغفى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يثبتون في قله على المعنى ولو تحقق أهل العربية

من رواية حديث بلفظه كالأحاديث المنقولة للاستشهاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لا سقندوا إليه في وضع أحكامها يقينا

ثالثها ما فاضه الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما تخرج عن تعارف الشعوب وأقبائل والنظم بعضها بعض من الأفكار ومطلوحة الآراء ومعلوم أن اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقى مداركها ويزيد في تهذيب المعيشة فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في أساليب مستحدثة فإن ثرة المعاني ودقتها تبحث على التفتن في العبارة والتأنق في سياقها ويوضح لكم هذا أن اللغامين في الحواضر نجدهم في الغالب أوسع غاية في اجتلاب المعاني الفاتحة واهدى إلى العبارات الحسنة ممن ينادهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق فطرته لا شمال المدن على معان شتى ينزع الذهن منها هيئات غريبة لا طريق لتصورها إلا المشاهدة

ولما فارقت العرب الحجاز لا بلاغ دعوة الإسلام وبث تعالىه من الأم اقتضت مخالطتهم لمن يحسن لغتهم ضعف ملكاتها على الستهم ودخول التغير عليها في مبانيها وأساليبها وحركات أعرابها وأبتدا التعريف يسري إلى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل أئمة العربية يحوّلونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج قبيح عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت الخبالطة وتفشى داء اللحن أمسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعنون أول المحدثين الذين لا يستشهد بأقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيبويه بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وإنما أراد مصانعة وكف اذايته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد أبو علي الفارسي في كتاب الإيضاح بقول أبي تمام من كان مرعى عزمه وهوميه ووض الأمانى لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر أبي تمام لأن عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشف عند قوله تعالى (وإذا أظلم عليهم قاموا) بيت

من شعر أبي تمام وقال وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من أمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على ما يرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لهد أبي تمام ناشئ عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوائنها فلي فرض ان لا تفوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوائين فلا يأمن ان يزل به لسانه في خطأ مبين . و ابو تمام نفسه صدرت عنه ايات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احداً من الشعراء المقلين مسلم من الغلط فاما ان يكون لحن لحناً يدل على جهله بمواقم الاعراب واما ان يكون اخطأ في تصرف الكلمة ولا اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحراني ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس

اما العربي القح فإنه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فتقع صحيحة في مبانها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجته ومن ثم كان قرض الشعر كالمطابقة على الارتجال والبدية شائعا عند العرب نادرا في عصر المولدين ، ولا يعترض هذا بان كثيراً من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حولياته لأنه يستوفيها في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في قويم معانيها وحسن النسق في بنائها وإحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين

ثم نشأ بهذا التعريف الذي طرأ على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه يانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيراً لحسنها واستزادة من التائق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها :

« طال الجميع اراك غير حميد »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تطامى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعرا حشي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فقل تأليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مول لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

فكانه زاد في مصدر تلف القايم له الجنس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سيرة الا كثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباوؤها الى النثر ايضا فطلق كثير من الكتاب عملاً ون رسائلهم بوجوه التحسين: الاستعارة والجناس ونحوها واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ما تلبت صحيفة من هذا القبيل واقبت فيها نظرك لطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف يتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد، وأ كثر هو لا يهلون النظر الى جانب المعنى والمحافظة عن اقامته واستيفائه وهذا ما بحث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي ببسط عبارة ان الالفاظ خدوم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة(*) على ان مزية الفصاحة انما استحققتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يبدلها سيئات تشمئز منها قلوب الذين يستمعون القول فينبهون

(*) يباع كل واحد منها بمشرين قرشا صحيفا بإدارة المنار واجرة البريد ثلاثة

احسنه يانا فاقلموا عن الاكثار منها لاسيا في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الا لما
 سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة
 وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تملو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة
 على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارتفع ذكرها حين كان الامير
 سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعرا ابي الطيب
 المتنبي بذوق لطيف ومجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب
 وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله
 عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع بخطب من حيث وقف ابو
 علي البغدادي واقطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال
 النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون بديته الممجزة وارتواء لسانه من
 اللغة الفصحى ولا مزية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت
 الى التأنيخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة
 وملوك نخم كزهير والناطقة وبين من تقدمهم من الشعراء

باب الانتقاد على المنار

﴿ السائل والمسئول - كلمة مولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم ناصر السنة وقامع البدعة العالم العامل السيد محمد رشيد
 رضا المحترم ادام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قرأت في المنار الاغر لازالت راياته
 منشورة ، واياته ظاهرة منصوره ، في (ص ٨١٤ جزء ١١ من المجلد ١٢) سو الاورد

من محمد علي افندي من موظفي كرك يافا ذكر فيه انه قد اطلع على كتاب يدعى صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان قال فرأيت فسر كلمة مولى بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا مولانا فلان فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله . الى آخر السؤال فاجبتم على هذا السؤال بقولكم : الجواب قد غلاصاحب ذلك الكتاب في قوله الذي قلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا الى آخر الجواب ، وحيث ان الداعي لتحريرى هذا هو التنبيه لا طلب التغطية فأرجوكم ان تسمحوا لى من حيث انى أنه على غلط السؤال والجواب لىئين وجه الصواب ، فأقول :

من الواجب ان يتنبه المسئول لمورد السؤال فلا يستد قتل السائل اذا كان يعزوا الى كتاب معين سواء كان حكى اللفظ او المعنى كهذا السائل الذى لا يفهم منها شيئا ان لم يكن عنده سوء قصد فحث ان موضوع الكتاب المسى بصيانة الانسان رد على ما اقتراه دحلان على الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب والبهت في رسالته التى سماها بالدر السنية في الرد على الوهابية قد اقام الله تعالى لرد باطله ذلك العالم الجليل صاحب صيانة الانسان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السندى حتى زيف ما نقله من الزور والبهتان وابدى عوراته لكل انسان فجزاه الله عن نصرة الحق واهله خير الجزاء وهذا ما قاله دحلان مما وقع في صفحة ٥١١ من الكتاب المذكور « ويرى ان من قال لاحدنا مولانا وسيدنا فهو كافر الى آخر ما هذى به » فهذا جواب صاحب صيانة الانسان نقله بالحرف الواحد قال في صفحة ٥١٣ « واما مسألة قولنا لاحدنا مولانا وسيدنا فتذكر ماورد في الباب ، منها ما اخرجه مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقول احدكم عبيدى فكلكم عبيد الله ولكن ليقول فتاى ولا يقول العبد ربى ولكن ليقول سيدي . وفي رواية له - ولا يقل العبد لسيده مولاي . وزاد في حديث أبى معاوية : فان مولاكم الله عز وجل - وفي رواية له - ولا يقل احدكم ربى وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبيد أمى وليقل فتاى غلامى . واخرج هذا الحديث ابو داود ايضا واخرج ابو داود عن مطرف قال قال أبى انطلقت

في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا انت سيدنا فقال : السيد
الله . قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا قال : قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا
يستعزبنكم الشيطان . واخرج ابو داود عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا للمنافق سيد فإنه ان يكسيدا قد استنظم
وبكم عز وجل . انتهى

قد علم من تلك الأحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق
لفظ السيد والمولى على احدهما وخص فيها أيضا ووجه التوفيق بأن السيد والمولى
سائر قلني باعتبار بعض المعاني والرخصة باعتبار البعض الآخر ، قال في
النهاية في مادة السرد : السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكریم
والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس والمقدم . انتهى وقال في مادة المولى : وهو
اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب
والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والجد والمعتق والمنعم عليه . انتهى
قلني عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى
الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني فان ثبت ان الشيخ قد
منع من اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله فراده السيد والمولى بمعنى الرب ، واما
بالمعنى الآخر فكيف يتصور ان ينعم الشيخ منه فانه عقد بابا في كتاب التوحيد بهذا
العنوان باب (لا يقول عبدي وأمتي) واورد فيه حديث ابي هريرة المروي في مسلم
الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ : وليقل سيدي ومولاي . فهذا اللفظ صريح في
جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر ، انتهى المقصود منه .
وله تمة ساق المصنف فيها احاديث كثيرة في جواز اطلاق السيد والمولى على غير
الله بمعنى غير الرب يطول ذكرها قال في آخرها : فلم من هنا ان اطلاق السيد
والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين لا وجه للمنع
منه ، فانظر حفظك الله من أين فهم السائل ان صاحب الكتاب فسر كلمة مولى بأنها
مشتقة من اسم الجلالة الى آخر ما ذكره حينئذ تعلم ان السؤال والجواب قد حاد عن

طريق الصواب ، وختم كتابي هديم ازكى سلامي ولائق احترامي ودمم محرومين
دمشق الشام
كاتبه

فوزان بن سابق

(المأرج) لا نسلم لكاتب قوله انه يجب على المستول ان لا يعتمد على قل
السائل فكلام الناس وقلمهم يحمل على الصدق ما لم يثبت كذبه او يدل عليه شيء
واذا كان الجواب مبنيًا على السؤال وكان حقا على تدير كون السؤال في محله فلا
لوم على المجيب اذا كان السؤال غير منطبق على الواقعة. وكان النبي (ص) يجيب بل
يحكم الناس بحسب الظواهر كما هو معلوم

أشعار علي بن أبي طالب

الى الامّة العربية

هو القليل يغري بي الامى فيطول	ويرخي وما غير الهموم سدول
أيت به لا الغاربات طوالم	علي ولا لاطالعات أفول
وينشر فيه الصمت لبداء مضاعفا	قطويه مني ونة وعويل
ولي فيه دمع يلدع الخلد حره	وحزن كما امتد الظلام طويل
بكيت على كل ابن ارواح ماجد	له نسب في الاكرمين جليل
يليج من الضم المذل برة	لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب اما عرضه فموفر	مصون واما جسمه فهزيل
له سلف عزوا فبوزوا نباهة	ولم تعورهم قرة وخول
وساروا بنهج المكرمات قلمهم	قلانس من سعي لهم وخول
وكانوا اذا ما أظلم الدهر اشرقت	به غرد من مجدهم وحول

أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم
وقد أعطته السحب حتى لقد علت
وعى الله من أهل الفصاحة معشرا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
قامت من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا
وقرئت الايام ببيان مجدها
فلم تسر فيه نسة وقبول
على الزهر منه صفرة وذبول
لهم كان فوق الفرقدين مقبل
له عندهم دوت الانام فحول
فهن حزون قفرة وسهول
تجر بها للرامسات ذبول
فربح المالي ومنه محول

* * *

نظرت الى عرض البلاد وطولها
ولم تبدي فيها معاهد عزها
نظرت اليها من خلال ذوارف
فكنت كراة من وراء زجاجة
ولم اتين ما هناك من على
هناك حيث الظهر كاقدم رابعا
واوسمت صدري للكتابة فاعتدت
وارسلت دمع العين فانهل جاريا
أأضع عيني أن تهجد بدمعها
فان تسجروا أن سال دمي لأجله
وما عشت اني قد تناسيت عهده
وان امرأ قد اقل المم قلبه
أفي الحق ان انسى بلادي سلوة
أقول لقومي قول حيران جازع
مني ينجلي يا قوم صبح ظلامكم
وينطق بالمجد الموثل سبعكم
تريدون العليا سبيلا وهل لكم
فأراق لي عرض هناك وطول
ولكن رسوم رة ومطلول
من النسم طرفي يهت كليل
بمينه صكبا يتين فضيل
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفي على قلب يكاد يزول
بارجائه تحت الضلوع تهول
له ين اطلال الديار مسيل
على وطني؟ اني اذا ليخيل
فان دمي من اجله سيسيل
ولكن صبري في المخطوب جميل
كفلي ولم يلق الردى لحول
ومالي عنها في البلاد بديل
تهيج به اشجانه فيقول
وتذهب عنكم غفلة وذبول
فيست عنكم لائم وعذول
البا وانتم جاهلون سبيل

انشدكم ابن المدارس انها
 وابن الغني المرتجى في بلادكم
 بلاد بها جهل وقر كلاهما
 اجل انكم انتم كثير عديدكم
 ولو ان فيكم وحدة عصية
 ولكن اذا مستهض قام بينكم
 واي فريق قام للحق صده
 وان كان فيكم مصلحون فواحد
 على ان لي فيكم رجاء وان اكن
 الستم من القوم الاولى كان عليهم
 لهم هم ليس الظباة تفلوا
 الا نهضة علية عرية
 ويشجع وعديد ويمتد صاغر
 فان لم تم بعد الالة عزائم
 على الكون فيكم والحياة دليل
 يجود على تشيدها ويطول
 اسكول شروب الحياة فتول
 ولكن كثير الجامدين قليل
 لان طيكم للكرام وصول
 تلقاه منكم بالعناد جهول
 فريق طلوب للمحال خذول
 فعول والف في مداه قوول
 الى الياس احبانا اكاد اميل
 به كل جهل في الاقام قتيل
 وان كانت منها في الظباة فتول
 فتش ارواح بها وعقول
 وينشط للسعي الحثيث كسول
 فتبي عليكم والملام فضول
 معروف الرصافي

رعاية الاطفال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال
 أمست بمدرجة الخطوب فما لها
 حصرى تكاد تميد فحمة ليها
 ما خطبها عجا وما خطبي بها
 دانتها ولصوتها في مسمي
 وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها
 لا ا بل فتاة بالراء حيالي
 راع هناك وما لها من وال
 فإنا بأنات زكين طوال
 مالي أشاطرها الوجيمة مالي
 وقع النبال عطفن أثر نبال
 رسم على طلل من الاطلال

قسامات جزعا وقالت: حامل
 قد مات والدها وماتت أمها
 وإلى هنا حبس الحياء لسانها
 فعلت ما تخفي الفتاة وإنما
 ووقفت أنظرها كأنني عابد
 ورأيت آيات الجمال تكفكت
 لا شيء أبطل في النفوس كقامة
 أو عادة كانت تريك إذا بدت
 قلت أنه في، قالت إنه في ميت
 فحملت هيكل عظامها وكأنني
 وطفقت أنهب الخطى متيما
 أمشي واحمل بئسين فطارق
 أبكيهما وكأنما أنا ثالث
 وطرقت باب الدار لا متيها
 طرقت المسافر آب من أسفاره
 وإذا بأصوات تصيح: ألا افتحوا
 وإذا بأيدي طاهرات عودت
 جاءت يسابق في المبرة بعضها
 فتناوت بالرفق ما أنا حامل
 وإذا الطيب مشمر وإذا بها
 جاؤا بأنواع الدواء وطوفوا
 وجثا الطيب يحس نبضا خافقا
 لم يدرك حين دنا لياو قلبها
 ودعتها وتركها في أهلها
 لم تدرك طعم القمص منذ ليل
 ومضى الحمام بصمها والخلال،
 وجري البكاء بدمعها الهطل
 يحنو على أمثالها أمثالي
 في هيكل يرنو إلى تمثال
 بزواهن فوادح الانتال
 هيفاء روعها الأسى بهزال
 شمس النهار فأصبحت كالآل
 من قبره ويسير شئ بالي؟
 حملت حين حملت عود خلال
 بالليل دار رعاية الأطفال
 باب الحياة ومؤذن بزوال
 لها من الاشفاق والاعوال
 أحدا ولا مترقبا لسؤال
 أو طرق رب الدار غير مبال
 دقات مرضى مدلجين عجال
 صنع الجميل تطوعت في الحال
 بعضا لوجه الله لا للمال
 كالأم تكلا طفلها وتوالي
 فوق الوسائد في مكان عال
 سمرير ضيقهم كحفن الآل
 ويرود مكن دأها القتال
 دقات قلب أم ديب نعال
 وخرجت منشرجا وخي البال
 (المآرج ٣) (٢٨) (المجلد الثالث عشر)

وصحرت عن شكر الذين تجردوا
لم ينجلوها بالسؤال عن اسمها
خير الصنائع في الأنام صنعة
واذا النوال أتى ولم بهرق له
من جاد من بعد السؤال فانه

لله درهم فكم من بائس
ترمي به الدنيا فمن جوع الي
عين مسهدة وقلب واجف
لم يدرك فطره اعريانا يرى
فكان ناكل جسمه في ثوبه
يا برد فاحمل قد ظفرت باهول
يا عين سحي يا قلوب تقطري
لولا هم تقضي عليه شقاؤه
لولا هم كان الردي وقفا على
لله در الساهرين على الألى
القائمين بخير ما جاءت به
اهل اليتيم وصكهفه وحماته

لا تهملوا في الصالحات فانكم
إني أرى قراءكم في حاجة
فتسابقوا الخبرات فهي امامكم
والحسنون لهم على احسانهم
وجزاء رب الحسين بجل عن

لا يجهلون عواقب الأهمال
لو تعلمون - لقاتل فقال
مبدان سبق للجواد النال
يوم الأثابة عشرة الأمثال
عد وعن وزن وعن مكبال

محمد حافظ ابراهيم

باب الاخبار والآراء

﴿ العرب والترك ﴾

قد علم قراء المنار ان السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد القاصدين الجليلين من رحلتنا الى دار السلطنة في آخر الخريف حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضل شتاءها شتاء ، وعللوا أيضا انه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومطابقته على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين المصريين الذين هم قوام الدولة العثمانية ووعدته بنشرها ولكن أكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثا من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث: نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وما سمع عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة إن هذه أمور ملية تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها !!

وقد استمر على نفاته الجنسية قلبه وقلم اعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بأضياء (خليل حامد) وهو امضاء مستعار لأحد الضباط هنا وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب أنهم - في زعم الكاتب - بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !! . . . وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا حتى ان بعض الشبان استغزتهم حية الفيرة على العرض التي لا يداني العرب فيها شعب من شعوب الارض فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم العربي يتبيغ في أجسامهم الى إدارة جريدة إقدام وإهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل أنهم بهقوا في وجهه ولا عجب فصاحب الفيرة على العرض قد يقتل من يظن في عرضه عند ما يهانه ذلك

والقوانين تنذر من تدفعه الحدة العارضة للدفاع عن عرضه اذا أطاعها من فوره ولا يعد هذا الدفاع منكرا قبيحا كسائر أنواع الاهانات الا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى

نحن لا نقول ان الاعتداء أو الاقليات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع وانما نقول ويقول العقلاء كافة ان فرقا عظيما بين اعتداء مبتدأ لا يدفع له الطبع وبين مواخذة قورية لم توطن عليها النفس

وكيف يستنكر من فتیان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية وقد اضطربت لهذا الطعن اعصاب الكهول والشيخ من الموثنين كغيرهم حتى أن بعضهم اصابه الصداغ ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام وذهب وفد منهم الى المصدر الاعظم وكان في مجلس الوكلاء فأرسلوا اليه فخرج اليهم ووعدهم هو وناظر المدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي تعطيل جريدته ثم محا كنه في المدلية وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام الى أجل غير مسمى ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) اي جريدة او الجديدة ، وناهيك بهذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضا بعتة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب ان الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها باضافة لفظ (يكي) اليها فقد أنه لا يجوز لمن يحكم هو بالقاء جريدته ان يصدر جريدة ما الا باذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام ا

وقد كتب احمد بك جودت مدير إقدام عند ما عطلت جريدته مقالة نشرها في جريدة (طنين) اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذرا أقبح من ذنب فانه هت فيها سموم التقاير والتدابير بين العرب والترك بايهاه القارئین لما ان العرب يتهمون به بأنه مندفع لعداوة العرب بجنسية التركية ويرون أن الترك اعداء العرب وانتقل من هذه الدسيسة الى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم وذكر من هذا الفضل ما يعلم هو انه في غير محله فالظاهر انه يريد بذلك ان يقوم كتاب العرب للرد عليه وإنكار ما قاله مخالفا للتاريخ لينسني له ولا مثاله حينئذ ان يوسعوا الخرق ويقولوا ان

العرب يحترقون الترك . ونحن لم نسمع أحدا من العرب يقول ان مدير إقدام يذم العرب باغواء الترك أو رضاهم

ادعى صاحب (إقدام) في مقاله هذه ان جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ولا ترجح الترك على غيرهم من العثمانيين وان جميع الاجناس يعترفون له بذلك . والمشهور خلاف ذلك وانه ما وجدت جريدة تركية أساءت الى العرب أو أغضبتهم كما أغضبهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجنسي ولاجل هذا التعصب لم تشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بانصاف العرب وحسن التفاهم بينهم وبين إخوانهم الترك والا فما هو عذره ولماذا أخلفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه وبرأها كما شاء « فاقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام لترك كلهم » فانظر الى هذه النتيجة الخاطئة من تلك المقدمات الباطلة ،

ثم قال « نعم ان الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الالوف من اولادهم فهذا الفداء ليس لأجل ان يترقوا عن العرب بل بالعكس يقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتاريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الاجانب لها في أيام الصليبيين انما هي دماء الترك وذلك خدمة للاسلام ، والعرب لا تنسى ذلك الى يوم القيامة !

« وتقدر أن تقول بعبارة عامة ان الترك بذلوا ارواحهم في سبيل العرب !! بناء على ذلك كيف يكون الترك خصما للعرب وسالكيين سبيل الحاكمية العنصرية ؟ فهل هذه التهم هي مكافئة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو للعرب موافقا للمنطق ؟ » اهـ

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي تراث الاسلام في الحكم والسلطان فإذا قلنا ان صاحب إقدام جنى على التاريخ بزعمه ان الترك اقتدوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون بابطال الباطل ناكثين للقتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة . وكل من يعرف التاريخ يعلم ان جزيرة العرب كانت

طول الزمان في امان من الافرنج وأما ما أخذوه من سواحل سورية فقد اتقده منهم المسلمون كافة لا الترك خاصة .

وإذا قلنا ان سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في اليمن لا يسدنة لترك على العرب لانكون مخليين بحقوق هذه الاخوة لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر قواد الترك وحكامهم هي دماء اليمانيين من الترك والعرب والارفاوط والكرد بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الادارة وقد خربت بلاد العرب ولم تضر بلاد الترك على ان البلاد كلها مشتركة لان الامة واحدة كان من فضل الاسلام ان الترك بعد ان تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن اساتذتهم العرب حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآن كل يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الاسلامية وهم يحنون على دولتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ويخشون ان يملأوا سائر العناصر العصبية الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو اكبر خطر على هذه الدولة فتسأل الله تعالى ان ينقذها من شرور هؤلاء الأشرار بمنه وكرمه

ثم ان صاحب إقدام اورد بعد بيان هذه المنى التي في رقاب العرب لترك موازنة بين ما نشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيه وحاضرهم وآتيهم وبين إهانة بعض طلاب العرب له في ادارة جريدته وزعمه انهم اهانوا عند ذلك الامة التركية كلها اهانة لم يسمع بأن ملة من الملل اهينت بمثلها ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية اهانة لعنصر آخر بمثل ذلك !! وكبر هذه الدعوى وهول فيها ما شاء وأشار بالنقط هكذا الى ان ما طواه من ذلك وأغضى عنه هو فوق ما قاله نصريحا وتلويحا . ولو كان يحب الاتحاد والاتفاق بين النصريين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الاهانة المزعومة بين الترك في جريدة هي أوسع من جريدته انتشارا ، لان ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه الدعوى من الترك فتفرج مسافة الخلف . فقالة هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر وأدهى وأمر ، ولا يظهر لنا علة لنشر هذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد القاء الشقاق

بين الاختين الشقيقتين : الترك والعرب . فان ادعى انه يريد بذلك ترية المقتدين عليه يقال له كان يكفي في ذلك ان تذكر ما وقع للمحكمة العرفية او المدلية من غير ان تنفث في جريدة طنين سموم التفرق والخلاف ، وما انت بالمقصر في الشكوى وتقريب الدعوى ثم انه بعد إثارة هذه الفتن ، وإيقاد نار الشقاق والاحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة اخرى غير الامتنان عليهم بمذابح البن وتخریبها في عصور الاستبداد التي ترجوان يبدلتا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور تلك الطريقة هي استدلاله على اخلاصه وحبه لإرضاء العرب بدليين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلاً في باب السفطة من علم المنطق (أحدهما) انه قال لناظر الداخلية عند ما بلغه خبر تعطيل جريدة «إقدام» ان عنده رخصة باسم «يكي اقدام» ولكنه لا يصدرها لأجل ان يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته . قال لأن تعطيل الجريدة لا يقصد به ورقة مخصوصة او اسم مخصوص وانما الغرض منه إبطال هذه الادارة او تخریبها وأنا أتحمل هذه الخسارة لأجل ان تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرم !! - وذكر ان لناظر الداخلية قد أعجب بهذه الاريجية وممر وشكر وانه يظن ان سائر الوكلاء مثله في ذلك

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم «يكي اقدام» لما شك أحد من العرب في صدقه بما ذكر من السبب وهو ابتغاء رضاهم واستماتهم ولكنه قال هذا القول ولم يلبث ان خافه وأصدر الجريدة فظاهر انه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم الى ان حكم ديوان الحرب بإبطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة وإنما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!

وأما الدليل الثاني فهو انه كان عزم على اصدار جريدة عربية واستحضار أشهر شعراء العرب وأكبرهم من بغداد لأجل تحريرها وكلمه كلاماً حسناً ثم لم يصدرها . وهذا الدليل أغرب من الدليل الاول وان كان يشابهه ويقابله في كون كل منهما عبارة عن وعد وعقد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه . ويختلفان على تقدير الصدق في القواين والوفاء بالوعدين اذ لو وفى بالاول لكان دليلاً على حبه للترضية كما قال وان لم يكن دليلاً على التأليف بين المنصرين . ولو وفى بالثاني لما كان مجرد الوفاء

به دليلا على حب العرب ولا على التأليف بينهم وبين إخوانهم الترك بل كان يجوز ان تكون جريدته العربية أشد تنفيرا للعرب من جريدته التركية فالعرب يعتقدون الآن بأن جريدته متعصبة هاضمة لحقوقهم مبهنة لهم ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها فلو نشر جريدة عربية وقال فيها انه يجب على الترك تطهير لسانهم من الالفاظ العربية ، أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ، أو مقالات (خليل حامد) أو غير ذلك مما ينشر أحيانا في إقدام من العبارات التي ترمي الى المصيبة الجنسية ، لما كانت الاشرآلات التحليل لهذا الجسم الواحد الذي يحيا بروح واحد وإن كان مركبا من عنصرين يسمى احدهما العرب والآخر الترك

لما ظهرت في العام الماضي أسباب سوء التفاهم بين العرب والترك كان من أقواها ما ينشر في جريدة إقدام واشتهر ذلك في سورية ومصر ولكنتي على سماعي هذا من الكثيرين لم أكن أرى الظن بصاحب « إقدام » ولذلك سميت اليه وأحييت ان انشر في جريدته ما أريد ان أكتبه من المقالات لازالة سوء التفاهم وتأكد الوفاق والاتحاد بين العنصرين ولكنه أخلف فيما وعدني به من كل ما اكتبه كما تقدم فساء ظني فيه وأكد سوء الظن مقالة التي نشرها في طين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا اليها

كدنا نتجح في سميننا ونزيل تلك الاسباب التي احدثت سوء التفاهم بما كتبناه من المقالات هنا وفي المنار ومن المكتوبات الخاصة للادباء والفضلاء في البلاد العربية فجاءت هذه الحادثة المشؤمة فاعادت المسألة جذعة وكان صاحب إقدام عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ولم تنته شرورها الى الآن فديوان الحرب العربي لا يزال يطلب الافراد والاثبات من طلاب العرب ورجالهم لتحقيق في مسألة اهانة صاحب إقدام لأنه البسها ثوب التعصب الجنسي

ان المقالة الاخيرة المتضمنة للطن في اعراض العرب قد طير البرق خبرها الى المدن العربية الكبرى وخاضت فيها الجرائد وكان لها من سوء التأثير فوق ما يظن أولياء الامور هنا فاذا كانت تبعيتها هنا ان يعاقب كثير من الطلاب بالحبس

اوغير الحبس او يتوصل بها الى افعال « المتدى الادبي » الذي يجتمع فيه جمهور اولئك الطلاب المدارس والمذاكر وتعلم اللغات القومية والأجنبية لينموا من أسباب الترقى كما يظن المتطهرون من الناس ويكتفى من معاقبة صاحب إقدام بإضافة لفظ « ديكي » الى جريدته فلا يعلم الا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الامة العربية وعند كل المخلصين لهذه الدولة

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار وما قلته للعرب في هذه الديار انه لا يجوز لنا بحال من الاحوال ان نجعل ذنب الافراد ذنباً للامة أو أن ننسى ان الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة وان العرب يحبونه حب الاخوة الخالصة . ويجب ان نتقي الافعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدين الذين يحركون العصبية الجنسية ليقوموا الشقاق بين العنصرين فان حدث ما يحرك الافعال طبعاً فيجب ان نتقي فيما نقول وما نكتب كل ما يبعد أحداً العنصرين عن الآخر ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين فان الفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معا وعلى الدولة وان جهل المتعصبون، وتجاهل المفسدون ،

﴿ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه ﴾

انا بعد أن كتبنا تلك المقالة في الرد على صاحب جريدة «إقدام» ونخطته في التفرقة بين الترك والعرب وتوصله الى ذلك بالاقتراء على التاريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن أينا ان رجع الى التاريخ فنكتس منه قبساً يضيء سبيل الحق فيما أشرنا اليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب لانها خربت بلادهم ولم تصرها وحدثت بالظلم والظلم والتخريب واستمرت على ذلك الى اليوم، ولا لمصلحة الترك لأنهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والاموال التي انفقوها من خزانة الدولة قائدة

مادية ولا معنوية كما نوه بذلك مجلس المبعوثين في إحدى جلسات الشهر الماضي
اذ قال عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه : لو عصرنا تراب اليمن لقطر دماء
عثمانيا فإذا استفدنا من ذلك ؟

ويظن بعض الناس ان معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبد الحميد
الذي انتهى اليه الاستبداد في هذه الدولة وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله .
وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس انها بنت نصف قرن قلت بل هي
بنت أربعة قرون ثم رجعت الى التاريخ فبحثت منه بالشهد الآتي
جاء في (كتاب البرق النجاني في الفتح العثماني) اي فتح اليمن لقطب الدين
الحفني المكي الذي قال في مقدمته انه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان
سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب
انها اهديت الى خزانة كتب الصدر الاعظم محمد باشا في عصره)

ان ابتداء التصدي لفتح اليمن كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فانه
لما بلغ السلطان استيلاء الافرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر باعداد اسطول في
مصر وتجهيز عسكر فيه لمحاربتهم وجعل قائد هذا العسكر ييكلار بكى مصر سليمان
باشا الخادم وهو احد عماليك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي لم يتعلم
من اخلاق سيده غير الفتك ولم يستقر في باله مما شاهدته منه غير اراقة الدماء والسفك
فاحتال قبل سفره بالاسطول على الامير جانم الخزاوي الذي كان من اعظم
الناصحين في خدمة السلطنة وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه وهو يقول لا اله الا
الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف امير الحج وانما قتلها بعد ان كتب
الى السلطان بأنه شتم من الامير رائحة العصيان ويخشى ان يطيعه العسكر لاحسانه
اليهم فكتب اليه السلطان « ادفع شرهما ونسي السلطان ان هذا الامير هو الذي
كان سبب اصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا وانه لم يوافق على العصيان .
ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهاما تبنا وتعليقهما على باب زويله !! »

(قال المؤلف) «ثم ان سليمان باشا بعد قتله لجانم الخزاوي تلمح ايضا بصلب الامير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم أتاه ، ولا ذنب سواء ، غير كثرة أمواله ، وبذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولا ، ثم عاتبه لقصد قتله مطلا ، فقال ترسل الينا قمحا غير نظيف ؟ فقال أنا ماجئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى باب زويله وعلق في عنقه مندبلا فيه قليل قمح وصلبه هناك وأحاط بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودقائه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان احسن امراء الصعيد كثير البر والصدقات ، عجا للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام الى كل واحد من علماء جامع الازهر ، والمشايخ المسلمين في ذلك القطر الازهر ، بالخمسة مئة من الذهب فما دونها ، الخ ما ذكر من فضائله وفواضله

ثم سافر سليمان باشا الى جده ومنها الى عدن ، وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقا . . . فلما بلغه وصول سليمان باشا لانزو في سيل الله ، وقطع جادة الاقربج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد من الازواد ، وتوجه هو ووزيره السلام عليه الى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه فبجرد ان رأى سليمان باشا باب عدن قدفتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلما ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ونهب المسكر داره ثم شرعوا في نهب البلد ، وعد البلد من فتوحاته وأقام فيها ثابا وكتب على بابها انه فتحها سنة ٩٤٥ ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا الى أهل الهند ففر منه الناس وكانوا استعدوا لنصره وجمع المسكر له ثم كادوا له حتى رجع عنهم الى اليمن قال « وكان سليمان باشا خوارا خوفا لم يمهده منه شجاعة ولا إقدام وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسورا مربوطا ، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه اياه كيدا له وإيهاما وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعا في كثرة العلوقة »

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر الى « مخا » وغدره بصاحب
البن قال « وأرسل الى الناخود احمد بخلعة ومرسوم فيه الامان وأن يكون نائباً عن
السلطنة بملكة البن كما كان وان يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كال
الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم استشار أخصاءه فكلهم أشار عليه بعدم
المواجهة وقالوا له انه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فان
قاتلنا قاتلناه ، وان رضي منا بالاطاعة أطيناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب اليه
للاقائه هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ووصل اليه طائفاً لا بساخطته هو وولده
وولد اسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة وقدم اليه من هدايا البن ما قدر عليه .
فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسعم مئة .
فقتلت عبيده فتادي فيهم مناد من أراد من العبيد السود العلوقة السلطانية عند
الوزير فليات ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعا في العلوقة وأدخلوا
حوشاً كبيراً له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمهما الكاتب
بمحضوره ويرز بهما الى خارج الباب فيربي رقابهما ولم يشمر بهما أحد منهم بمن
داخل الحوش ولم يملوا ما يفعل بهما عند الباب الى أن قتل الجميع !! »

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الاحاد والظلم والنهب والسلب من
أهل عرفات الحجاج ومن أميري الحج الشامي والمصري ثم عودته الى مصر واقتراره
امام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتحاته لعدن والبن واتصاره
ولا تدري على أي الاعداء انتصر وما كان صاحباً عدن والبن الا فرحين به
مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف . ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة
الباقية والمبرة المؤثرة :

« ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيؤول اليه في المال ، علموا انهم
كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا أنه جرّ اليهم مخنا وإحنا ، ولقد سمعت المرحوم
محمد حلي المقتول دفتر دار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ثلاث
وخمسين وتسعم مئة فقال : مارأينا مسبكاً مثل البن لعسكراً كلما جهزنا اليه عسكراً
ذاب ذوبان الملح ولا يعود منهم الا الفرد النادر ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر

من زمن ابراهيم باشا الى الآن فرأينا قد جهز من مصر الى اليمن في هذه المدة
ثمانون ألفاً من العسكر لم يبق منهم في اليمن ما يكمل سبعة آلاف نفر ، اه كلامه
(قال المؤلف) قلت وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان أضعاف ما ذكره
محمد بك رحمه الله تعالى وهلم جرا الى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته
الا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وانهيار عددهم ،
ما يرتكبه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن
قلوب منكسرة ليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكمانا وامراءنا العدل
والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه بحجب الدعوات ، ومقبل
المثرات ، اه

(المار) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التاريخ قوله
« وهلم جرا الى آخر الزمان » فلهذا در المؤرخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب
القرون ، فتبصر ما وراءها وتنبئ بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه
القرون الاربعة قول الرجل وما أراه الا كان يعتقد بملء خفية لهذا الخذلان في تلك
البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الايام أقوى دول الارض ولعلها هي ما أشار
إليه في مقدمة الكتاب من الاحاديث الصحيحة الواردة في اليمن الناطقة بأن الايمان
يماني والحكمة يمانية وأن نفس الرحمن يأتي من جهة اليمن على ان الرجل كان متعصبا
للدولة على الزيدية مفتخرا بما كان يحصل لها من الانتصار ، متألما مما كان يحدث
لها من الانكسار ، ذاماً للزيدية مشتما عليهم بالبدعة ، مادحاً للدولة وعسكرها بنصر
السنة ، ولم تكن عنده نعمة جنسية عربية فان الاسلام نزع من قلوب العرب هذه
المصيبة الجاهلية فلم تعد اليهم حتى اليوم بل ترى المؤلف يذم عرب اليمن احياناً مع
التعير عنهم بالعرب ، ويدح الترك معبرا عنهم بالترك ، ويتهمج بنصرهم ويدعو لهم
وهذا شأن العرب الى اليوم في كل البلاد يفرحون بنصر الدولة على عرب اليمن
وان ظلمت هناك العباد ، وخربت البلاد ، حتى انهم كانوا يقولون في السلطان
عبد الحميد

لا أزال الإله دولته الغراء (م) وان كان قد طفى ونجبر
وقد قرأنا في جريدة الإصلاح التي تصدر في سنغافوره كتابه من عهد قريب
لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها ان تعجل الدولة باحتلال بلادهم والاستيلاء
عليها . ولكن متعصي فروق امثال صاحب جريدة إقدام مجنون في التفريق فهم
الذين يسيرون بأقوالهم وأفعالهم الى الحرب عصبية الجنس الا اذا تدارك رجال
السياسة هذا عاجلا كما نصحناهم أمس حين جئنا العاصمة ، ولما يستبينوا النصح
في ضحي الفد

اتقوا الله سياسة الدولة وانزعوا هذا الوسواس من صدوركم ، اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم ، اتقوا الله فانكم تقولون اننا في حاجة الى المساواة والاتحاد مع جميع
الناصر المنيانية ، وكيف يكون الاتحاد اذا لم يكن قبل كل شي بين العرب والترك ؟
اتقوا فنحن في أشد الحاجة الى الاعتصام بالاخوة الاسلامية مع جميع المسلمين
والاخوة المنيانية مع جميع المنيانيين ، فلا يهدمن السفهاء ما بينه الحكماء ، فان الهدم
أسهل وأمرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجع العقل على الهوى

* * *

﴿ دار العلم والارشاد ﴾

رجوت في النبعة الثانية من رحلي أن أنشر في الجزء الثالث من المار نظام
مدرسة « دار العلم والارشاد » بناء على الرجاء في الشروع بالعمل في ربيع الأول .
وقد حدث بعد أن كتبت ما كتبت ما أياضي من مساعدة الحكومة بعد وعددها
القطعي او كاد . ثم عادت المياه الى مجاريها والمرجو من فضل الله تعالى ان يكون
الشروع في شهر ربيع الآخر وقد تمت المقدمات في ربيع الاول والله الموفق
وهو المستعان

﴿ تصحيح ﴾ سنط من (ص ١٤٧ ج ٢ م ١٣) سطر كامل موضعه قبل
السطر الأخير ونذكر نصه ليكتب بالقلم وهو :
« احمد أفندي أمين الفتوى ومصطفى أفندي اودوه شلي مستشار المشيخة »

الفصل الثامن عشر (*)

(عظم المنة باتساع المنة)

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قوي القلب جدا تدل على ذلك سيرته كلها من أولها الى آخرها . ولكن مهما قوي قلب أمام الحوادث المتتاد وتوقع أمثالها بين الناس فلا يدل ذلك على انه لا تأخذه روعة أمام صوت غير بشري ، يهيب به الى أمر غير حسي . لذلك لا ينبغي أن نستغرب الروعة التي أخذت لأول وهلة ذلك القلب القوي العظيم فانه دعي من لدن الحق بواسطة الروح الى وظيفة تنوء بحملها المتن ، ويجب بحسب حدودها قلب السن

إني لمر الحق لاغرابة في روعة تنقض الظهر ، اذا حدث لمن نوذي هذا النداء بهذا الأمر ، وبديهي احتياج هذا الأمر الى شرح الصدر ، والتأييد ورفع القدر ، ولا بدع اذا ضمن له كل تأييد من أراد أن يكون قلبه محلا لتزلات وحيه الأعلى

نعم ألت الروعة بقلب صاحب « حراء » لما نزل عليه الروح بما نزل به عليه وقد صرح لخديجة بذلك وقال لها « لقد خشيت على نفسي » ولكن التأييد حاف به ، والاياناس صاف من حوله ، وناهيك أن في منزله

(٥) تابع للنشر في (ص ١٥٥ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

الذي اليه يثوب روحا شريفا كأن الله قد أوجده خاصة لتأييده وشرح صدره بأديء بدء هو روح السيدة « خديجة »

لم تكن هذه السيدة أقوى منة من بطها الكريم ولكن هو واجهته روائع الجلال مواجهة ، فأخذته بين حيرة وشوق وخشية عجز عن القيام بالوظيفة . وأما هي فسمت بالأمر سماعاً ، ووجدت للتفكر فيه مجالاً ، ولا يناس الرفيق مقالا

ولو بددت امرأة بما بددت به هذه السيدة من هذا النبأ العظيم وكان ينقصها ما حلاها الله به من الفطنة وبعد الإدراك وسلامة الفطرة وما أعطاها من قوة التمييز في وزن الأمور ومعرفة مقاييسها لتراخت مفاصلها ووهت قوتها أمام هذا الحادث القريب . ولكن المنايا الأزلية التي لها اليد في اظهار هذا المظهر الاعلى قد أتمت العمل من أوله الى آخره ونسقت على أحسن منوال فلا بدع بما نراه في هذه السيدة من الصفات التي تساعد على استقبال أمور عظيمة لأنها خلقت لتكون زوجة لذلك الرجل الذي سيأتيه أعظم الأمور ويأتي به

تفكرت « خديجة » في هذا الأمر وأخذت تسائل نفسها بنفسها وللأمل ههنا وجه وللخوف وجه : فالأمل يقول لها ان الأمين لصادق وان روحه لوكية قوية لاسلطان لروح الشر عليها والروح الذي جاءه انما بأنه باسم ربه أنه اصطفاه رسولاً والله على هذا قدير ، وباختصاص من شاء بما شاء جدير ، وأي شيء يمنح رب العالمين اذا أراد أن يتكبرم على هذا البيت بازال وحيه فيه فيغدو بمد الآن مشرقاً لاتضاميه المشارق ، يفيض النور على القبائل والشعوب ، انت اللهم على هذا قادر اذا أردت

ولا مانع لما أعطيت ، والوجل يقول لها ما هذه الحال التي أخذت حبيب
قلبي فراعته ، اني لا أخشى ان يكون أمراً جسيماً محتاجاً قد يعرض
للأفراد ، اني لا أخاف أن يصبح هدفاً لرمي الاضداد . ولكن سرعان
ما غلب الأمل على الوجل ، والمنة على الضعف ، وشكان ما بدت لها
وجوه الادلة على أن ما أتى بها الكريم هو بريد خير عظيم ، ومقدمة
فلاح عميم ، وكانت أدلتها على ذلك عقلية ونقلية تقدمت العقلية منها
على الثانية

الفصل التاسع عشر

(الادلة العقلية)

لما قال « محمد » (صلى الله عليه وسلم) لخديجة « لقد خشيت على
نفسى ، قالت له « كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل
الكل ، وتكسب الممدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ،
وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة »

ان هذا الكلام الذي صدر منها على الفور هو نتيجة معرفة سابقة ،
هو نتيجة تفكر جميل قد أعطى الثمرة سريعا ، هذا الكلام الوجيز يؤلف
استدلالات عقلية من أعظم الاستدلالات فانه قد أتى ما ذجا نظيفا لا غبار
عليه من التكلف ، ولا شيء منه يواقف أمام الذهن ، هو قياس باهر
النتيجة ، مطوي بمض الحواشي ، ومن أبدع الاقيسة نظما ، ومن أجملها
وقعا ، بيد أن الافهام كدأبها في التفاوت ، وعلى سنتها في التخالف ، لا

يستغني كثير منها عن تشریح هذا القياس لتطلم على قلبه وأعضائه واحدا واحدا . فحينئذ يلوح لها انطواء الافادات التزيرة ، في هذه الكلمات الوجيزة ، وتعلم من قريب أن الحكمة بيد الله يؤتيها من يشاء

(١)

يخرج من كلام هذه السيدة أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع كلها . ولذلك يجب كل ما يؤدي الى تسمي هذا النوع ويخلق الاسباب لذلك يأخذ بيدهما لتتطلب على ما اظهره بحكمته التي لا نطمح من أخذادها

(٢)

ويخرج من كلامها ان الله عز وجل مطمح على اعمالنا ومجاز طيعاوانه يجب منا أعمالا ويكره أخرى وأن الذي يحبه منا على حسب تفكرها هو الاستقامة ومساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة الضعفاء

(٣)

ويخرج منه أن من فعل الخير لا يأتيه الا الخير . والخير الذي نعب عنه بهذا اللفظ قد جاء في عبارة السيدة بتفصيل اعمال كلها من باب مساعدة الانسان للانسان فهذه المساعدة في نظرنا كل خير أو هي كل الخير فهل يكفي الله فاعل الخير بنير الخير ؟ ان هذا لا يكون على حسب تفكرها

(٤)

ونتيجة قياسها أو أقيستها ان هذه رسالة ربانية فيها الخير لا الضير وأن الله عز وجل سيتفضل بتأييد هذا المأمور في حمل هذه الامانة على ثقلها وصعوبة تأديتها لقوم ينكرونها ولا يعرفونها

الفصل العشرون

(شرح حكمة السيدة خديجة)

ان محيط جلال الله الذي ليس له حد لا تبلغه تفن العبارات شيئا من سواحل التعريف به حق التعريف . وانما هي لتستبين النفس على بث حبها له عز وجل وعجيدتها اياه وايزداد شوق النفوس الى الكمال ، وتعبدها لذلك الجلال ، لقد عزت صفات واجب الوجود عن أن ترسمها اللغات ، كما عزت ذاته عن أن تحدها الجهات ، وان حقيقة هي فوق المجاز والاستعارات لكن الانسان خلق عظيم الشوق الى تصور ربه ، وغير صبور عن الاشارة الى وصفه ، وليت شعري أني يبلغ الواصفون صفته من كنهه محتجب في خزائن الغيب الاعظم ؟

لقد قد صبر الانسان في هذا الامر من قديم الازمان وأقدم على وصف ربه فلم يجد غير الاستعارة حيلة فوصفه بما يتصف به الانسان نفسه ولذلك وقع تناقض كثير في أوصاف الواصفين لأن رب العالمين غير حادث ولا تشبهه الحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا

ولقد ظهر بين البشر رجال منهم أتتهم الارواح وكلمتهم من عند الله فأيد كلام الله بواسطة الروح مادرج عليه الناس من الاستعارة فأصبح هذا الامر عاما لا فرق بين الناس فيه الا فيما اختلفت فيه عباراتهم .

والافكار المستقلة تؤدي الى قبول هذا الاسلوب أيضا لان النظم في هذه الابواب لا يستغنى عنه ولا يمكن الا بالعبارة

الى الله سبحانه يرجع كل شيء . فهو أنشأ الانسان على هذا المثال ، وهو عليه ما قد عرفه الى الآن ، وخلاصة ما عرفناه من ظواهر التكوين أن الباريء المصور عز وجل لما أراد أن يكون هذا الانسان مميّزا عليها أظهر الاشياء أمامه مبنية على التضاد ، وجعل تميز الاشياء بأضدادها ، وأودع فيه ضدّين جعل عليهما مدار سيرة كلها في حياته هما الاستحسان وضده ، وجعل مع الاستحسان الشوق والحب ، ومع ضده النفرة والبغض . واقتضى ناموس التضاد الذي عليه مدار تمييز الانسان أن يتخالف أفراد هذا النوع في الاستحسان وضده فكثرت أسباب تخالفهم فتشأ بينهم الضدان المسي أحدهما خيرا والآخر شرا . واحتاجوا الى جواذب تجذب الخير ودوافع تدفع الشر فرجعت كل معارفهم الى معرفة هذه الجواذب والدوافع . ومن ثمّ فهم عليه بها وسما عمله على موجب هذا العلم سموه حكما وهل جائز أن يكون بعض افراد الانسان حكما والباريء غير حكيم ؟ كلا ، ثمّ كلا . بل ليست حكمة الانسان الا من الله ، والله هو العظيم الحكيم . نعم يد أننا نقفه معنى حكمة الانسان لاننا نميزها بضدها وليس لعلم الله وعمله وإرادته جل جلاله من ضد

انظر تجدنا نعرف الاسرار في كل دقيقة من الدقائق التي يؤلف الانسان منها شكلا من الاشكال لان الانسان انما يصنع ما يصنع للاحتياج والاستفادة وأما الذي اراد ظهور الاشياء بهذا التنوع فلم يرد هذا الحاجة اوجدوى تعود عليه . ثم انظر تجد أننا ننسى ما يصنعه الانسان لا لفائدة عبثا ولا ننسى عمل المستفي من الفائدة عبثا مع اننا لا نرى فائدة في عمله لاله لا استغناءه وتقديسه ، ولا المصنوع من معدن ونبات وحيوان وغيرها

فاذا أمنت النظر يظهر لك أننا لا نستطيع أن نعلم ماهي حكمة الله في ظهور الاشياء على ماهي عليه ولكن نقص هذا العلم لم يمننا عن القول بأن له حكمة في كل شيء وتعلم من هذا وضوح عجز العبارة في كشف غدور هذه الحقائق مع عدم الاستغناء عنها

ثم اذا رجعنا النظر الى علاقة هذه الظاهرات بالانسان يبدو لنا أمر يحمل على مزيد التفكير والتذكر ذلك أن كل شيء منها يفيد الانسان حكمة اذا تصدى لقراءته على صفحات الاعتبار ، ان الانسان يرى اذا تأمل نظاماً بديعاً في هذه الظاهرات ويرى له نصيباً في كل شيء منها فمن هذا الوجه قد يصح لنا القول بأن من جملة حكم الله تعالى في هذه الظاهرات تجلي آلائه وكرمه بجمل علاقة النفع والانتفاع بين هذه الانواع والصنوف التي لا تحصى وبين هذا الكائن الصغير الجرم

هذه العلاقة ظاهرة يكاد يراها كل من تأمل في استقاداتنا مشر البشر من كل هذه الظاهرات . أما محبو الحكمة فيصقون نظرم ويتلمسون الاسرار في تشكلاتها وألغائها على هذه الوجوه والاضاع . ولو فرضنا أنها جاءت على غير هذه الوجوه لتوجهت انظارهم الى استعلاء فوائدها ثمة أيضاً لأنها كلها من الله ، وما من الله لا يكون عبثاً بل يستفيد منه الانسان حكمة أو شيئاً آخر فكان الانسان أكرم من كل هذه الظاهرات وكأنه هو المقصود بأن تنكشف له الحكم والاسرار الربانية

هذا هو الاساس الذي أقيمت عليه قواعد حكمة الانسان وهو مبدأ سيره لمعرفة حكمة الله الحكيم الاعلى جل وتقدست اسمائه

حكمة الانسان في الحقيقة هدية ربانية يختص بها مرجع الاشياء من أراد اظهاره سليم الفطرة ، حاد الفكرة ، فهو يكون كثير الذكر ، قليل النسيان ، والكائنات كلها عبر ، وتعليم لمن تذكر . وليست حكمة الانسان تلقينا يقدم له كل مرة ، ويؤتاه كل احد في كتاب يكتب ، او خطاب يخطب ، لكن مع أنه لم يكن أحد مستمداً أن ينال الحكمة نجد الحكمة ذات بركة شاملة تزور بيوت غير الحكماء ايضاً فتسلها فوائدها كثيرة من غير أن يشعر أربابها بحركتها وحركة حاملها لواتها

كانت السيدة « خديجة » ذات نصيب من هذه الهدية الطيابة الربانية هدية الحكمة ، وقد رأى القارىء آتفاً شيئاً من حكمة وجميل تفكرها وتذكرها ونحن في هذا نشرح ذلك الاجمال ، ونزيد المقام حظاً من ذلك الجمال :

(١) فهي رأت ان النوع الانساني عمل لعظيم تجليات رب الانواع وأنه سبحانه يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع . وحق ما رأت فان اظهار هذا النوع على هذا المثال هو أوضح ضياء يرى به المدالج أن الله سبحانه أحب أن يعرف فاقترضت ارادته ظهور هذا النوع مستمداً للمعرفة وعظيم الشوق اليها . والانسان في ظهوره جسماء وروحاوتقاوتأفراده بالارواح تقاوتاعظيماً قد أصبح دون ريب من أكبر الآيات في هذا الباب على ذلك الشأن العظيم من المراد الالهي ، وأضحي بجمع أسرار وكنز حقائق لا يماري فيها الا من جعل النسيان بينهم وبين الملكوت الاعظم حجباً

ومن المشاهد أن الباري عز وجل يخلق الاسباب المساعدة على ترقى هذا النوع ويأخذ بيدها لتنظف على ما أظهره بحكمته التي لا نظير لها

من أضعافها . اتنا قد شاهدنا ماجرى ويجرى من الدفاع والجدال بين
جواذب الانسان الى حنادس الجهل ، وجواذبه الى مشارق العلم ، فوجدنا
الغلبة للثانية على الاولى ، وحسبك ان الانسان بعد ان كان كسائر الحيوان
لا يفقه غير حاجته الى عشب يصد به ألم جوعته ، وماء يرد به ألم عطشته ،
أصبح يعرف الغوامض من أمور الكواكب ، وبحسب من حركاتها ما
هو أقل من لمح البصر حتى تسنى له بذلك ان يعرف متى يكون الخسوف
والكسوف ، دح عنك معرفته بما فوق الثرى وما تحته ، ودع عنك توصله
الى استخدام الروح الساري في هذه الظاهرات الدنيا فني به الكبرياء
ودع عنك استفادته من الارواح العليا . واتيانه بواسطتها بالانباء
السيدة والمحجوبة

(٢) ورأت السيدة «خديجة» أن البارئ عز وجل مطلع على أعمالنا
وعجائز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى . . . ومن تذكر ما حردناه
في مقدمة هذا الفصل يعرف أن مثل هذا التمييز يقصد به تصوير معاني
من كمال الله تعالى فهو سبحانه محيط بالوجودات كلها وقد جعل لها سنا
من جعلها أن جعل أفراد النوع الانساني محتاجين الى ارشاد بعضهم لبعض
ومعاونته بعضهم لبعض ولا تنس أن الله سبحانه قضى بالتضاد ليميز به
الانسان فما قرب من سننه محبوب عنده ، وما بعد عنها مكروه لديه .
هيات الهيئات أن نعرف مامنى محبة سبحانه وكراهيته لانه سبحانه
لا ضد له ، ولكن هذا المعجز لا يثينا عن الاعتقاد بأنه يحب ما ينفعنا ويكره
ما يضرنا كما هو مقتضى حكمته ورحمته بحسب ايماننا وانما خلق الضار
والمكروه مع النافع والمحبوب ليتم ناموس التضاد الذي قضت به حكمته

ومن آمن النظر بكل ماسلف هنا يتبين له أن في مقدمة المحبوب لديه مساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة القوي للضعيف. ومن يرزق هذا الروح لا يكون الا سليم الفطرة ، طيب القلب ، غير متعصب لنقص حظ ، ولا متعالي بزياده نصيب ، فلا يكون الا محبوا تأتيه المساعدة من قبل عالم النيب وعالم الحسن والشهادة

(٣) علي هذا ترى هذه السيدة أن الله سبحانه لا يكافى فاعل الخير بنير الخير في هذه الحياة ، وأهل الملل يقولون هذا القول باعتبار ما يلقى المرء في الحياة الثانية التي انما تكون لنيل الجزاء وأما في هذه الحياة فمنهم من ينهب هذا المذهب الذي ذكرناه ومنهم من يقول ان فاعل الخير يتبلى في هذه الحياة بشرور

ونحن لا ينبغي ان ننسى أن مذهب هذه السيدة مشرق لفضل الخير لان المجازاة عليه في هذه الحياة والحياة الاخرى مما يزيد محبيه حبا فيه . واليه اذهب ، وبه اتق ، ولا عبرة بمن يشذ عن قاعدة هذا المذهب ممن ظاهروا الخير والله أعلم بسرائرهم

هذا بعض تفصيل لما جاء مجملا في حكمة السيدة «خديجة» ولم ننسوخ الزيادة على هذا المقدار خشية تب الرقيق القاريء ومنه يعلم رفيقنا أن هذه الاستدلالات العقلية كافية لمن كان له قلب سليم كقلب سيدتنا أن يعرف معرفة تدفع الرب أن الروح الذي وافي معدن الخير محمداً (صلى الله عليه وسلم) إن هو الا روح خير وسلام ، وفلاح ونعمة واكرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم هم الابرار

الله

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و منارا و كنار الطريق

(مصر الاثنين مطلع ربيع الآخر ١٣٢٨ - ٩ مايو (ايار) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م)

فَتَاوَى الْمَلِكِ الْمَلِكِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاءه واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً قد منامنا خرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجيئنا غير مشترك مثل هذا ، ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الاتحاد الشامل والتعليم الشامل ﴾

« أيهما يتوقف على الآخر »

(س ٢٦) من الشيخ كرامه يلدرم صاحب جريدة الاصلاح يستأفوره

ماقول مولانا المرشد ادام الله فضله :

فما قاله السيد محمد بن هاشم من انه لا علم شاملا لافراد الامة الا باتحادها وتعاونها في جمع المال لبذله في سبيل تحصيله

وفما قاله السيد حسن بن شهاب من انه لا اتحاد شاملا لافرادامة ما لم يتعلموا فيجب نبذ الدعوة الى الاتحاد والاقتصاد على الدعوة الى التعليم قط .

وقد تداول الكتابة هذان الرجلان في هذا الموضوع كما ترون باعداد الاصلاح الرسالة اليكم فنلت نظر كم العالي اليها وعلى الخصوص العدد ٤٣١ من لاصلاح وهو الذي كتب بعد الاطلاع على مافي الصفحة ٨١٧١١ من المجلد ١٢ من المنار فترجواكم نشر ماهو الصواب ادام الله بقاءكم .

محكم صاحب الاصلاح في استأفوره

(ج) وصلت اليها اعداد الاصلاح ونحن في القسطنطينية واتفق ان العدد ١٣١١ لم يكن فيها بل وضع بدله عدد آخر ولا شك ان ذلك كان خطأ فلم نطلع على شيء مما كتب المتأخران وافلن جدالهما كان في الآراء النظرية

والذي اراه ان الدعوة الى العلم لا تعارض الدعوة الى الاتحاد والدعوة الى الاتحاد لا تعارض الدعوة الى العلم بل يمكن الجمع بينهما . ثم ان الاتحاد العام الشامل لجميع افراد الامة غاية لا تكاد تدرك الا ان يسعى نمي دفع الشر المطلق او البديهي والضروري كالوباء وجلب الخير المطلق كالصحة والفن اتحادا ، وانما يراد بالاتحاد الذي يبحث عليه السياسيون ان تكون الامة متعاونة على المصلحة العامة بأن يكون الجمهور الاكبر منها متفقا على تلك المصلحة مساعدا عليه بدون مقاومة تحبط العمل او تعرقه وتثبط عنه . وهذا الاتحاد لا يتوقف على شمول التعليم الذي يراد به عند الاطلاق في كل امة ما يلحق في مدارسها عادة . ولكن التعليم اذا انتشر وكثر على طريقة واحدة مع التربية على طريقة واحدة يكون أقوى أسباب الاتحاد . ولنورد بعض الامثلة التي يتضح بها المراد

التعليم المنتشر الآن في البلاد العثمانية هو المانع الاعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان اليأس من اتحادهم اشد وأقوى لاختلاف طرقه ومقاصد الناشرين له . وان التعليم في فرنسا عام يكاد يشمل الافراد كلهم وهم غير متقنين على الحكومة الجمهورية بل يؤيدها السواد الاعظم

ان اهل الولايات المتحدة هم اعرق الامم في الاتحاد ولم يكن التعليم شاملا لجميع افرادهم عند ما قاموا بدعوة الاتحاد وأيدوها بالسيف والنار في الحرب الاهلية المشهورة . وان قبائل المرق في الهند من أشد الناس اتحادا والتعليم ليس غالبا فيهم . ان دولة الروسية قد احتلت بلاد الفرس ولا شك ان السواد الاعظم منهم كارهون لهذا الاحتلال ويودون لو أمكنهم مقاومته واكثرهم غير متعلمين ، وربما كان المتعلمون من البايه راضين بهذا الاحتلال ومؤيدين له لظنهم ان دعوتهم تكون في ظل الدولة الروسية أشد حرية وأكثر انتشارا وقد يقال أن هؤلاء قد خرجوا من الامة بخروجهم من الاسلام

ان الاتحاد الجرمانى لم يحصل الا بعد انتشار التعليم الذي أعد أمراءهم وعقلائهم له اذ علموا ان به عزتهم ومنعتهم وارقاءهم ولكن التعليم لم يكن شاملا لافرادهم هذه أمثلة واقعية يتضح بها الامر وأظن ان المتأخرين لو تأملا فيها أو في مثيلها ولم يجعلوا كلامهما نظريا فقط لاتفقا من أول وهلة ولا سيما اذا كانا قد حررا موضع النزاع كما نبينا هما الى ذلك في جوابنا الاول الوجيز ثم إتياني اذ كر بعض الأمثلة لتصوير اتحاد يمكن ان يحصل في أمة قبل تسميم التعليم فيها ، وتعليم عام يمكن ان يحصل بدون اتحاد سابق عليه ، مع الجزم بأن الاتحاد على شيء بالقصد لا يمكن الا بعد علم المتحدين بأن مصلحتهم في ذلك الشيء كما اشرت الى ذلك في جوابي الاول وهذا ليس موضعا للنزاع

يمكن ان يؤلف أغنياء الحضرميين في جاوه وسنغافوره جمعية خيرية لجمع المال وانشاء المدارس في بلادهم لتعليم الفقراء مجاناً والأغنياء بالاجرة التي يستعان بها على توسيع دائرة التعليم الذي يثمر الاتحاد ويمكن ان يتم لهم ذلك وان ينجحوا فيه نجاحا يفضي الى تسميم التعليم هناك من غير ان يتحد أهل البلاد كلهم عليه ، ولكن لا بد من اتحاد الذين يجمعون المال وينشئون المدارس على ذلك وهو لا يكون الا اذا علموا ان هذا التعليم الذي يريدونه هو الذي يحبي بلادهم ويسعددها في دينها ودنياها ، فاذا اختلفوا في ذلك كان قام بعض العقلاء العارفين بأحوال الامم وسنن الله تعالى في ترقيا وتدليها يحثونهم على الجمع في تعليم قومهم بين علوم لغتنا وديننا وبن العلوم الدنيوية التي لا ترقى في ديننا ودنيانا بدونها كالرياضيات والكونيات التي منها علم الزراعة والمعادن ومباني الصناعة التي يمكننا بعد تعلمها ان نحيا ارض بلادنا ونستخرج مآدنها ، وكما هو التجارة والاقتصاد والتاريخ وتقويم البلدان ... فقام في وجه هؤلاء المصلحين مثل الشيخ عثمان بن عقيل عدو الإصلاح المبين فقال لا حاجة لكم أيها الحضرميون أو أيها المسلمون بشيء من العلم الراجح عند الكفار - وان ملكت به دولة صغيرة كهولندة وهي في اقصى الشمال مملكة اسلامية عظيمة في الجنوب استعبدت فيها اكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم - وإنما يجب عليكم ان تعلموا ما أعلمه أنا فقط من علم الدين والعربية - وان كانت عربية مملوءة بالاغلاط

النحوية والفوقية في المفردات والاساليب ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الاحاديث اذا اختلف اغنياء الحضرميين في جواره قبح بعضهم عثمان بن عقيل اقرارا برسائله التي تحارب هولادة بمثلا المسلمين حربا معنوية وتصددهم عن الترقى وبهم آخرون دعاة الاصلاح فرما لا يتم هؤلاء نشر التعليم النافع لعدم استطاعتهم القيام به مع عدم الاتحاد والتعاون بينهم وبين الآخرين

ويمكن ايضا أن تتألف جمعية من الحضرميين العارفين بأحوال بلادهم وبسنن الاجتماع وانطلاق الامم وشؤونها فتضع قانونا لجمع كلمة السادة الشرفاء والامراء على المصالح والمنافع التي تحفظ نفوذهم وتنفع بلادهم وتسمى في اقامتهم بتنفيذه بينهم فيكون ذلك اتحادا على ترقية البلاد يمكن ان يكون وسيلة لتعميم التعليم ، فان قيل ان العمل بهذا القانون متعذرا او متعسرا لان اولئك الشرفاء والزعماء لا يقتضون بما يراد اقامتهم به لعدم العلم الاجتماعي الذي يتقنه صاحب طرق حفظ المصالح العامة ودراسة المقاصد العامة فلا بد من هذا العلم قبل الدعوة الى الاتحاد ، قول وان العلم الاجتماعي الذي يثر الاتحاد لا يجاب الدعوة اليه مادام أهل النفوذ الروحي كعثمان بن عقيل يقولون انه خارج مخالف للدين ، ويصدق اكثر الناس لانهم جاهلون .

لعل كل واحد من المتناظرين حصر فكره في صعوبة احد هذين الطرفين دون الآخر في اصلاح حال أهل بلاده (حضرموت) فكيف اذا فكر كل منهما في اصلاح البلاد العربية المنيانية بالفعل والتي نود ان تكون عمانية (كبلادها) وأراد أن يسعى في توحيد التعليم وتعميمه في حضرموت واليمن والحجاز ونجد وسورية والعراق أو أن يدعو اليه أو الى الاتحاد عليه وعلى تعزيز الدولة ورفع شأنها به ، ألا يمثل أمام كل منهما من الصعوبات والعقبات ما يرى منه اصلاح حضرموت وحدها امرا ميسورا ؟ اذ ليس فيها من اختلاف المذاهب الذي هو بلاد المسلمين الأكبر مثل ما في مائر البلاد العربية كما انه ليس فيها من الاستعداد الحربي مثل ما يوجد في اليمن ونجد والعراق ولا من اختلاف التربية والتعليم مثل ما يوجد في سورية والعراق على ما فيها من الاديان والمذاهب

ثم كيف بهما اذا فكرا في أمر التعليم والاتحاد في البلاد المنيانية كافة على

ما فيها من اختلاف الاجناس والناصر ، الى اختلاف الاديان والسياسات والمذاهب
او اذا فكرا في اتحاد المسلمين كافة من وقوع اكثرهم تحت سلطة الاجانب ،
أقول احدهما لا يمكن نشر التعليم فيمن ذكر الا بعد الاتحاد العام الشامل ، او
لا يمكن هذا الاتحاد إلا بعد العلم العام الشامل ، فياخذ من مجموع قولها الدور الحقيقي
وأن كلام من الامر ين متعذر لا ينال ، والدعوة اليه من لغو الكلام ؟

الصواب ما قلناه في أول الجواب من عدم التمازج بين الدعوتين فيجب
الجمع بينهما والسعي اليهما وكل خطوة في العلم تكون عوناً على الاتحاد وكل خطوة
الى الاتحاد تكون عوناً على العلم ، فكل منهما يمد الآخر ويستمد منه ، وقد
تكون الدعوة الى الاتحاد أقوى تأثيراً وأقرب نفعا في الأمم التي سلبت استقلالها
كله أو بعضه والأم التي يهددها الاجانب بهذا السلب بالقول أو الفعل ، فاذا قلت
للفارسيين وقد تضافت الجيوش الروسية في بلادهم عليكم بالدعوة الى العلم فقط
وبعد ان يصير عاماً شاملاً لافرادكم تتحدون على مدافعة الاحتلال الاجنبي لا
يكون كلامك مؤثراً ولا مفيداً لانهم يقولون اذا لم نتحد منذ الآن على المدافعة
والمقاومة لا يتم لنا التعليم لان الاجانب يعموننا منه كما يعمون اخواننا في بلادهم
فيجب ان نسعى الى الامرين جميعاً ويكون سعيانا الى الاتحاد في المرتبة الاولى
هذا ما عني لنا أن نوضح به هذه المسألة ولعل ما حققناه يكون هو الحكم الفصل
بين المتناظرين وان لم نطلع على كلامهما فتكون نتيجة اختلافهما الاتفاق ، وعاقبة
اقتراحها التلاق ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرأة المصرية والمرأة الغربية (*)

المولودة — دور الطفولية — المراهقة (الملابس والازياء) الخطبة والزواج
الاقتصاد المالي والمنزلي — العمل اليومي — الاخلاق والعادات — دور الامومة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيتها السيدات

اذا كان لفتة ما ان تجتمع وتبحث في شؤونها فلا أحق منا نحن نساء مصر وفتياتها ان نكون تلك الفتاة فانتا على درجة من التأخر تؤلم نفس المتفكر فيها وترجم بالوطن خطوات واسطات عن سبيل التقدم . من دلائل تأخرنا ان ا كثرنا أخذ يقلد المرأة الغربية بغير نظر الى موافقة عاداتها للشرع الاسلامي والآداب الشرقية وبعضنا الآخر ظل على تعاليد القديمة سواء كانت صحيحة أو فاسدة . فما هذا الجود بمستحسن ولا ذاك الاندفاع بمدوح . واني شارحة الآن عادات المرأتين في كل أدوار حياتهما مقارنة احدهما بالآخرى مستخلصة زبدتيهما لنصل بها

(١) الدور الاول المولودة

إن حالتنا الآن عند تبشير إحداها بالانثى شديد المشابهة جدا لحال الجاهلية

(*) نشرنا في (من ١٢م٣٥٣) من المنار خطبة لاحدى فضليات النساء المسلمات المشهوره بمقالاتها المفيدة في شؤون النساء والبيوت وهي التي توقع على مکتوباتها في الجريدة (باحثة بالبادية) واليوم نشرها هذه الخطبة النفيسة التي خطبت بها كثيرات من النساء في الجامعة المصرية في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

(المجلد الرابع عشر)

(٣٤)

(المارج ٤)

الاولى ولم أرنا قصصا عنهم شيئا في ذلك الا الواد قال الله تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الأساء ما يحكون) . وان الاقتباس الذي نظره عند مستهل الأنثى يؤثر في الطفلة خنوعاً للذة وروماً الى الضمة فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها وبين أختها فتعقد في نفسها انها أحمق شائناً وأدنى مرتبة فلا تطلب من العالي ما يطلبه اخوها ولا تنبسط نفسها الى ما يرفع شأنها وجنبا وتضع نفسها حيث تضعها . ولبت شعري لم نكره ولادة الأنثى وهي نصف الانسان وامه وزوجه وابنته ؟ الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالتي ؟ ألا يرجع الفضل في تدبير عش الرجل لها ؟ ألم تكن في كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع أمه ؟ وكيف نهمل تعاليم ديننا الحنيف في هذه المسألة ويتبعها أكثر الغربيين فان أهمهم ولا سيما الشمالية منها يتساوى عندها الذكر والأنثى وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من فضلها علماً وتجربة وحذقاً . يبرر الشرقيون ومن هذا حذوهم جزعهم هذا بأن الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها . ولكن كم من والد مات ذكره بموته وان العمل وحده عليه حياة الذكر أو فتاؤه هل رفع الله الانبياء عليهم السلام درجات على الناس بأعمالهم أم بأبنائهم ؟ ومنهم من لم يتزوج قط ومنهم من عقه أبنائه . أم كان أبو العلاء المبري أبا ذرية أحب اسم وهو الذي يعد الزواج والذرية جناية ؟ وهل بقي الولد عن الابوين شيئا اذا كان لا يخفف حشرة الموت ؟ فالبنت والصبي سيان وكلاهما قرة عين الوالد في حياته ولا يدري ماذا يفعلان بعد مماته . وهل اذا ورث القى زوة بددها بعد حافظا غنى أسرته ام اذا ولد لاحدهم ذكر ضمن لهم الحياة مخلدين ؟

٢ - الدور الثاني دور الطفولة

في هذا الدور تميز الصبي عن البنت في امور شتى مما ان الغربيين لا يفرقون البتة بينهما فضلا عن انهم يوفرونهما حقهما من التربية والعناية ونحن اذا فضلنا الذكر قليلا فلا نزال مقصرين نحو العناية به فما بالكن بالأنثى ؟ ترضع المرأة الغربية طفلها بنفسها وتنظفه اللهم الا فئة العائلات اللاتي يضطرهن الفقر الى الاشتغال في المصانع

والحوادث وترك أطفالهن في مربى الأطفال بالاجرة . أما نحن فنعد اوضاع أطفالنا عيالا يقتصره لنا ادعاء القتي أو القتي نفسه ونحمل أمر نفاقهم للخدم ونكل ترويضهم وزينهم اليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح فيشب أطفالنا أشبه أخلاقا بهم ونجديتنا وبينهم جناء وصلة منقطعة ، وكيف تعرف الأم طبايع طفلها وهي لا تعرفها بنفسها ؟ ولومرت الأمهات يوما بالمراضع جالسات على حافة الطرق ليراقبن حالتهم الاخلاقية لما تأخرن لحظة عن حماية أطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الاخلاق

أما عنايتنا بصحة أطفالنا فليست بأكثر من عنايتنا باخلاقهم فينا المرأة الغربية تندي طفلها غذاء خفيفا مريم الحضم وتحتفظ عليه من هجمات البرد والحر تريننا نعلمه أقل الغذاء ونبادر باعطائه اللحم وما يتصرهضمه فتختل مدة الطفل ويصاب بالاسهال والنزلات المعوية وقد يقضي به سوء الحالة الى الموت أخيرا ولا نكثر بنظافته لئلا يحسد وتركه يلعب به القيضان الحر والحر فلا يلبث ان يمرض ولا علاج له عندنا الا الرقي والتأمم تنقل بها حمائله واذا بكى متوجعا نظن بكاءه جوعا فلقمه الغذاء فوق الغذاء الى ان يقضى حقه . هناك تنهم أمه صاحبها أو قرينها بأنها حسدته وتركته فيه سها من عينيها فيفضها وتشتام من رؤيتها . واذا ابتداء الطفل يتكلم ويمشي فأول ما ينطق به عندنا لينة الآباء والاجداد ومن الغريب اننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك واستحسان فيظن انه مصيب في قوله فينادي في الاكثار منه واذا مشى فانا نحجر عليه الا ان يمشي وسط الحجرات المزدحة بالاثاث والاواني فاذا لم يكسر شيئا فانه يتهم بصدمة أو بوقوع واذا تأخر في الخطو قليلا نساعد له عليه بالمشاة (المشاية) وهي علة تشويه كبيرة لا نشربها فان عظام الطفل اللينة باجهاها على المشي حين لاقدرة لها فتتوي فيشب الطفل أعوج الساقين منحني السلسلة القرية أو الصدر كذلك لا نلتفت لموضع سرير الطفل وتأثير النور في عينه فيكثر فينا الحول والعمى فما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذى اللسان وبين الطفل الغربي الصحيح البدن بالاعتناء ما أجمله حين يذهب في الصباح والمساء ليقبل والديه وحين يستغفر أيّا كان لاقل هفوة ويشكر لا بداء الجميل ! واذا حرم

تلك القصة الوالدية لفرة أمانها فلا تسكن من حزنه وبكائه الى ان يتوب . يمثل هذا تلم المرأة الغربية طفلها — ورضي الوالدين اعظم نعمة الاولاد — وربي فيه الضمير الحي والاعتراف بالشكر لمن وجب له فلا تصغر نفسه بالضرب كما تعود نحن اطفالنا . ما المراد من ضرب الطفل ؟ المراد هو نهي عن اتيان شيء لا يستحسنه لا اذاء جسمه بأنواع التعذيب البدني ، وفي طرق التأديب النفسية ما يكفل تلك الناية بخير الشتم والضرب الذين يضعان همّة الطفل ويخففان من حزنه صغيرا ويزيدان تحمكه واستبداده كبيرا

ويعدر ما تعطى الطفل حرية في البداية والاتلاف محرمها عليه في الرياضة المفيدة لنمائه فنمنحه الجري والتزه ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع ان الطفل الغربي بعد عضوا مها في البيت كسائر أعضائه من أب وأم فيذهب به الى بلاد بعيدة لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه ولعبه وسائر لوازمه ويعامل بالأكرام ويعود الاستقلال من نعومة اظفاره الى أن يدر عرع . واذا لحن في كلامه بادرت أمه بتصحيح خطئه والنطق أمامه نطقا صحيحا حتى يحاكيها فيه . اما اطفالنا البائسون فانا نلغ لهم لرضيهم ونكلمهم بلقمتهم المضطربة بدل تعليمهم لقنا العامة لا الفصحي !

نحن نبادر بإرسال أولادنا للمدارس وهم صغار لا يدركون ماهية العلم ولا بالفن حجر حريتهم فيضايقهم المعلمون بتدريسهم الملل الغير الجذاب ، ويلزمون أعضائهم المخلوقة للحركة بالسكون التام فيتربى في الطفل قور من المدرسة والدرس فتجبره أمه على الذهاب للمدرسة فيزيده الإجبار قورا ، وقد يكون خطونا في إرسال أولادنا صغارا جدا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم بأساليبهم القبيحة ما ينقص من استعداد الطفل لتلقي العلم ويفسد عليه ملكاته . أما الطفل الغربي فهو أسعد حظا اذ تعلمه أمه في البيت طرق الملاحظة والمشاركة وتلقنه فوائد الأشياء والأمور البسيطة لما يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره ، وتعلمه الاحسان والشفقة بما تعلمه امامه من ضر وبهما ، وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الاولى بأسلوب مشوق ولا ترسله للمدرسة الا وفيه ميل اليها واستعداد لا سبقي عليه بها . وقد جربت ضر إرسال الاولاد

للمدرسة صفارا في نفسي وفي اخوتي وفيمن شاهده من التلميذات فاني ظلت حوالي الثلاث سنين لألقه معني للمدرسة ولا أقاد أنهم الغرض من ارسالي اليها وكذلك شاهدت الطالبات من التلميذات هن اللاتي أرسلن للمدرسة في سن الثامنة أو العاشرة أما المرسلات صغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئا غير ضعف البنية ونحاسة ما أنفق عليهن . اذا كان ولا بد من ارسال الاطفال للمدرسة صفارا فيجب أن تجعل لهم فرقة مخصصة كفرقة بستان الاطفال (Kinder garten) التي تلقى اليها الدروس مزيجاً من التعليم والرياضة وبراعي فيها مدارك الطفل وتمرن حواسه وأعضاؤه بغير اجبار يخافه أو تكرار يمله . ولو كانت الامهات مقتنيات بأطفالهن تمام العناية فان مثل تلك الفرقة كان يجب أن تكون في كل بيت أنهم الله عليه بنعمة الاولاد .

التربية عندنا احدى طريقتين : اما القسوة أو التدليل وكلاهما ضار . فالقسوة ترمق الطفل وتطعمه النمل والتدليل يطوح به في مهواة الضرور . فمن دلائل قسوتنا تخويفنا الاطفال وتصوير صور مخيفة لهم من الظلمة وملأ أذهانهم بترهات لأصل لها (كالبيع والمزيرة الخ) وضربهم عند مخالفتهم لنا . ومن تدليلنا ايهم أن نعلمهم الانانية ونعطهم ما يشتهون عند بكائهم بعد منعهم اياه قبل البكاء فيتعلمون من ذلك ان الصباح يسير الصبر ومقرب البعيد فلا يتأخرون عن البكاء عند أي شيء . نمنعه عنهم وقد رأيت كثيراً ان طفلاً ينصح أخاه أو أخته الأصغر منه سناً بأن يبكي حتى يأخذ كيت وكيت مما كان منهم عنه . أما الافرنج فطريقتهم في تربية الاطفال خير من طريقتنا اضماعاً فيعاقبون الطفل الذي يبكي لطلب شيء بالحرمان منه فيعلم ان البكاء لا يجدي ويطلبه بالطرق المشروعة وان منع منه فلا يعود يتشبث به . ويمدون في المنزل مانعاً اليه حاجة الاولاد من الحلوى واللبب خوفاً عليهم من قذارة ما في الاسواق واقتصاداً للمال والزمن .

٣ - الدور الثالث دور المراهقة

هذا هو الدور الذي تتجلى فيه صفات الفتاة حسنة كانت أو سيئة وان كانت الاخيرة فمن الصعب تغييرها . في هذا الدور بهم الاهلون بارسال اولادهم الذكور للمدرسة ولا يهتمون كثيراً بتتقيف عقل الفتاة على انهم قد أخذوا بقادون الغربيين

أخيرا في تعليم الفتاة وانما لم يجبي . التقليد نافعا لنا ولا يحكما في ذاته . فالفتاة الغربية تعلم العلوم الى ان تحصل منها على درجة عالية أو درجة محدودة . أما فتاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستفي بها عن الاستمرار في الاستفادة فهي لا تقلد الغربية في التعلم النافع وانما تقلدها باستماتة في تعلم (البيانو) والرقص !! ولا أدري لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل المود والقانون وتعلم (البيانو) مع ان الاولين فضلا عن كونهما شرقيين فانها ألطف صوتا وأشجى نغمة وأقل جلبية وأرخص ثمنًا وأخف حملا . ان (البيانو) لازم جدا في الغرب لتحية الجموع في المراقص والكنائس لأنه بتغانيه العالية يسمع الى مكان بعيد أما في بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس فلا أجده من الضرورة بالدرجة التي يتهاقت عليها فتياتنا . نعم ان تعلم الموسيقى من الكماليات المدبوحة ويقولون انها مذبذبة للطبع مرققة للشعور ولكن ألم يكن الاولى تعلمها على الآلات الشرقية التي لا ضوءاء لها اذ هي بذلك أدعى للحشمة فلا يتعدى صوتها البيت الذي هي به .

لو سلمنا بضرورة تقليد الغربية في تعلم (البيانو) لوجب عما كاتنا أيضا في تعلمه من حيث هو فن واتقانه لان تقتصر الفتاة على قراءات تناسب بين تفاهته حتى ان سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسا في (البيانو) يمكنه قد ذلك الضرب على صياح الأذن لا على (البيانو) فان أذنه تتبوعه لسياحته

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة ؟ لا يقرآن الا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الاغتمالات النفسية فيتأثرن بمجداث العشق والهروب وتنطبع في ذا كرتهن اشعار وجل غرامية مما يقرآن وتقرأ ما هن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدن أن تلقي أثرا في عقولهن اللينة . ان الآباء ملومون في هذه الحالة لعدم اختيارهم كتباً نافعة تقرأها فتياتهم . لماذا لا يختارون هن مثل كتاب التربية الاستقلالية (١) وفيه أمور نافعة جدا في تربية الاطفال ومعاملة الأزواج أو مثل كتاب كليله ودمنه (٢) أو كتب تراجم المشهورين من رجال ونساء فان في قراءة سير المشهورين

(١) يباع بشرين قرشا صحيحا بإدارة النار وأجرة البريد قرشان ونصف قرش

(٢) يباع بشرة قرش بإدارة النار وأجرة البريد قرش ونصف قرش

ما يمتدحني على ان يقتدي بهم أو مثل كتب آداب الفقه وغيرها مما يندو ويد في آن واحد . هذا اذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم ما يستعصي عليها فهمه أو ما تنصهر من الاستمرار على قراءته لجده الخالص وجفافه . ماذا تفعل الفتاة في سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة وهي ممتلئة الذهن بحوادث «روميرو جولييت» والفاظ «قانتلي وحيتي» الخ ؟ انها تمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك البن لأن سنها كما ينت أنصب مراعي ابليس . هذا من جهة القراءة

أما الحرية فان الفتاة المصرية الاولى كانت محجورا عليها الدرجة الحبس والفتاة الغربية لها مطلق الحرية ان تغدو وتروح وحدها وتساقر من بلد الى آخر قاص بغير رقابة أهلها وهذا من الخرق في الرأي وأخاف أن تفرنا زخارفه فنصل به لأن كثيرات من قياتنا المتعلات بحسب ان الدرجة التي وصلن اليها تكفي لاعطائهن مطلق الحرية يظنون ويرحن وحيدات . وان حوادث القيات المحزنة كثيرة جدافي أوروبا لان القيات الطائشات لصفاء نيتن يصدقن كل مدع هن بالفراهم وتساعدن صهرهن المطلقة على مسابرة القيان ثم لا يلبث الرجال ان ينفضوا من حولهن ويتركوهن بين اليأس والعار وهما امران احلاهما مر !

ومن رأيي ان تمنع الفتاة في سن المراهقة هذه من الاختلاط بالشبان . وحاشا ان امس بكلامي هذا شرف القيات وانما احب أن اتيه الى شيء طبيعي والعقل من انعط بغيره . ويكفي نجبتنا لئلا هذا الاختلاط الميب ان أهله ذاتهم هم اول المائين له . والفتاة في هذه السن ككل انسان تطلب الحرية ويجب ان تروض وتخرج وهذان لا أمنها منها وانما انصح للآباء ان يراقبن وللاباء ان يراقبوهن مراقبة تخفى عليهن لان المراقبة ان كانت ظاهرة قد تضع في نفس الفتاة انها يجب ان تراقب وانها ضعيفة عن النود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان وبالاعليها واذلالا لها . ثم اذا ثبتت لوالدين مقدرتها على حسن السير فلا بأس من إباحة الحرية لها في زيارة صاحباتها وأرى ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما ضار فكما ان الاولى تسهل سبل الفساد لمن يريد ما كذلك الآخر يخلق في الفتاة ميلا لأن ترى كل شيء ويعطيها طرق النش والكذب فيكون قد جنى اهلها عليها جنايتين !

ان صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الاولى فان فسدت فقد يكون قليل من الحرية افضل من الحبر البات لانه لا ينفع ولا تعدم الفتاة منفذا لا غرضها فتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل

افضل طريقة لتربية البنات هي ان يرين قبل البلوغ كل شيء تصنع مشاهدته بمعنى ان البنت في سن العاشرة والثانية عشرة يجب ان يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعب المختلفة والحوائث الكيرة والمتنزهات والآثار ويركبها السيارة ويريا الحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أو عجيب فتستبر من جهة ولا تظل بهاء ككثيرات من فتياتنا وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر فلا تجديها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات فاذا عرض لها التزه في حياتها المستقبلية فلا بأس به وان لم يعرض فلا تأسف كثيرا لقواته

المدارس — تعجني جدا طريقة مدارس (الفرير) في قل القيات صباحا ومساء في مربياتها انخلاصة حتى لا يمتلظ بهن السابلة وحتى يأمن عليهن أهلين وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه ليستصحبته الى المدرسة ذهابا وإيابا فخبذا لو اشترت نظارة المعارف أو استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات الى مدارسها في القدو والرواح ويكون لكل قسم من أقسام البلداوحدة أو اثنتان حسب كثرة التلميذات وقلهن فان التعليم في مدارسها ارق بكثير من التعليم في المدارس الأخرى وخصوصا في اللغة العربية التي هي لغتنا ويجب ان تعلمها جيدا وكذلك تراعى فيها آداب البلد وعاداته ودينه أفضل مما تراعى في تلك المدارس الاجنبية التي لم تفتح الا لتشر مذهب من المذاهب الدنيوية أو لكسب أصحابها فقط

بعض أصدقاء تعليم القيات يرون ان تظل الفتاة جاهلة خيرا لها من ان تعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمع به أولياؤها وهي نظرية فاسدة لان التربية الصحيحة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عصتها وقوة أهلها وآداب نفسها ما ينجيها من سوء الاحدوة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الاشياء واذا انكسر فلا يجر اما الفاسدة فتقبل اذا وجدت مسر با سواء كانت عالة او جاهلة وغاية الامر أن الجاهلة اسرع شططا وأدنى الى

أن تشهر نفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء إلا بعد وقوعها في سوء مقبته
الملابس والأزياء - الملابس الشرقية أخف مونة وأيسر كلفة وأشد ملاءمة لجونا
الحار وصيفنا المحرق من الملابس الأفريقية فهي جلاب يلبس مرة واحدة فوق الملابس
اللاصقة بالجسوم . وعند الخروج تلبس قوكة الملاءة . أما الملابس الأفريقية فإياها متعددة
القطع مضاعفة التركيب عسرة اللبس والزرع فمن شدي يخنق الخياصة ويحشر الكبد
والطحال ويدلي الأحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعي اللازم له ، ومن بنية (ياقه)
منشأة كالورق المقوى لا تستطيع المرأة فيها لت رقبته ولا الأثناء لقضاء أي عمل
فتظل مشرّبة العنق لا عن صيد مشدودة لا عن وثاق ، ومن صدار (chemisette)
لاصق بالابطين ضاغط على الكتفين أو منفرج الفتحة (décolte) معرض العنق والنحر
بل الصدر والظهر إلى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب الزلات الصدرية
ومن مرط (Jupe) ضيق الأعلى غير محكم الأزرار واسع الأسفل طويل الذيل
كأن لا يسته من ذوات الأذنان تثير عند مشيتها الجرائيم وتضايق الرقبين والخصام
ومن قبة شاسعة الأرجاء مدججة باللباس مثقلة بالطيور وريشها والفصوص وأزهارها
ونماؤها مدججة بالاربطة الحريرية ، ومن أناشط (بنايغ) في أجزاء (الفستان) يضم
في ربطها وحلها الزمن سدى فضلا عن تعدد الملابس لتعدد الأغراض فخلعة للصباح
وأخرى للنساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا . وإن
الزمن الذي يضيع كل يوم في اللبس والخلع لو صرف في عمل نافع لآتى بالفائدة
وأراح من العناء .

على أن لساء الأفرنج حسنة واحدة في ملابسهن مقبودة عندنا وهي البساطة
عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل قلبس المرأة ثوبا قصيرا كي لا يعوقها عن المشي
أما نحن فترتدي أحسن طرفنا في الخارج ونظل في الذبول نجرها . على أن
الأوريات أحق منا بتفنن الأزياء وشدة التألق فيها لانهن برزات أما نحن
فأكثر ما يرانا جدران المنازل وإن خرجنا فتحت الأزار أو في المراتب وإذا
فلا لزوم لاتباع (المودة) بشنف زائد لأنها تقرو وتعل . وإن كان للفتيات حق التمتع
(المأرج ٤) (٣٥) (المجلد الثالث عشر)

بصرف ما هن ولو فبا لا يجدي الانسانية كالازياء فليس المتوسطات حتى اقرار
بمولتهن أو آباهن جريا وراء المودة المثقلة .

تخرج بعض نساثا عن حدود الأدب والشرع زعما باتباع (المودة) ولكن
هناك فرقا كبيرا بين (المودة) والخللاعة فان ليست المرأة آخر الازياء في بيتها فما
عليها في ذلك من حرج ولكن اذا أظهرت زيتها للعاره وظلت تملكاً وتضحك
فذلك هي الخللاعة الشائنة ولم تجي في مجلات الازياء (كالبرتال والوفى) وغيرها
فهي أي كتاب قرأتها .

لاحظت شيئا غريبا في الفتيات وهو أن الفتاة التي تبرج وتأنق مغالبة في
اظهار محاسنها وغناها تريد بذلك ان يعجب بها الخاطبون والخطابات هي التي تأخر
دائما في الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر مثلها وهو عقاب طبيعي
للتبرجات لأن الرجل مما أعجبه شكل الخليفة وكلامها فهو لا يرد ان يقتربها نفسه
اعتقادا أن ما أعجبه منها ظاهر لغيره ايضا ولو فطنت الفتيات الى ان أول شرط
يشترطه الرجل في امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهجة لما تأخرن لحظة
عن الاقلاع عما زعمته قريبن في أعين الراغبين في الزواج وهو في الحقيقة يعدهن وينفر
الرجال منهن . لست بذلك ادعو النساء الى التقشف او البعد عن الزينة فليس لي
ان احرم ما حلل الله ولأن في الزينة للمرأة بعض السعادة ولزوجها كذلك ولكن
فرضي الاعتدال في الزينة الى عدم الخروج عن المعروف .

٤ — الدور الرابع الخطبة والزواج

تتجمل الفتيات كثيرا في انتظار هذا الدور ولوعن مصاعبه ومتاعبه لا تسجله
واظن أن ما يشوقهن اليه هو الزخارف والخلل الجديدة وما يقام للعروس من معالم الزينة
وما يقطر عليها من الهبات والهدايا ولكن لا يدرين التبعة الكبرى التي تحملها
المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في عيشها الجديدة ، وشتان بين
الفتاة تمام مل عينيها ولا تسأل الا عن نفسها ويسعى أبوها وأهلها في ارضائها وجلب
ما تشتهيها من ملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعثها الى ما بعد نصف الليل

وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهز طعامه وتنظف ملابسه وتظل يومها تشتغل في بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها ان ترضيه وترضيهم وتخطب ود اهله وتقوم بتربية أولاده وهي بين كثرة العمل وتنوع التبعة نحاسب حسابا عسيرا على اقل هفوة (*) ، وربما وجدت منه سكيلا فظا أو أحمق ، وأدهى من ذلك ان يتحفها بضرة شرعية او غير شرعية تأتي على ما بقي من روتق جمالها وسعادتها

لا وسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن بأعين الامل والجبران والخطابات وقد تحسن في أعينهن من لا تحسن في عين الخطاطب لاختلاف الأذواق والمشابو فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف قلت له فيصور منها شكلا في مخيلته عسى لا يطابق العروس الحقيقية أصلا لسوء تعبير الخطابات وتحريرهن . وكذلك الفتاة تكاد لاتعلم من خطبتها شيئا الا اسمه وماله المبالغ في تقديره لترغيبها هي وأهلها فيه . فإذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالبكم والغشيان لفرط اندهاش أحدهما من الآخر . وبعد المباشرة قليلا قد يتقنان وربما لا يتقنان وهذه الخططرة نتيجة اعتقادنا القلوب في القضاء والقدر . نعم ان القضاء والقدر لا يجدي مغالبتها ولكن لا يصح اتخاذها وسيلة للإهمال في جلب المنفعة أو درء الضرر فان هذه المسألة مسألة اختيار محض لعل ان يحكم فيها وحده فإذا أحسن الاختيار حسنت عاقبته وان قصر او أهل ساءت القوي . على ان اسفار النساء عن وجوههن لم تجتمع الاثمة على تحريره فضلا عن انهم كلهم يجوزونه عند الخطبة فحاشا من وقوع الاختلاف ودعوى الفش فيما بعد

أما الافرنج فخشية أن يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة

(*) في كلام الخطيبة مواضع للنقد لم تعرض لها لان كلامها بالاجال صحيح ومفيد ولستنا لم نر بدا هنا من تنبيهها الى خطأ بين وهو تروايها بتكاليف الزواج وذكر اشياء تافهة عندنا من المرغبات فيه معرضة عن ذكر السائق التطري اليه وهو شعور كل فرد من أفراد الجنس بأن نفسه نزاعة الى السكون الى نفس أخرى تكمل بها اما تلك الزخارف الكاذبة فقد تكون من المرغبات لمن لم يهرين بسهم في التربة ولا سيما لسات الطبقة الدنيا اللاتي كن محرومات في ميوت آبائهن من مثلها والخطيبة الادبية انما ارادت ذم التمجل بالزواج فجاء كلامها صريحا بالتنفير من الزواج نفسه وهو غير المراد حقا .

العمياء وما يترتب عليها من الشقاء المستمر أجمعوا رأيهم على ان يتراءى العروسان قبل الخطبة مرارا ويتقابلتا تكارارا ولكنهم أفرطوا في الأمر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي كل الأمور ذميمة لم يكتفوا بأن يرى الخاطب مخاطوبته عدة مرات بل شرطوا أن يكون الزواج بعد الرضى أو الميل المتبادل بينهما ولا أجل أن يحصلوا على قلب الخاطب قبل أن يعرف من هو يحرضون بناتهم على غشيان المتزهات والمراقص ومجتمعات القيان لعل الواحدة منهن تخطب قى من الموجودين هناك بالاتفاق وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سدى فتعرض لغيره ويتعرض لغيرها الى أن تجد بعد طول مدة الخبر قى يكشفها بعزم الاقتران فتظن أنها وجدت ضالتها المنشودة فتظن أهلها ويتردد الخاطب عليها في البيت وغير البيت وربما تمضي الشهور أو السنون ثم ينقض القى عن الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤد الى المرام وان القلوب لم تألف وإذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالأخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان الصلح بعد الاختبار أمرا غير مستقيم وإنما يكون الاستباح بعد الاعلان القطعي وهو ليس الخاتم عندهم ولا شك ان التساهل الى هذا الحد فيه مافيه من الميوب مما لا يخفى على الناقد البصير.

والحق ان هذه المسألة من المضلات الاجتماعية فلا الاسترسال في الاختبار بآمون العواقب ولا الاحتجاب على الخاطب بمفيد بل ربما كان مؤخرا الفتاة عن الزواج في الاوان المناسب وربما كان في الحى الواحد قيان وقيات كل منهم يعني الزواج ولا يعلم القيان بوجود القيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت . ولا خلاص من هذه العقدة الا اتباع سنة السلف من العرب في صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائري أهلها لاستطلاع قصدهم والخروج في القرى ان كانت بها للمساعدة في بعض الاعمال ، ويجب على القيان في مثل هذه الحال أن لا يظهروا غرضهم امام القيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة فان ذلك منابر لذوق والادب وموعد لتجمل القيات وازواجهن وراء الحجب . وينبغي ان تمود القيات هذا الامر من صفرهن حتى لا يستقر به عند الكبر ويحسن بشئونه . وهذه الطريقة متبعة في القرى والبادي المصرية فبذا لو اقتدى

هم أهل المدن ، وإنما يشترط في الأخيرة أن يكون خروج الفتاة مع أبيها أو أخيها أو أحد محارمها . وعلى كل حال فالشيء الذي لا بد من منعه هو اقتراد الفتى بالفتاة وطول المحادثة في غير ضرورة لما في ذلك من مخالفة الشرع وإثارة التهم

هذا ما يقال في الخطبة . أما الزواج فطريقتان فيه مختلفة أيضا فالمرأة الغربية تدفع الصداق (الدوت) وقد يكون من جراء ذلك في بعض الأحوال أن تصير الزوجة سيدة الرجل الآمرة الناهية والمرأة الشرقية كانت لا تدفع شيئا ويدفع الرجل الصداق فيأخذها أهلها أنفسهم ولا يشترطون هامة شيئا وبذلك يعتبر الرجل نفسه سيدها لاحتق لها في معارضة . وهاتان الطريقتان غير نظرت إلى غنائمها أو تفضيل احدهما على الأخرى واضحتان في أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة في البيت . أما طريقتنا الآن فهي معتلة ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين . يدفع الرجل الصداق فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفه أو أكثر فهو بما أفق يظن أنه السيد وهي بما أفتت تظن كذلك فيتنازعان على الرئاسة !

مالنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم زوجته فإن أعجبه أن يفرش يته حصيرا فليكن وإن راقه أن يمويه سقوفه وجدرانها بماء الذهب فليفعل وإن أحب أن يجعله جنات عدن تجري من تحتها الأنهار فليحدا رأييه . وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئا من العروس فهي وشأنها في مالها . إن حوادث الطلاق فيها عظام كثيرة لو اتقينا لها فكثيرا ما يتنازع الزوجان على الأثاث كل يدعي أنه له وإذا كان في الرجل مروءة وتركه لمطلقته فاتها تزحم به بيت أهلها ويظل مكدسا يرتفع فيه العث والجربان فتجد مرعى خصيبا فإذا تزوجت المرأة ثانية وجدت أكثره تالفا أو طال عليه القدم مع ما يستلزمه نقل الأثاث وترتيبه كل مرة من التفتات والتعب . وإذا لمت الغنية مرة على هذا التدبير فتأتي ألوم القبرة المدعية مرارا . فكم من ميوت خربت وارضى يمت أو رهنه لا لسبب سوى تجهيز عروس لا يلبث فرشها البهي أن يحول لونه أو يتمزق بعد سنين قلائل فكلف زوجها بتجديده أو يبقى خرقا . سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحدة بعد أخرى جهازا كان موضوع الحديث عند معارفه وكان له مئة فدان من أجود الأطيان يعيش برعيا غيش

الرخاء فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الاولى ورهن ثلاثين لثانية والباقي للأخيرة ولما حان ميعاد الوفاء لم يف واذا بالدائنين أتوا على ماورثه وهو كل ما يمتلك وحجزوا على يته أيضا !! فباقه الا يعد هذا الرجل قصير النظر اخرق ؟ وهل اغناه اثاث بناته وقد اصبح معدما ذليلا ؟ من الجنون بل ومن القساوة ان تجتهد الفتاة في تخريب بيت والديها لتزين بيت زوجها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها ، وهل يعد التوسط في القني أو الفقر عيا !!

إن الاوربية لا ترمي مالها كما تفعل في أوانٍ لا تستعملها وفي خرق قبل بعد زمن قصير بل تستثمر ذلك المال فتسبه وتحفظه للعوز وذخرا لأولادها بعدما وتنق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس فتحيي البائسين وتحيا بحسناتها فهي ابرع منا بمراحل في طرق الاقتصاد

الاقتصاد المالي والمنزلي

لا تكفي المرأة الغربية بتمية مالها فقط بل تصل ميزانية مصبوبة لواردات بيتها ونفقاته فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهما في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها كي تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برفو الثياب وتصلحها وتعمل من كل قديم جديدا وقد تغير شكل الثوب الواحد وزيفته مرارا فيين جديدا . نعم ان فينا تلقاء ذلك كرما ولكن يجب ان لا يكون الكرم احمالا ، فقد تعق بقة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي الثمن فاذا اهلناه لم يصلح للبس واذا اعطيناه لخدمة او لامرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من القماش الرخيص (الشيت) أكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه الحالة يكون كرما غير مجد فلو اجتهدنا في ازالة تلك البقعة او تمويهها بشيء من الزينة (الكلفة) وجدنا على تلك الفقيرة بثوب رخيص لكان افق لها ولنا

إن تربية الغربية مؤسسة على العناية والملاحظة . أما نحن فقليا نتبه اليهما ، تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تظهره من براعتها وعملها فهي تخطط لنفسها ولزوجها ولأولادها وتكوي ثيابهم . أما نحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخطط

كل شيء حتى التافه عند الخياطات - بشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما لبيتها وتجهله لذيذا ومشتهى لكثرة الجوارس (السلطة) والخلاوى - أما المصريون قرشا عندنا فعمل بها المرأة طعاما ولكن غير منوع ولا مشتهى

ان الانرج رجالا ونساء يعرفون كيف يجتذبون الانتظار ويجعلون الشيء المتوسط في الحسن جيلا - قدرأيتين بضاعتهم وهي اقل مائة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها في حوانيت واسعة ماثرة بالكهرباء ويرصونها داخل ألواح من الزجاج فتجذب المارة ثم هم يختارون لتجارهم محلا من المدينة يكثر فيه الفادون والرائحون أما تجارنا فهم بمنزل عن ذلك القبح قد يكون دكانهم في مكان غير مطروق كثيرا ويهملون في عرض بضاعتهم والأعلان عنها فيبور - مثل تجارنا في حوانيتهم كئنا في بيوتنا فقينا من الذكاء والمقدرة ما يمكننا من جعل بيوتنا جنة ولكن قلة الناية هي التي تؤخرنا وتوقنا

العمل - أما العمل اليتي أو الخارجي فاما يجب أن نعترف للمرأة الغربية بسببها فيها وان كانت غياتنا وأغلب غياتهم لا يكثرن الا بالملاهي والازياء ولكن المتوسطات هناك لا يأتفن من مزاوله الطبخ والكي والترتيب كما تأفقه متوسطاتنا وقيراتهن يعملن ما يقوم بأودهن وأود أسرهن - أما فقيراتنا فاما ان يتسولن أو يشتغلن بعمل قليل الكسب والشواهد كثيرة على ذلك وأقربها وهو ما نعرفه كئنا ان الخياطات المصريات لانكاد نجد بينهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدا وهن لعدم اقلتهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع ما تكبدنه من التعب وانفاق المافية فتأخذ الواحدة خمسة قروش أو عشرة أجرة الثوب في حين ان الانجليزية تطلب جنين على الاقل مقابل تعبها فقط - وكذلك الطبيبات منا يكتفين بدروس قليلة من التمريض ولا ينظرن لحيالاتهن الاجنبيات اللاتي برعن في الطب وثان نفس شهادات الرجال - والمريات والخدم المصريون لا يهتمون معنى الترية واغلب الخدمات لا يصلحون فاضطر ان يجلب هؤلاء من الانرج

يقولون الحاجة ام العمل، فما بالنا نكسل وتقصرو نحن في شديد الحاجة لا مثال هؤلاء الخياطات والطبيبات والمتطلبات وغيرهن - من فروض الكفاية ان يكون كل

هو لا مصرية في مصر فيمنع بعض ما لها من التسرب في جيوب الأجانب ومن
ما كنت ينظرون . لقد أصبحت كلمة مصرية في أفواه الأجانب عنوانا على الكسل
وعدم القدرة فهلا يبعث فينا ذلك التعبير روح النشاط وحب العمل ؟ هلا حاكناهن
فيما تهوون فيه علينا من العلم والعمل ؟ أم هل تكفي محاكاتنا لمن في الزي والتصنع
أن نصبح مثلهم ؟ . انهن أسسن الجمعيات وادرن المستشفيات والملاجي ، وقمن يشتغلن
بكل فن حتى انهن يطلبن مشاركة الرجال في الانتخاب لحكم بلادهن وما ذلك
النتيجة العلم والتربية على حب العمل

من حب العمل عندهن الرياضة في ساعة الفراغ فترين انهن يشتغلن حتى
وهن يطلبن الراحة . أما نحن فنكسل ونطلب الراحة في ساعات العمل . ألم نسمعن
بجمعية الصليب الأحمر وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداداة الجرحى والتقاطهم
ونار الحرب تستمر ؟ . ليس ينبغي انهم ويضمد الجراح كالمرأة الآسية . ان النساء
المنخرطات في سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحمل
البرد القارس الى درجة الجليد بين سهول منشوريا وحزونها وفي الاقاليم الاستوائية
التي يذيب حرها اللافح رأس الضب . وقد كان نساء العرب يفعلن نفس هذا
الفعل الشريف في الحرب ويردن عليه تشجيع المجاهدين وتنفيذ الجياد قال عمرو
بن كلثوم في معلقته

يَهْنُ جِيادُنا وَيَقْلُنْ لِسْمُ بَهْلَتِنا إِذا لَمْ تَنْصُرْنا
وَقَدْ كَانَتْ مَخاطرُهنَّ هَذِهِ تثيرُ الشَّجاعةَ في الرِّجالِ وَتَحْمِلُهُمْ على الأقدامِ
بدليل قوله

إِذا لَمْ نَحْمِهنَّ فَلَا بَقِيَّةَ بِخَيْرِ بَدَهنِ وَلَا حِينِنا
وقوله في موضع آخر من القصيدة

وما منع الظلم أن مثل ضرب ترى منه السواعد كائنا

الأخلاق — لا أدري أنفضل المرأة الغربية في معرض الأخلاق أم تفضلنا
فهي أكثر منا شجاعة في اقتحام الخطوب وإن كانت لا تهل عنا جزعا عند المصائب
ونحن لا نقصنا ذكاء كذا كائنا وإنما نقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها . وهي تعمل

لعيش ونحن تكمل اما على آباءنا أو أزواجنا فلا نعمل شيئا وهذا الاتكال معيب في نفسه فضلا عما تخلفه قلوبنا الأيام من تخطيطته فلو تطلعت كل فتاة ولا سيما من لا رزق لها كيف تكسب عيشها شريفة مستقلة لما رأينا البائسات تخرج بين الطرقات والمبعضات بعد ما نزع عز وسابق نعمة ينتظرن احسان الاخ أو أحد الاقارب وقد تكون امرأته سبعة الخلق فيملن عشرتها أو يكون لهن من الاولاد ما ينوء بتربيتهم ذلك الاخ أو القريب والمرأة الغربية تهتم بكل شيء حتى التافه ونحن بما ركب في طبنا من المسالة نميل الى الاهمال والكسل . وأرانا أسلم منها قلبا وأقل خداعا بالطبع ولعدم الاختلاط بالرجال أيضا فتنها لتجوالها في الخارج تعلم كيف ترضي هذا وذلك لتظهر فتاة جذابة والحاجة نملها الاحتيال على العيش فهي تطلبه بكل الوسائل الممكنة . وهي أنشط ولا شك منا وأثبت على العمل الا انها أكثر قناعة وأرضى بأقليل

بقية العادات - الخرافات سلطان كبير على المرأة الغربية وان كان بعضنا يظن انها معصومة من الخطأ فنحن وهي سيان في التفاؤل والتشاؤم وتصديق العرافات والمنجمين والمشعوذين والاعتقاد بطول المقاريت والخوف من الظلمة . وعندنا الزار وهو أبو الخرافات ومفسد البيوت وهي لا تمتد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية . فلماذا اختارتنا المقاريت مسكننا لها ؟ واذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بقمص الارواح فلماذا لا تلجأ اليها روح أرسطو وابن رشد وابي الملا وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين ؟ أم قضي علينا حتى في الكذب والبرهات ان نكون دائما متأخرات فلا يلبسنا الا (الشيخة رمانة وسفينة يوسف مدلع) وغيرهم ممن لا يطلبون الا الاخلاجيل والمصوغات والسيوف المذهبة ؟ الا اننا لم نبرع في حيلة ما الا هذه تخاف المرأة أن تطلب ملابس وحلياً فيرفض زوجها الطالب فتعتمد الى ادعاء المقاريت والجن لتهديده . أعرف كثيرات ادعين (الزار) فرفض طالبهن وبعضهن ضربن لأجله فلم يعدن اليه . فيا ليت شعري اذا كانت المقاريت جينا الى هذا الحد فلماذا لا يستعمل الرجال العصي وهي كثيرة وان كنت لا أوافق على ضرب الرجل المرأة بحال من (المأرج ٤) (٣٦) (المجلد الثالث عشر)

الاحوال وانما هي تصر ان الغريت هو الذي يتكلم بلسانها ويشرح بأعضائها وانها
أعارته ظاهرها ولا أعلم الى أين ذهبت هي واذن فليضرب الغريت فهو الذي يتألم
ولا يصيبها شيء . كما تزعم في غير الضرب ! ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريبا
ان الملائكة تمصت بأجسامهن لأنهن أحكم تصرفا وأحسن اختيارا . وأظن عفاريت
الارض نفدت بكثرة الطلبات فليصرفن ههنا الى السماء كما صرفه مخترعو الطائرات
لما ضاقت بهم فجاج الارض . وحينذاك يأتيهن من ركوب الضأن والابل فيستطعن
المخترعات الحديثة وان كانت لاتزال خطرة فلا تبهن علينا البارونة دي لاروش بما
نبيع عندنا مثلها كثيرات وان كان باعتهن (مودة الزار) لا العلم .

لأعلم عند الافرنجية عادة تساوي الزار في القبح الا محاضرة الرجال في الرقص
وما يتبع تلك العادة من التبهك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن
حريتها المطلقة بلا قيد ولا وازع من الضرر البالغ والاخلال بالشرف ، وادهى من
ذلك ان ينشر يفهن مذهب حرية الاعتقاد (Libre Penseur) وهو مذهب
من لا يصدق بالله ولا باليوم الآخر فيزعمون أنهم يجتنبون الرذائل بمحض ارادتهم
ويزيدون ولكن هل اذا منعت التفضيلة امرأة عن اتيان ما لا يرضي فهل يصح ان
تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ ألم يكن الايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه مانعاً
لكثير من الناس عن الاتجار والكفر ؟ الاساء ما يحكمون

ان النفس امارة بالسوء وقد تقدم على كثير من المواقف لولا الضمير الحي
وهو ثمرة الوازع الديني افلا يعقلون ؟ وادانا لاتمسك شديداً بديننا الخفيف وهي بدعة
وعدوى اتتنا من الغرب فبلا تفكرنا قليلاً فيها ينفضنا وما يضرنا قبل الاقدام على التقليد
أو كلما رأينا انساناً يفعل شيئاً حاكناه وان كان في ذلك هلاكنا وخسارة ديننا
ودنيانا معا ؟

الآنم - بينا الافرنجية ورجالنا أيضاً يجتهدون في التلهي والتعزي عن المصيبة
تجدنا بالمكس : نقد الاجتماعات لبكي ونستأجر المعدادات لتزيد نار الامي في قلوبنا
وماذا يجدي الحزن وهو لا يرد ميتاً ولا يصيد مفقوداً : قال ابو العلاء
غير مجدي في ملي واعتقادي نوح بالكثرة ولا تزعم شاد

وان من لوازم الاسلام ان يصبر المرء عند الملمات ويترك ما فات لما هو آت
والماقل من يصرف همه اذ لا غبطة في العيش مع البؤس وان العمر الا أيام تقضي
فلماذا لا تجعلها سيدة بقدر ما نستطيع ؟

المسرات - واننا في جلب المسرات لنقصرات نحو انفسنا ومن هم في ذمتنا من الاهل
والاولاد وحبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية في ذلك فانها تقعد الاجتماعات وتوالي
السر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاها لتناول الشاي أو الطعام أو التزه
مما فيتجادلون اطراف الحديث وييدي كل منهم رأياً او حكاية لا تخلو من فائدة
أو فكاهة ويتعاطون لعبات مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون
الدعوة كل بدوره فيترامى اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاؤها كل يوم هريافيفون
همهم ويأنس بعضهم ببعض فيظلون في وثام ووفاق

الخدم - المرأة المصرية لا تقدر نفسها قدرها وطالما رايت سيدة تضاحك الخادومات
وتكاشفين بأسرارها فلا يتأخرن عن اذاعتها في البيوت الاخرى وهذا من الخطل
في الرأي . يجب ان يعامل الخدم بالراقة ولكن لا تعدى تلك الراقة حدودها .
لم تستقرين مرة من أن خدمنا لا يشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون في البيوت
الافرنجية ومع ذلك تراهم هناك انشط وأهدأ خلقاً مما اذا كانوا في بيوتنا . السبب
بين وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيئتها فيغشاها الخدم وهي لا تخالطهم الا عند
الامر والنهي ولا تخط من شأنها بمسامرتهم ومضاحكتهم وتفرض عليهم شغلهم وتريه
لهم أول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيعرفون واجباتهم .

٥ - الدور الخامس دور الامومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولية ارتباطاً تاماً حتى يكاد يندمج أحدهما في الآخر
وعليه فكل ما قلته هناك أقوله هنا

النتيجة

والنتيجة ان المرأة الغربية سبقتنا بمراحل في العلم والعمل مع اننا لا تقل عنها
ذكاء وكل ما لا يستحيل طلبها فهو ممكن بالمعاجة واتخاذ الجهد مطية اليه مهما صعب

الطريق واستعصى فإذا تخرجنا بثبات العزم وقوة الإرادة فأتانا نصل الى ما وصلت
إليه من نور العلم ورفعة المقام ولا يثبطنا قول القائلين « ان الشرق شرق والغرب
غرب » فان التاريخ أعدل حكم وهو حافل بذكر الشرقيات اللاتي قلن من بعد
الصيت ووفرة العلم مثالا كبيرا أيام كانت الغريات لا ذكر لمن فاقرأن تواريخ
نساء العرب في الشرق والغرب نجدن فادر الذكاء وجيزل الشعر ومتين الأسلوب
وما يشهد لمن يعلو الكعب في العلم والعمل

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التميز خيل إليه ان كل ما يأتيه القوي حسن .
ذلك مثنا امام المرأة الغربية فهل نردن أن نثبت للملاخولنا وخلقنا من التميز أم
نردن أن نعمل على حفظ قوميتنا وقوية روح الاستقلال فينا وفي الاجيال القادمة
من أولادنا ؟ اذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح نحتم علينا ان لا نقبس من
المدنية الاوروبية الا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لماداتنا وطبيعة
بلادنا . نقبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل ، نقبس منها أساليب التعليم
والترية وما يرقينا حتى نبذل من ضعفنا قوة وانما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال
ان نندمج في الغرب ونلاشي ما بقي لنا من القوة الضميمة امام قوته المكتسحة الهائلة
وفي الختام لا يسعني أيتها السيدات الا ان اشكر لكن حسن اصغائكن وتأيدكن
ايادي بالحضور وآمل ان نسمع ونفي ولا اخالكن الاعازمات على ترك جهودنا
القديم وعلى العمل معا لرفع شأننا وشأن هذا الوطن والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا
سواء السبيل

العبران العربي (*)

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسيني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر مَعْلَى قديماً للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسيني فلما توفي صارت لبوران بنه فاستنزلها المتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في قريظها وتسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل القرش وأحسنه وعلقت اصناف السور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت ورأسته بالانتقال ، فانتقل المتضد الى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ثم استضاف المتضد بالله الى الدار عما جاورها كل ما وسعها به وبكرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بدمه ببناء التاج على دجلة وعمل ورواه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتطيته ، ووافى المقدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما انشأ واستحدثه وكان الميدان والثريا وجبر (٢) الوحوش متصلاً بالدار (٣) كذا ذكر لي

(٥) نشر تحت هذا العنوان آثار من التاريخ تذكر لأخلف بسؤدد السلف ، رجاء ان يمت التذكير على العمل . وانا نبدأ بوصف القصر الحسيني نقلاً عن نسخة خطية من تاريخ مدينة السلام للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا الكوبرلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة G. Salmon المطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي أخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره مشيرين الى اختلاف النسختين في الهوامش ومفسرين بعض الكلمات القريبة (١) وسمي (٢) وجبر . والجبر هو البستان ولكن الخبر هنا لا معنى لها (٣) في نسخة سالون بعد كلمة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن الحسن أن بوران سلمت الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تمس الى وقت المعتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكاني في تأريخه أنها ماتت في سنة احدى وسبعين وميتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتضد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوحي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون النجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارزي (١) في بعض أيام القدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احدى عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلي ورومي واسود وقال هذا جنس واحد من قضا (٢) الدار قدع الآن الفلجان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن أبيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قال فذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن الحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامها وخرابها وحرما (٤) وما يجاورها ويتاخها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخبرين .

وقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام القدر بالله فقرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالأكلات الجليلة ورتب الحجاب وخطاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالتياب الحنة ونحتم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والأسلحة المختلفة فكانوا من أعلا باب الشمسية الى قريب من دار الخلافة وبجدهم الفلجان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبرة والراثة والسيوف

والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة
النظار (١) وقد اُكثرت كل دكان وغرفة مشرفة بدرام كثيرة وفي دجلة الشذات
والطيارات والذبذب والزلاّلات والسريّات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة
وسار الرسول ومن معه من المراكب الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر
به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضيقاً (٤) كثيراً ومنظراً عظيماً
فظن أنه الخليفة وتداخلت له همة وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد
ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات
يومئذ فرأى أكثر مما رآه النصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا
الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علفت ستوره واختبرت فروشه
ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالأعمدة والسيوف ثم استدعي بعدان طيف
به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانيه فشاهد من الأمر
ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني
أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدتي
أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر أمير
المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧)
دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين
قصره وترتيب آتته ثم صف المسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد
الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل فصار الرسول فيهم الى أن بلغ الدار ثم
أدخل في أزج (٨) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدّى رسالة
صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من المسكر أحد ألبته وأغافها

(١) النظارة، والنظارة هم القوم ينظرون الى الشيء، ولما النظارة فلامني لها معنا (٢) كل
هذه ضروب من الزوارق والسفن (٣) ممره (٤) ضيقاً والضيق ما يلبس تحت الدرع
واما الضيق فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) أنزل (٨) في كتب
اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والعلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف يرض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد العلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جملوا على سطوح الدار والملاهي وقضت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علفت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلايات (١) على درج غشيت بالدياج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة وراها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطياف مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جمات لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ماشاهده . قال لي هلال بن الحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الأمير وأحسبه الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى ابن المقدر بالله قال كان عدد معلق في قصور أمير المؤمنين المقدر بالله من الستور الدياج المذهبة بالطرور (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والقبلة والخيل والجمال والسباع والطرور (٥) والستور الكبار البضائية (٦) والأرمية والواسطية والبينية السواذج والمنقوشة والديقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الدياج المذهبة المقدم وصفها اثني عشر ألفاً وخمس مئة ستر وعدد البسط والتمناخ (٧) الجهرمية والدرابجودية والنورقية في الممرات والصحنون التي وطي عليها القواد وورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد (٨) الى حضرة المقدر بالله سوى مافي القاصير والمجالس من الاعاطط الطبري والديقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل ورسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار اكثرها اروقة بأساطين

(١) قلايات وليس لكتبيها معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطرز (٥) والطيور، وهذا الصحيح ولا معنى للطرور هنا (٦) البضائية « نسبة الى قرية صغيرة بالاهواز » (٧) الصواب الانماخ وهي البسط (٨) الجديد (٩) تمنها للنظر

ونظم وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً
ونفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الدياج
بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبرزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار
الى الممرات والدهاليز المتصلة بحيز الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش
اتي أخرجنا اليها من الحيز قطمان تقرب من الناس وتشبههم (١) وتأكل من
أيديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالدياج والوثنى على كل فيل ثمانية
فر من السند والزرافين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مئة سبع
خسون يمنة وخسون يسرة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل
والحديد

ثم اخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بساين (٢) في وسطها
بركة رصاص قلبي حوالها نهر رصاص قلبي احسن من النفضة المجلوة، طول البركة
ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً، فيها اربعة طيارات لطاف بمجالس (٣) مذهبة
مزينة بالديقي المطرز وأغشيتها دقيقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين
فيه نخل قبل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد ليس جميعها
ساجا مقوشا من اصلها والى حد الجمارة (٤) بمخلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل
بفرائب البسر الذي اكثره نحلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل
ودستنبو (٥) ومقنم وغير ذلك ثم اخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة
في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر فصاً لكل فص
منها ساحات كبيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر
تضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان
يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصغر ويهدر وفي جانب
الدارينة البركة تمايل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الدياج

(١) وتشبههم (٢) بساين (٣) كلمة بمجالس و ساقطة (٤) المجلوة

شجرة النخلة (٥) نوع من الناكهة والكلمة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في النارد خياوتقريا (١)
وفي الجانب الأيسر مثل ذلك ،

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكانت فيه من القروش
والآلات مالا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف
جوشن (٢) مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من
جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة قوسي ،
وقد أقيم نحو ألفي خادم يضا وسودا (٣) صفيين عتق ويسرة ثم اخرجوا بعد ان
طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه القلان الحجرية
بالسلاح الكامل والبنزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات (٤)
والاعمدة ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة
واصاغير (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة (٦)
في سائر القصور يستقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفتاح ومنهم من
كان يطوف مع الرسل فتلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع
واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسومي صاحب السلطان
ورئيس القنصل الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا
الى المختدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الدقيقة
المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى
رأسه الطويل ومن عتق السرير تسعة عقود مثل السبع معلقة ومن يسرته تسعة (٨)
اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين
يديه خمسة من ولده ثلاثة عتق واثنان يسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المختدر

(١) في نسخة سالون بدل: في النارد خياوتقريا وهذه الجملة « فيظن ان كل واحد الى
صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة : بيض وسود واختار سالون النصب
(٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزين قأس من السلاح ويسمى ايضاً
ملبأ كما في بلاد الشام (٥) واصاغر (٦) والصقالبة (٧) حرف « ما » ماقط وهو
الصواب (٨) سبعة

بأنه فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجان عن المقتدر
لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبل البساط قبله ولكنتي فعلت ما لا يطالب
رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريقتنا ووفقا صاعفة وكانا شابا وشيخا فالشاب
الرسول المتقدم والشيخ الترجان وقد كان ملك الروم عند الامر في الرسالة للشيخ
متي حدث بالشاب حدث الموت، وتاوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم
وكان ضحكا كبيرا فتاوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخياصة الى دجلة واقعدا
وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخياصة وصاعدا الى حيث انزلا فيه من
الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بكرة ورقا في كل بكرة خمسة آلاف
درهم وخلق على انبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر
وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ تدير صحة الحامل والنفساء والطفل أثناء العامين الاولين ﴾

الله بالترسية الدكتور اده الاخصائي بنين الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية
الدكتور فرا . صفحاته ٢٧٧ وعدد رسومه ٧٤ وقدمطبع بمطبعة المعارف بمصر
ويباع بمكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصره قروش صحيفه

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو ما يصحح أن يطلق عليه
في اللغة العربية الاخضاء فان المرء اذا اهتم لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في
ذلك الفن وأخصى وأمكنه أن ينفع وينفع، وما كانت الاختراعات والاكتشافات
في الماضي والحاضر الأبت الاخضاء، وان الارتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب
بفروعه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاخضاء فهو سبب كبير من اسباب
عظمة مدينة هذا العصر، وما من أحد ينكر أن الطب هو ملك العلوم العملية وتاج

مفرقا ناهيك بلم تتوقف عليه حياة الجسوم التي بحياتها تكون حياة الأرواح ، ومن
ذا الذي ينكر مقاومة الطب للأمراض الوافدة كالجدري والهيضة (الكوليرا)
والطاعون وغيرها كالسل ونجمه ؟ حتى أصبحت مدينة القاهرة مرتاحة من ذنك
المرضين التاكين الذين كانوا يتأبأناؤبة وهما الهيضة والطاعون ، مع أن القاهرة
ليس فيها من العناية بالوسائل الصحية عشر مئتين مافي باريس وغيرها من مدائن
أوربا وأمر يكاتلك البلاد التي بلغ من الاختلالات الصحية فيها أنه أصبح من
المحظور على الناس أن يلفظوا بصاقهم على الأرض خوفا من جراثيم مرض قتال
فيه يستشقا المافي السليم !!

ألا بارك الله في هذا العصر وبنه العاملين النافعين فان تكاليف الحياة بفضلهم
أصبحت خفيفة الحمل على من كانوا متعبين بها ، وان من انبل اعمالهم واقفها هذه
الكتب التي ينشرونها هديا للناس وارشادا ، وامامي الآن كتاب من أجل تلك
الكتب واقفها لقومي وهو كتاب تدير صحة الحامل والنساء والطفل
هذا الكتاب يجب ان يدخل كل دار من دورنا بل كل بيت وكل كوخ إن
أمكن ليكون قيد نظر كل امرأة تحمل وتلد ، ليكون لها مرشدا يهديها الى الطريقة
المثل في تدير مصيبتها ، والعناية بصحتها وصحة جنينها وطفلها ، فتسلم من ويلات الحمل
والنفاس الكثيرة ، وتهي طفلها مصارع الادواء الويلة ، وتريه على الاصول الصحية
ومن ليست بقاترة أفهمها زوجها مايجب عليها فالخطب سهل والأمر يسير غير عسير
والكتاب سهل العبارة حسن الطبع

﴿ ديوان الرصافي ﴾

نظمه معروف افندي الرصافي الشاعر البغدادي الشهير ، وعني بترتيبه وتبويبه والوقوف على طبعه
الشيخ محي الدين الحباط ، وعني بتفسير الفاظه الشيخ مصطفى الفلايبي منشي مجلة النبراس
صفحاته ٢٢٥ وعدد قصائده وقطعه ٩١ طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت
ويباع بمكتبة المنار بفسطة قروش صحيحة واجرة البريد قرش

معروف افندي الرصافي شاعر سليقي مطبوع ، قد ير على التبسط في مناهي

الكلام وأساليب النظم ، ولو ان حظه من الصنعة ، وازى حظه من القدرة ، قل
في هذا العصر مضارعوه ، وقد امتزجت في شعره نظرية الحضارة بمسحة البداوة
فكثر التفاوت في شعره ، وليس التفاوت مما يزوي بالشاعر فانا لم نعرف شاعراً من
الماضين او الحاضرين لا تفاوت في شعره

والرصافي طريقة خاصة به في النظم وهي ابداع الغرض في قصة محكية او حكاية
مروية وقد تفرد في هذا النمط من النظم حتى اصبح شعره فيه لا يطاول اسلوباً
ومنحى ، ومن جيد شعره في ذلك قصيدته « ام اليتيم » و « ابو دلالة والمستقبل »
قال في الاولى يصف شقاء ام اليتيم (ص ١٠٨)

كان نجوم الليل عند ارجافها	تشير الى ذاك الاثنين المجسم
فاخفاف القلب الا لا حيلها	وما الشهب الا ادمع النجم ترمي
لقد تركني موجع القلب ساهرا	انما مدمع جار ورأس مهوم
ارى فحة الظلماء عند انفيها	فأعجب منها كيف لم تضرم

وقال في الثانية يستنكر الحروب (ص ١٤٦)

قصت المظالم ان نطيل جدالا	وأين الا بطلاً ومجالا
في كل يوم للمظالم ثورة	باسم السياسة تستعيش قتالا
ماض من ساسوا البلاد لو أنهم	كانوا على طلب الوفاق عبالا
أمن السياسة ان يقتل بعضنا	بعضنا ليدرك غيرنا الآمالا
لأدر دُرْ اولى السياسة إنهم	قتلوا الرجال ويمتوا الاطفال
غرسوا المظالم واعتدوا يسقونها	بسم هريق على الثرى سبالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا	وتوهوها الروضة الحلالا

والموضوعات التي في ديوان الرصافي كلها شريفة تتناول جميع شئون الاجتماع
والعمران ، ومن أحسن قصائده موضوعا ، وانباها مقصدا ، واصفاها دياجة ، واحكامها
اسلوبا ، تأتيه الشهرة التي عنوانها الترية والامهات (راجع ص ١٣٣ م ١٢ من المنار)
وبأنيته التي انتصر فيها لمذهب اهل السنة في كون طلاق الفضبان لا يقع ، وعنوانها المطلقة
(راجع ص ١٢٨ من هذا المجلد) وغير ذلك من القصائد النافعة التي كان بها شعر

الرصافي ممتازا جديرا بأن يعد من وسائل النهضة في البلاد العربية وقد جعل الديوان صديقنا الشيخ محي الدين الخطاط أربعة أقسام: الكونيات الاجتماعية ، التاريخيات ، الوصفيات ، وقد أحسن في الترتيب والتبويب وكتب في مقدمة وصف فيها الشعر بكلام شعري ، ثم قسم الشعراء الى أطوار ، ووازن بين الرصافي وشعراء عصره ، فكانت آراؤه آراء البصير بالحق ، التقدير في الشعر ولقد آلمنا أننا عثرنا على أغلاط مطبعية كنا نتنى ان لا تقع في هذا الديوان النفيس ، وبأيت صديقنا منشيء التبراس اتم تفسير جميع المفردات الغريبة في الديوان

﴿ ديوان المصري ﴾

تأليفه عبد الحليم حلمي افندي المصري. عدد صفحاته ١٣٥ بالقطع الصغير وعدد قصائده ٢٨ وضمن قطع مطبع بمطبعة النظام بمصر وياع بمشرة قروش صحيفة بالكتبات الشهيرة

نظم عبد الحليم حلمي افندي المصري الشعر بالأوس وهو تلميذ خروزر فكانت قراء له الايات قلستحسن شعره ونحمد اسلوبه ، متأين أن نرى منه في المستقبل شاعرا مجيدا ، وأصدر اليوم الجزء الاول من ديوانه وهو شارخ طريق ، فكان به معنودا من شعراء العصر المشهورين ، ولا اعرف شارخا قبله في عصرنا بلغ مبلغه من الشعر ، ولئن كانت دياجاة شعره اليوم لم يتم صفاؤها وكان سبكه غير محكم الرصانة فان قلق خاطر الشباب شفيح له بذلك

ولقد احييت من أخلاق هذا الشاعر أنه لم يصب بداء الشعراء «الغرور والضعف» فقد كتب قرة مختصرة شعرية الأسلوب جعلها مقدمة لديوانه تدل على ذلك قال فيها « الى قالة الشعر وقراء العربية من مشارق الارض الى مغاربها ازف شباب شعري وشعر شباني بقدر ما تزودت من الادب ، ونشرت من برود العرب ، حتى اذا امتد جبل العمر ، واشتد أزر الشعر ، كان الفرق بين شعر الطفولة وشعر الكهولة مرآة للتأخرين ، ودرسا للبديين » وأعجبني منه انه لم يتلو تلو غيره من الذين يكتبون مقدمات لدواوينهم يعرفون بها الشعر ويتصفون في ذلك ويتمثلون ، حتى جعلوا

الشعر بعريفاتهم من النظريات التي لأشأن للاذواق فيها ، ومن يتوهم أنه بوصفه
للشعر يزيد من عرفته روحه بصيرة فيه ، أو يقربه من أرواح جاهليه ، فهو لا يعرف
من الشعر إلا أنه قانون صناعي نظري ١١١ على أن المصري قد نشر لغيره مقدمة
من نوع تلك المقدمات الموصوفة !

ومن جيد شعر المصري قصيدته التونية التي عنوانها دخلع عبدالحديد (ص ٦٣)
وقصيدته التي عنوانها د السنة الهجرية ، (ص ٤٩) إلا أنه لم يحسن التخلص في
هذه من موضوع الى موضوع ، وهذا من عيوب الشعر . قل من قصيدته الاولى
مخاطبا عبد الحديد :

شاهدت حوالتك اسوارا قفيض دما كأنما قد بناها بالدم الباني
مدججات اذا قيل القتال سمت مقرونة السير بفيانا لبناني
تظلمها ساريات فطرها عجب من انسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس في (تموز) من جذل إلا وقد عبسوا في شهر (نيسان)
نبا بك الملك واستعصت قيادته عليك فانزل فانت الراقد الهاني
ولم أر قولاً ابغ في وصف مفاح من قوله « اسوار قفيض دما » ولو أن في
المنار متسا لشرت لهذا الشاعر مختارات كثيرة ، وعسى ان يتجنب المدح في شعره
ولا سيما مدح الملوك والأمراء ، فان المصوراتي ظلم فيها الشعر بالاماديج قد طواها الدهر

﴿ ديوان الأثر ﴾

ناظمه رشيد افندي مصوبم اللبناني . عدد صفحاته ١٢٠ بالقطم الوسط طبع بمطبعة الهلال بمصر

عرف رشيد افندي مصوبم من مشهوري شعراء لبنان بشغفه الزائد في قرض
الشعر ، وهيامه في شغابه وفجاجة ، وتحليقه في اجوائه وفضائه ، حتى اصبح صباً به
مفرماً ، ومن عرف أن الشاعر لا يزال في مقتبل العمر وريحان الشباب ، وهو مع
ذلك قد أصدر من شعره اربعة اجزاء ضرب فيها بكل سهم ، وطرق كل موضوع
استيقن ان الشاعر انما احرز شهرته وهو بها جدير

وقد أهدى النا ديوان (الأثر) الذي أصدره في هذه الآونة فالفناء حافلا
بالتصانيد والمراني والأمايح والفزل والنسب والشيب والحنين الى مصر اذ كان
مطارقا لها ، ناهيك بشعر يخاطب قائده اسماعيل باشا صبري حكيم الشعراء بهذين
اليتين كما روت جريدة الاهرام

قل يا رشيد الشعر أفديك قل يا شاعر المشرق والمغرب
شمرك هذا كله طيب اجدت فيه يا أبا الطيب

ومن جيد شعره قصيدته (ص ٦٣) التي يقول منها

وكم لغات تريد الناس تحفظها حتى يكون لهم باب ليكتسبوا
وهل سوى لغة الأعراب تؤنسنا وهل لأذاتنا من غيرها طرب
والله حين جرت في مسمعي نغمت روجي واشجت كودفوقه ضربوا
يا طول شوقي لو ادي النيل اسمها فيه وياحر شوقي حين يذهب
وطول شوقي لسوريا متى صدحت فيها ومالت سرورا تحبها القصب

والديوان كله على هذا النسق

الجامعة المصرية

اصدرت الجامعة المصرية تقريرها السنوي الثاني وقد المت فيه بخلاصة اهمالها
واحوالها وذكروا نفقاتها وحركة العلم فيها، وفي كل ما ذكر دليل بين على تقدمها وارتقاءها
زادها الله قدما وارتقاء

ومما جاء في هذا التقرير ان ريع الجامعة بلغ في السنة الماضية ٧٦٦٥ جنيها
ونفقتها ٩٠٠٠ جنيه فسد العجز من المال المقتصد سنة ٩٠٨ وهو ٢٣٠٠ جنيه وان
المبات المالية التي تبرع بها أهل الاريجية والسخاء بلغت ٢٧٠٠ جنيه وان عدد طلابها
كان الى منتصف فبراير الماضي ٤٠٣ ما بين ذكران وأناث الى غير ذلك من الدلائل
على توقفها في مراتب النجاح، ولكنها لاتزال في حاجة كبرى الى بذل الاموال ليتسنى
لها مضارعة الجامعات الكبرى في أوروبا وأمريكا، وليس بكثير على أهل الثراء في
هذه البلاد ان يقيموا لابنائهم جامعة تفنيهم عن اقباب الجامعات في البلاد الاخرى

لا سيما وان اقلهم واضرابهم في تلك البلاد قد قام أفراد منهم بتأسيس كثير من الجامعات !

وقد اصدرت الجامعة ايضا تقريرا عن مكتبها ومحتوياتها والهدايا التي اهديت اليها وهو مطبوع باللغة الفرنسية . كتب الله النجاح والفلاح لهذه الجامعة ولطلابها

رسالة في ادب اللغة وملكة الذوق

رسالة لبراهيم افندي نسيم الكاتب الاول لمشيخة الجامع الاحدي اقامها محاضرة في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية وقد اتم فيها بأصل التدوين وتأريخه وحكى الاقوال في أصل الخطوط ووضع العلوم وفقى مزاعم القائلين بأن التدوين في الاسلام لم يكن الا في القرنين الثاني والثالث قال في ذلك : « اما ان العلوم الاسلامية لم تدون الا في القرنين الثاني والثالث للهجرة فردود بما ثبت من شيوع الكتابة بين الصحابة وما كان من اتخاذ النبي (ص) ثابت ومعاوية وغيرهما يكتبون ما عليه عليهم من رسائل الدعوة الى مهادنهم من الملوك » والرسالة جيدة الطبع ذات ٤٨ صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الفوائد الادبية والتاريخية ومنها مع أجرة البريد ١٥ ملبا وتطلب من مكتبة المنار

مقدمة السبرمان

كراسة تقع في ٢٩ صفحة بالقطع الصغير تأليف «سلامه موسى» وكلمة السبرمان (Ueber mensch) المانية معناها الانسان الاسمي وضعها الفيلسوف فيتش الالماني وأراد بها أنه لا بد من ايجاد انسان آخر أعلى همة وأرقى شأنا من الانسان الحاضر ، ويرى هذا الفيلسوف ان الذرائع التي تمكن من ايجاد السبرمان انما تكون بمحو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء لأن الضعيف في رأيه لا يستحق الحياة !! وقد رأينا موقف هذه الرسالة من خمس آراء فيتش و بليك وشوبنهاور وغيرهم من ارباب الفلسفة الشاذة التي روحها وميلها كما حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والادبية وتقوية الحياة الحيوانية فيهم بحيث يكونون متسلطين جبارة اقوياء بدل ان يكونوا عاديين مهذبين رحماء !! وكان لكل

هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المبادئ الشاذة لو أنه رأى لها أثراً قائماً بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم يظهر كل يوم في بلاد الفرنجة كثيرون بأفكار جديدة منها المفيدون منها السخيف ولكن الناس هناك على بصيرة وعقل فهم يناولون كل نافع وينفون كل ضار غالباً ولكن هذا لا يمنع أن يكون لكل نافع متبعون، ولكل قائل مصدقون، فإن الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر، ولكن المتفرجين منا يريدون نصب ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق، ناصيين أنفسهم من امتهم متعصب المصلحين النافعين، وانما هم من المقلدين المساكين، الذين لم تقو عقولهم على تمييز الفث من السمين. ولتأمل أن يقول لو أن فلسفة نيتش كان ممولاً بفحواها قبل أن يكتبها فإذا كان يكون حظه منها وهو لم يكن إلا حلس يته فكر في نظرياته وخیالاته؟ ولم يكن من أولئك الجبابرة العتاة، الذين لا يستحق غيرهم في نظره الحياة! بل لنفرض أن تلك الشريعة الوحشية غفلت عنه ولكنها أبادت من حوله من الضعفاء الذين يهينون له طعامه وشرابه، وينظفون له مأواه وثيابه، فإذا كان يكون شأنه؟؟

يجب أن لا نسبر وراء خواطر نفوسنا، وجواذب شعورنا، بل أن نحكم العقل والروية في كل شيء وهذا ما تنصح به مؤلف هذه الرسالة!

درس روح الاسلام

كراسة باللغة الفرنسية وضعها الدكتور أحمد الشريف من خيرة شبان تونس المستعبرين رداً على مزاعم افطارية لوجل من جملة الفرنسيين اسمه موسيو بواجيه (M. Boigey) كتبها في إحدى المجلات الفرنسية بعنوان (بحث اجتماعي في الاسلام - او - درس روح الاسلام) وقد جاء فيها بسخافات دلت على مبلغ جهل ورعوتة، وشدة تعصبه وفرط بلاذته، وماذا عسى أن يقال في بواجه الذي زعم في بحثه هذا أن الاسلام او نبي الاسلام (ص) الذي يسميه هذا المؤلف بالتأديب بالأداب المسيحية بجمال مكة يقول في القرآن « إن الذي يركب البحر مرتين لا يكون مؤمناً » !! ولست أدري من أي قرآن أتى هذا الجهول بهذه الآية؟ لعلها من وحي التعصب الذي يلهب بين ضلوعه

وغريب ان تصدى مثل هذا الرجل للكتابة عن الاسلام وهو على هذه الحال من الجهل وقصر النظر ، ولكن التعصب يسوق الى اقحام كل لجة ، وتوغل كل روية ، وأغرب من ذلك ان تحفل المجلات بمثل وساوس بواجه ومقرياته ، الا اذا كان اصحابها مواهبين له في آرائه ومروياته .

الحصون النيرة

حمل الينا بريدسورية رسالة بهذا الاسم لم يكتب عليها اسم مؤلفها ! ولقد نظرنا نظرة اجمالية في هذه الرسالة فاذا جدل بمجل ، ومراء ظاهر ، وخطأ في الاستدلال ، وإته ليولنا أن يني المسلمون بمثل كاتب هذه الرسالة المتعصب الى رأي بعينه ، والتعيز الى فئة دون فئة ، مما يجعل مثارا للخلاف والتنازع بين المسلمين ، وقد أشار منشي المار الى هذه الرسالة وكاتبها فيما كتبه تعليقا على رسالة البحرين في باب البدع والانحرافات من هذا الجزء

سر كلومبير

قصة مترجمة بالربية بقلم الدكتور محمد افندي عبد الحميد حكيم اسبالية قلوب . لم يسمح لنا الوقت بقراءة شيء منها ولكن مانعده في مترجمها من الاعتدال في الرأي وتوخي النفع يرجع لنا ان قصته التي اختار ترجمتها حاوية للنائدة والفكاهة

الروايات الجديدة

اصدر قولاً افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام واليراميد مجلة قصصية بهذا الاسم ، وجعل قيمة اشتراكها ٦ قرشاً في مصر والسودان و٢٢ فرنكاً في الخارج ويصدر منها في السنة ٢٠ جزءاً . جاءتنا الجزء الاول منها واسمه لويس السابع عشر فاذا هو كتاب يقع في ٢٢٤ صفحة بالقلم الصغير جيد الورق والطبع وله ملحق يحتوي على قصة مختصرة ونبذة شعرية وثورية ونحن وان كنا لم نتكّن من قراءة هذا الجزء فاننا نعرف من صاحب هذه المجلة كاتباً بارعاً في الترجمة ، حسن الاختيار للقصص المفيدة ، وعسى ان يكون هذا الجزء منها

الطائف الالهية

مجلة قصصية اهدانا ناشرها صديقنا محمد افندي جمال صاحب المكتبة الالهية

بيروت اجزاء منها منفا ضيق الوقت من النظر فيها وقد جعل قيمة اشتراكها وبالا
في بيروت وستة فرنكات في الخارج ، وهي قيمة زهيدة جدا لاسيما وصفحات
الجزء زهاء مئة ، فسي ان يتوفر نشرها على نشر المفيد النافع

عدل القضاء

قصة ذات ٧٧ صفحة بقلم الصغير تأليف محمد افندي حافظ وتباع بمجل
الشيخ احمد علي الملبجي الكتي بجهة الازهر

الهيئة والاسلام

جاءنا فهرس طويل لكتاب بهذا الاسم لمؤلفه د السيد محمد علي هبة الدين
الشهرستاني ، من علماء النجف ، وسنبي رأينا في الكتاب بعد صدوره

الزهور

« مجلة ادبية فنية علمية » لصاحبها ومديرها انطون افندي الجميل المحرر بمجربة
لاهرام . جاءنا منها جزءان تصفحناهما فالتفتناهما حافلين بالمقالات الادبية ، والطرائف
الشعرية ، عبقى الشذى ، رشيقى الاسلوب بيني المنحى

ومن مقاصد صاحب هذه المجلة جعلها صلة بين ادباء الاقطار العربية ، وانما نتمنى
ان يوفق لنا اقتدب له وان كان تحقيقه عسيراً فيما نرى ، وقد رأينا صاحب الزهور
اكثر من الوعود التي لا مطمع في إنجازها ومن ذلك نشره اسماء اثنين وثلاثين
كاتباً وشاعراً واعداً بأنهم سيكتبون فيها ونرجح انهم ليسوا بتاعلين !

ولا يضير الزهور ان يكون اسمها لم يرد في اللغة فان شيوع استعماله قد جعله
صقيلاً ، وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً صحيحاً في مصر و ١٥ فرنكاً في الخارج فتوجب
بها ونرجو لها الرواج

جامعة المنقول والمنقول

« مجلة تحتوي على تمام ما بني عليه الاسلام ، وكال ما يتقوى به اللسان والاقلام
في اثني عشر علماً عربية منفصلاً مميزة عن بعضها » هذا ما كتب تحت اسم هذه
المجلة الغريبة في موضوعها ثم ذكر صاحبها د كمال الدين العراقي ، يان تلك العلوم

في آيات من الشعر وهي العلوم المتداولة في الأزهر . جاءنا الجزء الأول منها منذ أربعة أشهر ولعل صاحبها لم يصدر سواه وخبر له ان يفعل اذا لم يكن فعل

اليان

لازال هذه المجلة العربية الوحيدة في البلاد الهندية تصدر حافلة بالفوائد والبحث النافع .
بها صاحبها الشيخ عبدالله الهادي والسيد سليمان وهي الآن في سنتها الثامنة وقيمة
اشتراكا ١٢ شلنا وغواتها (Lakno- India) فارجو ان يكون الاقبال عليها عظيما

الحضارة

« جريدة عربية يومية سياسية فنية أدبية » اصدرها في الآستانة صديقنا السيد
عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماد المعروف عند قراء المارچ بمقالاته الفلسفية
ومباحثه الاجتماعية ، وشاكر افندي الحنبلي قائمقام القنيطرة قبلا . وان جريدة
يتولي تحريرها السيد الزهراوي صاحب القلب الجريء في النود عن الحق ، والقلم
الصريح في تبين واجبات الحاكمين وحقوق المحكومين هم لجديرة بأن يهتمها كل
من يهتم شأن الدولة وحال الأمة

وقد كتب لها مدير سياستها السيد الزهراوي مقدمة فلسفية بليغة سهلة الم فيها
بمخارج البلاد وما يجب للتقريب بين العناصر والسعي لجمعها غير كثيرة التفاوت في
الارتقاء وقال في خاتمتها مينا منهاج الجريدة :

« انا ندعو الى اقامة ميزان العدل في هذه الحكومة ، وتقاوم ما نراه حيفا
أو نصرا للحيث بقدر ما تساعدنا عليه القوانين ، وندعو الى بث روح التعارف
والتماطف بين الشعوب الصمانية ، ونرتادهم من الاخبار والافكار كل ما هو نافع في
اعتقادنا ، وتقاوم روح كل شقاق وتفرقة من أي جهة هب ، وفي أي بلاد دب ،
وندعو الى كل ما يقوي هذه الدولة ومن ذلك ترقية عواطف الشعوب المسلمة نحوها
معتقدين أن ترقية هذه العواطف تنفع النامي اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا كيف
كانت نحلته مسلما كان أو غير مسلم »

وقيمة اشتراكا ستون قرشا في البلاد الصمانية ومثرون فرنكا في الخارج

وعنوانها (الاساتذة : ادارة جريدة الحضارة في جادة نور عثمانية عدد ٣٧) فبحث
قراء المثار على الاشتراك فيها

مشرق الامة

« جريدة عالية سياسية قضائية تجارية تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع - مدير
الجريدة ومحررها المسئول سليمان الجارودي » وهي تصدر في مدينة تونس . جاءتنا
اعداد من هذه الجريدة فاستحسننا مصلحتها ، وحمدنا منهاجها ، وسرورنا بغيرتها ، وقيمة
اشتراكها ١٢ فرنكا في الخارج فسي ان يكون الاقبال عليها عظيما

الاتحاد

« جريدة عربية تركية سياسية هزلية فكاهية » صدرت في الاساتذة لصاحب
امتيازها ومحررها « عبد الرزاق » ، ومديرها ومحررها العربي « محمود بك زكي »
وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في الخارج

الاخاء

نشرة صغيرة يصدرها جبران افندي مسوح في كل اسبوع مرة بمحماء ، ويظهر
أن صاحب الجريدة عازم على جعل جريدته مسرحا لخطراته ، ومبدانا لقيد شوارد
افكاره ؛ وقيمة اشتراكها ريال ونصف

الوطن

قرطنا في (ص ٩٥٣ م ١٢) من المثار جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره
وابدينا سرورنا بها والآن يسوتنا جدا ان نذكر خبر صدور هذه الجريدة (الوطن)
المكتوبة باقلام المراء والجدل ، والمملوءة بالتعريض الذي لا يتسم مع الدين والادب ،
فتصح لكتاب هذه الجريدة ان لا يترسلوا لهوى النفس ، وان لا يفتدوا حكم
العقل ، والسلام على أهل الانصاف والسلام

حسين وصفي رضا

البدع والخرافات وَالْبَقَايَا بَيْنَ الْبَعْثَاتِ عند الشيعة

﴿ رسالة من البحرين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا ووالدنا حضرة فيلسوف الاسلام جعلي الله فداك ، وورثتي برك واثارك
بينما اطوف في البلاد وانظر ما حل بالمسلمين من عالم سوء يضلهم بالبدع والخرافات ،
أو متفرج يقول انبذوا الدين فليس الا ترهات ، اسائل عن منار الاسلام كل غاد
ورافع ، كأني أم الحواويج على فصيحيتها نحن ، أو الهيام على ندى الماء تن ، فلم أجدها أثرا في
مشرق خليج فارس وجزائره حتى عرجت على مفر به ونزلت البحرين فوجدت ضالتي
فوالذي فلق الحبة أني لأشد فرحاً به من الفواص حين يجد الدر ، تشرفت بقراءة
الجزء الاول فأنه السنة الحادية عشرة حتى وقفت على كلمة عن العراق وأهلها لعالم

غيره (ص ٤٥)

ولما كنت جيت العراق وعرفت أهل سنيهم وشيعتهم ، حاضرهم وباديهم ، أحبت أني
أطلع والذي على شيء عرفته منهم حتى يعلم الوالد جعلي الله فداه أنما هذه الكتاب بلاه
ناراً من مذهب الشيعة ووعظهم هو كما ذكر الكاتب حفظه الله بلاه نازل وسماعة
محرقة ليس على مذهب السنة فقط بل على مذهب الشيعة نفسه ، وأنا اذ كر ما يشه
الوعاظ في أهل القرى والا كواخ وما يطعنونهم من تقرير علمائهم جالا وتاليفاتهم

حتى يعلم فيلسوف الاسلام ان الوعاظ لا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام أو مسألة الخلافة التي هي عند أهل السنة من فروع الدين وعند الشيعة من أصوله ثم اذ كر اعتقادات الشيعة في القرن الرابع قلا من كتبهم المؤلفة في ذلك العصر لعل أحد قراء المنار من علماء الشيعة يقف على هذا الفصل فيقنه ويسعى في اصلاح ملته وان كان من المظنون انه لا يوجد في إيران والعراق من علماء الشيعة من له الملم بالاصلاح الديني

• • •

سبب اجتهاد علماء السجم في النجف وكر بلاء

كان محل ومأوى علماء الشيعة في أواخر سلطنة بني العباس الحلة في العراق وفيها يخرج مجتهدوهم ثم ينتشرون في بلاد السجم إما للدعوة أو لالتماس دولة تأويهم وتنصرهم ، لا لرفع التقيد عنهم فقط بل لحصد أهل السنة ، يدلك على ذلك حين قدم هلاكوخان الى قومسين قاضدا بغداد وقد عليه يوسف الحلبي والد ابن المطهر الشهير عندهم بالعلامة . وكر بلاء اذ ذاك قرية صغيرة والنجف لا يبلغ سكنته عدد الاصابع وانما هو عبارة عن رباط يسكنه الزوار أو يلجأ اليه الدراويش والزهاد كما فعل الطوسي ، والغالب في بلاد ايران ذلك الوقت مذهب أهل السنة الا مدينة قم وكاشان وبعض بلاد طبرستان فانها كانت تسكنها الشيعة

ظهرت دولة الصفوية في القرن التاسع وابادت السنيين من إيران الا بقايا منهم ببيدين من مقر السلطنة مثل كوهستان جيلان المسماة بطالش وفيها من السنيين حالا زهاء ١٥ ألف نسمة ، وبرقارس وبنادره مثل لنجه وبندر عباس فيها من السنيين ٥٠ ألف نسمة وأيالة كردستان الإيرانية اجمع ومقر حكومتها (سنندج) وأهلها كلهم سنيون وكذا بلوچستان الإيرانية أهلها كلهم سنيون ، وبادية جرجان من التركمان كلهم سنيون . فكان علماء الشيعة من سائر الاقطار ينتقلون الى مقر السلطنة اصفهان وفيها يخرج مجتهدوهم كما فعل بهاء الدين الساملي والكركي واضرابهم وقد تقام الصفوية بالاحتفاء والترحيب فشيروا لهم المدارس العظيمة والمساجد الفخمة وآثارهم

باقية الى الآن مع ان اكثرها قد خربه ظل السلطان نجل ناصر الدين شاه حين كان واليا على اصفهان، حدثني بعض علمائهم انه كان يوجد في اصفهان في ذلك العصر اربع مئة مدرسة

لعل القاريء اذا رأى قولي مقر السلطنة اصفهان يظن اني جاهل بتاريخ الصفوية لما يعلم من أن أوائل دولة الصفوية كان مقر سلطنتهم قزوین فانهم حين اقامتهم في قزوین كانوا لا هم لهم الا الفتح او بناء السكاييا ليتخرج فيها الدراويش ويعقوبهم في البلاد لمده علي واولاده، وسب . . .

ضممت الدولة الصفوية فاستولى عليها العلماء بحيث لم يكن يقدر احدهم ان يتصرف في شي بدون اجازة العلماء فقل وثوق عامة الايرانيين بعلمائهم لما عهدوا من العلماء الأول من التقشف والزهد ورأوا من هؤلاء الترف والبذخ واستداروا الدراهم والدنانير بأي وجه كان، فمن ذلك الحين شرع طلابهم بالمهاجرة الى كربلاء لا للحصول ثم الرجوع كما يفعل علماءهم حالا بل للحصول الدرس والمجاورة هناك ومن رؤسائهم الاردبيلي

قدم الافغان وفعلوا ما فعلوا ثم ظهر نادر شاه وثقى العلماء والطلاب وتصرف في الاوقاف اجمع فهاجروا الى كربلاء فصار يجمع كبير له شهرة عند أهل إيران في ذلك الوقت ورئيسهم الآغا البهبهاني الشيرازي أوائل سلطة القاجار ثم انتقل الى النجف ثم الى سرمن رأى (سامرا) في أوائل هذا القرن ثم عاد الى النجف فكان هؤلاء يكتبون لهم الرسائل التقليدية ويعثون تلاميذهم بهم الى ايران لرواجها والشيعة يعثون الى علمائهم ومقلديهم الدراهم بقصد الخس والزكاة وشي يسمونه رد المظالم وما هو رد المظالم؟ اذا ذهب حاكم مثلا الى ولاية ومص دم أهلها ثم عزل واراد ان يذهب لزيارة احد ائمتهم او الى مكة اعطى للمجتهد جزءا من ألف جزء وطهر له ماله!! وقد شاهدت علاء الدولة في كرمان شاه بقوميين اهدى لابن الحاج ميرزا حسين خليل ما يبلغ ألف ريال مجيدي فأحل له ما يملك وهو يملك اربعة ملايين من الفرنكات وأمثال ذلك كثير

فإذا وصلت هذه الدلائل إلى المجتهد فلا بد من تفرق بعضها على طلبته والمخرجين عليه حتى إذا ذهبوا إلى إيران روجوا رسالته

قد قلت إن عامة أهل إيران قل وثوقهم بعلماء إيران أجمع فأنحصر تقليدنا في علماء العراق وكانت الرسائل تخرج إليهم منه فكان علماء السجم بعد تحصيلهم العلوم العقلية يذهبون إليه أفراجاً أما للمجاورة أو لمطلب الرزق أو للإقامة مدة ثم الرجوع إلى إيران بالأجازة (هـ) وهو يتعهد بترويج رسالة الشيخ وإيصال الحق إلى به والشيخ يتعهد بالكتابة إلى الشاه والحكام في التوصية به وهو لا يخرجوا في العراق واختاروا الرجوع إلى إيران لأنهم لم يأمروا بمعارضة الدولة وأخذ الرشي من الحكام والولاية أو تكفيرهم وشكواهم على مجتهد العراق ولا يمكن للناس اعتقاد فيهم لما يرونه من أفعالهم فهم لا يبالون بحجم الدنيا من أي وجه أتت ، وهذا الشيخ تقي الأصفهاني هو وأخوته وأصحابه تبلغ غلهم في كل يوم عشرة آلاف فرنك أو ما يقرب منه وطاقم أهل إيران إذا ذهبوا إلى العراق لزيارة مشهدي علي والحسين وأولادهم ، ورأوا من علماء هذه البلاد الاتزواء وعدم التردد إلا لصلاة الجمعة والزيارة والدرس وإذا خرجوا من بيوتهم متلبسين جاعلاً واحداً على رأسه وسبحة في يده وقد شاهدوا من علماء إيران ركوب العربات واتخاذ الخدائق والجنان وكثرة الزوج حتى أن أحدهم ليبلغ زواجه حد المئة من النساء ازدادوا محبة لهم ورغبوا في حمل الدراهم إليهم وحسبوا أطفالهم من الزهد والتدين ولم يعلوا المساكين أن هؤلاء مثل أولئك إلا أن عادات وأخلاق أهل البلاد تختلف ولو انتقل علماء العراق إلى إيران لعلوا كما شاهدنا

وقد شاهدت علماء العراق يعيشون خدام قبر علي وأولاده إلى خان قين لاستقبال الزوار من السجم والترك واللقاء إليهم بأن فلانا هو الأعلم الاتقي ، وبالجملة فافطن الكتاب حفظه الله لم يخاطب الشيعة في العراق ولم يعاشرهم فظن أن هذا المجمع العلمي يرسل منه رسلاً للدعوة ، أو رأى أن أكثر قري العراق شيعة فظن أنه من فضل

(هـ) كأنه انغرس في أذهان دهماء إيران أنه لا يمكن الاجتهاد إلا بعد شرب ماء الفرات

علمائهم وأنهم يرسلون الدعاة حالا ولو قال من سنيين خلت لا يمكن نسلجه مع أن التاريخ يأنى ذلك فانه قبل ارغام الرعية جبد الحيد على المساواة لم يتمكن الشيعة من بناء المساجد والنداء فيها بولاية علي ، يعلم ذلك كل عراقي دع ارسال دعاة منهم الى البادية ، وأظن أن الفضل في ذلك عائد الى الصفوية ومن في زمنهم من العلماء كالادديلي ، وهجمات دولة الصفوية على العراق وقتلهم علماء أهل السنة والزام العامة بالتشيع او القتل معروف مشهور ، لذلك فانك لا تجد من أهل بادية العراق أعني بادية غربي الفرات من فيه رائحة التشيع اللهم الا قليلا من العرب لا يبلغ عدد فرسانهم المشتين يدعون بالخرافل واناسا من الشطين يدعون بشمر الجرباء ، واريدهولي بادية أهل العراق أهل الخلف والخافر الذين لهم قدرة على النجعة ولهذا سلموا من ضغط الصفوية والزامهم لهم بالتشيع

ثاني متحدرا من الشام على ضفاف الفرات قاصدا العراق قري عرب عنزة كالجراد المنشر الى اواسط العراق ثم ترى شمر على اقناذهم عبده فسنجاره حتى تنهي الى نصف الفرات الآخر قري عرب المتفك وعرب الظفر الى قرب البصرة ، ثم تنحدر قري مطير الدوشان فريب دار ، ثم تنحدر من الكويت قري العجمان المناصير آل مرة بني هاجر وعربا لا يحصيهم الا خالقهم . فهذه القبائل من العرب الذين عدتهم معاملتهم مع أهل النجف وكر بلاء فز بلاء سوق الشيوخ والساوة الخبيسة فبغداد متحدرا الى البصرة ثم الزبر والكويت فالحساء والقطيف وقطر وليس يوجد فيهم شيبي ولا قدرة له على اظهار مذهبه عندهم مع ان اكثر بيعهم وشراهم مع الشيعة واكثر أهل البلاد التي يقتاتون منها شيعة ولا سيما العراق

وقد قلت الوعاظ ولم أقل الدعاة لأن هؤلاء لا يذهبون للدعوة وليسوا اهلا لذلك لانهم لا يعرفون معنى دينهم فضلا عن ان يدعوا اليه ولم يذهبوا الى بادية السنة ابدا اللهم الا للبيع والشراء كما ذكرت ، وعند ذكر الوعاظ لا بأس بالاشارة الى شيء من ذكر عزاء الحسين عند الشيعة

مستند الشيعة على استحباب اقامة عزاء الحسين خبر يروونه عن دعبل الشاعر انه وفد على علي بن موسى فصادف وفوده ايام المحرم فقال له علي اتل

علينا من مرثيتك لجونا واحضر نساء وراء الستر . . . ولا يوجد في كتب الشيعة المروية عن أئمتهم ما يدل على إقامة العزاء المعروف عندهم وفي كتب متأخريهم بل لم يذكروا عن علماهم الاقدمين شيئا من ذلك حتى في زمن آل بويه زمن حريتهم ولا يوجد لهم تأليف في ذلك سوى مصادر عربية موضوعة يعلم من تصفحها ذلك ، وأول من الف في ذلك ملاحسين الكاشفي الف كتابا سماه روضة المحيين بالفارسية والعربية في القرن التاسع فكان ملا المعجم يقرأ منه فصلا فيكي الحاضرون ولا يعرف انهم يقرؤنه بعد الصلاة أو في سائر السنة مثل الشيعة حالا اللهم الا في سابع المحرم الى العاشر والعجم يسمون قراء عزاء الحسين «روضة خان» وممثله قاري، الروضة وشيعة العراق يدعونه قارئا نسبة الى الكتاب المعروف

و يظهر ان عزاء الحسين المعروف حالا عند الشيعة لم يكن يعرف قبل الصفوية اللهم الا جلسات خفية، فدولة الصفوية رقت الجلوس في العشر المحرم كلها كما حدثت دولة آل بويه قبلهم والديالة الجلوس في اليوم العاشر، والشيعة حالا زادوا في الطنبور نعمة المحرم صفر جمادى الاولى رمضان لا يعد ان يقال ثلث السنة اسواقهم مغلقة، ويؤتم بهم بالشمع محرقة، لا بسين السواد واظنه حدث في أواخر ايام دولة الصفوية على زمن عالمهم المجلسي

ذكرت قبلاً ان اهل الخلف والخافر من بادية العراق لا يوجد فيهم وأئمة التشيع، نعم ان الشاوية والبقارة أهل بيوت القصب والا كواخ الذين لا قدرة لهم على النجمة كلهم شيعيون الا القليل . يذهب الى هؤلاء القاري، او الواعظ او الروضة خان لطلب الرزق لا للدعوة كما يظن الكاتب ثم يجمعهم وينصب منبرا أو يعلو فوقه وذلك في ايام المحرم وعشر ويطلبهم مجال دينهم الحالي وهو ذكر فضل أهل البيت عليهم السلام وأن الدنيا خلقت لاجلهم وان كربلاء افضل من مكة وأن زيارة الحسين افضل من الحج وان القرآن الذي في ايدينا ليس بالقرآن الذي انزل على محمد وإنما امرنا بقراءة هذا تعبداً والا قراءتنا عند صاحب الزمان اذا ظهر يخرج به ويحرق هذا !!! ثم يملونهم هذا الرجز المشهور عند الشيعة به (قار علي)

قار عليا مظهر الجانب تجده حونا لك في الرغائب

ويند كرون لهم في فضل هذه الاستغاثة احاديث عن أهل البيت حاشاهم عن ذلك، وانها تدفع الهم والغم وتجلب الرزق، ووعاظ المعجم يقولون على المنابر «ناد علي بدرغاز (١) ثم يعلوهم قذف الصحابة والبراءة منهم وانهم ارتدوا إلا أربعة وانهم ضربوا فاطمة حتى اسقطت حلاً يدعى بمحسن وان موته من ضرب الصحابة برأهم الله ممن قالوا وأن ام كلثوم التي تزوجها الخليفة عمر ليست بنت علي وانما هي بنت من الجن وشي يتعب القراء ويضعك العجائز !!! ثم يعرجون على قتل الحسين وانهم ذهبوا بنسائه حاضرات وان من بكى على الحسين لا تصيبه النار ابدا ولو فعل ما فعل وان من دفن عند الحسين بحشر معه ولهذا ترى هؤلاء المساكين يتقنون موتاهم من مسيرة ايام مثثة والمعجم يقولون موتاهم من مسيرة ٤٠٠ فرسخ ويند كرون لهم في ذلك كله اخباراً اغلبها منقول من كتاب قيس ابن سليم الهلالي !!! (٢)

وأما الصلاة وأحكام الدين فلا أثر لها عند هؤلاء المساكين اصلاً، نعم الشرك بالله والغلو في أهل البيت فانك لو حلفت لأحدهم بالله الف مرة لم يرض واذا حلفت بالعباس بن علي ارتعدت فرائضه بعد الرضى والتسليم ولعل القارىء يحسني في كلامي على المغالاة فان شاء فليذهب أو ليسأل عما يفعل عند قبر الحسين في يوم عرفة فانه لا يسمع الا: اوزقي احلي اغني !! أو ليطلب كتاب نهضة الزائر أو زاد المطاد (٣) وهما تأليف عالم الشهير بالمجلسي فانه يرى المعجب المعجيب

أما أهل الخلف والخلفاء ففهم من الاخلاق الحسنة ما يهترب العرب والعربية مثل الاخلاص لله بالتوحيد وصدق الالهجة والامانة والعفاف وكرم النفس والاخلاق الحسنة، أما الصلاة والصوم فلا يجبرون عليها احداً كما يفعل في بادية نجد ولكنهم اذا نزلوا خطوا مسجداً عند بيت الشيخ، والشيخ لا بد ان يكون عنده كاتب له من

(١) بدرغاز: ابو الصلاة كما تقول العرب لاصل الشيء أمه فالمعجم تنسبه الى الاب

(٢) كتاب قيس يزعمون انه الف في القرن الاول وان قيسا صاحب الكتاب صاحب خمسة أو ستة من أئمتهم، والمتقدمون من علماء الشيعة يقولون انه موضوع لأصل له، وانتأخرون منهم يقولون بصحته، ومن أراد ذلك فليستظر الى كتب رجالهم مثل كتب ميرزا محمد وغيره المطبوعة في طهران وتبريز

(٣) كلا الكتابين طبع في طهران وتبريز واصفهان وبغداد

اهل الحاضرة يقرء اولاده القرآن ويعلمهم الكتابة ويقوم صلاة الجماعة ويجري عقود الزواج ، واهل البادية يسمونه الخطيب ويسمونه في بادية اهل نجد مطوع او بالفتح واظن الفضل في ذلك كله عليهم لاهل جزيرة العرب

اعتقاد الشيعة الامامية في القرن الرابع قلا من كتب علماء ذلك العصر (٥)

قال الشيخ محمد بن بابويه القمي الشهير عندهم بالصدوق صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) في رسالته المطبوعة في طهران «باب الاعتقاد في القرآن: إنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه وإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علیم ، وأنه القصص الحق وما هو بالمرسل ، وإن الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربه وحافظه والمتكلم به . باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا ان القرآن الذي انزل على محمد (ص) هو ما بين الدفين وهو بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سورة عند الناس مئة وأربعة عشر سورة ، وعندنا الضحى والم نشرح سورة واحدة والم تر ولا يلاف سورة واحدة ، ومن نسب إلينا ان تقول أكثر من ذلك فهو كاذب — الى ان قال : باب الاعتقاد في نبي النبو والفريضة — اعتقادنا في الخلافة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والهندية والجرورية ومن جميع اهل البدع والاهواء المضلة وأنه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم بشي ، كما قال تعالى (ما كن لبشر ان يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله اياهمكم بالكفر بعد اذ كنتم مسلمون) — الى ان قال :

وكان الرضا يقول في دعائه : اللهم اني أبرأ اليك من الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا ما لم نعلمه في انفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الامر وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم لا تليق الربوبية الا بك ولا تصالح الآلية الا لك فالعن النصارى الذين صفروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من

بريتك ، اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لانفسنا نقما ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، اللهم من زعم ان لنا الخلق وعلينا الرزق فحن اليك منه برآء ، رب لا تذر على الارض منهم ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ،
 يقول الكاتب فياليت علي بن موسى الرضا صاحب هذا الكلام يخرج ويرى مايفعل عند قبره في طوس من الوثنية التي بعث جده (ص) لازلها ، والعجب من علمائهم كيف انه لا يوجد كتاب من قههم الا وفيه : لا يجوز البناء على القبور والسرير عليها وتجديدها وبناء المساجد عليها . ثم لا ترى منهم منكر لذلك بل يعدونه من افضل القربات استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لا يجوز

وقال أمير المؤمنين لبعض أصحابه الا أبشك على ما بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور ، وقال ايضا كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، وقال الكاظم لا يصلح البناء على القبر . انتهى بعض ما استدل به صاحب الكتاب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولا يني عليها مساجد قال النبي (ص) « لا تتخذوا قبوري قبلة ولا مسجدا فان الله لمن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » واستدل صاحب الجواهر على انه لا يجوز حمل الجنائز بقوله وفي دعائم الاسلام عن علي انه رفع اليه ان رجلا مات بالرساق فحمل الى الكوفة فانهمكهم عقوبة وقال ادفنوا الاجسام في مصارعها ، وفي السرائر انه بدعة في شريعة الاسلام ، والعجب من قهائهم المتأخرين قههم حين يذكرون في كتبهم عدم جواز البناء على القبور وايقاد السرج عليها يقولون وينبغي ان يستثنى من ذلك الأئمة لان قبورهم من البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ١١
 هذا هو دليلهم على عبادة القبور وجعلها اوثانا تعبد من دون الله

وأخبار أهل البيت المروية في كتبهم يضررون بها عرض الحائط ١١١

(المار) يعلم القراء ان من مقاصدنا التأليف بين المسلمين المتفرقين في المذاهب والآراء بعضهم مع بعض وكذا بينهم وبين غيرهم من أهل الملل الذين يعيشون معهم ، وقد بينا هذا المقصد في فاتحة العدد الأول من السنة الأولى واستقمنا على ذلك الى هذا اليوم وسندستقيم عليه فيما بقي من عمرنا ان شاء الله تعالى . ومن رأينا في هذا التأليف أن يتفق المتعاونون عليه والساعون اليه على أن ينتقد كل منهم أهل الدين أو المذهب الذي ينسب اليه فيما ينافي هذا التأليف دون المخالفين له إلا أن يضطر الى انتقاد المخالف اضطرارا فينشد ينتقد مع اللطف ، واتقاء ما يثير روا كذا التعصب وقد صرحنا بهذا الرأي عند الكلام فيما شجر بين أهل يروت من الخصام والصدام منذ بضع سنين

ومن سيرتنا العملية في ذلك أننا أكثرنا من انتقاد البدع والخرافات التي فشت بين المتسبين الى السنة والمذاهب التي تعزى اليها ولا سيما بدع الموالد والقبور لأننا من أهل السنة وإن كنا لا نعصب لمذهب من مذاهب أهلها بل ندعو الى الاجتماع على ما اتفقوا مع سائر المسلمين الذين يعتد بأسلامهم عليه، ونحكم فيما اختلفوا فيه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عملا بقوله عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ولم انتقد بدع الشيعة التي يأتونها في يوم عاشوراء أو غيره من الايام بل كنت اجيب دعوة جميعهم بمصر كل سنة الى المآثم الذي يقيمونه في تكبيرهم بالخزاي لاجل التأليف ، وأعد هذا من إزالة الضرر الأشد وهو الفرق والنزاع بالضرر الأخف وهو حضور مجتمع نرى فيه البدع كالذين يأتون مخرجين بالدماء مما يضربون رؤوسهم بالسيوف . . .

ولما نشرت منذ سنتين رسالة ذلك العالم القيود عن العراق لما فيها من التنديد بسوء ادارة الحكومة الحميدية التي كنا نحاربها قفيت على الرسالة بمايزيل ما فيها من سوء التأثير الذي يخشى ان يزيد في الخلاف فقلت ان نشر دعوة الشيعة مذهبهم بين أعراب العراق ينفع من الجهة الدينية اذا كانوا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام وحصرت ضرره الذي خشيه الكتاب في الجهة السياسية، لما ذكرت

آقا من بيان مفاسد الحكومة الحميدية ، ولو كتب البنا أي كاتب من الشيعة انتقادا على تلك الرسالة لنشرناه في المنار كما هي عادتنا في نشر الانتقاد علينا به الانتقاد على ما نشره لغيرنا ، ولكن بعض غلاة متعصي الشيعة في الديار الشامية ألف رسالة في الرد على المنار لنشره تلك الرسالة وجعل معظم كلامه فيها البحث في مسألة المنة التي لم يسبق لنا قول في المنار بجرمتها بل سبق لنا قول يشبه ان يكون ترجيحاً لقول الشيعة فيها أودعناه (محاورات المصلح والمقلد) وأنكره علينا الناس وهو الذي أشرنا إليه في تفسير قوله تعالى « فاستمتعتم به منهن » الآية ومع هذا قام الشيخ المتعصب يشتم علينا بأننا انكرنا حل المنة وخالفنا بذلك الكتاب والسنة والاجماع !! وطقى بحرف الآية ويضمرها بالهوى والرأي ويتحكم في الأحاديث لا يثبت ذلك بالسفسطة كما هي عادة المقلدين المتعصبين . وقد كذب صاحب الرسالة العراقية فيما كتبه في مسألة نشر مذهب الشيعة بين الأعراب المنسبين إلى السنة ، وما يؤيد ذلك مما كنا نشرناه في المجلد الثاني قحلا عن بعض المختبرين ونصرح باسمه الآن فنقول هو سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت الذي أقام في العراق عدة سنين وهو لا يتعصب لأهل السنة على الشيعة ولا للشيعة على أهل السنة لأنه نصراني لا يفرق بين أحد منهم اطلنا بعض الأصدقاء على رسالة الشيعي المتعصب تقرأنا منها جملة متفرقة أحرزتنا لأن وجود مثل مؤلفها بين المسلمين من أصعب العقبات في طريقنا الذي نسير فيه لتأليف بينهم . وتذكرنا رسالة وردت علينا من البحرين في الشيعة ونشر مذهبهم أرسلها سامح آخر مختبر عند ما قرأ رسالة ذلك العالم الفيور المختصرة فلم ننشرها بل لم نقرأها لأننا خشينا ان تكون مخالفة لمشرنا ثم رأينا الآن ان تنشر ليقين الأمر على حقيقته في هذه المسألة مع الوعد بنشر ما يمكن ان يرد من الرد عليها من الأدباء النصفين ، ومما يكن من الأمر فأننا نطلب الاتحاد ونسعى إليه والله الموفق

بنو الخليفة

رحلت القسطنطينية

٣

حال الآستانة العمرانية والاجتماعية

موقع هذه المدينة مشهور في جماله ومحاسنه الطبيعية ولو كانت هذه الدولة التي استولت عليها من عدة قرون دولة عمران ومدنية لخطها زينة الارض ومثابة الامم ، ولكن لأهلها من السائحين مورد من أغزر موارد الثروة ، ولكنك لا تجد فيها أثرا من آثار العمران القديم للسلطين السابقين الذين دوّخو الدول الا المساجد ، ولا شيئا يعتد به من آثار العمران الحديث الا المعسكرات من الشكنات والمدارس ، فسوفية عاصمة البلغار وأثينا عاصمة اليونان والقاهرة عاصمة مصر ، كل اولئك أرقى من عاصمة الدولة عمرانا ، فالآستانة موقع جميل ، ومعسكر كبير ، لا تغيب الجنود عن عينيك فيها دقيقة من الزمان ، فعسى الله ان يسخر لها الرجال الذين يعمرونها بعمران المملكة ، لا بالاستقراض من الاجانب بالرأ الذي يجعلها تحت سيطرتهم ، وعرضة عند الحوادث لداخلتهم ،

أما العمران الحضوي وهو العلم والأدب فلما حظ منه تفضل به مصر وسورية وهو ان التعليم فيها أعم وأشمل ، وتربية النساء اسمى وأنبل ، ذلك بان أموال المملكة كانت تنجي إليها حتى لا يبقى في كل ولاية الا الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه مع إباحة الرشوة والسلب والنهب فكثرت فيها المدارس للذكور والإناث ، على أن

الآداب الإسلامية الموروثة لا تزال أقوى في بيوت هذه المدينة منها في بيوت مصر فلا ترى امرأة في نافذة ولا على سطح إلا أن تكون مستورة البدن والرأس كما تكون في السوق ، ولا تسمع من البيوت ولا في الأسواق والشوارع صغيا ولا هجرا من القول كما تسمع في أسواق القاهرة وشوارعها ، ولا يتبرج فيها النساء كما يتبرجن بمصر إلا في بعض المواسم كما صال أيام رمضان في جهة الشاهزاده ، والافى بعض الضواحي حيث يسرحن ويمرحن متزهات مظهرات لزيتهن ، على أن الكثيرات منهن يسفرن عن وجوههن في الأسواق والشوارع ولكنهن مع ذلك يفضضن من أبصارهن كما أمر الله تعالى . وإذا خرجن في الليل من دار الى دار يخرجن بالجبّة او الباءة العربية المعروفة وبالفتاع الأبيض وذلك يكون زيهن الغالب في المنزهات . فجملة القول ان آدابهن حسنة في خروجهن الى حاجهن في الأسواق والشوارع وبيوتهن نظيفة مرتبة ولا ولادهن حظ عظيم من النظافة والآداب . ويقول المختبرون من أهل البلد ومن الغرباء المقيمين فيه ان آداب غير المتعلمات أو المتعلمات على الطريقة القديمة منهن أعلى أخلاقا وأقوى عفة وابتعد عن الرية من المتعلمات على الطريقة الحديثة الافرنجية وهن أشد عناية بالنظافة أيضا فالفرنج في البيوت هو الخطر الأكبر الذي يندر البيوت الإسلامية بالفساد ، في هذا البلد وغيره من البلاد ، ويقال ان احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين يريد أن ير بي بنات المسلمين في المدرسة التي يسعى في انشائها مع بنات الافرنج والروم والأرمن تربية ليس لها من صبغة الدين شيء !! فإذا تم هذا المقصد فبشر بيوت هذا البلد بالخراب المعنوي والفساد الذي لا يفوقه فساد ان علم النساء المسلمات في الآسنة دون علم الأوريات ولكن تربيتهن الدينية والأدبية أعلى من تربية الأوريات كما شهد بذلك غير واحدة من هؤلاء بعد الاختبار التام ومنهن من صرحت بأن التفرنج آفة مفسدة لنساء الترك . نعم انه يمكن ان تترقى معارفهن وآدابهن ولكن يجب أن يكون الدين هو أساس التربية وان تكون العناية به فوق العناية بالملم وليس في أور يا شعب ير بي البنات على الألحاد أو ترك الدين ، وان اثبت الشعوب الاوربية مدنية هو أشدها عناية بتربية النساء والأطفال تربية دينية

ان بين استانبول وقسم غلطة و بك أوغلي تباينا عظيما في الماديات ونظام المعيشة وحالة العمران على ان المسافة بينهما تقطع بدقيقتين اذ الفاصل بينهما هو الخليج المشهور وعليه جسران للمشاة والركبان ومنهم من يقطعه بالزوارق : تشبه استانبول في عاداتها بلاد المشرق الاسلامية القديمة كطرابلس الشام فأزياء النساء فيها كأزياء النساء في مدن سورية الا ما امتزج به وقد ذكرناه آنفا وأزياء الرجال فيها كأزياء الرجال في مدن سورية: الطربوش والعمامة البيضاء والعمامة المطرزة والعمامة الخضراء والمناديل الملونة - كل ذلك من أزياء الرؤوس وكله كثير وأما سكان قسم غلطة فتكثر فيه مزاحمة الكم والقلائس للطرايش المجردة ويقل فيه غير ذلك يتعشى أهل استانبول بعيد المغرب كأهل سورية وتقل أكثر المطاعم بعد المساء بقليل على حين يتنديء أهل القسم الآخر بالطعام وتظل مطاعمهم مفتوحة الى قرب منتصف الليل ويسهرون كثيرا ولا يسهر اولئك الا قليلا . ويكثر الفسق العلني والسري في قسم غلطة والفسق العلني ممنوع في استانبول

وآداب الرجال العمومية حسنة كأداب النساء فلا تكاد تنكر على رفيع ولا وضعفولا نحشنا ولا كبرا وترفا ولكنك كثيرا ما تنكر عليهم إنخلاف الوعد وما في معنى الاخلاف حتى يقل ان يثق المختبر بقول بسمعه وسبب ذلك تأثير الاستبداد الشديد ، وما كان من الضغط والمراقبة على عهد عبد الحميد ، فذلك هو السبب الطبيعي لنفس الكذب والاخلاف والتقلب في كل الأمم ، ولهذا السبب كثر الكذب والاخلاف والتقلب وعدم الثبات في جميع البلاد العثمانية كما كثر ذلك من قبل في مصر ولا سيما على عهد اسماعيل باشا

كنت كتبت في المنار وقلت في بعض الخطب التي أقيمتها في العام الماضي بالبلاد السورية ان أرقى البلاد العثمانية الآستانة وما يقرب منها من ولايات الرومالي وأوسطها سورية وادناها العراق والحجاز واليمن . وقد تبين لي أن هذا القول خطأ فالآستانة لا تفوق سورية الا بكثرة عدد المعلمين من الرجال والنساء وبالآداب الاجتماعية كما تقدم فهي ليست أرقى في العمران الحديث من بيروت ولا في العمران القديم من دمشق . وليس النابغون من أهلها كالتابعين من سورية في العلوم الاسلامية

ولا في اتنين والعلوم الاوربية ولا في الادبيات ولا في التجارة والزراعة . ولا أهل
 الادارة واقضاء منهم أرقى ممن تسنى لهم ان يشتغلوا بهما من السوريين بمصر ،
 وكذا في بلاد الدولة على قتلهم وليس الضباط المتعلمون في المدرسة الحربية من أهل
 الآستانة بأرقى في الفنون الحربية من الضباط السوريين ولا العراقيين الا أنهم أكثر .
 وأما ولايات الروماني وكذا الاناطول فهي دون الولايات السورية في الجملة
 وأما النسبة بين الآستانة ومصر فهي أن عامة أهل الآستانة أرقى من عامة
 أهل القاهرة وخاصة أهل القاهرة النابضين أرقى من خاصة أهل الآستانة النابضين
 الا في الجندية . وأما من جهة الثروة والعمران فمصر أغزر ثروة وأرقى عمراناً ، وقد
 قدمت النسبة بين البلدين في النساء وتربية الاولاد
 هذا ما تبين لي في هذه الشهور نصصته على غره ، غير متعرف الى جهة ، ولا
 متعيز الي فته ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتشار الاسلام في افريقية

نشرت جريدة الدييش كولونيا مقالا لـ الدكتور كارل كوم الذي قام بسياحات
 كبيرة في افريقية واحاطها سياحته فيما بين نهر النيجر والنيل قالت (ه) :
 ان الدكتور كارل كوم يرى ان افريقية ستكون في يوم قريب قارة اسلامية
 محضة ماعدا بعض الجهات التي ينسب أهلها الى المسيحية اسما كجنوب افريقية وأوغنده
 والحبيشة ولقد عاقت طبيعة البلاد في أواسط افريقية دون ان يكتسحها سبيل الاسلام
 الجارف في طريقه عدة قرون فلما وطأها أقدام الاوربيين وانتهت تلك المنازعات
 القديمة بينهم على الحدود وانفسح المجال أمام التجار المسلمين أخذوا ينشرون نفوذهم
 ويوسعون دائرة سلطتهم فترغلوا في الغرب والشرق والجنوب حتى انتشر الاسلام
 بين أهالي هذه الجهات بسرعة فريدة ومدهشة بنتيجة مساعي الاوربيين أنفسهم

(ه) رجعت الجرائد اليومية هذا القتال بالعربية وضما اخذنا مع تصحيح قليل

الذين ذلوا تلك العقبات باكتشافاتهم الجغرافية وبقيام شؤون البلاد وتحسين وسائل الثروة بها وأحوالها الاقتصادية

وقد شمر بمخرج هذا المركز الصعب وكلاء فرنسا وبريطانيا وأخذت هذه المسألة تتعد أمامهم فلا يعرفون لهم منها مخرجاً بعد أن تغلب الاسلام على الجنوب وبعد أن طعن الدكتور كوم تعصبا وتمحلاً على معالم الاسلام زاعماً بأنها تبقى بذور التعصب في قلوب المدينين به استتج انه يجب على كل مسلم مقاتلة الكفار الى ان يأمرهم أو يقتلهم وقال انه لا توجد ذريعة أنجم من ادخال القبائل الوثنية في الدين المسيحي لتكون حصناً متيناً للدفاع !!

ثم قال: ولا يوجد الآن غير طريقين لتجارة الرقيق اولها في السودان العربي الى مكة ماراً بالسودان المصري وقد حاولت القوة الفرنسية في بحيرة تشاد بقيادة الكواونل مول أن تقطع هذا الطريق حتى تمكنت من ذلك ولكن الطريق الثاني لا يزال مفتوحاً ويمر بفتازي ولا يمكن إغلاقه الا اذا استولت بريطانيا العظمى على دارفور (١)

وقد نشرت مجلة المستر فول مقالة وجوه فيها انتظار ولاية الامور الانكليز لوجود ثلاثة عشر الف شاب مسلم على بعد خمسة أيام من مقر الانجليز قد اجتمعوا امرهم على ان يجوبوا انحاء البلاد الافريقية للدعوة الى الاسلام ولا حظت ان الوثنيين يقبلون الدين الاسلامي بسهولة ورغبة ومن اتحل منهم المسيحية لا يلبث الا قليلاً ثم يعلن اسلامه مثل رفاقه واستتجت على دعواها بسهولة مبادئ الدين الاسلامي بزيادة المسلمين المضطردة في الهند فقد بلغ عدد الذين يتبعون الاسلام من أهلها نحو عشرة آلاف شخص في كل سنة وكذلك الحال في الصين حيث ينمي عدد المسلمين كل يوم بنسبة ظاهرة تدعو لمزيد الدهشة والاهتمام

الاسلام في الهند

جاء في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية مقال عن الاسلام في الهند احينما ترجمته لما فيه من الحقائق التي يجملها اخوانهم المسلمون قال الكاتب (*) :
انتشر الاسلام في الهند سنة ١٠٥١ ميلادية وقد ازداد عدد أتباعه حينما تقلصت سلطة الاسلام في تلك الديار وامتدت سلطة الاحتلال الانكليزي خلافا للمأمول وهو يمتد اليوم على صورة مدهشة فقد كان عدد اهل في الهند سنة ١٨٩٧ واحدا وستين مليوناً ونصف مليون فأصبح عددهم سنة ١٩٥١ ثلاثة وستين مليوناً منهم ٩٧ في المئة من أهل السنة وإليك تفصيل العدد

٥٤ مليوناً في الولايات الهندية الشرقية الانكليزية كمباي ومدراس

٨ ملايين ونصف في الولايات التابعة كحيدرآباد

٢٧٠ الفا في المستعمرات الانكليزية كسيلان

٧٣٠ الفا في البلاد التي لم تدخل تحت الاحصاء كولايات أوريسا

وقد يوجد من المسلمين في المقاطعات الفرنسية الهندية ٢٠ الفا وفي المستعمرات البرتغالية ٨ آلاف ونصف الف وفي المستعمرات الالمانية ١٠ آلاف من الهنود والفرس والعرب والافريقيين

اما عدد المسلمين في الولايات المستقلة فإليك بيانه : في ولاية نابل ثلاثة ملايين ونصف مليون، وفي ولاية بوتان اربع مئة، وفي ولاية أفغانستان ٦ ملايين وأما بحسب المذاهب فعدد المسلمين في الهند ينقسم الى اهل سنة وشيعة فأهل السنة ٦٦ مليوناً و٢٢٢ الفا و٥٠٧، والشيعية مليونان و٥٧٧ الفا و٢٩٤، والمجموع ٦٨,٧٩٩,٩٣٦ فإذا اعتبرنا زيادة مليونين في الولايات الهندية الانكليزية فيكون عدد المسلمين في الهند سبعين مليوناً

أما حركة هذه الملايين الاجتماعية والسياسية فقد كانت بطيئة الا انها ابتدأت تؤثر في الدولة الانكليزية فلا تمضي مدة الا ويحدث حادث لهذه الدولة من هذه

(*) ترجمت بالعربية جريدة الفيدي البيروتية وعنها نقلنا

الجموع ولو كان المسلمون متحدين الاتحاد المطلوب لما أقام الانكليز ساعة في تلك البقاع على ان التكافل بينهم قد بدا طله فأخذ فريق كبير منهم وبدأوا بأعداد القوة وسيجتازون عما قريب كل عقبة وصعوبة وقد ظهر للناس اخيرا انهم يميلون زلنى الى الدولة العثمانية

فلسوف يقوى الاسلام في الهند ويمتد بواسطة العلم الذي ينتشر بينهم بسرعة ولا غرو فان هذا الدين من مطالبه العلم وسوف يسود على كل تلك الديار على أن الانكليز هم الذين علموهم لغتهم فسلحوا بها واصبحوا يطالبون بحقوق الانسان الحرة ويتقاضون من الانكليز مرا كزهم الاجتماعية ومناصبهم السياسية

﴿ صدي العلم من الحجاز ﴾

جاءتنا كراسة بهذا الاسم فيها تفصيل عن «حقة توزيع الجوائز على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصوفية بمكة المكرمة تأسيس العلامة المحرم الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق» وهي مفتحة بخطاب من مدير تلك المدرسة موجه الى كل قارى يستفز به الهمم ويحدد التزامهم الى مساعدة هذه المدرسة الفذة في نوعها المفيدة في الجلة بالبرعات المالية لان قيامها بها وهي لا تزال قائمة ببرعات الهنود الاسخياء الذين عرفوا قوة التعاون والتكافل اكثر من غيرهم من مسلمي الارض - وانه ليجدر بمسلمي هذه البلاد ان يعدوا اليها يد السخاء وما ترى انهم يرضون - كما رضيت دولتهم - بأن يكون الجبل ضار باطنابه في مكة المكرمة ذلك البلد الحرام الذي كان ينبوع سعادتهم ومبع العلم والحكمة من قبل ألا وانه ليعزتنا ان تبقى البلاد التي نزل بها الوحي وانبتق منها نور الاسلام الذي قلب كيان العالم وقتل الوثنية وفتح روح العلم واشرع سبيل استقلال الفكر - انه ليعزتنا ان تبقى مسكته في دياجير الجهل موثمة بأغلال التقاليد، فبلا عناية من دولتنا الدستورية التي يستخر سلطانها بقب «خادم الحرمين» بتلك البلاد بعض عنايتها ببلد من بلاد الروملي ؟ على انه قد آن للمسلمين وقدمضي زمن التفكير ان يبدأوا على العمل وعلى الله قصد السبيل

بوتني الحكمة من يشاءه من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسألة

فيهم جهادي الذي يستعملون القول فينبغوناً حجة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كثار الطريق

(مصر الثلاثاء سلخ جمادى الاولى ١٣٢٨ - ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦ ١٩١٥ م)

فتاوى المتشائين

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وجمعه (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج غالباً وبعدها قد منّا خيراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا. وان
مضى على سؤاله شهر اني او ثلاثة ان يذكرك به مرة واحدة فان لم تذكركه كان لنا من ذم صبيح لافئاله

« الاكراه على الاسلام بالسيف »

(ص ٢٧) من ص ٤٠ . التليذ في مدرسة الحقوق بالآستانة

الى فيلسوف الاسلام وخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة المنار الاغر متعني الله بطول بقائه أمين

وأنا في الجريدة التي يصدرها محمد عبيد الله مبعوث آيدين في الآستانة مسأله

عجبتنا من صدورها من مسلم وازداد عجبتنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يمدن علماء الترك، ثم ازداد عجبتنا اضاعافا مضاعفة اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ووفقها وهي هي الحكومة الدستورية الموثقة من هيئتين احدهما تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما موثقة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) مانصه :

« إن اكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يد والسيف في اليد الأخرى فكان اذا رأى من لا يقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فاقم يا معشر المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

« ثم ان الخلفاء الراشدين والأمراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الأثر الجليل « اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة «قدوة» وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعدد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لا يخفى عليه ان تعدد تفسير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررة عن الاسلام

فما قول المنار في هذه الدعوى ؟ : أحق ما يقول محمد عبيد الله أفندي وبعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل ؟ إن قلتم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله أفندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا ؟ ان قلتم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الأمراء والمرشدين حكم دينهم والناسي بغيرهم صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يجب على

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا ؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين قاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم ؟ وان قلتم لا يجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفرع عليه ؟ افقونا وعلمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد لله الصواب ونقول وبالله التوفيق : ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولا يقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا قصد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتن بين المسلمين وغير المسلمين وإلجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة ، فنحن لا نبحث في قصد كاتب تلك الجمل التي قلنا السائل ولا في درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثيره صدورها من مثله ، ولا في صحة ما شاع من اعانة الحكومة على نشر جريدته وانما نخص كلامنا فيما هو اللائق باب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول

بينا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولا سيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير دلائل كراه في الدين ، منها فراجع تفسير (٢: ١٩٠) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا الآيات من (ص ٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني ، وتفسير (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين) من (ص ٣٥-٤٠) من جزء التفسير الثالث . ولا يذهبن فتنك الى ان حكما على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد كلاً ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) نجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الا مدافعين وانما قلنا بهذا البيان مانصبه د وهل يصح ان يقال فيهم انهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة دون الارشاد والدعوة ؟ كلا لا يقول ذلك الا غرّ جاهل ، أو عدوّ متجاهل ، ولا تنس ما قلناه بعد ذلك عن الاسناد الامام في (ص ٢١٠ و ٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص ٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره «ولا التفت لما يهذي به العوام ، ومعلوم الطغام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فاقراّن في جملة وتفصيله

حجة عليهم ، وإذا راجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢٥٦: ٢) لا إكراه في الدين قديين الرشد من النبي) وهي مدنية وقوله تعالى (٩٩: ١٠) ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكبره الناس حتي يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨: ٢١) فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٥٥: ٥٥) وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تهديد آيات القتال بجعله دفاعا والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آنفا. والراجع في علم الاصول ان المطلق يحمل عليه التقييد وعليه الشافعية .

والسنة الضمنية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن احدا من المسلمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيبون منه فلما رضوا منه بالصلح عشر سنين فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشرائط وأقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها ، ثم كان المشركون هم الذين تقضوا الميثاق وقد بلغ من تقرير الاسلام للسلام ان شدد في المحافظة على عهوده الى درجة ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطالب هؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين ان يعينوهم على المشركين المهادين لم فانه يحرم تقض عهدهم بمساعدة المسلمين عليهم قال تعالى (٧٢: ٨) والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فأمليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) كنت أظن ان محمد عبيد الله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة النبوية الشريفة لأنه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لاقامته الطويلة في البلاد العربية فكيف راجت عليه هذه الدسيسة الاورية والاوهام العامة ليأتنا بحديث واحد في اثبات دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يد والسيف في أخرى ويعرض القرآن

على من يقاه فإن آمن والا آذى بالسيف على هامته فقتلها. ما رأينا حديثاً في ذلك صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً بل لم نر ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه !! هل يمكن أن يقول مثل عبيد الله أفندي أنه استنبط ذلك من حرب الصحابة إذ كانوا يعرضون على من يتصدون لحربهم الإسلام فإن لم يجيبوا فالجزية فإن لم يقبلوا كان السيف حكماً بينهم وبينهم !! ما أراه مجزاً على القول بأن هذا يؤيد قوله ذلك وإن سلمنا له أنه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وإنما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى « ولا تقتدوا إن الله لا يحب المتدينين » والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وإن فرض عليهم لضرورة المدافعة عن أنفسهم ودينهم وتأمين دعوة كما شهد الله لهم بذلك في قوله (١٠٥: ٢) كتب عليكم القتال وهو كره لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كانتا أمتي حرب وقد ضربتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطنة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك والمصيبة الدينية لهما دخول أثر العرب في الإسلام وتجدد دولة لهم تابعة لدين ميين فكان كل منهما يهدد دعوة الإسلام في جواره ويهتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بدء من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن يتم بأحد السبيين : إسلام المجاورين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يقل دفعه إلا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الإسلام الجديدة من الانتشار في الأرض ، فكانوا يعرضون أحد هذين الأمرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فإن النبي (ص) دعا كسرى وقبصر وغيرها إلى الإسلام ولم يهددهما بالسيف وإنما دعاها بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعاً لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦: ١٢٥) ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبيد الله أفندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد وأحكامه

ليسر لنا ان نتحمل لها تأويلا ولكنه ذكرها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحشهم على إرشاد العالم فما هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف مما يزيد بها قفورا ، ويجعل بينها وبين الحق حجرا محجورا ، ليست هذه المسألة هي التي شدّ فيها وحدها هذا الرجل فان له شدوذا في مسائل أخرى دينية وتاريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ماتت ولا ثم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للمؤمنين معجزة للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى اتركية والفارسية وغيرهما من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التصبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن ١١١. وقد سبق لي مناقشة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكانكاره أن للبشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في النصارى عربى واستدلّاه على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال امرا ئيلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشدّ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث المحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التناحر بين العناصر الثمانية المختلّفة في اللغات والاديان والسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن ١١ مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوربية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في مؤلف له واشار الاستاذ الامام الي ارد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قور قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، واتشاره السريع بموافقته للفطرة ، قال رحمه الله تعالى في الرد على قائل تلك العبارة وامثاله مانعه :

« قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد أن يفهمه : أن الإسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة إلا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن بأحدى اليدين والسيف بالأخرى يرضون القرآن على المنسوب فإن لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته ، سبحانه هذا بهتان عظيم ، ما قدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ما تواترت به الأخبار وتواتر صحيحها لا يقبل الريبة في جلته ، وإن وقع اختلاف في تفصيله ، وإنما اشهر المسلمون سيوفهم دفاعاً عن أنفسهم ، وكف العدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالإسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال إليه » لو كان السيف ينشر ديننا فقد عمس في الرقاب لا كرامة على الدين والالزام به مهدداً كل أمة لم تقبله بالابادة والحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتداء ذلك العمل قبل ظهور الإسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الإسلام سبعة أجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الإسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة إلا والدعاة من خلفه يقولون ما يشاؤون تحت حمايته مع غيرة تفيض من الأئمة وفصاحة تتدفق عن الألسنة ، وأموال تحلب أبواب المستضعفين ، أن في ذلك لآيات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسيل حياة نيم في القنار العربية ، أبعد بلاد الله عن المدنية ، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحيها حياة شعبية مليحة ، علا مدته حتى استغرق ممالك كانت تغمر أهل السماء في رقتها ، وتطو أهل الأرض بمدنيتها ، زلزل هديره على لينة . ما كان استعجر من الأرواح فانشقت عن مكثوف سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخاف من غلب « بالتعريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والغي في هذا العالم إلى أن يقضي الله قضاءه فيه ، إذا حاق الله ريباً إلى أرض جديدة ليحيي ميتها ، وينقم غلتها ، وينهي الحصب فيها ، أفينقص من قدره أن آتي في طريقه على عقبة فملاها ، أو بيت رفيم العماد فهو به ؟

﴿ حديث منع الدين بنصاري من ربيعة ﴾

(م ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم السكلاي بسنن قوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم تتم الله المسلمين بحياته بعد السلام : قد اشكل على البعد الفقير ما جاء في الصفحة ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث : أن الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصاري من ربيعة . انتهى فما هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح أم لا ؟ أفيدونا لأزلم مصدوا للافتادات في المشكلات والسلام

(ج) صواب متن الحديث « أن الله سيمنع هذا الدين بنصاري من ربيعة » فالتعريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولا أعلم أنها توجد هنا (في الاستانة) ومعنى المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهلهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وأخرجه عنه النسائي ورجاله كلهم في تهذيب التهذيب لديهم فراجعوا تراجمهم فيد وفي غيرهم مما لديهم ومأراه يصح عنه ولسكن ليس لدي الآن وأما في السفر ما أراجع فيه ولا الحديث من المشهورات في حفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضراً تأخير البيان فيه

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون *

الاجتماع والتعاون قوة لا تنضب الا بقوة مثلاً ، قوة بها ترقى امم ونهتز ، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء .

عشرة مجتفون متعاونون ؛ يغلبون المئين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ، اذا افرا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف اضعافهم في العدد من التجار ، واذا كثر نوا عصابة للبغي والمدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغييرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم والفنون افادوا ما لا يفيد الكثيرون من العلماء الاعلام

لماذا كانت الحكومة الاستبدادية اقليل افرادها اقوى من الامة الكثير عددها ؟
 ليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامة افراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة الدستورية اقوى من حكومتها ؟ ليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة وكيفية سيرها ؟ قالى مني يظال المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة - قوة الاجتماع والتعاون - التي بها يرتفع شأنهم ، ويملأ قلوبهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر اهل الارض الي الكواكب الالامعة في جو السماء ، ويحسدونها على ما اوتيته من السناء والبهاء ،

(نشرنا هذه المقالة وما يليها بجريدة الحضارة التي تصدر بالاسبوع)

وهذه أخبار التاريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع
التعاون هو القوة التي تذهب بشقاتهم ، وتشفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانهم
التي يتمنون ، ونصير لهم الرؤى الصالحة التي يرون ،
لو أردت ان أبين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أو الشعر لاحتجت
الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها لسنفت الاسفار
الكثيرة في التواريخ ، ولكنتي لأريد هذا ولا ذاك ، إن أريد الاتذكار القاريين
بمسألة صارت من الضروريات ، لا يحتاج فيها الى نظم الادلة وترتيب المقدمات ،
أريد ان أذكركم ليعملوا ، لا ليعلموا ما لم يكونوا يعلمون ، ولا لأجل ان يقولوا عند
الفراغ بما يقرؤن ، أريد ان أقول لهم يا قوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكي الناس
أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدرهم ، وانكم
مهمومون مستضعفون ، لغير ذنب نجون ، الا تفرقكم وتخاذلكم . انه لا ينقصكم
الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقن بينكم اختلاف ديني ولا جنسي
مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على ما به قوام مصلحتكم المشتركة
لا أدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم
الى الاجتماع لازالة موانع الاجتماع ، ثم للتعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة
واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا أصحاب القدر العلى الذي يؤهلكم له
ذكاؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوء بها التاريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم
جميع الامم والشعوب :

يا قوم ان لكم من مجد اولكم اوثاقا قد أشقت ان يفنى وينقطعا
يا قوم يعضتكم لا تفجمن بها اني أخاف عليها الا زلم الجذعا
ان الدولة لا ترقى ولا تنزلا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلومها وثروتها ،
وان الوراثة اكبر عون للمراء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم
والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من
مأزق الاعمال الفردية الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغني من
قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، وخطب في العالم الالهية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة المصرية من
بسرک، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولا مكتم أحد من الاصلاح
في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتعاونوا

يجب ان تؤلفوا الشركات المالية ولا تقتسوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ،
لاقتسوا انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول
سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كن اختلافا في الدين والمذهب ،
أو الجنس والمشرع

يجب ان تؤلفوا الجمعيات الطبية والخيرية لتعصم التربية والتعليم بين جميع
الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء بئذ الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس
فمن يخل على الامة بفضل ماله فليكم ان تبينوا للامة أنه عدوها وأنه يجب عليها ان
تحمته وتحترمه ، وأما من يجود عليها بما يرفع شأنها فليطوها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ،
استعينوا على هذا بالكتاب والشعراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الأقلام : ان في أيديكم قوة تعمل بالاقصم السيوف والمدافع ، ان
من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماما في الخير لاهل عصره ، ولن يأتي من بعده ،
وان من تحقروه ولو بالباطل يكون محقرا في زمانه ومحقرا في التاريخ حتى تستحي
فريته ان تنسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشاراذ قال :

أني خيفة أحكموا سفاهكم اني أخاف عليكم أن أفضيا
أني خيفة اني ان أهجكم أدع اليمامة لانسائي أربنا

اعرفوا قيمة هذه السلطة الحضوية التي لا تظهر قوتها على كمالها الا في الجرائد
واستمعوا في اصلاح حال الامة فبذلك يلو قدركم ، ويرفع ذكركم ، وتناولون من
الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وانتم بأصحاب الجرائد أولى أصحاب الأقلام بهذا العمل لان صحفكم
تجمل لكلامكم من التأثير ما ليس لكلام غيركم الذي لا تقبلون نشره فيها فحرصوا

الكتاب والشراء على هذا الإصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا
بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الأضياء
يا أصحاب الجرائد: لا تقتنكم سياسة الحكومة فتجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها
وأقوالها، اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الأمة فمن تصلح دولة أمتها جامعة
متخاذلة، فإصلاح الأمة يتم لكم ما تريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب
ان يكون لأجلها كل شيء

* * *

كيف تنال الأمة حقوقها ؟

ان للأمة حقوقاً طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تنصب منها
وتنطب عليها ، وان الناصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون
جماعة منها أو من غيرها ، وأعني بالفرد الذي ينصب حق الأمة الحاكم المستبد
المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان
شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء أفرد ، وأعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان
شكلها ونوعها ،

اذا ظلم الافراد ونصبت حقوقهم يختصمون الى الحكام فاما ان ينصفوهم واما
ان لا ينصفوهم ، واما الامم فليس لها محاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين
ينصبون حقوقها ، وماذا فعل ونصمها هو الحكم ، وكيف تنصف منه اذا جار
وظلم ، ؟ ومتى تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلط ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وإيراد
البيانات ، ولا بالرجاء والتسليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الناصب لا يكون قاضلا
عادلا فيقضه البرهان ، ولا رؤوفا رحيا فيوثق من ناحية الوجدان ، وانما يكون قضا
غليظ القلب ، لا ينضم الا لقوة والبأس ، فيعطى بالقوة كما يأخذ بالقوة ،

كيف تعبر الأمة المظروبة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان
الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا لها من إيجاد قوة لها ، ؟ اتقول ان اليأس

من قوة أمة هذه حالها أقوى من الرجاء فيها ، أم قول يجب أن تقوم على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزول الروابي ، وتجعل الرقيق وضياء ، والذليل عزيزا ، أم هنالك حيلة أخرى يكفى منها بالقوة المصنوية ، عن القوة المادية ؟

هذه المآني قد انتقلت من أوروبا إلى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولأسيا بعد الاقلاب الصيني والاقبال الفارسي ، وربما تكون قد جالت في ادمغة زعماء الارنوط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الأيام ، وكانوا عوناً على الدولة وعلى انفسهم ، لا أولئك الأعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقتسام ترابها بدون حرب طحون تسفك فيها دماءهم ، وتقتال بها اموالهم ، فهم انما يجارون بها حرباً مصنوية ، يفرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضربون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكاً أو بطيئاً ، يقول لسان حال هؤلاء الساسة أو لسان مقالهم للترك انكم انتم القاتلون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لبقاء لكم ولا وجود الا بتعصمكم لجنسكم ، وجعل زمام الأمة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فلتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسوبة الى دولكم ، لا لهم أقدر منكم على الكسب ، ولا تقدر أن تسبقهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتاب قبل الكتب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على السجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم الضمر الا كبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، وبلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خربوا بلادكم بعد عمرانها ، وحالوا بينكم وبين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن أوان طلب الحقوق ، والمواخذة على الحقوق

ويقولون للارنوط انكم شعب مجيد ، وانكم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعداداً للمدنية ، لانكم من الشعوب الاوربية ، وبلادكم

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وأقت عن كاهلها ائقال سلطة الترك ، فقدونوا
لحكم بالحروف اللاتينية ، ولتعد البلاد الشمالية بالجنوية ، وسفانلون كل أمانة ،
بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية ، ١ ١ ١

ويقولون للارمن انكم اذكي الضانين أذهانا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جناحا ،
واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد
جمعتم لذلك ما جمعتم من المال ، وركبتم في عصر يدرون الترك ما ركبتم من الاهوال ،
حتى اقتحمتم القباب ، وذللتم الصعاب ، فلا تهنوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم
ماتالون من الدولة عن طلب الملك ، وان أوربا المسيحية ، لزجبة لكم بتحقيق هذه
الامنية ، فخذوا الالهة وانتظروا القرصة ، وأعدوا لها الشعب كله ، بتعليم المدارس ،
ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور ينامى وأرامل المقتولين منكم ،
في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد
والألحان ،

ذلك مايوسوس به شيطان السياسة الجنسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما
هو الأكدّ وخدايع ، جدير بالمصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الألهام ، الداعي الى
الرفاق والسلام ، فانه يصبح بهو لاء الاقوام : لا تستجوا للمى على الهدى ،
واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم وانقسامكم ، وعداءكم
ونخصامكم ، وإلجاء الدولة الى تفریق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتكم وثوراتكم ، هو
الذي يحول دون ارتقاها وارتقاكم ، ويفضي والياد بالله الى هلاكها وهلاككم ،
وارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، وواقع انكم تكونن حينئذ بعد عن الاستقلال ،
واقرب الى انخزي والنعكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب
الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجر اوربا الا اسباب التذلي والاستخذاء ،

لا مرجا بقدر ولا أهلا به ان كان (فريق المناصر) في غدا
لا أقول ان الدولة نفسها ترقىكم ، بل أقول انه لا يرجى ان ترقىكم ، لا لانها
لا تريد ، بل انها ان ارادت لا تقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها
بنوفيتكم ، فقد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدبر اليوم

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الأمة ، وإن منكم من يسيء الظن به ،
ويطعمه غاصبا لحق غيره وما لنا له من الوصول الى مطلبه ، وإن هؤلاء ليكبرون
الصغير ، ويفتخرون عن الأمر العظيم ،

الخطب سهل والأمر طبع ولا ضرر في كون الغلبة في الحكومة لنصر يرجع
قومه على غيره في الأعمال ، وإنما الضرر أن يكون أمر الحكومة في أيدي العاجزين
عن الإصلاح ، وإن القادرين عليه من جميع العثمانيين قليلون ، وأما الآن في دور
تجربة قندهم بمجربون ، ولا يجوز لنا أن نتأذى في سوء الظن ، ولا أن نؤخذهم
على كل ذنب ، فنجعل ما يقتضيه الشخص ذنبا لنصر والشعب ، بل يجب على
الغلاء المحين للإصلاح الصاية بأمرين أحدهما يتعلق بإصلاح الحكومة والآخر
يتعلق بإصلاح الأمة

أما إصلاح الحكومة فله طريقان لا بد من الجمع بينهما ، أحدهما حسن اختيار
المبرزين ، وأعضاء المجالس العمومية ، وثانيهما مراقبة الغلاء وأصحاب الجرائد والحكام
والعمال في النظارات عامة ، ونفاذ الممارف خاصة ، والاتقاد على الظالمين والمفسدين
منهم ، والسعي في ذلهم ولا يتم شيء من ذلك إلا بالاجتماع والتعاون
وأما إصلاح الأمة فله طريقان أيضا لا بد من الجمع بينهما ، أحدهما نشر التعليم
الأهلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الأعمال المالية التي تهيئ ثروة البلاد ، ولا يتم شيء
منهما إلا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم
والاستعانة على ذلك بالاغنياء ، وإنما قصدت بذلك تنبيه الأذهان ، وتوجيه المهتم
وتحريك الأقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ، وعسى أن أبين في مقال أو مقالات
أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من إصلاح الحكومة وإصلاح الأمة بشيء من
التفصيل ، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارمن ، وأما الارمن
والروم والبلغار واليهود فلهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق مبدئة
هم فيها يهرعون ، فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعينا ، بل
نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

ان الاجتماع والتعاون على ذينك الاملاحين هو الامر العظيم الذي عقل عنه الذين يحددون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المنوية التي تقوي عن الثورة ، وتعال الامة به من حقوقها ما لا ينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيانها ، وتعزيزها ورفعة شأنها ، قبل كل شيء ، ومع كل شيء ، وبعد كل شيء ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الانفوط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والعراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهناك لم يقن للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اتقي ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يسلونه في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشوم الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأهل فيها من عدوان شاكى السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطلب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبعدا عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ورددت صداه سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة وانغير عليها وأحرص على عزتها ورفعة شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استوراكا على كل ما تقدم ، لأن ين ان الباحثين في حقوق العرب اكثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الفيرة والاخلاص ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين القابضين على ازمة الأمور كايضا ذلك بالتفصيل في مقالاتنا دالعرب والترك ، بحسب ما اداانا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم المصيبة الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سمينا هنا (في الآستانة) جهد طاقنا بالقول والكتابة ، لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة ، وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن الفيرة الجنسية حتى صاروا أبعد الام عنها ، وانه لا يقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

الهم الا من يتعاملون عليهم من الترك فهم وحدهم القادرون على هذا الامر ،
وقد عجز عنه الافرنج اذ حاولوه من قبل ،

ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمّة امورهم وكتاب اشهر جرائدهم هي سيرة
من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الا بادعاء كونهم لا يعلمون ماذا
يسألون ، فاذا تحقق هذا فان نهي مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ما عاد له
فائدة . فاعلي اذاً الا أن أذكركم في جنسيتهم بأمرين لا مندوحة عنهما . ولا يمكن
ان يحل محل العرب سواهم فيها . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ،
وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر
الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم الضمير الأكبر لهذه الدولة ، والامر
الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من
غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لا يقاسون على أمة ولا على شعب ولا يقاس
عليهم غيرهم ، فحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اقل ، وامامهم الصراط المستقيم ،
فليتبعوه ان كانوا فاعلين ، والله الموفق والمعين .

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري
عثماني ، وما كل عثماني مصرياً ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالهندس والمتعلم
مثلاً ، فكل مهندس متعلم ، وما كل متعلم مهندساً

مرّ على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي قيفض ، أو حرفي
تباين ، إذ هؤلاء يوسفون في قيود العبودية ، وأولئك يرقون في حلل الحرية ،
ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطمرت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قمة
الحكم التبايني القيد ، فأحدث هذا الطفور شيئاً من رد الفعل قامت الحكومة العرفية
تجسّط وتحمي حتى الحكومة الدستورية ، فلولاً الجند العثماني لما ذكر الدستور جبراً

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،
وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد الثمانية صامدة واجمة ، وكان الثنائي
الحر لا يستطيع ان يتكلم في بلده ، فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندي من
صوت الثنائيين واصرح ، هم طلبوه جهرا اذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم
جيش كجيشنا يلبي ندائهم ويحجب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا ببلادهم محتلة بجيش
اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنية قوية ، فوجب ان يكون
طلبهم بالحجة ، وتريية الاحساس وجمع الكلمة ، فكل من الفريقين قد سعى الى
مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ،
قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية
التي هي امهم وهم اقدر اولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بمجدهم واجتهادهم
وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القومية ، واتسعت دائرة التكافل
والتعاون على المصالح العامة ، فانشأوا بأمورهم الوفا من الكتابات الابتدائية ، وانشأوا
مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثر قراء الجرائد
والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في
زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف عبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ،
فأنسى للبلاد الثمانية ان تشاركها بهذه المزايا كلها ، فن انكر على المصريين استحقاق
الحكم الثنائي الذي يتمتع به الثنائيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم
له فهو اما جاهل ملهم ، واما ظالم ميين
أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم الثنائي بفضل الثنائيين من
أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبهم اليها جامعات اللغة والجوار والعادات وبما
استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي
من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها ومالياتها ، وبما تفخه
استقلال السلطة الاجنية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقا سيادة الدولة العلية
عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الأعظم والبرهان القاطع لشبهات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالأهتمام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الأمر العظيم هو ما يدل عليه بالإيجاز لفظ (الاقتصاد) ويأينه بالتفصيل والإطناب ، قدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الا وقد دخله كثير من المصريين ، فالأفراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الأحزاب والجماعات لما تم بما يجب من الكليات تزيد من الاقتصاد ان تكون وقبة البلاد لا هلهي خالصة لهم من دون الأجانب وأن يكونوا أحراراً في تصرفهم بها ، تزيد ان ينف سريان امتلاك الأجانب للأرض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين أصرمم واغلال الديون التي ظلوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم تزيد ان تكون ثروة البلاد قوة في أيدي أبنائها يراؤون بها من شاموا من الأمم وبجادون بها من شأوا فيعملون بها مالا يعمل السيف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جوه هذه المدينة فولاه لما زحف أهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو التفوذ والاحتلال ، وان اصحاب الاموال في اوربا لم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاءون ، ويدهم ميزان الحرب والسلام فهم الذين يزنون ويرجعون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعداداً للأعمال المالية ، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بأيدي رجال منا ، انما كما يعلم الخيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نساوهم وطنا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، ويبي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تملزج أبنائهما منذ القرن الماضي فكانا كزواج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

سياسة التعطيل ، وإضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقييل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي ينجي مصر ويقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه وأخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، وعماكمهم عماكمه ، فإذا أثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالإلي من السوريين أو العرب يمد حياة مصر المادية بكده وكدهه ، كما يمد العالم والأديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلبه ، فينبغي المصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من انتمائهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومناقضهم ويستعين بعضهم ببعض على ما يجب العناية به من الهبة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستمدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك لقوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نه اليها ، وهي زعامة ارفعاء الأمة العربية بأسرها ، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والموسم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لمي التي تحفز همهم الى ذلك ، وان سورية لبسولة الذراعين لعناق مصر وناشرة الشفتين لتقبلها

فالذي اقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الأحزاب والعناصر الخاضعة للقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آتقا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الأهالي والنظر في الطرق القرية لوفائها وتحويل مدنها الى جزر لا تفيض بعبء ثاقبة ، ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلافي ضررها العظيم ، ولا أحاول الا حاطة ببيان كل ما يجب ان تفعله لمنع اغتيال الاجانب لثروة البلاد وتنمية هذه الثروة

وتثيرها ، بل لا يستطيع ذلك مثلي ، قائما أنا مذكر بالامور الكلية التي أرى البلاد قد امتدّت لها أو يجب ان تستمد لها ، وإن وراء ما ذكرته من المبادئ غايات لأخصي فوائدها ،

اتي قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقامي الى مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد ، ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصدورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكر ان قمت الذكري ، سيدّ كرم من بخشي »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملك عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يطعنون ان هذا الصل لا يمازض سياستهم بل يدعمها ويعززها ، فإذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فربما يكون غدا أرحى الوسائل وأقربها ، فإن قالت البلاد ما تطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب ، وقد يضرهم ان لا يكونوا جامعين لها ، فانا نرى الحكومة العثمانية وقد صارت دستورية مغلولة الايدي دون ما يقتضي من الاصلاح لقلّة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على فقرها وتأخر مجراتها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لا بد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يعد لكل امر عده ، وحجة المصري على وجوب حكمه لبلاده لا تزال ناهضة مادامت رقة البلاد في يده لا حقوق فيها للاجانب ، والآن قد صار زعمها خمسا ملكا للاجانب أقل من بخشي ان يظن هذا السيل الاتي حتى يضر نصف اطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم تقم في طريقه السبل التي تصد طغيانه ، ألا يخشى ان يتحد يومئذ اصحاب الاطيان من الاجانب واصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم ، ونحن نقدر على الحكم منكم ، أو يجب ان يكون مشتركا

بيننا وبينكم كما قال لورد كرومر؟ يومئذ لا تنفع الحجج ولا تفيد المظاهرات ولا يفتي الاعتصاب شيئا الا غناء قد يكون انه اكبر من فقه

قد رأيت المبرة في العسرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الأخيرة، وأتيت كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب، وأعجز من أمير الحرب، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوروبا متحدين على تعدد حربكم حربا اقتصادية، وهل يصحز دهاة السياسة الانكليزية أن يمحلوهم على هذا الاتحاد في يوم من الايام؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة، والامة المصرية مستعدة لغلبة كل أمة من أمم الارض، بثروتي الثروة والهدوء، وليست مستعدة لمقاومة دولة كبيرة بالحرب، ولا سيما في هذا العصر، فليكن اعتمادها على ما هو قريب من استعدادها، وعناية الله كافلة لها نيل مرادها،

تاريخ التجنيد العثماني (*)

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد. وقد صدره قوميون عسكريون في المجلس بمقدمة تاريخية باحة عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا هذا فأحينا اقتطاف المهم منها لحجي التاريخ

« اذا استثنينا الرومان قتل ان نصادف في تاريخ عسكرية الامم اشارة لوجود اجناد دائمة منتظمة. وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين وبعد قرن من ذلك أسس شارل السابع ملك فرنسا اجنادا دائمة

« كانت اجناد العثمانية الى سنة ١٧٣٠ م مؤلفة من التطوعين وعبارة عن جيش مؤقت يقبل فيه كل راغب من الشبان. لم يكن لباس الجند واحدا بل كان

(*) نقلتها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس ما يشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرسان اسرى مقاما من الرجالة . والاسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والعرص والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقنجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد فيه هذا الجيش جند يدهون السائر الخاصة بقيمونه دائما في قاعدة الحكومة

« فلما اتست الفتوحات لم يبق من الممكن الا كفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجالة ففي عهد السلطان اورخان اتهم أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا و خليل باشا الجاندارلي ورتبا خطة لايجاد عسكر دائم فوضعوا أساس الجند المسمى « يكي جرية » (معناه العسكر الجديد) وقد هرب بها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الزي العسكري مطردا ولو في هذا الجيش من أولاد النصاري الذين ادخلوهم في طاعتهم قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثير من القواد البرية والبحرية الذين لا يبلى ذكهم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يقب آغا وهو في مقام قائد الحرية . ومن عاداتهم قدس الدور التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجمعون حولها

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطماع من الرجالة والفرسان يكافأ على ذلك متى بلغ الأربعين او الخامسة والأربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٧٠٠٠٠ أقة يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٧٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ أقة يسمى زعامة فكل ذي تيمار عليه ان يفتق عن حساب كل ٣٠٠٠ أقة على راجل واحد . وكل ذي زعامة عليه ان يفتق عن حساب كل ٧٠٠٠٠ أقة على فارس قادر تام اللأمة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي) وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفا وفي عهد محمد الرابع بلغ عددهم مئة وتسعة وسبعين ألفا ومئتين

أما عدد الصاكر في تلك الأعصار فكان هكذا: القپوقلی ٧٤١٤٨ والفرسان
أولو الاطيان مع فرسان الألايات الممتازة ١٧٤١٩٢ والصاكر البحرية ٥٥٧٢
المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد المجر بثلاث مئة الف مقاتل
مهم ٣٥٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقچه واحدة
والاقچه سكة عثمانية فضية وزن ثلث درهم فضة من عيار القسعين ثم تنزل عيارها
فانقضى ذلك ان يزداد لهم الى ثلاث اقچايات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى
خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر امرهم الى سبع
وعشرين اقچه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر
من بعض . أما أعظم فكان يأخذ خمس مئة اقچه في اليوم

كان هذا الجيش اسمى جيش في الدنيا ولم يكن يوجب من فتح الا الى فتح
آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن
امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة مالبت ان
تلقي واستكبر واستولى عليه الثرور والاشرف ، فدخل عليه الفساد من كل باب ،
وتوصل اليه المكروه بجملة اسباب ، فساد شروما على الدولة بعد ان كان يحميها ويؤمها
بعد ان كان نعمي ، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر مبلغا من تفكك الروابط وشيوع
الفوضى وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فاصبح بعد تلك البسالة
العظيمة التي امتاز بها يكثر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي
هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوروبا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات
الكمال فيومئذ صرفت وجهه الآمال عن مغالبة الخصوم بالمجورم والفتوح وبقيت
الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في اليد لان القوة العسكرية اصبحت على وشك
الاضطلال البتة

بال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام
الدفاع يد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم القتل واستولى عليهم الخلل فبدى

له رأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكريا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان « نظام جديد » وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين ألفا وعزم على إلغاء الانكشارية . ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية الأنحوسست سنين ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الأمنية العظيمة التي كان يتقاضى الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث يتيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان إلغاء هذه المساكر العظيمة بإصدار الأوامر ليس من الممكن وأن هذا الأمر لا يتم الا بالتكيد والتشريد بهم فاستقى في قتلهم على إثر تمرد وبني وطفليان فألقي فيه وتوصل الى اجتثاث هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت

في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

« أما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتدا بفوائد النظام الجديد فأعطى لقب باشا ونصب سر عسكريا ولقب المساكر الجديدة بانمساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لمساكرينا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثلاثين سنة . ينقسم تأريخ الجيش الجديد الى ثلاثة أدوار الاول دور التأسيس والثاني دور الفرعة والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يلهون العسكري ممن صادفوه من الشبان الأقوياء . لم يستأنس الناس في بدء الأمر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا رؤية هبة الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الأفرنج

ولم تكن مدة التجنيد مئة أيضا وفي ١٢٤٤ - ١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعامدة ادرنه) فكان من البديهي ان لا تظهر الثروات المتوفرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذت خدمة الدولة المارشال مونتسكو الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بحرست سنين واطلع من ادارة روسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالت الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل العظيم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

والبوسنة والهرسك والتبلي دلتلي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديد هكذا: الصاكر المتظمة ٨٠ ٠٠٠ والرديف ١٣٠ ٠٠٠ والصاكر البحرية ٥٠٠٠٠ الجميع ٢١٥ ٠٠٠ وكان سوى هؤلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المتظمة ونحو اربعة الآيات من الخيالة العتق .

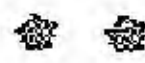
واتوا بعد ذلك بمعلمين من المانيا لفصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة اقم كانت لا تزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا الحال الى ١٢٦٠ فقي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كتابه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكريتنا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التاريخ انيت طريقة اقم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ العسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة العسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يؤخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها . فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعني من الخدمة . وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للعسكرية نظام حقا . وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام . وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة آيات ورجالة واربعة آيات خيالة وآلي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ١٥٠ ٠٠٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٣٥٠ ٠٠٠

وفي خط كتابه يوجد نص على أنه يؤخذ للعسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحويل في ترتيب العسكرية فحطت مدة الخدمة ثلاثا للعسكر الموظف ، وستين لخدمة الاحياطية ، وستا لخدمة الرديفية ، وثمانيا للمستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا : النظامية والاحياطية ٢٣٧ ٠٠٠ والرديف ٣٥٠ ٠٠٠ أو يزيد على هذا المقدار . وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ٧٥٩ ٠٠٠ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضياح كثير من الارواح
تضعف هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتجديرات فيه فقي عام اربع وتسعين
حول اسم السر عسكرية الى اسم نقارة الخيرية وقسمت الازم والاستعدادات
المسكية الى شعب ودوائر وأنشئت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان
وتسعين اتى بجماعة من ضباط الالمان من صنف مختلفة في الجيش الالمانى وأخذت
أراؤهم في الاصلاح العسكري وكان يرأسهم كهر باشا . وبعد سنة جيء بالبكاشي
غوندرهوج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم مما كان
يحول يته وبين الاصلاح من الموانع التي هي معروفة ومعروفة في ذلك العهد
الى هذا الرجل يعزى النظر في ترتيب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة
الخيرية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القعدة ووضع قانون أخذ الصكر
المعول به الى عهدنا هذا



د أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا
بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطأ من حكومتنا لا يعفى عنه وكان
من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل
هذه العاصمة من هذا الشرف ايضا

فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغيير الجديد السعيد
في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المتأني للقانون الاسامي
هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين
نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً
واحداً أمام كل عدو معرضين حياتهم للقواومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن
الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

العمران العربي

﴿ وصف الجامع الأموي ﴾ *

هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا واثقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تقيق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تفي عن استغراق الوصف فيه . ومن عجب شأنه انه لا تنسج به المنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف . انشأه لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامثل أمره مدعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأني فيه وانزلت جدره كلها بنصوص من الذهب المرووف بالفضة ونخلطت بها انواع من الأصباغ الغريبة قد مثلت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالقصوص بدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يثني الميون وميضار بصيصا وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المني الاسدي في جزء ومنه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومئة ألف دينار فكان مبلغ الجميع احدى عشر ألف ألف دينار ومئة ألف دينار . والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة . الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسما قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد في الجهة الغربية فاتمى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

(*) نقلا عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الأموي اذ زاره في سنة ٨٠ هـ

وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً وبقي النصف
المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا
ذلك فانتزع منهم قبرا وطلع لخدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهزم كنيتهم
يحين فبادر وقال أنا أول من يحين في الله وبدأ اللطم يده فبادر المسلمون واكلوا لخدمه
ذراع في الطول من الشرق الى الغرب متا خطوة وهما ثلاث مئة ذراع وذراع
في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي متا ذراع
فيكون تكبيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون رجلا وهو تكبير مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى
الشمال . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل
بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين
عمودا منها اربعة وخمسون سارية وثمانى أرجل جصية تتخللها واثنان مرخمة ملصقة
معا في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبعد ترخيم مرصعة بمصوص
من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط
الوسط قلبة الرصاص مع القبلة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبرا
وطولها عشرون شبرا وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض
ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبرا . ويستدير
بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سعة عشرة خطى وعدد
قوائمه سبع وأربعون منها اربع عشرة رجلا من الجص وسائرها سوار فيكون سعة
الصحن حاشا المستطيف القبلي والشمالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج
الروح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء
عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيككل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن
وتحت ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة
الرصاص بينها . والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظر ارائها
ومرأى هاثلا يشبهه بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جوفه ونصف جدار البلاط

على يمين نصف الثاني على شمال جناح موشة هذا الفراغ من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع مائل إلى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملوثة أربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالحراب مع ما يليها من الجدر أربع عشرة شمسية وفي طول الجدار عن يمين الحراب ويساره أربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار إلى الصحن سبع وأربعون شمسية

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصباحية رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعا معاوية بن أبي سفيان (رض) وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض) إلى المقصورة منه إلى الحراب وبازاء محرابها لجهة اليمين مصل أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصغار ينصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا أكبر طولا وعرضا . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخليل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكادين وطول المقصورة الصباحية المذكورة أربعة وأربعون شبرا وعرضا نصف الطول ويلبها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصباحية أولا في نصف الخط الإسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث أعيد المحراب في المقصورة المحدثه قلما أعيدت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة الصباحية طرقا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الأخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثه أكبر من الصباحية . وبالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة أخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية عمدة بالأعواد المشرقية كأنها مقصورة صغيرة وبالجانب الشرقي في زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها

أحد أمراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي وبالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للتسريح والنسج والأفراد عن ازدحام الناس وهي من جهة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات اقبية عشرون بإمتصلا بطول الجدار قد عُلِّقَتْ قسي جصية مخرومة كلها على هيئة الشسيات فبصر العين من اتصالها اجمل منظر واحسن

وبالبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الأعمدة ابواب مقوسة قلها أعمدة صغار تعلف بالضعن كله . ومنظر هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها وفيه مجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتفرجهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فثمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى اقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . وبعضهم بالقدادة مثل ذلك . وأكثر الاحتفال انما هو بالعشي فيخيل لبصر ذلك انها ليلة سبعم وعشرين من رمضان العظيم لا يرى من احتفال الناس واجتماعهم لا يزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسبونهم حراسين

والجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة رابحة كلها الى افلاق يسكنها اقوام من الغرباء اهل الخير . والبيت الاعلى منها كان مضكف ابني حامد القرظالي رحمه الله ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد ابو عبد الله بن سعيد من اهل قلعة بحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشهورين بالدنيا وخدمتها . وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف باب الناطقين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالنقوش والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رخام كأنها التور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزنا لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستقلات تقيف على

ما ذكرنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر ألف درهم
مؤمنية أو نحوها . وثبة أخرى صغيرة في وسط الصحن بحفرة مشنة من رخام قد
ألصق أبداً بالصاق قلعة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد
مستدير وفي وسطه أنبوب من الصخر يجمع الماء إلى علو فيرفع ويقتي كأنه قضيب
من لجين يشربه الناس لوضع أفواههم فيه للشرب استظرافاً واستحساناً ويسمونه
قفص الماء . والقبعة الثالثة في الجانب الشرقي قلعة على ثمانية أعمدة على هيئة القبعة
الكبيرة لكن أصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي إلى مسجد كبير في وسطه
صحن قد استدار فيه صهرج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائماً من صفحة رخام
أيض مشنة قد قامت وسط الصهرج على رأس عمود مقرب يصعد الماء منه إليها
ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا القديس الزاهد المحدث أبو
جعفر التنكي القرطبي ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماساً لبركته واستماعاً
لحسن صوته

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد من أحسن المساجد
وابدعوا وضماً وأجملها بناء يذكر الشيعة أنه مشيد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا
من أغرب مختلفاتهم . ومن العجيب أنه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط
الشمالي من الصحن موضع هو ملقى آخر البلاط الشمالي مع أول البلاط الغربي
بجانب بستر في أعلاه وإمامه ستر أيضاً مفصل يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة
(رض) وإنما كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق
كعلي (رض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك أنهم
يزعمون أنه روي في المنام مصلياً في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجداً وأما
الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وإنما ذكرناه لشهرته في النجاس
وكان هذا الجامع المبارك ظاهراً وباطناً منزلاً كله بالقصود المذهبة مزخرفاً
بأبدع زخارف البناء المعجز الصنعة فأدركه الحريق مرتين فهلك وجند وذهب
أكثر رخامه فاستحال روثه فأسلم ما فيه اليوم قبله مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقدّزها كله وقد قامت في وسطه محاريب صفار متصلة بجداره تحفها سويريات مقتولات قتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيئا اجل منها وبعضها حمر كأنها مرجان . فشان قبلة هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شطام الشمس بها وانكاسه الى كل لون منها حتي توحي الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلي كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه والله يصره عنه

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المهراب خزنة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزنة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلحسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف باب الزيادة وله دهليز كبير متسع وله أعمدة عظام وفيه حوائث للخرزين وسوام وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار النبل وعن يسار الخارج منه سباط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضراء (وباب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف باب جيرون (وباب) غربي ويعرف باب البريد (وباب) شمالي ويعرف باب الناطقين والشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهليز متسع يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منقرا الدهليز المتصل باب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حبل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة وبازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحصر الطرف دونه سورا قد حنته اعمدة كالجزوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبها هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوائث

(المأرجح ٥) (٤٧) (المجلد الثالث عشر)

المتظمة للمطارين وسوام وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحجّـر والبيوت فكراه
مشرقة على الدهليز وفوقها سطح بيت به سكان الحجّـر والبيوت
وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة قلها أعمدة من
الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينطف عليها
تتيب وفي وسط الحوض الرخامي اثيوب صفر يزجج الماء بقوة فيرقم الى الهواء
ازيد من القامة وحوله اثيوب صغار ترمى الماء الى علو فيخرج عنها
كقضبان الذهب فكأنها أفصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان
يلحقه الرصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها مخرج
طابق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار
ودبرت تديرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من
في بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما
احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان
فعند وقوع البندقين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين بعد ان
عقبهما بالبندقين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدير عجيب تتخلله الاوهم
سحرا وعند وقوع البندقين في الطاستين يسمع لها دوي وينطلق الباب الذي هو
للك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار
حتى تنطلق الابواب كلها وتقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولما بالليل
تدير آخر وذلك ان في القوس المنطقت على تلك الطيقان المذكورة اثني عشرة
دائرة من النحاس مخرمة وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك
كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب
مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وقاض على الدائرة امامها شعاعها
فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تقضي ساعات الليل
وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها واتقلا يمد
فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الثامن المنجاة

ودهلز الباب الغربي فيه حوائط البقالين والمطارين وفيه معاطيل الفواكه
وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج
سقايتان مستديرتان سقاية يميناً وسقاية يساراً لكل سقاية خمسة انابيب ترمي الماء في
حوض رخام مستطيل . ودهلز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد
المشرجة هي مخامر لمطي الصبيان . وعن يمين المئارج في الدهليز خاتمة مبنية
قصوفية في وسطها صهرج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
والصهرج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مظاهر يجري الماء في بيوتها

وعن يمين المئارج ايضاً من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صهرج
يجري الماء فيه ولها مظاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة
عمودان متباعدان يسيراً لها رؤسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن
تخرج من سرجان ليلة التصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتطتان . واحتفال
اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

أنا علي بن الحسين

تريّة البنات (*)

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى	في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأحمل في هواك صباية	يا مصر قد خرجت عن الاطواق
لطني عليك متى أراك طليقة	يحيي كرم حماك شعب راق
وأديب قوم تستحق يمينه	قطع الانامل أو لظى الاحراق

(*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت ببورسعيد لاعانة
مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكاً في انتقاد الاخلاق والعادات كان من الادلة
الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاسلوب من الشعر فإنه من
خير الادوية لادواء الناس

كف بمحور الخلال متيم
 اني لتطريحي الخلال صكرية
 ويهزني ذكر المروعة والندى
 ماالبالية في صفاء مزاجها
 والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي
 بألة من خلق كريم طاهر
 فاذا رزقت خليفة محمود
 فالناس هذا حظه مال . وذا
 والمال ان لم تدخره محضنا
 والعلم ان لم تكتفه شمائل
 لا تحسبن العلم ينفع وحده
 كم عالم مدّ العلوم حبايلا
 وفيه قوم ظل يرصد فقره
 يمشي وقد نصبت عليه عمامة
 وطبيب قوم قد أحل لطفه
 قتل الاجنة في البطون وتارة
 أغلى وأثن من تجارب علمه
 ومهندس للنيل بات يكفه
 متفنت تدرسه وتيس كفه
 لاشيء يلوي من هواه فده
 بالبذل بين يديك والاتفاق
 طرب الغريب بأوبة وتلاق
 بين الشبائل هزة المشتاق
 والشرب بين قافس وسباق
 والبدر يشرق من جبين الساق
 قد ما زجته سلامة الافواق
 فقد اصطفاك مقسم الارزاق
 علم . وذاك مكارم الاخلاق
 بالعلم كان نهاية الاملاق
 تطيه كان مطية الاخفاق
 مالم يتوج به بخلاق
 لوقية وقطية وفراق
 لمكيدة أو مستحل ملاق
 كالبرج لكن فوق تل ثقاق
 مالا يحل شريعة الغلاق
 جمع الدواق من دم مهراق
 يوم الفخار تجارب الحلاق
 مفتاح رزق العامل المطراق^(١)
 بالماء طوع الاصفر البراق
 في السلب حد الغائن السراق

يلهو ويلعب بالمقول بيانه
 في كفه قلم يمجّ لعايه
 يرد الحقائق وهي بيض نصع
 فيردها سوداً على جنباتها
 عريت عن الخلق المطهر نفسه
 لو كان ذا خلق لأسمد قومه
 من لي بتربية النساء فاتها
 الأم مدرسة اذا أعدتها
 الأم روض ان تمهده الحيا
 الام أستاذ الأساتذة الأولى
 أنا لا أقول دعوا النساء سوا فرا
 يدرجن حيث اردن لا من وازع
 بفطن افعال الرجال لواها
 في دورهن شؤونهن كثيرة
 كلا ولا أدعوكم ان تسرفرا
 ليست نساؤكم حلي وجواهرها
 ليست نساؤكم اثا بقتي
 تتشكل الازمان في أدوارها
 فتوسطوا في الحالين وانصفوا
 ربوا البنات على الفضيلة انما
 وعليكم ان تستبين بناتكم

فكأنه في السمر رقية راق
 سما وينفثه على الاوراق
 قدسية علوية الاشراق
 من ظلمة التعمية ألف نطاق
 فحياته ثقل على الاعناق
 ببيانه وبراءه السباق
 في الشرق آية ذلك الاخفاق
 أعددت شعبا طيب الاعراق
 بالري أورق أئما اوراق
 شملت مآثرهم مدى الآفاق
 بين الرجال يجلن في الاسواق
 يحنون رقبتهم ولا من واق
 عن واجبات نواعس الاحداق
 كشؤون رب السيف والمزاق
 في الحب والتضيق والارهاق
 خوف الضياع تصان في الاحقاق
 في الدور بين مخادع وطباق
 دولا ومن على الجمود بواق
 فالشر في التقييد والاطلاق
 في الموقنين لمن خير وثاق
 نور الهدى وعلي الحياء الباقي

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهيرة . صفحاته ٣٦٧ . قطع للنادر وحروفه . طبع بمطبعة المتحف بمصر سنة ١٩١٠ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لغاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمنى ولا تطالعهُ إلا بعد أن تطلق نفسك من أسر الافتراض لتلاطم عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلاك تلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم نتمكن من التوفر على مطالعته لنبدى رأينا فيه بحرية واخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجمليتها كما أنها لاتتشم معهما ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعيها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلمة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة دارون وهكسلي وآرائهما في أصل الأنواع وأدلتها على تحولها وارتقاها وتأييد مذهبها بآرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآلهية والأديان المتبعة لقبول أهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لإرادة القراء على الأمرين فطمع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشددتها في محاربة زعماء الدين بقوتي الدليل والا كراه لم تتمكن من نزغ الدين من النفوس على كونه دينا تسليما بحثا لا يسوغ للعقل ان ينكر منه شيئا وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي يفند كل منكر عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عُقْلها واشرع سبيل استقلال الفكر واوشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الأشياء بالعقل دون الهوى لا جرم أن ديننا هذا مكانه من أفئدة أهل لا يقوى على زلزاله منها شبهات مرجحها آراء ومرويات لرجال الدين ربما يكون الدين بريئاً منها

لواتيح للدكتور شمبل أن ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لا بآب اليوم وهو مسلم قلباً ولساناً وها هو اليوم على كونه لم يُعن بفهم فلسفة الاسلام بعض عنايت بحمل طامحات مذهب دارون زاه - وهو النصف المستقل الفكر - يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي بقبها البشر وإن محمداً أعظم رجل في التاريخ حتى أنني قلت له مرة : إذا أنت مسلم ؟ فقال : بل محمدي !! بل هذه كلمته في خاتمته الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

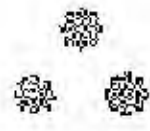
« خدمت الشريعة للقرآن فأنها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دينوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الأصول الكلية الناجمة عن جميع الشرائع بل اهتمت اهتماماً خاصاً بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات أيضاً وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى أن الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار وثمار وأنهار الى آخر ما هنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دنياهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلاسفة اليونانية في كلامهم حتى صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحلوله عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتى الى مالا علاقة له بالدين مطلقاً (٢) »

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضاً ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وإن كانت حكماً ومواعظ تعتبر اصولاً كلية إلا أنها في مجملها نظرت الى العالم الروحاني أكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فأنها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اهـ من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجهتم صاحب المنار الفضال متفقة الرد عليها مضطراً لتلك على مبلغ تفهيم القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر امثلة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته برهان منها لو أنهم يفقهون . اهـ من هامش الكتاب

الى غير ذلك من الأقوال التي تدل على ان الدكتور الفاضل إنما هو منكر للفواشي
التي علفت بالدين ساخط على تقاليد وخط كبر من أهله بين جوهره ونظرياتهم
ومن قرء الدكتور على هذا الرأي بل نحن إنما نكتب ونخطب سعيًا وراء هدم تلك
التقاليد التي تتبرأ منها ومن المصريين عليها

والكتاب مطبوع طبعًا متقنًا على ورق جيد ويطالب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر



✽ ارشاد الأريب . الى معرفة الأديب ✽

وهو القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفى في
القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجيولث الأستاذ بجامعة اكسفورد
صفحاته ٢١٥ بقطع المنار. طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

اهدى اليها الدكتور مرجيولث الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا
المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين واربعين واحدا من أعلام الأدب
اولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن
السادس وآخرهم الحسن بن ميهون المصري . وبعضهم تراجم مطولة تحتوي على
عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على اربعين
صفحة . ولاخرين منهم تراجم مختصرة جدا لا تبلغ الا اسطرًا قليلة كترجمة الحسن
بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ ان هذا
الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم ان هذا الكتاب من أحفل موسوعات
الأدب في تراجم مشهوري ادباء العرب

واحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحلة وربما يتعجب أدباء هذا
العصر اذ يسمعون هذا لأنهم يرون نجاتهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات
القيمة وتفهم الاختلافات السقيمة وان واحدهم ليحار حيرة الضيق اذ عرض له أن
يكتب كتابا الى أحد خطائنه أو رهطه أو اطاع مطعم على ما يكتبون لسخر منهم واستهزاء
بهم ولا أخذته الحيرة اذ يرى كثرة اللعن والتركيب السخيفة والخروج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي اقتوا أعمارهم في قهها وقههها ولكن لا عجب في ذلك
 فإن آفة النحاة في الماضي كانوا يبدون النحوادة أو مرقة تتوكل فهمهم بها إلى
 الوقوف على « استمرار البلاغة ودلائل الإعجاز » حتى تصير البلاغة ذوقهم فيتمكنون
 من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمنون على احتذاء الكلام البليغ في
 المكتوبات والخطب ولكن نحة هذا العصر حسبوا أن النحر غاية لا وسيلة على تعلمهم
 في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الأشياء من أوضاعها وحرفوا الكلم عن
 مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا أجلاء مكرمين وصانعتهم من
 اشرف الصناعات

وقد اعجبني طريقة المؤلف في التراجع فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطنه
 ونحبهه وما تفرده وما تهم الناس منه وما وقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر
 من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولطفا تشر في المنار المناظرة التي
 جرت بين بني بن يونس الثنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في
 تفصيل النحر على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى أن يكون في نشرها عظة بالغة
 لنحة عصرنا

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم
 البلدان ومعجم الشعراء وغير ذلك من الموسوعات التي تسجل عن تأليفها الجماعات وهو
 من الشعراء المجيدين ومن احسن ما يروى له قوله :

تنكر لي مذ شبت دهرى فأصبحت مطرقة عندي من النكرات
 إذا ذكرتها النفس حنت صباة وجادت شوون العين بالعبرات
 إلى أن أتى دهر يحسن ماضي ويوسني من ذكره حشرات
 فكيف ولما يبق من كأس مشرني سوى جرع في قعرها كدرات
 وكل إزاء صفوه في ابتدائه ويرسب في عقباه كل قدادة

والكتاب مطبوع طبعا نظيفا على أجود ورق . ومجلد تجليدا متقنا وكنا نتمنى أن
 يضع الناشر أرقاما لترجيح تدل على عددهم في كل جزء فإن ذلك من المحسنات

وان يعني بوضع فهارس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع مآلديه من الاجزاء واتنا نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فقد ختم بذلك لفتنا الشريفة أجل خدمة

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كسب قطعاً ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجملها ومسانيا مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يهجون التسيق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغر الكاتب تلك النعوت التي كانت تفتت بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسه وبترجمة له ملأت قسماً كبيراً من الكتاب III

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد وبضع مقالات فلم نعرف له منحنى خاصاً يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع للمصنعتين ليس من سراق الشعر فقط بل هو من سراق النثر أيضاً ومن قرأ مقاله « مدينة السعادة » ص ٣٨ « التي يدل بها ويغفر وكان قارئاً قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي انطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اقتصبها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التخيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب « وكذلك مقاله « غرفة الاحزان » ص ١٤٣ « قائماً ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لقولا افندي الحداد، ومقاله « ابن القضيبة » ص ١٥ « مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضاً ومقاله « الكأس الاولى » ص ٥ « اخذ موضوعها من قصيدة للشيخ نجيب الحداد عنوانها « في الجرعة الاولى البلاء » ص ٥٧ ج ١ « من القسم الشعري من كتاب مجالي الفرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى وبعضها معنى ونظماً كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقة نكلمة زوج صخر اخي الخنساء « اتي اصبحت لا حياً فأرجى ولا ميتاً فأنسى » (ص ٢٨) وسرقة لبيت البكري المعروف

أشعة في الرأس أم أول خيط الكفن

أخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص ١١٥)
 ولقد كنت نصحت للمخطوطي يوم كان شامرا أن يتجنب السرقة في شعره
 وذلك في مقالة نشرتها في (ص ٨٥٩ م ٣١) من المقتطف بعنوان « قد الشجر » بشأن
 نشر في المخطوطي قصيدة عنوانها « من القصر إلى القبر » (ص ٢٥) من مقدمة النظرات
 أغار بها على أربعة آيات من قصيدة المهري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده »
 وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لأنه لو عمل به لكان
 اليوم قديرا من النحوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار
 غيره وأساليب سواه

وأريد أن أنه هنا إلى أمر ربما خفي على أولئك المتدربين بلفظ المخطوطي
 وهو أن كتابة المخطوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة « الغد » (ص ١)
 وهي من أشهر مقالاته فانك تجد جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زهير
 واعلم ما في اليوم والأس مس قبله ولكتني عن علم ما في غد عني
 وأية فائدة يجني القاري من حكاية أقوال في الغد خلاصتها أنه أمر غيبي لا
 يعلم ما سيكون به إلا الله تعالى ؟ على أنه قد سرق أكبر معانيها من مقالة ليفكتور
 هوجو في نابليون الثاني راجع (ص ١٠) من كتاب بلاغة العرب ومقالة « المستقبل
 لله » (ص ٥٨) من منتخبات الشيخ نجيب الخداد « وإن مقالة « العلماء والجهلاء » (ص ٢٢٣)
 التي يفضل فيها خطط السوق الذي يسميه علما على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على
 أنه لا يعرف من العلم إلا تمحلات الأزهر الفظية التي عرفها قائلها ومن ذا الذي
 يستعمل الزعم بأن اختراع الطعرايف واكتشاف الكهرباء والراديو وغير ذلك مما
 لا محل لذكره هو دون ما يقع من الكلمات الصحيحة في هذين الدماء ولعلهم ؟
 وكذلك مقالة « يوم الحساب » : ص ١٠٦ « قاتها لا تخرج عن فحوى قصة من
 كتاب قصص الأنبياء وغيره من الأسرائيليات المدسوسة على الإسلام وأمنته من
 حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن وإن على قلوبهم حسنة
 فأنه مع أن الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا إنهم عن

وهم يومئذ المحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم ، ولكن المتفولمي يصادم هذا النص المصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين عموطلا في حياض المآثم اكثر ممن وصفه المتفولمي بقوله د لا يقي مأثما ولا يهاب منكرا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجامع الفسق الاعلى موعد اللقاء » (ص ١٥٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يهود على رب امرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضي لانظام لما جلت حكمته وتعالى عن وهم الراهبين علوا كبيرا . وما دلنا على أن آداب المتفولمي ليست على حال من الكمال يضبط عليها وأن عليه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولها لا آخرها انك أفستت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام قتله وليس هذا القول مما يلتم مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المتفولمي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام وكم من عائب قولاصحبا وآفة من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة د الشعر البارد : ص ١١ وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شفه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لا يستحسنه د الشعر البارد ، فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدة ويسمى « المختارات » ؟ واذا كان هذا شأن مختارات المتفولمي من ذاته الموضوع وسخيف المعنى فاذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه القارئ أن المتفولمي لا يقيم القلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذا كر كلمات وقعت عليها عيناى مرصاواة أقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميت : ص ٧ » اراد بها الميت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص ١٢ و ٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، ود البساطة : ص ٨٩ و ٩٠ و ٤٠١ » يريد الأغرار ، ود البساطة : ص ٣٩٩ » بمعنى الحرارة وهو استعمال غير صحيح ، و اراده كلمة « فخم : ص ٢٥ » ود ص ٢٥ مقدمة « والصواب فخم من دون ياء ، وتذكره للكأس » ص ٢٧ مقدمة « ود ص ٣٠٧ » والكأس لا يجوز تذكرها البتة ، و اراده مصغر

جاء يائيا د ص ٣١٥ ، وانما هو واوي ، واستعماله كلمة الرياسة أو الرئاسة مكسورة الراء
 تليها همزة د ص ١٥١٣ ، وهذا خطأ محض ، وجمعه لبأس على بوءاء د ص
 ٣٩٧ و ٨٧ ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بأنسون وبأسين ، وقوله
 « غفوت اغفائة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفائة وقوله « يخلق الطير
 ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع ، وقوله « جهل مشين : ص ١٥٣ »
 والصواب شأن لان الفعل ثلاثي لا رباعي ، وتذكيره للسن د ص ١٥٥ ، وإناهي
 مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من الخصص مانصه « والسن مؤنثة
 والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر ، وتأنيته للرأس د ص ٨٤ ، والرأس
 عجم على تذكيره (راجع تاج العروس : ج ٤ ص ١٥٦) وادخله «ال» على «كل»
 د ص ١٥٦ ، وقد قل في اللسان « انه لم يجي » عن العرب ، ولا يعني هذا اجلزة
 بعض المتوسمين لذلك

ومن قراءته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصح قوله « لتحت
 انه اليه الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جم البلاهة ، وقوله
 « وكما ان في اغنياء الجيوب قراء الرووس كذلك في قراء الجيوب اغنياء الرووس
 ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الأستاذ الامام
 الفصيحة المأثورة « لاتي في شغل شاغل من هؤلاء المروئين في عقولهم أولا وفي
 بيوتهم ثانيا » (ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الأستاذ الامام ، وقوله « كان كل ما في المسألة :
 ص ٧٨ » وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء ، وقوله « فما
 خلصت من بينهم : ص ٨٤ » وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا
 لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجى ولم يكن منجيا لسواه
 هذا ما رأينا ان نقبله من خطأ المتفوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب
 نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال
 دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا
 وقد تذكرت الآن كلمة لميز مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة
 حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الأستاذ الامام في حجرة

خاصة يناوذه في شؤون عامة فجاء واحد من رجال جاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو آيات التوبة فقال له الامير د اتنا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار « هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنطوي واشياؤه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آفاته نشر نفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لا يعرفها الا المترجم نفسه !! اصف الى هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد على اتنا نترك ما يمكن ان يكون فيه مجال لقال والتفيل والتسمل والتأويل ونرجع بالقارى الى مقالة المنطوي « طبقات الشعراء » التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة « مركب » من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه قلمه ما يأتي بنصه ونفسه:

« المنطوي : شعره كالقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يطلب بروائه اكثر مما يطلب يداؤه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه !!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٢٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سقى نفسه نابغة قومه الازهرين وهو لاء من مصاص الازهرين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب » (هو عيسى ابن ياح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لولته عنة بالنة

الإنسانية

« مجلة عليية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماء الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الفهن وحب العلم وقد اقتدب خلدية امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة باقطع الصغير وقية اشترا كما في البلاد الممانية

وبال ورجع كتب الله لها النجاح

(هذه النقرة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

السيد

« مجلة نختم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقى ماديا وأديا » منشأها السيد محمد علي هبة الدين الشيرستاني من أعلام علماء الحنف (العراق) ومشهورى كتاب العصر هناك وهي تصدر بثمانى وأربعين صفحة بالقلم الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والطبية والأدبية وقد أعجبنا من منشأ قوله في مقدمتها « ولدينا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المدح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشترا كما ريال وربع قترجو لها الانتشار

الطلبة

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة الشامية بيروت » وقد سررتا كثيرا بصدر هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتربى التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون نهضة وطنهم واعلاء شأن أمهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو وقيمة اشتراكها ريال وربع فسى ان نجي قارئوها ويكثر مشركوها

الذكري

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهدي نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكري) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من علية القوم ونحن نعرف التنير خيرا فاضلا مطالعا فترحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصالحة

حسين وصفي رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

في إحاطة الفتن في البلاد العثمانية

متابعة ودعاء

اللهم الطوف بيهذه الأمة وبدولتها واحفظها من قن المفسدين في الأرض، اللهم
اقطع عنها السقم، وكف عنها كيد اقلامهم، اللهم إني أعلم أن المخلصين قد بذلوا
جهد طاقتهم في التصح وإصلاح ذات الدين وسعوا الى ذلك من كل طريق يروونه
ثانها، اللهم إنا لا نملك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعائك فلا يغفلن
مكرم الذي، ما رجو من لطفك وعنايتك، اللهم انه لا ينجي عليك كيد الذين يفسدون في
الأرض وينبزون المصلحين بقب الافساد، ويقرون العداوة والبغضاء بين عبادك ويسبون
بصلهم الذي، من يصلون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلمة على الخير،
اللهم إني أعلم ان من هؤلاء من يفوق سهام كيد ومكره للأمة العربية التي شرقتها
وفضلها بنجتم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لمداية خلقك وخطبت ملقبها
الصالح بقولك الحق: كنتم خير أمة أخرجت للناس، ولكل من تبع ذلك الخلف
من الخيرية قدر اتباعه لهم، اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مينا فهم
يريدون ترجمته ليكون عروضة تحريف الحرفين، واختلاف المتقين، اللهم إني أعلم انه
لتجسمهم عليه، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه، اللهم إني
أعلمك المتين الذي امرتنا ان نعتصم به ولا تفرق عنه بقولك (١٠٣: ٣) واعتصموا
بجبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (١٠٥: ٣) ولا تكونوا
كاذبين تفرقوا واختلقوا من بعد ما جاءهم البينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

خاتم رسلك ماتت الي الآن ، وانها لا تتم الا بترجمة القرآن ، وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣) اليوم اتممت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يتم بالحجة والبرهان ، وان نبيك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسمان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين - ١٠ : ٩٩ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

التصد

بيننا في أول مقال كتبناه عن الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من عاقبة اختلاقم في الأجناس والأفان والآديان وجددنا في التأليف بينهم سعيًا جديدًا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفة من جميع العناصر العثمانية . ظهرنا بالتأليف الجهرى فخطبنا في كنيسة الارمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضريها من العثمانيين المختلفين في الآديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محمدر المقظم يومئذ ان هذه الخطبة وحدها تضاهي عملك في التأليف والوفاق مدة عشر سنين . ثم سحنا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيراً ورأينا لصلا وعمل غيرنا تأثيرا حسنا أعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقم الحسنة

بيننا نحن نرى الولايات السورية أهذا الولايات العثمانية وأشد ما اختلطا بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كالبحرين والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والفارات فصارت أشد خضوعا للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالمعاصرة نفسها مكرومة بديوان الحرب العربي والدماء تفيض ولايات الارمنوط ، ومقدونية تتخض بما تتخض به ، - بينا نحن على ذلك واذا بفراب ينب من أول هذه السنة الهجرية بصوت عربي غربي غريب يخشى شره ولا يرجي خيره

صاح الفرور يفر العرب ويفريهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكمون (المار ج ٥) (٤٩) (المجاد الثالث عشر)

والترك هم الخادمون ، ويطلق الأمة العربية بالشعريات التي تحفز النفوس الى طلب
مالا يطلب ونيل مالا ينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك
هم الخادمين الا ان الكاتب يفهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم
أن يطلبوا هذا الواجب ، لأن الأمر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التبرير
لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله منهم عندما يقضه إياهم بل كان له دافع آخر
من قوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخوتهم في الدين وحكامهم الذين رجعوا باعلان
الدستور الى هدي الاسلام بمشاركتهم إياهم في الحكم فلا خدام في العاصر ولا
مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين
تهافت قول هذا الناقض وتناقض فهو تارة يطلق العرب ويغلو في مدحهم ،
وطورا يعرض او يصرح باللعن في جميع الظاهرين منهم كأمر مكة المكرمة والمبعوثين
وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكتاب الخادمين للدولة من طريق خدمة
العرب اذ يكتبون بالعربية — وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناسر دعوته ومبقي
أوقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستقنوا عن القرآن
لنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قلم بالاكراه كما أشرنا الى ذلك في
في المناجاة التمهيدية وهذا أشد معلن يسدده الاوربيون الى قلب الاسلام ، ويذكر
سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بلقب رجل يهودي
وبعد هذا كله يخص بطنه الصريح من قضي زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه
هناك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة
الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يترى فيها الوعاظ والمرشدون
ليقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة
عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبه الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما
ينمي ثروة الأمة ويعزز الدولة . فقد حدثني الثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح
المشروع قبل ان يقرر عاد الى التفسير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفر كل من
يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه
والاقتناع من فكره : يقول للملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستان

يجعل للدين قوة معنوية «جزوية» تقضي على حريقتكم وتذهب بجميع مقاصدكم !!!
ويقول المتعصبين مثل الجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية وتحييها فتزاحم
التركية في عرشها الاعلى !!! ويقول للتدوين الجامدين ان هذه المدرسة
تحيي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام
الاعظم !! وينفر بعضهم عنها بالظن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لا يدري
انا نطالب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والطباء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه
ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة ، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق
الكذب ويكون الظن في شخص الذي به الى هذا العمل النافع صحيحا ؟

إذا كان خذلان منسدي المسلمين لمصلحتهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبعد
بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتكثيف ؟ ما ذكر مشروع (العلم
والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم مستمسك
بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته وقوته وبأنه لا يحل محله سواه
في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال انا نحب ان يتعلم الاسلام على وجهه
فلن المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقى الذي يهدم عنه المتعصبون باسم
الدين ، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين ، وأما سائر الوساوس فظاهرة البطلان
بلتي خبر هذه السعاية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فأتحة كلام

نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

« أسف يصير الجسم وحسرة تذيب الالكاد على قيل من أمة ، أو شخص
منها ذي حمة ، يستخير الله في عمل ينقذ أمة من ضعة ، أو يعود عليها بنفحة ، ثم
يعرض له في أثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليقا عين الطامل ويعرقل عليه عمله ، الخ
وتلا هذه الذكرى في خاطري ما كنت سمته من الاستاذ الامام محرو تلك
الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى : واقهاتي ماتت بت بخدمة
للإسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين ، ما قاومني في شيء من ذلك
انكليزي ولا قبطي ولا سوري مسيحي وإنا نحب مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم
في خدمة الاسلام والمسلمين !!

نورد من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إيقاظ الفتن في البلاد الشامية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتب بتخريب العرب وإغرائهم بأخونهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم ففتح روح المصيبة الدينية في القريتين فخرج كل واحد في دينه جرحاً دامياً ، وأغرى كلا منهما بالأخوة ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بإيهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه يتهكم بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين وبأنكاره ان يكون النصراني عرياضاً على ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القاري في فتاوى هذا الجزء سوراً من حديث « ان الله سبغ هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحتفظه ويؤيده . وما رأيت ولا رأي الرايون استغف من اختراع هذه الطة للتفريق أي جعل العربية والنصرانية ضدتين لا يجتمعان ، وناهيك بسخافة يتقضاها البيان ، اطلعنا على ما كتبه في ذلك موقف الفتن فبادرنا الى مقابلة الضد بصدده ومقاومة الشر بالخير ، والتدفع بالحق على الباطل ، فكتبنا مقالة في تذكرة أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوثاق ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيرامها القراء في المجلد السادس ، ونرجو ان تكون دافعة لباطل موقف الفتن ، لا حاجة دافعة لشبه التي اخترعها خياله ، ونأهضه في بيان ان مسلمي العرب يتبرءون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخوتهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعة الشامية كما يتبرأ الخير من الشر ، والتفع من الضر ، وان موقف الفتنة لم يترجم عن ضائهم ولا قال ما قال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يهزنا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له ما يريد بأسه واسم نفسه ، وهو لم يقل ما قال ايضاً باسم الاسلام وقد علموا انه جني على الاسلام أكثر مما جني على النصرانية ، وينبغي ان يبرءوا الحكومة الدستورية من الاقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا الفساد على عمله فان صح ما يقال من مساعدتها إياه فلا بد ان تكون المساعدة لزعمه انه يفسد اصلاح ودعواه ، د واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

لا ينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفاتنين كمن ذكرنا لفست الارض وهلك الناس ، ومن لم يظلم عليه ولا وصلت اليه وسوسته فخير له ان لا يعرفه ، على انه اذا ظل سادرا في إفساده ، سادلا اذبال غروره وعناده ، فسنتقل الكلام من حينه الى ايهام ونائي بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل ما يكتبه وما يقوله ، وامل ديوان الحرب العرفي يكفينا ذلك بمنه من أمثال هذه الفتن قبل ان يظهر اثرها الردي . فان الرجل وإن كان متها بسوء النية عند جميع العرب يخشى ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وثقها الله لكل اصلاح ، وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسيا

﴿ سياسة الحكومة ﴾^(١)

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجد حاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ماقلاتوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعيرون اسماعهم لنداء الامة ولا سببا للمسلمين ولكني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضاهم بحالة الفوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولا سيما اطفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدة واحدة ولكني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقعون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسيا وان مسالتهم وضعفهم وحلمهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأكبر (هرج ومرج في المجلس)

(١) خطبة لصدر الدين الهندي مقصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجان الترية التي تصدر بياغيج سراي ونحن ننشرها مترجمة بالمرجة

الرئيس : ارجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان معصية المسلمين بالمشرىين هي أعظم ما ينقص حياتهم وقد
تولى الدهشة رقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستاوّن من بضع
مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغبونكم بالقوة على قبول دعوتهم واتصال
دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضجرتنا ولا
تذمرتنا ولكننا تضجر وتأنف لا لدعوة بضع مئتين من الرهبان والقسوس ولكن
لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل
يبتغون من وراء ذلك صبغنا بالجنسية الروسية . فنحن لا نشك من وعظهم وارشادهم
ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لما لتنفذ اغراضها منا . لا يخفى عليكم جميعا
ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة
« بريدانوسجف » وكما كان هذا واعظا كان ايلينسكي مبشرا . فصلا بأفكار
هؤلاء أقفلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم املنا عقب اعلان المساواة الدينية
والمدنية في القرار العالي بأن تنجو من وطأة الرهبان واغرائهم الحكومة بنا ولكن
خاب منا هذا الامل لان الحكومة لا تزال تصفي وتعمل بما يملئ عليها الرهبان . وما
نريد أن تعلمه من أحوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . وما يجدر بالتأمل في
مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » فأنظر مدرسة الرهبان العليا
في قزان الى نظارة انتارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره
ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما وما يستدعي النظر
انه قد ألفت جمعية غايتها الوقوف على حركة المسلمين والحيولة بينهم وبين آمالهم الملية .
واليكم فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسيا منهمجون سبيل
الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقبلون على التعليم
وبالاختصار فهم دائبون وراء استنارة افكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد
الاسلامي » ولا أصل على ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة
الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقى لاعلاقة له بذلك كالا يخفى
ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد ومفك الدماء وبزعم ان

النابة الحديثة نستعس هذا الأمر فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته
تقتضيان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقى والمدنية والتأريخ شاهد على ما قامت
به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يتخيه المسلمون ليس الا اتحاد الاسلامي وانما
الترقى والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية فان كان هذا مما لا يرضى عنه الراهب
فذاك امر آخر .

ثم اذا كان المسلمون ينشئون الجمعيات الخيرية فأبي دخل هذا بالجامعة الاسلامية؟
ان كل من يظن ان لهذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقرقا على احوالنا
فيه مخطئ . لانه يجمل لنتا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية .
ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي اخذة في وضع
خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفريق الدين عن القومية فهي لا تهاجم دينهم
الاسلامي بل هيتهم القومية . ايها السادة : ان الدين والقومية واحد في المسلمين
ولا يمكن تفريق احدهما عن الآخر ولم يترقا منذ عصور وفي موقفي هذا قد اعلنا
واعلن وقلنا مرارا وتكرارا ان مسلمي روسيا انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا
روسين مسلمين فهم امة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا ازال اعيده
حتى يلجم لساني ويكم في ا

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لا نخرج بها عن دائرة الاخلاص لتابيتنا فنحافظ
على لنتا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح
للحكومة بان كل ما يضمنونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير
سيكون عتيا . لانا نعد المعارضة لقوميتنا تصد لديننا وعلى ذلك فلا الحكومة
ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر ان تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما
وتخمد الثاني . فنحن سنعيش أولا كسليين وثانيا كشعب بقومات خاصة في روسيا
واني واثق اننا سنقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا
بنفس الروح التي اظهرناها في مقاومة «ايوان غروزي» الذي حاول تصغيرنا
بالسيف . ايها السادة : اني اختم كلامي بان اعلان باننا نحن مسلمي روسيا سنعيش
كشعب حر في روسيا الحرة . (تصديق في الجناح الايسر)

تعصب أوروبا الديني

(الزام النساء والمجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في أحكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص ٤٣٨ و ٤٩٩ و ٨٥٦) وفي غيره نثا ومقالات بيننا فيها ان العالم في التعصب الديني متبعه أوروبا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء . من ذلك ما رأيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة الثمانية هنا (الآستانة) وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجباً رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لا يتفق مع مدينتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيع تعدد الزوجات فيجب الزام المسلمين واكرامهم على اتباع ما تم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بمجمل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى ما كانهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيها بما يتعلق بالامور الشخصية !! ولا يبعد ان يمنعهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضا للعرض وهم لشدة حبهم للمسلمين يحولون بينهم وبين ما يؤمنونهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية الثالث الذي هو منتهى الحظ من هذه المدنية !! ومن الصلاة لان فيها اجتماعا على غير ما تعصب الدولة العادة !!

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها فرنسا الحكومة الثمانية أو حكومة مرا كش أو الافغان قامت قيامة أوروبا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التابعين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتعريض على ابادتهم من الأرض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونيين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تضيق الحال بما بنجح الاعمال وينغم في الحاضر والمآل وجد ان كادت تخذلهم السياسة نصرهم الاتحاد فاحسبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسع لها هذا الجهد

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيسر مقالة فيها تفويجني عن تصريح بما توجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فحسب ان تسليق الدولة وتصيخ الى هذا الصوت لا الى صوت ذلك المرسوم المرفق ولعلنا نقل المقالة في المار السادس ونثني عليها بما ين لنا من النصيحة

الفصل الحادي والعشرون (*)

(الدليل القلي)

اقتداء الناس بهنهم بهنض أمر قد ألفته طباعهم عظيم الالفة. وربما كان من سنخ غرائزهم ، ومن مادة تصورهم ، اذ رأوا عريقا في مرافقة الاجيال ، والتنقل في الاسال ، ومو غلا في الرسوخ والاستقرار ، والدوام والاستمرار ، لا يزحزحهم شيء عنه ، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل هذا الاقتداء تقع البشر كثيرا ، واضر بهم كثيرا ، فاما نفعه اياهم فلا ن الا كبر سنا ، والا كثر فهما ، والاشد قوة ، والا غر تجربة ، يحملون المقتدين بهم يتدثون حيث انتهوا هم ، ويمهدون لهم ما لا يستطيعون أن يمهّدوا لانفسهم ، ولو بقي الطفل والنبي والضعيف والفرخا لين من طبيعة الاقتداء لراحت اكثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال العظيمة سدى ، ولولا الاقتداء لما تعددت الاعمال والصناعات ، ولا كثر البدائع ، ولا ارتقى التمدن ، ولا نمي العمران ، ولا سجا النظام . وأما اضراره بهم فلانه ساق أعيانا الى الاقتداء بالجاهلين والمفسدين ، ووقف أحيانا بأقوام مع ماسن لهم اسلافهم وقفة الصغور ، وجعلهم يحرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ما عرفوا من قبل ، وان اصبحت ما عرفوه منكرا لدى أهل زمانهم أجمعين

البحث عن نفعه واضراره ، ووضع الموازين للدرجات فيه ، لا قرابة

(*) تابع لما نشر في (ص ٢٣٩ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

بينه وبين موضوعنا ، ولكن اتخذا الناس بعض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن تقدم هذه الكلمات في وصف عراقة وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة » . . .

كان للسيدة « خديجة » ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن مريم (عليه السلام) ديناً وهو « ورقة بن نوفل » هذا الشيخ الجليل كان جديراً أن يكون اماماً لخديجة فتخذه حجة وهدية معتصماً لان هناك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصح لها . فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام أبيها ، فلو أن ورقة فشاخ مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدساً الذي كان اكبرهمه حت الناس على التعاب ووقع بعضهم لبعض ، ونهتهم عن التشاحن وايداء بعضهم لبعض . وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تركت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي الهمة جداً ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وتوقع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بعلها ليقص هو نفسه على سمعه مارأى

كان ورقة بحسب ماقرأ وعرف مصداقاً بأن ليس هذا الهيكل البشري الامظهر اشيء . يحل فيه هذه المدة القصيرة بأذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد ارواح من شأنها الاجتئان عن الحس والعيان تتمكن من الانسان من حيث لا يشعر ، صنف منها يحب جذبه الى سبل التكمل ، وصنف منها يحب بقاءه في

مخضض البهيمية ، يقال في العربية للاول ملائكة والثاني شياطين
كان مصداق بكل هذا ومؤمننا أيضا بأن بعض الارواح الذين هم
الملائكة يختصم الفاطر المصورين بدخائنهم ويخطبهم نواميس أي وسطاء
الوحي الأعلى للذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جدا
كان قد قرأ الانبياء وعرف عجيب الارواح اليهم وعرف أنه يقوم
أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن هؤلاء هؤلاء علامات. فمنعنا
ذهاب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر يالنا أنه لا يكون سهلا تصديقه
بقدسية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لان يوحنا الرسولي
يقول في رسالته الاولى «أيها الاحياء لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا
الارواح هل هي من الله لان انبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم.
بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في
الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد
فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقوه صعب قد رأينا أمراً
واقفاً فان ورقة بعد أن سأل بعل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو
ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم
يصدق هذا التصديق الا بعد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي
وظهرت له الدلالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما تعلم من الكتب
نحن لا ندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة
الامتحان التي أشار بها ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد
بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجمل هذا التفسير . وكذلك لا ندعي العلم
بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من

اخرتك، ولا تفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعيا» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعيا أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلم ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية. وهذا نص مافي اشعيا :

« ١ هوذا عبيد الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لا يصبح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرصوفة لا يقصف ، وقبة خامدة لا يطفى ، الى الامان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض وتابعها ، معطي الشعب عليها نسمة ، والساكين فيها روحا ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك ، فأحفظك وأجملك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي ، لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها ، قبل ان تنبت أعظمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة ، تسبيحة من أقصى الارض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ، وترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليبتغوا ١٢ ليعطوا الرب مجداً ومخبروا بتسبيحه في الجزائر »

قد قلت وأعيد قولي اني لا أدعي العلم بتفسير هذه الكتب وانكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو موسى بحيث عن منشأ

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آتيا من قول موسى واشعيا ما يشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لا يفهم من قول موسى واشعيا ما فهمت لا يجديني أسفاً على عدم إصابة ظني بخصوص ما حمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فإنه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بغير ما ظننته . ولست في هذا المقام بذي حجاج ومناظرة أن أناهنا إلا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حوادثها وتفسيرها على قدر فهمي ومبالغ ما وصلت اليه من القول وههنا مسألة جليلة لا نستطيع مفارقة هذا المقام من غير أن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي أن الأرواح قد تعلم بعض الأشياء قبل وقوعها إذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثير من الأمم الأخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الإلهي ينزل عليهم فينبشهم بما سيكون . وتبتدي هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبأ فأنبأ بأنه سيكون طوفان ويوت كل من على وجه الأرض ويهدى إلى صنع الفلك فصار الطوفان ونجاهو وأولاده ونساؤهم وتنازلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى الله من هذه الأنسال ابراهيم^(*) وكان ينزل عليه روحاً من عنده ، وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلت منه أخيراً هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكون نسلك فلا بعد من الكثرة فولدت له اسماعيل ثم أنبأ أن زوجته سارة ستعبل وتلد بعد هذه الشيخوخة

(*) ابراهيم بن تارح بن آحور بن مروج بن دعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

وطول هذا المقم فولدت له اسحاق واني ان نسل اسحاق سيكون كثيرا
ايضا . وغضبت سارة على هاجر فطردتها وعلامها قتل على هاجر الروح
وقال لها لا تخافي لان الله قد سمع صوت النلام وسيجعله أمة عظيمة وكان
الله مع النلام فكبر وسكن في البرية بركة فاران التي قال عنها موسى ان
الله سبحانه تالاً فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسر أخبار من تناسل من
اسحاق بن ابراهيم وأما أخبار من تناسل من أخيه اسمايل فلا تذكرها
فان اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن
يعقوب كان الروح مجي اليه

ويوسف هو سبب مجي بيت يعقوب الى مصر وهناك تناسلوا وكثروا حتى
ولد فيهم موسى صاحب الشريعة الشهيرة . هذا أيضا كان نبياً وينزل عليه
الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم »
واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد
موته نليذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يخل
بهم ثم اتشلهم داود وسليمان وتماظم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه
بعده الطوارئ حتى زال . ولم يخل زمان من أزمته ملوكهم وبعدها من
بي أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بأنه
يكون لها ولد من غير أن يمساها بشر . وقد ولدت مريم عيسى على هذه
الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقوه الا
قليل . وقد كذبوا من قبله أكثر الانبياء الذين كانوا ينذرونهم بزوال الملك
اذا ظفروا على الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بثلاثها ،
أو يصدقون بأشياء هم مكذبون بثلاثها . هذا أمر وقع كثيرا ويقع دائما أمام
أعيننا وأسماعنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الأشخاص وما هو
الميزان في الأشخاص ؟ أم بحسب وزن العقل وما هو سبيل العقل في التصديق
والتكذيب بثلث هذا ؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبسجائب صنع الله ، وثقت
بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بعجي ناموس الله أبده موسى لا ينبغي
له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بعل ، ولا
يجدر به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن
آمن بسجائب موسى وعيسى ابني اسحاق ونزول روح الله عليهما لا ينبغي
له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسمايل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من المعجائب والغرائب الموسوية
واليسوية وأما الذين لا يصدقون بهذي وثقت ولا يحكمون الا الحس
والعقل فهو لا أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أنا لا نعدم في
خزائنها كثيرا مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها
فإن قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس
هذا سبب اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل
فلاضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسماؤها

وان قالوا لي ما الفرق بين هؤلاء الذين قد زاموا في أزمئتنا هذه من
هذا القليل وبين من تحدثوا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لأن
الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسانا معرفة بعض الوقائع الآتية

وبجمله شارحا وقائداً أمم ومؤيداً بتأييد عظيم لا تحيط به العبارة ويعطي
انساناً آخر مثالا صغيراً من هذه المعرفة من غير أن يجمله شارحاً وقائداً
أمم ومؤيداً بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول ويظهر الله صدقه
فيما يقول والثاني لا يستطيع أن يقول هذا وإن قاله لا يظهر قوله حقاً فهل
ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لا يعدوها الا خلاص الى الله والادب
مع مجالي أمره ، ومظاهر سره ٢١

لقد كان ورقة على ما ظهر لنا شديد الاخلاص متوغلاً في علم الروح
ومعرفة النواميس الالهية وأخبارها ، وكان على نور فراصة من ربه وسرعة
استطلاع فلما سمع هذا النبأ الجديد تهرس بصاحبه وتذكر ما نقل عن
الانبياء واصحاب النواميس من قبل ، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق
« سيقم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم إلا بنو اسماعيل فقال له
هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ابداء الناس للانبياء مع قول اشعيا « لترفع البرية صوته ،
الديار التي سكنها قيثار » وقيثار هو ابن اسمعيل ، وقوله « لترفع سكان
سالم » وسالم او سلم جبل على مقربة من « يثرب » من أشهر جبال العربية
فلاح له أن قريشا ستضطر هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له
« ليتني فيها جذعا - اي شابا - اذ يخرجك قومك »

ويعد برهة قليلة توفي ورقة . أما « خديجة » فاستمسكت بكلام هذا
الرجل أيما استمسك وأضافت علومه الى ما قد عرفته هي بدلالة عقلها
ومجربتها فأصبح ايمانها بنبوة بطلها ورسائله الى الناس اثبت من الرواسي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الملك

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و منارا كناد الطريق

مصر الخمس ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٢٨ - ٧ يوليو (تموز) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م

فَتْحُ الْمُبْتَلَى

فتحت هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشر ط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرسل إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإنا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منأخر لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا فيه مشترك لثقل هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا طر جميع لأفضاله

﴿ رسالة التوحيد للاستاذ الامام صالح التونسي ﴾

(س ٢٩) من أحد طلاب العلم بدمشق الشام

سيدي الاستاذ الامام العلامة فيلسوف العصر ونادرة الدهر ناصر السنة وقامع البدعة من ذكرنا بمناره امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبره واحسانه نطلب من فضيلكم كما هو دعوتنا نشر الحقائق وإبارة الحق والصدق به بالحكمة والموعظة الحسنة ان تشرحوا لنا معنى كلام حكيم الشرق المنفوره الاستاذ الامام : هذا النوع من العلم علم تهريب القائد و بيان ما جاء في النبوات عند الامم قبل الاسلام فني كل أمة كان القائلون بأمر الدين - الى قوله - وتأخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل ، الخ

حيث ان جاسوس ابنى الهدى وصاحب الفتنة السورية الرضائية بدأ بقراءة هذه الرسالة وتبع ما تشابه منها ابتداء للفتنة ولأجل ان يطمئن في الاستاذ الامام وصار يحرف الكلم عن مواضعه فأخذ الآن يتبعج ويتكلم عليه ويحرف كلامه على غير مراده ذلك أنه أول القائلين بأمر الدين بأنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلاً على ذلك بقول الامام : وتأخى العقل والدين لأول مرة الخ فقال قوله لأول مرة دليل على ان الانبياء السابقين جاءوا بدين غير مؤنخ للعقل وهذا يناقض اعتقاد الاسلام الخ

مع انه على ما يظهر من قول الاستاذ الامام القائمون هم رؤساء الاديان الذين
حرفوا وابتدعوا

ولما بلغ صاحب المقتبس محمد افندي كرد علي هذه الترهات اخذه الغضب لله
عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فدكر في مقتبسه اليومي (عدد ١٣٧٤) : ان شيخنا
من مشايخ الجود فعل كذا وكذا ليحذر الناس عامة والاشقيين خاصة من ضلاله
واضلاله وفساده وافسادة . . . ثم سيدي نطرون انه كما ان للحق انصارا كذلك
للباطل انصار ولكن المآبة للحق كما قال عز وجل « بل قذف بالحق على الباطل
فيدمنه » وقال عز وجل « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » . . . والآن
جئنا راجين كشف مراد الامام رضي الله عنه لينجلي الحق لطالبه وادام المولى النفع بكم
(ج) انتقد قبل الجواب ما جاء في السؤال من الطعن في شخص الشيخ
صالح بما لا حاجة اليه في ايضاح السؤال ولا سيما ما حذفه من ذلك الطعن وان كنت
جريت في السنين الاخيرة على نشر الاسئلة بنصها ثم أقول

ان مراد الاستاذ من القائمين بأمر الدين رؤساء الاديان كما فهمتم وصرح بذلك
رحمه الله تعالى في الجامع الازهر عند ما كان يقرأ الرسالة درساً بحضوره الجلم الغفير
من المجاورين والطاء والمدربين الذين لا يبلغ الشيخ صالح مد احدثهم ولا نصيفه
والسياق يأني حمل الكلام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه بحث في تأريخ
علم الكلام الذي يسمى عند النصارى بعلم اللاهوت وهو علم استحدث بعد الانبياء
عندنا وعند أهل الكتاب . ناهيك بما قال علماء السلف في دم هذا العلم عند ما ظهر
في أمتنا . وقد ذكر مؤلف الرسالة في درسها بالازهر بعض مذاهب أهل الكتاب
في المسائل الكلامية المرووفة عندنا ومذاهبهم فيما لا نظير له عندنا كطبيعة المسيح
(ع م) ومشيته . كل ذلك في شرح هذه العبارة التي حرفها هذا الرجل بسوء
النية والتفكر بين السخط وحملها ما لا يحصل . ومن دلائل سوء نيته . . . اذا صرح ماروي
لي عنه . . . انه ضلل مؤلف الرسالة لانه بدأها بسورة الفاتحة دون ما اعتاده اكثر
المؤلفين من الخدلة والتصلة . وهذه العادة وان كانت حسنة ليست واجبة ولا سنة
فهيوة متبعة ، وحديث « كل امر ذي بال » على ما في روايته من الخلل ، يتحقق

العمل به باقول ولا يتوقف على الكتابة ولذلك رأينا كثيرا من اساطين العلماء لم يذكرنا في أول كتبهم حمدية ولا تصلية بل بدءوا بعد البسملة بالمقصود كختصر الامام المزني لمذهب الشافعي بل رأينا كتاب الامام للامام الشافعي لم تذكر التصليّة في أوله استقلالاً ، فاحسرة على الشبان الاذكياء الذين يتناولون بعلومهم يشغلون أذهانهم بمثل هذا الجمل ، ويوهمونهم انه من دقائق العلم ، ويربونهم على استنباط ما بقي الشقاق والفتن بين المسلمين ، ويفشونهم بأن هذا هو النصر للدين ، ألا يخاطر بآل أولئك الطلاب أن رسالة التوحيد طبعت منذ ثلاث عشرة سنة وقرئت درسا في الأزهر على أكثر من ألف أزهري من الطلاب والعلماء واعيد طبعا مرتين وانتشرت في جميع أقطار الأرض ودقق النظر فيها كثير من العلماء الذين كانوا يحسدون مؤلفها ويتمنون لو يجدون له عثرة ينتقدونها وكثير من العلماء المحيين له الذين يحرصون على تذكره اذا نسي وتنبهه الى خطئه اذا أخطأ وأنه لم يسمع من أحد من أولئك ولا هؤلاء انتقاد على شيء منها الا ما ذكرناه في السنة الاولى للنار من انتقاد الشنيطي واشرنا اليه في مقدمتنا للطبعة الثانية فلورأوا فيها غير ما ذكر شيئا متقدما لا سكتوا عنه مع توفر الدواعي لذكره فان ما كان يؤثر عن هذا الرجل لم يكن كالذي يؤثر عن غيره من حيث الصيانة به وعدمها

لا أقول إن إجازة الجماهير من العلماء شيء هي دليل على كونه صوابا في نفسه وإنما أقول انها بالقياس الذي ذكرناه دليل على كون ذلك الشيء موافقا لاعتقادهم فإذا أمكن لأحد أن يباري فيه فلا يكون مرآؤه ظاهرا مقبولا عند المستقلين المنصفين . فليتأمل أولئك الطلاب هذا وليعلموا أنه لا يوجد كلام قط لا يمكن حمله على غير المراد منه حملا يقبله الكثير من الناس المشتغلين بالعلم وليطالعوا كتاب حجاج القرآن ويتأملوا كيف استدلل جميع أصحاب المذاهب المبتدعة في الاسلام بآياته التي هي في متهى البلاغة في البيان على تلك المذاهب المتناقضة بفضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، هذا وان الاستاذ الامام منزعا عاليا في تأخي الدين والعقل في الاسلام لا يدرك مثل الشيخ صالح مرماه فيه وقد بينه رحمه الله في سياق حكمة كون الاسلام آخر الأديان وكون فيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا يفهمه مثل الشيخ

صالح لان فيه يتوقف على المعرفة او الالمام بتاريخ الأمم والاديان وعلم الاجتماع
البشري وسنن الله تعالى في الترقى وحكمته في نسخ الشريعة المتقدمة بخير منها وبما
عند الله أهل الكتاب من كتب الانبياء عليهم السلام وبمسألة تحريفها هل هو
لفظي أم معنوي فقط كما يقول أئمة الحديث كالبخاري . على انه لو قرأها بحسن النية
والاخلاص لاستفاد منها في دينه ما لا يستفيده من كتاب آخر من كتب العقائد المعروفة
ولكنه ينوي بقرائنها تلوس عبارة يمكن حملها بالتحريف والتأويل على غير ما
وضعت له ولكل امرئ ما نوى . لا اعجب لتصديده للانكار على رسالة التوحيد
دون الكتب الكثيرة الموثقة في الطعن في الاسلام نفسه والكتب التي نشرها بعض
الجاهلين من المسلمين وهي محشوة بما يتبرأ منه الاسلام ومنها ما هو منسوب لطائفته
الرفاعية التي فيها ان الشيخ احمد الرقاعي وصل الى درجة صارت السموات السبع
في رجليه كالخلخال وان الله تعالى وعده ان لا تحرق النار جسدا بمسه هو او أحد
خلفائه الى يوم القيامة !! لا أعجب له بعد ان ترك دروسه في الشام وجاء
الاستانة ليسعي في ابطال ما قام به بعض العلماء والفضلاء هنا من تأسيس جمعية
اسلامية لأجل إنشاء مدرسة إسلامية عربية عالية لتربية العلماء والمرشدين الجامعين
بين القوى وعلم الدنيا والدين والاستعانة بهم على تعمير التعليم الاسلامي وهي أول
جمعية اسست في الاسلام للقيام بهذه الفريضة او الفرائض الكثيرة

شبهته في مقاومة هذا العمل الاسلامي العظيم على ما بلغتني عنه أن الداعي اليه
وهابي بنحشي ان يثبت في المدرسة مذهب الوهاية !! ولماذا لم يسع في ابطال جميع
مدارس الحكومة التي تقرأ فيها العلوم الطبيعية التي يرى هو كفر جميع الذين يقرأونها
وانا على كوتنا لا نرى رآيه هذا نعلم أن الكثيرين يخرجون من هذه المدارس بغير
دين لأن الدين لا يعلم فيها على وجه الصحيح المعقول ومنها ما لا دين فيها ألبتة ،
ولماذا لم يسع في ابطال مدارس الجمعيات النصرانية التي تعلم اولاد المسلمين مع العلوم
الطبيعية دين النصراني وتجبرهم على حضور عبادتهم في الكنائس !! ألم يجد خدمة
يخدم بها الاسلام الا السعي في مقاومة جمعية إسلامية غرضها إغناء المسلمين عن
مدارس غيرهم ودفع هذه الشبهات الهاجة عليهم من تعليم العلوم والفنون الدنيوية

... لا ترى الدولة ولا الامة لها غنى عنها ؟ ؟ ؟ ؟ أما شبهته تلك فدفوعة من وجهين
(١) ان الداعي الى هذا العمل لخدمة الدين والدولة والامة ليس وهابيا لانه
ليس مقلدا في عقيدته بل هو ناصب نفسه للدفاع بالبرهان عن عقائد الاسلام
المتبعة في كتابه وسفحه وسيرة ملفه الصالح وقيل انتقاد كل متقدم ومناظرة كل مناظر
فلماذا لم يكتب اليه بيان ما يزعم انه اخطأ فيه ؟

(٢) لو فرضنا انه وهابي فاذا اتضرر هابيته هذا العمل الذي يقوم به جمهور من العلماء ويكون
تحت مراقبة جمعية علمية موثقة من جميع علماء الارض . إن الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر قد
كان سبب تأليفها شعور روسي فهل قص ذلك من قدرها أو حال دون انتفاع المسلمين بها ؟
يا حسرة على مسلمي هذا الزمان أصبح بأسهم بينهم شديدا وضعفوا امام
جميع الامم فهم يخربون بيوتهم بأيديهم ولا يقاومون الا من يسعى لخيرهم ورفعة
شأنهم وحفظ دينهم ودنياهم ، ولا يقنطوا هذا من رحمة ربنا والسعي فيما أوجه علينا
فإنه لا يصلح عمل المفسدين ، ولنصرن الله من ينصره ان الله تقوي عزيز

اتفاق ربيع الوقف على العلم

(م ٣٠) من صاحب الامضاء الرمزي في (فتلان)

سيدي الاستاذ الجليل

يوجد في أحد بلداتنا مسجد له أوقاف فعل غلة وافرة تزيد عما يلزم له لتعمر
امام وخطيب ومؤذن وقد اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف ليرة انكليزية .
وقد اختلف في إنفاقها فقال بعضهم يصير وينفق منها على ما في ذلك البلد من
المساجد الأقرب فالأقرب الى المسجد الفني وقال آخرون بل يفتح بها مدرسة
لتعليم العلوم الشرعية بجوار المسجد الفني لأن عمارة المساجد بالعبادة لا بالتزويق .
وقال غيرهم بل يؤخذ بها كتب نافعة للقراءة والمطالعة وتعمل مكتبة بجوار
المسجد . فلماذا يرى حضرة الاستاذ في هذه المسألة لتقطع جبهة قول كل خطيب ؟
ودسم تأفين .

ع . م

(ج) ان الافاء في مسألة هذا الوقف يتوقف على معرفة شرط الواقف إن

كانت مروة فان لم يكن هناك شروط تتبين بها جهة ما زاد عن مصالح المسجد أو كان الشرط ان يصرف الزائد في الخير مطلقا فأفضل الخير وأفعه العلم وهل تنفع المساجد وتصح الصلاة الا بالعلم ؟ فالرأي إذا ان تبنى بجوار المسجد مدرسة يعلم بها المسلمون أحكام الدين وآدابه وتأريخه وما يتوقف ذلك عليه من علوم اللغة العربية وآدابها وكذا ما يصيبهم كالحساب ومسك الدفاتر وعلم التجارة والزراعة وغير ذلك من العلوم والفنون النافعة ان ييسره على أن بعض العلماء المحققين (كابن القيم) قد أقاموا الدلائل على جواز بل تفضيل صرف ريع الاوقاف الخيرية الممينة بشرط الواقف فيها هو أنفع مما نص عليه الواقف فمن شاء الوقوف على ذلك فليراجع هذا البحث في كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين) المطبوع في الهند ومصر

(سبب فرض الصلاة)

(س ٣١) من عبد القادر افندي جبر بنافوس (شرقية)

مولانا الفاضل صاحب مجلة المنار الالهم

بعد قبيل الايدي ترحبو من فضيلتكم افتاءنا عن الصلاة لاي سبب فرضها الله على الاسلام وما سبب نزولها والله يفيكم وما سبب الركوع والسجود وما المراد منهما ؟ (ج) شرع الله الصلاة وفرضها علينا لتعقق بها بالعبودية له التي تظهر بها نفوسنا من الميل الى الفواحش والمنكرات والاقدام على ارتكابها وقوى على الملح والجزع وتتحلى بالشجاعة والكرم والسخاء . وقد بين الله لنا ذلك في آيات من كتابه كقوله عز وجل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » وقوله « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين » وقوله « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون » فصلاة الخاشعين - ولا صلاة إلا لهم - تكون لها كل تلك القوائد بما تتضمنه من مراقبة الله تعالى وتزكية الروح بذكره وتغذية الايمان به كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير « حافظوا على الصلاة » فراجع في المنار أوفي (ص ٤٣١ - ٤٤٠ من جزء التفسير الثاني) وكذا في ص ٣٧ و ١٢٨ منه) وهناك ترى حكمة الركوع والسجود ايضا

باب الثالث

بحث التحسين والتقبيح (*)

اختلف الناس هل للاطفال في نفس الامر حقائق متقررة في نفسها هي اهل لأن ترعى وتؤثر على نقائصها وتستقيم الرفع من شأن المتصف بها كالصدق والانصاف وارشاد الضلال مثلاً وحقائق هي في نفسها اهل لأن يبدل عنها وتستقيم الوضع من شأن من اتصف بها من تلك الحيثية كالكذب والظلم مثلاً ، فقالت المعتزلة واكثر العقلاء وجماعة من الحنفية نعم والمراد بالحنفية هم المروءون بالمنازعة نسبة الى أبي منصور الماتريدي وكذلك أفراد من غيرهم كالامام المحقق الشهير ابن تيمية حتى عدما عليه السبكي مما خالف فيه الاجماع او الاكثر وقد دل ذلك على زول درجة السبكي فان دعوى الاجماع كاذبة وكذلك الكثرة مع أن مخالفة الاكثر غير ضائرة « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » والسبكي هذا مع فضله نواحر نحو هذا تنادي على من سبكه مع ابن دقيق العيد وابن تيمية فان هذين الرجلين لا يلز بهما قرين ولم ينفرد ابن تيمية فكيف من الخبايا من صنف في الخط على الاشعري واتباعه كما تجده في التراجم الذهبي وغيره ومن جملة ما ينقم عليه هذه المسألة فيقتل القائلون بها لان المذاهب المشهورة بين مطبقة على خلاف الاشعري او مختلفة مع تهجين المخالف له هذه المقالة فلا يفرنك شيوها في هذه المقالة كالسبكي وولده فاهم

(*) نقل هذا الفصل من كتاب تحت الطبع اسمه « العلم النافع » في ايثار الحق على الآباء والمشايع للشيخ أحمد القبلي من مجتهدى اليمن في القرن الحادي عشر وقد تخط في موضوعه اكثر علماء الكلام ولم يأتوا الا بملاحظات لا مضم فيها ولكن المصنف بحث بحثاً مستفيضاً محرراً تحريراً ثانياً اثباته في المنار

حوامل قد كررنا اسبابها ان كنت موقفاً ومن عدل بالله غيره فقد شبه الكفار « ثم الدين كفروا بربههم يعدلون » والحمد لله على العصمة . وقال سائر الاشاعرة : لا ، انما تلك الحقائق معناها أن الشارع أسربها ونهى عنها ولو عكس لا انعكس معانيها . هذا تحرير محل النزاع . وأما ذكرهم العاجل والآجل عند المتزلة فمن أكياسهم والمتزلة لا ينظرون الى عاجل ولا آجل لأنهم يحكمون بلزوم الرفق الذي منه المدح وكونه ممرضاً للثواب والوضع الذي منه القم وكونه ممرضاً للمقاب للطاعة والمصية من حال فلهما وانما منع الاتصال التكليف لأن المكاف يصير باتصال الثواب والمقاب ملجأ الى فعل الطاعة وترك المصية وعدم الاجلاء عندهم شرط في التكليف وهذا أيضاً عندهم في التكليف وهو أخص مما نحن فيه وأما ما نحن فيه فلا يقولون بلزوم الثواب والمقاب فيه فالفاظ عليهم من جهتين ذكر الثواب والمقاب وهما من لوازم التكليف لا من لوازم التحسين والتقبيح والتكليف أخص وذكر العاجل والآجل وسيأتي تمة لهذا قريباً ومن المغالطة والخلط محل النزاع بغيره قولهم في هذا المقام الحسن والقبح يطلقان لمعان منها موافقة الغرض ومخالفته وحيناً يقولون ملائمة الطبع ومخالفته ومنها كذا ومنها كذا وهذا اصطلاح لهم ليس بلغة كما صرح به السعد وغيره وليس باصطلاح للخصم حتى يذكر في مقام تلخيص محل النزاع وقد أنكر هذا ابن الملاحي وقال ينبغي لهم صرف فطنهم الى محل النزاع ثم الحاجة فيه . والمجب أن ابن الحاجب وتبعه المضد أهملوا محل النزاع وذكروا هذه الامور وأخذ السعد في الترميم والامراجلي من ابن جلاء والحق أبج ، والباطل للجب ، وكذلك سائر المتزلة ينكرون هذا الاصطلاح

وإدخاله في تحرير المسألة ورد مراد الخصم اليه وشدد التكبير في الغايات على
الرازي في ذكر ذلك فتنبه لهذا وإن رأيت في كتب الأشاعر قولهم يطلق
الحسن والقبح لثلاثة معانٍ اتفاقاً فأنما مستندهم كلام أسلافهم من دون معرفة
كلام الخصم كما معنى نظيرة وهم في كل المذاهب يجادلون قتل أسلافهم حجة على
خصمهم في أنه يقول القول مع أنه يتبرأ منه وهو مثل ما يقال في الخصيات
شهد عليك من هو أعدى منك وقول قراقرش اندفن لو تفتح على
نقوسنا هذا لما اندفن أحد كما حكاه السيوطي في رسالة صنفا لحكاياته
قال ثلاث تنكر مع تطاول الزمان مع أنها محققة عنده لقرب عصره أو معاصرته
له والذي أظن أن الأشاعرة وضعت هذا الاصطلاح لثلاث معاني
الاحسان والاساءة لغة لانهما من ألفاظ العرب وقد نقروا عنها وهذا لا
ينفعهم مع اعترافهم أن تلك المعاني ليست بدنيوية ولكنه يكسر من سورة
الاستحسان بآيات اللاغية في اللغة لا شهر اللفظين منها في أشهر معنيين في
اللسان قولهم ما أحسن ما فعل فلان مع فلان وما أقبح فعله مع فلان إذ معناه
الاحسان والاساءة قطعا لان تلك المعاني التي تذكر الأشاعرة ستراً لهذه العورة
ولهذا نظائر مع كثير ممن أوقعه زلته في لازم شنيع فثبت لذلك وقف عليه
نعم ههنا شيء مما ينبغي صرف النظر اليه وهو اعتراف الأشاعرة والاتفاق
منهم ومن سائر الناس أن التحسين والتقيح بمعنى الكمال والنقص ثابت في
نفس الامر وهذا يكاد يالحق الخلاف بالوافق فإن الكمال يستقيم الرفع من
شأن من اتصف به والنقص يستقيم الوضع من شأن من اتصف به ولا شك
أن من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن الوضع الذم للمتصف بالنقص بل
إطلاق الكمال والنقص مدح وضم نقولنا كامل لا يمدح ونقص لا يذم مثل

قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص ومدح لا يمدح ويذم لا يذم ومعنى الاستبعا انه يناسب القول وتقبله ولا تأباه وتفرق بينه وبين تقيضه فتري ذم المحسن مناقضا لما ينبغي عند العقل وفي نفس الامر ومدح المسيء كذلك كما ترى ان الذم والمدح متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق عند المعتزلة ولا يريدون بالاستحقاق الوجوب والحتم وما زادوه من قيد الحتم في أي موضع فلموجب آخر لا بالنظر الى هذا الحل وهذا صريح في كتبهم وسيأتيك ان شاء الله قريبا زيادة ليوضح لمذهبهم

فان انكرت الاشارة الاستبعا بهذا المعنى فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت مضاهيا وخطابا من محارات تحقيق مذهبهم فاننا تارة ننظر الى هذا المعنى فنحكم عليه بالوافق، وأخرى الى تصريحهم بنفي الحكمة بأبلغ ما يمكنهم من العبارة فيتبين بالحقيقة الشقاق، هكذا يذكر جماعة من الفريقين كالمضد وابن تاج الشريعة كما يأتي ونفيهما. وفيه عندي وثقة فانهم انما يثبتون الوصفين فيما هو من قبيل الفرائض كالعلم والجهل والصدق والكذب أي كونه شأنه الصدق وشأنه الكذب وأما في مثل صدق وكذب وحصل الصدق وحصل الكذب وحصل العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح عنهم والمتبع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقولون على الخلاف وانا التمس على الناظر ما كان يعني الثبوت وما كان يعني الحدوث فصادف يعني ذي صدق كمال عندهم لا يعني حصل الصدق واوجده وكيف وقد أنكرنا هذا المعنى الاخير في مطابق الفصل وقائنا معنى آكل انه ذو الاكل لانه فعل كما يأتي تحقيق ذلك وهذا تحقيق يبلغ قد فات المضد واضرا به من الفريقين والحمد لله على العنبر على الحقيقة

واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه ، ثم النزاع هل أدرك العقل شيئاً من تلك الامور الثابتة في نفس الامر ثم هل هذه الحقيقة بينهما مما أدركه ؟ نزاع آخر ^(١) لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافاً ولا وفاقاً . أماته لا ينافيه مع فرض الوفاق هناك فظاهر وأما مع فرض استقرار الخلاف فلأن المخالف هناك قد يتزل ههنا فتتقظ لهذا تسلم من الزلل ان شاء الله تعالى وقد تضمن تصحيح التحسين والتقيح ان الباري تعالى مبين للحكم فقط إما بالقول أو بالسمع وليس الحكم في ثبوته واقفاً على اختيار مختار بل هي كسائر الماهيات المجردة . والسبب بمن أخرج هذا ثم شفه مدح الاسلاف ، وإيثار الخلق على الحق قهر فروعاً تنادي عليه بعدم الانصاف ، ولقد أخرج في ذلك ابن تاج الشريعة ، ولم يتسكك من الانصاف بأذن ذريته ، فإنه نصر التحسين والتقيح نصر اموزراء وسجل على المخالف فعل من استمسك بأوثق المعري ، ومن نظره الحق الموفق ، وكلامه المتمم المنق ، على اثر البحث (قوله) على ان الاشعري يسلم الحسن والتقيح عقلاً بمعنى الكمال والنقصان ولا شك ان كل كمال محمود وكل نقص مذموم وان اصحاب الكمالات محمودون لكمالهم واصحاب النقائص مذمومون بنقائصهم وانكاره الحسن والتقيح بمعنى انها صفتان لا جليهما محمد أو يذم الموصوف بهما في غاية التناقض وان انكرهما بمعنى انه لا يوجد في العقل شيء يثاب الفاعل أو يعاقب لاجله ، (فنقول) ان معنى انه لا يجب على الله الاثابة أو العقاب لاجله فنحن نساعد على هذا وان معنى انه لا يكون في معرض ذلك فهذا بعيد عن الحق وذلك لان الثواب والعقاب آجلا وان

(١) أي هذا نزاع آخر انه مصححه

كان لا يستقل العقل بمعرفة كيفيتها لكن كل من علم ان الله عالم بالكمالات
والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء وعلم انه فريق نعمة الله في
كل لحظة ولحظة ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال ما يستند
انه في غاية القبح والشناعة الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يبق له انه
يستحق بذلك مذمة ولم يتيقن انه في مرض سخط عظيم وغضب أليم
فقد سجل على غياوته ولجاجه ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ،
واستخف بفكره ورائه ، حيث لم يعلم بالشر الذي في ورائه ، عصمنا الله تعالى
عن النبوة والنوابة ، واهدنا هدايا المداية ، اتمى بحروفه
ثم أخذ في الخبط فقال لما أثبتنا الحسن والقبح العقليين وفي هذا المقدر
لا خلاف بيننا وبين المعتزلة أردنا ان نذكر بعد ذلك الخلاف بيننا وبينهم
وذلك في أصرين (أحدهما) ان العقل عندهم حاكم مطلق بالحسن والقبح
على الله تعالى وعلى العباد أما على الله تعالى فلا أن الاصلح واجب على الله
تعالى بالعقل فيكون تركه مكراما على الله تعالى به فالحكم بالوجوب والحكمة
يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة وأما على العباد فلا ان العقل عندهم
يوجب الافعال عليهم ويبيحها ويحرمها من غير أن يحكم الله تعالى بشيء
وعندنا الحاكم بالقبح والحسن هو الله تعالى وهو متعال أن يحكم عليه غيره ،
وعن أن يجب عليه شيء وهو خالق أفعال العباد على ما مر جاهل بعضها
حسنا وبعضها قبيحا ، وله في كل قضية كلية أو جزئية حكم معين ، وقضاء
مبين ، واحاطة بظواهرها وبواطنها ، وقد وضع فيها ما وضع من خيرا وشر
وهو قبح أو ضر ، ومن حسن أو قبح ، (وثانيهما) ان العقل عندهم موجب
للعلم بالحسن والقبح بطريق التوليد ان يراد العقل العلم بالنتيجة ، قيب النظر

الصحيح وعندنا العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك أو كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه قد أوقف الله عليه العقل على أنه غير موكف للعلم بل أجرى طائفة أنه خالق بعضه من غير كسب وبعضه بعد الكسب أي ترتيب العقل المقدمات المعلومة ترتيباً صحيحاً على ما مر أنه ليس لنا قدرة إيجاد الموجودات وترتيب الموجودات ليس بإيجاد انتهى

ولنتبهن شيئاً فشيئاً حتى يتبين غلطه وانطه في مذهب المتزلة ومذهبه .
والتصدي لقول فرد ابطالا وتصحيحاً لا ينبغي إلا أن هذه المذاهب قد استقرت والرجل يتكلم فيها على أهل ذلك المذهب جميعاً فيكون تخصيص كلام معين أقرب إلى الانصاف ، وإيضاح الاختلاف من الاعتساف ، فإذا انضم إلى ذلك كون الرجل من مشاهير ذلك المذهب ثم كون ذلك الكلام في كتاب متداول معروف بالكمال متلقى بالقبول من الفحول كهذا الكتاب الذي ذكره هذا الكلام فيه وهو التبيين وشرحه التوضيح كلاهما له كان أقصى إلى المطلوب طالب الحق فنقول : (قوله) أحدهما أن العقل حاكم عندم مطلق على الله تعالى وعلى المبادئ (قلنا) ما تريد بقولك حاكم ؟ أتريد به أنه مدرك للحكم الثابت في نفس الأمر الذي أقررت فيه آتفاً وبلدت في نصرت كل مذهب فإن الأحكام الخمسة ترجع إلى الحسن والقبح كما ذكرت أنت الآن فلا بد لك من الإقرار بهذا وإلا ناقضت نفسك ، أم تريد أن العقل محصل للحكم ومنشئ له في نفس الأمر فلم يقل بهذا أحد ، أم تريد وهو الأقرب من فرضك أن الباري تعالى إذا أخرج فرداً من ماهية الحسن والقبح إلى الوجود فكما يلزم أن يسمى بطلق الفصل فاعلا يلزم

ان يسمى فعل المدل عدلا وكذلك نقيضه ، فان كان زاعك لهم من حيث
المعنى فان كنت تريد ان صفة المدل ونحوه ثابتة في نفس الامر فان
فعله العبد ثبتت واستقرت وان فعله البارئ تعالى خرج عن صفة نفسه
كما ياتي من تحقيق كيفية اتصاف الفعل بالاحكام ثم بعد خروجه عن
صفة نفسه يحكم فيه البارئ تعالى باحد الاحكام قلنا ^(١) حاصل هذا
الامر مناقضة كلامك الاول وزيادة جهالة من اخراج الشيء عن صفة
نفسه وجعل صفات النفس من الممكنات الذي لم يقل به عاقل فيما يعرف
فان صفات النفس واجبة والا لما كان للنفس وكان مذهب الاشعري الذي
بالفت في تهجينه أقرب الى المقول لانه لم يثبت للفعل صفة البتة وانما قال
مستبهمات الاحكام ببعض اختيار المختار ، وحكم الواحد القهار ، وان كان
زاعك للمعتزلة في اطلاق الالفاظ فالامر قريب وهذا بحث عملي وقد جروا على
مقتضى اللغة العربية وقد جاء في القرآن ما ظاهره معوم « كتب ربكم على نفسه
الرحمة - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - كان على ربك وعدا مسئولا -
كان على ربك حتما مقضيا » فان ادعيت منعا عقليا او شرعيا كان بحثنا غير هذا
وصفت القاعدة عن اللفظ وسوء المناظرة والمعتزلة قد اطلقوا اللفظ واجب
على الله وتبع منه ولم يطلقوا باقي الالفاظ المأخوذة من ألفاظ الاحكام
وانت قست لفظ حرام والالفاظ خصوصيات تنشأ عنها ايهامات لا اعتراف
نظراؤهم شرطوا في اطراد الحقيقة في حق البارئ تعالى ان لا تقوم خلاف
الصواب فلا ينبغي أن يقول عليهم ما لم يقولوه ومن نظر تعليله لكلام
المعتزلة بقوله أما على الله تعالى فلان الاصلح واجب وأما على العباد فلان

(١) هو جواب قوله فلان كنت تريد

العقل عندم يوجب الافعال ويديها فمن نظر هذا حكم على الرجل إما
بعدم معرفة مذهب المعتزلة وانما يتكلم بحسب الوهم وإما بأنه حين سدد
نظره الى اللجاج طاشت الحرارة في دماغه فلم يدرك ما قال وهذا أقرب
لأنه كلام لا يفعله عاقل ولهذا الصنع نظائر في كلام المجادلين فتنبه له
واعلم ان المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في معنى الوجوب على الله تعالى
فقال البصرية منناه في حق غيره وهو في حقه أحق وأولى (فان قلت)
فمن لوازم الوجوب والقبح والثواب والعقاب وذلك لا يعقل في حق
البارئ تعالى (قلت) هما من لوازم التكليف والتكليف عندم طلب البارئ
تعالى الفعل المتصف بالحكم من المكلف مع مشقة تلحق المكلف ومع
ارادة المكلف تعالى وقولنا طلب ليس من عباراتهم انما يقولون اعلام
البارئ المكلف شأن الفعل الموصوف الخ والذي ذكرناه أولى فالتكليف
غير معقول في حق البارئ تعالى والتكليف انما يكون من البارئ تعالى
ولا يصح من غيره لان التكليف مصلحة خالصة أني جلب منفعة او دفع
مضرة ولوازمه عندم الثواب الدائم والعقاب الدائم ، والعالم بكل مصلحة
وكل مفسدة والقادر على الوفاء كما يريد هو البارئ تعالى . وهذا كله
صريح في كتبهم شهير لمن له ادنى معرفة فيها ، وانما التعاليس على الرواية
وعدم المبالاة هو الذي كثر الشقاق ، وسلي عن الوفاق ، ولا يخلو مذهب
من عدم انصاف الخصم وان اختلفوا قلة وكثرة ، فاتق الله ايها الناظر
وقدر انك قد وقفك بين يديه وسألك عن هذا ولا تتتر وخذ قول اهل
المذاهب من كتبهم فبالعبرة انهم لا ينصفون في النقل وأصله انه لا يحتفل
(المارچ ۶) (۵۵) (المجلد الثالث عشر)

بقول من عزم على خصومته فيجهل قوله فيجهل عليه فאלله الله « لا تف
ماليس لك به علم ان السم والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »
وحاصل مذهبهم ان المدح والذم من لوازم التعسين والتقبيح والثواب
والعقاب من توابع التكليف والبصرية يوجبون الثواب ويحسنون العقاب
فقط والباريء تعالى ان يسقطه عقلا ولزوم الثواب وحسن العقاب وهما
الحسنات للتكاف عندهم كما مضى ومعنى الاستحقاق عندهم انه يحسن لا
انه يجب . والبغدادية يقولون يجب الثواب وجوب جود بمعنى ان صفات
الكمال تقتضي توفر دواعي الحكيم الى فعله وما خلص الداعي اليه وجب
ان يفعله الحكيم ومع هذا يظنون ان الثواب تفعل اي ليس له جهة
وجوب في نفسه فاعرف مذهبهم فكم غلط عليهم اخوانهم البصريون
فضلا عن غيرهم ويكفي في حسن التكليف عندهم سابقة الانعام ويقولون
بوجوب العقاب ولا يجوزون العفو عقلا لانه لطف للمكافين والالطف
واجب عندهم فذهب الفريقين في الثواب والعقاب متعاكس . هكذا
حكاية مذهب البغداديين قالوا عنهم لا يجوز العفو عقلا وعلاوه بانه لطف
وقالوا عنهم انه لا يحسن العقاب الا حيث يتضمن تقعا للعار فينتج هذا
انه لا يقع العقاب الا اذا حسن ولا يحسن الا اذا انتفع به الخير وتعميم
الانتفاع يحتمل اللطف وغيره كالتشفي فتحرر انه قد يقع مقتضي العقاب
وهو المصيان ويقع شرط حسن وقوعه وهو يتضمن الانتفاع وقد يخلو عن
الشرط اذ لا ملازمة بين مقتضي المذكور وشرط حسن الوقوع فيجب حينئذ
ان لا يقع اللهم الا ان يقولوا لا يمكن المكلف من المصيان الا مع العلم بمحصل
الشرط المذكور وهذا بعيد ويحتاج الى نقل عنهم معتبر فتعميم منع العفو غير

سديد وحكايته عن البغدادية كما ترى والظاهر النلط عليهم في بعض كلامهم
فهذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب وإن كان ذلك في كتب اخوانهم البصرية
فإن كثيرا من الخلطاء ليبنني بعضهم على بعض فليحفظ هذا فإنه قبيح جدا
(قوله) العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها ويحرمها قد عرفت
سقوطه مما مضى وأنه لا معنى له إلا بالمعنى المتفق عليه بين الحنفية والمعتزلة
(قوله) وعندنا الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى (قلنا) ما تريد بالحاكم
المبين للحكم الثابت في نفس الامر فذلك قول المعتزلة حتى تمنع عليهم
الاشاعة بأن الباري تعالى عندهم كالتقاضي والمفتي وسيأتي لزوم هذا على
قول الجميع : أم تريد أنه محصل للفعل صفة الحسن والقبح فقد كنت
قررت ثبوت ذلك لا باختيار المختار وإن الاختيار مؤخر عنه عند ذكرك
إن الله يأمر بالعدل والإحسان في هذا الكلام : أم تريد أن الباري
تعالى هو الملزم لنا أن نأتي الحسنى ونترك القبح فذلك قول المعتزلة وهو
المراد بالتكليف عندهم فأخبرنا ما هذا الخلاف بينك وبينهم

(قوله) ثانيهما أن العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق
التوكيد بأن العقل يولد العلم بالنتيجة عقيب النظر الصحيح (قلنا) هذا
مجازفة عليهم أو بُهِت لهم ولم يقل منهم أحد أن العقل يولد العلم وهم متفقون
أن العلوم الضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء وأما النظرية فاختلعهوا فيها فقال
بعضهم مثل مقاتل هذه مخلقة بالله والنظر شرط عادي فقط وقال أبو الحسين
ليس النظر يولد العلم إنما الناظر يستفصل بنظره ما أجل عند العقل فعند
العقل ثبوت حكم الكبرى عموما فينظر في نسبة الوسط منها فيجده فردا
من أفرادها فيلزمه ثبوت حكم الكبرى للصغرى وهو النتيجة . فنقول

مثلا هذا الضرر الماري عن تقع ودفع واستحقاق ظلم وعند عقله ان كل ظلم تبع فنظير له النتيجة وهي انصاف هذا الضرر الماري عن تقع ودفع واستحقاق بالتبع ولهذا قال مختار في المجتبى وهو تلميذ تلميذه: النظر تجريد الفعالات ، لا ترتيب المقدمات ، وما حكيناه من ابي الحسين هو ما حكاه تلميذه ابن الملاح في كتابه الفائق وقد ذكر الطريقة التي تسميها المعتزلة الحاق التفصيل بالجملة فصرح بما ذكرناه وهذه الطريقة عند المعتزلة هي البرهان عند المنطقيين الا ان متكلمي المعتزلة يقدمون الكبرى التي دلالتها عموم على الصغرى التي دلالتها خصوص ثم يقولون والخاص لاحق بالعام أو التفصيل لاحق بالجملة. القول الثالث قول من قال بالتوليد فقالوا النظر معنى يتولد عنه العلم عند كمال شرائط النظر ولم يقل أحد ان المولد له العقل كما ذكرت وانما العقل آلة للادراك فقط عند الجميع

(قوله) وعندنا ان العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك اذ كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه أوقف الله عليه العقل (قلنا) هذا غير مذهب المعتزلة^(١) ولم يقولوا ان العقل يستقل الا باحكام يسيرة كوجوب شكر النعم ودفع الضرر عن النفس وانصاف الغير وكالظلم والعبث والكذب واما ما رميتهم به فيضمون هذا الكلام وما قبله وأوهمت انهم يدعون معرفة جميع الاحكام بمقولهم وانهم مثلا يدركون وجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال وان عقولهم غنية عن تبليغ الرسل

(١) اي ما حكيت عنهم هو غير مذهبهم . ويصح أن تقرأ العبارة: هنا عين مذهب

المعتزلة . أي ما دعيت به مذهبك ولله الصواب اهـ مصححه

ولا فائدة لها عندكم كي يحقق الخلاف بينكم وبينهم لأنكم أنما فصلت نفسك عنهم بذلك فإن كنت تحكي عن قوم يخص أنت بعرفتهم يسمون معتزلة فلا يعنينا التعرض لك ولهم وإن كان المراد بهم هؤلاء المشاهير: وأصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والجاحظ والنظام وأبو الهذيل والكمي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وأبو الحسين الخياط وأبو عبد الله البصري وأبو علي وأبو هاشم والقاضي عبد الجبار وأبو الحسين والخوارزمي وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ولا يستقل بدراسة مذهبه رواية ولا تحقيقه زاوية فهذه مصنفاتهم ومقالاتهم المتواترة عنهم وبين ظهري أتباعهم وفي بطون كتب الأشاعرة قد بينوها وكرروها وطووها ونشروها كالتحريك الفخر الرازي وغيره ولم يفتقر عليهم أحد ما ذكرت اللهم إلا أن يروي ذلك عنهم مغرور مسجل على نفسه بالغباء والجهالة فيكون سلف لك في هذه الضلالة عصنا الله عن الأهواء ووقفنا لما هو أقرب للتقوى آمين

إذا تقرر هذا فلنقدم على جميع الفريقين تنبيها على كيفية صيرورة الفعل متصفا بالحسن والقبح فانه من تمام تحرير محل النزاع لتوارد الجميع على أمر معروف، ومحل مكشوف،: اعلم أنهم يحكون خلافا بين الجبائية وسائر المعتزلة ويقولون ان الجبائية يقولون بحسن ويقبح لوجوه واعتبارات والبغدادية يقولون لاينه ويحكي بعض الأشاعرة عن بعض المعتزلة انه لصنفه من صفاته والأقرب انه خلاف في العبارة وبيانه ان مراد الجبائية بالوجه الذي وقع عليه الفعل الوجه الذي له دخل في تحسين الفعل وتقييمه ولا تجله سعي حسنا أو قبيحا اذ مطلق الفعل وحده أو مع ألف وجه لا يصير ويسمى لا تجله حسنا وقبيحا لا يستبره ما قل قطعا ككونه حركة مثلا

الى جهة اليمين في وقت الضحى في قصر المنزل وغير ذلك والا للزم كون
كل فعل حسنا وكونه قبيحا وهو معلوم البطالان والبندادية لا يقولون ان
مطلق الفعل قبيح ولا هو مع وجه مانى كذلك لما ذكر قبيح انه مطلق
الفعل متركبا مع وجه او وجوه لها دخل في صيرورته وتسميته حسنا
وقبيحا وأنا انبهك على وجه غلطهم وهوانهم يأخذون الفعل متركبا مع
وصف مانى أو غير تام كالسجدة مثلا ثم يقولون لو كانت السجدة حسنة
أو قبيحة لنفسها لما كانت طاعة للرحمن وكفرا ان كانت للشيطان والجواب
ان مراد البندادية بالفعل ليس السجدة مطلقا ولا هو مع القيود التي صارت
بها سجدة بل ذلك كله مع قيود أخر صار بها عبادة للرحمن ومضى كان
كذلك لم يخرج عن كونه عبادة الى كونه كفرا الا بنقصان قيد وزيادة
آخر والمقيد بقيد غير المقيد بآخر وكذلك القول في لطم اليتيم تأديبا وظلما
وغير ذلك . وحاصله ان الظالم مثلا بعد تمام كونه ظلما لا يخرج عن كونه
قبيحا مادام كذلك فلذا قالوا انه ذاتي أي مادام الظالم مستجيبا لما صار
به الفعل ظلما فلا يخرج عن التبجح فتأمل هذا فانه بحث قبيح بديع
وهو مما ترك الاول للآخر والتجدة وحده

ثم اعلم انه ليس من ضرورة مطلق الفصل الحسن والتبجح ان أريد
بالحسن ماله منية واجمة على منية الطرف الآخر والمعتزلة يطلقون الحسن
على ما عدا التبجح حتى المباح بمعنى مالا خرج في فعله وتركه ففعل هذا
لا يخلو فعل منهما ثم المطلق قد يتقدم بقيد أو قيود ولا يحصل منها الا اسم
مثل مطلق السر فانه مع الاحكام لمطلق الفعل وقد يتقدم بقيد يحصل له
به اسم وحكم مثل كونه عدلا وظلما وصدقا وكذبا ثم الوجوه والاعتبارات

التي يحصل بها الحكم هو شيء مقدور وضابطه ما حكم وأدرك العقل عند
الحسن والقبح ثم قد يزيد على تلك الوجوه المينة وجه او وجوه فاذا
اعتبر المجموع فارة يتأكد الحكم الاول فقط مثل الزنا في المسجد في رمضان
مثلا وقد يتصف المجموع بحكم يخالف لحكم الزيد عليه والمزيد عليه باق
على ما هو عليه فانه مع الزيادة مغاير له مع عدمها فلا بعد ولا احالة في
اتصاف كل منها بغير ما اتصف به الآخر فاذا حكم العقل مثلا بحسن
الصدق وقبح الكذب ثم فرضنا انه جاء دليل عقلي او شرعي بان الكذب
الذي فيه عصمة نبي واجب والصدق الذي به هلاك حرام لم ينقض ذلك
طينا قاعدة الحسن والقبح بل ولا هذه الصورة التي ادرك حكمها العقل انما
أدرك حسن صدق غير مقيد بكونه يهلك به نبي وقبح كذب غير مقيد بكونه
ينجوه به نبي. يحكى عن بعض البوادي انهم يبيتون الضيف مع ازواجهم ومحارمهم
ويقولون هم اكرم الناس واقرام للضيف فهو لا يضمنوا الى اكرام الضيف هذه
الخسة وسموا المجموع باكرام الضيف والذي يفعل ذلك انما يسمى ديوثا ونجوه
واكرام الضيف انما هو جزء فليهم هذا وهو اكرام الضيف فيما عدا هذه
الخسة ومع تنامي فليهم هذا في القبح لا يخرج اكرام الضيف من كونه من
أشرف الخصال وأفضلها ولا يكاد فعل يخلو عن مفسدة ولو مجرد المشقة وفوات
الدعة ولا عن مصلحة ولو اللذة واطلاق عنان النفس فانها ما منعت من شيء
الا اشتاقت اليه ولكن يعتبر الارجح وبضمحل عنده المرجوح وهذا يحتاج
الى معاودة التأمل وعدم الاستمجال مع نقاوة غريزة وذهن صافي سيال
فان قلت هذا يخالف تولم قبح الكذب لكونه كذبا والظلم لكونه
ظلما والمنة موجرة بتامها مع كل عارض مقدور في الكذب لان حقيقته

٤٤٠ الجنوح لحكم العقل وخبر الشرع في الحسن والتبجح (المتأرجح ٦ م ١٣)

مترددة لا نزول الا بزواله بخلاف الظن (قلت) انما حكنا بقبح ما أدرك العقل قبحه بضروره واما تصيّدكم العلة ثم إلحاق ما لم تدركه الضرورة العقلية فلا يفيد اليقين لعدم القطع بعدم الفارق وانما غاية الظن الذي الاصل منه ما لم يدل على الاستثناء به دليل فدعه «ولا تقف» ما ليس لك به علم - ان الظن لا يفي من الحق شيئاً - ان بعض الظن أهم» فايؤمنا أن يكون هذا منه وما لم تلجئنا الضرورة العقلية فلا علينا ان نكل أمره الى خبر الشرع، ونذعن له بالطاعة والسمع، فكل ما لم تضطرنا اليه الضرورة العقلية، فنحن فيه سميعة وهذا أوسط الامرين بين تقرير الاشاعة وإفراط المعتزلة

(فان قلت) فهل يجوز تساوي طرفي الفعل في كون كل منهما مصاحبة واذا جاز فهل يجوز ان يأمر الحكيم باحدهما معينا واذا جاز فما المخصص حينئذ لانك قدمت أن الترجيح بمحض الاختيار وان جاز في حق القادر نظرا الى الذات فانه يستمع بالنظر لمكان الحكمة (قلت) جواز استواء الطرفين في المصاحبة لا مانع منه وأمر الحكيم بذلك كذلك والمرجح حينئذ محض الاختيار كالمبارب يختار احدى الطريقتين بالمرجح والذي قد مناه عنه هو حيث لاداعي الى الفعل يرجح في نفس الامر لا به يكون عبثا وهو ممتنع الوقوع حكمة في حق الحكيم وعادة فقط في حق غيره كما يأتي تحقيق ذلك في أواخر مسألة التعيين والتفويض ان شاء الله تعالى وأما هذا فقد قام الداعي في كل من الطرفين على حدة فلا مانع من تخصيص أحدهما بمحض الاختيار وترى أناسا يناقضون من فرق بين المسلمين ويقلطونهم وانما القلط عند من لا يفرق واذ قد أتينا على غرضنا من تحرر محل النزاع وما يتماق به فانذكر المعتمد من حجج الفريقين وبالله الاستعانة

(لهاتمة)

ذكرى (*)

﴿ السوريين عامة . وأهل بيروت خاصة ﴾

البلاد السورية من أرقى البلاد الثمانية استعداداً في العلم والعمران وإن بيروت
أرقى هذه البلاد ، بل هي من أئمن الدور في تاج آل عثمان
قد زادت قبة بيروت في نفوسنا بعد الدستور اضطلاعاً مضاعفة ، ومصرنا نباهي
بها وقفاً بعد أن كنا نشكو من تلك المرة القاضية : مرة العصبية الجاهلية باسم
الدين التي كانت حجاباً دون محاسنها الكثيرة ، ومزاياها الجملة ، فقد كانت تلغى بذلك
الثوب المنكر وتتدجج بسلاح البغي والعدوان فكلماً سمعت هبة جردت ملاحها
هذا ، وقالت به هكذا وهكذا ، تتوهم أنها تجاهد في سبيل الله ، وتقاتل بحدودها والله ،
وانما كانت تجاهد في غير عدو ، بل كانت تحارب نفسها وهي لا تدري ، فبطمن بعض
ابنائها مدور الأبناء الآخرين وهو لا يرى ولا يصير ، حتى إذا ما لاح صبح الدستور
ألقى الأخوة السلاح من أيديهم وطلق بعضهم يماق الآخر ويقبله وهو يكي على
ما فرط في ذلك الليل البهيم ، ويسم لما يرجو في هذا النهار المنير
كان بعض عقلائنا يقولون إن علة تلك الاحقاد والاحن هي الحكومة الاستبدادية
التي لا تحب حفاظاً لسلطانها إلا التفريق بين رعيتهما ، ولا سيما أهل الذكاء والعلم منهم ،
وكان بعضهم يقول إن علة ذلك التدابر والتباغض هي دسائس اصحاب المطامع
من الأوربيين ، وهناك فريق ثالث يجمع بين القولين ، ويثبت كلنا العتين ، ولا خير
لبيروت ولا لما يجاورها من البلاد في فوز هاتين السياستين ، وانما خيرها في اتحاد ابنائها
على ترقيتها وعمرانها ورفع شأنها وكل من السياستين عقبة كؤد في طريق سعادتها هذه

(*) نشرناها في جريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

فرحنا بعد اعلان الدستور من خلع بيروت ذلك الثوب الذي كانت تنقع به اجاننا في تلك الظلمات ونبد ذلك السلاح الخاطئ الذي كانت تمخز به مفاصل اعضائها قنين بعضها من بعض ، واشبعناها ثناء وقریظا ، واروينها حمدا وشكرا ، راجين ان يكون الشكر مدعاة المزيد ، وذلك اثر الشكر الطبيعي في نفوس اهل النجدة وعلو الهمة كأهل بيروت

تلك المحمدة التي عكس لنا البريد صوتها وارانا البرق نورها ونحن في مصر قد هاجت شرقنا لرؤية بلادنا ترقل في حلالها الزاهية ، في نور شمس الدستور الضاحية . بعد ان تركناها منذ سنين دخلت في جمع الكثرة وهي تعثر في ذلك الثوب الخلق ، في ذلك الطريق الذي في مثله يقول الراجز

وقام الاعماق خاوي الخرق مشبه الاعلام لماع الخلق

نسبر على غير الهدى ، الى حيث قم في مهاوي الردى ، في تلك الخنادس ، بما يفتق من بروق الوسوس ، التي تغريها باعانة المستبد فيها على استمرار استعبادها ، او نمكن الطامع فيها من ازدرادها (لاسح الله)

زرت بيروت وغيرها من البلاد التي اعدتها كلها وطني الخالص فكتبت على قفصلي بيروت على سائر اخواتها من المدن بنات سورية أرى ان الوفاق السلي وحده لا يثمر ما نحب من عمران البلاد واروقائها — واعني بالوفاق السلي ترك ما كان من التنازع والتخاصم ، والتشائم والتلاحم — وانما تعمر البلاد وتسد بالوفاق الايجابي وهو انما يكون بالاختلاط وكثرة التزاور والاشتراك في الاعمال المالية ، والجميات العلمية والادبية

بذلت لهم نصعي وهم قومي الذين اغربهم اذا صلحوا واصلحوا ، وتصيبني ممرتهم اذا اساءوا وافسدوا ، راجيا ان يكون ذلك الوفاق الذي سميته سليبا مقدمة وطلبة لما يكون بعده من الوفاق الايجابي بالتدرج وانا لا ازال مع سائر العقلاء من اخواتهم البعيدين عنهم في مصر والآستانة وامريكا وأروبا ننتظر ان يكونوا هم السابقين الى رفع قواعد بيت الاتحاد على اساس الدستور ليكونوا في مقدمة زعماء الارقاء في

تلك الديار في هذا الطور الجديد ولكن يكون مدينتهم ينبوع مدينة تلك الاوطان في ظل الدولة الطيبة ايدها الله تعالى

منا نحن على ذلك الانتظار اذا مجرائد بيروت نفسها تعيد على اسباعتنا في هذه الايام شيئاً من حوادث ليالي الاستبداد الخالكة: بعضها صريح، وبعضها جمجمة وتلويح، وقد جاء العاصمة أناس منها فاذا هم يتشائمون ويقطرون ويرون ان بعض حل الفرق السابق أو كلها قد عادت جذعة أو كادت... فالله الله يا بيروت في نفسك وفي ابناء جنسك، فان أعداء قومك وأعداء دولتك يربصون بك الدوائر، ويكيدون لك المكائد

اسمي يا بيروت وعي فاذا سمعت سمعت سورية كلها واذا وعيت وعيت، واذا لم تلقي السمع، ولم تفرقي بين الضر والنفع، فليك إثمك وإثم سورية كلها انك ترين في بعض صحف المفسدين الذين يلبسونك ثياب الناصحين كلاماً في التفرقة بين المسلمين والنصارى فياك ان تغري بهم، أو تنخدعي لهم، نعم ان الكريم ينخدع ولكن في الخير، ولا عذره في الانخداع لدعاة الشر، انهم يقولون لاحق للمسيحي من السوريين ان يتكلم في شئون المسلمين، ونحن مسلمي السوريين وعلماءهم وكتّابهم قول ان لم ان يتكلموا في شئنا كلها رأوا الفائدة لبلادنا في كلامهم معنا فيها ولا نسي الظن فيهم، لان المصلحة مشتركة بيننا وبينهم اتني لأسمي الظن بكم ايها الاخوة الاذكياء الفضلاء، ولا يلدكم وان لم تخل تغيرها من الجهلاء، وانما الحب مولم بسوء الظن في كل أمر يتعلق بمحبوبه، فهذا ما يدعوني الى هذا التنبيه

ان رجائي في هؤلاء الطامعين وفضلائهم لعظيم وان مما زاد هذا الرجاء قوة ورسوخاً تأسيسهم لقابة الصحافة في بيروت وعسى ان يشترك معهم جميع اصحاب الصحف الابنانية والمستظر من هؤلاء الكتاب النبهاء وقد اجتمعت كلمتهم ان يجمعوا كلمة قومهم على الوفاق ويمجشوا شجرة الخلاف الخبيثة من أصولها ويردوا بالاجماع على كل من ينز بلدهم بلقب التعصب الذميمة وان كان من آباءهم او اخواتهم المهاجرين أو المقيمين فاني أرى بعض جرائدنا في امر يكا لا يزال تركب من هذا الخطأ: خطأ

الانهم بالتعصب الديني وهو هو الذي يثير كوامنه ، ويحرك سوا كنه ، ويقوي ضميمته ، ويحيي ميثه ، فالحلم لا يند كرون
اذكروا ايها الاذكيا ما يجمع الالباء وتناسوا ما يفرق ، الى ان تنسوه ببركة التعاون
والاخلاص ، اذكروا ان لكم جامعة كبيرة وهي اللسان ، وجامعة اخرى وهي الديار ، وكل منهما
جامعة شريفة تظا ذكرا مجيد في التاريخ ، وجامعة اخرى وهي العثمانيه التي تصل حبلكم بحبل
كثير من اخوانكم الشرقيين وما اعز من يكثر اخوانه ويتعدد أعرافه ، وانما العزة
الكثيرة ، ومن اكبر خطأ بعض الجرائد في المهاجر التغير من هذه الحكومة التي
يرجى لكم في ظلها ما لا يرجى لغيركم ان انتم اتقستم على تعزيزها بترقية بلادكم وجمع
كلتكم ، ولا حجة لتلك الجرائد الا سوء سيرة رجال الدولة في ادوار الاستبداد
البائدة وقياس الآتي على الماضي وهل يقاس الضد على ضده ؟ كلا ان
السوريين لم يذوقوا من بأس الاستبداد ما ذاق الارمن ونرى هؤلاء يسارعون
اليوم الى اقتطاف ثمار الدستور ويشاركون في الواجبات ليشاركوا في الحقوق .
نراهم يطهون ولدانهم في المدارس النظام العسكري كل يوم ترغيبهم في هذه الخدمة
الجميلة وما نصارى السوريين دون الارمن ذكاء وعلماء بل هم في هذا الضمر
العربي ركن عظيم ، تبالى لشكره باقوالهم ، ومحاولي تهويضه بافسادهم ، فتذكروا وتدبروا ،
ولا تنازعوا ولا تداروا ، واتحدوا وتعاونوا على ترقية البلاد بالعلم والثروة لتكونوا كما يوكلكم
استعدادكم الركن الاعز الاكرم في هذه الدولة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو
اذا شاء يهبكم اجتماع الكلمة وكفى

الفطرة وأسباب الترقى في الكون^(*)

كان الله ولا شيء معه الهـاء في ذاته منزها بألوهيته فليس بكم ولا كيف محتجبا في أزله منزها عن التحديد فليس بالجسم التطبيعي الذي تحدده الأبعاد ولا بالشيء المفروض الموهوم الذي تكيفه الأفكار تخيلا واقتراضا وإنما هو الكائن في ذاته لا يحيط به العقول ولا تصل إليه الحواس وكيف والحواس لا تدرك إلا أعراضا لا تلبث أن تزول ، سبحانه لا يعلم شأنه إلا هو

كان الله ولا شيء معه فلا سماء ولا أرض ولا طول ولا عرض ، كان مصدر الخير ومفاسد النعمة كما قال الرسول (ص) عن ربه عز وجل « كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحييت أن اعرف فخلقته الخلق في عروني » أراد الله أن يُعرف بنفسه ويمتاز بألوهيته التي يظهر فيها مظهر الكمال المطلق من قدرة غالبة وإرادة حكيمة وعلم واسع فأبدع من الخلق ما شاء وتوّن بمملكة متأثرة بتلك الصفات الثلاث : فالإرادة وتبينها ، والقدرة أبرزتها ، والعلم حفظها من عبث الجهل الذي هو سبب الفساد في كل شيء

نعم فطر الله الكون على قواعد ونواميس كلية وأقام عليها هذا العالم الأكبر : عالم الحياة الحادثة والحركة المتجددة فأوجد مقوماتها قوى وكتلا مختلفة التركيب والناصر . وقد أثبت العلم أن ما خلقه الباري سبحانه وتعالى ينقسم الى قسمين : مادة ونفس فالمادة عبارة عن الاجسام والجسم عبارة عن كل كتلة أشطت فراغا سواء أمكن النظر اليها أم لا كالهواء والماء فإنهما لا لون لهما فلا تدركهما إلا بصار

والنفس عبارة عن معانٍ مجردة لا تشغل فراغا ولا تتزاحم مع غيرها من أنواعها ولا يزاحمها أيضا غيرها والدليل على ذلك قريب وهو انه يوجد في

(*) محاضرة للشيخ حسين سليمان مفتش مدارس المروة الوثقى بالاسكندرية القاها في نادي مؤتلفي الحكومة بالاسكندرية بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الإنسان طريقان : طريق خاص بالأشياء الجسدية هو التلم يوصل الغذاء الى قاعة جسمية أيضا هي المعدة بحيث لا يمكن أن يشغل فراغها شاغل لا يصح أن لا يقف عند حد محدود في كيته وذلك كالغذاء النازل فيها فهي امتلات دفت . وطريق فسيائي مودده الحس المشترك وقاعة المحافظة قبل من المعلومات ما لا يتناهي لا تضيق بعلم دون آخر بل هي قابلة لأن تناول كل المعلومات التي تصل اليها معها بلغ مبلغ كيتها

وقد قبل في النفس آراء كثيرة لا حاجة بها هنا . ومن المادة والنفس كانت التكوين فكانت هذه المجموعة وأودعت السلطة أرقى نفس فيها أنفيس عليها من لدن الباري جل وعلا صفة العلم فكان الإنسان بها خليفة وملكاً سخر له غيره من عالم المخلوقات

واقسمت المادة باعتبار مميزاتهما الى ثلاثة اقسام : حيوان ونبات وجماد . وهي مرتبطة بعضها بعض ارتباطاً يقتضي أن يكون وجود الثلاثة في آن واحد إذ لا غنى للحيوان عن النبات ولا النبات عن الحيوان والكل قله الأرض وتعليه من خواصها ما يحتاج اليه . ويظهر من ذلك ان الكائنات كلها لم توجد دفعة واحدة كما هو رأي الفلاسفة وانما وجدت بتدريج حيث كانت العوالم العلوية الفياضة ومنها سائر التأثير في العالم السفلي ومن ذلك ربما يصدق قول بعض المنجمين الذين يرصدون الافلاك فيستخرجون من أشكالها حوادث جوية ووقائع أرضية (*)

قد يظن انسان ان النبات ليس محتاجا الى الحيوان كلاً فان النبات محتاج في حياته الى الحيوان فانه يتنفس كالحيوان وينهما في هذه الصفة ارتباط شديد فالحيوان يتقي الهواء للنبات والنبات يتقي الهواء للحيوان واليك الغاية دليلاً وهي المكان الطبيعي الذي لا يخلو من وجودهما فهما يتبادلان منفعتيهما . والغرض من هذا الارتباط العظيم بقاء ذلك الكون الى أجله المحدود تتوارد عليه عوامل الترقى كلما كشف العلم عن أسرارهم وأبان البحث والتقيب خفاياه (سنة أن ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

(*) لعل الكاتب يعني بالمنجمين غير علماء الفلك الذين يتنون اقوالهم على المشاهدات والتواعد الصحيحة فان هؤلاء منطوع في صدمهم اما المنجمون فلعلمهم المعخر قرون الجاهلون الذين يرفون عمالاً يرفون

أيها السادة : — الترقى في الكون لا يقتضي تغييرا ولا تبديلا في نواحيه
(لا تبديل لخلق الله) والا لا قلبت الحقائق وذلك ضرب من المحال وإنما ترقى
الكون عبارة عن تحسين مادة أجمع العناصر التي تتألف منها كتناسب الأوضاع
وتوفيق الألوان واتحاد المذايب واقترب ما قافر منها بالمعالجة بالعلم والتربية .
انظروا الى الانسان الاول واحتياجاته فكيف علم حتى عمل حتى وصل الى ما هو
عليه الآن من المدنية الباهرة والذي يكفل ذلك إنما هو العلم الصحيح . هذا
مبدأ صحيح وقاعدة يجب الاعتماد عليها والإساءة المحال وقبح المآل فإذا يجب على
التعاونين والمتعاونين قبل دخولها في التعاون والتفكير الاتحاد والاتلاف وما
أخرى الزوجين أن يكونا كذلك فيما ان لم يأتيا كانا مدمرة شقاء لا ينهما زعيم
فساد لتدريتهما فطرف الرجل وامراته قبل الاقتران بها أمر ضروري طبيعي حتى
يم ذلك التقسيم الشرعي في قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فالخبيث يرى الخبيث فضيلة في غيره
والطيب لا يرى الفضيلة في غير الطيب والاوجب حل العقدة وفك الشراكة
وقد جاء في الحكم من العرب « ان لم يكن وفاق ففراق » ففما تغيرت تلك
المبادئ الطبيعية أو تنكرت فعلى مر الزمان يضطر الى الرجوع اليها هذا ما حدا
بالأرويين الآن الى ان يحلوا عقدة الزواج بمجرد اختيار أحد الزوجين وقد
بلغ التنافر بعضهم الى حد مدهش هو ما روت به بعض الصحف من طلاق امرأة
زوجها لكون لون شعره لم ياتلف بصبح أثاث منزلها الذي أفقت فيه مباهة
طائلا وما أظلم تلك المرافقات لم تزيح أثاثها أولى من بيع بطيها ! بل ما أظلم الشريعة أو
القانون الذي يقرها على صنعها ! . فقدة الزواج عندنا يحضرات الاخوان عقدة
ذنوب عقدت مصالح اسرية كثيرة يجب ان نضعها دائما على خاتمة البحث والتفكير
والترقى في الكون له أسباب كثيرة وأول أساس فيه المال وما ورد في شريعتنا
النراء من مقال الزهد في المال والتحذير من فتنة الدنيا فانما الغرض منه البعد عن
الكبر وذيلة تلصق بالانسانية الا وهي الحرص الذي هو عبارة عن حب المال لذاته
وهذا اقبح ما يكون في الانسان

ومن الترقى في الكون الاقتصاد في المادة للمحافظة على قوتها النامية لأن الاقتصاد هو التوسط فإذا أضف الأرض نبات ضروري كالقطن مثلاً وجب أن يستتبت فيها عاماً بعد عام حفظاً لحياة الأرض ويمكننا أن نقيس على هذا المثال الكبير غيره حتى نصل إلى أقل الخلائق : النملة قد تحرقوت شتاتها من صيفها فخالفة هذه القاعدة عصياناً للترقى وجفاءً للتقدم ، والفلاح الذي يزرع الأرض قطناً عامين متواليين طمعاً في سعة الرزق جاهل غي يختار كثيراً يتقطع عنه على قليل يدوم عليه وقد قالت العقلاء (قليل تدوم عليه خير من كثير تتقطع عنه)

ومن الترقى في الكون المدنية العلمية وذلك بإيجاد الصناعات والصمود بها إلى مدارج الترقى حتى تصل إلى تسخير الجاد ليأخذ عن الحيوان ما يجوده كاستخدام البخار والكهرباء لراحة الحيوان وأتجاه قوى الإنسان الجسمانية إلى مساعدة القوى العقلية وهذا سبب صحيح لترقى العمل والصناعة فإن الصانع المفكر لا يشك في أنه يأتي بصناعة متينة لا يوفق لها الصانع المسخر وشتان بين من يعمل بواسطة عقله ومن يعمل بما اعتادت عليه يده . اني لا أظن في هذا المكان اذا قلت أن في خبايا الكون إلى الآن اسراراً نستخرجها العقول على مدى الأيام . وقد أثبت العلم أن عقول أهل الطبيعة الحارة أذكى من عقول أهل الباردة فاحسب على الشرق ان استعمل عقله أن يأتي بما لم نستطعه الاوائل

ومن الترقى في الكون العمران . والانسان وان كان مكلفاً بهذه الوظيفة السامية الا انه من العجيب أنه اذا اتسع به الفضاء ادركته الوحشة ومال الى الانس فانضم الى غيره من بني جنسه ليعاونه اولاً على مصالحه وليأمن به ثانياً فاذا ضاق به المكان كره الزحام ومال الى الأثرة وحب النفس وتنازع البقاء مع أقرب الناس اليه وود لو كان هوكل الانسان فما أعجب هذا الانسان . ثم يوجد في المراحة كير فائدة من حيث العمران فقد قال الرسول (ص) والرزق عند نزاحم الاقدام ، الا إنه يلزم ان يكون الناس على نظام يكفل لكل حقه فيقف الاجتمع عند حده ويساق العامة الى العمل متى قدر عليه وذلك بحرماته من الصدقة والاعانة وقد ورد عن ابي مسلم الطهراساني زعيم الدعوة العباسية أنه لما أوصي به أولاده عند قرب منته ان لا يصيروا

كلا ولا يعطوا عالة فيكون في جسم الامة اعضاء تألف الكسل في العمل وحتى لا يوجد دجال ولا ذو عرافة وشعاذ قادر على العمل

هذا القانون هو النظام الذي يسنه الله لعباده إما بطريق الروحي وإما بالهام حكماء الامة وعقلائهم وضعه لذلك . تجد عالم الوثنية قائما في بعض الجهات على قواعد وقوانين وضعها الرؤساء لا يخرج عن النظام والترتيب في المباشرة بل قد تكون أشد في التكليف من الأوضاع الالهية وقد أكد لي خير ان اليابان على ما هم عليه من الوثنية على كعب عال في الاخلاق ويؤيد ذلك بزوغ شمس الحكمة من الهند من قديم الزمان أي قبل أن يصل اليهم الاسلام وعلى أثر ذلك تقول ان فطرة كل مخلوق هي قيامه بالعمل لنفسه أولاً ولما خلق لاجله ثانيا فالعائد متى أخذت قسطها من خواص الارض وظلت نافعة كان ذلك لفائدة غيرها وكذلك النبات ترى النحلة تبحث بجذورها على الماء فقد تدركه على بعد مئة ذراع أو أكثر وذلك بمجهود او قام به حيوان لأن أنين التعب الكادح وكثيرا ماشوهدت جذور النحلة تساقط من بين جدران الآبار الى الماء وبين تلك الآبار مسافة واسعة . كل ذلك الغرض منه حفظ حياتها لتؤدي وظيفتها التي خلقت لاجلها الا وهي تقديم الرطب الجنبي لبني الانسان وكذلك الحيوان يعمل أولاً لقوام حياته ومنه ما يبذل تلك الحياة الثمينة التي تعب في نموها ويتقدم بها الى غيره ضحية لينتفع بها ذلك الغير كدودة القز المملومة التي تظل تعمل لتقدم لنا مادة من أغنى المواد لطافة وأغلاها قيمة ألا وهي الحرير . ومنه ما يفضل علينا بما يخرج من بطنه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس كما أخبر بذلك خالق النحل وموفقها الى هذا العمل الكبير الذي لا يطابق بنيتها حيث قال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

أيها السادة — ما الذي ترونه في هذا الترتيب؟ هل في هذا الترتيب خرق؟ حاشا! هل في هذه الفطرة ظلم وشر؟ كلا، فمن أين يجيء الشر ومتى يكون المخاوق شريرا؟

انظروا الى الترتيب الآتي أيضا : تكون المعادن من مادة الأرض فتقصها وكذلك النبات والحيوان ثم تعود تلك الأشياء إليها ولو باستحالة الصورة فقد موضع النقص منها وهذا سر البقاء فكون فإذا أراد الله إزالتها اختلقت هذه النسب فيحصل الفساد . ذلك ما جنح له كبار علماء التفسير في قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه) فإذا أراد الله القضاء على العالم انقص الأرض والاقاص من الطرف مبدأ طبيعى عند ارادة إبادة الشيء وذهب قوم الى ان طرف الأرض عبارة عن قطبيها ولكني أقول ان طرف الأرض هو مجموع سطحها فكل نقطة فيه تسمى طرفا فكان مجموع سطحها أطراف لها ولذلك عبر سبحانه وتعالى بلفظ الجمع فقال « ننقصها من أطرافها » ولو كان النقص من القطبين كما فهم بعضهم لمبر الله تعالى بلفظ المثنى أي من طرفيها كما هي سنة القرآن الكريم في الاخبار على أن الجزء الذي فيه الانقلاب والتخير من الأرض إنما هو سطحها وهو الذي يعقل ان يعثر به النقص

جعل الله بقاء هذا الكون يتبادل الاشياء الثلاثة وغذاء بعضها من بعض فالأرض تأكل نباتا وحيوانا والنبات يأكل ارضا وحيوانا والحيوان يأكل من الثلاثة وهذه الثلاثة تنقسم الى مراتب بحسب القوة والضعف بحيثيات مختلفة فمن حيث ان الحركة والقوة في العمل ظاهرة للحيوان كان هو أقواها وارقاها ومن حيث ان الأرض هي أم الكل منها تخرج واليها تعود كان الجماد أقواها وأبقاها وإذا بحثنا في الاشياء الثلاثة نجد في كل منها شيئا من الضرر في غير ذاته أي بالنسبة لغيره فقد يكون الجماد ساما كالمعادن الحريفة الشديدة القبض وكذلك بعض النبات والحيوان . ومن الغريب ان للحيوان الغير الناطق خاصة يجذبها من النباتات السام من غير فيجتنبه والطيب من الخبيث فيرعاه ولا يعقل ان تكون الاجسام السامة عديمة الجدوى بل قد تكون نافعة لكذا وضارة بكذا على ان العمدة في الطب القديم والحديث على الجواهر السامة ومن يصدق منا ان البقدونس وهو النبات الطيب المفيد للعمدة والمثانة يقتل البيضاء بمجرد تعاطيه

علم مما تقدم ان الكائنات الثلاثة متماثلة وان منها ما لا يجد قوته الا بالاقتراس وان الانسان على ترقيه العظيم ما هو الا حيوان مفترس الا ان ما أوتيته من الذكاء والتدبير جعل

طبيعة الاقتراس فى منتظمة: الانسان يصطاد الحيوان فان كان دينه يلزمه تذكيته (ذبحه) ذكاه والاخذه أو عبطه أو وقده وفي الذبح بالطريقة الشرعية تخفيف على الحيوان بشرط مراعاة أحكام الذبح الواردة . ولذا كان الذبح من أهم المقاصد الشرعية والديانة الموسوية لها فيه شروط مؤكدة ولا يمد الذبح تعذيبا للحيوان فانه يؤدي به وظيفة خلق لها قال تعالى (والانعام خلقنا لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) والطبيعة الفدائية فى الحيوان كله تشهد بأن الانسان من الحيوانات أكلة اللحم ولو امتنع عن أكل اللحم أربعين يوما ضعف مزاجه جدا وربما يمرض مرضا شديدا لو استمر أكثر من ذلك اللهم الا اذا تعود الامر وحينئذ يصبر كل اللحم ضاراً له . الذبح عبارة عن قطع الودجين وانما يقطعان فى لحظة فلا يكاد يحس الحيوان لان الجسم حينئذ يكون انفصل عن المخ الذي هو مركز الاحساس

نعم ليس فى ذبح الحيوان تعذيب . وانما التعذيب هو أن يعيش عاملا فوق طاقته أو يكون على خلاف طبيعته وهي الحال التي تقضي على ذوي العقول بالانتحار نخلصا من شر الحياة . ورد عن الرسول (ص) « اتقوا الله فى البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وجاء عن بعض الفلاسفة أنه ترفع عن أكل اللحم مدة حياته كأبي الملاء المعري وقد فهم قوم ان الذي حمله على ذلك رافة منه وشفقة على الحيوان هذا ان لم نعتقد أنه ناشئ من فاقة كان عليها ذلك الحكيم كما جاء فى بعض رسائله ومثل هؤلاء من يضرب على نفسه بسور من حديد حتى لا تلزمه الحاجة الواسعة فيشتق فى طلبها . على أن الامر ليس كذلك فحاشا ان يجهل المعري ومن نحا نحوه من الفلاسفة أسرار التكوين وانما الغرض من ذلك ان يكسر سورة نفسه فتتجرد من حجاب الجسم الكثيف الذي تزيده الشهوات والذات ظلمة فتصفو صفاء ما الذي ظهر فى شعره الحكيم . وهذا هو السبب الحقيقى الذي فرض الشارع لاجله الصوم تقليلا لتلك الشهوات

اذا تقرر هذا المبدأ أقول ليس فى الحيوان شر قط خصوصا ما كان منه ابله اذ لا فكر توجد به امراض القاب كالحقد والحسد والغرور والاثرة وغير ذلك من امراض الانسان فكما ان العقل زينة له كان هو مصيبة عليه ذلك مذهب عامة

الفلاسفة يدرك على ذلك ترفع الأسد عن العودة الى قريسته معها نهكة الجوع لكونه يأمن من نفسه قوة تهين له طعامه متى شاء

وبما ائتمس الانسان بوحوش الحيوان ورافق الثعبان فلا يرى منه الا المسألة المطلقة ويأمن له أ كثر من أخيه الانسان قال ابو العلاء المبري رحمه الله :

عوى الذئب فاستأنست للذئب اذ عوى وصوت انسان فكنت اظير

وهذه الحكمة مبنية على ما تقدم من انه قد يوجد الانسان بين جماعات ادنياء

من الناس فلا يأمن على حياته منهم ويفضل وجوده مع الوحش على وجوده مع هؤلاء

الناس . وما كان خلقه من الحيوان الاذى والضرر كما نطن فانه لا يخرج أيضا

بهذا الخلق عن كونه يوذي وظيفة اضطرته اليها طبيعة فيه كالقارة مثلا تترقب

فرصة الليل السادل خيمته على العباد فتبت تهرض طول ليلا ففسد الاثاث

والرياش ويعلم الله انها لا تعلم له قيمة ولا تصور له لطافة وما ذلك الا لكونها

خلقت حادة الاسنان رتاج كثيرا لتغلبها وكذا المقرب ليس بينه وبين غيره

ثأر فيخرج ليأخذ به بذنبه ولكنه لكونه خلق أعى راه يخشى دائما في سببه

فيتحصن بذنبه وهذا خلق فيه فلا لوم عليه

فان قلت اذا كان الامر كذلك فكيف اباحت الشريعة الرشيدة لنا قتل

هذه الحيوانات ؟ قلت ان هناك مبدأ عمرانيا ضروريا هو ائتلاف الحقيقر لحفظ العظيم

وقبالبه في ذلك قاعدة أصولية هي : إئتلاف الثلث لاصلاح الثلثين جائز

فاذا كان من خلق القارة البعث بالاشياء الصالحة وجب قتلها حتى تحفظ

تلك الاشياء من التلغ كما اذا كان عضو من الاعضاء ضارا بالجسم وجب قطعه وعلى

ذلك أباح الشارع أيضا الحكم بالاعدام على القاتل وهو ذلك العمل الذي هو

عبارة عن إزهاق الروح ومصادرة البارئ جل وعلا في منحة عبادته صفة الحياة

فكيف يصح للشارع وهو الذي ينكر ذلك العمل الفظيع بالامس ان يأتي به اليوم

وقد استفظه من غيره ؟

يقال ذلك إذا كان الغرض من الاعدام الاخذ بثأر المقتول فقط ثم إنه

لا فائدة تحصل للمقتول أو لاهله من قتل القاتل كلا انما الغرض من القصاص تأديب

من كان في نفسه مطمح الى هذا الجرم فيرى انه مقتول لا محالة والنفس عزيزة خصوصا اذا كانت الجرأة على القتل بامل ليس له كبير تأثير فيها كالاختلاس مثلا أما اذا ضاق بها الامر وكرهت البقاء عليه كالذئب والظلم وهتك العرض ورد الصائل تقابلت الصدور بالسهم ورأت اللة في آلام الحمام

يهون علينا ان نصاب جسومنا ونسلم اعراض لنا وعقول
وهذه حالة استثنائية عسى لا يؤخذ القانون مرتكبها لان النفوس في ذلك تقدر
رشدتها بخلاف القتل باسباب ساقطة ولا يثنى ذلك الامن الجبناء فكان القصاص
لا حدم اعظم رادع هذا هو معنى الحياة الذي استتبعه عقلاء التشريع من قوله تعالى
(ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون) لولا هذا النظر ما استفاد
اهل المقتول من القاتل شيئا أما أخذ الدية فهو امر ثانوي قد يكون فيه سلوان
لاولياء الدم متى كانوا فقراء وليست بمبتسرة في كل الاوقات . على ان المروءة
والاباء يأبى ان أخذ الدية خصوصا متى كان القتل حاصلا بسوء القصد وذلك يشفي
صدر اهل القتل بموت عدوهم وليس هذا بشي ولا يجدا عمرا في متى قصر النظر عليه
فلو قابلنا كل شي بشي مثله في التلف لما مكثت الدنيا أكثر من مئة عام مثلا :
عمرو هلم بيت زيد وزيد يهدم بيت عمرو وخالد مرق ثوب بكر وبكر يمزق
ثوب خالد . . .

أما اذا كان القتل اتفاقا وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر أو كان بمحض الخطأ
فان الدية لا بأس بها متى تبسرت

ومن الترقى في الكون التمتع بحرية العدل واقامة قانون تدين اليه جميع الروس
يكفل التساوي بين الناس في حقوقهم . ذلك القانون كان في قديم الزمان عبادة
عن أحكام اصطلاحية تتفق عليها الامة سواء أكانت حكمة أي مطابقة للناموس
العام كالشرائع السماوية والاحكام الديمقراطية أم موافقة لاجواء البلاد واجسام
سكانها كالأحكام العرفية التي تختلف كثيرا باختلاف الاجيال واستعداد الاجسام .
يأتي في الامة جيل لا يردع الا بالسوط ، كما يأتي فيها عينا جيل يؤدبه الصوت .
هنا توجد قاعدة ينبغي ان نذكرها لمناسبة ذكر العدل الا وهي قولهم (التساوي

في الظلم عدل) كيف يكون التساوي في الظلم عدلا وكيف يصح ان يكون الظلم مصدرا للعدل والعدل مصدرا للظلم مثلا ؟ نعم قد يضطر الانسان احيانا الى استعمال الظلم معتقدا انه ظلم اذا لا بد منه ولكنه حينئذ لا يسمى ظلما وانما يسمى سياسة وهذه القاعدة واسعة الدائرة تشمل القيام على حقوق الانسان والدخول في شخصيته متى كان لا يحسنها وذلك كالحجر على السفهاء والقيام على اليتامى والوصايا على القاصرين ومصادرة السكران والضرب على ايدي المقامرین ومنع الربا واحتسابه الى قدر معلوم وغير ذلك كما هو خاص بالاحوال الشخصية التي ربما يقال ان الاتفاق فيها يبررها نعم انه يوجد في قواعد التشريع أيضا قولهم لا مشاحة في الاصطلاح ولا حكم بعد الاتفاق . والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وبقيت على تلك القواعد احوال اهمها اباحة القتل للمتبارزين كما في قانون نابليون الا ان مثل تلك الاتفاقات قد تضربا لمجموع الكلي اذ انه مركب من الافراد فساغ اذا للحكومة اقامة عليه المشوثة عنه ان تضرب على ما يتطرق اليه من الفساد ولو أدى ذلك الى مصادرة الافراد

بقي لنا في هذا المركز نقطة يجب ان تعرض لها لا وافيكم علما بها حاشا فانكم عالمون متمدنون اعلم مني بها وانما أرجو ان تنشرونا فيعرفها الجاهل الاوهي كلمة الحرية التي كثير من جهائنا ينطقون بها ولا يفهمون معناها الحقيقي نعم كثير من الناس من يجهل معنى هذه الكلمة بل بعضهم يفهم منها عكسها عكسا مضطردا ويرى ان الحرية في إطلاقه يعني في الأرض بسكر وعري عذبة وتهتك وإبتدال وان الرجل والمرأة في ذلك سواء . فتخرج متبرجة على ما يخالف جميع أجناس النساء الكاملات تحجب وجوهها وتكشف زينةهن واسترأسهن وتكشف عن ساقها واذا كست زينةا بالقفازين (الجوتني) اظهرت زينتها يا بعض الرجال معايب زينةا وت هذه المعايب المتقدمة مما يدل على الانسان المصري في هذه البلاد معكوس الحال ولو امكنه أن يمشي برأسه لا تقلب يمشي عليه حافيا في العكس المضطردا ما هذه الحرية أيها السادة ؟ ان الحرية كدلا يخفى عليكم عبارة عن التساوي الممكن بين أفراد الناس وهو المبدأ الذي يجب المحافظة عليه . ومحبة الحرية أول من يحترم حقوق الغير محافظة

على حققة هو أيضا وهو أول من يقول بالأدب وتربية النفس لتمثل الناس بأحسن العادات ومكارم الاخلاق فتتمتع بمواهبها وتطلق عنان فكرها في ميادين حريتها بما لا يخرج عما وضعه قانون عمرائها وأقره عقلاء امتها

الإنسان - ايها السادة - مطلق مقيد وليس هذا بحجيب بل هذا من لوازمه وليس ذلك حاطا من كرامته ولو لا ذلك لاشبه الحيوان لانه لو كان مطلقا فقط لاشبه سوام الماشية وهمل الحيوان كالكلاب والقطط ولو كان مقيدا فقط لاشبه اذلاء الحيوان كالنار والبغل والجل فجأة اطلاقه هي جهة حريته يتصرف فيها كيف يشاء لا يسأل عما ملك ولا عما ذهب بشرط أن لا يخرج ذلك عما قدمناه . وجهة تقيده هي جهة قيامه بواجباته كادائه لآله واهيه وزوجه وبنيه وفصيلته التي توؤيه وملازمته عادات قومه الضرورية التي قد يختل النظام بتركها كترك لفته باستعمال غيرها واحتقاره مصنوعات بلاده وغير ذلك مما نراه سببا في انحطاط كثير من الأمم وادائه أيضا لجماعته ووطنه حتى يعمل هو أيضا لغيره كما قدمناه في قسيمه الحيوان والنبات

ايها السادة - اني اذكر لكم نتيجة استنتاجها مما كتبه العلامة ابن خلدون في هذا المقام تحت عنوان (المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض وان الربع الشمالي منها اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك) افاض الحديث هذا العالم الجليل وبعد ان عرف الارض وخطوطها وذكر منها خطوط الطول والعرض ومدار الكواكب واختلاف مسقط اشعة الشمس باعتبار الزوايا الثلاث برهن على أن الجزء الشمالي منها كثير العمران وذلك بسبب توفر الرطوبة فيه حيث قال

« وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسايتم من التكوين لانه اذا افراط المرجنت المياه والرطوبة وقصد التكوين في المدن والحيوان والنبات إذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة » ولا بأس هنا بذكر جملة فلكية عن هذا الاستاذ اتقانا للموضوع قال « اذا مال رأس السرطان عن سمت الروموس في عرض خمسة وعشرين فما بعده - اي بعد هذا المدد - نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال

او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا بنقصان الحر وان كمية البرد لا تؤثر عن اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا يجفيف فيها الا عند الافراط بما يمرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر وأوفر والله اعلم . اهـ

هذا الربع هو عبارة عن قارة أوروبا وهي حقيقة أعظم القارات عمرا ونبجني من موضوع هذا العمران الكبير هي ان الحضارة والعمران الترفي انما هو نتيجة طبيعة القارة لا أن للاوربيين عقولا استثنائية تتفاوت عن غيرها كما يفهم بعض المتوهمين بالغرب . واذا كنا نحن أيها السادة لا نجد من طبيعة جونا مصنا كولاة افلا يجعل بنا ان نهاض ذلك من أنفسنا قوة وشجاعة حتى نشاوى مع اولئك الاوربيين ولعل ذلك سر ذكاه اهل البلاد الحارة فان الله الحكيم الطليم يبعث بالمعونة على قدر المرونة فاعطانا ما أنقصه منا من خاصة ارضنا ذكاه وجلبدا حبذا لو قدرناه واستعملناه

ومن أسباب الترفي في الكون المطاوعة لقاديره والتصرف في حوادثه وذلك ما يبرر عن ضده بالجمود قال افلاطون : لا تكرر هوا اولادكم على اخلافكم فانهم خطفوا لزمان غير زمانكم، وهذا أمر ضروري ان لم يكن طوعا فليكن كرها واشريعتنا فيه نظر حكمة ورشاد قال الله تعالى (ما نسخ من آية أو نسخها نأت بخير منها أو مثلها) يعني اذا نسخ الله حكما أنى لنا باحسن منه أو بمثله في زمان أو حال يناسبه حيث كان لاتناسبه حاله الاولى وليس ذلك بكبير على الله لانه ليس الغرض منه ان الله تعالى يجهل موافقة الاحكام لاوقاتها حاشا فهذا شيء مستحيل عقلا انما الغرض من ذلك وضع مبدل للمكلفين يتصرفون فيه بحسب ضرورتهم والنسخ بالبداهة لا يتأتى الا في المعاملات المبنية على الاوامر والنواهي وليس بمعقول ان ينسخ توحيد بغيره ولا ان تبدل صلاة بصلاة بل قد يتبدل الحكم بغيره للتخفيف أو التشديد كنسخ

الوصية للأقارب بالميراث وعدة الوفاة من الحول الى اربعة أشهر وعشر ذلك كما قال العلامة الخطيب الشريني لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره . اهـ وكان لسيدنا عمر رضي الله عنه في ذلك أحكام خاصة منها ايقاع الطلاق ثلاثا دفعة واحدة واقامة صلاة التراويح في عشاء رمضان واحكام استثنائية كثيرة في معاملة أهل الذمة لأنخرج عن كونها سياسية أكثر منها شرعية

ومن الترقى في الكون ايجاد قوة الجماعة كاشتراك الأفراد في الأعمال وأهمها هذه الشركات ومن يكن في ريب من ذلك فليسال عنها الجالية الاوربية النازلة بنا حيث اننا لم نوفق لها حتى الآن نسأل الله حسن التوفيق

هذا أيها السادق ما حضرني من اسباب الترقى الضرورية وهناك اسباب كالية لأنخرج من تحسين ذلك النظام القديم منها الجمعيات والمتدييات والمتنزهات وهي وان كانت كالية الا انها لا بد منها لكل أمة بغية الوصول الى الكمال والله الهادي الى سواء السبيل

أشارت على الجمعية

﴿ اسماء عربية لمسميات افريقية ﴾

يعني أعضاء نادي دارالعلوم بمصر بالتنقيب عن اسماء عربية لبعض المسميات الافريقية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا او عربوه والاشتقاق والتعريب ليسا جديدين في اللغة بل هما جائزان وواجب ان يصار اليهما عند الحاجة . ونحن نقول للقراء ما وقع عليه الاختيار في الاجتماع الاول لأعضاء النادي وستثبت كل ما يختارونه على ان كثيرا من هذه الكلمات قد استعملت من قبل وافر الاعضاء على استعمالها اقرارا وهذه هي الكلمات :

(استمارة) يرى أعضاء النادي استعمال (استمارة) وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استميار بالتسويل وحذف التاء ولكنهم رأوا إثبات التاء

لا التزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره
(انقيتارو) ترجمت بلفظة (مدرج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء

يجمع عليها

(بلوك نوت) تعريبها (اضمائة) ومعناها الاوراق منضمة

(بويه) نظرت اللجنة فيما يستصل للتولين فوجدته على نوعين : نوع يتخلل

اجزاء الاجسام فاختلفت له كلمة (صبح) كصبغ الثياب والورق وما اشبهه . ونوع

يملأ السطوح فاختلفت له كلمة (طلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

(تحتة بوش) وهو ما يسميه الافرنج (veranda) وتعريبه (نجيرة) فقد جاء

في لسان العرب ان النجيرة سقفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

(ترايزه او طاولة) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعا : فيها ما هو للأكل

وهذا (خوان) ويسمى حين وضع الاكل عليه (مائدة) ومنها ما توضع عليه الاشياء

المتخافة وهذه (منضدة) مشتقة من المنضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه

بعض الثعوبين بجزء المتاع وخياره . ومنها ما هو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة

(مكتب) المستعملة

(ترسينه) ان ما يخرج عن البناء منه ما هو مفطى وهذا يسمى (كُنة) ومنه

ما هو مكشوف وهذا (طنن) والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة

في الدار . على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي (شرفة) وقد كثر استعمالها . وقد

ورد في الاغانى بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها الاجنة لفظة (مرمى) على ان كلمة (محجج) الشائعة في

سورية تؤدي نفس المعنى

(خارطة) وصحبها (خريطة)

(دوسيه) تعريبها (ملف)

(شباة او تعليق) وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين : اولها ذؤعود

متوسط وشباب بارزة فاختلفت له كلمة (غدان) وهو في اللغة د قضيب تعلق

عليه الثياب والثاني يثبت في الحائط فاختلفت له لفظة (شجاب)

(طا بور) الكلمة عربية حُرِّفَتْ وصحِّحها (طا بور)
 (كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولا مانع من الاستغناء عن
 المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)
 وقد رأيت اللجنة ايضا استبدال (سيناتوغراف) بكلمة (خيالة) * وهي كل
 ما تراهى لك من الصور (وفوتوغراف) بـ (الحاكى) و (ميغوغراف) (بمطبعة
 النضج) و (تيب ريتير) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع
 وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى ا كبر مميز لتلك المطبعة ،
 على ان كلمة (الآلة الكتابية) او (الكتابة) فقط أقرب من مطبعة الازرار

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تقرير السر الدين غورست سنة ١٩٠٩ ﴾

اصدرت ادارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ اكثر من شهر مترجماً بالعربية
 حسب عاداتها وقد اهدت اليها نسخة منه ضاق المار الخامس عن الكتابة عنها. وهذا
 التقرير حافل بالتفصيلات عن ادارة القطر المصري وروح الاعمال فيه وقد صرنا
 من هذا التقرير الفصل المقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم
 ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتائب والزيادة بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج
 مما يدل على ان هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وثماره يافئة ان شاء
 الله تعالى

تقدم العلم في هذه البلاد نام سريع ولا يزيد بتقدم العلم توفيق قومنا للاختراعات
 المفيدة والاكتشافات الجديدة وانما يزيد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه فانا
 لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول الى هذه الغاية على اننا سائرون في الطريق وعلى
 الله قصد السبيل. وانه ليعجزنا ان تكون التربية في ارق كاس واتكاس وتبدل وانحطاط

* (المار : الصواب ان يقال : استبدال (خيالة) بكلمة (سيناتوغراف))

وليس العلم يبلغ إيماناً ملائماً إذ لم يثرب تربية صحيحة تفرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين وأنه لو لمنا أن تكون مدارس الحكومة والمدارس الأهلية شرعاً في إهمال امر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الأجانب التي تخلق تلاميذها باخلاق يخرجون بها من قوميتهم ومجتمعاتهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا ولا حول ولا قوة إلا بالله فنحن قومنا بالسياسة فصرفهم أكاذيبها عن العمل النافع لهذه الأمة النجاسة وصدفت بهم عن الطريق المعبود والسبيل اللائق ، فاهوا في يدهاء طامسة الصوى والأعلام ، وأوغلوا في تأويل الرؤى والأحلام ، وخذعوا الناس بزهو القول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالأعمال الجسام ، اللهم عونا وغفرا ! هل جنى من قبلنا من السياسة ما كانوا يطمحون إليه حتى تكون لنا أسوة حسنة بهم فننشد في السير على آثارهم وقتفي سيرتهم فنكون متابعتنا لهم حذو القذة بالقذة ؟ ! اللهم لا !

فهذه أيها القوم وأوفضوا سراعا وانسلوا من كل حذب إلى مهيم العلم الصحيح والتربية السالمة ولا يتم ذلك إلا بنشر التعليم الأهلي وإن أهل الذراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد ولا يرى أنهم يرضون لأنفسهم أن يكونوا دون جمعية الفصائل في فرنسا التي أنشأت مدارس كثيرة أو دون تلك الفتاة الأمريكية التي أسست إحدى عشرة مدرسة كلية !

ولمنا نشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المجلد السابع

﴿ مبادئ الفلسفة القديمة ﴾

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي أن يقدم قبل تعليم فلسفة أرسطو) وكتاب (عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الإسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عشر بنشر المكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الفندي الخطيب وعبد الفتاح الفندي القناني طبع بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ وثمنها قرشان ونصف قرش وتباع بمكتبة المنار والمكتبة السلفية بمصر

أهدت إلينا المكتبة السلفية هذا الأثر القديم لأحد فلاسفة الإسلام الأعلام مصدرا بترجمة حافلة ومؤلف فيها بيان أصوله ومنهجه وطلبه للعالم وحكاياته مع معاصريه

من العلماء والأمراء وذكر ملخص تاريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلسفة و بيان مصنفاته وغير ذلك من الاشياء التي تعرف بالمؤلف تعريفًا تامًا وما جاء فيها بعنوان « فلسفته » اي فلسفة المؤلف ما نصه :

« ولم يكن افارابي فلسفة خاصة به ، أو مذهب فيها أثر عنه ، وغاية ما يمكننا التوصل به للوصول الى معرفة آرائه ومبادئه ومصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبثرة والنصول والتعليق كما ذكرنا

« ومن أهم ما صنّفه كتابه في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهب فيه . وقد قسم افارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة أقسام : ١ - علوم الله ، ٢ - علم المنطق وفيه الخطابة والجدل ، ٣ - الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقى وجبر الأقاليم والأحجام ويدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والأحلام وعلم الجو والهواء ، ٤ - العلوم الطبيعية وهي عشرة ، ٥ - العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة ، ٦ - علم الكلام وما وراء الطبيعة .

« وهذا التقسيم كثير أوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء أوروبا في المصور الأخيرة ، وافارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات واكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية . ويلاحظ قراء كتب افارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الأصول والفروع وذلك ما أسس عليه كونت خطته في تقسيم العلوم ثم هذه هي برت سنسر وقعه . »

قلنا هذه الفقرة ليطلع عليها اهل الجود الذين باتوا يهرمون بممارسة هذه العلوم والتوفر على دراستها عسى ان يترجحوا عن مواقف جهودهم فيخرجوا من مأزق مناقشاتهم وتحملاتهم النظرية الى قضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدينية العبدية واذا كان يرضيهم احتذاء الأوربيين فليهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين

والكتاب مفيد في بابه بل لا نظير له فهو كنز من جامع تعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لأصولها وله فهرس حاو لأسماء الأماكن والأعلام الواردة في الكتاب

وهذا من محسنات الكتاب ومنها جودة الطبع والترتيب فنحت الراغبين في تعرف
الفلسفة القديمة على اقتائه



﴿ القطار السريع لعلم البديع ﴾

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفي بك ناصف القاضي بالحكام الاهلية
ومدرس علم الادب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق
وقد اختار المؤلف شرح بديعة هي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلتها بين الادباء
ولأن في آياتها ذكر الأنواع البديعية . مثال ذلك قوله في مطلعها مشيراً الى حسن
الابتداء وبراعة الاستهلال :

لي في « ابتداء » مدحك يا عرب ذي سلم « براءة تستهل » الدمع كالديم
وقد اعجبنا هذا الكتاب أكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد « ان
لم يحفظ على الغيب » فانه يوضح في الجيب » كما قال مؤلفه ويمكن للطالب أن
يضرب بسهم في علم البديع اذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الاستاذ

انا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فاني أرى معرفته ضرورية
للمارمي العلوم العربية لانه حلقة من سلسلتها فلا يحسن ان يبقى طالب هذه العلوم في
محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كمتحلي مذهب دارون مضطرباً متلصبا حلقة
المفقودة ا على ان حفي بك قد اشرع السبل للربح في علم البديع وادناهم من
هذه الحلقة ولكن من اين للدارونيين بحفي بك آخر يدنيهم من متاهم الواسع ؟
وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعا متقنا وجعل ثمنها قرشا
ونصف قرش وتطاب من المكتبات المشهورة



﴿ الاستثناء ﴾

ماذا يقول الملاحدة والاكافرون بالله تليدا في امراض الافراد والامم

الادوية ؟ وما رأيهم في علاجها ياترى ؟ هل يستسلمون الزعم أن تبين اضرار هذه الامراض وسوء عاقبتها للبشر بها يأخذ بشكائهم فحسبهم ويرجمهم عنها ؟ ! إن كانوا يزعمون هذا - وهم زاعمون - فلا مشاحة في انهم مكابرون للحق مدابرون

لا ريب في ان الاستثناء من افك تلك الامراض الادوية في عقول الشبان وجسودهم ولان انتهى عن ممارسته متعب بتيبين ضرره في جسده وعقله فقد يزدجر بوزائه من من تأدبوا بآداب الدين ونخلقوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الامراض الويلة لا سيما وان الشبان يوتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الاقناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تنصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه ! لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب « الاستثناء » الدكتور هـ . فورييه أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير الى نهى الدين عن الاستثناء وإيجاد مزاويله بأشد العقوبات ، والنصوص مستفيضة في الدين الاسلامي على تحريم الاستثناء وعده من الموبقات الكبار ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب في صحي فان الغرض منه الفائدة لا الدراسة

وفي الكتاب فوائد كثيرة ابلغها عظمة ذكر مصير ممارسي الاستثناء وما مصيرهم الا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر . وقد اتفدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستثناء الكثيرة التي تعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون . هذه غائتها فافادتها ! !

وهو ياع بشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات

القضاء والنواب

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري افندي العسلي الدمشقي « قاعقام » الناصرة الم فيها بتاريخ القضاء في الاسلام وادواره واقسامه بعد بحث ودرس . قال : « وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالمت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملة الاشياء والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري

٤٦٤ من الحياة . النصيحة الاحسانية . الاتحاد الاسلامي (المارچ ١٣٣٦ م)

وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الامة في اختلاف الأئمة والميزان للشمراني
ومعراج الملوك وغيرها ،

وهي مفيدة في بابها فتشكر المؤلف منه ومحمد علي هديته

من الحياة

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقلم الصغير تأليف اللورد
افيري من اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي وقد عني بترجمته بتصرف وديع افندي
البيستاني . اودعه مؤلفه نصائح ثابتة قومه ليكونوا باتباعها سداء في الحياة الدنيا ومن
أكد تلك النصائح واجلها تربية قوة الارادة وصدق المزيمة والشجاعة والثبات وغير
ذلك من كرائم الاخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون . وقد ارشد الي
فوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الاموال وكون هذين هما اساس مجد الامة . وقد
انكرنا على المترجم ترجمته لبعض الفصول بالشعر وتمينا لو كان احكم إنشاء واصح
عبارة . ويطلب من مكتبة المعارف بمصر ومئة ثلاثة قروش صحيحة

النصيحة الاحسانية

قصيدة طويّة للسيد عبدالله بن علوي بن عبدالله المطاس بحث فيها على مماوسة
العلوم والاعمال العمرانية وحبذا هذا الصنع من الاستاذ الناطم وعسى أن يكثر من
هذا النصائح نظما ونثرا

الاتحاد الاسلامي

جريدة انكليزية اصدرها في (طوكيو) عاصمة اليابان احمد افندي فضلي الضابط
بالجيش المصري قبلاً ومحمد بركة الله افندي الروسي . وقد اخذا على عاتقهما تقديم
اليابانيين حقائق الاسلام فتم العمل عملها وحبذا الصنع صنعها وقية اشتراكا
ملتان في العام او عشرة قروش صحيحة وهي قيمة تافهة لاتكاد تقى بنفقات البريد
فنبهت القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الامكان

حسين وصفي رضا

باب الاخبار والآراء

﴿ جمعية العلم والارشاد ﴾

قد عرف القراء موضوع هذه الجمعية العلمية الخيرية التي رحلنا الى دار السلطنة لاجل السعي لتأسيسها فيها. وقد طال الامد على متظري خبر تأسيسها حتى بئس اشدهم غيرة وحرصا وكتبوا الينا ينصحون لنا بترك السعي لها في هذه الطائفة ولو يتسنا كما يتسوا لمدنا أذراجنا كما اقترحوا ولكن اليأس مرض صار واثباتي بلادنا ونحمد الله تعالى أن نجانا منه فلم يجد الى قلبنا سيلا. نعم إني كدت أياأس من بعض من كنت أرجو مساعدتهم من الكبراء ولكن رجائي في الله وتهي توفيقه لم يزد في مظنة اليأس الا قوة ورسوخا بعد السعي الطويل مدة ثمانية أشهر وقع الاتفاق من اصحاب الشأن على تأسيس الجمعية لتكون هي التي تؤسس المدرسة العالية التي نوهنا بها من قبل ووقع الاختيار على ان يكون المؤسسون اثني عشر وهم :

- (١) الشريف جعفر باشا خفيد الشريف عبد المطلب احدا مرء مكة المكرمة السابقين
 - (٢) مصطفى افندي مستشار المشيخة الاسلامية
 - (٣) مصطفى عاصم افندي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين وأحد علماء الآستانة
 - (٤) مومي كاظم افندي من العلماء واعضاء مجلس الاعيان
 - (٥) محمود أسعد افندي من العلماء وناظر الدفتر الخاقاني
 - (٦) حسن فهمي افندي مبعوث سينوب وأحد علمائها
 - (٧) سني الدين افندي معاون مشاور الحقوق بنظارة الاوقاف
 - (٨) فؤاد بك احد أعضاء مجلس شوري الدولة ورئيس كتابه
 - (٩) اسماعيل حتي بك مدير قسم الآهيات والادبيات في دار الفنون ومدرس الاصول والكلام فيها
 - (١٠) احمد نسيم بك بابان احد أعضاء مجلس المعارف
 - (١١) تحسين بك احد أعضاء ديوان المحاسبات
 - (١٢) محمد رشيد رضا صاحب المنار
- (المترج ٦) (٥٩) (المجلد الثالث عشر)

وتقرر أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف لهذه الجمعية دائما
هذا وقد دعي الاعضاء الى الاجتماع الرسمي الاول لانتخاب رئيس لهم في
٢٧ جمادى الاولى بدار القنون . فأما فؤاد بك ونحسين بك فهما في أورد باع حاشية
ولي العهد واما الباقون فمنهم من حضر ومنهم من كان له مانع فكتب ورقة بانتخابه
أو وكل من ينتخب عنه . قالدين حضروا هم الشريف جعفر باشا ومستشار المشيخة
وموسى كاظم افندي واسماعيل حقي بك وأحمد نعيم بك وكاتب هذه السطور وقد
اتفقا جميعا على انتخاب الشريف جعفر باشا رئيسا لهذه الجمعية وعقدت الجلسة الاولى
بريسته فقرئ فيها النظام الرسمي الذي وضعه هذا العاجز فتقرر ان ترسل نسخ منه
الى جميع الاعضاء ليدققوا النظر فيه وان استحسنه كل من قرأه منهم وأن يصدق عليه
بعد المذاكرة في الجلسة الثانية التي تنعقد يوم الاحد الآتي ثم يقدم الى نظارة الداخلية وتقرر
أيضا ان يجتمع الاعضاء في ضحوة كل يوم احد . فالحمد لله أولا وآخرا وإياه نسأل تمام التوفيق
(نفيه) ما ذكر في بعض جرائد العاصمة العربية من ان الجمعية قررت ان
تكون مدرسة دار العلم والارشاد مؤلفة من صنفين كل صنف ٢٠ طالبا لاصحة له فالجمعية
لم تقرر في امر المدرسة شيئا

﴿ النظام الاساسي لجمعية العلم والارشاد ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكم منها ، كذلك
يبين لكم الآيات لعلكم تهتدون » ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون
بالعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تأسيس الجمعية ومقصدتها)

(المادة الاولى) تأسست في دار السعادة جمعية باسم « جمعية العلم والارشاد »

(المادة الثانية) مقصد هذه الجمعية الجمع بين التريية الاسلامية وتعليم العلوم

الدينية والدنيوية والتصنيف فيها . وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في

دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخرج العلماء والمرشدين

(المادة الثالثة) لا تشغل الجمعية سياسة الدولة الطية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها)

(المادة الرابعة) للجمعية رئيسان رئيس شرف ورئيس عامل فرئيس الشرف هو

صاحب المشيخة الاسلامية والرئيس العامل ينتخب من اعضاء مجلس ادارة المركز العمومي

(المادة الخامسة) اعضاء الجمعية ثلاثة اقسام: اعضاء عاملة واطوانة واطوانة واطوانة

شرف، فالعاملون هم الذين يقومون بأمور الجمعية بالفعل والمطاونون هم الذين يشتركون

فيها ببلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة أو كل شهر بالاطراد، واطوانة الشرف هم

عظماء الامة الذين ينفعون الامة بما لهم أو مكائهم من الفضل والكمال فطاعيا

(المادة السادسة) مركز الجمعية العمومي دار السعادة ويكون لها في الخارج شعب

لكل شعبة منها مجلس ادارة

(المادة السابعة) أعضاء مجلس الادارة في المركز العمومي اثني عشر عضوا وهم المؤسسون

للجمعية ماداموا فإذا استقال احدهم أو خلا موضعه بسبب ما فانتخاب بدله ومجازاة من

ينحل من الاعضاء بنظام الجمعية الاساسي كل منها يكون بمقتضى مواد النظام الداخلي للجمعية

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الهيئة العمومية)

(المادة الثامنة) تجتمع الهيئة العمومية للجمعية كل سنة مرة في وقت معين

بدار السعادة وتتألف هذه الهيئة من اعضاء مجلس الادارة من المركز العمومي ومن

منقوبي الشعب الخارجية

(المادة التاسعة) الهيئة العمومية رقية على مجلس الادارة وهي تدقق النظر

في ميزانية الجمعية وفي اعمال مجلس الادارة مدة السنة وتقرر ما تراه في ذلك وما تهرده

يكون نافذا بالاكثرية المطلقة فيما عدا ما اشترط اكثرية ثلثي الآراء

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في أموال الجمعية)

(المادة العاشرة) تكون اموال الجمعية من الاشتراكات الموقرة والاعانات

والبرعات والوصايا والهدايا والاقاف الخيرية التي توقف عليها ومن ريع رأس مالها ومن أجور التعليم في المدارس التي ستنشأ، والمبلغ الاحتياطي يحفظ ويبنى بحسب ما تراه الهيئة العمومية

(المادة الحادية عشرة) مجلس ادارة الجمعية ليس له ان يقرض من مال الجمعية ولا أن يقرض لها الا بقرار من الهيئة العمومية

(المادة الثانية عشرة) تنشر الجمعية في كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ودخلها وخارجها واسماء الباذلين ومقدار ما بذلوه لها، ومن ينهى عن التصريح باسمه يذكر بلقب «فاعل خير» (الخاتمة)

(المادة الثالثة عشرة) يجوز تعديل احكام هذا النظام عند الحاجة بقرار من هيئة العمومية بأكثرية ثلثي الآراء من اعضائها المرتبة

﴿ رأي محمد عبيد الله افندي في صاحب المنار ومشروعه ﴾

نشره في العدد الرابع من جريدته الذي صدر في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨، وهو:
(المدرسة العربية)

« مشروع الاستاذ الفاضل صاحب المنار »

ان الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار الاغراشهر من ان ثوبه بفضلته للقراء اذ قد عرفه واتفق بعلومه كل منور العقل من الامة الاسلامية، وقد قدم الآستانة هذا الفاضل منذ اشهر لمقصد شريف ومشروع جليل يدل على مزيداهتمامه باصلاح الامة الاسلامية وغيرته عليها، وذلك انه ينوي فتح مدرسة عربية في دار الخلافة يدرس فيها كل علم نافع ولا سيما العلوم العربية

وهو لم يزل مقبلا في العاصمة يقابل رجال الحكومة من حين الى آخر ويقاوضهم في هذا المشروع طلبا للمعونة من الحكومة بما يلزم لمشروعه من المال، ونحن وان لم نعلم بالتفصيل ماهي العلوم التي تدرس في هذه المدرسة وكيف تكون طريقة التعليم فيها وكما مدة التحصيل الا اننا نعتقد اعتقادا جازما ان مدرسة عربية برأسها مثل الاستاذ ويقوم بتديرها وترتيبها لجديرة بأن تكون كثيرة المنفعة كبيرة الجدوى خصوصا والعلوم العربية اليوم في اشد الحاجة الى تجديد كذا العربي الصريح يسمى

في نشرها واصلاح طريقة التعليم فيها فقد أصبحت يضرب بصعوبة تطعها المثل عند الناس . وعليه فنحن ننادي اولي الامر من رجال الحكومة بأندي صوتنا ان يلتفتوا الى مشروعه بكل اهتمام ونستعرضهم السمع الى ما يترزع اليه من الامر النافع وليس ذلك بعيد من الحكومة التي هي اليوم تضرب على نغم الاصلاح في كل امر من أمور الامة

﴿ المتدى الادبي ﴾

أسس بعض النجباء من طلبة العرب في المدارس (المكاتب) العالية في الآستانة ناديا سموه « المتدى الادبي » وساعدوا على ذلك كثيرون من أهل الفضل والسعة اعانة لهم على ما قصدوا من أمر التربية والتعليم كانوا قبل ذلك متفرقين قلما يعرف أحد منهم أحدا أو يستفيد من علمه وادبه أو يجرب به الا ما يكون بين المتجاورين في مواضع الإقامة من التلاقي والاجتماع في الملاهي العامة التي تسمى في مدن البلاد العربية بالقهاوي ويسمى الملهى منها في الآستانة « قرائنة » أي بيت القراءة تسمية لها بخبر ما يكون فيها وهو قراءة الجرائد فقط ولا يحسب القاري أنها كحجرات المطالعة او غرف المطالعة المصودة في بعض البلاد التي يوجد فيها كتب كثيرة تقصد لاجلها لا لاجل اللهو بل نحو الحديث او اللعب بالترد وشرب المنبهات قام اعضاء ادارة النادي بشروعه قياما يحمدون عليه فأحسنوا الادارة ونشطوا في تحصيل مبالغ الاشتراك ، وضبطوا الدخل والخرج ، واقتصدوا في النفقة بقدر الاستطاعة ، حتى كان عملهم - وهم مبتدئون فيه - موضع الاعجاب ، ولكن رأى بعض اخوانهم من اعضاء النادي انه كان في الامكان أن يحسنوا ويقتصدوا أكثر مما فعلوا ، واستحسن هؤلاء ان يستبدل بهم غيرهم ليحسروا كما جربوا ، ورأى الآخرون أن هذا مخالف للقانون فيجب ان يتوا مدتهم التي عينها قانون المتدى ، فقال المعارضون نعدل مادة القانون ونعيد الانتخاب ، فاجتمعت الجمعية العمومية للمتدى وبعد المناقشة واخذ الآراء تقرر برأي الاكثريين ان يبقى القانون على ما هو عليه وان لا يعاد الا انتخاب من نص فيه على انتخاب بدل عنهم او اعادة انتخابهم وكان صاحب هذه المجلة وكاتب هذه السطور حاضرا تلك الجلسة وكذلك

حضرها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي فتشهد ان الخلاف بين الاعضاء فيما ذكر لم يكن بدعا من الخلاف في الاندية والجمعيات او مجالس النواب ولا كان مازلا لرجائنا في نابتنا الجديدة في مدارس دارالسلطنة
نؤدي هذه الشهادة وقد سئناها لأن بعض الجرائد العربية نشرت مقالة بامضاء (سائح متلف) أسرف بها في انتقاد المتدى الادبي اسرافا لم نشك عند قرائتها في تعدده لتحامل لغرض ليس لنا ان نقات عليه فيه ، ولا نرى فائدة في بيان ما رى من قوادمه وخوافيه ، وقد تكون له نية حسنة ، استجاز أن يتوصل اليها بتلك الوسيلة السيئة ، ومن كان حسن النية لا يصير على خطأ وهو يعلم ، ولا يدافع عن نفسه اذا ظهر له الحق وتبين ، وقد اساء بعض اعضاء المتدى الظن ببعض اخوانهم الذين يرجي خبرهم ، ولا يخشى أن تضر مثل تلك البادرة إن صرح عزوما اليهم ، فأنصح لهم جميعا ان يغفروا الهفوات ، ويجذب كل منهم أخاه اليه بخير ما يراه من جواذب الفضيلة فيه ، فالكيس من استكثر من الاصدقاء ، والاحق من استكثر من الاعداء ،

خليل حمدي حماده باشا

فجت المملكة العثمانية في هذا الشهر ب وفاة هذا الرجل المصلح الاداري القدير ، والسيامي الخنك الخبير ، نابغة البلاد السورية والمصرية ، والحجة الناهضة على علو استعداد الامة العربية ، شهد بفضل الانكليز وغيرهم من الافرنج بمصر ، واذنعت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة ، فان كنتم الشهادة له الحاسدون والمتعصبون منهم ، فقد نطق بها المنصفون والمستقلون فيهم ، وهاهيك بشهادة مولانا السلطان محمد الخامس الذي كان يلعبه بالخيور ، (غير تلى) والصدور الأعظم حسين حلمي باشا الذي قال عنه انه جاء يملنا كيف تدار الامور ، ثم بشهادة صاحب جريدة ديكي غزته ، وهي أقرب جرائد العاصمة الى الاستقلال ، وجريدة صباح ، الواقعة عند نقطة الاعتدال ، ليس اكبر فضل العقيد في رأني أنه مانيط به عمل الا واقنه ، وانه كان آية في حسن ادارة الجمارك المصرية ، وكان يأتي بالمعجزات في إصلاح نظارة الاوقاف العثمانية ، بل اكبر فضل انه كان علي حسن قيامه باعباء الحكومة ، موجها فضل

عنايته وحمته الى اصلاح شأن الامة . وكان من عمله في ذلك بالقطر المصري جمعية
الحالين في الاسكندرية وتربية اولادهم وتعليمهم ، وجمعية مكارم الاخلاق ، والملاجي
الباسية ، وما خدم به جمعية العروة الوثقى ، ولم يدع الى خدمة عامة الا وكان له فيها
الرأي الصحيح ، والباع الطويل ، فهذه هي المنفعة التي نحتاجها الامة وتفاضل عظماء الرجال
كان رحمه الله اشد من رأيت اهتماما بالمشروع الاصلاحى الذي سميت له
سعيه هنا ، قدره قدره ، وادرك فكره البعيد ما فيه اصلاح الامة وخير الدولة ،
وكان وهو ناظر الاوقاف يعدني بأن يرتقي في مساعدته من مال الاوقاف الى عشرين
ألف ليرة في السنة ، وكان بعد الخروج من نظارة الاوقاف اشد اهتماما بنجاح
المشروع وارجى الناس في مساعدته لانه اعلى من تعرف الا ان همة في السعي والعمل
للمصلحة العامة ، فهو في هذه الفضيلة من طبقة الامتاز الامام وحسن باشا عاصم
رحمهم الله تعالى وعزى هذه الامة المبتلاة بقسط الرجال عنه وعنهما بايجاد من يخلفهم
في ذلك ، ونخص بالتمزية كبريت حماده الحاج محي الدين افندي وسائر الاسرة
الكريمة ، ونسأل الله تعالى أن يحمي ذكر قيدها بذريته المباركة ، كما هو حي بآثاره الحميدة

(الاغلاط التي وقعت في الجزء ٣ وال ٤ وال ٥ وال ٦ من هذا المجلد وصوابها)

(اغلاط ج ٣ م ١٣)			(اغلاط ج ٥ م ١٣)		
صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر
٢٥١	١٧	ما طلمت عليها	ما طلمت عليه	٢٥١	١٧
٢٥٢	٢١	وهو	وهي	٢٥٢	٢١
٢٥٥	١٠	راوية	روايته	٢٥٥	١٠
٢٥٧	١٣	فريقا من	فريقا منكم من	٢٥٧	١٣
٢٥٨	٥	الاقدار	الاكدار	٢٥٨	٥
٢٥٨	٢٠	ومن	وعن	٢٥٨	٢٠
٣٢١	٨	وقيل	قيل	٣٢١	٨
٣٢٢	٨	والاسفرايني	والاسفرايني	٣٢٢	٨
٣٢٢	١٥	المؤمنات المؤمنات	المؤمنات المؤمنات	٣٢٢	١٥
٣٢٢	١٥	ومنها أيضا	وفيه أيضا	٣٢٢	١٥
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	وفي رواية لهما الكبار	٣٢٢	١٨
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	الاشراك بالله والسحر	٣٢٢	١٨
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	وعنوق الوالدين وقتل	٣٢٢	١٨
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	النفس وفي لفظ عند	٣٢٢	١٨
(اغلاط ج ٤ م ١٣)			(اغلاط ج ٤ م ١٣)		
صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر
٢٠٨	٤	الهاء	والهاء	٢٠٨	٤
٢٢٢	٣	السرب	السمانين	٢٢٢	٣
٢٢٨	٢١	وتلويجا	وتلويجا	٢٢٨	٢١
٢٢٨	٢٣	جلي	جلي	٢٢٨	٢٣
٢٢٨	٦	وما	ما	٢٢٨	٦
٢٢٨	١٧	ارنا	رأينا	٢٢٨	١٧
٢٢٨	٥	أحد	كل أحد	٢٢٨	٥
٢٤٣	١٠	جبر	جبر	٢٤٣	١٠
٢٤٣	١٨	وعفى	وعفا	٢٤٣	١٨
٢٤٥	٧	نخلص	نخلص	٢٤٥	٧
٢٤٦	١٠ و ١٢	المظاهرة	المظاهرة	٢٤٦	١٠ و ١٢
٢٤٩	٥	يسد	يسد	٢٤٩	٥
٢٤٩	١١	الحر	الحر	٢٤٩	١١

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٣	٣	وهو من ذاته	وهو في ذاته	٤٠٢	٩	ومن قوله	«من» في قوله
٣٢٥	٨	محترما ولا	محترما للدين ولا	١٦	٤	فأعطوا هؤلاء	فأعطوا أيها
٤	١٣	وان	كان تعد صغيرة وان	٢٠	٤	تعالى رقيب	هو رقيب
٤	١٥	ذنب	ذنب	٢١	٤	وغيرها فلا	وغيرها لأن شأنه الدائم
٣٢٦	٥	الكبائر بحسب	الكبائر إنما تعد كبائر بحسب	٤٠٣	٣	المخاطبين	المحكى عنهم والمخاطبين
٤	٦	وحسب ضررها	ومقدار ضررها	٤	٤	المخاطبون	المحكى عنهم والمخاطبون
٤	٢١	طاعة ازيد	طاعته ازيد	٤	٤	بامتثاله	وبامتثاله
٤	٢٢	محصية	محصيته	٤٠٤	٣	اسلم	اذا اسلم
٣٢٧	٣	المتزلة	المتزلة اهـ	٤٠٤	٩	وجوسي	وجوسي
٤	٤	قال لا لانه	قال لا لانه	وهذه الجملة تلحق بالسطر التاسع صفحة ٤٠٤ وهي : وظاهر ان الذي نسخ هذا الارث هو قوله تعالى (٣٣ : ٢٧) وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تنفخوا الى اوليائكم معروفاً) وهو في سورة الاحزاب اما الموالي في الآية التي تفسرها فهم الوارثون كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (١٩ : ٤) واني خفت الموالي من ورائي) : وبعدها السطر العاشر واوله : هذا وان الاستاذ			
٤	٢٤	لكن هذا	لان هذا	٢١	٤٠٤	الرجال	الرجال
٣٢٩	٦	وانبم	وأبم	٣	٤٠٥	يريد	يريدا
٤	٧	سماح	بسماع	٣	٤٠٥	يوقى	يوقى
٤	٣١	الميتة اهـ	الميتة « اهـ »	٢٣	٤٠٥	عوضا	عوضا
٣٣٠	٦	يكفر من	يكفر - اي يستر	وياسمهم قبل هذا الا بداهم الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه الا بعض الافراد ؟			
٤	٦	دخول	ار دخول	٢١	٤٠٦	ان	ان
٤	٨	وأزاله	وازاله ومحاممه ما دونه من احتقار الملكية الجبري	٢٣	٤٠٦	وتثبت	وتثبت
٤	١٣	عليه . بل	عليه ؟ لا	٢٥	٤٠٦	بوظيفتها	بوظيفتها
٤	١٤	هذا الحسنات	هذا الذنب الحسنات	١	٤٠٨	ويتبع	اقول ويتبع
٤	١٦	درر ابي	در أبي	٦	٤	شئون	شئون
٣٣١	١١	٣٣ : ٣١	٣١ : ٣١	٦	٤	الذي اشير	هو ما اشير
٤	١٧	وعلم	والذي يلزمه عدم	٣٧٩ (تنبيه) البيت الذي في آخر صفحة ٣٧٩ واوله واديب قوم الخ محله في اول صفحة ٣٧٣ قبل البيت الذي اوله يلهم الخ			
٣٣٩	٣	الحكومة	حكومة الدولة	٢	٣٨٥	اتمت لكم	اتمت لكم
٣٤١	١٠	ابدا	قط	١٣	٣٨٦	بلغت	بلغت
٣٥٦	٧	او العرب	وسائر العرب	٢٢	٣٨٧	رحه	رحه
٣٨٥	٢	اتمت لكم	اكملت لكم	٣	٤٠٩	موالي	موالي
٣٨٦	١٣	بلغت	بلغت				
٣٨٧	٢٢	رحه	قال رحمه				
٤٠٩	٣	موالي	موالي				

الفصل الثاني والعشرون *

(الايمان والآيات وخوارق العادات)

قال بعض الناس في تلك الأيام لا عجب اذا آمنت « خديجة » ببعثها فان رابطة الزوجية تستدعي مثل ذلك ولكن ذا القدرة العظيمة قد أتى هؤلاء القائلين بما يعارض مزاعمهم اذ طفق بعض من سمع هذا النبأ يؤمن به ولم يبق المصدق به « خديجة » وحدها فاضطروا أن يبتدعوا أسبابا أخرى للايمان به

حرب فكرية قامت أمام هذا النبأ الجديد عند شيوعه ، ارتجت له مكة وما حولها ، انقسمت الافكار ، تباينت الانظار ، وفي مثل هذه المواقف يعرف الراجعون بحسن الفطرة ، وقوة الفطنة اذ يكتفون من السابقين في رؤية الدقائق ، والوصول الى الحقائق

قال نفر منهم :

« لقد عرفنا محمداً طول هذه السنين فما عرفنا الكذب صاحباً له ، ولا عرفناه صاحباً للخداع ، وقد قام اليوم يخبرنا بأمر وقع له ليس هو بدعا من الامور ، ولا هو بضارنا شيئاً . أتانا يخبرنا بأمر يشبه ما نسمعه عن أمر موسى بني اسرائيل ولم يكن أمر موسى الا نافعاً لقومه فاعل الله سبحانه يريد أن يهدي البنا نقياً بواسطة هذا الرجل الصادق الامين مناه »
قالوا :

(٥) تابع لما نشر في (ص ٣٩٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي
(المجلد الثالث عشر) (٦٠) (المجلد ٦)

« يقول صاحبنا ان روحا اتاه وأوحى اليه ما أوحى ، ولا شيء من هذا يبيد عن العقل اذا تأدب العقل ووقف أمام بحر القدوة الازلية الابدية وثقة المعارف أن هذا بحر لا حمله ، ويقول انه أمر بقبليغ الناس هذا الوحي وما سيتلوه »

قالوا :

« ان هذه الدعوى عظيمة فان كان ما ادعاه حقا كان من المعارف العظيم والضرر الكبير أن نرد هدية ربنا عز وجل الذي اهدى الينا العقل من قبل وهو يميز اليوم تلك الهدية بهدية أخرى ربما كانت من نوعها وربما كانت من نوع أعلى وهل يرد حامل العقل مثل هذه الهدية بمد أن يذيقه العقل طعم الرشده والمعرفة وبأتيه بروائع ما يهب الفاطر جل وعلا من صنوف المعارف ، وان كان ما ادعاه غير حق فان حبله سيكون قصيرا لان لدينا عقولا ولا يضرنا حينئذ ظهور أمره »

وقال نفر :

« لماذا يدعي الصادق الامين هذه الدعوى ان لم تكن صحيحة ، هل فقد عقله ؟ كلا فانا لانزال نرى صحته واعتداله على أتمه ، هل تغيرت أخلاقه ؟ كلا فان من الاخلاق ما يرسخ مع كثرة الاعوام وقل ان يبيض الصادق مائتا . كلا بل الامر جده ، والدعوى صادق ، وان لهذا الامر لناصر آمن قوة ساقته بعد أن عاش أربعين سنة - الى الاثنيان بهذا الامر الغريب الصعب عليه ، وان الايمان بقدرة الله تعالى ليدعونا الى اجابة هذا الداعي من لدنه ، وان الاخلاص ليدفعنا الى اعلاء الكلمة التي نزلت الينا فضلا من ربنا ورحمة ، انا به مؤمنون ! »

كان في مقدمة هذا النفر أبو بكر ذلك الرجل الذي لم يعرف الى ذلك الوقت بحبيب عند قومه وليت شعري لماذا تجول الظنون وتحوم في تدسس الاسباب لايمان أمثال هؤلاء الأفاضل مع اتفاق العقلاء على أن الذي رسمنا صورته من تفكراتهم هو المطابق لحكمة المتدلين

القائل ان «خديجة» إنما آمنت بعلمها لانه يعلمها هو في سعة من ظنه هذا اذا شاء . ولكن بما مهدنا له من المثل بايمان أبي بكر تمنى أن يكون اتفح بمعرفة أن طريقة ايمان «خديجة» كانت أعلى مما يظن ان الذي آمن به أبو بكر ثم مئات ثم ألوف غيره لا يجوز للعاقل النصف ان يحرم زوجته العاقلة من شرف الطريقة التي آمن بها هؤلاء الافراد ثم الجماعات

ان ظنون الناس تكون على حسب أخلاقهم وطبائعهم وتصوراتهم فالذين يصرون على ادعاء أن السيدة «خديجة» لم تؤمن بهذا الروح الجديد الا لان صاحبه هو يعلمها إما جامدون في معرفة الاخلاق البشرية على شيء يستفيد العاقل بالله من ثقافته وهو القسم الرديء منها وإمامهم يجبولون على الفناء وإمامهم مستظفون لتصدىقي الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات نحن لا نسوخ لا تقسنا أن نعيب أحدا ممن كان حظه قايلا من علم اخلاق الناس ولا ندعي أننا نستطيع بالكلمات القليلة التي نقولها الآن بمساعدة واذن من الصدود أن نودع في أفكارهم علما جديدا واسما ولكننا نستطيع أن نذكرهم بان أخلاق الافراد ليست على شاكلة واحدة بل منها ماهو في أسفل السفلى ومنها ماهو في أعلى العلى ، ومن الناس من يظن عليهم من الصدق والاخلاص ما يملك قلوبهم ويحملها بعيدة عن التصنع

والرياء ، وعن الارتباب بالامور التي ليست غريبة عن محيط القدرة والحكمة والحناية الازليات اذا حدث بها المعروفون عندهم بالصدق والامانة ، ويجعلها قريبة من كل مافيه تمجيد اسم الفاطر جل وعلا وتظيم مظاهر امره وسره . وبعد هذه التذكرة نستطيع أن نقول لهم ان سيدتنا هذه كانت من أهل هذا الخلق الجليل كما تشهد سيرتها . ومتى تزحزح هؤلاء عن مركزهم في علم الاخلاق سهل عليهم أن يشتركو اعدائهم في معرفة أنه ليس محكوما على «مخدجة» بالحرمان من الايمان الصحيح المبني على أسباب صحيحة لا على كونه بطلا

وأما المجهولون على العناد ، والنروور والاعجاب ، فلا تبهم بسمع أقرنا اذ ربما أتت ثقيلة عليهم ، ولا تنمب انفسنا بمخاطبتهم اذ قد تأثي علينا ثقيلة . فلهم دينهم فيما توقعهم فيه جباههم ولي ديني فيما يمشي معه قلبي وبقيت لي كلمة مع الذي يستعظم تصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات كثيرة . إن هذا معذور في نظري والتفاهم بيني وبينه سهل لاني لا أطلب ان يترك ما بيده من النظريات بل أمشي معه في الحديث وهي في يده فبلغ معه غاية حسنة تصلح ان تكون ملتقى لنا بها تشبعت حولها آراء اخرى لكل واحد منا

أنا أقول معك يا صاحبي ان الذي يطالبه غيره بالتصديق له أن يطالب هو بالأدلة والآيات ، ولكن اذا سمعت بمصدق ولم تسمع قصة طالبه للدليل والآية فلا تحكم بأنه آمن من غير دليل وآية الا اذا كنت تعرفه من قريب وتعرف أن بضاعته كلها تقليد الآباء والمعلمين

أنت تعرف أن أبا بكر وامثاله ممن صدقوا محمدا (صلى الله عليه وسلم)

(المار ج ٦ م ١٣) الاختلاف في الاستدلال - الخوارق لا تغير سنن الكون ٤٧٧

لم يكن لهم آباء سبقوهم في تصديقه ، ولا معلمون علموهم على تأييده ،
وتعرف انهم كان لهم علوم راقية رائقة ، وألباب زكية فائقة ، فهل تظن
انهم صدقوه بنير آيات بينات ، وأدلة ساطعات ؟

المشارب في الاستدلال مختلفة وأخشى ان يكون مشربك فيه
كشرب الدين لا يعدون الآية الا الامر الخارق للعادة ولذا رأيت أن
لا أودع هذا المقام من غير أن أحادثك بالآيات والخوارق بعد ان
اسلفت طريقة « خديجة » على النعوين لتعلم كيف يمكن أن يكون إيمان
كل مؤمن بمحمد (عليه الصلاة والسلام)

اذا وقع شيء خارق للعادة لا يستطيع احد حينئذ ان ينكر انه آية عظمى ولكن
ماهي المادة وهل يمكن أن تحرق (أي تخالف) وهل وقع شيء من هذا ؟
يعنون بالمادة عادة الاشياء وطبيعتها ويعبر بعضهم عنها بسنة الله تعالى
في الكوائن . والذين بحثوا في امكان خرق العادة لم يفرقوا بين شيء عوشي
بل جعلوا الكلام في هذا الموضوع على اطلاقه ومن هنا اشتد خلافهم .
والذاهبون الى وقوع الخوارق لم يذكر وافي الامثلة التي أوردوها من
صور هذه الخوارق الا شيئا يسيرا جدا لا يصلح ان يلتفت اليه خصوصهم
فضلا عن أن تكون به قناعتهم

ان لله عز وجل سننا في كل موجود ، أو نقول ان لكل موجود
عادة وطبيعة ، والشمس مثلا من جملة الموجودات فهل يقول الذين يعتصمون
بالخوارق يمكن أن تغير هذه الشمس برغوثا وتبقى هذه الارض على
حالتها ويظل الناس فيها ناسا يبصر بعضهم بعضا بغير نور ويحيون هذه
الحياة عينا متممين بحداثق وفواكه ، ولحوم وشعوم ، ومياه جارية ، وأزهار

زاهية، وصيف وشتاء وربيع وخريف ... الى آخره ... الى آخره ...
أنا لا أعرف ماذا يقولون ولكنني مع إيماني كإيمانهم أو أكثر بعظيم
قدرة الله تعالى مجدوني إذا قالوا في هذه المسألة « نعم » مفارقاً لهم وقائلاً
إذا تغيرت سنة الله سبحانه في الشمس فصارت هي برغوثاً تتغير سنته
في أيضاً فأصير أنا غير إنسان وغير باحث عن الخوارق

الذي يفهم من هذا المثال أن بحث الخوارق المدون في كتب جميع
الملل لا يقف أمام نقطة من روح الله الحكيم إذا أراد عز وجل إعلان
النيرة على حكمته وسنته، ويفهم أيضاً أن الدين الذي هو من أكبر هدايا
النهاية الازلية لا يتوقف عليها اذ لو توقف عليها وكان لا بد في ظهور صدق
المأمور بتبليغه من ظهور خارقة لما تيسر تصديق أحد لان كل واحد حينئذ
يخترع فيه طرح صورة من الخوارق لسنن الله، وناظم الكون سبحانه لم يشأ
الى الآن نثره على ما بهواه المقترحون

الاقتراحات لاحد لها ولا عد ولا نظام، هذا يقترح مثلاً ان يصير
الشمس برغوثاً، وآخر يقترح ان يصير المشتري عصفوراً، وآخر يقترح
ان يكون المربخ (طوطوراً) وآخر يقترح ان يصير القمر قمرًا، وآخر
يقترح أن يكون عطارد عطاراً، وآخر يقترح ان تكون الزهرة زهرة
لا تدبل أبداً، وآخر يقترح أن ينضب البحر كله وتظل الانهار جارية،
وآخر يقترح ان يصير البحر كله برآ أو البر كله بحراً والناس كاهن سمكات
مؤمنات مصليات صائمات، وآخر يقترح أن يكون التراب كله ذهباً،
وتنبت عليه اشجار التفاح والليمون والاعناب والزيتون، وآخر يقترح
ان يصير الوقت كله ليلاً وتجبس الشمس في حجر من حجرات الملوك،

وآخر يقترح ان يصير الوقت كله نهارا وينذهب النوم الى الشجرات الدائمة اليقظة ... الى آخره ... الى آخره ...

نعم ان مبدع منظومات الكون لم يشأ الى الآن نثرها ولا نستطيع ان نقول انه ينثرها على حسب الاقتراحات لتأييد الرسل فامضى مباحثاتنا مشر البشر بأنه هل يستطيع ذلك أم لا يستطيع بعدا يمانا بعدم تحديد قدرته وبعدمنا عناه وحبه يرشدنا بهذا الكلام العالي « فمن يجد لسنة الله تديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » بعد تقرير هذا اقول ان البشر لا يستطيعون ان يعرفوا كل سنن الله تعالى او كل عادات الاشياء وطبائعها بل لا يستطيعون ان يعرفوا جميع اسرار كائن من الكائنات وجميع طبائعه بالتمام ، ثم هم لا يعرفون ايضا مقدار عنايته عز وجل بالانسان وانه مازال يمدده بصنوف الهدايات ، وأنه قد يشاء اعلان آية له لاظهار عنايته به في شيء ما مثلا على خلاف ما تعلمه من عادات بعض الاشياء التي لا يترتب على تخلف المعروف من عاداتها اثر المنظومات ومن اهتله ذلك ان النار شأنها الا حراق وقد تقتضي سنته تعالى لا علاه معارف الانسان وهداياته ان يريه النار غير محرقة لسبب تنطق القدرة باخفائه ان مثل هذا يقع ونعمده من جملة سنن الله تعالى لان من جملة سنته ابداع هذا الانسان واطلاعه على واسع القدرة ، وبديع الصنعة ، واحتجاب الحكمة ، واختصاص العناية

ومن هذا التفصيل يتبين للقارئ أنا مؤيدون الآيات لا منكرون لها . وقصارى ما نقول ان الدين لا يتوقف على الخوارق بقدر ما يقترح المقترحون ، ويظن الظانون ، ويخترع المخترعون ، وانما يؤيده الله تعالى بآيات تشرح لها البصائر المستعدة ، ولا نقول ان هذه الآيات فيها

تحويل لسان الله تعالى أو عادة الاشياء وطبائنها اذ لا تبدل لسانه سبحانه
وانما فيها معونة ربانية نعرفها بآثارها

وربما ذكر هنا التعبير بالخوارق الذي اصطلح عليه المدونون وان كانت
المناتشة على الاتفاظ بنفضة البناء وبميدة من رأينا. ونحب التعبير بالآيات
(كما عبر القرآن الحكيم) وبالله ما اكثر الآيات على أن ما أتى به هذا
المختار هو فضل رباني وأمر روحاني

لقد أنبت الله نباتا حسنا، وشمله بالعناية منذ كان في الصبا ثم الشباب
وهو غير شائن ذلك الاهاب حتى دخل الكهولة وتاق الى التكل وفي
هذه السن بدأه بتجيب العزلة وتفرغ الفكر من الصور القواني لبشرق
فيه الجلال الذي لا يفنى ثم أعلن لروحه روحا من لده كما منح هذا من قبله
رجالا كثيرين من المصطفين كإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف
وموسى وعيسى ومن الآيات ان هذا الوحي صالح مصلح لنا ولم نجده
طلب منا أن نعبد من دون الله وانما قال لنا انا عبد الله جئتكم ببلاغ من
عنده أنه وحده الحكم، وأنه وحده اليه المرجع والمآب، ولو قال لنا
انا الحكم لوجدنا مقترحين عليه ان يجمعنا خالدين، اذن لوجدناه عاجزا

الحمد لله لقد جاءنا هذا الرسول بآيات كثيرة لا نستطيع عدّها :
جاءنا بالعلوم وهو امي، وجمع كلمة الشعوب وهو وحيد، ورفع الله له
من الذكر ما لم يرفع لشك وجعل هديه باقيا، وصوته عاليا، وروح تأييده
ساريا، ولقد ليس اليوم بنا من تعجب حين نسمع ايمان أقرب الناس منه واهرفهم
به بل نحن بخديجة وابي بكر مقتدون، ولربنا على هذه العناية والآيات
شاكرون، وبوحي الله لهذا المصطفى مؤمنون

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابصار

المعراج
١٣١٥

فيشر عباده الذي يستمعون القول فينبسرون أصدانه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الابصار

حج قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و منارا و كثار الطريق

الجمعة سلخ رجب ١٣٢٨ - أغسطس (آب) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م

باب العقاب

بحث التحسين والتقيح (*)

احتجت المعتبرة بوجوه (الاول) ان استحقاق المدح على العدل والاحسان والقدم على الظلم والمسدوان ضروري والمنازع مباحة ولا يرتاب منصف أثر الحق على الخلق في صحة هذه الحجة وأما تسليم الخصم لها^(١) ثم يقولون هو ليس محل النزاع انما محل النزاع بمعنى استحقاق المدح عاجلا والثواب آجلا الى آخره وقد عرفت غلطهم على المعتبرة وانهم انما يقولون الثواب والعقاب من لوازم التكليف الذي هو أخص من الحسن والقبح وأوجب منه ذكر المماجل والآجل كما مضى ومن نازعنا في هذه التغطية فهذه كتب المعتبرة والمحدثه فليأتنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المعتبرة أعني كتبهم المعتمدة لا من أخذ النقل عن المعتبرة من كتب الاشاعرة وان كان من أتباعهم كصاحب

(١) ينظر أين جواب أما ؟ فله فقط من التامع شيء هو الجواب وفيه ما يصلح لمطاف « ثم يقولون » عليه . كأن يكون هكذا : وأما تسليم الخصم لما قلل المصنفين يقرهونه ثم يقولون هو ليس محل النزاع الخ ويمكن تصحيح الكلام بتعديلات أخرى فقامل آه مضمحه

(٥) تاج لا نمر في ص (٤٢٥ م ١٣)

الفصول بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي أسلفناه وهو شاهد صدق على خطأ هذا النقل . فإن آيت الاحتجاج ^(١) بما حكاه الدامغاني عن بعض الامامية وقد نوخر فاقطع ثم قال : الحجة إجماعنا ايها المصابة الامامية . وانت فتقول الطريق الى رد ما قلت اتفاق هذه الجماعة من الاشاعرة أهل التحقيق قلنا نزاعنا ليس في التحقيق انما في صحة الرواية وهي تدني على التحري وعدم المجازفة ولهذا ترى ابن الصلاح والنواوي وابن حجر السقلافي وغيره ممن غلب عليهم علم الحديث لا يكادون يقيمون لهؤلاء المشار اليهم بالتحقيق هنا ميزانا لما كانت صناعة أولئك عمدتها الرواية ثم ان الطريق الذي عرفنا به كون الاشاعرة ناقلين عن المعتزلة هو الطريق الذي عرفنا به كون المعتزلة ناقلين بالمقالة فأتري لو حضرك اشعري ومعتزلي وقال المعتزلي هذه مقالتنا وقال له الاشعري بل مقالتنا هذه على ايها ~~صحت~~ تعتمد وارجع الى الجمعية وحكاية قراقوش لمرو

أما من دفع هذه الضرورة وقال لا نعرف بين تذيب زيد بأنواع العذاب ، والتلمب به بأشنع ما يستهجنه أولو الالباب ، وبين اكرامه بأنواع النعم ومرافق الارتفاق ، بل بين - ب الله تعالى بعد معرفته بصفات الكمال وجلائل النعم ، وبين حمده وشكره على ذلك الجود والكرم ، وقال انما الفرق بين هذه الاشياء ونحوها بميل الطبع ومروءة الانسان عليها للتعرف عليها أو للتأديبات الشرعية او غير ذلك . فالجواب عن هذا أنا تفرق بين

تلك الامور التي ذكرت بين كون الفعل يترتب عليه حسن المدح والذم
فأنتم قد سلمتم لنا هذا الفرق وسميتم باسميناه تحسينا وتقييها كالا ونقصا
وأما انكاركم بعد هذا الاقرار وقضاؤكم بان المدح والذم لا ينشأان عن
فعل البتة وإنما يمدح على الشيء ويذم لان الشارع أمرنا بذلك وما بين
ذلك الفعل والمدح الذي رتبته عليه الشارع بالنظر الى ذاتيهما الا ما بين
الضرب والنون ولم يكن أمره أيضا المرجع بل بمحض الاختيار . ولو عكس
وأمر بالمكوف على سبه وكفران نعمته وعبادة الشيطان وأوجب الكفر
وحرم الايمان وقال أنا أحق باللعن والشيطان بالمادة . تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا لكان ذلك عندكم كنفية لا فرق بينهما فلم يري ما أنتم أحقاه
بعد ذلك بالمناظرة ولا بمن يرتجي منه الانصاف ولا جئتم باقرب مما جاء
به السوفسطائية ولا أدليتم بامتن مما أدلوا به وما نقول لمن أقر على نفسه
بذلك الا قد قلب قوادك وبصرك كما لم تؤمن بالحق أول مرة، ولم تبال
اين يقع قدمك في نظرك أول خطوة، ولو سرنا منه على نط الجدل لقلنا
له قد ادعينا نحن واكثر الفرق كما عرفت انا ادر كنا هذا المعنى المتنازع
فيه بضرورة عقولنا وفرقنا بينه وبين تلك الامور التي لم يبلغ فهمك الى
غيرها فنحن نصادقك على اعترافك على نفسك بالجهل بهذا الامر الذي
هو الهدى كل الهدى فمن أين منع لك الحكم علينا بعدم العلم بما ادعينا
العلم به ضرورة حتى زعمت اننا ظننا احد تلك الامور التي ذكرت أمراً خارجاً
عنها وحكمك انما هو جهل مركب فانك في الحقيقة قد شككت في صحة
عقولنا لما ادعينا العلم بما جهات

وهبني قلب هذا الصبح ليل أيمى المبصرون عن الضياء

(الحجة الثانية)

إذا لم يقبح من الله شيء جاز كذبه الصادق وتصديقه الكاذب فلا يعلم صدق نبي قط ولا يوثق بخبر من أخباره تعالى . واعترضها ابن الحاجب وقرره المصنف ولنعمد تقريره ليقوم مقام ما هو في معناه من الفاظ غيره . ونقطه « لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله تعالى امتناعا عقليا وان كنا نجزم بعدمه عادة لانهما من الممكنات وقدرته شاملة ولو سلم امتناعه فلانسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاءه لجواز أن يتمتع لمدر ك آخر أولا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول » والجواب (قوله) لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله امتناعا عقليا (قلنا) انما يلزمكم سد باب النبوة وعدم الوثوق بالشرائع مع عدم التسليم (قوله) وان كنا نجزم بعدمه عادة (قلنا) أتريد أن التجربة أفادت لك ان المعجزة لا تظهر الا على صادق وان الله تعالى لا يخبر الا بالصدق والسؤال وارد على نبوة كل نبي وعلى كل خبر من جهته تعالى ومن قد سلم لك امكان فرد على أصلك الفاسد ؟ أم تريد أنه عند المعجزة وعند سماعنا بخبر من أخباره تعالى يخلق الله لنا علما ابتدائيا اجري عاداته بذلك ؟ او حاصله ان العلم الحاصل لمن عرف المعجزة حاصل عندها لا بها فهذا قول بان المعجزة في نفسها لا دلالة لها على نبوة النبي والذي علمناه من قهوسنا أن

هذا العلم الضروري لم يحصل لنا إنما عرفناه وجه الإعجاز وأنه من قبل
الله تعالى فقلنا هذا صدقه الله تعالى ومن صدقه الله تعالى فهو صادق
كسائر الاستدلالات ولو اختلفت إحدى مقدماتي الدليل لبطل (فإن قلت)
نحن ننظر في المعجزة فيحصل العلم بخلق الله تعالى لنبرها من الأدلة (قلنا)
إنما يكون حصول العلم بعد صحة كل من المقدمتين وهما الكبرى غير صحيحة
فإن من صدقه الله فهو صادق لا دليل على صحتها على أصلكم وهي وقولنا
ومن صدقه الله فهو كاذب سواء . ويقال لهذا القائل متى تزعم أن الله
يخلق هذا العلم الضروري؟ أبعد معرفة وجه دلالة المعجزة فهو لا يتم حتى
تعرف أن من صدقه الله تعالى فهو صادق؟ أم تزعم أنه من رآها أو سمعها
حصل له هذا العلم؟ فهذا معلوم كذبه ضرورة (إن قلت) خلق الله علما
بصدق نبيه ممكن فمن أين لك القطع بعدمه (قلنا) كم ممكن ونحن قاطعون
بعدمه لأن دليل كقطننا بأنه ليس في حضرتنا رجل له ألف رأس وقطع
أحدنا بأنه لا يثبت جثمانه في الملا الأعلى بأن الله يقدر على قطع ما يشاء؟
وإن الجبل الذي رأيناه في اللحظة الأولى لم يتحول بعد خطيبا وغير ذلك
من العلوم المادية حقا فهذا العلم الذي تدعونه زده بالعلم الابتدائي
ولقد تجاسر من ادعى هذا العلم على أهل السموات والأرض ولو قال أحد
قولا يحتمل الصدق والكذب وقال للمخاطبين: معكم علم قد خلقه الله لكم
بصدق قولي لكان تكذيبه من أهون شيء مع استواء الأمرين في الامكان
فكيف بهذا الذي يدفعه كل عاقل . فإن ادعيت أن هذا العلم الضروري
بصدق المعجزة وصدق الله تعالى لا عن دليل حاصل لنا بعد سماع لفظ الخبر
ورؤية المعجزة أو سماعها من دون نظر وإن دعوانا كذبكم بخلافه للضرورة

كان للسوفسطائية أن يردوا تكذيبنا لهم بذلك حين ادعوا أن لا علم عندكم
أثبتة في أي شيء، قلنا: هم بعد ادراكهم للماهية العلم وادراكهم لا تصافهم
به منكرون للضرورة، فلوهم على هذا أن يقولوا تكذيبكم لنا كذب الا
انهم يدعون على الناس عدم العلم وانهم تدهون عليهم العلم فادعوا ما هو
الاصل فكان دعواهم أقرب من دعواكم وكنتم اكثر منهم للجلاء، واقبح
امور جالجا، وادركتم ما كان قائم لانهم لا يمكنهم دعوى العلم الضروري
لأنهم يثبتوا العلم، فانقطعوا وانهم أثبتوه ثم صبرتم تدهونه على من خالفكم
فيما احياكم فكنتم كمن قال، فادركتم ما ينبغي واحال

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده دقائق فكر ليس يدركها بعدي

(قوله) لانهما من الممكنات وقدرته شاملة (قلنا) مسلم والذي

تصد خصمك وهو عدم وثوقك بالنبوة وصدق خبر الشارع مبني على

ذلك (قوله) ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم

انتفاء مجواز ان يتمتع لمذك آخر اذ لا يلزم من انتفاء دليل معين

انتفاء العلم بالمدلول (قلنا) أما خصمك فقد كفاه هذا الدليل المبين وأما

أنت فقد فاتك هذا الدليل على أصلك الفاسد فقال خصمك جوز على

الله تعالى الكذب وتصدق الكاذب ولم يقل فاقطع على تصديق الله تعالى

الكاذب وعلى كذبه سبحانه في اخباره فجوابك مجواز دليل يدل على امتناع

ذلك في حقه تعالى لا ينافي ما ألزمتك من عدم الوثوق بالشرعية والذي يدفع

الالزام هو وجود دليل لا مجواز

واعلم أن الدليل الذي يذكره هنا هو المادة وقد عرفت سقوطه

وقد يقول بعضهم هو صادق لذاته لانه متكلم لذاته وجوابه بمقد تسليم الكلام القديم وتنوعه لئلا ينتشر البعث أنه لا فرق عندكم بين الصدق والكذب بالنظر الى الباري تعالى فله كاذب لذاته ويلزمكم أن تتعلق قدرته بالكذب بمعنى انه يقدر على أن يخبر بالشيء لا على ما هو به لان ما بالذات لا يتناقض كما انه لما كان قادرا لذاته أي قدرة واجبة لا يحتاج في ثبوتها الى غير ثبوت الذات لم يكن من الممكن أن يسجز . لا يقال قد علم من ضرورة دين الانبياء صلوات الله عليهم وصفه بأنه صادق أبدا لانا نقول صدقهم لا يمكن الجزم به مع بقاء هذا الاشكال فليتأمل هذا البحث فلم يجد المحققون فيه الا المغالطة والتليس انظر هذا المحقق الذي صار المحقق كالعلمه كيف ألزم انه يجوز كذب الشرائع فقال يجوز أن يكون هناك دليل يدل على الصدق ، وهل لغير هذا المضيق بعد الدليل ؟ . يا هذا لا غبا بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، ثم نقول هب ان هناك مدركا هو مستندكم لكن هذه كتبكم قد طبقت البسيطة وقد بالغنا في التبع لها فله وجدناكم ذكرتم شيئا الا هذه الاعذار الباردة ، والمغالطات التي لا طمع في الاعتماد عليها والمساعدة ، وما هذه حال من تصدى لتصبح الامم ، وزعم انه كفاها مهم الملاحدة وكشف الغمة ، متى يدرك هذا المدرك الناظرون ، ويهتدي به الحائرون ، فانا قد شارفنا تمام الف عام والف شهر من موت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأنكم أودعتم ذلك المدرك امام الامامية فلا يظهر الا بظهوره ، واستعملتم في تبيينه رموز الباطنية التي لا يدونها الا لمن يثقون بمروره .

وأعجب من هذا جواب الامام الرازي فانه قال في النهاية ما معناه

صدق النبي متوقف على مقدمتين (أحدهما) أن المعجزة نازلة منزلة قول الله له صدقت (والثانية) أن من صدقه الله فهو صادق ، فمن كان كذا لا يمكننا القطع بالثانية إلا مع القول بالتعسين والتقييع العقليين لكن المنزلة قطعوا بصحة الأولى مع أنها غير محتمل الصدق والكذب ولم يضرهم ذلك فلم يضرنا القطع بالثانية مع الاحتمال انتهى ولم يضرني الكتاب المذكور حتى أقل صورة لفظه فإن تبسر لي ذلك أنطقه والأقل النظر بانتداب ذلك فإن هذا الفصل محل روية أولا يقول هذا القول مسلم كيف من هو من اعلام المسلمين اذ هو كالصريح ان التشريعة على غير يقين من صحة الشرائع سبحانه الله العظيم .. وما اظهر ركة قوله بان الأولى غير محتمل الصدق والكذب وما صدور مثل هذا القول عن مثله ينبغي أن يحصل البتة على ظاهره لوضوح قلة الانصاف فيه ثم وان ظهور بطلانه ينشأ عن التصدي لجوابه اذ هذا البحث انما يخاطب به المتعني المحيط بتحقيق مذهب الترييقين المتعني بالانصاف اذا وجد وقد سلك هذه الطريقة الجوفى في الارشاد وحيث أورد على نفسه انه لا معنى للمطالبة الشرعية مع القول باستحالة اثر القدرة الحادثة لانه اختار في الكتاب المذكور انها مثل العلم سواء فاجاب بان المنزلة يلزمهم على أصولهم كذا وكذا وعده التزامات ولم يتعرض للعمل اصلا وهو دأبه في المضائق في الكتاب المذكور فيقال له هب انه لم المنزلة ما ذكرت فماذا يعني عن طالب الحق ان يعرف انك على باطل وتطلع صاحبك باطل آخر فانما غرضي معرفة الحق وكشف عوراتكم لا يقضي وطري

(الحجة الثالثة)

لزوم إتمام الأنبياء فيقول المرسل إليه الرسول يجب علي طاعتك أم لا فإن كانت لا يجب استرحت وإن كانت واجبة فبالعقل أم بالشرع؟ فليذهبهم لا بد أن يقول بالشرع فيقول لا يلزمني اجابتك حتى يثبت الشرع عندي ولم يثبت بعد لعدم معرفتي صدقتك ومجرد الدعوى لا يكفي فيكم ادعى هذا الشأن كاذب وأنا لا أؤمن نفسي تعرف الشرع حتى يجب علي التعرف فقد تمنع الأمران وأجابوا عن هذه الحجة أولاً بالمعارضة للمعتزلة بأن وجوب النظر عندم نظري فنقول لا انظر في صحة دعواك حتى يدرك عقلي وجوب النظر وليس بيديهي فلا يدركه حتى انظر (والجواب) إنا نقطع أن من عرض له حيرة في شيء يخشى من اغفاله ضرراً فانه يناله م ونعم يضر به فان أزال ذلك تبين حقيقة الأمر بالنظر أو بالأخذ بالاحوط حيث يتهاى في بعض الصور وإن كان الأخذ بالاحوط من نتائج النظر إلا أنه ربما أمكن بأدنى تأمل فان المقول تقبل لومه وذمه لتركه إزالة ذلك الضرر وهو خاصية القبح كما مضى فكيف من خوفه الرسول بخزي الدنيا والآخرة وعذابهما وفوت كل نعم وإحراك كل ضرر لا يجد من نفسه من عجا للنظر بحيث يذم على اغفاله هذا سيما في هذه الصورة مكابرة ظاهرة فالنظر واجب بترك وجوبه بأدنى التفات بحيث يعد من الأوليات ويلحق بها وقد ضرب له الغزالي مثلاً في بحث النظر نفسه

فقال ما معناه لو قيل لا انسان : الاسد خلفك مقبل عليك وهو آخذك
ان لم تجد الهرب فاذا قال لا حامل لي على الهرب الا العلم بصدق خبرك
وانا لا اعلمه حتى ألتفت ولا ألزم نفسي الالتفات حتى يتحتم علي الالتفات
قال فان هذا محدود من الجمعي لا من العقلاء فمده إياه من الجمعي واخرجه
عن زمرة العقلاء من دون تماش يدل على ان هذه قضية يعلمها كل
ما قل بضرورة عقله وهو معنى الذم الذي قلنا هو خاصية القبح ومقابل
القبح الواجب وهذا منه قول بالوجوب والقبح العقليين وتجنب عبارة
الخصم أمر سهل لا يقع النزاع فيه بين المحصلين فقد وضع الفرق بين
الامرين وان هذا الاشكال غير وارد على المتنزلة

واجابوا ثانياً بالحل وحاصله ان وقوع النظر لا يتوقف على وجوبه وقالوا
أيضا وجوبه لا يتوقف على وقوعه أما الاول فلا مكان وقوع النظر ممن يجب
عليه، وأما الثاني فلان النظر واجب بالشرع نظراً ولم ينظر وهذا الجواب من
المغالطة بكان ومن ترويجات المضد تخيله الفرق باعتراض الوجه الاول
وترك الثاني وهما من واء، والجواب عن الاول ان إمكان معرفة صدق
النبي لا يوجب اتباعه بل الموجب معرفة صدقه بالفعل وقد فرضنا امتناع
المرسل اليه عن تعرف ما لا يجب عليه تعرفه ولو قال النبي كما قلتم يمكنك
معرفة صدقي قبل العلم بوجوب المعرفة لكان من جوابه نعم ولكن ليس
لك إلزامي بنفس الامكان اذ الممكنات كثيرة هذه أمدها فان ادعيت
لهذه الحادثة خصوصية ينافي بها الوجوب فهو اول المسئلة ولا جواب
للمرسل حينئذ وهذا اعترضه المضد وغيره والجواب عن الثاني ان هذا
من تكليف الصاغل الذي اتفقنا على امتناعه ودعوى الفرق بينهما بأن

هذا يمكنه النظر وذاك لا يمكنه لا يمكنني لأننا الآن فرغنا من بيان أنه لم
يقم حجة على المتمتع في النظر فهو معذور عن النظر وإذا عذر لعدم
الحجة فلا عقاب على ما المرء معذور عنه فلا يتحقق في حقه الوجوب
الشرعي الذي ادعيتهم إذا لا يجتمع بوجوب الفعل والمذر عنه لأن المذخور
لا يذم وتارك الواجب يذم والفرق المدعى خارج عن الجامع ومجرد ترويج
أن يجمعهما عدم قيام الحجة والامكان في حق هذا دون ذلك لا يتم فارقاً
لتروجه عن محل النزاع ومثله الفرق بين التكليف بالحال لنفسه والحال
لغيره كالتكليف بالجمع بين التقيضين وتحمل الواحد منا جبل أحد إلى
مكان مثلاً .

ولا يلتبس عليك هذا بالتكليف بإيجاد ما علم عدم وجوده فإنه لا حالة
فيه ألبتة فإنه لو أخبر الصادق أنك لا تقوم من مقعدك ريثما تلو
الفاحة فإنك تعلم تمكنك من القيام والبقاء على السواء كما كنت قبل خيره
لكن خبر الصادق دل على وقوع أحد الجائزين فإنه لا بد للجائز من
أحدهما ولا دخل للعلم في تأثير الحالة ولا إمكان وكيف يؤثر التابع في
المتبوع فليتأمل جداً . وحل هذه مسألة الافعال فإن ذكر والا فقد كفاك
هذا أيها المدرك فليتأمل هذا طالب النجاة ، وليتخبط بتمامي التعصب
من اتخذ الله هواه ، أما قولهم في هذا المقام الوجوب عندنا ثابت
بالشرع نظر أولم ينظر فصادرة فإن ذلك نتيجة البحث فكيف يحصل
بعض مقدماته ؟

وحاصله أنا أقول لو كان الوجوب بالشرع دون أن يدركه العقل
لزم إضحام الأنبياء فلا يقوم لهم حجة لا نسياد طريق الشرع بعدم النظر

ولا يمكن إلزام النظر قبل ثبوت الشرع فلما لم يجدوا غلصا عن افهام الانبياء رجعوا الى نفس الدعوى وقالوا الوجوب عندنا قد ثبت بالشرع قبل النظر فبين يصل اليه فينظر أو لا ينظر فكأنهم قالوا عدم قيام الحجة للنبي لا يضرنا لان نفس الوجوب لا يتوقف على لزوم امتثال المكلف ذلك الواجب . اذا حققت هذي عرفت انه كلام فارغ فانه قد قال خصمهم سلمنا الوجوب كما تدعون لكن يلزم عليه افهام الرسل فكيف يقال الوجوب ثابت عندنا بالشرع نظر أو لم ينظر والمطلوب انما هو التخلص من افهام الانبياء لتقوم لهم الحجة على المكلف وليس النزاع في نفس ثبوت الوجوب اذ قد سلم تولا انما الكلام في لزوم عدم قيام حجة الانبياء فاعرف ان هذا الخبط من الاذكياء له شأن والله المستعان وأما حجج نقاة التحسين والتقيح المقلين فالتعويل عليها أضف من التعويل على نفس حجج المثبتين لها كما سيتضح لك

(الحجة الاولى)

ما اعتمده ابن الحاجب في مختصر المنتهى وهي انه لو حسن الفعل وقبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لذاته والجواب ان هذا مبني على ان الطلب صفة ذاتية متميزة عن العلم والارادة وخصمكم ينكر ذلك كله ولم يتم لكم ذلك بدليل ناهض فهو بناء على غير أساس ومع تسليمه فالمتعلق (بالكسر) من حيث انه متعلق تابع لمتعلقه فلا يتحقق التعلق بدونه وذلك لا ينافي كون تعلقه لذاته كما قاله الجميع في العلم ولهذا اعترضه سديد الدين . وزبدة هذا وحاصله ان تعلق المتعلق بشيء . وكان ذلك

(المخرج ٧ م ١٣) حجج الاشارة على نفي التحسين والتقيح — الثانية ١٧ هـ

الشيء ذا أوصاف متغايرات فالطلب تعلق بفعل له صفة الحسن مطلقا
لا بمطلق الفعل ووضع هذه الحجة الساقطة مبني على نفي الحكمة بل
على احالتها فليتأمل



(الحجة الثانية)

لو كان يثبت للفعل صفة الحسن والتقيح لا باختيار مختار كما قالت
المتزلة والبارئ تعالى ليس الامينا لما ثبت في نفس الامر - لم يكن تعالى مختارا
في الحكم بل يكون كالمفتي والقاضي بين الحكم ثم يلزم أو يتوعد على عدم
الامتنال وتوعد عليه بالثواب والعقاب (الجواب) ان اردتم انه ليس مختارا
في جعل الحكم حكما فهو عين مذهب خصمكم وهو أول البعث كما مر
توضيحه وان اردتم انه ليس بمختار في التبيين والالزام على معنى انه ليس
له ان يخبر بحكم غير ثابت في نفس الامر ولا ان يلزم به فهو كذلك ايضا
لان الاخبار لا بد ان يطابق والا كان كذبا وكذلك الالزام لا بد من وجه
حامل عليه كما مضى تقريره وكل ذلك لا ينافي الاختيار وان اردتم انه يصير
مضطرا الى التبيين حتى يكون بمنزلة الواجب غير المختار فلا وجه للزومه
وهو ظاهر

وعلى الجملة فهذه الحجة بينة السقوط لان اللازم منها غير مذهب
الخصم أو ماعدم لزومه بين . أما التشنيع بقولكم كالمفتي والقاضي فشيء
يستخف به الجاهلون ولم يجئ بشيء يدع فان هذا شأن الماهيات كلها كما هي
القديم والواجب والممكن والمستحيل والضد والنقيض والنفي والاثبات
وسائر الماهيات فقامت مقردة بخصوصياتها التي بها تمايزت وتقررت وعلمت

ولقد تقرر الله سبحانه على من لم يفرق بين ماهيتين بالاستفهام والتعجب
والإنكار كقوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون -
أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محيام ومماتهم سواء ما يمحكون - أفنم يخلق كمن لا يخلق - أم نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »
إلى غير ذلك وقال الله سبحانه « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها »
وقال تعالى « إن ربي على صراط مستقيم » وقال تعالى « قل إنما حرم ربي
الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى « والله لا يحب الفساد » وقال
تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى » وقال تعالى « أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله -
إن الله لا يظلم الناس شيئا - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان » إلى غير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم مما يدل على أن المنيات والمأمورات متفرقة كتقرر القديم والحادث
والثني والاثبات فمن قال لا فرق بين الإحسان والإساءة لا يحسب اعتبار
الاعتراف وأنه لا معنى للفاحشة مثلا إلا ذلك المتعارف والافهم والإيمان
سواء في الخلوع الحكيم وفي نظر الشارع وإنما اتفق الأمر بأشياء وانتهى
عن أشياء لجرد الإحسان لا لامل أيضا فمن كان هذا شأنه فراقه ما في
انصافه مطمع لكن كثرة المقلدين للأشعري في هذه المقولات الجائزتين
إلى الاعتذار معذرة إلى ربنا وكفى به حكما
ثم أنا نيين الآن أن هذا الأمر اعني كون الحكم غير واقف على اختيار
مختار في كونه - كما لا زمام لما ينال على قواعد الأشاعرة وبيانه أن الحكم

(المنار ج ٧ ص ١٣) قضية التقليد على العقول. ادراك الآخرين ما فات الأولين ١٩ هـ

عندم خطاب الله وان الخطاب القولي الذي هو من صفات الفعل اتفاقا على وفق النفسي وعجاجة عنه فقوله مثلا « أحل الله البيع وحرم الربا » لا بد أن يكون معنى حل البيع وحرمة الربا متضمنا له الكلام النفسي والنفسي غير مختار فيه وتعلقه لذاته كما هو شأن القديم وهم أيضا مصرحون بأن الحكم قديم والقديم غير مختار فيه اتفاقا والبارئ تعالى انما يبين لنا ما ثبت في الازل ويلزمنا امثال الجري على مقتضاه فالحكم اذا ثابت بلا اختيار مختار اتفاقا ويتمين على هذا عمل النزاع ويختصر في جهتين احدهما هل يطل ثبوته الاشاعة لا لقدمه؟ المتزلة ^(١) نعم لا مكان التعليل ثانيهما هل يدرك العقل مستقلا بعض جزئياته؟ المتزلة نعم. لا مكان معرفة الموجب له وهو كون الفعل ظلما مثلا واحسانا. الاشاعة لا. لانه غيب محجوب وهذا التعقيق والالزام مع وضوحه لم أر من ذكره ولا ما يقرب منه ولا زلت اسائل من أظنه أهلا لأن يسأل فما كان مطمح نظري الآن يفهموا السؤال ولم يكن وأما الاستيقان واستقلال عقولهم بحقيقة الامر وشفاء السائل فمرام بعيد، ومصرى حال دونه حجب التقليد، فليتأمل من بقي من المنصفين بين الجذ والانصاف ^(٢) فكل مبتكر عمل لا جالة النظر ولا يمنة الالتفات

(١) اي قول المتزلة في الجواب نعم الخ وسيأتي جواب الاشاعة بهذا السؤال

الثاني اه مصححه

(٢) تأملناه فوجدناه حقا بل هو ما هدانا الله اليه قبل الاطلاع على هذا الكتاب

بسنين ولنا كلام يدل عليه والمصنف فضل التقدم بحسب علمنا فانا لم نره لاحد من قبله . وما يؤيد القرآن من السنة في هذه المسألة حديث الاعرابي الذي اسلم فأمر النبي (ص) ان يعلموه الصلاة فعلموه الناحية وسورة « اذا زلزلت » و ارادوا أن يعلموه سورة اخرى فقال حسبي هذه حتى أعلم بها (فمن يصل مثقال ذرة خيرا يره) ومن

قولهم : ما ترك الأول للآخر فإنه يكفي في معارضة هذه اللفظة قولهم :
 كم ترك الأول للآخر ، وقه درابن مالك حيث يقول إذا كانت العلوم منها
 الهية ، ومواهب اختصاصية ، فقير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ،
 ما هو على كثير من المتقدمين ، نعم ذاللة من حسد يسد باب الانصاف ،
 ويصد عن جميع الاوصاف ، انتهى

(الحجة الثالثة)

« السنية »

وهي اشتمها بحسب الظاهر وهي قوله تعالى « وما كنا معذنين
 حتى نبعث رسولا » ووجه الاستدلال انه تعالى أخبر انه لا يذنب بدون
 بعثة الرسول ومن قال العقل مستقل لقيام الحجة يلزم على قوله أن يسوغ
 التعذيب (الجواب) أن هذه مصادرة على المطلوب^(١) لأن النزاع في جواز
 التعذيب لا في وقوعه وكم من جائز غير واقع وما قاله المضد وجرى عليه
 السعد وتلاهما الناس انه انما لزمهم الحجة لمنع المنوع عقلا عند المستزلة فحاط
 على فحاط لأن هذه الحجة ذكرت لرد هذا المذهب وقد عرفت ان القائل به
 اعم من ذلك ولا ملازمة بينه وبين منع المنوع عقلا والقائل بعدم المنوع عقلا
 شريطة من البغدادية وسائر أهل هذه المقالة قائلون بجواز المنوع عقلا

يصل مقال ذرة شراير « فأمرهم النبي (ص) أن يتركوه وشهد به أنه فقه في دينه
 وما كان فقهه إلا العزم على ترك كل ما يستقد انه شر وفعل كل ما قدر عليه عما يستقد انه
 خير فأمره النبي (ص) على تحديد الخير والشر باجهاده وعقله اهـ مصححه

(١) الاشبى مناقلة اهـ من هامشي الأصل

وكثير منهم يقولون بجوازه سمعا ونحن منهم كما هو قول اكثر الامة
والحققين المنصفين غير المتعرجين بل صريح الكتاب والسنة اللذين لا يبدل
بهما ولا يبول على غيرها ومن عجائب المضد والسعد انهما ذكرا هذا
الكلام السابق فيما يختص الجبائية من الرد فكان غلطا على غلط وهذه
مسألة خلاف بين المتزلة والجبائية بل البصرية بأسرها يجوزون المنو
عقلا والكمي واتباعه ينعونه فهي ما اشتهر فيه الخلاف بين أهل المصرين
لكن مثل هذه الاشياء أصلا ما ذكرت لك آتيا من عدم الاحاطة بمذهب
الخصم لعدم صرف الهمة اليه ، فيجهل عليه ، شنشنة من عدم
الانصاف ، الذي هو أصل الخلاف ، فهذا شيء كثير جربناه في نقل
الاشاعة عن المتزلة والعكس بحيث يتمتع المنصف من قبول اعدام على
الآخر والغلط على المتزلة أكثر منه في العكس فرب ان كنت تدعي
انك صادق الهمة فليس شامدا بأسوا التجربة

نم هذه الآية الكريمة حجة على البغدادية في منبهم المنو عقلا
وهذا مذهب ركيك قادم اليه القول بوجوب اللطف مع القول بأنه لا
وجه للتعذيب سواء ، والمذاهب ثلاثها كل منها أوهى من الآخر اعني
مذاهب البغدادية المذكورة غير انه بقي لهم هنا عنرا ان لم ينصروا على
خلافه وهم اتهم انما عطلوا الواقع من المذاب بأنه انما وقع لانه لطف وكل
لطف واجب فاذا جاء الشرع بعدم تعذيب أهل الفترات مثلا فلا يلزمهم
القول بتعذيبهم فليتهم يحفظ هذا حذرا من الغلط عليهم وهو وجه وجيه
يمدحهم عن التشنيع ، ان ادركه من علم الله سبحانه حسن الصنيع

لا يقال في الآية وجه آخر من الاحتجاج غير ما ذكرناه وهو ان قولهم ما كنت فاعلا وما كنت لا فصل فواء ان هذا الامر لا يلائم حالي ولا يليق بي كما قال تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وهو بمعنى الاول ثم قال « وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون » وغير ذلك من الآيات وغيرها لا تجد الاستعمال الا هكذا ولذا يفسرها الزمخشري واضرابه من قول العربية بقولهم أي ما صبح وما استقام وليس بمستنكر ان يدل مجموع كلام على معنى لم يحصل للأفراد مع تفرقها كما قالوا في قولهم كان يفصل كذا انه يفيد الاستمرار وقد قيل ذلك في فعل على اتراده ومدلول الفعل المطابق من حيث هو انما هو الحدث الذي من شأنه وحقيقته التفتي وقد قال السعد في موضع من حاشية الكشف: واعتبارات اللفظ دلالة رابعة كما ان المادة طبيعة خامسة : هذا لفظه وقد مر لنا عليه هناك مناقشة وفي الكشف بل في فن البيان كله شيء كثير من هذا فليعتبر ، فهذا تنبيه وهو معنى خصوصية التراكيب التي وضعوا لها في المعاني ، ومن ذلك دلالة الاستثناء في جاءني القوم الازيدا فان افراد هذا التركيب لا يدل على عدم مجيء زيد لكن زعم بعضهم ان دفع فهم عدم مجيء زيد كدفع الضرورة وذكر ذلك في المطول فمع تمام ذلك يكون مما ذكرنا والله اعلم

واذا كان لا يليق بالحكيم ولا يلائم شأنه التعذيب قبل البعث فهو معنى ان الحجة لا تقوم قبل الشرع اذ لو قامت حينئذ لكان التعذيب ملائما ثم رأيت الاسنوي قد أشار الى هذا الوجه في شرح المنهاج بعد ان

قلته نظرا فنقول لا يضرنا ذلك أما أولا فهي محتملة بقوة ان المراد عذاب الاستئصال بدليل السياق لان العذاب مطلق فهو مع القيد على سواء أعني الدنيوي والأخروي والسياق معين لاحد القيد وان عمنا فلا يضرنا أيضا لانا نقول انه قد يقال ذلك في ما يحافظ عليه أهم من ان يكون متعمدا أو غير متعمد بقول ما كنت لا ترك إخراج الزكاة وما كنت لا ترك فضيلة صدقة النفل وحاصله تنزيل ما ليس بحتم . نزلة التحتم بجامع العدم على المحافظة والآية من القسم الثاني جما بين الادلة فالبارئ تعالى اسمه رحمة وبالع حكمة يقول ما كنت لا كتي بجره حجة العقل حتى أردفها بحجة السمع ، مبالغة في الإصدار ، وقطعا لتلة المبتلين الاغمار ، كما قال تعالى « وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبتلون » وحكي عنهم هنا على فرض عدم الرسول الاعتلال بعدمه كما كان يمثل المبتلون بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارنا كاتبنا وليس ذلك من شرط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا اسند الارتباب الى المبتلين وقال هنا « ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك » وفي هذه الآية تفسيرا دليل على ما نحن فيه لمن له فهم وذوق والله الموفق .

ونظير هذه المسألة ان المعتزلة قالوا لو كان الكافر لطاف في المقدور ولم ينفذ له لم تهم عليه الحجة سهل لهم اقتحام ذلك ما رأوا من مبالغة الله سبحانه وله الحمد بالالطاف وأنواع الترغيب والترهيب وقد نقض ذلك سبحانه بقوله « قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » واعتذارهم بعشقة الاكراه ساقط اذا لا نسلم تسميته ذلك هداية لفة ولطنا تعرض لهذه

المسألة فنستوفي الكلام منها والا فهذا تنبيه كاف للنصف

هذه الحجج الثلاث هي التي اعتمدها ابن الحاجب وشراح كتابه
وغيرها ركيك كتولهم يلزم ان يكون فعل العبد كالإيمان مثلاً أشرف
من فعل الله تعالى كالشيطان وهذه هي الشبهة التي زعموا ان ضراراً رجع
من الاعتزال من اجلها ونظير هذه الحجة ما قاله المشركون للمسلمين انهم
يقتلون ما يقتلون وهو المذكاة ويحرمون ما يقتله الله سبحانه وهو الميتة
فأنزل الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون » ولتصني اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرؤونه وليتفرقوا
مام معترفون « أفتيرا لله أتني حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً »
وعزى هذا الحديث السيوطي في أسباب النزول الى الحاكم وأبي داود
وغيرهما من حديث ابن عباس وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس
قال لما نزلت « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » أرسلت فارس الى
قريش ان خاصموا محمداً فقولوا له ما تدبحه أنت بيدك يسكين فهو حلال
وما ذبح الله بشمائل من ذهب يعني الميتة فهو حرام !! فنزلت هذه الآية
« وان الشياطين ليوحون الي اولياتهم ليجادلوك » قال : الشياطين من فارس
وأوليتهم من قریش

أبو حامد الغزالي *

٨

﴿ تكفير المقلدين له ورأيه في الردة والكفر ﴾

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
وشره من الله تعالى ، والاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا .
هكذا فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤثما
مسلم لا يخرج من الاسلام الا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول (ص) من أمر
الدين علما انه جاء به غير متأول فيه . وما عدا ذلك من مخالفة احكام الدين
بالقول او الفعل او الاعتقاد بعد خطأ وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يعتذر
صاحبه فيه كجهل الدقائق والامور الخفية ومنها ما لا يعتذر فيه الا اذا كان قريب
العهد بالاسلام كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبقي بغير الحق
واقول على الله بغير علم ، والحساب على الله تعالى .

وقد مضت سنة النبي (ص) وسيرة اصحابه (رض) بتحامي تكفير أحد
ممن يظهر الاسلام ويصلي إلى القبلة وان ظهرت عليه آيات النفاق وكانوا يعتدون من
أخطائي شيء من أمر دينه ويتلطفون في تعليمه وما زال امر المسلمين على هذه السنة
حتى ظهر فيها الابتداع وصار لأهل فرق وشيع يدعون إليها ويتأصلون دونها فكان
منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما افردوا به وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم
الذين نقلا الدين بالقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة . وقد كان
من امر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن قاتل الخوارج المبتدعين وصلى على

قتلاهم ولم يكفرهم بيدعهم . فكان مما امتاز به أهل السنة والجماعة على أهل البدعة والفرقة أن أهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة لأنهم يجمعون الكلمة ويتقون الفرق في الدين لشدة نهي كتاب الله عنه ووعيده لمن يقترفه . ولم تكن السنة مذميا ولا مذاهب لبعض المسلمين فيتمصبون لها على غير أهلها بل كان كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من السلف يمدحون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصاون معه كما كان يفعل الصغابة (رض)

ثم حدثت المذاهب في الجماعة المنسوبة الى السنة فكانوا شيئا كل شيعة تنتمي الى امام من العلماء الذين كانوا على السنة وتمسب لما قل عنه وعن أتباعه وكل من اتسب اليه ثم تدرجوا من التمسب لاسم مذهبهم الى تخطئة سواه من متبعي غيره من المذاهب المنسوبة الى علماء السنة مثل مذهبهم ثم الى التضليل ثم الى التكفير لهم وللعلماء المستقلين اذا خالفوا مذهبهم وهم مع هذا يعترفون بأنهم مقلدون وليس من شأن المقلد ان يبحث في تخطئة أحد لأنه تابع لغيره ولا علم له في نفسه وقد حدث من جراء هذه التمسبات قتل كثيرة سودت بها صحائف التاريخ

ان ظهور فتنة التكفير التي احدثها أهل البدعة في المنتمين الى السنة جعل مصابها عاما في المسلمين حتى كانت السبب في وقوف حركة العلم دون بلوغ غايته المرجوة فيهم بل في رجوعه القهقري لأن الاشتغال به صار محصورا في قفهم كل جيل بعض كتب الأجيال التي قبله دون ان يكون له حكم مستقل في المسائل ومن لا يكون له حكم لا يكون له علم وهذا هو معنى ما نقل من اجماع سلفنا على ان المقلد لا يسمى عالما وعلى إطلاق أهل القرون الاولى لفظ العالم بمعنى المجتهد ولفظ الجاهل على المقلد وان قتل الكتب بحثا وفها . وكيف لا يرجع العلم القهقري اذا كان من أنهم الله عليهم باقرايح الذكية والأذهان اللودعية لا يستطيعون ان يشكروا الله عليها باستعمالها في استنباط مسائل العلوم إما خوفا من تكفير الناس لياهم اذا هم جاءوهم بغير ما وقف جهمهم عنده واما لا اعتقادهم أن ذلك من العبث لانه لا ينفع به أحد ، وان هم استعملوا عقولهم والحال ما ذكر فاتها لا تأخذ حظها من الاستقلال ، ولا تبلغ الغاية في حلبة السباق ، ومن نصباه جمال العلم فجعله عاشقا

(المأرجح ٧ م ١٣) الغزالي . انتقال بدعة التكفير في زمانه الى أهل السنة ٥٢٧

مستتهرا ، لا يجنده من غرامه مهربا ، تتم به في خلواته ، وحجب محاسنه عن
اصدقائه وعدائه ، فان اضطر الى الكلام ، لاذ بالكنايات والاشارات والألفاظ ،
أصوب الى الشرق ان كانت منازلها في جانب الغرب خوف القيل وقال
أقول في الخلد خال حين أنفها خوف الوشاة وما في الخلد من خال
فني تستبر عقول عامة المسلمين بمبادي العلوم التاريخية فتعلم ان أصحاب
العالم من المقلدين الجامعين ، قد اتخذوها عسكرا لمحاربة العلم والدين ، بتضليلهم
وتكفيرهم للعلماء المستقلين المصلحين ، وأنهم بذلك مخالفون لهدي السنة التي كان
عليها الأئمة الذين يدعون اتباعهم والالتساب اليهم لأن أولئك الأئمة متفقون على
عدم تكفير أحد يشهد بواحدية الله تعالى وبصدق رسوله محمد (ص) في جميع
ما جاء به عن ربه عز وجل وإن خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم بل وإن
خالف النصوص متأولا لا جاحدا ، وقد صرح بعض فقهاءهم بناء على ذلك الأصل
المجمع عليه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه إذا وجد مئة
قول قوي بكفر أحد وقول واحد ضعيف بإيمانه فيجب ان يبقى بهذا القول
وبحكم إيمانه

بعد هذا التمهيد أقول إن أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى كان من أصحاب تلك
الودعية والفظافة التي لا يرضى من أوتيتها بكفر نعمتها وعدم استعمالها ، وإن بدعة
التكفير كانت قد انتقلت في زمنه من المبتدعة الى المنسبين الى السنة ، وإنه حين
في أول عهده بالاستقلال في العلم عن إظهار ما حاف فيه اجتهاده ما عليه جمهور أهل
عصره ثم أظهر بعض ذلك في الأحياء مع المداواة ونوع من المجازاة ، ثم قوي دينه وكل
يقينه فصرح في بعض كتبه المختصرة (كالمسطار المستقيم) بالمصرح بمثله في
الأحياء الذي ذم فيه التقليد في مواضع كثيرة وجرى فيه على تقليد الشافعي في أكثر
الأحكام أو جميعها

هاج ذلك منه أصحاب العالم ، وسكنة الآثواب المباعب ، وعجزوا عن مناظرة
فجروا عليه سلاح الجهل والابتداع ، ورموه بالكفر والالحاد ، كما يفعل أقاتلهم وأضرابهم

الى الآن ، فلم يعأ بجعلهم ، ولم يرجع الى باطلهم ، ولا سكت عن إثارة الازهان ، بما وصل اليه من العلم والعرفان ، وهكذا كان المصلحون وهكذا يكونون ، الى ان تستنير العامة فتميز بين العلماء المستقيين ، وبين الادعياء الجاهلين ، فيود للامة الاسلامية مجددا ، وتطلع بعد الافول شمس بعدها ، والعاقة للتقين ، وتعلن نبأ بعدهم ،

فصل التفرقة بين الاسلام والزندة

كتاب وجيز كتبه في هذه المسألة ابو حامد رحمه الله تعالى جوابا لمن بلغه تكفير بعض المتعصبين لياه ، قال في اوله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله واصحابه مانعه

« اما بعد فاني رأيتك أيها الاخ المشفق ، والصادق المتعصب ، موغرا الصبر منقسم منك ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أصرار معادلات الدين ، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، وإن العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شهر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غر بك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ، فأني داعم أكل وأعقل من سيد المرسلين ، (صلى الله عليه وسلم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجبل واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الاولين ، وإياك ان تشتغل بخصامهم ، وتطعم في الخامهم ، فتطعم في غير مطعم ، وتصوت في غير مسموع ، أما سمعت ما قيل

كل العداوات قد ترجى مودتها
الا عداوة من عاداك من حسد
ولو كان فيه مطعم لاحد من الناس ، لما تلي على أجلم رتبة آيات الياس ، أو ما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبقي نقافي الارض أو سماء في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليم بابا من السماء فظلوا فيه يرجون) فقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوا بأيديهم

قال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (وقوله تعالى) ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كان ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن
أكثرهم يجهلون (اهـ)

أقول يريد أبو حامد رحمه الله تعالى أن مثل هؤلاء الشيوخ الحاسدين المتصيين
على تقليدكم للأشعري كمثل أولئك المشركين لاني الشرك والكفر بل في الحسد
والنصب وجعل همهم كله في إهانة من حسدوه وإظهار أنه على باطل وعدم توجيهِ
أذهانهم إلى قه ما هو عليه والنظر في دليله بل توجيهها إلى مكابرة أو تأويله، وهكذا
يفعل أشباههم في الحسد والنصب اليوم : ندعوهم إلى الكتاب والسنة ، ونطالبهم
بإلآية والحجة ، فيأبون إلا التبر بالآلقاب ، والمهجر والسباب ، ثم ذكر أبو حامد
أن هؤلاء لم يبق فيهم استعداد لمحنة الحق في الإيمان والكفر وعمل ذلك بقوله
« واني تسجلى اسرار الملكوت تقوم آلههم مواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبيلهم
دراهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وارا دنهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم
خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكثرهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيل
لما تقتضيه حشمتهم ، ف هؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الإيمان ، »
ثم ذكر أن جل بضاعتهم في العلم البحث في النجاسة ، وما أشبه ذلك مما لا يحلو
بصيرة ، ولا يظهر سريرة ،

زوال المقلدين وشأنهم

بعد تلك الفاتحة ذكر أبو حامد فصلا في حال المقلدين موجها الكلام إلى مخاطبه
قال : (فصل) فأما أنت إذا أردت أن تتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدور
من هو في حالك ، ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا قيده عماية التقليد ، بل تعطشه
إلى الاستبصار لحزارة اشكال آثارها فكر وميحا نظر ، فخطب نفسك وصاحبك
وطالبه بحد الكفر فان زعم أن حداً إلى الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب
المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم فاعلم أنه غررٌ بليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى

من العميان ، فلا تضع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة في الخامة ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لا يجدين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً . ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويذهب ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فأسأله من أين ثبت له ان الحق وقف عليه ؟ حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفاً لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وتعالى أحدهما دون الثاني ، أكان ذلك لاجل سبق في الزمان ؟ فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق لسابق عليه ، أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده ؟ فان رخص الباقلاني في مخالفته فلم حجب على غيره ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرايسي والقلانسي وغيرهم ؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ؟ وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تصف بتكلفه بعض المتعصبين زاعماتهما جميعاً متواتقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات او الى وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات ، وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين ؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها وإثباتها ؟ فان قال انما اكفر المعتزلي لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها قائمة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة نستحيل ان توصف بالاشهاد او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحداً (؟) هو توراة وأنجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد انظر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الأمر والنهي فكيف

تكون حقيقة واحدة تطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تخطى في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتباً نابهاً واماماً لا مأموماً فان خاض المقلد في الحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد، وطالب لصلاح القاسد، وهل يصلح المطار ما فسد الدهر، ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب. اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقه، ولا يلزم الكفر الا بمخالفته، واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في ذلك الا ما رأيت وكل ما رأيت حجة وأي فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعاً وهل هذا الا التناقض، اهـ

أقول أعتبر بهذا من يجاون في هذا العصر ابا حامد ويعبرون عنه بالامام وحجة الاسلام فيكفون عن الطعن في العلماء المستقلين الذين يدعون الامة الى البصيرة في دينها والاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ام يحملهم الحسد على الاصرار على الطعن فيهم وتغيير العامة منهم بذلك اللب المقوت عندهم (الاجتهاد) ويوهمونها ان دعاة الكتاب والسنة، يمهونها من اتباع الائمة، والصواب الذي يمهونها من ذلك اولئك المقلدون الجاهلون الذين لم يتبعوا الائمة في الاهتداء بالكتاب والسنة ولا قرءوا كتبهم وانما يريدون ان تكون العامة وراءهم متبعة لهم والمستقلون لا يدعون احداً الى اتباعهم وتقليدكم في شيء قط وانما يدعونهم الى الرجوع الى الاصل

حد الكفر وتعريفه

قال أبو حامد: (فصل) لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تناقض عليك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيت علامة صحيحة فتطرد لها ونسكتها لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن

تكفير الفرق وتطويل الاسان في اهل الاسلام وانت اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين ببول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به والايان تصديقه في جميع ما جاء به — الى أن قال في اجمال التفريع على هذا التعريف — فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فلهذه العلامة المطردة المنعكسة (فصل) اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحت غور بل تحت كل النور لأن كل فرقة تكفر مخالفا وتنسب الى تكذيب الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما انه كذب الرسول في اثبات الفرق لله تعالى وفي الاستواء على العرش ، والأشعري يكفره زاعما انه مشبه وكذب الرسول في انه ليس كمثل شيء ، والأشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له ، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما ان اثبات الصفات تكفير للأنداء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحققتهم فيه فيكشف لك علو هذه الفرق وامرافها في تكفير بعضها بعضا

فأقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى الخبر وحقته الاعتراف بوجوده ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده إلا ان الوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة نسبت كل فرقة مخالفا الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشعبي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلهذا شرح هذه الاصناف الخمسة ولذكر امثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى اخذه اجرا كما وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل المعروف الذي لا يعرف الا كثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين بما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للانبياء والأولياء في اليقظة والصحة صور جميلة محكية لجواهر الملائكة ويتنهي اليهم الوحي والألهام بواسطة فيفتقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء ماطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) وكما أنه عليه السلام رأى جبريل كثيرا ولكن مارآه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال د من رأني في النوم فقد رأيته حقا فان الشيطان لا يتمثل بي ء ولا تكون رؤيته بمعنى انتقاله من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجوده في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قيسا من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة قراء خطا من ثلث وتحركه حركة مستديرة قراء دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تتخبر في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فينتقى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في عقل أو حس أو خارج كالأيد مثلا فان صورتها محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

واما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الأشياء

(فصل) اسع الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسماوات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال ولم تدرك

واما الوجود الحسي فأمثله في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثابين : احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش امlech فيذبح بين الجنة والنار » فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا في حسهم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين بالآس من الموت بعد ذلك اذ المذبح ميوثس منه ومن لم يتم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت يتقلب كبشا في ذاته وينذبح

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يتمتع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مفارقا بمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين ان ترى صورة السماء في المرآة وبين ان تفضض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخييل

واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأنني انظر الى يونس

ابن متى عليه عبادتان قَطُورَتَانِ يابِي وَنَجِيهِ الْجِبَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِي بِكَ يَا يُونُسَ
وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا إِنْبَاءً عَنْ تَمَثُّلِ الصُّورَةِ فِي خَيَالِهِ إِذْ كَانَ وَجُودُ هَذِهِ الْحَالَةِ سَابِقًا
عَلَى وَجُودِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ انْتَدَمَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ مُوجُودًا فِي الْحَالَةِ
وَلَا يُعَدُّ أَنْ يُقَالَ أَيْضًا تَمَثُّلُ هَذَا فِي حَسِّهِ حَتَّى صَارَ يُشَاهِدُهُ كَمَا يُشَاهِدُ النَّاسُ الصُّورَ
وَلَكِنْ قَوْلُهُ (كَأَنِّي أَنْظُرُ) يُشِيرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَقِيقَةَ النَّظَرِ بَلْ كَالنَّظَرِ وَالْفَرْضُ التَّفَهُيمُ
بِالْمَثَالِ لَا عَيْنَ هَذِهِ الصُّورَةِ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَكُلُّ مَا يَتَمَثَّلُ فِي مَحَلِّ الْخَيَالِ فَيَتَصَوَّرُ أَنْ يَتَمَثَّلَ
فِي مَحَلِّ الْأَبْصَارِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مُشَاهِدَةً وَقُلُّ مَا يَتَمَيَّزُ بِالْبُرْهَانِ اسْتِعْجَالُ الْمَشَاهِدَةِ فِيمَا
يَتَصَوَّرُ فِيهِ التَّخِيلُ

وَأَمَّا الْوُجُودُ الْعَقْلِيُّ فَأَمَّا كَثِيرَةٌ فَاقْعَمْنَا مِنْهَا بِمَثَالَيْنِ : أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : آخِرُ مَنْ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ يَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ عَشْرَةَ امْتَالِ هَذِهِ الدُّنْيَا ، قَدْ
ظَاهَرَ هَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ عَشْرَةُ امْتَالِهَا بِالطَّرِيقِ وَالْعَرْضِ وَالْمَسَاحَةِ وَهِيَ التَّفَاوُتُ الْحَسِّيُّ
وَالْخَيَالِيُّ ثُمَّ قَدْ يَتَجَبَّبُ فَيَقُولُ إِنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ فَكَيْفَ
تَسْمَعُ السَّمَاءُ لِعَشْرَةِ امْتَالِ الدُّنْيَا وَالسَّمَاءُ أَيْضًا مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ يَقْطَعُ الْمَتَاوُلُ هَذَا السَّجَبُ
فَيَقُولُ الْمُرَادُ بِهِ تَفَاوُتُ عَقْلِي لَا حَسِّي وَلَا خَيَالِي كَمَا يَقُولُ مَثَلًا هَذِهِ الْجَوْهَرَةُ أَضَافُ
الْقَرْمِزُ أَيْ فِي رُوحِ الْمَالِيَةِ وَمَتَانِهَا الْمَدْرَكُ مُتَلَادُونَ مَسَاحَتِهَا الْمَدْرَكَةُ بِالْحَسِّ وَالتَّخِيلِ
الْمَثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَرَطَ لِنَاصِيَةِ آدَمَ يَدَهُ
أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَقَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى يَدًا وَمِنْ قَامَ عِنْدَهُ الْبُرْهَانُ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ
لَهُ تَعَالَى هِيَ جَارِحَةٌ مُحْسُوسَةٌ أَوْ مُتَخَيَّلَةٌ فَاتَّهَتْ لِقَابِهَا يَدًا رُوحَانِيَّةً عَقْلِيَّةً أَضْفَى
أَنَّهُ يَثْبُتُ مَعْنَى الْيَدِ وَحَقِيقَتُهَا وَرُوحَانِهَا دُونَ صُورَتِهَا أَنَّ رُوحَ الْيَدِ وَمَتَانِهَا مَا بِهِ يَنْقُشُ
وَيُفَعِّلُ وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعْطِي وَيَمْنَعُ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
« أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ فَقَالَ - بِكَ أَعْطِي وَبِكَ أَمْنَعُ - ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ
الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْعَقْلَ عَرَضًا كَمَا يُعْتَقَدُ الْمُتَكَلِّمُونَ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْعَرَضُ أَوَّلَ
مَخْلُوقٍ بَلْ يَكُونُ عِبَارَةً عَنْ ذَاتِ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُسَمَّى عَقْلًا مِنْ حَيْثُ يُعْقِلُ
الْأَشْيَاءَ بِجَوْهَرِهِ وَذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَعْلِيمٍ وَرَبِّهَا يُسَمَّى قَلْبًا بِإِصْبَارِهِ أَنَّهُ تَنْقُشُ بِهِ
حَقَائِقُ الْعِلْمِ فِي أَلْوَاكِ قُلُوبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَسَائِرِ الْمَلَائِكَةِ وَحَيَا وَإِطْلَامًا فَاتَّهَتْ قَدْ

٥٣٦ هـ حد الكذب الذي به الكفر . عدم تكفير الموثول (المثار ج ٧ م ١٣)

ورد في حديث آخر أن « أول ما خلق الله تعالى القلم » فإن لم يرجع ذلك إلى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشيء واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبه إلى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلا باعتبار إضافته إلى ما يصدر منه من تشش المأموم بالأطام والوحي كما يسمى جبريل وروحا باعتبار ذاته وأمينا باعتبار ما أودع من الأسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديده القوي باعتبار كمال قوته ومكيننا عند ذي العرش باعتبار قرب منزله ومطامنا باعتبار كونه متبوها في حق بعض الملائكة

وهذا القائل يكون قد أثبت قلما ويذا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من ذهب إلى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فإن الغضب مثلا حقيقته أنه غلبان دم القلب لإرادة التشفي وهذا لا ينفك عن قصان وألم فمن قام عنده البرهان على استعالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتها ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزهة على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كإرادة القاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقاربها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الإيلام فهذه درجات التأويلات

(فصل) اعلم أن كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وإنما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني ويذهب إلى أن ما قاله لا معنى له وإنما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة

ولا يلزم كفر الموثولين ماداموا يلزمون قانون التأويل كما منسب إليه . وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل ورحمة الله عليه وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة

هو (؟) الوجود العقلي والوجود الشبهي والخبلي مظهر إليه وقائل به قد سميت القلة من ائمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرح بتأويل ثلاثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود بين الله في الارض » والثاني قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن » والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « اني لا جد نفس الرحمن من قبل اليمين » فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول - اليمين تقبل في العادة قريبا الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضا قريبا الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسي لذلك يينا وهذا الوجود هو الذي سمي به الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل

فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التأويل وكذلك كما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من قش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع ما به يفسر قلب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولة الشيطان وبهما يقرب الله تعالى القلوب فكفي بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن بمقتضى النظر العقلي ولو امن بظهوره ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله، والاشعري والمعتزلي لزيادة بحسب تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الاشعرية وفتحهم الله قلوبهم فربوا فيها اكثر الظواهر الايسر والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات، وهم مع هذا - أعني الاشعري - يضطرون ايضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يوثق بالموت في صورة كس امح وكاورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال : توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزانا بقدر درجات الاعمال - وهذا رد الى الوجود الشبهي

البعيد فإن الصعائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال
هي اعراض فليس الموزون اذا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل
والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد
مقدار عمله وهو ابعد عن التعسف في التأويل بوزن الصعائف وليس الفرض تصحيح
احد التأولين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى
التأويل إلا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا
والموت وان كان عرضا فيستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب ، والاعمال وان
كانت اعراضا وقد عدت فتنقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن
ينتهي الى هذا الحد من الجهل قد انحلم من ربة الثقل ، اه

باب المقالات

(التعاون والتخاذل)*

نحن في زمن فاز فيه التعاونون ، وهلك فيه المتخاذلون ، سمعت فيه أم
بأعمال الجماعات ، وشقيت أم بأسرة الافراد ، فالأم فيه درجات بعضها فوق بعض
فأعلاها ما كثرت فيه الجماعات ، المتعانة على الخير بقدر كثرة الخبرات ، ويلها
ما قلت فيه الجماعات فئاتها من الخبرات والمنافع ما فضلها به ما فوقها ، ويعبر عن هذه
الأم بالأم الحية العزيزة ، والحياة والعزة فيها متقاربة - أو مقولة بالتشكيك كما يقول
المطعميون - فلذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وأية أمة عاقلة تأمن سنة الله في
تنازع البقاء ، وطمع الأقرباء في الضعفاء ؟

(*) نقرأ هذه المقالة والتي فيها بجمجمة الحضارة التي تصدر في الاستاة

واما الامم الذليلة التي تقابل هذه الامم فهي في دركات متفاوتة ايضا اذ انما
منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا
يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويلبها في السفل الامة التي يتخاذل
افرادها في الخير فلا ينبري فيها احد لعل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد
لنكافضته وخذله . واما الامة التي تعدني الدرك الاسفل فهي التي تناف فيها الجماعات
لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لا يخذل فرد من الافراد ، ولا جماعة من الجماعات ، علامن أعمال الخير لأمتة مع
الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه إبداعاً أنه شر ما او يشتمل على الشر أو يرتب
عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجهله كنه العمل او لان بغضه
أو حسده للعامل يقرب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى ما في
غياهه ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علمه ويعتمد الفرية
والبهتان ، ارضاء لحسده او حسد من يفريه بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذارا عن الامتناع
من المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يخل بها ولا يعترف بخلافه ،

الحسود الذي يعني بحسده ، والشحيح الذي يطبع شحه ، وصاحب الهوى
الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في ابقاء شرمه الا باصلاح قوسهم او مقابلتهم
بقوة لا قبل لهم بها فان كان الاول متمذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا
قعدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم منن الله في عدد الملوك . واما من
يخذل العمل النافع لا اعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا تقيا
سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي اراه العمل بخير صورته
الحقيقية ، ولكن قد يصير التمييز بينه وبين سيئ النية ، او تجهل الطريق لا يصل
العلاج اليه

ليس بيني وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه
او يلقي كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد
زال عنه الغشاء ، وانكشف له الغطاء ، فاستبق باب المتاب ، واستغفر به وأتاب ،
اقول له الخلاف بين البشر سنة غريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جملنا

الاختلاف في الرأي والفهم سببا للتنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا القتل الدائم والهلاك البطيء ، او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به تترق الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان عليه سبب بلائه ومجته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعلم حكيم ، وصوفي كبير ، وسياسي نجير ، كافاه قومه على ما تصدى له من اصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من تلاوه من الخطئين الخططين

اذا تذكر الخائف هذا ووعاه انتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لا يتم لنا الا بالتعاون والتناصر ، مع ترك التخاذل والتدابير ، فان لم نفعل ذلك كان ما بقي لنا من القوة المسكنة بمنزقا ، وكنا نحن المزعزين فاذا هو فقه هذا وتديره أقول له انا اقوام نجتمع في أمور وتفرق في أمور ، فاذا نظر كل منا الى ما يخالفه فيه غيره دون ما يوافق فيه وجعل ما به الخلاف قاضيا على ما به الوافق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوافق فمزقه وقواه تتحد قوانا ويستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل الاختلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجملونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجملون ما به الوافق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لا يمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على أعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم

لماذا يختصم السني والشيعة في بخاري مثلا ولا نفهم لاحد منهما في اختصاصها وانما الخسار عليهم ما والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لها ما

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يصف كلا منهما ، ولماذا لا يتعدون فيهم متفقون فيه كأهل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حراً في مذهبه لا يجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يواقفه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشراً بما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة الخطيئة الجهل وانما يعالج مرض الجهل بالعلم والحلم دون العدوان والبغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخر بها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوافق ، فينهضان معاً بجارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، وهناك المعيشة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او أكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين واللغة والوطن والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركون في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائماً الى جهة الوافق ، متسامحين فيما لا عدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعيب منهم أخاه او يتخذاه فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا بغي من ذلك المخالف فذلك إما غر متقون ، وإما احد الذين يصدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احراراً فيما يخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضاً ان يكون الافراد احراراً فيما يخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليحبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا يُنتفع بدرسه ، أو مؤلف ليصرفوا الناس عن تأليفه ، أو لصاحب صحيفة ينشرها او خطبة يخطبها ، أو مدرسة يؤسسها فيبذرونهم بالانهاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول مناجرة الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلا . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممكننا فليكن الانتقاد والامر والنهي : يان لطلان الباطل ولحقية الحق من غير تهيج للمصيبة ، ولا إغراء بالأصرار على الخطية ، الأول يحاسب انفسهم المرفورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون الماملين بالسعاية والفتية ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، ويعجبوا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويؤمنون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا ان الماسد المكابر لا علاج له ، يبدأ به حسده فيقتله ، الا وان فيما قلناه مقنا للمخلصين ، وذ كر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

نابتة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكلاركه ، وضرب الحر بجرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب فوجد أبوابها ، وتنتثر على البلاد أزهار طلابها ، وتهدى اليهم جني جنتها ، فمن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويعود اليها جم النشاط ، وافر الانقباط ، ليتم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الاخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فصالحهم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وأن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطالبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ، يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الامل ومودة القرى لا يطالب منه في مدة العلة الا الراحة من تعب الدروس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من اللعب والاهو ، وان المتخرج قد استراح

(*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرى فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية المصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات ففيها ما هو خاص بهم واكثر نصائحها عامة ، وما نشره هنا اصغر مما نشر بجريدة الحضارة وفيه زيادة

من عهد التعصيل والتعلم ، ودخل في طور الاستقلال والنتم ، فاعليه الا ان يهتم
بجمع المال ، والتمتع بما يقدر عليه من الحلال ، ومنهم من لا يرى قيد الحلال ضروريا
ولكنه ربما يشترط المحافظة على عرف الكبراء ، وعادات الاغنياء ، فاعرفوه من
المنكرات كان عنده معروف ، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا ،
لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والقنون سيرة في اعتقاد الامة ،
وصورتهم المصنوية مشوهة في نظرها العقلي ، فهي تهم نابتة العلوم الدنيوية بتهمة ،
ونابتة العلوم الدينية بتهمة أخرى ، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الأهل
والاصدقاء ، واصحاب الحاجات والخططاء ، يمتزجون بهم ، ويقنعون من الجاه بعصبيتهم ،
فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما ، ويؤيده لأنما ومليا ، فيسري بذلك
دود الفساد في جسم الامة حتى تكون من الطلحي ، ويتعارض الجاه بين رجال
الدين ورجال الدنيا ، فيتصادم حزباها ، ويقع الشقاق بينهما

أيها النابتة الجديدة اقد أن هذا التباين ان يزول ، قد آن التملين ان يتجردوا من الأهواء
والخطوط ، قد آن لهم ان يعلموا ان العلم فائدة فوق فائدة الحرفة ، وغمرة اشرف من غمرة الكسب
والعجارة ، قد آن لهم ان يعلموا ان المدرس والحائز ، (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس ،
ووكيل الدعوى ومحرو الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من عملهم الا الكسب
الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والتجار والحمال كل
اولئك يعملون مالا بد للامة منه لاجل أن يعيشوا بثمره عملهم

تذكروا ان لكم وراء الكسب بعلومكم وعملكم عملا قدرون عليه ولا يقدر عليه
غيركم ، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم ، تذكروا انكم انتم المطالبون
باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ورفعها من حضيق الفساد الى اوج
الرشاد ، واتقاذها من مضيق الفقر والفاقة ، الى مجبوحة الفتي والثروة ، انتم المطالبون
بذلك بعرفكم قيمة انفسكم ، وبمحسن سيرتكم في خاصة انفسكم ، وبتعارفكم وتآلفكم
وتعاونكم فيما بينكم ، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم ، وعلى كل من الراحلين الى البلاد
منكم واجبات ، اذكركم بها بهذه الكلمات :

يبقي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الامة ورفع شأنها وان يراها

اهلا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك فمن بوطن نفسه على ذلك ويحملها على الاستعداد له فعل همة ، ونظم مروتة ، وتنطق آماله بمالي الامور ويقتزعه عن سفسافها ، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه ، وان لا يكون مصلحا بطله ولا عمله ، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم يشبه على بعض الناس تكريم النفس وحملها على مالي الامور بالسجب والغرور والفرق بينهما كالغرق بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، فالاول يكون عالي الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والزهادة والبرائة من التبعج والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله ، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه ولا تهمة الا حطوط نفسه ، ويجب ان يحمد بما لا يفعل ، ويحقر العاملين ، ويفسط الحقوق ، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المسجب الغرور يرى نفسه في مرآة جبال ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا ينش ولا يندفع الا نفسه الخبيثة ، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يصل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكمل ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الخاملين له ، ولا ثناء الراضين عن عمله ، المسجبين بطله وآدبه ، فاذا فطنتم ايها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لتلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم .

ان من الناس من يكون استعداده لمالي الامور والقيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا ، ومنهم من تحرك هذه الذكري همة للعمل الذي يقوي الاستعداد ، ومنهم من لا يقيم لها وزنا ، ولا يفهم لها معنى ، فمن رأى انها هدية الى كنز ما كان يعرفه ، أو زادته شوقا الى شيء كان يحسن اليه ويألفه ، فليحمد الله تعالى وليبشر بان سيكون ممن ترقى بهم أمتهم ، وتعتز بهم دولتهم ، وتعد بهم بلادهم ، ومن رأى انها من لغو القول ، أو من قبيل تكليف المشي على الماء ، أو الخروج الى السماء ، فليعلم انه خالق ليكون اجبرا يعمل ليا كل فلا يفشن نفسه بدعوى مالم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فتى وضمت هذا الفرض الشريف

(ترقية الامة) نصب اعينكم ووطنكم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما

ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا انفسكم بان يراكم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا عما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولا ، يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوا منكم ما يكرهون ، يجب ان يروا منكم السنة والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحاسة والقوة ، يجب ان لا تدعوا لهم مجالا للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتكم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا لا تظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل ، او مبتلى بشيء من العيوب ، وتكلف اخفاء عيبه ، وإظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مراثيا مناقها ، فان الرياء والاتفاق هو ان يصر المرء على عيبه ويرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالعلم بالتعلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النسيان والمهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قنطرة الاخلاص

اوراني اطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها ، كيلا يفوتني المقصد فيما بيني عليها ، وهو ما ينبغي ان تحشوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واتي اذكر منه ما يخطر ببالي من المهمات

اول ما تصنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الرسمية والدينية الاهلية على حسب الرغبة والميل وتيسر الاسباب

لا حديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فبينوا للامة فوائد التعليم الاهلي الوطني واقنعوهم بان ترقى الامة لا يكون الا به ، وروغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، ويشواهم كيف يتوقف ترقى الدولة على تاجي

المتخرجين في مكاتبها الملكية والمصرية والطبية والقضائية وكيف تنزاحم العناصر الثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباراة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة اللفة فينوا للامة وجه الحاجة الى اتقانها لغتها ، وجعلوا هي القاطب لثقافتها في نفسها ، وينوا لها وجه توقف رقية الدولة على اتقان لغتها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية ، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية التي تستمد منها الدولة علوم الدين والادب والقضاء ويحسن الانتقال من الترخيب في التعليم العسكري الى الترخيب في الجندية نفسها ، حيوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، ينوا لها الفرق العظمى بين الجندي البائس الخليل الجائع العاري الخافي في زمن عبد الحميد ، وبين الجندي العزيز الكريم الشبان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة ليين كل من العرب والارمنود لاهل بلادهم انه لا يلق بهم ان يكونوا اشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق اليها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحب والاقدام

اخبروا اهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار فحلون فيها عن همة ابناؤهم وطنا الارمن انهم يحرقون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومدارسهم على التعليم العسكري بلغتهم فيكون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الفني والفنير والرفيع والوضع ، يقولون من دخل من ابناؤنا في جندية الدولة كان متعلما متحررا لا يلقى تحكما ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريرا الترقى ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويفلي همة ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل لجميع ذكراهم وإناهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم ولقيت نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل نحدث حميتهم وتضامات شجاعتهم فيرضوا بالآخرى ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاولى أيضا وانما يتذرون عنها فطالبوهم بإزالة العذر بالقول والعمل .

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة اشرفوا على خنايا الذبيرة
من زوايا سرائرهم ، بهذا الاسلوب من القول حركوا سوا كن النجدة والحجة من
قوسهم ، ثم اقصروهم بأن الاحياء الدقيق لقوسهم هو الوسيلة الاولى من وسائل
الخدمة العسكرية الشريفة ، وان الاحياء فرائد اخرى اهمها تكثير عدد المبعوثين
على ذكر المبعوثين أقول اتني اعلم انه لا بد لكم من الخوض في أمر المبعوثين
وأعلم ان كثيرا منكم يتلون او يقرءون في تقدم فاصيكم في هذا المقام ثلاث
(١) ان يكون جل كلامكم في ذلك عليا كيان معنى الحكومة النيابية ، وما ينبغي
ان يكون عليه النواب (المبعوثون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والاخلاق
كاستقلال الرأي والاخلاص والشجاعة وحسن اليان وقوة العارضة وما يرتب على
ذلك من ترقية الامة ومهران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها ، فاليبحث
في هذا هو الذي يد الامة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا
الحسن من المبعوثين باحسانه والهام بهمة تعرف الامة قدره وتكرمه فيكون الشكر
مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر الحسن في الشرم
وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان ، وليكون ذلك رافعا
لهمة المستعد انظارا وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تنزهوا عن الطعن
في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقدح الراكب ، او صدى
النائب ، وحسبكم ان تكونوا ادياء نزهاء غير غاشين ولا مخادعين ، وان تتحاشوا
بذلك اخراج الاضنان ، وتأريث المداوة واليشفاء ، انظروا الى الحسن وكبروه
واعلوا شأنه وغضوا ابصاركم عن القبيح وادفونوه بالإعراض عنه والاهمال له
ما وصلت الى هذا الرجا من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع له
يأذن لي ما بقي من المقال بالاجفاف والايضاع فيه ، رأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين
والخالفين من الامة لاصلاح المصلحين وتغيير العامة عنهم ليجب عليهم أو يعطى
نموه فتأخر ثمراته ، هذا مرض من أعضل امراض هذه الامة قد قوى في هذا
العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعليم وقد اشرنا الى هذا في أوائل المقال
فليكنكم أيها الشبان العقلاء ان تتبعوا في علاجه طريق التحصيل المنطقية في تمييز

الضروب المتبعة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظوا
 شأن الإصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة
 فتى بان وظهور زعم الباطل وان لم تحاربوا أهله جاورا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية
 الفكر واستقلال الرأي ، وان قدموا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون
 الساية والاعتياب ، والتنازع بالالقاء ، فمن عرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كده
 وسره ، « فوق الحق وبطل ما كانوا يصلون » فقلوا هناك واقلبوا ما غرنا
 لا ترضوا بالرفع عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم للتأليف بين
 العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا
 تفروا ، يسروا ولا تصسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الغنم
 القاصية ، بذلك يقوى استعداد الامة للإصلاح القريب ، والعاقبة للتقين
 عليكم ان تحثوا الامة على النشاط في الكسب ، ورغبوها في ترقية الزراعة وفي
 الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مداوم الحكومة ، ورغبوها في إحياء
 الصناعة الوطنية والاستزادة منها ، استعملوا المصنوعات الوطنية ورغبوا الاغنياء والحكام
 في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، ورغبوا أهل الوطن في الاشتراك
 المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالة والأعداد
 وأحسن طلاب العلوم الدينية بأن يترفعوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا
 لانفسهم بشي من المأنة ، أذكروهم بأنهم أجبروا الناس بحزة النفس وكراحتها ، والزهد
 فيما في أيديهم من حطامها ، فليعلم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، لتقبل
 اقوالهم في الحث على الفضيلة والتقوى ، طهروا الناس السنة ، قروهم من البدعة ،
 فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتصريح الاحكام
 الجسة ، ابنوا وعظكم دائما على آيات اقرآن ، وأمزجوه بالأحاديث الصحيحة مع
 مزوما الى مخرجها ، قاوموا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة
 الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد
 في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

البهتان العظيم

كنت سامرا مع ناظر الداخلية بداره في اوائل المحرم فذكرنا سوء التفاهم بين العرب والترك فذكر أن عبيد الله افندي بمعوث آيدين شينشي جريدة عربية في العاصمة لأجل هذه المسألة وقامت منه ان ذلك برأي الحكومة ومساعدتها فقلت يخشى ان تزيد هذه الجريدة في سوء التفاهم فان مديرها مشهور بالتعصب على العرب فلا يتحون بقوله ولا بنيتة فبلا اخترتم لهذا العمل غيره . قال الناظر انه يظهر لنا انه يحب للعرب غال فيهم ولطيم سمعهم ما ذكرتم عنه من بعض مناظريه من معوثي العرب ، قلت لا وإنما انا أعرفه بنفسه فانه كان بمصر وكان يصرح في المحافل العامة بما يستنكره العرب وبأنه ينبغي للترك ان يستقنوا عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بأن يترجموه بلقهم وقد جرت بيني وبينه مناظرة في ذلك . قال الناظر اما الاستغناء عن القرآن العربي يترجمه فلا أوافق عليه ولكنني أعرفه محبا للعرب وفي ذلك الشهر نفسه اصدر عبيد الله افندي جريدته وكان من أمرها ما عرف الخصاص والعام فقد قامت عليها قيادة الجرائد العربية في مصر وولايات سورية كلها وفي أمريكا تفتتح مقاصد صاحبها وفي إلقاء الشقاق والبغضاء والتعصب الذميمة الجنسي والديني بين العرب وشكوه الى الحكومة وطعنوا في الحكومة ولا سيما نظارة الداخلية لما شاع وذاع من مساعدتها له وصار يضرب باسمه المثل في التفریق والافساد بين جميع الناطقين بالاضاد ، ونحمد الله أن جاء ماسعى اليه في جريدته من إثارة الفتن بين المسلمين والنصارى في بيروت وسائر البلاد السورية بضد ماسعى اليه فقد تمكنت الالة والوحدة الوطنية بين الفريقين واتفقت جرائدهما على ذلك من غرائب هذا الرجل انه يجمع في جريدته بين الاضداد والقائض فيمدح الشيء ويذمه مطلقا ويثبت الشيء وينفيه كذلك ، ويبحث على الامر وينفر عنه فإذا اعترض عليه في بعض ما يكتبه أمكنه أن يدعي لنفسه الطرف الآخر يستدل عليه ببعض ما كتبه فهو في مشربه وحاله وعقله وأخلاقه ليس اهلا لان ناظر أو

يجادل وإنما احتست الجرائد العربية بشأنه لاعتقادها ان الحكومة هي التي دفنته الى هذا الصل ولاجل أن تتخذ فتته ذريعة لجمع الكلمة بين أبناء الوطن العربي لمقاومة من اتفقوا على أنه عدو لكل عربي

ومن غريب أمره أنه لا يستحي من مكابرة الحس ، وإعطاء الضد حكم الضد ، فهو يصرح بأن العرب كانوا مسلمون وأنه لا يقل هو ولا أحد من الترك أنه يوجد في العرب نصراني . ومثل هذا في المكابرة ما بهتي به وياله من بهتان عظيم قلما يوجد في المخلوقين بشكل الانسان من يرضي لنفسه التصريح بمثله وهو بهت الانسان جهرا في كتابة تطعيم وتشنير بضد ما هو مشهور به وتحريف كلامه المعروف عندهم والأصرار على ذلك بعد انكار الجماهير عليه في الاقطار المتفرقة والبلاد الكثيرة أحمد الله تعالى أن عرف لي كل من يعرفني اخلاصي في الدعوة الى الوفاق والاتحاد بين المشرقين في الأديان والمذاهب والاجناس والمشارب ، فكم دعوت المسلمين الى الاتفاق مع من يعيش معهم في كل قطر ومملكة وكم دعوت الصابئين خاصة الى الاتحاد وكم سمعت في هذه السبيل . ولما حدث ما حدث بعد الدستور من سوء التفاهم بين العرب والترك سميت الى تلافي ذلك بالقول والكتابة والسعي عند أولي الأمر في العاصمة لكن لم يظهر لي أحد من أولي الأمر العناية بما سميت اليه الا حسين حلي باشا في وزارته ولكن سر به كثيرون من الفضلاء . وكنت نشرت عدة مقالات في ذلك بجرائد العاصمة التركية والعربية قبل ظهور جريدة الحضارة وعدة مقالات في هذه الجريدة

حقيق عبيد الله نظره في هذه المقالات ودقق النظر ليجد فيها عبارة قبل التحريف بمراد ظاهر ليجمله تكأة له في مجري وذمي والتفبر عني وعن مشروع فلم يجد فعند الى البهتان المين فنقل من إحدى مقالاتي في جريدة الحضارة جملة محكمة عن سياسة أوربا الذين يريدون القضاء على هذه الدولة بتفريق عناصرها مع الرد على أولئك الساسة وتحذير الصابئين من الاصفاء اليهم وحثهم بالبراهين على الاتحاد الذي فيه خبرهم اجمعين . فزعم أولا اني كتبت تلك العبارة عن لسان الاوربيين لاجل تفريق الصابئين وأنه لا يوجد في الاوربيين من يفريقنا بالتفريق . وإنما هم يدعونا

الى الوفاق !! ثم سكت مدة وصار ينقل تلك العبارة ويمزوها الى مباشرة وترجمها الى التركية فبر مرة لينغر اخواني الترك مني ، ولم ينجعل من ادعائه اني انا الذي أقول تلك الاقوال وأدعو العثمانيين الى التفرق والانفصال ، فثله كثل من بعد الى مثل قوله تعالى « وقالوا إن هذا إلا إفك افتراء وإعانة عليه قوم آخرون » الآية وقوله « وقالوا اساطير الاولين اكتبنا فهي تلي عليه بكرة وأصيلا » فحذف من الآيتين فقط « قالوا » وزعم ان القرآن يعطى في القرآن وفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سبحانه هذا بهتان عظيم » وقد رويانا في الصحيحين والسنن ان النبي (ص) قال « انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » أنكر علي عبيد الله أولا ان في الاوربيين من يرى في ترويج سياسته تفريق العثمانيين بعضهم من بعض ولا سيما الترك والعرب ، أنكر ذلك وهو يعرفه كما هي عادته وفي كلامه ما يشعر به بل صرح به في العدد الاخير من جريدته الذي أعلن فيه إيقاف إصدارها الآن ولكن الفاقين من قرائها الذين ينسبون عند قراءة كل عدد ما كتب في غيره بل عند كل جملة ما يناقضها من الجمل قبلها قد يصدقونه فيما بهتي به ومن الاخلاق التي رسخت في هذه العاصمة وفي رجال هذه الحكومة خلق التسليم والتصديق بالشر والارتياح في الخير طبع هذا الخلق في نفوس الكثيرين منهم العهد الجدي الذي لم يكن لهم فيه من شاغل الا الوسوسة والتجسس والانهام بالشر هذا وانا نحن الذين عشنا في شراياهم العهد الجدي في مصر بعيدين عن استبداده وعن مساوئه أعرف سياسته من الذين عاشوا فيه وأعرف سياسة أوروبا أيضا وقد اشترت في مقالات (العرب والترك) الى بعض سعي الافرنج من استقلال العرب وعبيد الله يعرف شيئا من هذا ولكنه يتعمد كتم الحق واظهار الباطل لئلا له من الهوى في ذلك . ويمكنني ان اقل كلمة وجيزة في هذا الباب من الكتاب المسمى (الدول العظيمة امام الاقلاق العربي) الذي ألفه اوجين جونج الذي كان واليا لفرنسا في الهند الصينية وهي قوله في ص ٢٢٨ ما ترجمته :

« ان العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية وهي الالبان والمكدونيون في أوروبا والروم في جزائر الاوغيل والارمن والاكراد والعرب في آسيا كلها اصبحت منذ

ومن ثم يرى طريق الاتصال من هذه الشجرة التي نخبرها دود الفساد فلو نظرنا الى كل من هذه العناصر نجد العنصر التركي أدناها (أدونها) الا ان السبب الذي ساعده على استبقاء نيره على عاتق هذه العناصر الى اليوم انما هي مهنة العنصر العربي له الذي هو في نفسه اكثر عددا من جميع تلك العناصر وفي جعلها العنصر التركي وما وفق الترك الى ضمان اخلاص العرب لهم وارتباطهم بهم على كونهم يظلمونهم كسائر العناصر الا باستبعادهم الديني لشعورهم الديني وجعل المصلحة التركية عين المصلحة الاسلامية

« فالعرب اليوم قد شعروا بوجودهم وصاروا يأنفون أن يخضعوا بعد ذلك وأن يحافظوا على سلاسل اسرهم وأغلال استعبادهم - فيكفي ان يد العرب إمدادا قليلا حتى تهدم الدولة العثمانية من نفسها كما ينهدم القصر المين من ورق الذهب » اه
فهذه كلمة وجيزة من أحد الكتب الكثيرة التي ألفها الأوروبيون لاغراء أوروبا بفصل العرب من الترك واسقاط هذه الدولة لا سمح الله وقد صدق في قوله ان العرب مخلصون لهذه الدولة ولا خوفهم الترك وان سبب ذلك الاسلام وكذب إيمانهم لقومهم اننا نحولنا عن اخلاصنا . ولكن اذا بقيت جريدة عيديات الله تنفث سموم التفريق والافساد حتى أنت العرب ما كتبه اقدام وغيرها من قبل ولم تتدارك هذه الحكومة ذلك وسائر ما نصحننا لها بتدارك فلا يعلم الا الله مصير الامور . ونحن قد نصحننا قومنا ونصحننا حكومتنا كما امرنا نبينا (ص) بقوله « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم

(الاغلاط التي وقعت في الجزء السادس من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠٩	١٦	وليس	ليس	٤٠٩	٩	غيره	غيرهم
٤١٦	٢٣	بينما	بينهما	٤٠٧	٥	من	في
٤١٩	١٢	عند الامم	كان معروفا عند الامم	٤	٩	ومن قوله	وه من قوله
٤٢٣	٧	الحيرة	الحيرة	٤٠٤	٩	انه أسلم	انه اذا أسلم
٤٤٤	٣	الاذكياء بالجم	الاذكياء بالجم	٤٠٥	٣٣	قوضا	عوضا
		بالجم	بالجم	٤٠٧	٨	الجنس	الجنسين

الفصل الثالث والعشرون (*)

(اعلان الدعوة ، واختال الاذى ، وثبات)

لم تقف فضائل السيدة « خديجة » عند ما ذكرناه الى الآن من سيرتها بل هي كالينابيع الثور لا تنضب . والآن يشرف القارئ منا على مجلي من اعظم المجالي لفضائل هذه السيدة الجليلة . جاء الآن دور الثبات في سبيل الحق ، وهذا الثبات لا نجده في كل عصر الا في صفات افراد ندرتهم بين بني آدم اعظم من ندرة الياقوت بين الحجاره ، وكثرة فوائدهم اعظم من قطرات النيث

لقد مر على بني آدم ألوف من الازمان وفي كل عصر وجد منهم ألوف الالوف ومن كل هذا العدد العظيم لا نعرف مئة ثبت في سبيل الحق مع شدة المعارضة ثبات « خديجة » أما ثبات بطها الكريم فلا ينبغي أن نقيس به بعد ما قدمناه ثبات أحد فاننا قد وصلنا في الفصول السابقة الى بيان أنه مؤيد أعظم تأييد ، وأنه سمع الوحي الإلهي أمرا اياه أن يقوم بأجاء الرسالة والتبليغ ، فأصبح الفرق بينه وبين غيره عظيما جدا منذ أناده هذا الوحي . وعندنا مظهر المؤمنين به أنه هو المختار الاعظم ، والمصطفى الاكبر ، فلذلك لا نرى ثباته في سبيل الحق يعادله أو يقاس به ثبات ظل هذا المختار ثلاث سنين يدعو سرا ثم أمرا أن يجهر بالامر فلم

(*) تمع لانتشر في (ص ٧٢٢ م ١٢) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

يُجهد إلى جانبه زوجة تثبط وتُخوف أو يهضم قلبها فتؤثر الراحة وطمانينة البيت على النصب واحتمال الأذى بل وجد قرينة صالحة القلب للوقوف معه بالصبر والسكينة أمام المعارضين والمعارضات وما أشد ما كان أمام هذا الداعي إلى غير ما عرف القوم وما أخرج هذه الحالة إلى قلوب كلّا كبر الماندون كيدا تقول « الله أكبر » ١٦.

الله أكبر ، كان الماندون أفرادا وجناعات قد امتلكت الآفة والعمرة قوسهم ، واجتذبت قلوبهم ، وامتصت من أقدسهم الندوة فأصبحت نسبات الهدى ترعجها ، وحرارة الانذار تكاد تحرقها ،

قريش وما قريش ١٦ قبيلة ترى لنفسها العبق بكل فضيلة والشرف على كل فضيلة ، لها أنوف شائعة كأنها تطلول السماء ، وأغناق متلعة كأنها تصيد كل عياء ، تملد كل قوم بالعباء فتكثُرهم ، وتقاجر من نشاء بالمظاء فتفخرهم ، مثلها بين القياثل كالشمس مكانة ، وكالروضة نضرة وجيرا

هذه القبيلة التي حالها ما وصفنا من قوة الشكيمة وشدة الإباء ومزيد التعالي كانت قد أصيبت من الاقتداء بمضرته إذ كانت بعض المقائيل التي صادفتها في موردها ومصدرها في البلاد المجاورة قد التصقت ببقولها حتى أصبحت ترى التصدي لا قتلا عما منها اقتداء على حقوقها ، وانتهى كالحرماتها هذه القبيلة كان لها من نور الذكاء ما يبهو الناظرين ولكن قد تراكت على أفكارها سعائب من آثار التقليد حالت بين ذكائها وبين الحقائق العالية حتى رأيناها تدرج مع البلياء في مدرج واحد من تأليه صورهم عياد بكاء جامدة قد صنعتها الأيدي فقامت تحسب أن هذه الصور تذر وتنفع ، وتجلب وتدفع ، وتقرّب إلى الخالق الأعظم وتضعف ،

وراحت تمان أن لهذه الصور مجداً ، وتستحق شكري وحداً ، وظلت
تصنع لها ما تصنع الأمم لا آلتها من ذبح القرابين ، ونذر التذوق ، وتوجه
القلوب ، وإحيات الصدور ، وتطق القلوب

نعم سارت تلك العقائد قلوبها حتى صارت الانفس فيها لا تبسط
شيء ، انبساطها لتبديد تلك الآلة ولا تنقبض شيء ، انقباضها للظن فيها
أو النقص من تكريمها

هذه حال القوم الذين أمر هذا الرسول أن يقوم فيهم منذراً وداخياً
إلى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وكانت قريش تعرف هذا الاسم الجليل
الدال في هذه الآلة على واجب الوجود موجد السموات والأرض ولكن
لم تكن تعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلال الذي يبر عنه بهذه الكلمة
من الكمال والبعد عن مشابهة الحوادث ، وقد جرها الجهول بالله تعالى
وسنته وآياته إلى ما جبر كثير من الأمم إليه من جهول كثير من الحقائق .
وإني ما أشبه نتائج الجهل به من وجل الانسلاسة طويلة يستدرج بها ذلك
الجهل إلى أسوأ النهايات إذا لم تتداركه الأسباب من عناية الرفوف
الرحيم جلت الآؤه ، وتالت أمثاله

ولقد كاد حظ قريش من هذه السلسلة - سلسلة الجهول - يصل بها
إلى مستقر لا تضيق فيه الرفعة على أمثالها من ضرب الجهل خيامه عند
خيامهم ، ولا تجديها القوة البسيرة التي كانت تجدها في اجتماعها ذلك .
كاد الاتكال على الأصنام يعني كل آثار الفطرة منها ، ويطمس كل رسوم
الله كاد ، ويذهب بما تركه فيها من الحاسنين بعض فضلاء الأسلاف قبل
مهدم بهذه الآلة التي فتوا بها ، أصبحت لا تقي ما هو فضل الله وما هي

رحمة الله، وما هي عناية الله، وفقدت بعيدة عن معرفة ماهو الروح، وما هي خصائص الروح، وما هي عبادة الروح للأحد المحيط بكل شيء، وراحت معرضة عن العلم بمراقب الآمم وأتباع دأثرتها، وعن معرفة وظيفتها من تجميع أرادة الفاطر باظهار البدائع على يدها، وظهور آلائه وآثار عنايته عليها، وأصبح قصارى مايجوز بفكر الواحد من هؤلاء القوم أحد شيئين يشيلان في ميزان العقلاء، شيء يرضي به وجهه في التراف الى تلك الحجارة التي اتخذها آلهة، وشيء يرضي به وجهه في الكبرياء، ولم يدر مغرورهم أن التراف الى تلك الحجارة وأمثالها هو منتهى التسفل العقلي، وأن تلك الكبرياء، لا تجديهم شيئا اذا دهمهم داء خارجي، كما وقع لهم يوم ما برهته هذه السلسلة الطويلة من نتائج الجهل بالله تعالى وسنته وآياته أصبحت قيلا لمداركهم قد أحكت حلقاته فهم لا يستطيعون مادام موجودا أن يبرحوا ما هم فيه لأن جاذبياته يجذبهم من حيث لا يرونه كلما تحركوا هذه هي السلسلة التي اقتضت عناية الباري أن تظهر آية عظيمة في قديمها وتخلص تلك القطر من قيدها، واقتضت الحكمة البالغة والتدبير الأسعي أن يكون ذلك بواسطة من انقسم، وأن تجري الهداية على صفها في الأولين فيلاقي الوسطة ما يلاقي، ويصير ما يصير، ويتم الله ما يريد. ولذلك لا انقام هذا المعطى يعلن هذه الدعوة: لقي تلك الصوامد وماتت تلك الصوامد؟ جهل وغرور، وكبرياء وعثر، وقسوة وفظاظة، وتعصب للأبوالوف، وقرة من الوعظ والنصح، وإباء أمام الانذار، وطغيان وبتان وعدوان، واقسام على قل الذي يذكر آلتهم بما يكرهون أي قلب لولا التأييد الرباني نجد الى الصبر سبيلا أمام هذه الصوامد،

وأي ناصية لولا العون الرحماني تظهر لقاء هذه الصوامد ، وأي امرأة غير « خديجة » ترى بطلها في جوف هذه القوائل ثم لا تزيد إلا حمداً على القيام بوظيفته وإيناساً بوقوفها معه في وجه كل خصم لدود

أوفي (عليه صلوات الله وتسليماته) بأنواع الأذى للأسامهم الدعوة ، تكاثر المفتاتون عليه والمفترون ، وظاهر صوامد الجاحدون والمفترون ، من أقرب اقربائه ظهر الجافون المتباعدون عنه ، والمهازئون به والساخرون منه ، دع عنك البمداء ، ومن أكل قلوبهم حسداً أو بفضاء ، قال المفترون هو بطاب الملك علينا ، وقالوا عن الوحي الآلهي هو شر جاء به البناء ، وقد حشروا ما عرفوه من الميوب وأرادوا عزوها إليه لينفروا الناس منه وينتقموا لآلهم التي بدتهم بمجودها ، وكشف لهم عوار جودها ، وأيسر ما فعلوه سبهم إياه والمزء به والافتراء عليه ومجافاته ثم مجافاة من لم يجافه فعلوا كل هذا وهو متدرع بالصبر ، مثابر على الصدع بالامر ، وفي هذا كانت منه هذه الدرجة الشريفة الفاضلة تعلم محبي الحق كيف يكون الصبر من أجله ، وتهدي إلى الاجيال الآتية أجل صورة لثبات الجاش أمام الصعوبات

وبإما أحلى الصبر إذا كانت عاقبته كعاقبة صبر هذا الرسول الكريم فقد كانت العقبى ذلك الفوز العظيم الذي يقل في الدنيا من لم يسمع خبره ولنم عقبى الصابرين

— خلاصة الدعوة —

أما الدعوة الشريفة التي أعلنها فهذه أصولها :

(١) العلم بأن لا شيء يستحق التأليه إلا الله الخلاق العظيم الذي

لا يشبه الحوادث ولا يشبه شيء منها

(٢) العلم بأن هذا الباري المصور ذو عناية خاصة بالنوع الانساني ومن عنايته به اتخافه يعترف الهدايات ومنها الهداية بواسطة وحي اعلى للرسول المصطفى

(٣) العلم بأن هذا الداعي الجديد الى الله هو رسول مصطفى قد ارسله الله بدين يدعو الى السعادة في هذه الحياة وحياة اخرى يوم الجزاء
(٤) العلم بان الايمان بهذا الرسول يقتضي الايمان والتسليم الى كل ما جاء به هذه اصول الدعوة التي كان مأمورا أن يبدأ بها الناس وهي ملخصة بهاتين الجملتين الشريقتين «لا إله الا الله محمد رسول الله» فمن قالهما مطمئنا بهما قلبه دخل تحت الاواء الحمود اواء المهدية الذي يظل مئات الملايين في يومنا هذا

والرسالة المهدية لم تكن لقريش ولا للعرب خاصة بل هي للناس كافة ولكن البدء بالمشيرة الاقربين كان هو الذي تقتضيه الحكمة حتى اذا اجابوا كانوا عونا للدعوة لا عونا عليها

الفصل الرابع والعشرون

﴿ بعد عشر سنين ﴾

بعد عشر سنين من عهد الرسالة كان المؤمنون قد كثروا واخذ العناد من الخصوم يزيد ، وجعل الحسد يتهب في قلوبهم لهذا النجاح الذي كانوا يحسبون محالا ولم يحسب أمثالهم مثل هذا الحساب

كان الجاحدون في نظر من ذلك الحسد ، والمؤمنون في جنة من
الفرح بنعمة الله ورحمته ، كان الجاحدون يفكرون كيف يزعمون هذا
الروح البعيد ، والمؤمنون يفتخرون من مولا املاء شأنه ، كان
الجاحدون جاري في هذا الداعي فطورا يسيرة وطورا يهزأون به ،
وأحيانا يرجعون الى انفسهم ويحسبون حسهم وعقلهم فيه فيجدونه بعيدا
عن الذين وسائر المظالم التي كانوا يظنون ، وكان المؤمنون من يقينهم في
حفظ عظيم من الطمأنينة وانشراح الصدر وفرح الضيق . كان الجاحدون
يرجعون الى تلك المجازاة فيشكون اليها الحمدين وما أتوه من مخالفة
قومهم وتأييد ذلك الرجل الذي لا يذكر آلتهم الا بسوء ، وكان المؤمنون
يرجعون الى من لا تدركه الابصار متوجهة اليه وجوههم ، مسلمة اليه
قلوبهم لا يتوكلون الا عليه ولا يأخذون الا بسنته . كان الجاحدون
مكرونا حول تلك الاصنام الجامدة ، وكان المؤمنون يقولون سبحان الله
سبحان الله عما يصفون ، تعالى الله علوا كبيرا . كان الجاحدون كثيري
الغم والحلم ، وكان المؤمنون مع شدة ما لا قوه من الاذى فرحين
مستبشرين قد أبدل الله لهم مرارة الصبر حلوة ، وذلة القلة عزة ،
وفي أواخر تلك السنين الشر الشداد كان على سرير الاحتضار
شخص عزيز جدا عند المؤمنين ولم يشمت الجاحدين في تلك الايام شي بمثل
مناصرة هذا الشخص لذلك العالم الاسلمي الذي نشأ وترعرع بينهم بالرغم منهم
كان في هذا الشخص العزيز روح ترفرف في هذا المحيط الصغير ، تارة
ترفع البصر الى مقرها الاقدس عند المحيط الاعظم فتحاول الطيران اليه ،
وتارة تنحني به على هذا المحيط الذي أنست به فتظلي من فرفة عليه ، وجاهحة

الى المكوف لديه ، وكان جاذب من قلوب هذا العالم الاسلامي يمتنى بقاءه ،
وجاذب من امر الله وسنته يقضي بطيراته ، وأمر الله أعلى واليه المصير
هل عرف القارئ من هذا المودع العزيز ذلك كان شبح سيدتنا
« خديجة » فقف أيها القلم خاشعا ، لقد ماتت من تركت للمضائل حياة
لا تفتى ، لقد انتهى هذا العمر الذي أمدك بهذه المواد السامية ، ولن
تجد لك أيها القلم شرفا بعد هذه السيرة الا اذا سرت بنقل التاريخ المحمدي



سبحان رب الكون هذا حكمه في الروح قد سببت بهذا الواقع
مراآتها هذا الشخص بها ترى زما وترجم للمحيط الواسع
لقد سرت روح سيدتنا « خديجة » بهذه الدار فرأينا منها ما نقلناه
للقارئ والآن هي لدى المحيط الواسع فهل تعجلى اليوم على هذا العالم الذي
مرت به وترى أن تلك الحكامة التي قاست في سبيلها مع بطها الكريم
ما قاست قد أعلاها الله تعالى وعظم شأنها ونصرها العرب وغير العرب
وأصبحت برور الارض وبحورها مملوءة كل هذه المصور الى يومنا هذا
عن يقول من جميع اجناس البشر « لا اله الا الله محمد رسول الله »
وقد وادت سيدتنا « خديجة » من زوجها الكريم بنين وبنات
وبقيت لها من بنتها السيدة « فاطمة الزهراء » ذرية مباركة في أكثر
أقاليم الارض والحمد لله ولكن هل تعجلى اليوم تلك الروح الشريفة وترى
أن كل المؤمنين بمدون البوم أولادها . فالسلام عليك يا أم المؤمنين ،
سلام الله ورحمته وتحياته على روحك الطاهرة يا أمه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرها كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة

١٣١٥

غير مجادى الدين يستعملون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و منارا و كثار الطريق

(السبت سلخ شعبان ١٣٢٨ - ٣ ستمبر (ايلول) ١٣٨٦ هـ ١٩١٠ م)

فتاویٰ المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ولشروط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانما ذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماد من امتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبتا غير مشترك لهذا ولان مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان ناعله وصحيح لافضاله

﴿ محاربة المنار للتقليد ومذهبه ﴾

(ص ۳۲) من صاحب التوقيع بسبب (برنيو)

حضرة العلامة المفضل العظيم ، الفهامة الأستاذ الحكيم ، سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر شيد الله بوجوده منار الاسلام ، واهتدى بهديه الانام وبعد اهداء كل تحية واحترام فلقد كان المنار منذ سنين حارب فيها التقليد والمقلدين ، ودعاهم الى الاهتداء بالسنة وكتاب رب العالمين ، وحسم بسيف الدليل والبرهان السنة المتدعين ، وعني توحيد المذاهب الاسلامية المختلفة طبقاً للكتاب والسنة

النبوية ، إن ذلك لحق . ولكن رأيت في ذلك داء يجب تداركه بالملاج حيث توهم كثير من الناس أن صاحب المنار لم يتسكك بمذهب من مذاهب الأئمة الأربعة (رضوان الله عليهم) بل هو مستقل بمذهبه . حتى قال بعضهم : إذا كان هو قد خرج من مذاهب الأئمة ورفض كتب المتقدمين وأخذ يجتهد فاني لا أتبعه بل أتبع العلماء المتقدمين وأطلع على كتبهم واقراً فيها فإن الاجتهاد شروطاً كثيرة بل تقل ابن حجر عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد (أي مستقل) فما رأيكم في هذا الوهم فهل تستحسنون أن تزيدوه وتبينوا المقاصدكم بالاستقلال

م . ب . ع

أم تسكتون عليه ؟ هذا والسلام فتم الختام .

(ج) قد تكرر بيان هذه المسألة في المنار وصرحنا غير مرة بأننا لم نقصد قط أن ندون لنا مذهباً نحصل الناس على اتباعه وأننا لا ندعو أحداً إلى تقليدنا بل لا نخير له ذلك وإنما ندعو المسلمين إلى البصيرة في دينهم اتباعاً لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» فنحن باتباعه (ص) ندعو إلى الله عز وجل بنهم كلامه والتأامي برسوله مع البصيرة أي الدليل والحجة فمن ظهرت له الحجة والبصيرة فيما نكتبه فاتباعها لا يكون مقلداً لنا وإنما يكون متبعاً للبصيرة التي يرضاها الله له . ولا نتمنى أحداً عن طلب البصيرة في الدين من كتب الأئمة المتقدمين بل نأمر بذلك ونحث عليه ونحب لكل الناس أن يستفيدوا منها كما استفدنا ونستفيد دائماً وإنما نذكرهم بأن يطلبوا منها البصيرة بفهم كلام الله وكلام رسوله واستبانة سننه لا لأن يجملوا كلام العلماء هو المقصود لذاته فقد ذكر الإمام المزي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنهما في أول مختصره لمذهب الشافعي أنه قلده يستعين به الطالب له قال مع اعلاميه بأنه (أي الشافعي) لا يجوز له ولا لغيره أن يقلده به . فنحن نستعين بالمفسرين على فهم القرآن ولا تقلد أحداً منهم في فهمه وإنما نشجع البصيرة متى استبانة ونستعين بكتب المحدثين والفقهاء على فهم السنة ولا تقلد أحداً منهم في رأيه وإنما نشجع البصيرة ونحث اخواننا على طلب البصيرة في الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وإن كانوا متبعين لبعض المذاهب فهي لا تمنعهم أن يكون لهم حظ من الاهتداء والبصيرة

وليعلم السائلون وغيرهم أن الأصل في التقليد هو الثقة فقد جرت عادة الناس باتباع من يتقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدم وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام كلوائف الباطنية . فني اقتطع الناس عن فهم الكتاب والسنة اتقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذي انزله على رسوله (ص) وحرروا البصيرة التي هي سبيل الله واتبعوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » (من سورة الانعام : ١٥٣) ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذي هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة في الكتاب والسنة . وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يصد الناس عن سبيل الله ويحملهم على الاستغناء بكلام غير المعصومين الذين لا يسلم أحدهم من الخطأ مع حسن القصد فكيف اذا وثق الناس بفاسد السيرة المتعمد لهم الشريعة كالباطنية . وقد كان أحدهم يرجع عن كلامه بعد أن يكون قل عنه وقد رجع الشافعي بمصر عن مذهبه الذي وصل اليه اجتهاده قبل ذلك فصار الناقلون له يقرولون المذهب القديم والمذهب الجديد وقد رأيت قول صاحبه المزني في عدم إباحته تقليد أصوله

وخلاصة القول اتنا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) كل بقدر استطاعته وان طالب الاهتداء من العامة يمكنه أن يسأل العلماء عن ذلك عند الحاجة اليه لا عن رأيهم وفهمهم لكلام المقلدين فقط كتأخري الفقهاء وقد فصلنا القول في ذلك من قبل تفصيلا . ولا يتم هذا الاهتداء الا بالناية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستفني المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله عز وجل بلسان عربي مبين ، فالناية من هذه المفسدة اذا وقعت (لاسح الله) ان يكون الاعاجم من المسلمين عرضة لتترك الدين وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى

هل يمتد بإيمان أهل الكتاب بعد الإسلام ﴿

(ص ٣٣) من أحد علماء تونس المستقلين صاحب الامضاء

مقام حجة الدين وإمام أئمة المصلحين سيدي محمد رشيد رضا صاحب المنار
الزاهر أعلى الله به كلمة الحق

علت بما اطلعت عليه من مجلدات المنار الاغروا بكم في معنى الاسلام - وهو
ما هدتي الفطرة الى فهمه من قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من
قبل » ولم أكن اقرأ المنار ، ولكن اشكل علي حفظكم الله تعالى ما يلوح من كلامكم
في هذا الغرض من ان الاسلام الذي تكون به النجاة في الآخرة هو الايمان بالله
واليوم الآخر والعمل الصالح من اي أمة كان صاحبه وفي أي زمان وجد ومكان ،
فهل وأبكم رفع الله بكم قواعد الدين ان الذين هادوا والنصارى اليوم يفوزون يوم
الجزاء برضوان الله تعالى اذ اقام آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات وان كفروا
بما انزل على محمد (ص) والذي كنت أفهم من معنى الاسلام ولن أزال أفهم انه
الايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل ، فمن آمن بموسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مسلم عندي بلا شك . كتبت اليك لا كون
على بينة من وأبكم فاني لأدين بالظنون والوائع ، ولا اسكن الى ما عليه علي الظواهر ،
وقد استندت هذا الخلق من قراءة ما تكتبون - والله يحفظكم

(احد القراء بتونس)

(ج) لكل مقام مقال ونحن قد صرحنا من قبل في بعض المقامات بان الايمان
هو كما عرفه النبي (ص) ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وفسرنا الاسلام في التفسير بما علمه السائل الفاضل
ورضيه وقال ان الفطرة هدته من قبله الى فهمه وهو ما يتبادر من القرآن الحكيم وفسره
في مقام آخر بما جاء في الحديث من الاعمال أو الاركان الخمسة وفي مقام آخر
بأنه الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجموعه ونحن نرى السائل

هنا فسر الاسلام بالإيمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل وهذا التفسير ليس هو الذي فهمه من القرآن ولا هو الذي ورد في الحديث في جواب جبريل ولا هو الذي يفسره به العلماء وهو يعرف ما ورد في الحديث وما قاله علماء العقائد في تفسيره كما يفهم المراد من استعمال القرآن وإنما عرضه هنا ان يبين ان الإيمان بالرسل من أصول الدين الاسلامي وهو كذلك

ثم اننا بينا في مقام آخر ان المقصد من الدين الذي جاء به جميع الرسل من عند الله هو الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات لان هذا هو ما تنزكى به النفس وترقى به الارواح وتستعد لنازل الكرامة في الآخرة والنجاة من العذاب، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الوسيلة لتعليم البشر هذه المقاصد وهل يمكننا ان نقول غير ذلك في مقام تفسير قوله تعالى (٢: ٦١) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي تفسير (٤: ١٢٢) ليس بأمانيتكم ولا أمانيت أهل الكتاب ، من يصل سواهم يحجز به ولا يجده من دون الله ولا ولا نصيرا ١٢٣ ومن يصل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا)

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال التقى فاس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى مثل ذلك . فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا (ص) بعد نبيكم وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فمن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فانزل الله تعالى وليس بأمانيتكم ولا أمانيت أهل الكتاب - الى قوله - ومن احسن ديننا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خيلا ، فانت ترى ان القرآن الحكيم قد ناط دخول الجنة وسعادة الآخرة بالإيمان والعمل الصالح في مقام إنكار المناخنة بين أهل الكتاب والمسلمين .

وذلك ان أهل الكتاب جعلوا مقصد الدين وقطبه الذي يدور عليه امر

النجا والسعادة في الآخرة هو الاتيان الى انبيائهم وانهم انما ينجون بمجاهد
لا بتابعهم وإقامة ما جاؤا به من الهداية فكان مثلهم ومثل من اتبع منهم من
المسلمين كمثل عيد جملهم سيدهم في مزرعة ليعمروها ويتنصروا بها ويستعينوا
بما فيها من الثمرات على اصلاح شأنهم وإعداد انفسهم لمقام خير منها في جوار السيد
وارسل اليهم عبدًا آخر من عبيده المتعلمين المهذبن بكتاب بين لم فيه ما يوجب
عليهم من الاعمال فبلغهم هذا العبد الرسول رسالة سيده وسيدهم فصدقوه واقام
بينهم عاملا بالكتاب حتى مات . ثم لم تكن فتنتهم الا أن تركوا العمل بالكتاب
واتباع ذلك الرسول الفاضل في اعماله وآدابه واعتقدوا ان ذكر اسمه بالخبر والمبالغة
في تعظيمه وتعظيم كتاب السيد بالقول يقتضيان عن العمل الذي نصير به المزرعة ويرتقي
به اهلهما ويكونون اهلا لما وعدهم به السيد من المقام الكريم اذا هم اقاموا كتابه
أرأيت اذا كان أهل المزرعة فريقان فريق منهم صدقوا الرسول ولم يعملوا
بما جاء به من عند السيد وفريق آخر لم تبلغهم رسالته أو بلغتهم على وجه لا يحرك
الى النظر ولا يؤدي الى الاقتناع ولكنهم عطوا بالنظر العقلي أو بتعليم رسول سابق
كان أرسله السيد من قبل ان الذي يرضيه من عمران المزرعة هو كذا وكذا وان
الذي يجب أن يكونوا عليه من العلم والآداب فيها بينهم هو كذا وكذا وعملوا بذلك
بقدر طاقتهم على حسب اجتهادهم أ يكونون مرضيين عند سيدهم أم لا . وهل يعقل
أن يكذب العبد الطائع الخاضع لرسول سيده ومولاه ويرفض دعوة ويرد رسالته ؟
كلا إنه لا يعقل أن تبلغ المؤمن بالله واليوم الآخر القائم بالأعمال الصالحات دعوة
رسول من عند ربه فيردها ويحجدها وانما يفعل ذلك من فساد إيمانهم وسامت
أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فانا لا أصدق أن المؤمن بالله واليوم الآخر العامل للصالحات
من أهل الكتاب تبلغه دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على وجهها ويردها لان من
كان على شيء من العلم والخبر وتبين له علم أعلى من علمه واكمل ، وخير أرقى مما
هو عليه وأفضل ، يرى نفسه مضطرة الى قبول ذلك ولا يصرفه عنه وهو من
مقتضى فطرته الاحسد وهو وكبر ملكن على نفسه أمرها ويندر أن يكون ذلك من
المؤمنين الصالحين ، فانا أحكم على من بلغته دعوة الاسلام بشرطها وردها بقوله

عز وجل (٤ : ١١٤) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وفي القرآن دلائل
كثيرة على ما قلنا

بعد كتابة هذا واجبت كتاب (فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) لابي
حامد الغزالي رحمه الله تعالى فرأيت يشير الى ان من بلته الدعوة بدليلها تنبث
نفسه بطبعها الى النظر ان كان من أهل الدين والتخير قال بعد بيان حكم الضالين
من هذه الامة ما نصه « وأما من سائر الامم فمن كذبه (ص) بعد ما قرع سمعه
على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحمى
ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تمدهى به أهل الفصاحة وعجزوا
عنه فاذا قرع سمعه ذلك فأعرض عنه وتولى ولم ينظر ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق
فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر . ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك
(كان الترك في زمن الغزالي وثنيين) الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل
أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبث به داعية الطلب ليقين حقيقة الامر ان
كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم
تنبث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين
وذلك كفر ، وان انبثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان
بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه ان يفتقر عن الطلب بعد ظهور الخبايل
بالأسباب الخارقة للعادة ، فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فأدركه الموت قبل
تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا
تزن الامور الآلهية بالموازين المختصرة الرسمية ، اهـ

هذا وان السائل الكريم يعلم ان المسلمين لا يبنون بالدعوة الى دينهم ولا
سبما على الوجه الذي يحرك الى النظر في هذا العصر - واكمل عصر من المحركات
النظرية ما هو خاص به ، بل هم لا يبالون بتعليم المنسويين الى الاسلام حقيقة
الاسلام فقد أهل هذا الدين حتى صار علماء على قلتهم جاهلين بكتابه وسنته
وماجزين عن النهوض بحجته الا افرادا شذاذا يظهر الواحد منهم بعد الواحد في

بعض الاقطار بالمصادفة والاتفاق بل باستمداده الخالص وحوادث الزمان واكثر هؤلاء الملايين من المسلمين لم يلقوا شيئا من أمر دينهم حتي ان منهم في بعض انحاء الهند من لا يعرف من الاسلام الا جواز اكل لحم البقر الذي يخالفون به جيرانهم الوثنيين ، ومنهم في روسية من هم أجهل من هؤلاء ، بل اخبرني أحد أئمة الصكر البحرية أمس انه كان يسأل الجماهير من افراد الصكر الاناطوليين عن دينهم ودينهم فيقولون ديننا العسكرية البحرية وديننا السلطان عبد الحميد ، ولو لا الأوقاف التي وقفها السلاطين والأمرأ وأهل الخير من الأئمة على العلماء الذين يشتغلون بعلوم الدين وبعض المناصب الشرعية التي يقصد بها الرزق لما رأيت في الآستانة ومصر وتونس وفاس وغيرها من البلاد عشر مشار من تبحر من المعصمين الذين يذيعون أدينتهم في حل رموز هذه الكتب المقدسة أو المصلحة التي اختاروها من تصانيف المسلمين بعد ضعف العلم فيهم حتي كأنها كتب منزلة بتعبدها ، وما هي والله بالكتب التي يمكن قارئها أن يظهر بها حقيقة دعوة الاسلام وحجة الله به على العالمين ، بل نرى أكثر الممارسين لها قد نفروا المسلمين عن الاسلام فما بالك بغيرهم

هذا ما حملنا على بذل النفس والنفس في السعي الى تربية اسلامية وتعليم اسلامي تظهر بهما دعوة الاسلام وحجته وتنفذ الملايين المسلمين من الجهل بدينهم ودنياهم الذي صاروا به حجة على الاسلام تنفر عنه الأنام ، وقتة للكافرين ، تبعدهم عن حقيقة الدين (٦٠ : ٥ ربنا لا نجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

في الصلاة . مواقيتها وجمعها وغايتها ﴿

(س ٣٤) من كاتم لاسمه في مصر القاهرة

حضرة الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم - بعد التحية والاكرام ارجو
الاجابة على ما يأتي :

- (١) ما هي الآيات الشريفة التي تؤيد إقامة الصلوات في مواقيدها المقررة
 (٢) هل الجمع بين صلاتين جائز وفي أي ظروف ؟
 (٣) ما رأيكم في موظف بمصلحة تقضي عليه وظيفته أن لا يقيم صلاته أثناء
 تديته أعماله فهل عليه من حرج إذا جمع بين صلاتين مثلا ليؤديها أثناء خلوه
 من العمل ؟

(٤) إذا كانت النية من الصلاة هي الإخلاص للخلاق بالقلب عما يؤدي
 الي تهذيب الأخلاق ، و تزكية النفوس ، وكان من المحتم على كل مسلم أن يقيم
 صلاته بمواعيد ، فكيف يعقل ، والناس على ما ترى ، ان كل الصلوات التي تقام
 في المساجد والبيوت ، هي بإخلاص عند كل المسلمين ؟ ، وإذا كان الجزء القليل
 منها هو المقصود من الدين ، والمبني على الفضيلة ، فإذا لا تترك الحرية التامة للناس
 في تحديد مواعيد إقامة صلواتهم ؟ . والاما الفائدة التي تعود على النفس من الركوع
 والسجود بلا إخلاص ولا ميل حقيقي للعبادة بل اتباعا للمواعيد واحتراما للتقاليد ؟
 (ج) - أما الجواب عن الأول فحسبك في التوقيت المطلق قوله تعالى (٤ :
 ١٠٢) ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (أي فرضا مكتوبا مقيدا
 بأوقات محددة . وفي التفصيل قوله تعالى (١٧ : ٧٨) أقم الصلاة لدلوك الشمس
 الى غسق الليل وقرآن الفجر) وقوله سبحانه (٣٠ : ١٧) فسبحان الله حين تمسون
 وحين تصبحون ١٨ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون)
 وكانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح وبالدكر

٢ - وأما الجواب عن الثاني فالجمع إنما يكون عند جماهير العلماء في السفر
 وكذا في المطر عند الشافعية لأجل المحافظة على الجماعة . وقد تناول بعض العلماء
 بذلك حديث ابن عباس الثابت في كتب الصحاح والسنن المشهورة « صلى النبي
 صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أي الظهر
 والعصر ثمانيا لأن كل واحدة منهما أربع ركعات ، والمغرب والعشاء سبعا لأن الأولى
 ثلاث والثانية أربع فالتسبيح فيه غير مرتب على ألف . وفي رواية عنه في صحيح
 (المأرجح ٨) (٧٣) (المجلد الثالث عشر)

مسلم وسنن الشافعي هـ. صلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والمشاء جميعا من غير خوف ولا سفر هـ. روي عن مالك انه قال أرى ذلك في المطر هـ. وعليه العمل عند الشافعية ولكنهم اشترطوا له شرطا لا يدل عليها الحديث بل ظاهره انه رخصة تؤتى عند عروض شغل قوي ويدل على ذلك ما قاله راويه ابن عباس في تعليقه كما في سنن الشافعي هـ. لا يخرج أمته هـ. ولو فرضنا ان ذلك كان في وقت المطر لكان المطر مثالا لنفي المخرج لا شرطا للرخصة على أن ذلك لو كان في جماعة وقت المطر كما يرى الشافعية لتوفرت الدواعي على نقله فرواه كثيرون فالظاهر من هذه العبارة أن الجمع في الإقامة رخصة لمن كان يلحقه في أداء الصلاة في وقتها مشقة والمخرج والصوم فروعان بنص القرآن العزيز فحمل بعض الفقهاء لها على وقت المطر أو وقت المرض كأن كان يعلم انه يصيبه دور الحمى في وقت الثانية فيجمعها مع الأولى كل ذلك من قبيل المثال لمن ينظر في الأمر نظرا عاما غير مقلد فيه والشبهة تميز الجمع مع الإقامة كما هو المشهور عنهم ولا أدري أيمنون ذلك رخصة كما هو ظاهر هذه الرواية عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أم يعدونه عزيمة لكثرة ما يأتيونه كما يروى عنهم

٣ — وأما الجواب عن الثالث فقد علم بما قبله وملخصه ان الأصل في الصلاة ان تؤدي في اوقاتها المعروفة وذلك ثابت بالكتاب والسنة وعمل جماهير المسلمين سلفا وخلفا وان للرخصة وجها لمن شق عليه أداء بعض الصلوات في وقتها وما افطن ان عملا من اعمال مصالح الحكومة وما في معناها كالشركات الكبيرة بمنع العامل فيه من أداء الصلاة في وقتها دائما وإنما يكون ذلك نادرا فان صلاة الفريضة تؤدي في خمس دقائق أو أقل . ورأيت كثيرا ممن خبرت حالهم من هؤلاء العمال يستقلون الصلاة لاجل الوضوء وإنما يشق عليهم منه غسل الرجلين غالبا فان كوبا من الماء يكفي لغسل الوجه واليدين الى المرفقين ويسهل ذلك على المرأة إنما كان ولكن غسل الرجلين قد يشق على العامل في احيان كثيرة والمخرج من هذه المشقة ان يمسح ولو على جور يه فالحنايلة وغيرهم من علماء السلف يجيزون المسح على كل سائر الرجلين كالتأفف ودليلهم أقوى ولما اقيمت في المنار بهذا صواب كثير من تارك الصلاة

يحافظون على صلاتهم في أوقاتها يتوضئون في الصباح فيسبغون الوضوء وينساون أرجلهم ويلبسون جواربهم وفوقها الخفاف فالاحذية أو الاحذية فقط ثم يذهبون الى أعمالهم فإذا أراد أحدهم ان يتوضأ في أثناء العمل وهو في عمله يسمح على السائر كأنما ما كان ، ويحسن وهنا أن نذكر القارى بما ختمت به آية الوضوء وهو بعد ذكر طهارة الرجلين « ما يريد الله ليكمل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

٤ — وأما الجواب عن الرابع فهو يتضح لكم اذا تدبرتم تفاوت البشر في الاستعداد وكون الدين هداية لهم كلهم لا خاصة بمن كان مثلكم قوي الاستعداد لتكامل نفسه بما يعتقد انه الحق وفيه الفائدة والخير بحيث لو ترك الى اجتهاده لا يترك العناية بتكامل إيمانه وتهذيب نفسه وشكر ربه وذكره وقد رأيت بعض المتعلمين في المدارس العالية والباحثين في علم النفس والاخلاق ينتقدون مشروعية توقيت الصلوات والوضوء وقرن مشروعية الفصل بطل موجبة وعال غير موجبة على الحتم ولكن تقتضي الاستحباب وربما انتقدوا أيضا وجوب غير ذلك من انواع الطهارة بناء على ان هذه الامور يجب ان تترك لاجتهاد الانسان يأتيها عند حاجته اليها والعقل يحدد ذلك ويوقته !! هؤلاء تربوا على شيء وتعلموا قائدة فحسبوا لاعتناءهم واستحسانهم اياه انهم اهتموا اليه بمقولهم ولم يحتاجوا فيه الى ايجاب موجب ولا فرض شارع وان ماجاز عليهم يجوز على غيرهم من الناس ، وكلا الحسايين خطأ فهم قد تربوا على أعمال من الطهارة (النظافة) منها ما هو مقيد بوقت معين كغسل الاطراف في الصباح (التواليت) وهو مثل الوضوء ، أو الفصل العام ، ومنها ما هو مقيد بعمل من الاعمال ، وتعلموا مافيه من النفع والفائدة بقياس سائر الناس عليهم في البدو والحضر خطأ جلي . ان اكثر الناس لا يحافظون على العمل النافع في وقته اذا ترك الامر فيه الى اجتهادهم ولذلك نرى البيوت التي لا يلتزم اصحابها او خدمها كنسها وتنظيف فرشها وأثاثها كل يوم في اوقات معينة عرضة للاوساخ فتارة تكون نظيفة وتارة تكون غير نظيفة ، واما الذين يكذبونها وينفضون فرشها وبسطها كل يوم في وقت معين وان لم يصبها اذى ولا غبار فهي التي تكون نظيفة دائما . فإذا كانت الفلسفة تقتضي

بأن يزال الوسخ والغبار بالكنس والمسح والتنظيف عند حدوثه وإن يترك المكان أو الفراش أو البساط على حاله إذا لم يطرأ عليه شيء فالتربية التجريبية تقضي بأن تعتمد الامكنة والأشياء بأسباب النظافة في أوقات معينة ليكون التنظيف خلقاً وعادة لا تنقل على الناس ولا سيما عند حدوث أسبابها ، فمن اعتاد العمل لدفع الأذى قبل حدوثه أو قبل كثرته فلأن يجتهد في دفعه بعد حدوثه أولى وأسهل . وعندى أن أظهر حكمة التيميم هي تمثيل حركة طهارة الوضوء عند القيام إلى الصلاة ليكون أمرها مقروناً في النفس محتملاً لاهوادة فيه . وقد قال لي ممثل أنس وكيل المالية بمصر في عهد ترومر أنه يوجد الآن في أوروبا أناس لا يستحمون مطلقاً وأنا نحن الانكليز أكثر الأوربيين استحماماً وإنما اقتبسنا عادة الاستحمام عن أهل الهند ثم سبقنا جميع الأمم فيها ، فأمل ذلك وقابله بعادات الأمم في النظافة التي هي الركن العظيم للصحة والهناء واعتبر هذه المسألة في الأعمال العسكرية كالخفارة عند عدم الحاجة إليها لئلا يتهاون فيها عند الحاجة إليها وجعلها مرتبة موقوتة مفروضة بنظام غير موكولة إلى غيرة الأفراد واجتهادهم

إذا تدبرت ما ذكرنا فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم ولا يكون ذلك إلا بالتوحيد الذي يقتضيه من رقى العبودية والذلة لأي مخلوق مثلهم وبشكر نعم الله عليهم باستعمالها في الخير ومنع الشر ولا عمل يقوي الإيمان والتوحيد ويغذيه ويزعم النفس عن الشر ويحبب إليها الخير ويرغبها فيه مثل ذكر الله عز وجل أي تذكر كماله المطلق وعلمه وحكمته وفضله ورحمته وتقرب عبده إليه بالتخلق بصفاته من العلم والحكمة والفضل والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال . ولا تنس أن الصلاة شاملة لمدة أنواع من الذكر والشكر والتكبير والتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء فمن حافظ عليها بحقة قويت مراقبته لله عز وجل وجهه له أي حبه للكمال المطلق وبقدر ذلك تنفر نفسه من الشر والنقص وترغب في الخير والفضل ، ولا يحافظ العدد الكثير من طبقات الناس في البدو والحضر على شيء ما لم يكن فرضاً معيناً وكتباً موقوتاً ، فهذا النوع من ذكر الله المذهب للنفس (وهو الصلاة) تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في

وجوب اطرادها وعمومها وعدم الهوادة فيها ، ومن قصر في هذا العمل القليل من
الذكر الموزع على هذه الاوقات الخمسة في اليوم واليلة فهو جدير بأن ينسي ربه
وينسى نفسه ويفرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكّت نفسه لا يرضى
بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافلة ومن أنواع الذكر
الأخرى ما شاء الله أن يزيد ، ويتحرى في تلك الزيادة أوقات الفراغ
والنشاط التي يربو فيها حضور قلبه وخشوعه وهو الذي استحسسه السائل .
وجملة القول ان الصلوات الخمس إنما كانت موقوفة لتكون مذكرة لجميع افراد
المؤمنين بربهم في الاوقات المختلفة لئلا ينحلهم الغفلة على الشر أو التقصير
في الخير وليريد الكمال في التواضل وسائر الأذكار أن يختاروا الأوقات التي
يرونها أوفق بحالهم ،

وإذا راجعت تفسير « حافظوا على الصلوات » في الجزء الثاني من تفسيرنا
نجد بيان ذلك واضحا وبيان كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا واطلب
المؤمن عليها ، ومن لا تحضر قلوبهم في الصلاة على تكرارها فلا صلاة لهم
قليجا همدوا أنفسهم

﴿ جمع القرآن وعدم ضياع شيء منه ﴾

(م ٣٥) صاحب الامضاء في الاسكندرية

قال السائل في كتاب خاص انه عرضت له شبهة في مسألة جمع القرآن ثم
شرح ذلك بقوله

« تعلمون أيها السيد أن القرآن الكريم جمع في خلافة الصديق رضي الله
عنه كما تعلمون بل تتيقنون عدم حفظ واحد له جميعه والا لما كان هناك معنى
لتلفه من صدور الرجال — على ذلك لا أتروى في ضياع شيء منه خصوصا وانهم
لم يجدوا حافظا لآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتم) الخ السورة
الا خزينة بن ثابت فإذا صح هذا وهو الواقع استتبع من ذلك جواز موت

صحابي آخر قبل الجمع انفرد على الأقل بما انفرد به خزيمة هذا ان لم يقل اثنين أو ما فوق العشرة فما قول السيد في ذلك وما الدليل على عدم الضياع وطريقة الجمع ينسرب اليها الشك في كل مكان بالدليل العقلي م . ع . م

(ج) أعجب ما في هذا السؤال زعم السائل أنني أتيقن عدم حفظ أحد من الصحابة (رض) القرآن كله واستدلالة على هذه المسألة بتلقفه من صدور الرجال : : قلما أنا قاتي أوتقن أنه قد حفظ القرآن كله جمع كثير من الصحابة في عهد النبي (ص) وان لم يصرح المحدثون إلا بعدد أفراد معروفين منهم فقد صرحوا بأنه قتل في حرب أهل النجاة سبعون من القراء وكان ذلك سبب اقتراح عمر جمع القرآن على أبي بكر (رض) وبأن أهل الصفة من قراء الصحابة كانوا متقطين في المسجد لحفظ القرآن والعبادة ويعرف السائل أن العرب كانوا من أجود الناس حفظاً على أن البدو في جميع الأمم أجود حفظاً من الحضرة والعرب اذكي الأمم بدوا وحضرا حتى أنه كان من حاضرهم من يظن أن من شأن الانسان أن يحفظ كل ما يسمع كما يروى عن ابن عباس (رض) وقد رأى رجلاً استكبر حفظه لرائية عمر بن أبي ربيعة حين سمعها مرة واحدة فقال وهل يسمع الانسان شيئاً ولا يحفظه ؟ فقد كانوا يحفظون ما يسمعون من حسن وقبح ما يعجبهم منه وما لا يعجبهم فكيف تكون عنايتهم بحفظ كلام الله عز وجل وهم يؤمنون بأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة وانهم يقرّبون به الى ربهم ويغالون رضاه وقد تعمدوا ذلك وحرصوا عليه وحنوا به أشد الحناية وقد رغبهم الله ورسوله بحفظه

على أن حفظه أن يضيع شيء منه لا يتوقف على حفظ الكثيرين له كله بل يكفي فيه حفظ الكثيرين لكل سورة من سورته وهل يعقل أن تنزل سورة ولا يحفظها البلم الفير من أهل الصفة المقيمين في المسجد لأجل حفظ القرآن من النبي (ص) وكذا من غيرهم من المقيمين في المدينة وكان أكثرهم يصلي مع النبي (ص) لا يتخلف عنه أحدهم إلا لعذر عارض وكان يقرأ القرآن كله في الصلاة كما كان يدارسهم إياه سورة سورة على النحو الذي يتدارسه مع جبريل (ع م) اذ ورد في الصحيح انه كان يطرّضه القرآن في رمضان كل سنة مرة أي كل ما

نزل منه وفي آخر رمضان من عمره الشريف عارضه جبريل القرآن مرتين وكان قد تم نزوله أو كاد فلم من ذلك أنه حان أجله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ان الذين تولوا جمع القرآن في المصحف بأمر أبي بكر ثم بأمر عثمان كانوا يحفظونه وإنما كانوا يجمعون المكتوب في الصحف والعظام وغيرها ويراجعون القراء الحافظين لأجل أن لا يبقى مجال لدعوى أحد من المناقبين أو غيرهم أن عنده شيئاً منه يخالف المجموع في المصاحف فيشكك به بعض الضعفاء أو الجاهلين . ولو رأى المناهقون أن في جمع القرآن شبهة ما لأذاعوا بها واكثروا الإرجاف ولم يقع شيء من ذلك ولو وقع لقامت له القيامة وعرفه كل الناس

أما آخر سورة النوبة فقد كان يحفظها الجهم الغفير ومنهم جامعوا القرآن وقد التمسوها ممن كتبها وهم بها عالمون فوجدوها عند خزيمه أو أبي خزيمه الانصاري كما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت الذي كان يتولى الجمع ، وكذلك آية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الخ فقد روى البخاري والترمذي عن زيد رضي الله عنه أنه قال : فقدت آية من سورة الأحزاب كنت اسمع رسول الله (ص) يقرأها فالتفتها فوجدتها مع خزيمه بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته بشهادة رجلين وذكرها فالحقها في سورته من المصحف . فأتت ترى أنه التمس شيئاً كان يعرفه ، كيف لا وهو أحد الحفاظ المشهورين الذين جمعوا القرآن كله عن النبي (ص) فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس (رض) قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) أربعة كلهم من الانصار : ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قيل لانس من أبو زيد ؟ قال أحد عمومي . وقد قال علماء الأصول ان المدد لا مفهوم له ، اقول ولا سيما في مثل هذا الخبر الذي يخبر صاحبه عما علم او بعض ما علم عن قومه وكان أكثر الحفاظ من فقهاء المهاجرين أهل الصفة (رض) فكنتي الآن بهذا الجواب المجهول الموجز الذي كتبناه في مركب يحجري بنا في زقاق (يوسفور) القسطنطينية ، ونظن أنه يكفي السائل فإن لم يكفه فليراجع ما كتبناه من قبل في احد مجلدات المنار وما كنت أظن أنه لم يقرأه وهو على ما عهد ولوع بالمنار حريص علي تتبعه ، وستفصل هذه المسألة

٥٨٤ هدية جريدة الحقيقة الى مشتركها جائزة سنوية (المئارج ٨ م ١٣)

تنصيلا فيما سنكتبه من أصول الدين لطلاب مدرسة «دار العلم والارشاد» ثم نشره على سائر الناس ان شاء الله تعالى

﴿ هدايا الجرائد الى مشتركها ﴾

(من ٣٦) من صاحب الامضاء الذي رغب البنا كتمان اسمه من (يروت)

سيدي الاستاذ المرشد الشيخ محمد رشيد رضا منشئ « المئارج » دام مجده

بعد التحية الى السيد المفضل اوجو من سيادته واحسانه الجواب عن سؤالي الاتي يانه في جزء المئارج القادم في رجب وله الثناء الجليل وذلك :

ماقولكم دام تفهمكم ، في البند الرابع من « البيان » الذي اذاعته جريدة الحقيقة - البيروتية وهو « تقدم ادارة الجريدة لكل خمس مئة مشترك من مشتركها هدية بالاقتراع تبلغ قيمتها خمسة وعشرين ليرة افرنسية في كل سنة موزعة على عشر نفر منها حسبما هو مبين أدناه

١ ورقة بئلك حقاري

١ ساعة ذهبية

٢ ساعة فضية

٢ ليرة افرنسية

٤ نصف ليرة افرنسية

١٠ المجموع

وتضاعف هذه الهدايا بزيادة المشتركين على نسبة خمسة وعشرين ليرة لكل

خمس مئة مشترك اه

فهو يجوز لجريدة الحقيقة أن تعطي مشتركها المذكورين (الهدية) على الوجه المرقوم وهل

يجوز لمشاركها قبول هذه الهدية أفيدوني ولكم مزيد الفضل (مستفيد)

(ج) لا أعرف ما يمنع جواز اعطاء هذه الهدية ولا قبولها

باب التناهد

بحث الكلام في الاختلاف (*)

قد نوه الله سبحانه بالاختلاف في الدين وكرر ذلك في كتابه العزيز تذكيراً كثيراً لطمة سبحانه وتعالى بفسرده في الدين وكم كثر ذلك في بني اسرائيل قائلاً « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بنينا بينهم » ونحوها فكانه يقول احذركم مثل فطهم مدلين بالشبه وعدم تبين ذلك في دينكم فانكم ان فطتموه ففطتموه بعد قيام الحجة عليكم ولا يحملكم عليه الا النبي لا التدين وان من اراد الله واتبع رضوانه فانه يهديه سبيل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور فصدق الله تعالى ما وجدنا الخلاف الا في محل قد تبين الحق فيه ، وادلى المخالف للعق بشي لا ينبغي الاستناد اليه ، فهو انما جعله صورة والحامل الحقيقي النبي لنيل حفظ دنيوي وقد يكون البلاء من النظر في شيء النظر فيه تكاف ما لا يعني وقد تم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهى عن مظان الخلاف وحذر منها كالجلد في القدر وقال الله تعالى « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتركوني ما تركتكم » وكل الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق شيء يقربنا الى الجنة الا بينه لنا ولا شيء يقربنا الى النار الا بينه

(*) منقولة عن كتاب العلم الشايع في اشارة النبي على الالباء والشافع لاحد مجتهدى القرن الحادي الذي يطعم عطية النار

وما عفا الله تعالى عنه وسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يريد الله سبحانه أن يفتش عنه بمجرد عقولنا القاصرة فإنها إنما جملت الدنيا في قدر محدود في علم الله سبحانه وجاءت الرسل بتبيين ما تتم به النعمة وتؤكد الحجة فما عدا ذلك فضول يخاف ضرره ولا يُرجى نفعه ، وقد قام بمراد الله تعالى في ذلك خير القرون فكانوا يحاذرون الاختلاف أشد الحاذرة ويصرحون بذلك وما فرط منهم تلافوه أشد التلافي ، ولم يصرخوا على ما فعلوا وهم يعلمون ، كما كان من طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ولقد صبر من بقي من الصحابة بعد خلافة النبوة على أمراء الجور أشد الصبر وأقبلوا على صلواتهم وصيامهم وجهادهم وسائر القرب يتواصون بالحق والصبر والمرحمة ، ويحاذرون شق عصا المسلمين وكل ما يجر إلى الخلاف وهو المانع والله أعلم لسيوفهم الباترة ، التي استولت على أبطال العرب والاقاسرة والقياسرة ، من أن تجتمع على الملك الجائر حتى يقعد مكانه عادلاً ثم مضوا إلا مثل فالأفضل إلى أن ظهرت البدع بسبب التنقيح عما سكت الله عنه ورسوله ولو كان لهم من ذلك خير لو قسم الله على تلك المطالب على لسان رسوله ولم يتركهم يتخبطون لكن النفوس طماعة والدعوى عريضة فتكلم بعض الناس على ما سكت الله عنه وبحثوا في كلام الفلاسفة واختلطوا بهم في أيام الدولتين وناظروهم فاحتاجوا إلى تحرير الجواب على شبههم ورأوا أن تلاوة القرآن التي كانت جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجواب أصحابه رضي الله عنهم لا تقنع الخضم ولا تنصفه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أمراء الأجناد أن يدعوا إلى إحدى ثلاث الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب ، لم

يجعل منها أن تنتشر اخبارهم ومخبرهم وحكمتهم وشبههم وفلسفتهم ثم يناظرهم فقهاء الصحابة بهذا الاتصاف المولد بعد الصحابة هو الداهية الدهياء ثم حدثت بين المسلمين أنفسهم نوادر كالكلام في القدر ومسألة خلق القرآن والتعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم واتصل بذلك المناظرة عند الملوك والامراء وصارت عصبية ، والدعوى من الجانبين أن ذلك تدين وما هو الا انهم لما تندوا طورهم ولم يقفوا على حدم الذي وقفهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، تركهم الله وشأنهم وابسهم شيئا وأذاق بعضهم بأس بعض فكان خليفة يوافق هؤلاء فيزيد مخالفيهم المذاهب الاليم ويختلفه الآخر وينقض ما فعله الاول وينكل هؤلاء ويوطي شأن هؤلاء حتى استحكم الشر وصار الناس شيئا ، يولد المولود في قوم فلا يسمع من الانصاف شيئا بل يجد شيئا مطبقين على ان مخالفيهم ليس على شيء وانما هي فتنة وحادثة في الاسلام ويمدحون قومهم بكل خير وينزهونها من كل شر ويعززون الى المخالف نقيض ذلك

تري المتزلة يقولون في كتبهم كان الناس على دين واحد فحدث الجبر في امرة معاوية والرواية ثم حدث القول بتكليف مالا يطلق من فلان وقت فلان ثم حدث القول بعدم خلق القرآن ثم حدث كذا من فلان في وقت كذا مع ذكر اسباب وروايات ، فيأتون على جميع مذاهب مخالفيهم انها حوادث مجد ذلك في حكاية الملل والنحل وافراد المقالات لافي كتاب ولا في الف كتاب ثم تنظر كتب التسمية بالسنية يقولون كان الناس جميعا قبل حدوث القدرية على ان الله خالق افعال العباد ليس

للعباد منها الا النسبة المسماة بالكسب ومجمون على كذا وكذا بجميع مذاهبهم
كل على ما يراه ويعتقده ثم حدث رأي المتزلة بان المبدع يمكن وحدث كذا
وكذا الى آخر مذاهب الخفاف كذلك وتسمي المتزلة نفسها بالمعدية
وأهل العدل والتوحيد وأهل الحق والفرقة الناجية والمترهون لله عن
النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالجيرة القدرية الجوزة المشبهة الخشوية
المرجئة وغير ذلك . والاشاعرة وسلفهم مثل ابن كلاب والمحاسبي وغيرهم
يسمون نفوسهم بأهل السنة ويسمون المتزلة المبتدعة القدرية وقس
على هذا

فترى الضعيف الرأي والدين بل القوي الذي لم يتداركه الله سبحانه
بفضل عناية وتوفيق يرى تطبيق من نشأ فيهم ولقنوه كتبهم وقد ملأت
الارض مع شعنها بالتحذير من كتب الخفاف والجلوس الى المبتدع فكما
فطته قرش فيملاً قلبه ويطرق سمعه ذلك في كل ما كرر النظر والجم الفير
قد رأيت ما فعلوا ، ومن يرد الله هدايته يتهم هذا ويعده عقاباً لكن قليل
مام اذا تراه يشب على ما دب عليه ويشب على ما شب عليه ، ويمضي عمر
المتدين بالقيام والصيام ، وطالب العلم بالتصنيف والكلام على الخلاف
والوفاق ، وربما يعرف المذاهب خيراً من أهلها ويعلم انه قد صار بينه وبين
من لقنه مراحل ، ثم همه كله مصروف الى ما نشأ عليه يشبه ويمدح مقابلته ،
ما نجد خلاف هذا الا في النادرة من النادر من المباحث ولذا تجده يقول
في المبحث اذا أراد مخالفة شيعته : الله يحب الانصاف يتبعج بان قد انصف
ومنه الكلمة دليل عدم الانصاف وانه لو كان ديدنه الانصاف كما يدعي
لما استغرب هذه النادرة التي وقعت لانه طول عمره يزعمه جار على الانصاف

(المعارف ج ٧ ص ١٣) الانتقال من مذهب الى مذهب. افتتان المحدثين بدعة الكلام ٥٨٩

فهذا مثل من قال فرسي والحمد لله وانما يفعلون ذلك فيما لا ينفع عنهم
بلى قد تجد احدهم ينتقل من مذهب الى آخر بسبب شيخ أو دولة
أو غير ذلك من الاسباب الدنيوية والمصيرية الطبيعية ولذا تجد ينتقل من
مذهب برمته الى آخر برمته كما روى ان ابن عبد الحكم اراد مجلس الشافعي
بعد موته فقيل له قال الشافعي الربيع احق بعجلي فغضب وتذهب لما لك
وصنف كتابا سماه الرد على محمد بن ادريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة
هكذا ذكره ابن السبكي وقد علم الله سبحانه والراسخون في العلم ان الحق
لم يكن برمته عند فرقة والباطل عند البواقي وان كان كل منهم يدعي ذلك
بل عند كل قوم حق وباطل لكن الحق والحمد لله لا يخرج عن مجموعهم
وما الحق كله الا عند من بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا بد له من الخطأ في اجتهاداته ايضا في المسائل المنفوعة عن الخطأ فيها
لا في المهمات فالمفروض انه وقف على ما وقفه عليه الله ورسوله صلى الله عليه
 وآله وسلم فلا خطأ، وتل لي من ذا الذي وقف على ما وقف، وتنع بما جاء
عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتعمد مذهب ويؤثر الاسلاف
على الكتاب والسنة، ويترك هذا الداء الدوي ويتمسك بالانصاف في
ما يأتي وينذر، لا والله ما أعرف أحدا في هذه الكتب التي قد طبقت
البسيطة الا وقد تخطت وخطت، وتعسف لمذهبه وما أنصف، ورد كتاب
الله تعالى الى عقيدته وحرف،

اما المتكلمون فهو صنيعهم وان كان في تضاعيف كلامهم ما ينفع في
الجملة وصنعتهم بدعة وما ابتدع قوم بدعة الا وتركوها سنة ولا يخلص من
الخير الا الشيطان لعنه الله ولكن هؤلاء المحدثون الذين يزعمون الثبوت

على السنة وينهون عن الكلام قد سرت فيهم المفسدة أكثر منها في غيرهم
لأنهم قاعدون في طريق الشريعة والمفسدة والحرب والفتك والحيات
والمقارب والسموم والسباع في الجادة أعظم ضرراً منها في ثنيات الطريق
مع أنهم دائهم^(١) جاء من الخوض في الكلام وصاروا أشد مصيبة من
المتكلمين لأن المتكلمين بنوا أمرهم على التفطيش وإن لا يلام الطالب على
المباحة وإيراد الأسئلة واختراع التعطيلات بل يمدون ذلك ظرافة وكألاً
فربما انكشف للتأخر مع تعاقب الانظار تقارب كلام الفريقين ونحو ذلك
كما انكشف لاتباع الأشعري بطلان الجبر ثم تشبثوا بالكسب ثم تبين
هواهم فصاروا إلى مذهب المعتزلة من حيث المعنى كما مضى وليس ثبوت
الاختيار يختص بالمعتزلة حتى ينفر عنه أنما هو دين الله وحبته فمن حقق
من المتأخرين هون ما عظم سلفه ولانت عريكته، وأما المحدثون فأنما أخذوا
شيئاً بآول رؤية ثم لم ينفروا كأن ذلك بدعة وصدقوا ولكنه بدعة من
أوله إلى آخره فما لهم دخلوا فيه، كان دخولهم من غير نية لكن دس لهم
الشیطان: انتم أهل السنة فمن يذب عنها أن تركم هؤلاء، فلام اقتصروا
على ما هم عليه ولا هم بلغوا إلى مقاصد القوم ليتكفروا من الرد عليهم

باب المقالات

﴿ التربية القويمة ، والسياسة الحكيمية ﴾^(*)

— الثقة والظنة —

اظهار الثقة بالانسان مجلبة لما تحصل به الثقة ، وابتقاء الظنة فيه مدعاة لما تتحقق به الظنة ، فالعاملة بالثقة اصل الصلاح والاصلاح ، والمعاملة بالظنة اصل الفساد والافساد رب ولدك مراعيها هذين الاصلين تحمل بينه وبين الرذائل ، بما تطبعه في نفسه من ملكات الفضائل ، لا تذكر له الرذيلة ولا تنبه عنها ولم يأتها لانه لا ينهي عن الشيء الا من جعل عرضة لآتيانه ، لا تنبهه بفعل شيء ولا تجعله في موضع المراقبة فينتهي السوء ، بل اشغله بالصالحات عن السيئات ، وحل بينه وبين اسبابها وطرقها حتى لا يخطر بباله ان استغفلت ، فان علمت انه سمع بشيء منها اوراه فاذكر له مضار ذلك الشيء ومهانة أهله وسوء احدثهم وما ينتظر من العاقبة السوءى لهم ، اذ ذكره ذلك من باب بيان الواقع ، واظهار الحقائق ، مؤيدا بالدلائل والشواهد ، واجعل نفسك واباه من طبقة شريفة عالية لا يليق بشرفها أن تعاشر اولئك المسيئين ولا أن يجعلهم موضوع احاديثها الا قليلا تقصد به العبرة بأحوال البشر والثقة عليهم من ظلم الظالمين منهم الذين يكونون بفساد تربيتهم قدوة سيئة لفاسدي التربية ، اذا علمت ان ولدك يعرف ولدا أو رجلا غير مؤدب وانه عرضة لمخادته ومباشرة فلا تنبه عن ذلك نهيا صريحا يشعره بانك تمنعه منه بسيطرتك عليه ، بل أشعره بأنك تعلم انه يحتقره في نفسه ولا يرضى لها ان تتخذة صاحبا ولا عشيرا وابن على هذا نصحه بان لا يظهر له الاهانة والاحتقار في وجهه ويكتفي من ذلك بالأعراض

(*) نقرأ هذه المقالة والتي تليها بجملة الخلاصة

٩٢ • نأثر الطفل بما يقبى الى المرنبى - وحبوب نزاهة التمير (المأرج ٨ م ١٣)

عنه كما أمر الله تعالى بقوله « خذوا من أموالكم وأعرضوا عن الجاهلین » وإذا تعرض ذلك الذى لأدب له وبدأه بالحديث فليكن جوابه جواب مسألة وتخلص بهم مخاطبه منه مع الأدب انه لا يجب مجاراته والاسترسال فى الحديث معه، كما وصف الله الحكمة من عباده بقوله « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » أى قالوا قولاً يسلمون به من الأثم ، ولا يقارعون الجبل ، ولا ينجي من شر الشرير مثل البعد عنه وترك الاساءة والاحسان اليه ،

ان نفس الولد تشبه الصحيفة البيضاء النقية وان سمعه وبصره هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب ، فينبغى ان لا يسمع الا حسناً ولا يرى الا حسناً ، يتعم هذا فى طور التقليد الذى يسلم فيه بكل ما يروى ويحاكى كل ما يرى ، وكلما قويت فيه ملكة التميز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقبيح يذكر له بالتدرج كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالاساليب التى تنفرد من الباطل والشر وترغبه فى الحق والخير ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون فى كتب التعليم ذكر ألقاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والتفضيلة وحب الخير

دخل فى الاسلام بيت من بيوت الأمريكين : رجل وامرأته واولادهما ومنهم ابنة مصر ذكية الفؤاد وكانوا فى مصر فرغبوا الى بعض معارفهم من المصريين ان يعلم على عالم من علماء الاسلام يأخذون عنه ما يحتاجون اليه من احكام الاسلام ، فلم صاحبهم على الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) لانهم كانوا يعرفون اللغة الفرنسية ولا يعرفون من العربية الا قليلاً والاستاذ كان يحسن هذه اللغة ، ولان الاستاذ هو الرجل الطارف الكامل الذى يرجى ان يمثل الاسلام الاعلى لامثال هؤلاء الافرنج الذين تربوا تربية عالية واخذوا حظاً عظيماً من العلوم ، فكانوا يتقونه ويسألونه ويسرون بما يحجبهم ويتلقونه بالأذعان

كانوا يتذاكرون يوماً فجري لفظ اليأس على لسان الاستاذ فقالت له تلك البنت الشابة منهم أتأذن لي يا سيدي أن أسألك عن امر اشبه عليّ في قولك ؟

(المار ج ٨ م ١٣) حب الخير فطري - اثر الثقة والظنة في الطباع ٥٩٣

قال نعم قالت كيف يذكر مثلك لفظ اليأس وانت تعلم ان الالفاظ التي لها مدلولات ضارة اذا أقيمت واستعملت فلا بد ان تؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ما ، ليس هذا صحيحا ؟ قال بلى ، وانني قلت مرة كلمة في تصوير تأثير الكلام ، قلت اني اذا أقيمت الكلمة وانا وحيد بيدي في حندس الظلام فلا بد أن تبقى تلك الكلمة مطلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها ، قالت الفتاة أتأذن لي أن أفسر قولك هذا بما فهمته ؟ قال نعم ، قالت ان الانسان يكون عليه بالشيء قبل ان يتكلم به اجماليا مبهما فاذا تكلم به انتقل الى حين التفصيل والتجلي ويستدعي ذلك إعادته وسماع الناس له فيؤثر في نفوسهم ، او ما هذا معناه - قال احسنت وعرضنا من ذكر هذه الواقعة ان أرباب التريية العالية يتحامون ذكر الالفاظ التي تذكر بالمعاني الضارة الا عند الضرورة

• •

ألا وان حب الخير وإثاره من مقتضى الفطرة وهو القالب على الناس ولولا ذلك لفست الأرض وانما يقع الشر في القالب لعدم تربية فاعله على التمييز الصحيح بينه وبين الخير له في عاجله وأجله ، فهو عرض يعرض من الجهل وسوء التريية من آيات هذا انك ترى الطفل من ابتداء عهده بالتمييز يسرا اذا وصفته بالخير ويزداد رغبة فيه ويمتعض اذا وصفته بضده وربما بكى واتحب وهذا أعون صفات الفطرة السليمة على التريية القويمة

اذا رأيت من وليدك أمانة الكسل وأردت أن تنشطه على العمل فصفه بالنشاط واظهر له انك تتق به وترى أنه أهل للقيام بالعمل الذي توجه اليه ، واذا أتى شيئا منه فاحمد عليه ، فبذلك يتجدد له من الهمة والنشاط ما لم يكن له من قبل ، صفه بالجرأة والشجاعة يكن جرئًا شجاعا ، صفه بالصدق والامانة يكن صادقا أمينًا ، اجعله محلا لثقتك في حب العلم والعمل فنجده أهلا لها ،

لا تنهم برذيلة من الرذائل فانك بذلك تسهل عليه ارتكابها فان اللوم اغراء ، ومن يسهل عليه الهوان ، فالمرء يشق عليه بمقتضى الفطرة ان يعرف بالباطل

(المار ج ٨) (٧٥) (المجلد الثالث عشر)

و يوصف بالشرف ولو بحق ولذلك ينبغي عيه وانحفاؤه اياه يكون عونا للمربي على تغييره منه وحمله على تركه ، فاذا فضح امره هان عليه التهنك والمجاهرة بالمنكر بل وبما يتهم المرء ببعض المنكرات اتهاماً باطلا فيحمله ذلك على اتيانها ، وقد يعزى اليه ما لم يفعل من المعروف والخبر فيحمل نفسه على تحقيق الظن به ، كما روي عن بعض السلف انه سمع بعض الناس يقول ان هذا الرجل يقوم الليل كله ، فمر عليه ان يوصف بما ليس فيه ويكذب من احسن الظن به فصار يقوم الليل كله وكان قبل ذلك لا يقوم الا بمضه . ومن امثال العامة في بلادنا « من اتىك لا تخنه وان كنت خوانا »

نعم ان هذه الطريقة لا تمرد في الكبار كما تطرد في الرادان ، ولكنها تقيد في سياسة الرجال ، كما تقيد في تربية الاطفال ، بل تقيد في سياسة الامم والشعوب فانك اذا اردت ان تحت قوما على عمل من الاعمال النافعة فلا ينبغي ان تصفهم بالبعد عنه والكرامة له والجهل بمنافه وفوائده وضمف الهمة عن القيام به وشح النفوس وبخلها ان تجود بالمال في سبيله ، انك ان تصفهم بذلك تزدحم اعراضا وضغناً وخمولا ، واذا انت وصفتهم بالبروة والتجدة وطوالهمة وسخاء النفس وبسط الكف ترى نصحتك مسموعا وارشادك مقبولا

كانت السياسة الحميدية في دولتنا شرسياسة اخرجت للناس لانها بنيت على اساس الفطنة والرؤية في الامة ولا سيما في المتعلمين من افرادها وقد ورد في الحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الرؤية في الناس افسدهم » (رواه ابو داود) وكذلك فعل عبد الحميد افسد ائمة عليه حتى صار اكثر المقرين منه والمتبعين بالسلطة والثروة في ظله يتمنون زواله ، فما بالك بمن كان يطارد هم ويضيق عليهم مسائل الحياة ، ولا تذكر من فاهم من الارض ، اوزجهم في غيابة السجبن

انه اتهم جماهير المتعلمين بعدم الاخلاص له وبتمني زواله فصاروا كذلك ، ولماذا يكون الناس غير مخلصين للحكم وأميرهم ولحكومتهم ودولتهم ؟ ان الاخلاص هو الاصل ولا يتحول الناس عن الاصل الا لسبب موجب يعرض لهم ، افلم يكن من العقل والحكمة ان يبحث ذلك الجبار عن سبب ما كان يتهم به عقلاء الامة والعارفين

بصالحها من كراهتهم اياه وعدم اخلاصهم له ، ويستعين على ذلك ببطائه وخاصته ، ثم يزيل ذلك السبب العارض ، ويرجع بخياراته الى الاصل الثابت ، الى ولكنه ما كان يثق بأحد ثقة تامة فيستعمله في ذلك ، فكانت قاعدة سياسته السوءى أن يبحث دائما عن عيوب الناس ومفاسدهم و يصدق كل مايلقى اليه في ذلك أو يأخذه بالتسليم احتياطا ويذني عليه مايبنيه على ما يصدقه ويوقن به ، ولا يبحث عن محاسن الاخيار وفضائل الفضلاء . يستعين بهم على اصلاح الفاسد و تقويم المائل ، بل لا يصدق مايلفه من ذلك ، فكان كل أحد عنده ظننا مرييا ، فكيف يستطيع مع ذلك ان يصلح عملا ، او يتقي زللا ؟

استعمل في ذلك الألوف من عمال الحكومة في جميع اعمالها ومصالحها ، والمئين من الجواسيس في عاصمتها وولاياتها ، وكذا في مصر وعواصم أوروبا واشهر مدنها ، واشتهر امر سياسته هذه حتى بلغ افسادها من الامة ان صار أبناء الرجل وبناته العذارى يتقربون الى السلطان بالوشاية والسماية فيه فيصب عليه سوط العذاب ، او يسام النفي من البلاد ، و يأخذ اولاده الجمل على ذلك وهم فرحون ، الى هذا الحد وصل فساد سياسة عبد الحميد في هذه الامة ولا سيما في العاصمة فهو ما افسد الناس عليه فقط بالذمة والريبة وانما افسدهم أيضا في انفسهم حتى قطع اقوى صلات الصلاح وأمتها بينهم وهي صلة الاولاد بالوالدين

كان الأستاذ رحمه الله تعالى يقول ان اخوف ما أخافه من استبداد عبد الحميد وظلمه هو افساده لاخلاق العثمانيين لا لادارتهم فان اصلاح الادارة من بعده يسهل اذا كانت الاخلاق سالمة ولا يحتاج الى زمن طويل اذا كانت الاخلاق سليمة ، ومتى فسدت الاخلاق فان اصلاحها لايسهل الا بعشرات من السنين كما جربنا في افنسا (يعني المصريين) فان اسماعيل باشا افسد الادارة و افسد الاخلاق ، فلما وجدنا ربح الحرية وارادنا ان نهض بالاصلاح كان فساد الاخلاق هو الذي عاقبنا لافساد الادارة ولولا ذلك لكنت هذه المدة التي أبيع لنا فيها مانشاء من التربية والتعليم والكتابة والخطابة والاجتماع كافية لان نرقي فيها ونكون أمة

وقع ما كان يتوقع ذلك الامام الحكيم فقد افسدت السياسة الحميدية السوءى

أخلاقنا حتى صار الإصلاح عسرا علينا مع الحرية على مقربة مما كان في زمن الاستبداد فإن الذي كان يقصدى للإصلاح في عهد عبد الحميد كان يتم بعدم الاخلاص له ، والذي يقصدى له الآن قد يتم بعدم الاخلاص للدستور ولرجاله ، أو المبنية وعناصرها ، ولا يزال كثير من الكبراء على ما تعودوا في العهد الحميدي يصدقون أنهم وإن كانت سعاية افك وبهتان ، ويرتابون في طالب الإصلاح وإن قام على صدقه الدليل والبرهان ، وكذلك شأن الأمم والشعوب في طور الضعف والجهل

• •

أخطأ كثير من المصريين بإساءة الظن باخوانهم المخالفين لهم في الرأي واتهامهم بخيانة الوطن ويقم كثير من الضمانيين في مثل هذا الخطأ وضرره عظيم ، أنا لا أقدر أن أصدق بوجود أحد يريد بآمته أو دولته سوء ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد قلائل تغلب عليهم الاثرة حتى أنهم لا يبالون في طالب حفظهم بالمصلحة العامة ، ويوجد أفراد قلائل يضادونهم فيغلب عليهم الايثار حتى أنهم لا يبالون بمصلحتهم الخاصة إذا عارضت المصلحة العامة أو عاقبتهم عنها ، واكثر الناس لا يرضون أن تمس المصلحة العامة بسوء بل يودون حفظها وإن كان أكثر صعبهم لأنفسهم لا لأنهم ، والذين تصدون للقيام بالمصالح العامة بالعمل والتعليم أو الكتابة والخطابة يخططون ويصيرون ويتفقون في الرأي ويختلفون ، ولا يجوز اتهم أحد منهم بقصد سوء لآمته ، وإنما ينبغي ان يتناظروا بالحجة والبرهان ، مع اعتراف كل منهم للآخر بأنه يريد الخير ويطلب الحق ، إلا أن يظهر من بعض الناس ما يدل على اتباعه لهواه في الانتقام من غيره كالبهتان المبين ، والتعريف الظاهر ، فذلك الذي لا يناظر ولا يراجع بل يترك لزمان حتى يفضح بهتاناً ، ويتولى خذلانه ، مع بيان الحق في نفسه ، والتحذير من الباطل ورجسه

لقد كان عجب الناس من خطاب ابراهيم حقي باشا الذي اعرب فيه عن قاعدة السياسة في وزارته أن يتبع فيها قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » وشاع في العاصدة انه سيكون من فروع هذه القاعدة طلبه العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية من الضمانيين واستعادة اللاجئين الى أوربا منهم ، ولكن لم يعجب الجمهور

طلبه اعطاء معاش التقاعد لرجال عبد الحميد المنفيين في رودس لانه اسراف في
الاحسان الى شر المسيئين . واعجب من ذلك الطلب تمليه اياه بأنه لم يثبت عليهم
شيء ، وسيا ١١١

على ان سياسة دولتنا اصعب السياسة واعقدها فلا ينطبق عليها كل ماينطبق
على غيرها من قواعد علم الاخلاق وعلم الاجتماع ، فنسأل الله تعالى ان يوفق رجالها
ويؤيدهم بروح منه ليكونوا مصدر الحياة والخير والبركة لها وللشعب المكونة
لأمتها ، آمين



﴿ الحق للقوة والقوة بالحق ﴾

كن قويا بالحق يعرفك حثك كل أحد : العلم قوة ، والعقل قوة ، والفضيلة قوة ،
والاجتماع قوة ، والثروة قوة ، فاطلب هذه القوى بالحق تفل بها كل حق مقود ،
وتحفظ كل حق موجود

الوالدان يفضلان العالم من أولادهما على الجاهل ، والنتي على الفقير ، والقوي
على الضعيف ، يكرمانه بذلك بالملكة والمعاملة فيكون بين أخوته الذين هم دونه
كأنه من طبقة غير طبقتهم ، فهل يلام غيرهما على مثل هذا التفضيل والتكريم
الأخوة أنفسهم يعتزون بأخيم القوي بالعلم أو المال أو العقل أو الاخلاق
أو العصبية ويفضلونه على أنفسهم وان كان أصغر منهم منا ولا يوجد أفراد من
الناس بينهم من المساواة مثل ما يكون بين الأخوة ولا سيما اذا كانوا أشقاء افلا يكون
غيرهم أجدر بتفضيل القوي وتكريمه ؟

الجماعات كالأفراد في احترام القوة وحفظ حقوق أهلها وتكريمهم وتفضيلهم
على أمثالهم سواء كان أهلها أفرادا أم جماعات ، فالمشائر في القبيلة الكبيرة والعناصر
في الأمة العظيمة ، تتفاضل فيضعض ضيعها قويا ويترف له بحق التقدم عليه ، وبغير
ذلك من الحقوق ومكان كل منهما من الآخر كمكان الاخ من أخيه ، فما قولك
في القبائل والشعوب الأجنبية بعضها مع بعض وكل منها قريب عن الآخر يرى

مصلحته غير مصلحته وربما كانت قوته آفة عليه لا منفعة له

القوي بأي نوع من انواع القوى اكثر حقوقا من الضيف لانه اقدر على كسب الحقوق فانما يكسب الناس ما يكسبون بصفاتهم ومواهبهم التي يكونون بها أقوى استعدادا من عداهم

المباراة والتنازع بين الاقوياء والضعفاء من السنن الاجتماعية في البشر ، واعدل احوال القوى مع الضيف ان يرضى بحفظ حقه الذي يكسبه بقوته من الطرق المشروعة فلا يعني على الضيف تغيير حق مشروع ، وأفضلها أن يكون إماما له ومرشدا ، وحاميا له من اعتداء غيره وعضدا ، وشرها أن يعني عليه ويهضم حقوقه دوان كثيرا من الخطايا ليعني بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، انما كانت المباراة والمنافسة سنة من سنن الفطرة لأن الله أودع في نفس الانسان حب الكمال والسبق والتفوق فهو بذلك يزكي نفسه ويظهرها من ادران القائص التي تشينها عند المعاشرين والاقربان ، وبه يحملها على ما بعد في بيئته من معالي الامور وكرائم الشيم ، وبه يوسع دائرة وجوده بالنهضة والتعصب والترقية لكل ما ينسب الى نفسه كالأهل والعشيرة والقوم والامة والدولة والوطن والمذهب الديني والعلمي والسياسي والصناعة ، يباري في كل ذلك من يخافه وينافسه ، وبلح في ذلك ويبلغ قدر ما يرى من المزاوجة والمعارضة من المخالفين ، فاذا قبرت المزاوجة من المخالف قبرت الهمة وضمفت العزيمة وانحط شأن الافراد والجماعات والاقوام فن استطاع ان يجعل جماعة او قوما يعمزل عن المباراة والمنافسة مع غيرهم فقد استطاع ان يقضي عليهم بالضعف والخنول واضاعة الحقوق الموجودة ، واكتساب المزايا والفواضل المفقودة

المباراة والمنافسة من الفضائل ، ومعارض الارتقاء للشعوب والقبائل ، لولا ما يمرض فيها من البغي ، واعتداء حدود الحق والعدل ، فلو ان الناس يقيرون في المسابقة الى الخير والفضل متحررا كل فريق منهم أن يكون اكل من الآخر من غير بغي عليه ولا عدوان لكان ارتقاء البشر اسرع واقرب ، ولكن القوة تفري صاحبها بالطفان ، ومجموع به في البغي والمدوان ، فالحق يكسب بالقوة ويحفظ بالقوة وانواع القوة كثيرة كما

اشرنا الى ذلك في صدر المقالة ولبعض القوى من الفناء والفائدة في بعض المواطن
ماليس الاخرى واعلى القوى واشرفها واغناها قوى النفس: العقل والعلم والاخلاق،
فاذا وجدت بعضها غيرها الا الكثرة، واذا فقدت لا يفتي عنها غيرها حتى الكثرة،
وان القوى لقوى الضعيف بمباراته ومعارضته ويقضي عليه باهله ومحاسته، بأهون
مما يقضي عليه بسحقه وابادته

الامثلة لما ذكرنا من الاصول والقواعد الاجتماعية كثيرة تراها بين يديك في
سائر الاقوام وتقرأها في تاريخهم: انما نسخ الاسلام بعض الاديان واضمف البعض
الاخر في البلاد التي دخلها بعدم معارضتها وترك أهله لمنازعة أهلها . وقد حدث في
الاسلام مذاهب كثيرة ما بقي منها الا ما جرى بين أهلها المعارض والتنافس،
ولو لا بادرة العصبية التي بعثت من المأمون في مقاومة اللغة الفارسية لذابت وتلاشت
في اللغة العربية بقوة الاسلام كما زالت اللغة القبطية من مصر . واضطهدت اليهود
في أوربا قوى الكثرة والسطوة، فاجأ هؤلاء الى قوة الرأي والحيلة، فقبلوا سلطة
الملوك وصار لهم مكانة عالية في أعظم الممالك الاوربية وأرقاها

نزاحت الشعوب الاوربية وتنافست فارتقت وعزت وصار بعضها قريبا من
بعض في القوى الكسبية كالعلوم والفنون والصناعات والاخلاق والاجتماع والاتحاد
وبقي التفاوت عظيما في قوتي الكثرة والثروة، اتفقوا على تأمين الشعوب الضعيفة
بالقوة (كسويسره) من بقي القوة بالكثرة، وتحالف المتقاربون في القوى الحربية
ليؤمن القوى من بقي الاقوى، فاقاعدة التي بني عليها هذا التحالف هي ان المزاوجة
والمنافسة في السبق والتفوق في كاليات الحياة تقضي بطبعها الى المناصبة والمقاومة
وهذه تقضي الى البغي والعدوان ولا يحول دون البغي والعدوان الا تكافؤ قوى الاقران
علينا نحن معاشر الالمانيين ان نكون على بصيرة في حياتنا الجديدة التي نستقبلها
للدستور، ولا بصيرة للجاهل بمثل ما اشرنا اليه من سنن الاجتماع ومن لا يعتبر
بأحوال الامم والشعوب في هذه السنن

نحن أمة موثقة من شعوب شتى لا جامعة لما كلها الا اعتقادها ان اوطايط
بعضها بعض يكون لها قوة عامة يعتز بها كل واحد منها وتكون مباراته ومنافسته

للآخر من غير بني ولا عدوان سببا لقوة الوحدة العامة بقوة أفرادها
يجب أن تبارى عناصرنا في تقوية أنفسنا بالعلم والثروة وأن يعلم كل عنصر
منها أنه إذا بقي متخلفا عن أخوته فإن أمه الدولة تفضل عليه أخوته من العناصر
الأخرى في جميع أعمالها كما تفضل أم الأولاد ولدها العالم على الجاهل
إن مباراة العناصر العثمانية بنفسها لبعض مع الاتفاق على البر بوالسهم الدولة
العلية والاحسان بها ورفع شأنها هو الذي يسرع ترقبهم وترقي الدولة ، فليها أن
ترغبهم في المباراة والمنافسة وتعلمهم من البغي والاعتداء فيما فقط ، وأن لا تحابي
عنصر منهم محابة لا يأذن بها شرعها ودستورها
بل أقول أنه ينبغي للولايات وللألوية وللأقضية أن تبارى وتتنافس في العمران ،
بل ينبغي المدن والقرى والشركات والأفراد في البلد الواحد أن تبارى في ذلك
فالمباراة هي السائق الأقوي للارتقاء السريع مع اتقاء البغي من بعضهم على بعض
أعجبني اهتمام أهل بيروت والشام بأمر السكة الحديدية التي يقال أنها ستكون
بين طرابلس والعراق ومذاكرتهم في جعل طريقها من بلديهم وإن كنت أرى أنهم
غالطون في رأيهم وحسابهم أن تلك السكة تضر بتجارهم أو تنقصها وفي حسابهم
أن إثارة بيروت والشام على طرابلس أمر ميسور ، والصواب هندي أن وجود
هذه السكة يزيد جميع البلاد السورية والعراقية عمرا فتنمو الثروة فيها كلها ومنها
بيروت والشام ولكن الزيادة النسبية في طرابلس تكون أكثر منها في بيروت
وذلك لا يضر بيروت بل يفيدها ولا سيما إذا اتصلت بطرابلس بخط عريض
وذلك من أيسر الأمور .

وجملة القول إن هذا العصر هو عصر المباراة والمنافسة من سبق فيه ساد
وعلا ومن تخلف فيه خاب وخسر ، واهتبن واحتقر ، فعلى العقلاء من كل عنصر
وفي كل ولاية وكل بلد أن يحثوا قومهم على ذلك وأن تكون وجهتهم فيه ترقية
الامة والدولة بترقية أنفسهم ليكونوا بملوكهم ومعارفهم وروثهم واجتماعهم حصنها
الحصين ، وركنها الركين

الاسلام في نيازاالاند *

﴿ قول لما كتبها ﴾

لا زوت نيازاالاند منذ ٢٠ سنة لم يكن الاسلام موجودا الا في بقعة أو بقتين جاءها به بعض العرب ومن ذلك الحين انتشر الاسلام انتشارا عظيما لا سيما في السنوات العشر الاخيرة وقد امتازت قبيلة (الياوس) بالميل الى الاسلام ونشره وأما القبائل المقيمة غربي بحيرة (نيازا) فليس بينها مسلم وقد تغلبت البشة الاسكونلندية الدينية هناك فمال القوم الى النصرانية ، أما الاسلام فقد كان انتشاره من ساحل إفريقيا الشرقي وليس من السودان والفضل الاعظم في نشره لعرب جاءوا من زنجبار وقد نمت هذه النهضة الاسلامية بدون مساعدة وليس فيها شيء من قبيل الدعوة الجامعة . وفي جميع بلاد (باو) من بحيرة نيازا الى الساحل الشرقي يوجد في كل قرية تقريبا جامع وامام ، وليس في هذه النهضة شيء من التعصب أو العداء فان جماعة الياوس يملون الى الحكومة ولا تزال هذه النهضة حتى الآن غالبة من كل أذى (١١) على أنه مما لا ريب فيه دائما أن الاسلام معارض للنفوذ الاوربي (١١) أما الحكومة فقد جرت على خطة النزاهة فلم تفضل دينا على دين آخر ولا خوف من هذا القبيل ما دامت هذه خطة الحكومة ولا أظن أن النهضة الاسلامية تنشر الى جنوبي (زيمباري) نظرا لقوة النفوذ الاوربي هناك اهـ

وقد نشرت هذا القول جريدة الدابلي تليفراف من كبريات جرائد لندرة ووقفت عليه بهذه المقالة

(*) كلام المرء الفرد شارب حاكم نيازاالاند نشره في جرائد لندرة وترجمته بالمرية جرائد مصر اليومية

« إن نهضة الاسلام لجديرة من انجلترا بضاية أكثر من العناية المبذولة الآن في سبيلها نقرر . لا تناسخ سلطة ملك انجلترا على المسلمين ولأن لها منهم رعايا أكثر من رعايا سلطان الدولة العثمانية ، ولقد قلنا مرارا ان كثرة عدد المسلمين في المملكة الانجليزية جعل واجباتها نحو الاسلام ذات صفة خاصة :

« على أنها فرطت في افعال هذه الواجبات واذا بأمة أخرى تقتسم الفرص السائجة وتترك ملجوه الانجليز وتقتل ما لم ينالوه .

« قالوا يجب الاول المفروض على انجلترا نحو الاسلام هو أن تفهم هذا الشعب ولا سبيل الى هذا النظام الا بتعليم جميع الانجليز الذين يحتلون بالمسلمين لغات الشعوب الاسلامية وطريقة فكرتهم وشرائعهم . الا أن الدولة لم تقتصر على افعال هذا الواجب اعمالا تاما ولكنها لم تعين له النفقات ولم تبذل في سبيله من الاهتمام ما هو جدير به ، على أن مراسلنا في برلين يقول في رسالته الاخيرة : إن المانيا تبذل كثيرا بما أهلها قد انشأوا في المانيا « مجلة تأريخ ومدينة الشرق الاسلامي » وفي أكثر من مدرسة جامعة المانية يوجد قسم خاص لتعليم لغات الشرق وآدابه . وقد سعى الالمان بواسطة هذه المباحث وراء التدخل بين المسلمين لمصلحته الخاصة وقد أشار مراسلنا في برلين الى وجود مدارس المانية في مراكز عديدة في المملكة العثمانية ، وانهم ينوون انشاء مدرسة جامعة المانية في آسيا الصغرى أو ما بين النهرين ، وهي مساهمة سلبية بذاتها المانيا في سبيل تعزيز روابط العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية ، فهل سمعت انجلترا السعي الواجب في سبيل تعزيز الصلات بينها وبين الشعوب الاسلامية التي تتولى أمورهم ؟ وأهم هذه البلاد هي الهند ومصر . نحن نرسل اليها نخبة من رجالنا لتولي أمورهما وهم ما بين انجليزي واسكوتلاندي وارلندي ولكننا لا نبذل الجهد لفهم قومنا في انجلترا بالذات هذه الحقيقة بحيث يدركون ما يفعله رسل دولتنا هناك . فان مدارسنا الجامعة لا تحفل بالدروس الشرقية كما ان المدارس العامة لا تعرض لها ، والذين يعرفون اللغة العربية في انجلترا أو يلمون شيئا عن الاسلام وحياة المسلمين هم أندر من الكبريت الاحمر . ان من مصلحة حكومة الهند وسلطاننا في مصر أن نعد بعض رجالنا ليقفوا على حرة الاسلام

وسيره . لا يفهم من قولنا هذا انه لا يوجد في انجلترا من يعلم ذلك والحقيقة ان فيها عدد غير من هؤلاء الطالبين الذين يهتمون بهذا الامر . ففندنا الجمعية الآسيوية الملوكية وجمعية آسيا الوسطى وعندنا بعض أساتذة جامعاتنا ولهم اهتمام تام باللغة العربية والاسلام ، على أن الدروس في تلك المدارس ليس فيها ما يحفز الانسان الى السعي والاهتمام وكان يجب على الحكومة أن تعين مبلغا كبيرا إعانة لمعهد شرقي عظيم يدفع بكثير من شبانتنا الى الانقطاع لنقل حقيقة الشرق الى الغرب وهذا النقل ضروري لمصلحة الغرب والا فان الغرب لا يمكن أن يدرك حقيقة الشرق ، واقد زعم قوم منذ عشرين سنة أن الاسلام لا يمكن أن يدرك حقيقة الغرب لأن إدراكه له يؤدي الى سقوطه ، ومنذ خمسين سنة زعم (رانك) أن الاسلام بضعف كما أثرت فيه المؤثرات الغربية ، ومع ذلك فقد تواترت النهضة الاسلامية من ذلك الحين ، ففي إفريقيا ظهر المهدي وأمثاله والسويسي وانتشر الاسلام جنوبا فجرف كل دين آخر في سبيله وأوجد وراء بحيرة تشاد المدن الكبيرة وهي ذات نظام وشرائع تختلف كثيرا عن الممجية السابقة ولم يؤثر في الهنود اختلاطهم بالانجليز وهذه الدولة الصينية التي سميت قبلا « بالرجل المريض » قد نهضت نهضة وطنية على قاعدة لا تختلف عن الاسلام في شيء . وكل هذا هو من قبيل وضع حجر جديدة في وجاجات قدعة (١) ولا نطرح حتى الآن ما اذا تكون النتيجة على أن حالة مصر قدينا ان الغرب كان عجولا وكان الاولى به أن يتدبر الامر طويلا . فدراسة هذه المسائل من مقتضيات المصلحة الوطنية الانجليزية وجدير برجال سياستنا أن يهتموا به عناية خاصة اه

(المنار) حتى ان يكون لمحاربي العربية عقلة بهذا الكلام ، وأن يملوا ان محاربة العربية محاربة للاسلام

الدعوة الى التعليم

(في حضرموت)

« صاحب الامضاء »

ليس مشروع الدعوة حديث العهد عند الامة الحضرمية فانه من المشروعات التي اهتمت لها منذ ثمانى حجاج لكونه من الحاجيات الضرورية لحياة الامة ونماها ولذلك لا يالو جهدا بعض ذوي الهمة العالية في استنهاض همم ابناء جلدتهم الى القيام بتأسيس مدرسة في إحدى مدن حضرموت جامعة لأنواع العلوم تشرق من جوانبها انوارها عسى ان يحبوا ما اندثر من مجد اسلافهم القديم ويقتدوا باخوانهم من أبناء ملتهم سيرا في سبيل النهضة

ولكن يا للعجب! ان هذا المشروع لم يتم الى الآن مع ان الحضرميين الموجودين الآن في هذه الجزائر ينفقون على اربعين ألف نسمة غالبهم في سعة من الرزق لو فرضنا ان عشرة آلاف منهم أعني ربعهم في الدرجة الاولى ونصفهم متوسطون والربع الاخير مقولون وجعلنا نصف الربع الاول اعني ثمنهم ممن تبلغ ثروتهم الملايين ومئات الالوف ووزعنا المطالب عليهم لجاءت النتيجة كما يأتي :

عدد	على كل واحد	الجملة
الثنى الاول ٥٠٠٠٠	٥,٠٠٠ روية	٢٥٠٠,٠٠٠ روية
الثنى الثاني ٥,٠٠٠	٢,٥٠٠ «	١٢٥,٠٠٠ «
النصف المتوسط ٢٠,٠٠٠	١,٠٠٠ «	٢٠٠,٠٠٠ «
المقولون ١٠,٠٠٠	١ «	١٠,٠٠٠ «
<hr/>		
٥٨٥,٠٠٠ حاصل الجمع		

فتكون هذه دفعة واحدة فيشترون بها عقارات من هذه الاراضي ذات ريع كثير ويكون الريع على قدر ما يحتاج اليه المدرسة

فهذه الامة الموجودة في هذه الجزائر هي بالنسبة الى الموجودين في الجهة
الحضرمية الذين اتهمكم الفقر المدقع والجهل المظلم اقل عددا

أليس لنا في اغنيائنا في هذه الانظار رجل كريم يظهر الفيرة العريية
والحمة الاسلامية والشفقة الانسانية والراقة الاخوية فيهبض بأتمه ويهجر كسرهما ؟
أليس فينا من يبرهن اننا من سلالة أولئك الرجال الماضين الذين بذلوا اجودهم حتى ملأوا
الكائنات نورا ؟!! فني نرى اخراج هذا المشروع وابراره الى الوجود ؟ وأني
لنا ذلك ومن لنا والامة غارقة في غياهب الفلاة ودياجير التقليد والاوهام !! والله
انهم لاهون بفسادهم لا يفكرون فيما اصاب هذه الامة ولا يبالون بها تركت أم قدلت ؟
اعتزيت أم دلت ، بل كل ذلك لديهم سواء

فيا للتعجب ! اليس عارا ان نرى بأعيننا ونسمع بأذاننا ما حل بقومنا من السقوط
الى الدرك الاسفل والأنحطاط والتدلي في الهبة الاجتماعية ولا تستفز احدا منا
الفيرة ولا الحمة لا قاذما من ربة النمل واقياشها من وهددة الجبال ؟

فاذا عرفنا هذا علمنا اننا جعيون عن أوامر ديننا منذ قرون عن سبيل الاسلام السوي
لقد شوهنا وجهه وأضررنا بسمته عند بقية الامم ولو كان فينا قطرة من دم
آبائنا الكرام وذرة حمة للجامعة القومية لتأزرنا وأنحدنا على إحياء الشموخ وإيقاظ
النامين وإفارة الافكار والحث على الاتفاق . فتداركوا أيها الحضرميون الوقت قبل
فواته وقبل ان يتخطىكم الداء الغربي ويضم الاغلال في اعناقكم كما وضعها في اعناق
الهنود والمصريين والجاويين ولسوف تقدمون ولا ينفع الندم !! تفكروا واعملوا قبل
نزول البلاء ولا تتهاونوا مثلما تتهاون اخواتنا التونسيون والجزائريون والمراكشيون
متكئين على انحرافات حتى دهمهم البلاء ولم تقم خرافاتهم ونحن الآن محتنون مثاهم
وسارون في طريقهم تتخطى كأن بنا مسا من الشياطين !

اشتقوا أيها الحضرميون على دينكم وقومكم ووطنكم وسمة سلفكم ومستقبل
أيامكم وأولادكم فاننا لفي غرور عظيم . واذا نظرنا بعين الحق والانصاف وفي
الحاجة والتعصب الاعمى نرى ما يوجب الاضطراب واليأس من تكاسلنا وتنافونا في
جانب بقية الامم التي تسابق الى تنازع البقاء !

ناشدتكم الله أيها الرجال المخلصون في خدمة الوطن والامة : ما الفائدة في فتح المدارس في جاوه وحدها لا بناء العرب ؟ هل تعود على الوطن واهله بكل ما رجوه له من الفوائد ؟ لا أظن ، لان ابناء العرب هنا لم يعرفوا معنى الوطن بل هم يكرهون ذكر ارض العرب ! وان قلت يكرهون العرب انفسهم ولا يحبون الامن نشأوا بينهم لما كنت مبانقا ! فالفائدة عائدة لشخصيتهم فقط لا لجموع أهل وطنهم كما توهم الاغراب - اذا فرضنا ان ابن العرب المستعجم حاز القدرح المسمى في لغة الاجانب والكتابة والحساب ونال الشهادة المدرسية في الهندسة وما أشبه فهل تظنون ان الحكومة الاجنبية تمنحه رتبة وتعطيه راتبا يوازي نصف أوربي ما تعطيه لاحد الاوربيين ؟ كلا - فرضنا انه صار كاتباً في الحكومة أو عند أحد التجار الا فرج راتب شهري قدره عشر رويات الى خمس عشرة روية فيعيش بهذه فيبقى مدة حياته في هذه الجزائر : فهل للوطن اذا فائدة أو لا بناء وطننا التمس الحظ ؟ كلا ! فينتد لا يكون في فتح المدارس هنا كل الفائدة لا بناء العرب بل الفائدة فتحنا في وطننا العزيز وتعليم النابتة هناك ويمكن ان يرسل أولاد العرب الذين يولدون هنا الى تلك المدارس فتكون العاقبة محودة لهم ولوطنهم وملتهم جميعا

فهل تليق بنا هذه الغفلة مع أن العرب خصوصاً والمسلمين عموماً علماء وافنياء

في غالب مستملكات الاجانب ؟

فبأي شيء تعاملهم الاجانب ؟ هل أحد منهم نال رتبة والي أو حاكم أو أعطته راتبا يوازي راتب أقل واحد من الاوربيين ؟ أو هل نظرت اليهم بعين الشرف والامز والاحترام ؟ كلا وانما هم ينظرون اليهم بعين الاحتقار كما ينظرون الى اردل حيوان ولسان حالم يقول : لو كان هؤلاء يعدون من بني الانسان لكان لهم سلطة على بلادهم ولا ملحوها ذات بينهم - فكيف تريدون الاجانب على اكرامكم وانتم لم تكرموا انفسكم فمن أي باب تطلبون الشرف ؟ فالشرف هو في ترقية الوطن ولم تمت ابنائه والاخذ بناصر المظالم وانتداس الجاهل من حماة الغفلة وبذل العلوم المفيدة وبذل المال لتأسيس المدارس - وقفنا الله الى ما فيه صلاحنا

علي بن شهاب

بقاوى (جاوه)

قانون حق التأليف (*)

المادة الأولى - لكل نوع من النتائج الفكرية والقلبية حق لصاحبها يسمى «حق التأليف» .

المادة الثانية - النتائج الفكرية والقلبية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهاكل والخطوط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة - ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والأشجار بها وترجمتها لسان آخر أو إفراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواظع والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتثنية أو الفكاهة ، أما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جزم خطب خطيب او دروس استاذ وتعليمها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة - المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقعة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل «حقها محفوظ» «ونشرها وترجمتها ممنوع لصاحبها» فحقها محفوظ .

ولكن المقالات والرسوم والاعلام اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة - لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل أحد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

(*) نشرته جريدة الحضارة ثم طبعته على حدة

المادة السادسة — ان حق التأليف عائد للمؤلف في حياته اما بعد وفاته فهو عائدا لاولاد الاولاد وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تأريخ وفاته . ثانيا لا بانه وامهاته . ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات أو ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها أو ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الألواح والخطوط والقوش والرسوم والأشكال والخراطة وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة هو ثمانى عشرة سنة اما حق التأليف في التراجم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والأوامر والتعليمات الرسمية والإعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يملكون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المهرز تبقى اعتبارا من تأريخ نشرها .

المادة العاشرة — لا يجوز تمثيل رواية مشورة أو منظومة أو تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المشورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا يقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من أي أثر كان لضرورة أولفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المتخصصة بالمدارس وفي الاتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لا تنشر المكاتب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حيا أو من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد أو أكثر ضمن أحكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتبارا من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقالة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتبارا من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقالة مختصرة بين الشركاء فيجري حكم المقالة تماما واذا حدث خلاف مما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لاثر صاحب ما كان توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك الاثر وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل أحد ان يطبع الآثار المطبوعة قبلا والتي لا صاحب لها وفقا للمادة السابقة واما الذين يودون طبع اثر لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الاثر في ظرف هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع الاثر في مدة سنة أو عطل سنة بعد مباشرة طبعه فبعد الامتياز كان لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا فقدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المتبعة التي يرجي منها فائدة للعموم ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقروثة المؤلف أو اهلاكه أو عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ول مديرية المعارف في الخارج ويقيده ويُسجله ليحتفظوا

بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الصورة واحدة كالألواح والنماثيل والتأليق (المدليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيّد في الدفتر الخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم الأثر وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع له رقم بالتقريب وبعدها يوقع عليه من صاحب الأثر او وكيله الرسمي .

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليرة عثمانية فقط خرجا للقيّد والتسجيل ويعطى بمقابلته من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معصولا به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقفة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لا تسم دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الآثار التي قيدت وسجلت في ظرف السنة وامضاء مؤلفيها رسميا بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الأثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا أو يتركوا في ظرف المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماما أو موقفا أو بتعيين عدد النسخ لاخر بموجب مقابلة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل كمال المدة تعد ورثته متصرفا في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقابلة البيع او الترك في نظارة المعارف في الامتانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيدية ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون باتعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقابلة خصومية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الاثر بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الاثر بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منشورة أو منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية أو استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالهوطرغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب الآثار القديمة والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلا كات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتهاكا وكذلك من قدم وأخر عبارات كتاب او انشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واستندها لنفسه يعد بحكم المتعمل .

المادة الحادية والثلاثون — التقديرات والشروح والحواشي لا تعد انتهاكا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وقهورات من اثر آخر لاثره ونوه بانه اخذ من محل آخر لا يكون متعملا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الآثار التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية منشورة أو منظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء تقديا ويجبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الآثار التي طبعها ونطلى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه الآثار في الخارج ومن ادخلها الى المالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء تقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمسة ابرات عثمانية الى خمس وعشرين ليرة جزاء تقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الاثر المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن

المقالة التي عقدها مع المؤلف معاملة الذين خالفوا الأمانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبغوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الأثر .
المادة الخامسة والثلاثون - تطبق أحكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين بحق المتحليين أيضا .

المادة السادسة والثلاثون - لأصحاب الأثر المشترك ان يراجعوا المحكمة على الأفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التعريفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون - لا يجوز قداثين حجز آثار المؤلف التي لم تطبع وإذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعنى كثيرا بعرضها للبيع ورقاية أصحابها من الغير .

المادة الثامنة والثلاثون - النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المنبذة عليه .
المادة التاسعة والثلاثون - أن الذين طبغوا أثرا قبل نشر هذا القانون بدون أن يحصلوا على رضى صاحبه أو ورثته عليهم مراجعة صاحبه أو ورثته واستحصل رضاهم وإذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى أصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الأربعون - أن تنفيذ الأحكام القانونية على الجرائم المبينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والأربعون - أن حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء أو بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه .
المادة الثانية والأربعون - ناظر المعارف والعلمية مأموران بإجراء هذا القانون .

في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨

وفي ٦ مارس سنة ١٣٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تعارض العقل والنقل

(في الاسلام)^{*}

نص السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

الى جناب المحكم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين
سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الامجد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من
كل شر وجعلنا وإياه من اتباع سيد البشر آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومنفردته ومرضاته . اما بعد فانه وصل بنا عزيز
كتابكم ، تواتره مسرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ؛ اصلح الله
احوالنا واحوالكم ؛ واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق
وبعد اني تغلرت في اما كن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل
توسطه في ذم السياسة وذم التقليد ومحبة لطريق السلف وحسنه على النظر فيه في اصول
الاعتقاد وحسنه على مآخذ الاثمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل
الاثبات وتمييزه طريقهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الجبر الذي ينبغي ان نشد

(سؤال من الشيخ عبد العزيز السبكي العالم السبكي عن عبارة الاستاذ الامام في كتاب
الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق العامل الشهير وجواب
هذا عنه واذعان السائل لجوابه

إليه الرجال ووددت أني سأله في حياته ايضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها في كتاب الاسلام والتصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال في كتابه « اتفق اهل الملة الاسلامية الاقليلا من لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل . وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بانجز عن فهمه ، وهو يرض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قرائن اللغة حتى يتحقق معناه مع ما أثبتته العقل . (وقال) وبهذا الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هدت بين يدي العقل كل سبيل » اه كلامه قسمها ثلاثة اقسام ، الاول التقديم عند التعارض مطلقا ، والثاني التفويض ، والثالث التأويل ، فالاول لولا ذمه لتقليد الفقهاء فضلا عن الآراء الفلسفية قلنا هذا تقليد لم يناء على اصلهم ، والثاني التفويض وفيه ما فيه ، والثالث لولا تميزه واعلاؤه طريقة السلف قلنا عني بالتأويل اصطلاح الفيلسوف الذي حقيقته التبديل ، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهمنا من ذلك انه بني تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم يحط به علنا خلافا لما يقرهم ، ولا انه بعيد من الغفلة والتقليد بخير الوقوف على الحقائق ، وانني لم اقل نظري بل على قدم ان العقل عقابن عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل نقلان (١) قل مرجح صحيح ونقل غير صحيح فالعقل الصحيح ، موافق للنقل الصحيح ، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح ، ولا قصور من النقل الصحيح ، وهم هذا لم يرفع عني وجه الاشكال بالكلية ، بل على حنيفة ، لما في ذلك من الاجمال واحتمال التفاصيل ما يحتاج الى فهم سبيل وفكر وقاد فاستشكنت ذلك جدا ، وطلب التسليم لقاعدة صاحب الاسلام والتصرانية اعوزني الى ان انظر في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصحيح وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب واسترسلت به نحو فصلين قصير علي التسليم للتقديم مطلقا فأوقفني ذلك الكتاب على شبل ابجاث موارد طرق شتى متباعدة الاعماق ، متخالفة المساق ، متباعدة المذاق ، فمنها ما هو ملح اجاج آمن كدر ، ومنها ما هو عذب صاف فرات سائح للشراب ،

وما بينهما في الأقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم بهرعون سراعا ، أقطاعا وأرسالا وأشتاتا ، لا يصددهم وذخ قذى ما في مواردهم ، فسبحان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا ثيل تلك الموارد ، دنف البدن من زواجر التفكير ، شعث القلب لهما ، متعطر الكبد غلما ، مرتجف الاهظم وجللا ، مفتقرا لم شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونفس ظمرا ، وسكون اهظم ، وتمر يض طيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استفي بنور علمكم ، واستصبح بشكاة فهمكم ، وأستعين بياسق فضلكم ، الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ، وارسلت به الرسل ، وما يتوقف وجود الايمان على وجوده ، وما يهدم من عدمه ، ولكم في ذلك ان شاء الله الأتجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهما وإياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابغة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي ومحبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاطهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدمكم محمد وابن عمه احمد والمشايع أهل النخى السادة الفضلاء ، كافة بيت الآكومي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واساندة تصحبهم ، فعند ذكركم يودعوننا السلام عليكم ومن يحبكم وانتم في امان الله وحسن رعايته والسلام غرة ربيع ثاني سنة ١٣٣٤ المحب الداهي

عبد العزيز ابن محمد السناني

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) أقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضا ما أثره وتقدمه وتقدمه لاصوله في سائر أقواله في كتبه ومجالسه ومحافظه يخالف ما تخيله من التناقض فيها اللهم الا وهما وليس العصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

جواب الشيخ جمال الدين القاسمي

باسمه تعالى ومحمد

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز السناني ، أبقاه الله مفيداً
لطلابه ، وداعياً لحبل المتين ، وقائماً بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،
سلام الله عليكم ورحمته وبركته ورضوانه

أنمي اليكم انه وصلي عزيز خطابكم ، وكريم كتابكم ، فخدمت المولى على
صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النعم بباحثكم ، تضمن كتابكم
الجميل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جذيرة بالتحقيق ، واعارثها النظر الدقيق ، مسألة
اضطربت فيها الانظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها
المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ،
ومحك افهام الفئة السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه
عقبات الارتباب ، فقد فاز فوزاً عظيماً ، وكان في الامة اماماً حكيماً ،

قبل ان تكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امراً أراه من أوجب الواجبات ،
وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح المصيبة المذهبية ، والحجة القومية ، والاثنيات في
كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإننا عن الحق نبحث ، واليه نسمي ،
والحق ما قوي فيه الدليل ، واتضع معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة
قوية فهو الحق الواجب اتباعه ، المتختم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي
فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل انا أبناء الدليل ،
وأتباع البرهان ، اقول هذا أولاً

ثانياً من الآداب التي يقتض - فيما أراه - سلوكها والأتخذ بها ، والدعوة
اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول - رفع التنافر من الفرق ، ومحو التضليل
والتفسيق من النفوس ، واقامة الاعذار ، لساثر أهل الانظار ، ما داموا داعين
الى الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلاتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

يتحقق ان الكل طالبون للحق ، جادون للحصول عليه ، ساعون وراءه ، فيعذرهم بذلك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فيما يعتقد خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق وما جور بنص الشارع ، وعلى خصمه ان يحمده مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة لتفريق ، سائقة للحزب والتعادي ، باعثة على التنازع بالألقاب ، مثيرة أحيانا للظن بأنسان إثر الترامي بشطابا اللسان ، هذا وديننا واحد ، وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة ، وأصول إيماننا واحدة . من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ، ؟ اتينا من نبع الوحدة ، والزهد في التآلف ، والرغبة عن التضام ، من دخلاء أفسدوا جامعتنا ، أو من غلاتنا ، أو من مقصرين عن فهم روابط الدين ، فأنا لله

نحن في عصر أخرج الى الرجوع الى المتفق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ، فمن اتقاد ، واعتنق سبيل السداد ، والا فلا تقسب ولا تضليل ، مادام على قانون التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما عجلت بهذا التمهيد أنا لسنا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن يطادي الخائف عداوة قلبية ، بل ممن يبين الحق الذي يراه ، ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من يأباه ، فان اهتدى فلفظه ، وان أصر معتقدا حبيبة ما لديه وصحة ما يتبعه فيكشف له غلطه ، فان رجع (فذاك) والا بأن عاد الى مشربه ، وقد استحكم في قلبه قواعد مذهبه ، فاعليك الا إبانة الرشاد ، والله الهادي ،

مبحثنا في دعوى تمارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على الالسنه ، ومشت مع الزمان ، وصقلها مرور الايام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وآليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلاً أصيلاً ، وغدت ركناً ركناً ، يتعالم أهل النظر إليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،
 لصح الحق أن بثها في أسفار العلم ، وتقينا لرواد الفهم ، لما يندعش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا يعده ذو الفطنة الرقادة ، والفطرة الصحيحة ،
 إلا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المتدعين ،
 من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جتته على قواعد اليقين ، يكاد ينخلع القلب مما ترمي إليه من إمكان تعارض العقل والنقل ،
 وتباين الأمرين ، ومما ذاقه أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو إمكان تعارض بين العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل ، ومهما تحرف الحق إلا كالروية المشروطة بسلامة البصر وانسداد الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون عقل ، العقل والنقل متأخيان في هذه الملة الخيفية ، وممزجان في أصولها وفروعها ،
 كليتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، ومتلازمان تلازماً لا يقبل الانفكاك بوجه ما كلزوم نظام الكواكب لسيورها المقدر

شبهة هذه القاعدة

حدثني تحرير امام أن حشويًا من يبروت قم على الاسناد عليه الرحمة هذه القاعدة بدعوى تفرد بها ، وعدم سماعه لها ، فأيسفت لأن يصل الحال بالحشوية إلى انكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل للتكليمين أجمعين ، وما بنا من حاجة إلى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأيدها ، فإنها بديهية ، إلا أن البديهي قد ينبه عليه ، لغشاة تحول دون النظر إليه ، قال السيد الزبيدي في كتابه إثمار الحق على الخلق : تقديم العقل على السمع أولى عند المتعارض لأن السمع علم بالعقل فهو أصله ولو بطل العقل بطل السمع والعقل مما وهذه من قواعد التكليمين ،

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المنشأه : ما صعب من الخبر المروي في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين ، ويرفق بين الحجتين ،

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحالة فيجب فيه تأويل السمع به »

ويكفي أن شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى « موافقة صريح المنقول ، الصحيح المنقول » لمناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم العقل ، هذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الأئمة في هذه القاعدة شهرير الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم

اذكري كلام هذا الحشوي - والشئ بالشئ - يذكر - ما وقع من حشوي آخر غيبي قبل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم اقراض الاجتهاد من عصر الاربع مئة وصحح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة ، وآلى بأنه قرأه ودرسه ، وسبره ونقصه ، ولم يزل تلك المقالة من أثر ، فقيل له لو قرأته لدريته ، ثم ترمى على محاوره وتوصل اليه ان لا يضمن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ما قاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو ، فسقط بين يديه ، وكاد يقضي عليه ، والقصد ان تلك العبارة شديدة وان كانت في كل كتاب تكفي من الالفاظ اسلوبا خاصا قد يخفى انها هي

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا ما يلزم بالنفس من التألم لدعوى تعارض العقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعادتها ادنى نظر فانه متى أجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع العقل بادىء بدء ولكن يضطرنا لكلام عليها ما يتوكل عليه كثير من الخائضين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام ، أرى بعد ثبوتها في كتب الأئمة واندراجها في مباحثهم ان لما وجوها بعضها صحيح وبعضها فاسد واليك البيان ،

ما حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مرويياتها وذاع ذلك وانتشر بين حملة الآثار وبين ارباب النظار . انقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفقة المشبهة فانها غلت في الاثبات غلوا خرجت به عن المقبول وأساء ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المهور في المخلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الاجسام ، فأنتهى بهم الامر الى التجسيم البحت ، والتحديد الضرف ، واخذت آراؤهم الحقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء ، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحلوية ، كما تراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثنأها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقبالا بمن لا ينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا اليهم ولقوة جهودهم لم يقم لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فكانت في مقابلة اوثك وغاب عليها النظر والتأويل واوهمت ان الاولى تنقل ما لا يلىق بالتوحيد ، وتروى ما لا يصح في الدين ، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتشليل ، ومروق أهل الاتحاد والتعطيل ، وقضت على تلك المرويات بأنها مجازات وردت على مناحي مرفقة للعرب مهودة في لغتهم وأساليبهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به ، يعنون بحقيقتها ما هو معروف لهم من صفات الخلق واحوالهم ، قالوا فلما جاء النقل بما يوم محالا عند العقل كان للعقل التقديم على النقل وملاحظته أولا وبالذات ، فا أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالو هو من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها ، وبالجملة فجعلوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكمة والمروى المتقول فرعاه فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهو لا الفرقة أيضا من الغلاة في التنزيه المتعصبة فيه ، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقتعدة فان دمرها في سائر المرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل يصرفه كيف شاء كدهوى ان النقل يقبل كيفما كان : احاله العقل أم لا ، صح سنده أم لا ، في ان كانيهما طرفان جائران ، والقصد والتوسط خيرهما ، ولذا قال السيد الزيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع الممثلة على اختلافهم ايضا فغلاهم بمطالون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض » (ثم قال) فانريقان المشبهة والممثلة انما اتوا من تعاطي

علم ما لا يعلمون ، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان بما ورد من غير تشبيه
لسلكوا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلف
أعلم ، فطالبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم ما لا يعلم فتعارضت انظارهم العقلية
وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمية فالمشبهة ينسبون خصومهم الي رد آيات
الصفات ويدعون فيها ما ليس من التشبيه والمطلة ينسبون خصومهم الي التشبيه
ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات
والآثار ، والاتقاء بالسلف الاخير ، والاقتصار على جليات الابصار ، وصحاح الآثار ،
انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المتقصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق
الفريق المتأمل

والمتصور ان الفرقة الثانية اختلفت بالنزاهة البحت المحركة للعقل في النصوص
فحكما مطلقا اختلفت بتدعيمه على العقل بطريقها الذي يناء قواعدها اذ كورة فاسدة
باطلاقها اذ لو قيل لما ماهو العقل ، وما ميزانه ، وهل يمكن عدم التناقض في مناحيه ،
وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لا ينازعهم وجدانهم في قضية منه ، لكان
الجواب الجبرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لا يمكن تحديده في
هذا المقام بالكنه ولا بالمرض ، وليس له ميزان ومقياس خاص لتباين الآراء في
التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم ما بنى منها في الامس ، والمشاهدة قاضية
بمنازعة الوجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بما لا يجد الواقف
عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقديم العقل مطلقا
او معارضة العقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة ، وما سبيله
كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها ، ومن ادعاه اظهر تناقضه
واضطر الى ما يبدل رأيه ، ويلطف مشربه ، ويصحح مذهبه .

واما الوجه الآخر الذي تصح به هذه القاعدة ونسلم عند كل منصف
ويكون عليها مسحة من الحق ولمحة من الصواب فذلك في مثل ما قصده الاستاذ
عليه الرحمة في حجج خصمه النصراني وإمامه . فقد زعم خصمه ان من قضيا
الدين ما يلو على تناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم به تدبيرا

وأنه لا أثر للعقل في باب الدين أصلاً لا طراحه معه جانباً ولزوم الخضوع للأعشى، شاء العقل أم أبى، فناقشه الأستاذ بأن هذا يستحيل أن قبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة، وأنه من أوضاع الدين أنحر فوا بعد ما تبين لهم المدي، وأنه لو صح ذلك - على زعم الخصم - لكان الأحرى به أن ينبذ ويتبرج ما هو خير له، وذلك في دين أسسه العقل وقواه العقل، ودعائه العقل، ومبانيه العقل، فقصده عليه الرحمة هدم ما بنوه من ذلك الأصل الفاسد الذي يتبرأ منه العقل السليم وإبانه أن الدين الحنيفي نزل موافقاً للعقل بل العقل مرده وإليه تحاكمه ولذلك أكثر التنزيل من التنبيه على العقل والتنويه به في مثل قوله « أفلا يعقلون » « لعلهم يعقلون » « وما يستلها إلا الظالمون » في آيات لا تحصى، وبالحكام إلى العقل يعلم الخصم أن ليس مرد ديننا هو الخضوع للأعشى لكنه الباطل الذين اتحلوا لأنفسهم الر بورية في التشريع وردوا عقائد شعبهم إلى أهوائهم وكفهم ما لا يطبقون من اعتقاد ما يحيله العقل كالثالوث والاستحالة . . .

بل الدين الحنيفي دين العقل، دين النظر، دين التدبر، فمن استعمل عقله ونظره وفكره من الملاحظة وتأمل في محاسنه وقابل بينه وبين غيره من الأديان لم يلبث أن يعتنقه اعتقاداً يترج به في لجه ودمه حتى يستتبع في الذود عن حماه، ثم ترقى الأستاذ عليه الرحمة إلى نكاية الخصم بأن العقل يقدم على العقل إذا عارض قضاءه ليعلم الخصم أن الأساس الأكبر والمرجع الأعلى هو العقل، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لا بتأنيده عليه، حتى لو وجد ما يعارضه بادية بدء لروجم العقل فيه فيجبره على أصله وقاعدته ويقضي للعوام أن لا تعارض رأي الأستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة، وهو كذلك لأنه لو لا ذلك لكان الأمر إما على حقيقة اليهودية كما فهمه الجبل وهو محال، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير معهود في مبدأ الدين المتين، وإنما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لأن العقل ان يقول للباحث « بعد ما وضع وثبت صدق الخبر بذلك من المصوم الذي استناوت حجته فما طيك إلا الإيمان بما جاء به تفصيلاً فيما فصل واجمالاً فيما أجمل ومنه أوصاف الر بورية

وما يضاف الى سورها فيكفيك الا ذعان للنقول منها ولم تكلف الخوض في اكتسابها فهو ما لا تبلغه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما عثر بك الحال ، الى الزلل في المتعال ، فتكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك ، وهذا القضاء قضاء مرضي لا يأباه القلب ، ولا يخافه ذواللب .

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالمت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله فرأيت توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من الشواهد البرية نظائرا من مثليهم ثرا ما يقنع الباحث بل يدهشه حتى يخجل للناظر أن ليس وراء ذلك مرمى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشرب ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وإن تصف في كثير من التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذاك بحث آخر ،

والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب منسجمة لها وترجيب بها ، ومن ينكر وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، و بديع كنياته ، ولطيف مواقفه ، وامرار اعجازه وبلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة قويم ، علي أن من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز مهما حاول محاول الحديث . قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وحديث (الحبر الاسود يمين الله في الارض)

نعم ثمة في باب الصفات ما هو أرقى من المذهبين المذكورين - مذهب التأويل والتفويض - وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا يليق بالذات الطيبة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتعلم عن تأويل يفضي الى تعطيل ، وتكيف يفضي الى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف أنها تجري على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها ، وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات بحيثى حدوثه
ويقيم فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات
الصفات اثبات وجود لا إثبات كيفية فنقول ان له يداً وسعاً ولا نقول ان معنى
اليد القدرة ومعنى السمع العلم

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : و بعض الناس يقول « مذهب السلف أن الظاهر غير
مراد ويقول أجمنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إما لفظاً ومعنى أو لفظاً
لامعنى لان الظاهر قد صار مشتركاً بين شئين أحدهما أن يقال ان اليد جارحة مثل
جوارح المباد وظاهر الفضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون
مثل الماء في الطرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين
ونصرت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا
يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثل شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله بل أكثر أهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والجسمانية لكن هذا
القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث
حكى عن السلف ما لم يقولوه ، فان ظاهر الكلام هو ما يسبق الى العقل السليم لمن
يفهم تلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضوح وقد يكون بسياق الكلام
وليست هذه المعاني المحدثه المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن بل اليد
عندهم كالعالم والقدرة والذات فكما كان علماً وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من
الصفات أاعراضاً تدل على حدوثنا يتم ان يوصف الله بثلثها فكذلك ايدينا ووجوهنا
ونحوها جسام محدثة لا يجوز ان يوصف الله بثلثها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا
قلنا ان لله علماً وقدرة وسمماً وبصراً ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ،
فكذلك لا يجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من
صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته غير مراد
فقد اخطأ لانه ما من اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد
به فكان قول هذا القائل ينفى الى ان يكون جميع اسمائه وصفاته قد أريد بها
ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد

والمعنى الثاني أن هذه الصفات إنما هي صفات الله سبحانه على ما يليق بجلاله نسبتها إلى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء إلى ذاته فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم أن له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) فيجوز أن يقال إن الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؛ لا يمكن ، فمن قال إن الظاهر غير مراد بمعنى أن صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له أصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا إلى غرضهم وكان يمكنك أن تقول تمر كاجات على ظاهرها مع العلم بأن صفات الله ليست كصفات المخلوقين وأنه منزّه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوده أو قصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقط خطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام إلى هذا الامام ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه ثم نهاية شغبهم أن أثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ؛ ألا ترى أن في الشاهد أن الفاعل للأشياء المتقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير عليم خبير فاعل وليس بجسم ، فأثبات الصفات له على ما جاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالمحدث مكيف ، وصفات الباري لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه متنيان عنه وعن صفاته وبالله التوفيق .

وكذلك جود في إيضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق المهجرتين في مباحث التوبة فنقله عنه ونجمه مسك الختام
قال رحمه الله بعد أن ناقش من أوقع الأمة في أودية التأويلات وشباب الاحتمالات والتجوزات

(فإن قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذمته فنسلك فيه أو من

طريق يستقيم عليه السالك ؟ (قلت) نعم بحمد الله الطريق واضحة المتأثر بينة الأعلام
مضية للسالكين وأولها ان نحذف خصائص المخلوقين ، عن إضافتها الى صفات رب
العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاد الناس فمن حلها فإبعادها أيسر منها ، ومن
ملك بها فإبعادها أشد منها ، وهل نقي أحد ما نقي من صفات الرب ونعوت جلاله
الا لسبق نظره الضيف اليها واحتجابه بها عن أصل الصفة وتجردها عن خصائص
المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم
في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث
لم يتجرد في ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نقي عنه سبحانه الفرج والمجبة
والرضاء والغضب والكراهة والمقت والبغض وردها كلها الى الإرادة فانه فهم فرحا
مستلزمًا لخصائص المخلوق عن انبساط دم القلب وحصول ما ينفعه وكذلك فهم غضبا
هو غليان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبة ورضا وكراهة ورجة مقرونة
بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم
تصل معرفته الى سواء ولم يحيط علمه بشيئه ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا
من فهمه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم فلم يجد بدا من فهمه
« ثم لأصحاب هذا الطريق مسائل كان أحدها مسلك التناقض اليقين وهو اثبات كثير
من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها بمجردة عن خصائص المخلوق
كالمعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي قالها
يستلزم المندور الذي قرئته فكيف لم يستلزمه اثبات ما أثبتته ؟ ون كان اثبات
ما أثبتته لا يستلزم مندورا فكيف يستلزمه اثبات ما نقاه ؟ وهل في التناقض اعجب
من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هو با من التناقض
والتراما لأعظم الباطل وأجل المحال ، فإذا الحق المحض في الاثبات المحض الذي
أثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير
تحريف ولا تبديل ، اهـ

و بالجملة فهذا المذهب الأخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المذوق أعني
بما أبان العقل فيها معاني سليمة مما يؤهم محالا عنده ، وبه يعلم ان ليس في الدين ما ينافر

العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

* * *

هذا ما رآه الذكر الفاضل في القصد من تنويه الأستاذ المرحوم بالعقل أعني حجج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتنبيه خصمه على ان العقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يستر بسبب تعضيد العلم والبداهة (٤) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها و باقيا بقاء النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظر والتكليف ويدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذكرنا ليلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلا لمذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افنى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له داني لا عجب من هؤلاء المتأولين المندفعين على رفع الظواهر المكبرين لا مطلقا أقسم غير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النفوس الجليلة التي تأبى كثرتها التأويل الذي لا يؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصول والاقترب ؟ فرأيت رحمته الله أقر على ما قلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه ليلتذ في غير هذا المبحث حاور وناقش وحقق وصدق ، هذا ما أحققه منه ، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الأستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلائل النفوت وتصديق رسوله برسالته بما نصبه دليلا على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فأمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع إنما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقا

فلنحظ تقديم العقل على النقل أنما هو رعاية العقل في النقل بالوجوه التي قدمناها وبه يظهر أن كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الإسلام وسره وتفوقه على ما عداه من الأديان التي حرقها أو بابها ، وعلى تسليم أنه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاظة عليه في ذلك فقد خرجناها على وجه لا يبعد عن الصواب ، وجلي أن ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف مضاهها محب الحكمة ، والحكمة متقبلة من أي لسان لأنها مساوقة للحق كما اشرفنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وإمامه في كتابه جامع بيان العلم وقضاه في باب جامع في الحال التي قال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه أنه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة من سمها منه »

اشترم الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لأنه في طيه إشمارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لقتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة ونبغوا في البلاغة ولم يتطال عليهم فيهما ، ومعلوم أن أشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فإذا لم يعلم أحد معناها فأني يستدل بها ، وفيه سد باب الهدى والبيان منها ، وحينئذ نقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) من الغلط في الاستدلال فإن المراد بتأويله ما يوئل إليه الأمر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما « الاستواء معلوم والكيف مجهول » وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه

فلنظ التأويل في الآية أنما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف ه يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ، فجعل في الآية الأولى ما يؤول إليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس مسجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير وبيان المراد به فهذا لا يصح إرادته من الآية لأن الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون إن العلماء يملكون تفسيره وما أريد به وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يملكون كيفيات الغيب فإن ما أعدده الله لأوليائه من النعم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذاك الذي أخبر به لا يعلمه إلا الله نعم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراسخون في العلم) أراد منها هذا المعنى وأنه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الأول منقول عن أبي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وهروبة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ، فلا منافاة بين القولين ، لانفكاك الجهتين ،

والتأويل المعنى غير التأويل المثبت ، ولشيخ الإسلام بسط لهذا البحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة ،

وأما ما ذكرناه من أن التأويل حقيقة التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسم لما فيه من خطر رفع الظواهر المتبعية إلى تفسيرها وتفسير البراهين أو أكثرها مع أن المقصد بإيجازها والأعلام بها هو إقادة الأمة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يعدل عن البيان الناصع الرافع للبس المزيل للأجمال إلى أسلوب يوقع الأمة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجوزات ،

ما مجتمعه في التفويض والتأويل هو من تعدد المدققين في باب الصفات الذين تجل لم ذلك المشرب المتدل في أزهي حله ، ومع ذلك فقد هم لا يحيط من قدر من ذهب إلى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالنسبي والتضليل ، فإن ذلك قصارى جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدما أن العقل قبول ما ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، نعم يلام من جحد على التقليد المحض بعد أن وضحت الحجة ، واستبانَت المحجة ،

وقد قدمنا أن الحجة قوية في الإثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد قل الشعراني في البواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش متعليه في مواضع من فتوحاته فتمها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكاف » قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يداً ويدين وأصبعاً وأصبعين وعينين وأعينا وبعية وضحكا وفرحا وتصجيا وإتيانا وبجيتا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى مياه الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلماً وكلاماً وأمثال ذلك » قال « وهذا كله مقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه محكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضا « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الآتي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فنسب تلك المعنى المفهومة من تلك الألفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ، ولا نحكم في شرحها بمان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الألفاظ بلغتهم فكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بخالفهم » فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة ، قال « وهذا هو اعتقاد الساف قاطبة لا نعلم لهم مخالف وإعالم في ذلك

وقال أيضا رحمه الله « اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظيره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها تعالى خديعة للعقل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والخيالية ، ثم أنه مع معرفته بهذا القصور كله يقدّر قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقدّر ربه فيما يجبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك ،

« فانظر يا أخي ما أقرر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئاً عما ذكرناه إلا بواسطة القوى المذكورة وفيها من الطل والقصور ما فيها ثم أنه إذا حصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يردّه فيقلد فكره ويزكيه ويخرج شرع ربه ، (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه وإذا كان كذلك لقبوله ما صرح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وحياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم أنه يفهم من كلام الأستاذ رحمه الله أنه بنى تلك الأصول على وجه يمكن أنه من السنة الخ وكذلك ظاهراً كلامه باديء بدء إلا أنا بمونة ما قدمناه من ان قصده من مبعثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوها أينما انجذبت ، ويساوقها كيفما سارت ، إلا أن ثمة آثاراً من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تأليفه أسلوب غريب يبين المعهود فقد لا يراد من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ،

هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضل ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات قلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالدنو منها ، اللهم الا ان بركة دعائكم ، واعتناء بديع فوائدكم ، مما يرجى منه شرح الصدر ، وتسهيل الأمر ، وارجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه مهوت ، فان المقصد الوقوف على الحق ، واعتناق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، وارانني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم الحصون ، نفعا المولى ونورا اذهانا بمعارفكم ، انه خير مجيب ،

ماحتني على اطالة الجواب وتكثير البحث نوعاً ما الا ابلاغه لمسامع اخواني وصحي ممن لم يتأهلوا بعد لمطالعة الكتب الكيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم فودجا يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكيرة، فلا ملام فيما تخاله من النقول المعروفة لديكم ، زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانباً كثيراً مما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد واكد علي ان تدققوا فيما كتبنا وان لا تضنوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لعم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التساميات لحضرات السادة الأوسيين الكرام شمو من الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي الاعظمي ومن يصحبهم من الاساتذة ، ومن كل التلامذة ، بارك الله في حياتهم ، ونفع الامة بماومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي البطار والشيخ محمد ديب الفيني واشقائي يهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة ، في الاوقات الكاملة الراجعة

قاله بضمه وامر برقمه وكتب هنا بقلمه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يعض على ارسال الجواب لذلك السؤال ودع من الزن حتى أرسل البنا صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستفيض عن تلك المدائح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابى الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنقود الخارق في أمثال هاته المباحث الخطيرة ولو ذكره المعاندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظاً لتلك الآثار خشية ان تقتلها ايدي الضياع مع تصرف يسير وحذف لجل خصوصية لا تفيد فائدة عامة وهالك صورته:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوجد زمانه ، وفزع السائلين ، مرشد
الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لمنهج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال
الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا وایاه من اتباع سيد البشر آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومنفرتة ومرضاة . وبعد وصل الينا كتابكم
الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المفيد لشوارد المسائل المهمة ،
والا غور في ما حوته جل كتب الجهابذة المحققين اهل النظر الكبار ، فياله من جواب
ما اجله واشرفه ، كيف لا وقد حل حزاوة الصدر ، في الذود بما عقده الأستاذ الحكيم
من اصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة واقادنا فوائد
وعاد الينا بهوائك كنا عنها في سدف ، فاستضاءت لنا وجوهها ، فأتى بما فوق ما املناه ،
فلا خاب املنا ، ولا افسس مفزعنا ، قاله لقد خططنا مؤنة النظر والتكلمات وحذرنا
صعب العقبات المتعريات (كذا) بالملكات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم
السبل ، وجعل بالساداتين ، فيافوز من اهل بلجي تلك الثرات ، فلزم ان نحفظه
ونستغفله عليه ، ونجعله حلة لراقي سني السير ، ومردا لطامع الفكر ، وجامع الخطر ،
وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب منا صورة السؤال الباعث للجواب
ورغبة لتسخنها ولا غرو اذ كان صدره من ذوي السهم الراجح والمال الراجح ، والدرجة
العاليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار العلم ، فله الحمد جل
ثناؤه حيث كلف لديه حفظا من خلقه ، يحمدون قواعد شرائعه ، ويدعون عن عراه ،
بني من بنائه ، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلالة ، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ،
والاعلام والهدى ملوا ، ولا اهل الحق قادة ، والعباد أئمة وسادة يتعرون جزيل
الثواب من الله ، ويتوخون رضي الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء المصلحين ، الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون :)
فلهم يكن ينسبهم عن النصيحة لله مامنهم - يروى الجملة - يلقون ، بل كانوا ينسبهم على
(المارچ ۸ م) (۸۰) (المجلد الثالث عشر)

جهنم يعودون وفضلهم على أنفسهم بأخذون ، ويحملون لمن يعدم آثارا على الأيام
باقية ، وب . الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبينهم افضل جزاء ، وحباهم
من الثواب أجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم ، وجعلهم
مفرعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدف ظلم الجهل ، وإتقاس الضلال ،
فمن نصه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمنا من اتصف بتلك الصفات ،
فتسأل الله أن لا يجرنا فضلهم ، والاتقاس من نور عليهم ، (الى أن كتب مايلي) :
هذه مسألة أمته غاية ، وحدتني نفسي بمراجعة صاحب المنار المنس ايضاحها ، فقصرتم
نبحثا ، وارجيت صاحبنا ، وأزنتهم سدفا ، جزا كم الله عنا وعنه افضل جزاء ، وأجزل ثواب .
وجميع الاخوان المهين أخذوا بنسخ السؤال والجواب المذكور وذلك
لاصحابهم ، جزا كم الله عن الجميع خيرا .

الحب
عبد العزيز المحمد الساني

في : ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤

التأريظ

﴿ ديوان الخطيب ﴾

الشعراء تأير في ايقاظ الام معروف لا ينكره الا من انكر التلويح وانت تعلم
منزلة حسان بن ثابت وتأير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لا تجهل مقام
مثل الشاعر فيكتور هوغو في أمته ، وقد ظلم في هذه الاثناء هلال في تلك شعراء
العربية جاء بمثال من الشعر لم يهد فيه هذا ، ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب
احد مؤلفي المطوف في حكومة السودان المصري ، جاء بدائيات من نظمه برز
فيها على كثير من نهايات غيره ، انتهج بالشعر العربي منهجا جديدا وحسن ديوانه هذا
بقدمه في تاريخ الفن العربي والشعر لم يقسج على منوالها الشعراء والكتاب واليك مثالا
من قوله في الشاب

الإخواننا الأتراك مدونا لنا بنا من الود انا قد مددنا لكم يدا

أخذنا بأهداب الشاب وانما اتينا من كل ضمن مجردا

فقلتم وقلنا غير ان قلوبنا على المهد ترعى حرمة المهد. سرمدنا
وما تقاضى ثورة دموية فلسنا عطاشا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطدا يفر علينا ان يكون مهددا
ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تحل فيتصها النبات طعاما
فاذكريني اذا تكلمت بالزه ر فيه هباء جسي اقاما
رانشقه فان فيه اريجاً عاطرا كان في فؤادي خراما
والديوان قد طبع طباحسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبتها بثلاثة
قروش صحيحة ولتلازمة المدارس العالية بقرشين

﴿ كتاب الكلية الألمانية الفرنسية ﴾

اهدت الى ادارة المنار الكلية الألمانية الفرنسية في بيروت كتابها السنوي
وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها

وهي أربع دوائر التعليم العام ودائرة الاعداد للمدرسة الطبية والدائرة
الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث الخصب
وسعة الارض ، ولا صيغة دينية لهذه الكلية ولها أول بعثة علمية غربية جاءت الى
الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تعرض لدين التلامذة
كما انها لا تعارض أحدا بدينه ودينا سهلت له الطريق كما تقول

وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة الألمانية انما هي خدمة فرنسا

خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الأجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ
فهل يعتبر أهل البلاد ومن يدهم زمام الامور ويعلمون بأنهم أولى من أولئك الافرنسيين
بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقهم القوم العاملون وان إهمال
المطارف واللغة والآداب مضية للجامعة القومية وتفرق للعناصر الوطنية ولو انشئ في
كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي

مقدمتہ خدیجہ (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ذكروا لله تعالى والثناء عليه
والشكر له قبل كل شيء)

دخل هذه الدار عدد لا يحصى من بني آدم بمجدوهم همزت القرى
والامصار، وتحركت أفلاك العلوم والاعمال، وتماقت أسلاك الاجتماع
والاحوال، وإذا فقت كتب السير والتاريخ لا تجد ذكرًا لعشر من دخلها
ولا لعشر عشرهم ولا للواحد في الالف، ولا للواحد في ألف الالف منهم
فماذا يعني المؤرخون بهذا القليل من بني آدم وبهملون الكثير منهم؟
ليس بمعجيب ما صنع المؤرخون فان الاكثرين من بني آدم متشاكلو
السيرة، متشابهو الحالة والغاية، على ما بين سيرهم من التباين، وبين احوالهم
من التفاوت، وذلك أن حاصل أمرهم تعب وكد ومزاجية وحيرات
وحسرات في تحصيل ما اشتبهوا أو تعودوه من المطالب جل أو حق، فماذا

حتى أن يذكر المؤرخ من حكايات هؤلاء التي يمكن أن تكتب كلها
مكنا : « جاءوا الى هذه الدنيا فاشتغلوا بأسباب معاشهم وعاشوا
خاضعين للطلب وذهبوا غير تاركين أثرا في هذه الدار الا ان كان ولدا
على شاكلتهم »

وأما أولئك الافراد القليلون الذين لهم بعد مماتهم وجود ظاهر
بالآثار فان في سيرهم للتاريخ ذخرا من غرائب الاستعداد الانساني وبداية
مظاهره وجلالاته ، واثرة ، وامثلة التفاوت بين افراده ، والارتقاء والتكامل
في مجموعته ، بواسطة آحاد من جملته ، بذلك يستمد التاريخ جدته كل يوم ،
ويأخذ الزيد لرونجه عند كل فرد وكل قوم

وأولئك الافراد صنوف : فرسول مبشر ، وحكيم مبصر ، وكاتب
مفكر ، وشاعر مذكر ، وفاتح منير ، ومخترع عبقري ، وكاشف منور ، وباحث
مصور ، واجتماعي محور ، وشرعي مقرر ، ونصاح مبرر ، ولساني مفسر ،
ومفضل ميسر

هؤلاء الصنف أقطاب التاريخ على أجنابهم بدور ، وما أثرهم مشاركته
منها يستمد النور ، ووراهم في الذكر يأتي من اشتهروا بمخلق من الاخلاق ،
ومن عرفوا في مشيئة بطيب الاعراق ، ومن هنا يظهر لنا أن الشهرة
ليست بشيء عند التاريخ انما لم تؤيد بآثاره . ولولا هذا لصب المؤرخون
في سرد أسماء كثيرة لا يستطيعون أن يبيضوا وجوه دفاترهم بشيء من
أعمال أصحابها من كانوا كلبوا في الميول لانهم أبناء أماجد مثلا وهم لم
تجد لهم همة ، ولم تؤثر عنهم منقبة ، ويظهر لنا أيضا أن اهراس التاريخ من

ذكر من لم تبهر ما أثرهم هو احسن درس في الاخلاق اتقاها علينا المؤرخون
عن عمد أو بالتصادف وذلك لأن النفوس انما يفرها بالباقيات الصالحات
تذكر اهلها وتعد احبهم ، وانما ينهها عن التحول سرعة انطفاء الخاملين ،
وطول اشراق الباقي ذكرهم في العالمين

نعم ان من لهم الباقيات الصالحات التي يبقون ويذكرون بها هم افضل
الحياة بالنفوس وانهم بها الى المكرمات فحكاية احوالهم هي افضل
ماخذ الاخلاقيين الذين يجتهدون في أن يفهموا قارئهم كيف يتكامل الانسان
وكيف يصير من الاقطاب اقطاب التاريخ

اللهم اني استسقي جودك وإحسانك لأرواح المؤرخين الذين تركوا
كنوزاً كثيرة لنفوسنا من سير الأقطاب من آبائنا ، وأستغفرك عن زلة
زلماؤكم من حيث لا يشعرون وهي إهمالهم كثيرا من سير الأقطاب
من أمهاتنا ،

لقد علمنا أن الفرق ليس يكبر في الفطرة بين الرجل والمرأة ،
وليست المرأة بمعرومة من الزايات التي يساو قدر التحلي بمثلها من الرجال ،
ذلك أننا نرى لمن عقولا سايمة ، وقلوبا كريمة ، وهما عظيمة ، وهل
لرجال ينابيع للمكارم غير هذه العقول والقلوب والهمم ؟ . ونرى الاديان
احبرت المرأة كالرجل في التكليف بالمقيدة والعبادة والآداب . ونرى
الاجتماع اعتبر المرأة كالرجل في التكليف بالعمل وما زال نصيبها منه

كثيرا وتابعا لتقسيم الاعمال على حسب مرتبة محيطها من العالم ثم على حسب مرتبتها من محيطها . وهذا غير ما نطمح من فضل بعض الفاضلات الماضيات اللاتي تصلح سيرهن أن تكون هدى للرجال قبل النساء ، ولولا تلك الزلة التي ذكرناها للمؤرخين لكان اللاتي نطمعن أكثر وما اللاتي نطمعن الآن من الفاضلات بقلائل

من هؤلاء سيدة قد سمع بفضلها العالم كله ولكن العارفين بتفاصيل فضائلها ومزاياها قليلون . الشرق سمع بهذه السيدة والغرب ، الترك يعظمون اسمها والعرب ، وفارس والهند ، والافغان والسند ، وفي أرض الصين تعظم ، وفي الدنيا الجديدة تكرم ، وإذا فتحت دفاتر المؤرخين عفا الله عنهم لا تجد فيها تحت اسم هذه السيدة الجليلة الا كلمات يسيرة في ترجمة حالها ، وشرح خلاصها ، ولكننا نحن شاكرين على هذه الكلمات التي يعلو سناها العقول والقلوب فتهدى بها على قلبها الى عظيم أمرها كما يدرك المبعرون عظمة المنار اذا كانت أشعث عظمة السطوع

واقدر كنت تفكرت في ان اكفى والدتي بعض المكافاة فتبينت بعد طول التفكير ان عظيم فضلها علي هو أبعد من أن يوفى شيء من حقه ولكن تراهي لي أنه يسرها أن أعلن للملا فضل جنسها وأذكرهم بما نسوه من احترام حقوق هذا الجنس ولم أجده أحسن طريقة الى هذه الغاية الجليلة من شرح سيرة هذه السيدة التي هي احدي جداتها

فمن مدد تلك الكلمات القليلة التي تركها لنا المؤرخون في ترجمة
 حال هذه السيدة أؤلف هذه القصة الحقيقية والى روح والدني أرفعها
 هدية على راحة خشوعي وضعفي ، ومن خزائن رحمة الله ورضوانه
 أستنزل نحية طيبة مباركة لهذه الروح البارة

ومن راقه هذا المؤلف الصغير وحصلت له به لذة وفائدة فلي حق
 أن أرجوه شيئا ولا أرجوه إلا أن يكون مساعدا في إقامة حقوق
 المرأة وكرامتها وآدابها . ان النساء أمهاتنا مشير الرجال وعلى حسب
 تربيتهم نكون فلنطلب من محيطنا أن يهذب بالعلم الامهات ويسمى لتربية
 مداركن وآدابهن !

بوق الحكيمة بن بشار بن بوق الحكيمة هداية
خير كبريا وديار مصر الاموال والانياب

الحج
١٣١٥

فجر هادي الذي يستعمل القول فيقولون
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الانبياء

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و ه منارا ه كثار الطريق

الاثنين سلخ رمضان ١٣٢٨ - ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م

باب الثالث

بحث في الخلاف (*)

ولنوضح لك صورة من كثير صور من شطارة أهل وقتنا الذين هم كما ذكرنا خير الناس^(١) سيرة اليوم فيما علمنا وكيفية تصرفهم فإنه إنما تعد معائب من غلبت عليه مناقبه

كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

وضموا عن زكاة النعم على كل شاة أربعة دراهم من ضربهم وستسمع الآن قدرها فتؤخذ على مثلي شاة مثلاً ثمان مئة درهم مع أن الواجب شاتان ولم يكونوا قبل يعتدون بنصاب الشاة والبقر ثم ذكروا النصاب لكن تؤخذ قيمة نحو ما ذكر كالمعينة لا من عين المال وهذا حق المال الشرعي بزعمهم ولا ندري بأي وجه تبين ما ذكر من الصورتين ولا كيف تكون الثالثة وكثير من المأخذ له نحو ذلك من المدخل هذا ما سمعنا في بعض الجهات ويزيد قليلاً وينقص كذلك في بعض الجهات والمقصود التقريب . هذا حين يريدون الأخذ وأما حين يريدون انصاف المظلوم من الظالم فيأصرون باخذ الدية الف حرف والحرف عبارة عن أربعين درهماً من ضربهم وهي تخرج الدية قريبا من الذهب مئة دينار وستين أو سبعين دينارا فيسقطون نحو أربعة أخماس الدية وعلى هذا نفس حال خير الناس الذين يجب شكر الله على ان انعم بهم نظرا الى سائر الارض وسألت بعض قضائهم حسن

(*) قلا عن كتاب العلم الشايع في اثار الحق على الآباء والاشايع (١) يزيد الزيدية

(المجلد الثالث عشر)

(٨٤)

(المار ج ٩)

الخيبي ما هذه الدية التي تحكمون فيها ؟ فقال قال الامام يعني المتوكل اسماعيل بن القاسم امام مصر تكون هذه الدراهم قيمة عن نوع آخر من انواع الدية يعني لان انواعها عندكم كلها اصول في اهل الابل والذهب وغيرها على السواء وبخير الجاني عندكم ايضا . فقلت للقاضي تمال نظر في قيمة تلك الانواع فنظرنا فمارأيناها الامتقاربة بالنظر الى الارض التي كنا فيها صنعاء وما والاها وعلى الجملة فاما ذلك الجواب ترميم والمسألة مائة عن السنن كاخواتها في جميع الفرق انما الغرض التمسك للتنبيه

صورة أخرى قليل تقمها لهم كثير ضررها بل بلية عظيمة على جميع الناس في وقتنا هذا ضربة فضة من عمل الكفار يسمى القروش فاختدت هذه الدولة منها وضربت بها دراهم وخططوا فيها نحاسا نحو الربع تقريباً ليكثر عددها فيرجحون بزعمهم ذلك القدر الزائد وهي سنة اقتصدوا بها عن من مغبى من الاتراك وغيرهم الذين يطمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . لكن لم تر الناس اذ ذاك المصارفة وزناً لانه لا يصلح لهم بيع الفضة بالنحاس وهو ربا ايضا فصارت الضربة كسائر السلم يرتفع عنها تارة ويخفئ أخرى ويبيعون الدراهم بالقروش بالمد لا بالوزن ففعلوا هذا الباطل وهم يطمون حين دعيتهم الضرورة الى الصرف ثم نهام الامام عن الصرف مع اصراره على الضربة وشدة حاجتهم الى المصارفة فكان عملهم معهم كما قال

القاء في اليم مكتوماً وقال له إياك إياك ان تبطل بالمال

ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض وهو واضح فانظر ما في هذه المصنفات من الصياط والبهتور والتكفير بلا دليل حتى ان الاشاعرة

اصلوا انه لا يكفر أحد من أهل القبلة وانما الكفر البواح ولا كفر بالتأويل
ثم نجد في تضاعيف كتبهم المناقضة وكذلك الماتريدي في كلام امامهم الاعظم
ان لا يكفر أحد من أهل القبلة ولم أر التكفير اسهل على أحد ولا اكثر
منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل الزام ولو في غاية الضوضاء
ومنع بعض الناس قريبا من بعض مشققتهم نعله فقال كفرت لأنك هونت
السلامة وهو تهوين للشريعة ثم للرسول ثم المرسل ونحو هذا يفعلون في كل
شيء، وفعل بعضهم شيئا من منكرات الدولة فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشي
السلطان من الامر والرضى به. فقال انا خادم الدولة المتتمة الى السلطان
فقد نسبت الظلم الى السلطان فهونت ما عظمت الشريعة من امر السلطان
فكفرت فأخذوه وجاءوا به الى القاضي وحكم عليه بالردة ثم جدد اسلامه
وفعل ما يترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصر تاجر دمشقي ولا تزال
الستهم وطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وقادريهم وسائر كتبهم وهي
عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الانصاف، وثفاق النفاق والاعتساف،
نسأل الله حسن الجماعة لنا ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ثم رأيت كتاب التمهيد لابي شكور السامي من الحنفية واذا هو لم
يكذب يسلم منه أحد من التكفير لان من أول الكتاب الخ يقول قال أهل
السنة والجماعة كذا وقالت الاشاعرة وقالت الفلانية ولا يزال يحكم بالكفر
كقوله قال أهل السنة والجماعة ان الله تعالى لم يزل كان خالقا^(١) موصوفا
بهذه الصفة وقالت الاشعرية والكرامية ما لم يخلق الخلق لم يكن خالقا وهذا

(١) يوشك ان يكون اصل العبارة ان الله تعالى كان - في الاول - ولم يزل كما

كفر انتهى صورة لفظه ومن السجب ان يسمى نفسه أهل السنة والجماعة في كل محل ثم يعد أفراد الفرق الذين يتسمون بذلك كالأشعرية وغيرهم، وغيره لم يبلغ هذا الحد بل يقع منهم ذلك نادرا يقول بعض الأشاعرة قال أهل السنة وخالفنا الماتريدية أو الحنابلة أو نحو ذلك على ان ذلك شائع باعتبار التسمية بذلك انما اخترعها صاحبها ولم يوافقها عليها الخصم ولكل ان يدعي (وليلى لا تقر لهم بهذا كما) وهذا المذكور لا أدري ما أقول فيه فانه يحكي الاتوال ويجيء بما لا يوجد في أي كتاب ولا هو مما يتركب على الناقل ولا هو نادر واما المعتزلة فانما مدلول المعتزلي عنده من يصح ان ينسب اليه كلما أتته الشياطين ، اوجالت به وساوس المجانين ، فليطالع وعلى الجملة فاعلم الاطلاع سيما على الكتب المشهورة في كل فرقة يزيد المهدي بصيرة وطمانينة في الهدى مع التوفيق والتسديد ، واخلاص النية للمعزز الحميد ،

واما المعتزلة فهم فريقان وليسوا كلهم يكفرون بالتأويل كما تراد في كتب الأشاعرة ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويحكم الخير بل يروي الكذب والبهت كما قدمنا وكما تذكر الأشاعرة ان المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشيا بينهم حتى القشيري في التفسير شرح الاسماء الحسنی وكأنه استند في ذلك الى الكشف ، واما النقل فباطل وهو شبه قذف الغافلات فان المعتزلة لا يكاد يظن قائلًا يقول هذا الاشذوذاً مثل المريسي وضرار وهمايت الفرائب مع ان ضرارا ليس من المعتزلة في روايتهم لانهم رويوا عنه القول بالرواية بحجة سادسة ورويوا عنه القول بخلق الانفال وانه رجم عن الاعتزال بسبب شبهة ان يكون فعل البعد

أشرف من فعل الله تعالى وعلى الجملة فليس شذوذ من الفريقين بغريب
وانما المنكر إتمام المتزلة قوله وانما هذه المسألة كسائر المسائل بل لا بد
فيها من شذوذ كشذوذات المنبري والظاهرية وهذا شيء كبير يظلمك عليه
كتب المقالات ودع عنك المتكلمين

ومن المضحكات عند المحدثين أنهم يقومون على أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه حتى يجرحون من يقول ود أنه معه في كل
المواطن كشريك القاضي ومن لا يحصى^(١) ثم تراهم يفتنون بكفر من لا
يساعدهم على نوادر ما عليها معرج ويرون ما المعلوم خلافه لكل من
عرف ذلك بلا حياء كما حكى الذهبي ان ابن دحية قال في محبي بن نيمان
ضال مفضل عجز الله وقال نحن أقدر منه وهو قول القدرية جميعهم وهذه
الجملة الأخرى الظاهر أنها من قول ابن دحية ويحتمل أنها من قول
الذهبي مع أنه لم يترضاها ومن قال أنه أقدر من الله فهو كافر تصریح
لا من باب التأويل ونحو هذا ما حكى في ترجمة عمر بن إبراهيم الماي
أنه جارودي لا يرى الفصل من الجنابة فلو صدق لكان قد انكر ضروريا
من الدين ولم يعاملوه بذلك وكتائبهم متناقضة اذا تكلموا في غير فهم

(١) قدّم قريبا كلام الذهبي في الجرح بالتشيع وان المراد به اننا بلغ الى الخط
على الشيخين فتكرير المصنف رحمه الله لعل هذا عنهم داخل في قوله ومن مناسد
الخلاف استحلال الاعراض فالمحدثون اتفقوا من مثل هذا فهم الذين رويوا أن
حب علي رضي الله عنه علامة الايمان وبعضه علامة النفاق فكيف يرضون لاقصمهم
بالنفاق الذي صاحبه في الدرك الاسفل من النار فليس هذا انصاف لهم من المصنف
رحمه الله اه من هامش الاصل

وهكذا كل دخیل وليس لهم في ذلك كل العناية مع ان قوله جارودي لا يرى الفصل من الجنابة ينهم من هذه العبارة انها وصف كل من كان جاروديا فيتسم الخرق على الراقع وكما مضى ذكره من قولهم من قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فهو كافر وغير ذلك وكمن قال في صالح بن حي " ذاك الاواه انه قد استعصب منذ زمان ولم يجد من يصلبه يعني لانه يرى الخروج على اهل الجور كراي الحسين بن علي ثم حفيده زيد بن علي ومن تبعهم من الزيدية بل وابن الزبير ومن تابعه من فضلاء الصحابة والتابعين بل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم الا ان خطأهم كان واضحا لان امامهم لم يكن يتثبت به الريب ولقد كانوا فتنة لهذه الامة كما قال عمار رضي الله عنه والله انها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اياه تطيعون أم هي فرضي الله عنها وعن طلحة والزبير وعن علي وعمار ومن هو من ذلك القليل كالحسين السبط وزيد بن علي وأبعد الله مروان وابن جرموز وابن ملجم والحجاج وزيد بن زياد ومن هو من ذلك القليل أميرهم ومأمورهم

ولعمري لمقاصد أئمة الزيدية في قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من الساف لولا دغل من الهوى وغلو فيما يعود على الرياسة وداؤها كمن ما يظهر الا بعد أن يستحكم وبعد الاستحكام لا يمكن علاجه كالكتاب ولقد دخل داؤها في كل ذي مقصد حتى في الوعظ الدين رأس ما لهم التعذير من الدنيا التي قطبها الرياسة فتبطل من الاحوال لما ذكرنا وغير ما ذكرنا مما يظلمك عليه كتب الجرح والتعديل وكتب السير والاخبار والحكايات والآثار مع التيقظ في كل باب لزواياه وخباياه وليتهم شفاهم ما في الكتب

(المار ج ١٣ م) مقاصد الخلاف في ترك الجهاد وقادي حكومات المسلمين ٦٧٩

أعني المختلفين حتى يختص هذه المقاصد من له اطلاع على الكتب ويسلم من ذلك العامة

ولكن استولى عليهم الشر فصاروا يكررونه على المنابر كل جمعة
كانه الذي وصاهم الله بالتذكير به لينفخوا المؤمنين وأمرهم بالسعي اليه
فالخارجي يلعن أمير المؤمنين والرافضي يلعن الخلفاء الراشدين والسني
يسب الشيعي والشيعي يسب الباغي والجبري وهذه سنة سنة سنبا من
سنبا في سب علي رضي الله عنه فبالها من شنيعة ما أخزاهاء وفضيحة عم
بلاها ، ولولا ان عمهم الوهن في دينهم لقام أهل كل جامع حين سمعوها
والعجب ممن يحسن الآن لواضعها كأنه يريد أن يشارك فيها لما تأخر
عن وقتها فأخزى الله المحاباة في الدين ، والفضة بالانفس والاموال
والبنين ، ولقد ضاعت هذه الامة أهل الكتابين في قولهم « وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »
وهم يتلون الكتاب « وبعضهم يقول في بعض فرقنا والانصاف
أن الحق لم يخرج عن أيديهم جميعا والحمد لله فعند كلهم كل الحق وكل قد
ابتدع وان اختلف قلة وكثرة وصنرا وكبرا ومن يطلب الحق وقد هياه
الله وبسره يعرف هذا من ذلك « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

ومن مقاصد الخلاف سد باب الجهاد لاعداء الاسلام مع انه فرض
كفاية وهو سنام الدين ، ولا انقطاع له الى يوم الدين ، ولما استحكمت
المداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا همهم في حرب بعضهم

بعضاً وانما استحكم ذلك من حين استحكم التفرق وصاروا أجنادا مجتدة وقد كان في الدولتين حين كان السلطان واحدا جهاد الكفار مستمرا مع عدم استقامة الخلفاء على الحق ولكن كم بين تلك الأحوال وهذه الأحوال لو يستطيع أحدهم اليوم أن يستبين على خصمه من المسلمين بالكفار أفضل^(١) وليتهم تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضا ويستغل كل منهم بمن يليه من الكفار ويستبين بعضهم بعضا ولكن ذلك لو كان المراد مطلوب الله منهم ولو اتبعوه لكانت يدهم واحدة كما قدمنا ثم من اتصلت مملكته بالكفار ففظها منهم كحفظه من مخافة المسلم وهذا نوع من الجهاد ولكن المطلوب صرف هم المسلمين لحرب الكفار والفرو وان لم يخشوم الا من باب حفظ الملك ولكن عداوة في الله وان تكون كلمة الله هي العليا في جميع أرضه وهذا هو الفرض الذي لا يسوغ الاجتماع على تركه

* * *

ومن مفاسد الخلاف سد باب الثقة في الدين ومعرفة الكتاب والسنة حتى صار المتشرف لذلك متفقا على جنونه وخذلانه عندهم ويصرحون ان الاجتهاد قد استحال منذ زمان وانما دس لهم الشيطان ذلك لانه لو بقي الباب مفتوحا لوقع للتأخري المجتهدين ان يوافقوا هذا في مسألة وذلك في أخرى ويصير لبعضهم اتباع فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الامر حتى يعود كما كان في وقت الصحابة رضي الله عنهم وهذا يقرر مغزى

(١) انهم قد استطاعوا وفعلوا والاولى ان لا يبدؤا بذلك ونحن نسمى في تلافيه

الشیطان لمنه الله تعالى قد دس لهم ذلك ومن لم يصرح بذلك فعمله عليه
تراه يدأب أكثر عمره في العربية واصول الادلة ومعرفة الحديث ثم اذا
صلو مدرسا متمكننا في تلك الفنون اخذ في كتب التفاريم المدونة من الباب
الذي دخله الجاهل بتلك الفنون وكأن الكتاب والسنة مع هذه التفاريم
اجنبية لا تترامى نيرانهما ولو نظر في شيء من الادلة ووقع في نفسه شيء مما
ينبغي ان ينظر فيه لما قدر على التطهر بذلك لانهم يقومون عليه ويردون
ما جاء به بلسان واحد ويقولون هذا ينقم على الائمة ويخالقهم يرى نفسه
خيرا منهم ، واقل احواله مهم ان يسقط جاهه عندهم ويحرموه هذه
الارزاق وان كان له ضد منافس قد يسمى به الى الدولة ويقضون فيه على
حسب ما يقضي الهوى في القضية . حتى ان السبكي ذكر انه نظر في مسألة
السمع فراها حلالا ثم قال الحمد لله الذي جعلنا من مقلدي امام اذا تافقت
تقوسنا للنظر في مسألة لم تقع الا على قوله فانظر هذه الكلية التي تدل على
عراقة هذا التعرير في الكمال والدين . وكذلك ذكر ان الذين بلغوا درجة
الاجتهاد من علماء الشافعية مع عدم المخالفة ليسوا بمقلدة انما وافق اجتهادهم
اجتهاده قال ولا يخرجهم ذلك عن الاتساب الى الشافعي فانظر طبقات
الذکور ترى فيها المعجائب ومن فعل نحو فعله صار وجيها عند أهل ذلك
المذهب في حياته وبعد موته وأما من قال أنا اتبع هذه الآية وهذه السنة
وان خالفت الامام فذلك المتخبط المدعي الذي لا يرفع الى كلامه رأسا
بل ينهي عنه وعن كتبه وهذا في جميع هذه الاحزاب الهزبة فصار الباب
منظما حتى صار المعروف منكرا ، وذكر التلطي بالكتاب والسنة وترك

المذاهب المبردة كالزندقة عندهم خلا انهم لا يقولون الكتاب والسنة هو الضلال خشية ان يكون كفر بواحا ولكن يقولون قد انسد باب معرفتهما وما عرفوا انه اذا انسد باب معرفتهما فقد سقطت حجتهما فوجدوها وعلما وعلمها على السواء ولكنهم لا يسأون بهذا ويقولون قد اخذ عمرتهما الاثمة وفضلوا ما يجب فالحجة اليوم كلامهم لا غير وصارت تلاوة الكتاب مجرد تعب والحذر ان يتدبره التالي فيخالف الاثمة فيضل وكذلك السنة الا ان قراءتها بركة وربما تحصل لهم بذلك مراتب دينية ووجه في الناس والا كان فطهم مجرد عبث

وهذا الذي وصفتاه من يظن ولم يعرف حال الناس ما يسوغ له ان يقع هذا أبدا ومن عرفهم علمه ضرورة فذكرنا لنحو هذا مجرد انكار من يجهله لا يصدقه في علماء الاسلام الذين طبقوا الارض ومن يعرفه يقول وما نعمة هذا الهديان وهيئات ليس الشأن في معرفة ذلك من احوالهم انما الشأن في السلامة من الوقوع معهم فاننا رأينا الفضلاء فعلوا كما ذكره صاحب كلية ودمنة من شأن السلطان ووزيره في شرب الماء فهذا هو سد باب الثقة في دين الله لأن دين الله الكتاب والسنة والفقهاء انما هو من عرفهما واما معرفة هذه التفاريم فمجرد استغناء عن عين الحكيم فالمسمى بالمتقي والحراث والسوقة سواء اذ أولئك لا يخلون من أحكام قد قلدوا فيها فما زاد عليهم هذا المتقي الا بكثرة الصور التي جمعها وليست من الثقة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء. ألا تراه معتزفا انه لا يقدر على معرفة النسبة بين ما عنده وبين الكتاب والسنة

واجب عما ذكر أنهم جروا على هذا الخط فيما بين المتقدم والمتأخر

فيستبشرون المتأخر ويطلعون المتقدم عصرافصرا الى يومنا هذا مثلا لو
قال المنتسب الى الشافعي من الطلبة قال الشافعي اسفروا منه وقالوا يرى
نفسه أهلا لمعرفة قول الشافعي^(١) بل لو قال قال الرافعي وإنما المصرية منهم
اليوم مقصودون على الرمي يقولون لا يجوز الافتاء بغير قوله ويقولون
اخذ علينا المذهب ذلك لا ندري اي الابليس اخذ عليهم ذلك لكننا سمعنا ذلك
منهم وأهل مكة يقولون لا نعدل بقول ابن حجر الهيتمي فصار شأن العلماء
المتقدمين وكتبهم كشأن الكتاب والسنة ولذا ترى تلك الكتب مجهزة.
لقد وجدت في باب السلام أربعة عشر مجلدة عرضها صاحبها ثمن مجلدة
صغيرة من المحظية مع ان في تلك مثل الفريز شرح الوجيز ثم لم تنفق وأرجعها
الدلال لصاحبها وهذا في الشافعية أكدته في غيرهم وكل قد فعله حتى
سمعنا من بعض الطلبة انه لا يجوز العمل على قول المتقدم لان المتأخر قد
ميز الصواب من الخطأ

ونقول لهم لو خلقكم الله سبحانه في العصر المتقدم طيكم وانتم على
الحال الذي انتم عليه الآن أكانت حجة الله عليكم قائمة عليكم؟ فلا ترام
يجيبون الا بنعم فنقول تنتقل معكم الى العصر الذي قبله كذلك حتى تبلغ
الى عصر الصحابة ثم الى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعرفون
بالحق ويصرون الى ذلك الحال المألوف بمجرد الهوى وكأنهم يسمع وكأنك

(١) طبع في هذه الايام كتاب (الام) للإمام الشافعي وبها مشه رسالته في الامور
ومختصر المزني فقال بعض علماء الشافعية في مصر والحجاز ان طبع هذا الكتاب مفسد
للمذهب وفيه ضرر عظيم وهم يتهون عنه ويأثرون عنه! افرحم الله المصنف وكل
عالم مستقل اه مصححه

لم تقل، ونقول لهم هل المتأخر أفضل من المتقدم حتى رجعتم اتباعه؟ فيقولون بل المتقدم أفضل فنقول فقد عدلتم عن الأفضل وقد يقول أحدهم إنما هو استقصار لنظرنا عن معرفة قول الأول فنقول لا فرق بين كتاب وكتاب وليس من اللازم أن المتأخر أجلى بياناً وأوضح عبارة وبرهاناً بل لا يزالون مختلفين وكلام الله ورسوله أصبح وأوضح، وأجل وأجلى وأشرح، وإذا بلغ مجزكم إلى ما ذكرتم قلنا يا أغبا الناس وأدنام، ثم لا نسلم لكم معرفة كلام أحدث المصنفين، ولا كلام أسيماكم المدرسين، على قدر ما اعترفتم به على قوسكم من سوء الحال، وسقوط الشأن وضيق المجال، فأتقوا الله في هذه الصحف والأقلام، والمساجد التي صدعتموها بالخصام، ولكم بإقل أسوة في شمره، فلقد كان أعرف منكم لقدره، حيث يقول مترجما من عنده

يلومون في حقه بأقلا ولعنت أجدر بالاموق
خروج اللسان ومد البنان أحب إلينا من المنطق
وهذا باعتبار شبه قول الإمامية: غير المعصوم يجوز عليه الخطأ قلت لبعضهم فهل المعصوم حاضر أبداً عند المكلف لكلاماً عرض عليه كي يصوته عن الخطأ؟ قال لا بل لا بد من واسطة غير معصوم قلت فإذا ذلك مسلم والمعصوم موجود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه إلا على معصوم واحد لا على ثلاثة عشر معصوماً فاقطع ويناسب هذا المحل قولي

برئت من التمدد طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب
ولي في سنة المختار صلى عليه الله ما يشفي التهاني

ومالي والتمذهب وهو شيء
وأما من يريد الحق صرفاً
ويرجو حسن عقباء إذا ما
وفيه همة عاقت وتناقت
وقد رزق الحياء فلا يسوي
فلا والله لا يرضى صنيعة
لئن أبى الآله لهم صواباً
رضيت لهم من الوجه الذي لم
وأثري من سوى هذا فإني
لصري إنما حاولت أمراً
ولكن جهم حلوى هواهم
فلم تر من يسدد سببه في
ونفاة أمرهم لنط وبيت
يقولون ادعى أمراً عظيماً
وقالوا ليس يعرف من إمام
لئن كنتم غلوتم في إمام
تبرضتم ثماداً ثم قلمتم
وقلمتم قد حجبتكم أن تتألوا
فمن ذا بالفلاح أحق منا
ولنا حجة الرحمن فينا
ولو لم يخلق النعمان أو من

يروح لدى الماري والمحابي
ويوجل قلبه ذكر المقاب
تميزت المنازل في الشواب
سقوط الشأن أو حسن المآب
رب العالمين بني التراب
أباه كل من تحت السحاب
لقد ضلوا كثيراً عن صواب
يخل من الشريعة بالانصاب
أرى انصافهم شيب الغراب
بيداعن شكوك وارتباب
اذا فهم الاصابة طعم صاب
حيال الحق في رجوع الجواب
ورفض المروءة والكتاب
يكاد لديهم يدعى بصابي
مقاماً وهو للانصاف آبي
وما هبتم مفارقة الكتاب
تجنب وارد البحر الصباب
بدون امامكم فهم الخطاب
ولم ير دون فهم من حجاب
الى يوم القيامة والحساب
يضاهيه من العلم النجاب

ولكن ذا الكتاب وذا حديث م النبي وذا اللسان بلا استراب
ويستفي الذي قصرت يدها بغير تحزب وبلا اقتساب
كأعراب زمان الصعب كانوا وأعلام سقوا صفو الشراب
ومن مفاسد الخلاف ترك الجمعة والجماعة وهما من شعار الإسلام
أما الجمعة فللكثرة التحكم في شرائطها وإنما هي صلاة من الصلوات أقرب
ما يشترط فيها اتحاد الجماعة لأنها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم
وكانوا يعطلون مساجد الجماعات لها وهذا أمر فوضي في مصر اليوم
يصلون في المساجد بلا تقييد بقيد حتى أن الشافعية يصلون الجمعة ثم يصلون
الظهر على الإطلاق ورأيت مصريا في مكة فرغ من الجمعة ثم قام فصلي
الظهر فقلت ما هذا فقال أنا شافعي مذهبنا نصلي الجمعة ثم نصلي الظهر
فقلت لعل ذلك في مصر لتعدد الجمع على غير شرط التعدد وهاهنا ليس إلا
جمعة واحدة فاستفاق فليت شعري لم لم يصلوا الجمعة في مكة أربع مرات
كسائر الصلوات نظرا إلى أساليبهم المخترعة ؟ وأعل ذلك يكون بعد أن
تمادى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فتساهلوا في هذا الأمر الواضح
وحافظوا على ما ليس كذلك كاشتراط إمام عادل كزعم بعضهم أعني
السلطان أو اشتراطه ولو جائرا أو اشتراط أربعين أو مصر جامع أو نحو
ذلك مما اتفق وقوعه في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من دون دليل
على الاشتراط وهذه أمور مطولة في الفروع والمقصود أن الخلاف هو
الذي عطل الجمعة ولم يكن ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولقد
صلوا خلف الحجاج ولله در عتيان رضي الله عنه وأرضاه وقد قيل له
أنت إمامنا ويصلي للناس اليوم امام بدعة؟ يعني إمام عصره فقال رضي

الله عنه خيار أعمالهم الصلاة ان لم يقتدوا بهم فيها فهم يقتدون ؟ أو كما قال
رضي الله عنه

ولقد ظلت الزيدية حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد السلطان
الذي ليس على شرطهم وقالوا لا تصح الصلاة ويميد الظاهر بل قال قائلهم
ويشترط وضوء الخطيب للمصيبة لأن بعض الماصي عندهم ينقض الوضوء
وما شئت من ظلو وكذا اشتراط الاربيين عند الشافعية و تراهم في البلدان
الصغار يمدون الجماعة كما يعد الغنم شيء لم يؤنس في الساف ولا متشبه
الا آثار ضيقة وتركت الجماعة لذلك في غير المجامع الكبار ولم يكن
شيء مما تشبهوا به يصلح لتخصيص كتاب الله تعالى وأعجب منه
اشتراط المسجد مطلقا أو المستف كقول المالكية وسائر شرائعها مما
ينبتك ويلزمك ان كنت ذاهمة أن لا تبدل بكتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم

ومما يصلح مقصدا للتسكن أن يجمع ما وضع أنه بدعة في الفروع
في كل فرقة فينبى من ذلك التصنيف الكثير وما باب من أبواب الفقه
الا قد تمصبوا فيه أو تمصبوا لكن بنوا على أصل منهار ثم فروها
فروما وطال الدليل الى أن تصير تلك الفروع سيما الأبعد الانزل في
عداد الأجنبية ثم لم يلتفتوا الى النظر في الاصل المبني عليه فانه لو كان
صحيحا لما أدى الى الامور المستثناة لكن يصمون الى أن يخرج أحدهم
عن الجماعة ويخرج خصه في الباب الآخر تحقيقا لشر الخلاف واظهارا
لعظم المفاسد فيما نهى الله سبحانه عنه ويراها مسألة فرعية سهلة ويقولون
مسائل الاجتهاد أمرها حين انما الشأن في العقائد وهذا من اصطلاحاتهم

وربما تكون تلك المقيدة التي رفعوا شأنها ليست من الدين لا إيجاباً ولا
نفيًا ولا يظهر لها منفعة وتلك التورية السهلة قد صارت مفسدتها من
أعظم المفاسد وهاك مثالاً من ذلك

فما استعظموه من العقائد أن الانسان اذا أراد أن يكلم زيداً وجد
لنفسه حالة لم يكن قبل ارادة التكلم ولا بعدها وهذا القدر متفق عليه
فقالت الاشاعرة هذه حالة مستقلة فينا وهي في الباري صفة مستقلة
كذلك ونسبها الكلام ثم نبر عنها بالالفاظ وقالت المعتزلة الذي يجده
الانسان انما يرجع الى علمه بمعنى ما سيكلم به زيداً وترتيب اللفظ الدال
عليه مع علمه بالقدرة على ذلك وارادة التكلم فليس ما يجده بصفة مستقلة
ومدلول كالم وتكلم في اللغة فعل الكلام والتكلم وهو اللفظ فقط واطلاقه
على ما في النفس مجاز فقط كسائر الملكات فلا صفة للبارئ تعالى نفسية
تسمى كلاماً انما كلامه فعله فمضى تكلم خلق الكلام في جسم من الاجسام
وانما قالوا في جسم لان الكلام عرض لا بدله من محل والبارئ تعالى
ليس محلاً للاعراض فتعين اشتراط المحل عندم والكلام على هذه الصفة
في الباري تعالى وغيره من فضول الكلام ومعنى تكلم في اللغة معروف
فلنقتصر عليه لا سيما في حق الباري تعالى ونقول تكلم حقيقة لغوية ولم
يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذا فانظر هذا الذي طبق
الاتطار هل هو من الدين في شيء ان كنت ممن جملة الله أهلاً لذلك

باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*)

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض ممارسة الفسق جاءها بثلة من النساء الروميات العاهرات اللواتي يتعبرن باغراضهن فانشأن يرقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكورة من التبذل والتبرج والتهتك تقري من رآها بالفسق ثم يمدن الى منازلهن وقد جذبن اليهن من جذب من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيبدلون هن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جرائم داء الزهري (الحب الافرنجي) وسه القتال المدي فيلقونه في بيوتهم وبيوت من يواكلونهم ويشاربونهم حتى ان الدكتور ماريا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصابين بهذا الداء بعد استعراض هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الأطباء لجهلهم واهملهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها خرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاعت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر القبيح الذي لم تعود بلدتهم ، وطن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقع ما له

(*) نذكرنا منه المقالة والتي تلها بجريدة الحضارة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين بحمونه ، واطلعتني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو ويزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله ، ومنبين لم بالبرهان خطاهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجالها ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعار الدين وآدابه الاجتماعية ، وانحلاؤه من مواخير الفسق والوسعية ، وحانات السكر الطنية ، وبيوت القمار الخسوصية ، ولا اذ كر اتي رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الارجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيتجمع عليه الصبيان يعبثون به ويسخرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته ليمض النصارى في أيام شبابه ، والثاني شاب من أولاد الصناع كان يشرب مرارا وربما خرج مفرغا غلا فكان لاقتال اعتاق الناظرين المتعجبين ، ومحر كالا لسته الخوفاين المسترجعين ، وأذكر ان مدرعة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلاد فجعل يجول فيها فطلب من الترجان أن يذهب به الى ماخورد النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأنذروهم بعض الاذكياء مقبة الامر وامر ع باعلام الحكومة فأولست اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق

ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من اكثر البلاد اشتغالا بالملم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديدة بأن تضيق ذرعا بالفسق الطني يفاجئها شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر الخالف لأداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يلقنا أنهم شكوا اليه ذلك ولطمهم لم يأسوا من الحكومة ولبل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الامر ، وإزالة هذا الملل النكر ، وهو قد رأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، وعمل يديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كنع تبرج النساء واختلاطن بالرجال في مثل يوم عبد الدستور ومنع الصبيان من

الحجرات . كل ذلك غاية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الإسلامية ، ولا يتوهم أن الأمر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وأنه يقتصر في الدوام ما لا يقتصر في الابتداء ، فالأمر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضالها

قد استنظم هذا المنكر أهل العلم والدين والخبرة على المرض — وهم السواد الأعظم في طرابلس الشام — واكثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فاذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرياسات في تلك الاعراض واغتيال الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم العمومية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكرون في عرف بلدهم وآدابه ، ولأنه هناك حرمة الدين الذي كفل القانون الاساسي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الارتمجاع بتفضيل تلك الحكومة الاستبدادية الميائدة على الحكومة الدستورية الدائمة ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فاننا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اقاء ما يندش الشعور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الحدي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرقتكم كيف تحفظونه فحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضا ولا لشرفها .

ألم يباينكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابن الدستور (مدحت باشا) فمنعهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن مجلس

الوكلاء قد منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع مترجماً بالتركية لئلا يكون سبباً
لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء ، حتى عد بعض الناس الحكومة مغالية
في ذلك ، أقروا أن هذه الحكومة ترضى بأن يثلم أولئك الروميات الفواجر شرفكم
ويهتكن آدابكم الدينية والقومية ويسلبن أموالكم . في زمن يقاطع الصابونيون فيه تجارة
اليونان المباحة . ويفسدن امر الصحة العمومية ، ويزدن في اسباب التمدي والجنايات ؟؟
حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتعقونه ، فاطلبوا المقاصد
بأسبابها ، واهتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

مضار البغاء ومفاسده

لنرنا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والأخلاق والروابط الزوجية والحياة
الاجتماعية والاقتصادية والانتاج لاجلها كان محرماً في الأديان فان الله تعالى لم يحرم
على الناس شيئاً إغناة للناس ولا منعاً لهم من التمتع بالذات التي لا ضرر فيها وانما حرم
عليهم كل ما هو ضار وأباح لهم كل ما هو نافع وما كان فيه فم وضر فالتراجع في
الشرعية لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق الموافقة لنظام
الفطرة وقوانين المنطق المقولة ، واشد الزنا ضرراً وأكثر مفاسد البغاء المسبب
الذي يتخذ العوام حرفة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك يسره
من شاء مادام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل
النسل وإيقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها أكثر الاعراض
وتفشو القيادة والديانة حتى لا يوثق بفعل أحد الا النادر من الناس واكثر الشبان
الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئاً فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية
والأدبية والمنزلية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون
به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي
سرى إليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

والادواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأمرعها حصولاً انتشار المرض الزهري القاتل ويا ليت هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئاً من عواقب الزهري وما ينتهي إليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاسنانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ومنهم الذي فقد بصره وسمعته ومنهم من سقطت أسنانه وتأك كل لسانه . ومنهم من استوحت منه أعضاء التناسل ، وأهولهم حالاً من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، ويألها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف حولها القلوب

يا ليت هذا الداء الخبيث لم يكن معدياً اذاً كان يكون وباله على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بقرب من العلوى لا يعرف طرق اتقوا منها الا من لم يلام بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فباحسة على أهل بيت يفري الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواقير النجسة فيعود حاملاً الى أهله الأبرياء المساكين ذلك السم القاتل فيلقح به امرأته وأولاده وأخوته وأخواته وربما أصاب به والديه فانه قد يتقل بفضل الطعام وسوء الشراب وبالثقل والحس اذا كان هنالك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح الخلال في اللثة ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يؤثر الحرام على الحلال فان كان أعزب تصف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي ينشرف فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الأيامي من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان الموانس من العذارى الابتكار يلجأن أحياناً بلمس الأخدان في البيوت السرية ، فكيف يكون حال الأراامل ؟ وان كان متزوجاً بهجر امرأته ولو جميلة وبأوي الى بقي دونها جمالاً وفناء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تصنف غيرته على المرض ويضيق ذرع امرأته ويخونها الاضطراب فتتقم منه والجزاء من جنس العمل

يترحم بعض المخربين بأنفسهم انه يسئل عليهم الجمع بين التهلك في الفسق وبين صيانة نسلهم عنه وان قل نصيبهم منهم ، وانما ذلك هو الجبل والنبوة وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افضاء تهلك الرجال في الفسق الى افساد نسلهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفوا نطف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجملة الانبياء ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء والناسم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادي الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصودة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ، ولكنه واقع ومن أغرب وقائعه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجها زمنا طويلا فعلمت انه يأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قراوة الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفتن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان أو تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلفن اليه فلما طلبها من القواصة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبغى أن اجتمع بامرأته وهو لا يعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقائها وأنه ماسر في حياته بامرأة كسرورده بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون أسعد الناس بقريني في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القواصة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الطلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكلتهم - من المعرضين لانشاء البقاء في بلادهم - أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ما عندهم من القبلة والحجاسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تضاف القبلة ورويدا رويدا حتى تنكسر القيادة والديانة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البقاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والمثل مربوطة بمثلاتها والاسباب موصولة بمسبباتها

إن الفيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات
الناس حتى ان أجمل الجاهلين وافسقم ليندفع الي قتل من يعلم انه اعتدى على عرض
اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقر أمر هؤلاء المومسات
اللاتي قدمن باب البناء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت
وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها ، فهل تفكر العلماء والفضلاء
وأهل الفيرة والنجدة في هذه المواقف ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟
يطلب على قلبي أنه لو جمع بعض العقلاء فتيان البلاد الشجبان (الابضيات)
وبين لم أن هذه الفتنة ستكون سببا لتبكت الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة
واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ووسوخه
إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل وطننا دون المرض والنفس
ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجحون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها
قد كثرت فيها القباة والديانة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بعرض امرأته وبناته
وهذا مما يندها أكثر بلادنا من الحال الذي لا يتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة
الفيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لا تتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل
ولم يشعروا بيطالانه الا بعد موت الفيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل
الناس في كل مكان وزمان والحفاظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في
هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال ما يتبادر الى اذهان
الاكثرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضع
معظم كسبه بجعله من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ما هو أعظم من الشفقة على
هؤلاء الطالبين لانفسهم أعني أن هذا البناء يذهب بحفظ عظيم من مال الامة الى
جيوب الاجانب الذين أذلواها وبزوا دولتها باستعلائهم عليها بالثروة فان معظم المومسات
في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ وهن يرسلن
معظم ما يسلبنه من فساقنا الى بلادهن فيكون تقصا من روتنا ومزيدنا في ثروة امهن
ودولهن ولولا ما يأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية
لا ضعفت دولتهم وضعفت أمتهم بالفقر المدقع

ان مفاسد البقاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم
واكثر من هذه في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة
التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتقاد الذي يصف
الدين وينشد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة
واني لأعجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حفر الهمم لمقاومته
وحشاعلي تلافيه كما أعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر
هذا وانني قد بلغت خبر ماحل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي
عرفت منه النجدة والفتيرة فاذا شكوا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية ولم
تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لهم بأنه يأخذ يدهم ولعله عهد الى نظارة
الداخية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الأهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب
على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لهم
بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيحل بهم مثلهم والله الموفق والمعين

حجاب المرأة في الاسلام *

تباينت آراء الناس في مسألة الحجاب في هذه الأيام . وكثرت فيها مناقشات الكتاب . فمنهم من ضل الطريق . ومنهم من هدى الى سواء السبيل . ولما كانت هذه المسألة من أكبر مسائلنا الاجتماعية الحاضرة . رأيت أن أفيض القول فيها وأحصيها تمحيصاً ينبليج به الحق . وينقشع به الباطل . مؤيداً قولي بالحجة العقلية والبرهان ومعزواً له بحديث الرسول (ص) وأبي القرآن الحكيم فأقول : —

الحجاب عادة قديمة موجودة قبل الاسلام وبعده وعند أم لم تعرف من هذا الدين الكريم شيئاً فلم يكن الاسلام موجد له ولا مؤيده . وهو الآن عند المسلمين يكاد يكون قاصراً على نساء الطبقة الوسطى والعالية وقد خرج في هذه الأيام الأخيرة عن معناه الحقيقي وأصبح ضرباً من ضروب الزينة والتبرج تظهر به النساء كاسيات عاريات . مظهرات لمحاسنهن . مخفيات لعيوبهن . فمن يجدهن به الرجل . ويفرون الناظرين بتلك المظاهر المروعة الكاذبة التي لولاها ما بالى أحد بالنظر الى نساء اعدائهم . ولا وجه مقنون عينه اليهن . ولا أمل أن أحداً من العقلاء يستحسن هذا الحجاب الكاذب أو يتصر له . ولا اقلن ان خيرة الرجال تقسم مع . أو تقسم به . فليس الخلاف بين العقلاء في أمر هذا الحجاب الخالي وإنما خلافهم في الحجاب الحقيقي وهو ستر المرأة وجهها وكفيها عن الاجانب عنها فيقول قوم انه نافع ومفيد وان الدين يأمر به . ويقول آخرون انه ضار لا فائدة فيه وان الدين يبري منه . وكلا الفريقين يوثق رأيه بالأدلة . والحق يقال ان دلائل الفريق الاول سفسطة باطلة . ودلائل الفريق الثاني يقينية قاطنة ولولا خوف التطويل لسردنا دلائل الاولين . وأدحضناها بالبرهان المبين . ولكننا نكتفي

(*) بقلم الدكتور محمد النسي توفيق سدي

بذكر دلائل الآخريين . فانها هي الحق اليقين . وليس بعد الحق الا الضلال المبين .
 أما مضار الحجاب فهي كثيرة متنوعة تأتي مناعلى بعضها : —
 أولا - ان الحجاب يحول دون انتخاب الرجال لازواجهم فيجعل الزواج تابعا
 للصدقة والاتفاق بدلا من الاختيار والانتخاب . فمن أسعده حظه صادفته امرأة
 حسنة توافق مشربه وهواه . ومن أشقاه وقع في قيعة شوهاء . لا يمكنه أن يقيم
 معها الا على البغضاء والشحناء . فيكثر بينها الشقاق . المؤدي الى الطلاق . أو تعدد
 الزوجات . ولا يخفى ما يجره علينا ذلك من المصائب الاجتماعية والاخلاقية
 والدينية . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاحد الانصار وكان قد خطب امرأة
 (أنظرت اليها) قال لا قال - (أنظر اليها فانه أخرى أن يؤدم بينكما) والنظر الى النساء
 لاجل الزواج لا يتفق بحال من الاحوال مع الحجاب فاننا اذا كشفناه عنهن لمن
 يريد الزواج لمرضاهن للنجس والاستحياء والسخرية والازدراء ولا يصح كالمسلم
 في الاسواق يتناولهن أعين المشتريين . وهو أمر تنفر منه الطباع السليمة .
 وتأباه المروءة . ولا يتفق مع كرامة المرأة في شيء فتقع في حضيض الذل والاهانة
 وتعرض لهزؤ الهازئين . وسخرية الساخرين العابثين بالأعراض ولعب الشبان
 الفاسقين . ولا دواء لهذه الامراض سوى سفور النساء للرجال في جميع الاحوال
 واتخاذ ذلك عادة لمن حتي تنفي أمثال تلك المصائب والمضار التي تنشأ للمزوجين
 والمتزوجات من الحجاب . ولا يخفى ان اصلاح مسألة الزواج عليها اصلاح البيوت
 واصلاح الامة بأسرها

ثانيا - ان الحجاب يكثر عن حوادث التزوير في سائر العقود كما لا يخفى
 وهو عتبة كروء في سبيل صحتها وفي الشهادة والحكمة . فكم من امرأة
 سلبت أهوالها بسبب الحجاب ؟ وكم من فتاة عقد عليها بدون اذنها وكان المتكلم
 غيرها من وراء ستار ؟ وكم من نساء رمين بالافتك والبهتان من غير علمهن وهن
 محصنات غافلات ؟ وكم من شاهدة زورا تخفي تحجبها أمام أعين القضاة بالبرقع
 والقباب وتفتري الكذب ولا يعلم من أمرها شيء ؟ الى غير ذلك من الزواج
 والمصائب التي جرما علينا الحجاب واني والله لأعجب غاية العجب كيف يصح

المقد على فتاة لم ترها ولم ترك . وربما اذا نظر أحداً للآخر اشماز منه وقر . فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقول ان الرضى حصل بين الطرفين معاً انه رضى باللسان فقط وكل منهما يوجب خيفة من منظر الآخر على أن الرضى اللساني أيضاً في كثير من الأحوال لا يحصل من جانب النيات ويكون صادراً من احدي قريباته كما هو معروف

ثالثاً - ان الحجاب يفسد صحة النساء ويمنعن من الرياضة البدنية . ومن استنشاق الاهوية النقية في الاماكن الصحية . ففسد بنيتهم . وفكر امراضهن . وتصل صحتهم . ويلدن المولدين والمطلولات .

رابعاً - ان الحجاب لا شك أنه أكبر مانع للاحكام التربوية والتعليم والتهديب وعائق لتثقيف عقل المرأة وتوسيعه وتكبيره بالتجربة وممارسة الاعمال ومخالطة الرجال في بعض الاحيان في اجتماعاتهم الصالحة كاتي تحصل في المساجد للصلاة وتعليم الدين . ومانع لما من مشاهدة المناظر الطبيعية . وبدائع الاختراعات الصناعية . فيبقى عقلها ضيقاً . وذهنها قارفاً ومخها خرقاً خاوياً . فلا تبث في أذهان بنينا وبناتها سوى الاضاليل والثرهات . والخرافات والخرعيلات . ففسد عقولهم وآدابهم وأخلاقهم . ولا يخفى ان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ولذلك يصرف الواحد منا وقتاً طويلاً وتعباً كبيراً لتطهير عقله مما زرعه فيه أمه الفية الجاهلة منذ طفولته ونشأته . ومن كان في شك مما أقول فما عليه الا أن يقارن بين عقول نساء الافرنج وأبنائهم وبين عقول نساؤنا وأبنائنا ليتضح له صحة ما أقول . وقد علمت بالاختبار أن جمهور البنات اللاتي يأخذن الشهادات من مدارسنا لا تمتاز عقولهن بعد الحجاب عن البنات الجاهلات الاشياء يسيراً فان مدارك أكثرهن تجدها قاصرة ضيقة منسجمة بالباطيل والثرهات والالوهام والخرافات معجبة بما تطلعه من القشور الفارغات

خامساً - ان الحجاب يمنع العقيرات أو غير المتزوجات من الحصول على اقربتهن الاشقي النفس ويضيق عليهن أنفاسهن ويعسر عليهن الاعمال أو الاشتغال بأي عمل . يكتسبن منه رزقهن من نحو خدمة أو صناعة أو زراعة أو تجارة ولا يخفى ما يجلبه البرقع على التاجرات مثلاً (والتجارة أخف شيء يمكن عملها) من الضيق والحرج

والعرق والاضرار بالصحة وعسر الحركة . والله تعالى يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج)

سادسا - ان الحجاب كثيرا ما يحرم الرجل لذة الخروج مع زوجته وأولاده واصطحابهم في رياضاته وأوقات فراغه ويمنعهم من مشاركته في أنسه ولذاته . وهي أمور ضج منها المجرمون قشاً عن ذلك كثرة هجران الرجل لزوجته وأولاده وعدم اجتماعهم الا وقت نومهم وهو يقضي معظم وقته في الاماكن الصومية (كالمقاهيات) بين الميسر والخمر والفسق والسعي في اصطلياد الفواني مع أنه لو خرج مع زوجته لتمتع كل منهما بالآخر وتال كل منهما حظه من لذة الحياة والالتذات برفيقه ومشاهدة المناظر الطبيعية والصناعية واكتفى كل منهما بالآخر واستفاد من حديثه وامتنع الرجل من النظر لغير امرأته وامتنعت هي من النظر الى غير زوجها لحياء الواحد منهما من الآخر وخشيتهم ومراقبتهم لوجوده معه . ولا يخفى على أحد فوائد ذلك من الوجهة الادبية والاجتماعية وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج مع بعض نسائه الى الاماكن الخلوية لاستنشاق الهواء النقي ولما يقتنن جريا والمزاح معهن بالهول الحسن سابحا - ان البرقع أو النقاب المستعملان الآن مما يشوق النفوس لرؤية ما تحتها فان ألد شيء الى الانسان ما منع عنه فهو يحمل أهل الفسق والفجور على التعرض للنساء في الطريق ومنازلهم والسعي في كشف سترهن كما هو حاصل الآن بكثرة فان أنواع البراقع تظهر عادة الامين والحواجب وهي في أغلب النساء جميلة فيختار الناظر ويظن أن باقي الوجه جميل مع أنه قد يكون منفرا اذا كشف جميعه . ولذلك قيل في أمثلة العامة (ان البرقع غشاش / وقد سمعت من بعض الشبان الفاسقين أن أحدهم يسعى وراء المرأة المتبرقة زمنا طويلا ويصرف مالا كثيرا في الحصول عليها ونسبا كبيرا حتى اذا نجح معها وقادها الى احدى دور الفسق وكشفت عن وجهها نفر منها وندم على ما فعل وحاول أن يخلص منها بكل وسيلة ولولا الحجاب ما غتر هذا القروير بكل واحدة ولذلك تكثر مداعبة النساء المتبرقات في الطرق من الرجال وتقل مداعبة السافرات لان الجمال الحقيقي قليل جدا والنقاب يزين جميع النساء للرجال ويوهمهم أنهم كلهم جميلات فهو كالشيطان يغري الانسان ويحمله على الفسق والفجور . هذا

وان تعود الرجال لرؤية جمال النساء يقلل من التأثيرين والاقتان بحسنه والالسان المتعود على ذلك يفتك نفسه أكثر من لم يتعود واختلاصة أن الحجاب منبع الرذائل والفساد أصل الفضائل ولا شك أن الحجاب هو السبب الوحيد في أكثر ما وقفنا فيه من المصائب والرزايا والبلايا . ولا أعلم له من فائدة واحدة سوى فبرة الرجال الكاذبة من رؤية غيرهم لوجوه نساءهم مع أن الرؤية لا ضرر فيها ولا ضرار . وأقول بأن الحجاب الحقيقي يقلل من الزنا إذا سلم فهو مدفوع بأن الزنا يمكن تلبسه بوسائل أخرى كالتصوير بها الدين الاسلامي المنيف (وسبأني يانها) من غير أن يكون لها من المضار ما للحجاب مما سبق يانه وهي اذا اتبعت فاما قلن الزنا يكاد يحيا من الوجود وهذه الوسائل تنحصر في ثلاث مسائل وهي (١) الترية الدينية (٢) واقامة الحدود مع الترفيع في الزواج وتفسيره (٣) والالتيان بأداب للرجال والنساء وسبأني ذكرها تفصيلا وليس من بينها الحجاب لان ضرره أكثر من نفعه ويمكن الاستغناء عنه بأشياء أخرى غيره . واليك الدليل : —

أجمع علماء المسلمين وأئمتهم على أن الوجه والكفين ليسا بعورة في الصلاة وأن كشفهما غير مبطل لها وعلى ذلك جرى عملهم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم . وقال ابن جرير في تفسيره (ان المرأة أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كما أن ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره) . وحكى القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستروجهما وكفيا في طريقها وعلى الرجال خفض البصر عنها وقل ان ذلك اجماع المسلمين . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال (يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه ونفيه وذلك أبيع لنساء المسلمين أن يحضرن صلاة الجماعة في المساجد ومن مكشوفات الوجوه في زمن رسول الله وزمن أصحابه وأتباعهم . وأوجب الدين الاسلامي على المرأة أن تكشف وجهها في الحج مدة الاحرام كلها بحيث يطل حجبها اذا هي غطت وجهها والاحرام مدة طويلة فبقي في النساء مخطلات بالرجال في سائر مواقف الحج ومن كاشفات لوجوههن . فلو كان في ذلك مضرة لما أوجبه

الاسلام وقرره . ولو قششت القرآن من أوله الى آخره والاحاديث الصحيحة لما وجدت فيها أمرا واحدا يوجب ستر المرأة وجهها وكفها بل بالعكس نجد أن القرآن يستثنيها في قوله (ولا يدين زينة الا ما ظهر منها) كما عليه اجماع المفسرين . وقد عدل عن الأمر بتغطيتها الى تغطية غيرها في قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . الآية ولم يقل على وجوههن فلو كانت كلامهم صحيحا لقال هنا (وليضربن بخمرهن على وجوههن) ، أما استشهادهم على الحجاب بآية (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) فسيأتي بيان معناها على ان هذه الآية هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب وسرى أنها لا تنهض بها لم حجة . ولم يرد في القرآن مطلقا ذكر للتبرقع والانتقاب أو ما في معناها ولو كانا واجبين لورد ذكرهما مرة واحدة بل مرارا كثيرة . واذا كانت نساء المسلمين في عصر التنزيل محتجة فما معنى قوله (ولا تمدن عينيك) وقوله (يفضوا من أبصارهم) وقوله (ولو أعجبك حسنهن) فكيف يعجب حسنهن وهو لا يراهن ؟ وما فائدة عدم مد العين اليهن وقص النظر عنهن ومن محتجبات ؟؟ (البقية تأتي)

﴿ كتاب الخمسة والمئة ، وكتاب الهمسة في الاصول الخمسة ﴾

الف حضرة العالم الفاضل السيد محمد طيب العلوي المكي مدرس درجة التكميل في مدرسة دار العلوم ببلكنو « الهند » التي أنشأها ندوة العلماء كاتين سمي أحدها « كتاب الخمسة والمئة » في نصر الفتة ، ويحتوي هذا الكتاب على خمسة ومئة من الادلة عدا المهدات والتفسيات

والكتاب الآخر سماه « الهمسة » في الاصول الخمسة ، جعله كالمدخل الى التوغل في علوم البلاغة وقد تقرر تدريسه في مدرسة دار العلوم المذكورة والكتابان لم يطبعاه بعد وقد بعث لادارة المنار بأنموذجين من الكتابين المذكورين لينشرا في المنار

وعاها

(انموذج من كتاب الخمسة والمئة)

الاول ان الله ارسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وليجمعهم على كلمة واحدة ويعلمهم كيف الطريق الى مرضاة الله وما هي الامماء التي يرضاها الله لنفسه فيدعها بها قلوبهم واكلوا بعد ارسال الرسل الى عقولهم لكان ارسال الرسل فضلا لان دليل العقل قد كان وكيف يرسل الرسل لرفع الخلاف ثم يحكم على ما يأتون به ما هو منشأ الخلاف وانما قلنا ان العقل هو منشأ الخلاف لثلاثة اوجه (الاول) ان الحاجة انما وقعت عند الاختلاف والاختلاف انما وقع بين العقلاء لاختلاف عقولهم فكانت عقولهم هي منشأ الخلاف (الثاني) ان العقل مختلف في ذاته قوة وضعفا وغفلة وتنبها وباعتبار ما يقارنه من الحوادث والمعارف واذا كانت العقول مختلفة اختلفت آراؤها ومتى اختلفت الآراء وقع التشاح والتحزب فكيف يقول من ارسل لرفع هذا الخلاف : ان كلامي ان خالف عقولكم فلا تقبلوه بل اولوه بحسب ما ترون فان هذا ليس رفعا للخلاف بل هو امر واثم اذ لكل أحد ان يقول ان هذا الكلام لا يقبله عقلي لانه يخالف ما لوني أو يخالف دليلي أو هذا الكلام يقوي رأي فلان وهو خصمي (الثالث) ان العقول لو لم تكن مختلفة لم يحتاج الى حكم لان الناس انما يرجعون الى الحكم عند الاختلاف فاذا ثبت ان العقول هي منبع الخلاف امتنع ان تكون هي الحكم فالحكم ما سواه فاذا ثبت ان كلام الشارع هو الحكم فلا يؤول اذا خالف بعض ادلة المقول ولا سيما والرسل جاءت لتبين للناس مالا تعمل اليه عقولهم وليكفهم مؤونة البحث بعقولهم وليكفهم عن الخلاف فيما بينهم فلو ردوهم الى عقولهم لزادوا الطين بلة

قال : فهذا دليل واحد من الخمسة والمئة ليس باعلاها ولا أدناها، ثم قال :

(انموذج من كتاب الهمسة في الفنون الخمسة)

«لو» يستعملها الناس في الاخبار عن سبب عدم الخبر الذي هو الجزاء، تقول لو جئني لا كرمك يعني ان سبب عدم كرامي هو عدم مجيئك وقد خبط الناس هنا مدة الى ان حقق ذلك العلامة الفتازاني في شرحه المطول والمختصر الا انه

جوز وقوع الشرطية في الكلام موافقا لاصطلاح المناطقة فان معنى الشرطية عندهم هو الاخبار بأن بين المقدم والنتالي تصاحب فمعي ان جفتي اكرمتك ليس الوجود بلا كرام بل هذه القضية كاذبة أو محتملة عندهم أي معناها لان الاحتمال من معناها دأن جاء زيد، مصاحب لا كرم زيد ومعنى مصاحبتهما انهما محتملان على الصدق في الواقع والظاهر انهما لا يجتمعان وان احتملا الاجماع فمعناها عندهم محتمل وعند أهل اللسان متعين حتى انه يقول ان فلانا وعدني ثم ان المصنف حقق معنى قوله تعالى د لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ، وبين انه لا يصح مجيء على اصطلاح المناطقة فان العرب لا تعرف ذلك بل ولا علمائها فان أبا هلال حين ذكر المذهب الكلامي نص على انه لا نظاير له في كتاب الله ثم أيد ما قدره من ان المراد ليس نفي الالهة المستقلة الذي يحزم به الناس فطرة ودليلكم هذا باقداوكم لا يثبت به العلم فكيف يستدل على المعلوم بما لا يثبت به العلم بل المراد ان الله تعالى لو كان معه من يتداخل في امره لفسد نظم السموات والارض وذلك لان الشناعة لا تكون الا للدافعة عن أوجبت عليه القاعدة امر الايجبه وهذه المداخلات مخلة بالانتظام قطعا ولذا عتبها بقوله د لا يسأل عما يفعل ، ثم بقوله د لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،

﴿ تنبيه ﴾

﴿ كتاب الدارس في المدارس ﴾

هو كتاب خطي لم يطبع بعد والموجود منه نسخة واحدة قديمة عند حضرة الاماذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار من علماء دمشق الاعلام وقد نقل عنه نسخة حضرة العالم المؤرخ رفبق بك المقام وهو الكتاب الذي اتفق عليه ذلك الدرس في دمشق وتراه منشورا بهذا الجزء من المار ص ٦٨١ وقد فاقنا هذا التنبيه عقيب نشره

كتاب المدارس

درس على كتاب المدارس

هو في المدارس (١)

١

أيها السادة

إن تاريخ كل أمة سواء كان مجيدا أو غير مجيد لا يخلو مستقبه من ارتباط
بماضي لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة
الأمم أحيانا وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بأن تسرع بخطى الشعوب الى مراقي الصعود
مناها إذا كان ماضي الأمة عظيما محترما في التاريخ تحرص على أن يكون
أعظم احتراما في حاضرهما أو على أن تسترد ذلك الاحترام إذا فقدت شيئا منه
وإذا كان ماضيها سيئا غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطلب لنفسها
حاضرا أسعد منه . فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يتحصل على مثل
هذه النتيجة من الأمم ؟

تحصل عليه أمة تعلم أن لها تاريخا فتدوره وماضيها فتبحث فيه وترجع اليه
لأنها إذا كان تاريخها مجيدا له آثار معروفة في الوجود وأثر محقق في الاجتماع والأمة

(١) التي هذا الخطاب العلامة المؤرخ رفيق بك المظفر في حلة حافلة في مدينة دمشق ارمم
ريها لجمعية البعثات العلمية

كالفرد فخورة بالماضي الجليل اذا تمثل لها ففتح فيها من روحه فلاها نشاطا ودفعها
الى الامام اشواطا

وان أمة لا تعرف تاريخها فأحر بها أن يتنكر لها الزمان وتذري بها الشعوب
لجملها بماضيا وان تنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

إن المدينة الاسلامية التي رفع منارها أسلافنا الطاهرون وغيوت شكل الارض
ومجرى الاجتماع كان لدينكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على انشاء
معاهد العلم ودور التربية والتهديب

هذا أيها السادة ما دعائي لأن اقف بينكم خطيبا افصح صحيفة من ماضي
التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم القابرين ومدينكم النحباء وفيها ذكرى للذاكرين ،
وذكر قان الذكرى تنفع المؤمنين .

ان هذه الذكرى ماثورة في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاث مئة
وستين صحيفة وهو كتاب (المدارس في المدارس) تأليف المؤرخ العلامة الشيخ محمد
بن محيي الدين النعماني وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور المعجزة
(التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مئتين وبضعا وثمانين . لو وزعت
المدارس منها على السنين منذ انشاء أول مدرسة في القرن الخامس أي سنة ثلاث
وتسعين وأربع مئة الى عهد الموفق في أوائل القرن العاشر لاصاب دمشق كل سنتين
مدرسة قسماً أو دار المعجزة والمرضى تشاد هذا فضلاً عما أنشئ من المدارس بعد
ذلك التاريخ ولم يترك المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب تلو عليكم بعضها
من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفاً من ضيق الوقت .

أما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاقواف التي حبست على الطلبة
فيها والطاء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس
في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان من درسوا
في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي
صاحب التاريخ المشهور والامام ان نعمة صاحب التأليف المشهورة وقاضي القضاة
صدر الدين الازدي صاحب الجامع الصغير وغيرهم من مشاهير العلماء ومن علماء

الطب مثل الرؤساء ابن أبي أصيبعة صاحب تاريخ الأطباء ومهذب الدين بن الحاجب
ونجم الدين الهبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخاوي وعما الدين
الدينسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي
وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البجستان
الثوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها نذا اقرأ لكم مثالا واحدا من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ
الدارس هذا في ترجمة أفضل الدين ابن أبي الحكم قالا عن الصفدي قال :

« محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي » هو أفضل الدين أبو
المجد ابن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طيبا حادقا وله يد طول في الهندسة
والنجوم (أي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل ارفعا
وبالغ في آتانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد
ولما عمر البجستان والمستشفى الثوري بدمشق جعل أمر الطب فيه اليه الخ ما قال
هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفاضل الكبير منهم وعدد كثير
مثابهم من أهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على
رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن واجم
منكم كتاب الكواكب لابن عروة الخليلي في اكثر من مئة مجلد ، وتاريخ الحافظ
ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلدا وهما موجودان اليوم في المكتبة الصومية
في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الأفاضل
وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك
والطب والرياضيات كالمهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم يعلم مقدار ما لهذه
المدارس ومؤسسيها من الفضل على الأمة وما للتابعين فيها من الأثر العظيم في
الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتعير وما عانوه من التعب في
وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم وما قولكم في
ان علما واحدا من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع

وثنانين وخمسة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمة كما ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في ترجمة الموما إليه

ولا يظن أحدكم أن هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وإن أكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها

كلا فإن فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالمطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخرازية والديسرية والبودية كما سترون ذلك فيما يأتي إن شاء الله

فضلاً عن هذا فقد أخبرنا التاريخ أن معاهد العلم كانت مشاعاً بين طلابه

من كل فن وإن الطبيب أو الفلكي مثلاً كان يلقي دروسه في أي مدرسة كانت

من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد أيضاً لآلاتها كانت قبل أن

توجد المدارس على شكلها المهود أي قبل القرن الرابع أشبه بمدارس تعلم بل هي

المدارس عينها وما زالت كذلك معاهد للعبادة والعلم مما إلى اليوم كما تعلمون

وأذكر لكم مثلاً واحداً على أن المدارس كانت شائعة لطلاب كل علم ما قلته

ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال : « وكان مقبلاً بدمشق وهو قبة

في المدرسة النذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في أنواع العلوم

والطب وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكمة »

واعلموا أيها السادة أن كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم

الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس

بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ وأذكره مثلاً للباقيين أحمد

بن الحسين الدمشقي واليك ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب قلنا عن ابن

كثير قال :

« الجمال المحقق أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي » اشتغل على مذهب

الشافعي وبرع فيه وأقوى وأعاد وكان فاضلاً في الطب وقد ولي مشيخة الدخرازية

(مدرسة طيبة) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري

على قاعدة الأطباء وكان مدرسا بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس

هذا يدل على ان العلوم كانت مشاعرا بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعلمية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائمها المدنية الإسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ كدروني ومنسكيو وكوستاف لوبون وافردوا للمدنية الإسلامية كتبا خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركه التمدن الإسلامي من آثار الترقى والعلم التي يجملها أهل هذا العهد بالأسف والعار.

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وإنما هم حلقة من سلسلة ذلك التمدن الإسلامي الذي اخفى عليه الزمان وإذا سمعتم لي قلتي انتم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب المدارس هذا ان شاء الله

٢

علينا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي أنشأ هذه المدارس ورفع بنياتها وادر الخيرات عليها وأفق من ماله على طلابها اهي الحكومة أو الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالأطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلالين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة ولا يطلب من الحكومة امرا . ولهذا فان كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما أنشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير و ارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم البعض كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من اهل اليسار يتسابقون الى تشييد المآهد العلمية حسبة لله وحبا بعمل الخير واستبقاء للذكر الحسن في الوجود فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين انشأوا هذه المدارس ، كل مدرسة يؤسسها

شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه ما يكفي ريمه لبقائها بل أقول لكم وانجعل
يكاد يعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان عبدان أسلافكم
أيها السادة شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم في الفضيلة كم ترفع
العبدان الى منزلة السادة في حين ينحط السادة الى منزلة العبدان ؟

ان العبدان كانوا ارفع نفوسا واسخا كقروفا منا الآن بالانجيل والخسران
ان الكلام وحده لا يفي عن برهان وانكم تنتظرون مني الدليل على هذا البيان
واليكم امثلة من عمل العلماء والتجار والسيدات والعبدان
قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب :

﴿ المدرسة الطبية الدخوازية ﴾

المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الاموي انشأها
مذهب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوازي في سنة احدى وعشرين
وست مئة بالصاغة العتيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين
محمد بن قاضي بطبك ثم عماد الدين الديسري وهو بها الى الآن الخ ...

﴿ المدرسة الديسرية ﴾

غربي البمارستان التوري والصلاحية بأخر الطريق من قبله قال الذهبي في المعبر
في اخبار سنة ست وثمانين وست مئة

د عماد الدين ابو عبد الله محمد بن عباس الربيعي الرئيس الطيب ولد بديسري
سنة ست مئة وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء
زهير وتأدب به وصنف الى ان قال قلاعن الاسدي د عماد محمد بن عباس الحكيم
البارع في الطب صاحب المدرسة الاطباء بالقرب من بمارستان نور الدين الشهيد الخ

﴿ المدرسة البودية ﴾

د البودية النجمية مدرسة خارج البلاد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم
الدين يحيى بن محمد بن البودي في سنة اربع وستين وست مئة الى ان قال قلاعن
ابن ابني ابيجة د كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيمة الخ ...

هذا عمل العلماء واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة
لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان :

(المدرسة المزلقية)

المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخالص
الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلقي
ميلاده سنة اربع وخمسين وسبع مئة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند
جامع يلينا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها
كسب فيها مئة الف دينار وثمان مئة درهم واقتتحت عليه الدنيا وعمر املا كما كثيرة
وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون
التجار. اتفق على عمارها مايز يدعى مئة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت
في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر
الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة
الحسنة وعين الحجارة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام والشم والزيت
في كل عام الى آخر مقال ...

وهذا مثال آخر لتاجر غيره ايضا

(المدرسة الرواحية)

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي واصيقة شمالي جبرون ونحوي بي الدويلق
وقبلي السيفة الحنبلية : قال ابن شداد بانها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف
بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وست مئة
«والزكي ابن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية
بدمشق وأخرى بحلب» الخ
ومن امثلة عمل القساء

(المدرسة العالمية)

العالمية شرقي الرباط الانصاري غربي سفيح قاسيون تحت جامع الانورم واقفها
الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة

التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيعية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لما تصانف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحية بقاسيون على الحنابلة الخ ...

ومن امثله عمل البندان

﴿ المدرسة الصاوية ﴾

الصاوية داخل باب النصر والحماية قبلي المدرسية بشرق ، قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين ابو بك مملوك قاضي النجفي ورأيت مرسوماً بحجتها مهورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحرثي الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عثري ابنة شامشاه رحما الله تعالى الخ »
ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبين وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يصلون مالا يصله الجماعات منكم اليوم ؟ ان الافراد هم الذين ينهضون بالامم وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشييد بنيانها

تعلمون ايها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كالليونان والفرس الى العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم البعض ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون ، والحال ان الكثير من الافراد ورجال الفضل والتبيل من الامة يدا لا تترك في هذا السبيل

وهذا يدل على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين . ولذا لا أباغ ان قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا اركانها الرفيمة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والتلقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من ماله على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية . ومن هؤلاء الافاضل الاجواد

الذين رعدوا جزءاً كبيراً من اموالهم على المترجمين لكتب العلمية في تلك العصور
علي بن عيسى العباسي ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير وعلي بن يحيى
الكاتب وابن المدير الكاتب وثاوري الاسقف ومحمد بن عبد الملك الزيات
وبختشوع الطيب والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالتلقي والعلم الذين كان ينفق
كل واحد منهم اموالاً طائلة على قلة العلوم الى اللغة العربية حتى لقد قل ابن أبي
اصيبة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين
الف دينار قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا المقصد

وانا والله لتسنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا
اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وترقية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم
لموضاهة عليهم اباؤهم اضافة مضاعفة في القدر بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية
لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة تطوفها العلم وسياجها القوة والحياة
ولنعد الى ما كنا بصدده فتقول :

يمثل هذا البذل على ترجمة كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها
ظهر اركان النهضة في الشرق الذين اوقع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل
بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختشوع وبني سهل
وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابو عثمان الدمشقي
وابن كريب ويحيى بن عدي المتلقي وابي الفرج الطيب وابي الريحان البيروني
والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي واضرابهم من العلماء
الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة ابان التمدن الاسلامي

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وابي القاسم المرحطي امام الرياضيين والفلكيين
في عصره وابن السمع الفارناطي المهندس وسعيد ابن عبد ربه وابي جعفر الترحالي
وابي الوليد بن رشد وابنه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل بن الميتم البصري صاحب التأليف الفريدة في الرياضيات والفلك
والبشر بن قاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائم ابن الزقات والشيخ السديد رئيس

الاطباء شمس الرقصة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين أبي خليقة وأمثالهم
من ظهوروا في مصر

كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها
من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المئة من ظهوروا في عصرهم وبعده في الشام
وبغداد ومصر وقارس والمغرب والروم أي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار
الاسلامية في الشرق والغرب وأما وضع لهم الأساس افراد من الامة قدروا قدر
العلم فشيّدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا أهلها فتكون من عمل أولئك هؤلاء
وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدينة العظيمة التي قدناها بعد ولم نستطع
الاحتاق بأبناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية
وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وتشييد دورها مع اننا قد يطلب منا الآن
ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء أنفسهم وبمحض
رغبتهم بالعلم والمعارف وحسبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم

وبالجملة أيها السادة إنا أمة ذات اخى مجيد وتاريخ جليل وقد ترك لنا أسلافنا
درسا لا يمحوه الزمان ، وقد قش في كل زاوية من المشرق ومكان ، فلا يبلغ بنا
ضعف النظر أو ضعف القلوب والهم وفساد الاخلاق واستحالة الدم إلى أن تناساه
ولا تقرأ صحفنا الزاهية التي يدعونا كل سطر منها إلى التذكر والتفكير والسعي الحثيث
إلى الترقى الذي مناطه العلم . والعلم يحتاج إلى المال . فالمال المال ؛ الكرم الكرم ؛
الانتباه الانتباه ؛ والأقضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون
ولا يكون ذلك ان شاء الله ما دام فينا الكرام الفيورون والرجال المفكرون
والسلام عليكم .

حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المار (ص ۶۵) عن اضراب الأزهريين عن حضورهم دروسهم إلا أن يجابوا الى مطالب لم طلبوها وحجبت منهم ذلك وعددت نهضة لهم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصاما ولكن تلك النهضة أو ذلك الاعتصاب كانت نتيجة الفشل لأن مقدماته ألقت من التنازع ولأن أدلي الأمر هنا رايهم أمر الأزهريين واكبروا مطالبهم لم بأن يتفروا على اصلاح حالهم فخلوهم وذلك شأن أرباب السلطة يزدرئون طلاب تغيير الحال ويعدونهم من المجترمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وايسر حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرق منهم فكان من المنتظر أن ترن اصدااء خطب الأزهريين في جامع الزيتونة فتنازل قواعد الجود وتداعى لها أركان الخمول وشاء الله أن يحدو طلاب جامع الزيتونة حذو طلاب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمآل وأنجح للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذاك الطراز القديم طراز الافتراضات وكثرة التحمل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين المعهدين مناقشات نظرية عقيمة تؤخر عن طلاب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبشره من قبر الخمول والجود فأجفنت اصبغته قلوب واغبتت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيعون انقياسه ولكنهم لا يرضون منه إلا أن يبقى سادرا لاهيا ومحسبونه عاقا مارقا اذا تطال الى الجود وطمح الى العلو والسمو

لقد تفتحت مفاتيح قلوبنا اذ حملت الينا ربح الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالأناة والصبر وجنحوا للسكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوثقى التي لا انقضاء لها ولا خذلان لمن استمسك بها . تمثلناهم غادين راضحين ولهم من آداب الدين الخفيف وعظاته روادع من الادب وزواجر من الحياء ومن سيرة اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء قرطبة درس حكيم يهديهم الى الطريقة المثلى فكنا نشعر بسرور لا يدانيه سرور ونقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة النافعة لفاق الخلف السلف والله يوثي فضله من يشاء فهو لا يختص بجبل ولا قبيل طال الأمد على سكان المسلمين وركوبهم الى مخلفات قرون الظلمات التي ضف فيها شأن العلم وجهدوا على التقاليد الخلقية التي لا تنهض بها حجة ولا يقام عليها دليل ولم تكن حالم اذ أخذوها قضية مسلمة الا كحال أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو رجعوا الى تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لأخذوا حذو أولئك ونبذوا طريقة هؤلاء ظهريا ويا بعد ما بينها

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظائم وطافت بهم النذر أن يرتضوا لا تقسم بقاء التسكع في دياجير الجهل والتمرطل في حياض الخمول وهم الذين أوشدهم دينهم الى الضرب في مناكب الأرض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتاريخ الامم التي بادت واقترضت لكفرها بأنهم الله وجعل العزة وصفا لأهل دينه لا تنفك عنهم ماداموا مؤمنين

ليس بمعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مادام القرآن الحكيم محفوظا في صدورهم متاولا بين أيديهم وهو الذي ينعي على التقليد واهله ويستفز الهم ويحدد العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير في مناكبها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بمعجيب ان ينهضوا وانما المعجيب أن يلبثوا في عماية عن أمره ونهيه معرضين عن فذره وعظاته ولذلك قلنا ولا تزال تقول ان اصلاح المسلمين لا يأتي الا من ناحية دينهم وعلماؤه حملة القرآن فمنعنا اليوم تفرط عمل الزيتونيين ونمدد مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حائلة بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على أولئك الزعماء الفضلاء الذين نظموا الاعتصاب وساروا بهم على نهج التوردة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها الى

واجابها المطالب التونسيين بعد تلك الذبذة والتفشم والاذار والوعيد واحراجها صدر
الطل بسجن فئة من زعماء الطلاب واننا نقول الآن عفا الله عما سلف ونهى
اخواننا الطلاب المجتهدين بنورهم وفضلهم ونرجو أن تبقى نفوسهم دائماً ظمأى الى
مالم يأتوا من العلوم والعهد ان ينجدهوا بأماذج المادحين ويركنوا الى الناشئين
المتفقيين فليس ما أحرزوه هو كل الاصلاح وانما هو وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل
ولطنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني (والشيخ محمد عبده)^{*}

كنت كتبت رسالة ينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين
الافغاني بالمروق وأوضعت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة
ونشرتها فداولتها الأيدي واشتهرت بين الناس و بعد ذلك سمعنا بهتان جديد وهو
أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين يعرفون بما لا يعرفون معنى ربهيم الناس بالمروق
قارة وبالوهابية قارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الاقا كون ناشرو
الافك والبهتان أنهم بعبابهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون
أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟
وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان
بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه وبين مذهب الحنبلية فرق كبير

عجبا أصار من الذين عندنا أن تثق بكل كلام يراد به ايذاء أي شخص

* كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شوري التي
تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان نقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعلم إلى رجل صحيح العقيدة صالح الأعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين ؟ ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك إليه فلا يفتي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وإن فلانا وتديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الأقراآت ولا من كلامه شيئاً يصححكم ؟

اننا نعلم أن أكبر جرم في الإسلام هو أن يحكم الإنسان على عقيدة إنسان آخر ويتحكم فيها وينسبها إلى الزندقة تارة وإلى الروحية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لا قل سبب مع أن الواجب الإسلامي يأمرنا باحترام عقيدة مطلق إنسان ما دام يوجد دليل واحد على إسلاميته ضد تسعة وتسمين دليلاً على الكفر وأنه لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

إن اتهام كبار المصلحين بالروحية في بلاد العرب و بالفرماسانية في بلاد الترك و بالباية في بلاد الصجم و بالدهرية و المروق في بلاد الروسيا و صاها و مصر و قلاومشهورا جدا . وإن تعجب فعجب ففت خيرة رجال الإسلام بتلك التبعوت مثل جمال الدين الافغاني مع أنهم هم وحدهم المروفون بالمدافعة عن الدين الإسلامي وهم أنفسهم المجتهدون في ترقية بنه بتريتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بإنشاء المدارس ليجعلوا لأبناء أمتهم حفاظاً من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل إلى أوج العز وتوهمهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من أسر الخلوية

إذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الأخرى قائلاً : انكم تهيمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلامهم قدرأ واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسانية والروحية مع أنهم لا يريدون لكم الا الخير والرفق والسعادة فلماذا ؟ لأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفصل والادب والحمية وحسن الخلق ؟ فإذا يكون جوابنا ترى ؟

إذا بحثنا في تاريخ الرجال القويدين في القطر المصري الذين بدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القويمة

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجلا يمثلين غيره على الدين وأهله بخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولا هم لم سوى ترقى الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى غاقت عليه الأرض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمع له ان يقيم في احدى هذه البلاد فام البلاد منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية ترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهايت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الخفيض حضيض المجد الزائل فزال مشمرا عن ساعد الجهد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام ويكافح النوائب غير هائب ولو وجل وثبت في موقف يتندر على غيره الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدق عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضل في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يقترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والروحية تراهم لا يألون جهدا بري الشيخ محمد عبده با كثر عمارته به (كان الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) نعم ان لهؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلي الكفر اجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الروحية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهرونها للاملا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده وبين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره مقتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أ كان يفيد الاسلام اكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظارنا احسن عملاوا كثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « ان اكتسابك الرزق لبيالك احسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير تجشم مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الاقامة في المسجد اما محمد عبده فانه لم يكن مثل أبي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خاتمة ما وتركاهما كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندري ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بانخير لانيهما خدما الدين وكانا من حماة وأن نسالهما من الله الرحمة والفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح نعم ويجب أن نعرف بفضلهما وارشادهما لئلا نجعلنا الاجيال المقبلة وتعيينا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولا أجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا بمن يكفرون النعم ، ويحسن ان أورد هنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاماً لهذا الموضوع وهو أنه قابلي قبل خمس سنوات وجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكيركم في معرفة قدر الرجال فليستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يتعذر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

الخلافة الإسلامية

(والجامعة الثانية)^{*}

١

« الحكم الجاهلية يعنون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين أعظم مهذب للنفس وآثاره تظهر في الناس بقدر
استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين
اذا لو توحدت الفكرة الدينية لذات الصعوبات لان كل فريق مضطرب ان
يماضيل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي نحملنا على
تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم خطئا في عبادة
الاصنام ولماذا نحبذ فعل ابراهيم عليه السلام لتعطيه تلك الاصنام
وعبادته الحي القيوم الذي لا ينقل ولا ينام ؟ « ولو شاء ربك لجل الناس
أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » الآية
يأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجدها سائرة بنظام واحد مبسرة
لما خلقت له « ما ترى في خلق السموات من تفاوت » . وما الطبيعة الا ذلك
الناموس الذي يخضع له كل شيء في الوجود وانما بقدر ما وصل اليه بحقي اعتقد
اعتقادا راسخا ان الاسلام هو الدين الطبيعي اودين الفطرة التي فطر الله الناس
عليها اذ ذلك هو الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) لبي القدي فهمي الكاتب المعروف

للنواميس الطبيعية واني أوصل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار
 ويعترف بما للاسلام من المزايا النافعة والمبادئ الشريفة
 طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام، ونبه عليه
 الصلاة والسلام، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء
 السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانييل ولوتر وملائشون
 وهربولت. ولكني أرى هؤلاء الناس يطاولون على ما ليس لهم به خبر
 شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان. ليست ذهشتي من
 الذين يسمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر باكثر من ذهشتي
 للارثين لوتر وهو ذلك الحر الابي المذكر الذي كونه المذهب البروتستاني
 بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في المصور الوسطى. ولكن الأغراض
 السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا
 الا ماتوجه اليهم اغراضهم. الا ان الحق لا يعدم انصارا وانا لذا كرون
 هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في
 الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لا يعدم
 من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا.

كتب مستر جون وينشورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد):
 «هل في الامكان انكار فضل رجل (بني النبي صلى الله عليه وسلم) قام باصلاحات عظيمة
 خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يعبدون الله الواحد القهار ويهجون عبادة
 الاصنام ذلك الذي منع قتل المردة وجرم شرب الخمر ولعب الميسر؟»
 وكتب ادوارد جيون: «ان دين محمد خال من الشرك والظنون والقرآن
 أكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

وهذا الدين أكبر وأجل من أن تدرك أسرارها الدويصة عقولنا الحالية »
وكتب مستر ديفونويت في كتابه (اعتذار إلى محمد والإسلام) : « أنه لمن
الحاقة أن نظن أن الإسلام قام بحد السيف وحده لأن هذا الدين الذي
يهدي للتي هي أقوم - يحرم سفك الدماء وبأسر بالمعروف وينهى عن المنكر -
ويجب أن نمتدح هنا بأن علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات - التي
أنعشت أوروبا منذ القرن العاشر - مقتبسة ومقتطفة من القرآن (١) بل إن أوروبا
مدينة للإسلام بأكثر من ذلك لأنه الدين الذي أمر بالدستور
والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) « وأمرهم شورى بينهم »
« وشاورهم في الأمر » . منح الإسلام الإنسان جميع حقوقه
المدنية ولتذكر أوروبا أنها مدينة للمسلمين أنفسهم بحفظ آداب الغرب
القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس فنظروا آثار فلاسفة اليونان
وانشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى أن المسلمين هم
اساتذة أوروبا أثناء هجيتها من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر »
وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها : « لقد ساوى
الإسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب
القادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم وضم استبداد الإنسان
للإنسان » ومع ذلك فإن سياسة أوروبا وخصوصاً الأنجليز منهم لا يدخرون
وسعاً في التطاول على الإسلام ورميه بكل نقيصة وأنه داعية للتأخر بمناسبة
وبغير مناسبة ، من ذلك أنه عندما حصل اعتصاب طلبة الأزهر قالت التيس
والجرائد التي على شاكلتها أن الأزهر بين ميا لول للتأخر وهذه الاقتراآت
تنافي ميل علماء الإسلام وتعاليمه على خط مستقيم . قال أحد فضلاء الأنجليز

في إحدى الجرائد بهذه المناسبة: «أنا نعتقد أنه إذا كان ثمة دين خال من مبادئ
التفكر فما هو إلا الدين الإسلامي الخفيف، وهل يقدر الإنسان على نسيان
ما قام به علماء الأزهر وشيخ الإسلام نفسه في إنشاء تلك الحركة الدستورية
التي قامت سنة ١٨٨٢؟ من غير العلماء أصدر قراراً عند توفيق باشا؟ ألم يكن
شيخ الإسلام في الآستانة هو الذي قال السلطان: إن الشورى ليست من
روح الإسلام فقط بل إنه يأمر بها أمراً؟ ومن قام في مجلس المبعوثان
وخطب الخطب العظمى بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف
النظر من الملل والنحل في مصالح الوطن غير العلماء؟
ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الأرمن
والتركيونك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على سرأى من البوليس الروسي
في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين
الطوائف والمشائير. وهام رجال الدين الإسلامي يذلون جهودهم في
سائر البلاد ويحثون التتر على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية
ابنائهم والقاء المحاضرات التي تعصمهم عن ارتكاب الآثام
ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول إيقافهم عن مساعدتهم الحميدة
فهم غافلون أن يستنير الأهالي فيسوءوا الاستقراطية ويتوسعوا بإطالب حقوقهم منها.
ومن عجيب ما يلاحظ أن مسيحي تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا
بإرشاد رجال الدين الإسلامي وسعيهم وراء العلوم والمعارف فدخل
الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطربت الحكومة أن ترسل
إلى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضاربة في نظرها.
هذا هو الإسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فإن سواس الأتباع

يدعون أن الإسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع أنها في الحقيقة
وتنص الأمر فرية يدحضها ما حواء القرآن الشريف أصل هذا الدين
الحنيف من المثل على العلم والسعي واكتشاف أسرار الطبيعة قال تعالى :
« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات
والأرض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم
ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » « وفي
أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون أن الإسلام استبد المرأة ويستبدلون على ذلك بالحجاب
أو النقاب ولا يفقهون أن ذلك يرمي إلى الموائمة التقليدية أكثر مما يرمي
إلى الأصول الدينية . ولقد ساءى الإسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها
مساوية كما يزعمون نظراً لإباحة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يرون
أن هذه التصرفات تكون لأسباب غير عادية وأنه إذا افترض فيها المسلمون
فذلك راجع لأخلاقهم الشخصية وليس أفعالهم هذا من الدين في شيء .
وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فإذا خفتم إلا تعدلوا فواحدة
ألى قوله تعالى « ذلك أدنى ألا تعدلوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا
أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « انصف الخلال
إلى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » أن ذلك لا يأت ليعوم
بتفكرون » فمن ذلك يرى النصف أن تعدد الزوجات والطلاق أمران
يكادان يكونان محرمين في الإسلام .

لقد أباح الإسلام للمرأة حتى القضاء إذا ما منها غير من الأديان من هذه الجهة ؟

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالبتها بحقوقها بصفتها حقوقاً لاهية كما هو
الحاصل الآن في أمريكا وأوروبا ثم يظنون باستعباد المرأة في الاسلام وهي
تطالبهم ببعض ما منعه الاسلام لها فيسخرون منها جاء في الذكر الحكيم :
« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما اوتقوا
من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناء على
الأنظمة الكونية هو الذي يسعى ويكد وهي أكثر منه راحة في خدوها
بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسية التي قد تتطلب
على العقل فكان الرجل في هذا المعنى كشكية لتطرف النفس والعقل .
يدعون أن الاسلام دين حرب وعداء ، لا سلام وحناء ، ويطعنون
على ذلك دليلاً مكوساً من الفتوحات التي تمت في صدر الاسلام ولوا بهر
هؤلاء المدعون لعلوا أن تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين
لا ذقت تلك الأمم التي غلبت على أمورها أنواع القتل والمسكنة بناء على
قواعد الاستعمار الأوربية التي لا يسمع المقام شرحها . جاء في القرآن :
« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ان الله بما تعملون عليم » ان الله كان سميماً بصيراً ، هذا
ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الاسلام أفلا نخجل أوروبا اذا قارنت
به عملها اليوم في الشعوب التي أخنى عليها الدهر فوقت تحت سلطانها ؟
جاء في القرآن الكريم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن » هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها « ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة والدفاع عنها قال تعالى
« وقاتلوا في سبيل الدين يقاتلوا نكم ولا تصدوا » هذه بعض آيات من
الذكر الحكيم فأين أمرها مما قاله المستر موط المرسى الأمريكى في خطاب
القاء على جمهور من المرسلين في الشرق الأدنى : « بواسطة مئة رجل
نظيركم يمتلئون الصواب وعشرين ألف جنية يقدر الله ان يلاشئ الاسلام
وينتاش بلاد العرب من قبضة الشيطان III » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الا كراه على ترك دينهم بفضل
شجاعة افرادهم ولا بعجائب كنيستهم ولكن الذي وقام ذلك انما هو
ما أوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الدينى
وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر
الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بمشار ما يفعلونه في الشرق
الآن بل لا تنشر الاسلام في سائر أنحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة
ملائم للنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد
بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوروبا بان
تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها. قال
الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « ان الازهر كالاسد محبوس في قفص
والحكومة المصرية كالحارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة
لذلك الاسد ذلك الحارس » (١) ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وتقسّم
ذلك الاسد نسيم الحرية لآعاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب
(لها بقية)

(١) المنار : تقتصر هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما يؤمنه إلا أولو الالباب

الحكمة
١٣١٥

فيهم عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : اني للاسلام سوى ر د متارا ه كمنار الطريق

(الأربعاء ٣٠ شوال ١٣٢٨ - ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م)

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فَعِنَا هَذَا الْبَابَ لِأَجَابَةِ أَسْئَلَةِ الْمُشْتَرِكِينَ خَاصَّةً ، إِذْ لَا يَسْمَعُ النَّاسُ مَآثِمَهُ وَنَشْرَطُ عَلَى السَّائِلِ أَنْ يَبَيِّنَ اسْمَهُ وَلَقَبَهُ وَبَلَدَهُ وَعَمَلَهُ (وَضَائِفَتَهُ) وَلَهُ بِمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ إِلَى اسْمِهِ بِالْحُرُوفِ أَنْ شَاءَ ، وَأَنَّا نَذْكُرُ الْأَسْئَلَةَ بِالتَّوَرِيجِ فَالْبَاقُونَ عَمَّا قَدْ مَنَامُوا خَرَا السَّبَبِ كَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَيَانِ مَوْضُوعِهِ وَرَعْمَا أَجِبْنَا فِيمَا شَرَكْنَا لِنَحْلِلَ هَذَا ، وَلَمْ يَمُضِ عَلَى سَوْأَلِهِ شَهْرٌ أَنْ أَوْثَلَاثَةً أَنْ يَذْكُرَهُ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ قَالُوا لَمْ يَذْكُرْهُ كَانَ لَنَا ذِكْرٌ صَحِيحٌ لَا نَقْلُهُ

أَسْئَلَةُ مَنْ بِأَرِيَسِ

أَوْسَلَامُنِيَا مُحَمَّدُ خُتَارُ أَفَنَدِي إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدِ سَلِيمِ أَفَنَدِي الْمَسْلُوبِ أَحَدُ قُرَّاءِ الْمَنَارِ بِمَعْمَرِ

(م ٣٧ - ٤٨)

(م ١) مَا هُوَ الرِّقُّ (٢) كَلِمَةُ عَمُومِيَّةٌ عَلَى الْحَقُوقِ الَّتِي يَفْضُلُ الْحُرُّ فِيهَا الْعَبْدُ (مَقَاوِنُهُ) وَتَكْفِي الْإِشَارَةُ لِلْفُرُوقِ وَلَوْ الْبَعْضُ

(٣) كَيْفَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَبَاحَتْ الرِّقَّ مَعَ أَنَّهَا شَرِيعَةُ الْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ

(٤ - ٦) كَيْفَ يَحِلُّ اسْتِمْنَاعُ السَّيِّدِ بِعَمَلِهِ - وَكَيْفَ يَتَزَوَّجُ الْمُسْلِمُ أَوْ بَع

حَرَارٌ وَيَتَمَتَّعُ بِالْأَمَاءِ بِلَا حَصْرٍ (لِأَنَّ ذَلِكَ تَوْحِشًا)

(٧) مَا سَبَبُ زِيَادَةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ص) عَلَى أَرْبَعِ اللَّائِي أَبَاحَتْهُمْ (كَذَا) الشَّرِيعَةُ

(٨) لَمْ لَا يَحْكُمُ الْقَاضِي بِمَذْهَبِ الْمُتَخَاصِمِينَ (بِمَعْنَى) وَلَوْ قِيلَ مَاذَا يَكُونُ الْحُكْمُ

(٩) كيف كان الزواج في الجاهلية عند العرب وهل تعدد الزوجات كان الغالب أم الغالب (واحدة)

(١٠ و ١١) ما هي الكفاءة المشروطة للزوجة في الجاهلية - وما هي حقوق المرأة في الجاهلية

سيدي الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا

ارجو ان تقطع من وقتك الثمين برهة ترد فيها على هاته الاسئلة بطريق الاختصار أو مشيراً الى الكتب التي ينبغي الاطلاع عليها للاستعانة بها على درء هاته الشبه دراً فلسفياً لأن أوروبا بما هي التي تطلب ذلك وليس لها غيركم والرد يكون بالنصان الموضح أدناه وفي الختام تفضلو بقبول احترام وتسلميات المخلص

محمد سليم المصري

﴿ أجوبة المنارج ﴾

١ — ما هو الرق

الرق والاسترقاق هو ملك الإنسان ويسمى المملوك رقيقاً وكان ذلك مشروعاً عند الأمم قبل الاسلام فأقر الاسلام الناس عليه مع الإصلاح الذي يذكر في جواب السؤال الثالث

٢ — ما يفضل الحر به العبد

يفضل الحر العبد في الولاية والقضاء فالرقيق لا يكون إماماً ولا سلطاناً للمسلمين ولا قاضياً عليهم والملة ظاهرة ، ويفضله بأنه يملك ويتصرف بملكه ، والعبد لا يملك ولذلك لا يرت أهله . ونخفت الشريعة من العبيد بعض الأحكام فلا تعجب عليهم صلاة الجمعة وعليهم نصف ما على الأحرار من عقوبات الحدود فالحر يجلد على قذف المحصنات ثمانين جلدة والعبد يجلد أربعين ، ويجلد الحر على الزنا مئة جلدة والعبد خمسين جلدة . وهناك أحكام أخرى في عدد الأزواج وعدد الطلاق والقود من السيد وغيره من الأحرار وليست كلها متفقاً عليها في حديث سمرة عند أحمد وأصحاب السنن الأربعة ان النبي (ص) قال : من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه . حسنه الترمذي وفي رواية لأبي داود والنسائي : ومن خصى عبده خصيناه .

٣ — إباحة الرق

انما اقرت الشريعة الاسلامية الناس من المشركين وأهل الكتاب على الرق
لانه كان من الامور الاجتماعية الراسخة التي لا يمكن تركها بمجرد نهيها ولا يكون
تركها فجأة خيرا للسادة ولا للارقاء ايضا لان الاولين قد ناطوا بالآخرين كثيرا من أعمالهم
الزراعية والتجارية والصناعية والمنزلية حتى صاروا عاجزين عن القيام بها بأنفسهم
وجرى العمل على ذلك قرونا كثيرة حتى ضعف استعداد السادة لهذه الاعمال
وصار من المحقق ان الحق العام دفعه واحدة يقضي الى فساد اجتماعي كبير . واما
كونه لاخير فيه للبيد انفسهم اذا هو حصل دفعه واحدة بتكليف شرعي فهو ان
هو لا صاروا بطبيعة الاجتماع عالة على ساداتهم حتى انهم اذا تركوهم لا يعرفون
كيف يعيشون ، ولا كيف يعملون ، فكان من حكمة هذه الشريعة القطرية
الاجتماعية ان تقرر الناس على ما جروا عليه في أصل الرق وتضع لهم أحكاما تكون
تمهيدا لآلئاء الرق بالتدريج فأمرت السادة ان يساؤوا العبيد في الطعام واللباس وان
لا يكفروهم ، ولا يطبقون وان يبنوهم على أعمالهم ويساعدوهم فيها ، وأوجبت عليهم
العتق بأسباب متعددة فجعله كفارة لبعض الخطايا كالظهار وملامسة النساء في نهار
رمضان للصائمين والحنث باليمين ، وجعلت للعتق أسبابا كثيرة منها انه اذا مثل بعبده
حتى عليه وصار حرا وورد هذا في الاحاديث المرفوعة وكذلك التعذيب الخفي كالذي
أقعد أمه في مقل حار فأحرق عجزها فاعتقها عمر بذلك وعاقبه بل قال صلى الله
عليه وسلم « من لطم عموكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه » رواه مسلم في صحيحه
وأبو داود في سننه من حديث ابن عمر . وعن سويد بن مقرن قال كنا بني مقرن
على عهد رسول الله (ص) ليس لنا الا خادمة واحدة فاطمها أحدنا فبلغ ذلك
الذي (ص) قال « أعتقوها » رواه مسلم وأبو داود والترمذي . وفي رواية انه قيل
لنبي (ص) انه لا خادم لبني مقرن غيرها قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها
فليخلوا سبيلها » وروى مسلم وغيره عن أبي مسعود البصري من حديث قال فيه
كنت اضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي - الى ان قال - فاذا رسول
الله (ص) يقول « ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » وفيه قلت يا رسول الله

هو حر اوجه الله فقال « لو لم تفعل افحتك النار... أو لمستك النار » ولو اتبع المسلمون هذا الارشاد وحده أو لو كان حكامهم بعد ائلاف الراشدين قد اتوا احكام الشريعة كما كان يفعلها الراشدون لبطل الرق من اقرن الاول في بلاد الاسلام على ان الفقهاء الذين اختلفوا فيما تدل عليه هذه الاحاديث من وجوب عتق العبد الذي يضرب ويهان قد صرحوا بأن العتق ينقد ولو كان المتق مازلا أو سكران وان حكم القاضي به ينقد مطلقا ولو كان ظالما في حكمه ، وان الاقرار بالرق لا يمنع دعوى الحرية بعده وان الرقيق اذا ادعى انه حر يصدق ويحكم بحرية الا اذا اثبت سيده ملكه له وان من اعتق جزءا من عبد عتق كله . ثم ان الشريعة قد جمعت جزءا من مال الزكاة المفروضة لأجل فك الرقاب من الرق . ومع هذا كله رغبت المسلمين في العتق ترغيبا عظيما والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا . فهذه عدة طرق عملية لا يظال الرق بالتدريج بحيث لا يشق ذلك على المالكين ولا يبطل مصالحهم ومناقضهم ولا يجعل أمر المتوقين فوضى ويوقعهم في موهمة الخيرة في أمر معاشهم ، ومن قرأ أخبار تحرير العبيد في أمريكا ظهرت له حكمة الاسلام فيما شرعه للناس في هذه المسألة ولكن المسلمين لم يقيموا دينهم كما أمرو ولا سبوا في المسائل التي هي من شأن الحكام . ولذلك قال بعض حكماء الافرنج ان لماوية الفضل الاكبر على أوروبا اذ هو الذي حفظ لها استقلالها يجعل الحكومة الاسلامية حكومة شفهية موروثة ولو سار هو ومن بعده سيرة الراشدين لملك المسلمون أوروبا كلها وسائر العالم القديم وقد سبق لنا بحث في هذه المسألة من قبل فلا نطيل فيها الآن

٤ - ٦ — التسري وتعدد الزوجات وعدم حصر السراري

بيننا غير مرة ان إباحة التسري قد كان رحمة من الله بالأماء المملوكات فقد كانوا في الجاهلية يرون ان الاماء يباح لهن الزنا ولا يباح للعرائز وكانوا يتخذونهن للبقاء لأجل الكسب بأعراضهن فحرم الاسلام الزنا تحريما باتا وأباح للناس أن يستمتعوا بما ملكت أيماهم ليصوروا عرضهن وليكون ذلك وسيلة لتحريرهن فان الأمة اذا صارت أم ولد بطل رقها وصارت حرة كالزوجة فما أعدل هذا الحكم وما أحكمه . ولو لم يبح التسري بالمملوك في أمة حرية كالامة الاسلامية يكثر فيها النساء

ويقل الرجال لثقل على النساء المملوكات الرق بمنه إياهن من أعظم وظائف الفطرة ولا غراهن ذلك بالفسق الذي لا يبيعه الإسلام بحال من الأحوال وأما حكمة تعدد الزوجات وما يشترط فيها فقد بينا ما يانا كافيا في نحو من ٣٥ صفحة من تفسير الجزء الرابع قراجع فيه من ص ٣٤٤ - ٣٧٤ أو في المأرج وأما كون التمتع بالاماء لا يشترط فيه العدد فقد علوه بكون الأمة ليس لها حقوق على السيد كالقسم والمساواة فلا يضر الاستكثار منها لذلك . والأصل الصحيح فيه ان الحرب يقل أو يقني فيها الرجال ويبقى النساء لا كاقبل هن فيكون من المصلحة العامة وكذا من مصلحتهن الخاصة في بعض الأحوال ولا سيما في القرون الأولى للإسلام أن يوزع على الرجال الغالين لكفالتهم وكفايتهم أمر معيشتهن واخير هن حينئذ ان تكون معاملتهن كعاملات الأزواج لما تقدم آنفا ولا ضرر في الصحة ولا في الهيئة الاجتماعية أن يكون للرجل الواحد نسل من نساء كثيرات يعوض على الأمة ما خسرت في الحرب وإنما الضرر ما عليه أوروبا الآن من إباحة الزنا واختلاف الرجال الكثيرين على المرأة الواحدة فان ذلك يقال النسل كما هي الحال في فرنسا ويحدث أمراضا كثيرة ولو لا ارتقاء فن الطب في أوروبا لأفتها الأمراض الزهرية وغيرها ، ولم يكن في التسري وتعدد الزوجات مفاسد منزلية كثيرة في أول الإسلام لما كانوا عليه من العدل ومكارم الاخلاق وسلامة الفطرة وقلة الحاجات وأما ملهو هذا الزمان فان تعدد الزوجات فيهم مفاسد كثيرة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد . وجملة القول ان منع الزنا ووجوب كفالة النساء وإحصائهن والحاجة الى كثرة النسل ، والتوسل الى تحقيق المملوكات بصبر وذهن أميات أولاد هو الذي كان سبب إباحة الاستمتاع بهن وعدم التقيد بعدد فيهن ولا سيما في حال كثرتهم . وذهب الاستاذ الامام الى انه لا يجوز للرجل أن يستمتع بأكثر من أربع منهن قياسا على زواج الحرائر بل قال أن آية إباحة تعدد الزوجات بشرطه تدل على ذلك . والاسترقاق غير واجب في الإسلام وإنما ابيع للضرورة ولأولي الامر من المسلمين منعه اذا رأوا المصلحة في ذلك

٧ - حكمة تعدد أزواج النبي (ص)

ان النبي صلى الله عليه لم يتزوج في سن الشباب والفراغ الا بخديجة وكانت رضي الله عنها ثيبا ، وبعد الكهولة والقيام بأعباء النبوة ومكافحة المشركين وغيرهم من أعداء النبوة تزوج عدة زوجات ثيبات ومنهن أمهات الاولاد وكيرات السن ولم يتزوج فتاة بكرة الا عائشة بنت الصديق (رض) وأسباب ذلك بعضه سياسي كوثيق الرابطة بينه وبين القبائل كتزوجه بجورية وهي بنة بنت الحارث سيد بني المصطلق فقد كان المسلمون اسروا من قومها مثني بيت بالنساء والذراوي فأراد (ص) ان يعقوبهم وكره ان يكرههم على ذلك اكراما فتزوج سيدتهم فقال المسلمون أصهار رسول الله (ص) لا ينبغي امرهم فأعتقهم ، ومنها ما كان لاجل كفالة بعض المؤمنات السابقات الى الايمان المهاجرات بعد قتل أزواجهن أو وفاتهم كتزوجه أم سلمة (هند) على كبر سنها وما عندها من الاولاد ، ومنها ما كان لاجل الاصلاح وجعل الناس على الشريعة باقدوة كتزواجه بزینب بنت جحش لإبطال التبي وأحكامه الضارة الفاسدة . ومنها مكافأة صاحبيه ووزيريه أبي بكر وعمر وتشريفهما بمصاهرة إياها . وهناك مصلحة عامة وهو ان يوجد في بيت النبوة عدة من النسوة يتعلمن الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء ويعلمنها للمسلمات ، وقد كان (ص) لشدة حياته يستحي ان يخاطب النساء بكل الاحكام المتعلقة بهن اذا لم يسألن عنها فكان أزواجه الطاهرات خير واسطة لذلك وهذه حكمة ما كانت تحصل لو اكتفى بزوجة واحدة لا يدري أتعيش بعد فقها كثيرا أم لا . وان شئت يزيد بيان وتفصيل فارجم الى ما كتبتاه في ذلك في المجلد الخامس من مجلة المنار وجزء التفسير الرابع ، لا تنس مراجعة ما كتبه الاستاذ الامام وما كتبتاه في مسألة زيد وزینب فان شبهة الاوربيين فيها اكبر وهي منشورة في المجلد الرابع من مجلة المنار وفي ملحق تفسير الفاتحة

٨ - حكم القاضي بذهب المحم

السؤال في هذه المسألة مبهم والظاهر ان السائل يريد القاضي الشرعي الذي يحكم في المسائل الشخصية علي الجنفي والشافعي والمالكي وغيرهم ولا يقتل ان يشترط

في القاضى معرفة مذاهب الناس والحكم لكل خصم أو عليه بمذهبه لأن ذلك على نصره أو تعذره مفسدة ويتعارض في الخصمين المختلفي المذهب على ان المذاهب القهية متفقة على ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ويجب الاذعان له

٩ - الزواج في الجاهلية

كان الزواج عندهم أربعة أنواع كما روي عن عائشة في صحيح البخاري (الأول الاستبضاع) وهو ان الرجل كان يرسل امرأته الى الآخر ولا يقربها حتى يظهر حملها من الآخر يفعلون هذا ابتغاء نجابة الولد (الثاني) ان ما دون عشرة رجال كانوا يصيبون المرأة فإذا حملت ووضعت اجتمعوا عندها حسب طلبها وقالت لمن أحببت ان هذا ابنك يا فلان فلا يستطيع أن يتمتع الرجل (الثالث) ان من الزواني (ومن البغايا من الاماء) من اذا حملت ووضعت اجتمع الناس ودعوا القاعة فألقوا ولدها بالذي يرون فينسب اليه الولد لا يتمتع الرجل منه (الرابع) النكاح الذي بين المسلمين اليوم . فلما ثبت النبي (ص) عدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح المسلمين اليوم . ومنها نكاح البذل وهو ان يستبدل كل امرأة بالآخر ، ونكاح الشغار وهو ان يزوج احدهم من له الولاية عليها لآخر على أن يزوجه الآخر من الولاية عليها وتكون كل منهما مهرا للآخرى لا تأخذ شيئا . ولهم في الزواج مفاصد أخرى يتنا بعضها في تفسير الآيات التي تشير اليها . ومنها انهم يرثون المرأة كما يرثون الرقيق والحيوان

واما تعدد الزوجات فكان فاشيا فيهم غير محدد بعدد وقد أسلم بعضهم وعنده خمس أو ثمان أو عشر نسوة كما يتنا ذلك في تفسير آية التعدد

١٠ و ١١ - الكفاة وحقوق المرأة في الجاهلية

كانت الكفاة عندهم تعتبر بالجنس والنسب والحسب أي الشرف فكانوا لا يرون العجم اكفاء لهم ولا الموالي من العرب وهم لا يزالون على ذلك في عقر جزيرتهم لا يزوجون عجميا عربية مريجة النسب فإذا ارتضوه زوجوه من الموالي وكان الشرفاء يترفعون أن يزوجوا بناتهم للأخساء

وأما حقوق النساء في الجاهلية فلم تكن شيئاً مذكوراً وكانوا يستحلون أكل
أموالهن ويعضلونهن أي يمنعونهن الزواج لذلك حتى جاء الاسلام فجعل النساء
مساويات للرجال في كل شيء الا الولاية العامة والخاصة وذلك قوله تعالى (ولهن
مثل الذي طين بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

رحلتنا القسطنطينية

﴿ أو إقامتنا عام ، في عاصمة الاسلام ﴾

علم قراء النار كافة سبب رحلتنا في أواخر رمضان من العام الماضي الى هذه
العاصمة وشيئا من خبر عملنا وسعيها فيها ، اما وقد عدنا منها الى مصر ، في أوائل هذا
الشهر ، فإنا نذكر لهم ملخص ما بلغ اليه السعي ،

مسألة العرب والترك

اشرنا في أول مقالة كتبناها عن الانقلاب الثاني عند حدوثه الى العقبات
التي يخشى أن تهوق سير الدستور ومنها تعصب العناصر العثمانية لجنسياتها وقد وقع
ما توقعنا فقد قام كل عنصر يسمى لتقوية عنصره ، فلما اليونان والبلغار والأرمن فلا
تسأل عما قالوا أو فعلوا ، ولا تعجب عما اقترحوا وطلبوا ، على أن الأرمن أعطوا حتى
رضوا ، ولا سبيل الى مرضاة قوم لم دولة تنازع الدولة العلية في أملاكها ، وقطع
حتى في عاصمة ملكها ، واما الأرمن والكرد والجرماني فقد قاموا يسعون لتدوين
لغاتهم ، وترقية أجناسهم ، ولكل منهم في العاصمة أندية وجمعيات ، وأما العرب
فأسسوا عقب الانقلاب جمعية سمرها جمعية الاخاء العربي فكنيت أنا وكل من اعرف
من العرب العثمانيين في مصر وسورية كارهين لتأسيسها ولما زرت سورية كنت أنفر
الناس منها ، ثم أنفيت لأن الرأي العام العربي لم يأخذ بيدها لأنه لم يكن يحب ان يعمل
عملا ما في الدولة باسم العرب ، ذلك بأن رأينا أن بقاء الدولة يتوقف على اتحاد

الترك بالعرب فيها ولكن قام بعض أصحاب الجرائد التركية في الآستانة بالدعوة الى الجنسية التركية وحفظ السيادة للعنصر التركي والتنفير من العرب ودعوة الترك الى الاستقاء عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بترجمته الى اللغة التركية وبتطهير التركية من الألفاظ العربية ، فنالم العرب من هذه الأقوال وزادهم تألما أفعال أخطأت فيها الحكومة بينها في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الآستانة التركية والعربية فلا نحب إعادتها

وأما الحديث قد كثر في هذه المسألة وتناولتها أقلام الكتاب والشعراء فحتمنا ان تم وتعتبر مقروءة عند العامة فيصعب نزع سوء التفاهم ويتعسر ما نحب من الاتحاد والاعتصام فكان أول سعينا في الآستانة موجهها الى إزالة سوء التفاهم بين العنصرين فكتبنا تلك المقالات الست واختارنا لنشر ترجمتها بالتركية جريدة إقدام لأنها كانت من الجرائد التي آذت العرب بعصبيتها الجنسية عسى أن يزول ذلك بما تنشر فيها ، ثم كان أول من كلمناه في ذلك هو الصدر الأعظم فاعترف لنا بأن الحكومة والجمعية أخطأتا في بعض تلك الأمور قال ولكن ليس هناك سوء نية وأنه سيتدارك ذلك بالفعل . وكلمت في ذلك أيضا محمود شوك باشا ونظر الداخلية وغيرها من الكبراء ، وقد اتهمني بعض النابتة العربية في أول الأمر بمصانعة الترك أو الحكومة ثم بلوني وخبروني وعللوا اني مخلص فيما أواقفهم وفيما أخالفهم فيه وبذلك ييسر لي أن اقنعهم بما اقتنعت به بعد طول اختبار الآستانة ورجالها وهو ان العرب والترك عنصران يكونان حقيقة واحدة كالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء وان الاسلام قد ألف بينهما هذا التأليف وزادته قوة مصلحة بقاء هذه الدولة بهما وان خطر عليهما من تفرقهما ، وان الذين نحاملوا على العرب واللغة العربية من المترجمين مختلفو الأصول فمنهم من أصله تركي ومنهم من أصله عربي ولعلنا لو بحثنا عن انسابهم لوجدنا أكثر آبائهم من الروم والارمن واليهود والنور وأنه لا يجوز لأحد من العرب أن يجعل ذنبهم ذنبا للعنصر التركي ولا أن يحمل سمي الترك لرقية شعبهم منافيا لأخوة العرب ما دام خاليا من العصبية الجنسية كما لا يجوز لطلاب رقية العرب ان يقصدوا بذلك الا التمهيد للاتحاد بالترك والقيام منهم بتأييد الدولة

واعزازها هذا هو رأيي الذي وافقني عليه العقلاء من الترك والعرب في العاصمة وان كان يوجد فيها من المتعصبين المبغضين للعرب الذين يسترون بغضهم بأُماديج النفاق من بحرف كلامنا في التوفيق والتأليف عن مواضعه لينفروا اخواننا الترك منا والله من ورائهم محيط . وقد تداركت الحكومة بعض خطاياها بإلغاء ما كانت امرت به من وجوب جمل المرافعات في محاكم البلاد العربية باللغة التركية وعدم قبول ما يقدم الى الحكومة من شكوى وغيرها باللغة العربية ، كانت شرعت في هذا وذلك ثم علمت بتعذره وبسوء أثره فنهته ، ثم انها عينت في مدارسها الاعدادية عشر معلمين للغة العربية وذلك فأتحة خير ان شاء الله تعالى

مشروع العلم والارشاد

هذا هو المشروع الاعظم الذي هو المقصد الاول لي من الرحلة بل من الحياة كلها وهو اذا فقد يقوي الرابطة والاخوة بين العرب والترك وبين غيرهم من المسلمين كالانود والكرد بل يؤلف بين المسلمين وغيرهم من الملل كما يقتضي الاسلام . لان كل ما اتصوره وادركه من اصلاح حال المسلمين محصور فيه ولذلك كان جل السعي أو كله في هذه السنة لهذا المشروع و بعد العناية الطويلة والمراجعات الكثيرة واللجان المتعددة التي عقدت المناقشات فيه وفتحنا تأسيس جمعية العلم والارشاد كما عرف القراء وقد وافقت الحكومة على تأسيسها رسميا وعرف القراء مما نشرنا في الجزء السادس أن من أعضائها المؤسسين موسى كاظم افندي الذي صار بعد التأسيس شيخ الاسلام المملكة ورئيس الشرف للجمعية ومنهم مستشار المشيخة ، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثين ، ورئيس كتاب مجلس الشورى وغيرهم من خيار رجال العاصمة فليراجع من شاء اصحاء وقانون الجمعية في ذلك الجزء من منار هذه السنة بعد التصديق الرسمي على نظام الجمعية توسلا ببولانا شيخ الاسلام الى الحكومة لتقر لنا ما وعدتنا به من المساعدة المالية لتأسيس مدرسة زدار العلم والارشاد ، فكتب أحسن الله جزاءه مذكرة للصدر الاعظم بعد مذاكرته في ذلك والاتفاق معه طلب فيها ان تعطى جمعية العلم والارشاد ثلاثة آلاف ليرة لأجل تأسيس المدرسة المذكورة في نظامها الاساسي وان يقرر مجلس الوكلاء جمل نفقات هذه المدرسة باللغة ما بلغت في ميزانية نظارة الأوقاف من ابتداء السنة المالية المقبلة . فوضعت مذكرة الشيخ

موضع المذاكرة في مجلس الوكلاء الخاص بقرار المجلس قبول المذاكرة والمواقفة على المبلغ المطلوب واستعسان نظام الجمعية الا انه ذكر في صورة القرار الذي بلغ من مقام الصدارة الى المشيخة ونظارتي الاوقاف والمعارف ان المجلس استحسن ان يغير عنها « بأنجمن علم وأرشاد » بدل (جمعية العلم والأرشاد) وأن تكون المدرسة تحت ادارة ومسئولية شيخ الاسلام

بإقتنا شيخ الاسلام قرار مجلس الوكلاء فاجتمع مجلس ادارة الجمعية يوم الجمعة (١٩ رمضان - ٢٣ سبتمبر) للمذاكرة فيه فقرر الاعتراض على جعل المدرسة تحت مسؤولية شيخ الاسلام لأنها تكون بذلك رسمية وقد بلغ الكاتب العام للجمعية شيخ الاسلام ذلك كتابة وتكلم معه في وجوب جعل المدرسة خاصة بالجمعية خالية من الصفة الرسمية فوافق الشيخ على ذلك ووعد ووعدا مؤكدا بالكتابة الى الباب العالي بوجوب تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل المدرسة مما يطلقون عليه اسم « المكاتب الخصوصية » وكذلك قال ناظر المعارف ووعد بعض أعضاء الجمعية بالكتابة الى الباب العالي بذلك وصرح بأن جعل المكتب ذا علاقة بالحكومة ضار وانه خلاف ما كان اتفق عليه ، ولماذا يكون ضارا ؟

صرحنا في المادة الثالثة من نظام الجمعية الاسامي بأن هذه الجمعية لا تشغل بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاسامي وتؤيده ، ونهى المادة الثانية الميمنة مقصدها هو

« المادة الثانية - مقصد هذه الجمعية الجمع بين التريية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدينية والتصنيف فيها وتوسل الى ذلك بإنشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والأرشاد » لتخرج العلماء والمرشدين »

فالمراد من الجمعية ومدرستها الكلية هو الإصلاح الديني الاجتماعي اى إفاة عقول المسلمين بالعلوم النافعة وتريية نفوسهم تريية صالحة ليعلموا كيف يعمرؤا دنياهم مع حفظ دينهم ذي الآداب العالية أن ينال منه الخراب ، ويدخل في ذلك اقتباسهم لما لا بد لهم منه من المدنية المصرية وفنونها وأعمالها ، فاذا دخلت السياسة في مثل هذا العمل أفسدته ، ولا شك أن الدول الأوروبية تعد جعله تحت ادارة شيخ

الاسلام عين السياسة وتتهم الدولة بأنها تريد به تهيج التعصب الاسلامي لان شيخ الاسلام هو العضو الأول في مجلس وزراء الدولة وإذا قاومت أوروبا هذا المشروع لا يثمر الثمرة المطلوبة ولا تبقى مقاومة أوروبا إلا يجعله في منزل على السياسة والحكومة ظاهراً وباطناً لأن الذين اكتشفوا الاشعة التي تخترق الكشاف حتى يرى ما وراءها ووضعوا المناظير المكبرة التي يرى بها ما لم تكن ترى مثله زرقاء اليمامة لا يسهل على أمثالنا في ضعفنا وجهلنا ان نخدعهم ، وإذا كان هذا العمل في أيدي جمعية مخلصية ليس لها صفة رسمية لا يمكنهم أن يعترضوا عليها اعتراضاً رسمياً وإذا اتهموها بالسياسة باطلا سهل عليها مع الصدق والاخلاص اقناعهم ببراءتها كما وقع للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ، اتهمت بالسياسة ومساعدة مهدي السودان على الحرب ولكن لم تلبث أن ظهرت براءتها باخلاص وجاهلها

هذا هو رأيي ورأي محمود شوكت باشا ذكره لي قبل ان أذكره ووافق عليه شيخ الاسلام وناظر المعارف وهو رأي أعضاء الجمعية المؤسسين أيضاً ولاجل هذا يسعون في تعديل قرار مجلس الوكلاء . ولولا هذا أوافقت ناظر الداخلية أولاً وشيخ الاسلام أخيراً على جعل نفقات المدرسة من المالية دون الاوقاف ولكنني ما زلت اراجع في ذلك من أول السعي الى آخره اذ قال لي شيخ الاسلام في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ شعبان (٢٧ اغسطس غ) ان الوكلاء الفخام يرون من المناسب ان تكون نفقات المكتب السنوية في ميزانية العلمية (التابعة للشيخ الاسلامية) وأما أرى ذلك لان هذه خدمة دينية من جنس خدمة المشيخة فيحسن ان تكون نفقاتها تابعة لها فأتقول انت يا عزيزي (قلت) ماترونه حسناً فهو حسن ولكني لأزال أرى ان يحمل نفقات مكتبنا في ميزانية الاوقاف حتى لا يكون للشيخ وجه للتدخل في امره إذ الأولى أن يكون مستقلاً تمام الاستقلال دونها الخ ما قلته ووافقتني عليه بل قلت لغيره من العظماء لولا انني خشيت ان تسيء الدولة الظن بالمشروع لا اقترحت ان يكون في الحجاز أو في مصر وأقول الآن اذا لم يعدل مجلس الوكلاء القرار كما وعد شيخ الاسلام وناظر المعارف فالمسلمون لا يستقنون عن جمعية اخرى كهذه الجمعية يكون مركزها مصر لان جمعية الاستانة لا تأتي بالفائدة المطلوبة اذا كانت رسمية أو شبه رسمية

الجمعية العلمية

في الآستانة

كان تأليف الجمعيات ممنوعاً من البلاد العثمانية في العصر الحيدري المظلم بل كان لفظها ممنوعاً أيضاً حتى كاد يمنع الاجتماع للعبادة بغير مراقبة كما منع غيرها ألبتة، وقد بينا ذلك في المجلد الثاني عشر. ولهذا اندفع العثمانيون بعد الانقلاب إلى تأليف الجمعيات كما هو شأن الناس في الممنوع إذا أبيع بعد التشديد في منعه فألفوا جمعيات كثيرة بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة، وبعض تلك المقاصد أصل ثابت، وبعضها نشأ عن وهم عارض، ولما زرت سورية بعد الانقلاب رأيت في كل من بيروت وطرابلس ودمشق جمعية تسمى « الجمعية الطبية » ألفها أفراد من صنف العلماء المسلمين ولم يكن بينها صلة وربما كان بعضها تقليداً وقد سمعت يومئذ عن جمعية دمشق أن الغرض منها حفظ جاه مؤسسيها ومقاومة رجال الدستور ولذلك لم يدخلوا فيها خيار العلماء الأحرار العاملين، ومهما قيل فيها وفي غيرها وسواء صح أو لم يصح فلا يمكن أن يدعي أحد أنها عملت شيئاً لخدمة العلم أو الدين.

ولما زرت الآستانة في العام الماضي سمعت أخباراً متعارضة عن الجمعية الطبية التي أسست فيها وكنت قد سمعت قبل ذلك أنها جمعية جهود تعارض كل إصلاح ديني أو غير ديني إذا لم يقم عندها دليل من قوة الحنفية عليه، وإن مجلتها (بيان الحق) أنشئت لهذا الغرض فهي ترد على المجلة التركية الإصلاحية (اصراط مستقيم) التي يكتب فيها محبو الإصلاح كوسى كاظم أفندي (شيخ الإسلام الآن) وإسماعيل حقي أفندي المناستري واضراهما من شيوخ الآستانة وشبانها المجهين للإصلاح، وبلغني أيضاً أنها ردت على المآرج في مسألة الاستقلال والتقليد. بل كان شاع أن علماء الآستانة هم الذين أوقدوا نار فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ أبريل) المشهورة وأن الحكومة الدستورية قتلت كثيرين منهم.

لهذه الاخبار والاشاعات كانت صورة الجمعية العلمية في ذهني غير جميلة عند ما جئت الآستانة وافق ان سمعت من بعض اكابر رجال السياسة هناك شكوى من جهود العلماء وتمصيرهم حتى قال لي من لا اسمي منهم ان مشروعات الذي جئت تأسيسه هنا لا يخشى عليه الا من العلماء فانهم هم العقبة في طريق الاصلاح ولم نفوذ عظيم لاتباع العامة لهم . ثم اتيت علمت بعد طول الاختبار ان كثيرا مما كنت اسمعه عنهم باطل و بعضه مبالغ فيه وانهم لم يكن لهم يد ولا أصبع في الفتنة بل كان لهم الاثر الصالح في إطفاء نارها وحمل الناس من الصكر وغيرهم على طاعة الحكومة الدستورية ولكن بعض رجال الفتنة قد لبسوا لها لباس العلماء حتى قيل انهم اشتروا نسيج المهائم الأبيض من خارج الآستانة

لما عرضت مشروعي على الصدر الأعظم أول مرة عقد له بالاتفاق مع عميد جمعية الاتحاد والترقي لجنة علمية مؤلفة من أمين الفتوى أسعد افندي ومستشار المشيخة مصطفى افندي أوده مثلي واسماعيل حقي افندي المناسرلي وموسى كاظم افندي من الاعيان وكلمهم من كبار شيوخ العاصمة فلما اتفقوا على استحسان المشروع كما ذكرت ذلك في وقته في رسائلي من الآستانة حمدت الله على وجود أمثالهم واعتقدت انه لا بد ان يوجد كثير من العلماء على رأيهم ومشربهم ولا سيما من الشبان والكهول وصرت أمدح علماء الآستانة فيقول لي بعض أهلها لا تقس على هؤلاء قالوا كثرون متعصبون غلاة في مقاومة كل إصلاح والجمعية العلمية هي بوثة التعصب ثم اسعدني التوفيق بقاء بعض رجال العلمية في مجلس المبعوثين وغيره فرأيت فيهم من آيات الفيرة والاخلاص والميل الى الاصلاح ما حمدت الله عليه واعتقدت أنه لا خوف على مشروعي منهم بل رجوت أن يكونوا من خير المساعدين عليه اذا هو تم بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي وان يقوموا هم به اذا لم تساعدني تلك الجمعية من جهة الحكومة ولكنني لم أطالبهم بذلك لاني لم أكن اسمع من الحكومة الا الوعود الجميلة حتى تم المشروع على الوجه الذي بيناه

ولما عزم على السفر من الآستانة الى مصر كتبت في جريدة الحضارة ذلك الخطاب الى علماء الاسلام في الآستانة وسائر البلاد الاسلامية (وهو ما ستراه قريبا في هذا الجزء)

وأحييت أن أجعله تمهيدا لزيارة الجمعية العلمية في ناديهما وابدأ شي من التفصيل في الإصلاح الإسلامي لجمهور رجالها ، فرأيت الخطاب من التأثير فيهم فوق ما كنت احسب حتى كنت اتقى الواحد منهم في الطريق أو في بعض الدور أو المعاهد العامة كالساجد والمدارس فأجده حافضا لبعض جعلها يتلوها عليّ مسجبا مثليا وقال لي بعضهم ان رجال الجمعية العلمية قد أعجبوا بهذه المقالة واقترح بعضهم ترجمتها بالتركية ونشر الترجمة في مجلة الجمعية (بيان الحق) فطمت ان ما كنت اسمعه من أبناء الدنيا في علماء الآستانة من التعصب والجود ناشيء عن سوء فهم أو سوء قصد كما يقال ورغبت في زيارة الجمعية في ناديهما وذكرت ذلك لبعض أعضائها فأخبرني انه قد تقرر أن لا يجتمعوا فيما بقي من ليالي رمضان اقليلة (قال) فلا بد ان نرسل الى من يوجد منهم في الآستانة دعوة خاصة ولا شك انهم يسرون بذلك وموعدا ليلة الاثنين ٢٩ رمضان . ولما جئت النادي ليقامهم أقيمت حفلا بجمهور عظيم منهم فخص به النادي وبعد التحية واستراحة قليلة أقيمت عليهم خطابا بالإنجاليا طويلا لا تقل مدته عن ساعتين فلقوه بالقبول والارتياح التام وسألتهم هل انتقدوا منه شيئا فلم أجد عندهم انتقادا بل إجماعا على جميع مسائله وثناء لا أنذكر جميع ما قلته في ذلك الخطاب من المسائل والدلائل ولكن لم أنس مقاصد الكلام وأقطابه وهي ثلاثة (١) وجوب تعارف العلماء وتعاونهم على خدمة الأمة والدولة فان هذا العصر عصر الجمعيات لا يستطيع أحد ان يعمل عملا لامته الا ويتوقف نجاحه التام على قوة جمعية تظاهره وتعاونه عليه (٢) تساهل العلماء في خلاف المذاهب في الاصول والفروع والاكتفاء في عقد الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين بالمسائل المجمع عليها (٣) إحياء هداية الكتاب والسنة في المسلمين وبث دعوتهم والذب عنهما فما قلته في المقصد الاول ان علماء الاسلام في عهد نهضتهم العلمية الاولى في بلاد العراق والفرس والشام ومصر وأفريقية والاندلس كانوا يتعارفون بالسياحة وينقل الكتب من قطر الى قطر حتى كان المعاصرون في الشرق والغرب ينقل بعضهم عن بعض كما ترى في كلام ابن خلدون عن كتب سعد الدين التتاراني وابن هشام . ثم ذكرت ما بين علماء المسلمين من التقاطع بين المسلمين في هذه العصور الأخيرة على سهولة المواصلات وكثرة المطابع . ويثبت ان علماء الآستانة من أجدر العلماء

بخدمه الامم والتعارف بين سائر علماء الاقطار ولكنهم على كثرتهم وجدهم واجتهادهم في العلوم الاسلاميه لا يكاد يسمع لهم صوت في قطر من الاقطار كصر والفرب والهند وقد كان لذلك سببان (احدهما) سيامي وهو ظلم السلطان عبد الحميد ومنعه لئلا ذلك وقد زال (وثانيهما) عدم التكلم والكتابة باللغة العربيه وكان من غلظهم قراءة كتب الفنون العربيه والعلوم الشرعيه بالترجمة ولا سيما التفسير والحديث والاصول فان هذا يضع عليهم زناطويلا في التحصيل ولو كانوا يتقنون اللغة العربيه نفسها قراءة وتكلموا كتابة ثم يدرسون فنونها وعلومها لكان يكون تحصيلهم اسرع واكمل وتعبهم فيه اقل ، ولكن لم آثار كثيرة يعرفونها علماء الاقطار الاسلاميه كلها وهذا السبب يسهل عليهم تداركه في زمن قليل وينبغي ان يكون في مجلتهم (بيان الحق) قسم عربي تكون وسيله لاتصالهم بسائر علماء المسلمين الذين يعرفون هذه اللغة بهما كان جنسهم ولقبتهم وينت في المقصد الثاني ما دل عليه العلم بأخلاق البشر وطباعهم وما أفادته التجارب من اقتضاء رد الفرق بعضهم على بعض ثبات كل على رأيه ومذهبه وحرصه عليه وإغرائه بعبادة الخائف والنظر الى كلامه بعين السخط لا بعين الرويه والانصاف ، ومن اقتضاء التماهل التماصف والمواذاة والنظر الى الاشياء بقصد اسبابه الحقيقية وعاقبة ذلك ظهور الحق على الباطل ، واستشهدت على هذا ما كانت عليه الأمم الأوربيه من التنازع والتعادي في الدين والسياسة لاختلاف المذاهب والمطامع وما آل اليه أمرها من عقد الدول المحالفات والموالاة السياسية بعضها مع بعض ، ومن حذو الجماعات الدينيه حذو الدول في الاتفاق على المخالفين ووضع الحدود للدعوة الدينيه كحدود النفوذ السيامي ، وكان بين فرقهم الثلاث - الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت - نزاع شديد ومعارضات قوية بعد تلك الحروب المعروفة ، فضعف ذلك واتفقت جميعاًهم كما اتفقت دولهم على اقتسام البلاد الاسلاميه والوثنيه كاققسام روسيه وانكلترة لبلاد الفرنس فطينا أن نعتبر بأحوال الأمم ، ونجتهد في إداله الوفاق من الخلاف والحب والاتلاف من العداوة والبغضاء ، والخلاف بين الفرق الاسلاميه الكبرى - السنيه ، والشيعه الاماميه والزيديه ، والاباضيه ، أهون من الخلاف بين المذاهب النصرانيه التي يحكم كل فريق منها بكفر الفريق الآخر

وذكرت أيضا ما اتفق عليه أئمة أهل السنة من عدم تكفير أحد من أهل القبلة ومن افتاء الفقهاء بترجيح القول الضعيف بعدم التكفير على مئة قول قوي بالتكفير ، ومقابلة ذلك بما عليه الجامدون من أدعياء العلم المتأخرين إذ يكفرون من يخالفهم حتى في الفروع الظنية بل في الأمور العادية التي ليست من الدين في شيء ، وبذلك شتتوا شمل الإسلام ومزقوا نسجه . وذكرت لهم جمعية ندوة العلماء في الهند وإن من مقاصدها التأليف بين أهل المذاهب الإسلامية والدعوة إلى الإسلام والحكومة الإنكليزية مساعدة لهم على ذلك ، وما ذكره لي بعض علماء الشيعة من ميل علماء النجف وإيران إلى الوفاق وترك بعضهم تدريس الكتب التي تستعمل على الرد على أهل السنة ، وما أعله من ميل علماء الإباضية إلى مثل ذلك ، وإن حوادث الزمان وعبره قد أعدت المسلمين للاتفاق والائتلاف الديني فعلى العلماء أن يقتسموا هذه الفرصة في كل البلاد ولا سيما في الآستانة فإذا قصرُوا فاتهم الفرصة وخرج الأمر من أيديهم وأشارت إلى ما قاله الغزالي في القسطاس المستقيم من كفاية المتفق عليه في الدين للهداية وقلة من يعمل به فإن المذاهب كلها متفقة على توحيد الله وتنزيهه وسائر أصول الإيمان وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعلى أركان العبادات وأصول جميع الخيرات ، فأين من يعمل بما اتفقوا عليه ؟

وذكرت في بيان المقصد الثالث أن الدعوة إلى الإصلاح الإسلامي وترقية المسلمين في دينهم ودنياهم لا يمكن أن تكون إلا بهداية الكتاب والسنة لما لما من التأثير في النفوس بإسنادها إلى الله عز وجل ورسوله (ص) ولما فيها من الحكم والبر التي لا توجد في كتب الكلام والفقه لأنها الأساس المتفق عليه عند كل المذاهب . وقلت قد علمت أن بعض الناس هنا كانوا يظنون أن « المآرج » قد سلك هذه الطريقة لأجل أن يدون مذهباً جديداً ويحمل الناس على ترك مذاهبهم إليه وقد صرحت بنفي هذه الشبهة غير مرة فأنا لا أريد أن أحدث مذهباً جديداً ولا أغير نفسي ذلك وإنما سلكتها لأسباب (١) أن المآرج عام لجميع المسلمين لا لأهل مذهب واحد منهم فوجب أن يكون هديه بما هو الأصل المتفق عليه بينهم (٢) للكتاب والسنة من التأثير في النفس والسلطان على القلب ما ليس لكلام أحد كما تقدم أننا

فالدعوة الى الإصلاح بهما اسرع قبولا ، وأقرب حصولا (٣) انهما مشتملان على كل ما نحتاج اليه لأجل الهداية والنهضة الاجتماعية التي هي أصل كل ارتقاء (٤) ان ما يذكر في المئارج من الأحكام الشرعية يقصد به إما بيان حكمة الشارع فيه وكونه موافقا لمصلحة الناس في كل زمان ومكان وإما الدفاع عن الاسلام ورد شبهات المعارضين عليه من الافرنج وغيرهم وهم لا يحفلون بالرد على أقوال الفقهاء وآرائهم الاجتهادية وانما يصوبون سهامهم الى أصل الدين وهو الكتاب والسنة وحسبنا ان ندافع عن أصل ديننا ونبين حقيقته وحكم أحكامه وموافقتها للعقل والفطرة ومصالح البشر . واني قد نشأت على مذهب الشافعي في الفروع والأشعرى في العقائد (روح) ولست استطيع إقناع الناس بما ذكرت اذا انا التزمت هذين المذهبين اللذين قرأت كتبهما وحاولت ان اورد الشبه عن العقائد وأبين حكمة الشريعة منهما أو بهما ، وكذلك يقال في سائر المذاهب

(قلت) مثال ذلك ما جرى لاحد إخواننا الذين على طريقتنا في مصر : كان مدرسا في مدرسة الحقوق للشريعة على مذهب الحنفية وكان بعض الطلبة من المسلمين وغيرهم يوردون الشبه على بعض المسائل الفقهية ويرون ان حكم القانون أقرب الى العدل وامن المصاحبة من الحكم الشرعي فكان ذلك المدرس يراجع قبل الدرس ما يتعلق بمسائله من الآيات والاحاديث ان كانت ومن أقوال سائر أئمة الفقه فاذا أورد طالب شبهة على حكم وظهر له جواب مقنع اجاب به والاقول للطالب ان ما ذكرته لا يرد على أصل الشريعة وانما يرد على رأي الامام ابي حنيفة أو الامام ابي يوسف (مثلا) في هذه المسألة وهو رأي اجتهادي ظني عنده وقد خالفه فيه الامام مالك أو الشافعي (مثلا) واحتج بحديث كذا (مثلا) فان كان هنالك آية أو حديث صحيح التزم الدفاع عنه والا ذكر من أقوال الأئمة الاجتهادية ما يراه أقرب الى إقناع السائل وامثاله يعدل الشريعة

هذا أهم ما ذكرته وأحببت نشره ، وبعد ان عدت الى مصر جاءني العدد ٨٠ من مجلة (بيان الحق) فرأيت فيها كلاما عن هذا الخطاب فيه اشارة الى غير ما تقدم من المسائل وهذه ترجمته بالمرية :

﴿ حول خطبة رشيد رضا أفندي ﴾

خطب رشيد أفندي رضا أحد علماء طرابلس الشام وصاحب مجلة (المنار) التي تصدر في مصر خطبة شائعة في مركز الجمعية العلمية الإسلامية ليلة ٢٩ رمضان بحضور جم غفير من العلماء . ألقى هذه الخطبة التي نحن بصددتها باللغة العربية وقد فصل القول فيها تفصيلا استمر ساعتين من الزمن

إبان في موقفه هذا ما رمى إليه في مقاله التي وجهها إلى جميع علماء المسلمين المنشورة في جريدة الحضارة بعدد ٢٤ الصادر في ٨ أيلول سنة ١٣٢٦ (مالية) واثبت بالأدلة والبراهين القاطعة أن جهود علماء الإسلام الآن باعث على تأخر الأمة الإسلامية وعدم سعادتها وبعد أن اقنع جميع الحاضرين بأنه إذا ظل العلماء على ما هم عليه ولم يحافظوا على علوم مركزهم تظهر فيهم إذ ذاك أعراض الانقراض والملاشاة ، ثم ذكر ما تصادفه الجمعية العلمية من الموانع والمشاكل إذا بقيت منحصرة في لجان محدودة . وأنه يجب أن يؤسس لها فروع في جميع أطراف المملكة العثمانية ثم تؤسس لها أيضا فروع ولجان عمومية في كافة أقطار الأرض المصروفة بالأم الإسلامية . وبين فائدة ارتباط شعب هذه الجمعية بعضها ببعض وما ينجم عنها من الفوائد العظيمة إذا سارت هذه اللجان بطريقة جديدة في الاتصال بمركز الجمعية العمومي في الأمور الدينية المهمة والمباحثات المصنفة الدقيقة فهي تساعد على خدمة الإسلام خدمة حقيقية وتوسع دائرة نظامه في العالم المعصور

ثم ذكر ما كان بين علماء الإسلام في المشرق والمغرب من الارتباط في زمن عهد الدين التفتازاني يوم كانت وسائل النقل والسفر صعبة شاقة فقد كان حينئذ علماء الإسلام يبادلون التقارير والمباحثات في دقائق الأمور وإن آثارهم الموجودة الآن لا أعظم شاهد على إلمام كل فريق منهم بمؤلفات الفريق الآخر

وأما اليوم فإنه من المعلوم عند الجميع أن وسائل النقل تقدمت تقدما عظيما ولكن من الحزن أن علماء المسلمين لم يوجد بينهم أقل اتفاق ولا تعارف وقال أنه مع الفخر في هذه الخدمة الجليلة يسعى بتأسيس وتشكيل جمعية علمية إسلامية في مصر وسائر البلاد العربية

ثم تكلم عن شكل الجريدة التي ستكون ناشرة لأفكار الجمعية العلمية فقال :
 ان من المتصور نشر هذه الجريدة بلغات مختلفة ولكن من الأمور المقررة ان علماء
 الاسلام هما اختلفت لغاتهم والى أي عنصر نسبوا بأي لسان تكلموا فلا بد ان يكونوا
 متفصلين في اللغة العربية ولذلك استعصوب ان تنشر الجريدة باللسان العربي
 وتم بين علماء الصين والهند وجارا والترك والافغان والعجم وجميع البلاد الاسلامية
 وبهذه الطريقة المثلى يحصل التمازج بين كافة علماء هذه البلاد وتدور المباحثات في
 المسائل المهمة وعندها تظهر هذه الجريدة حافلة بالمقالات العظيمة التي تكون سببا لخدمة
 الدين والامة الاسلامية بما يورث فيها من الاستئالة والاجوبة التي تمحص الحقائق للمسلمين
 ثم انتقل مؤخرًا في خطابه الى الكلام عن اختلافات المذاهب وتعدد الفرق
 وبين ان هذه المجادلات والمناقشات التي تحصل بين الفرق المتخافعة عقيدة لا فائدة
 فيها بل انها كانت سببا لتفريق كلمة المسلمين فقد ظهر بالاختبار ان هذه الاختلافات
 لم تولد الا الضرر العام وأوضح في عرض حديثه ضرورة الاحتباس من المجادلات
 والمباحثات التي تحصل من بعض الفرق باسم الدين الاسلامي لأن كل فريق من
 هؤلاء الخائفين يكفر ويضلل الفريق الآخر فتخالفت له في أمور ليست من الالهية بمكان
 فيجب على من يكون صحيح الرأي في هذه المسائل ان يؤيد آراءه وأفكاره بالأدلة
 والبراهين الناصحة ثم انتقل أيضا الى البحث في أحواله الخصوصية فذكر انه شافعي
 المذهب ومقلد وما ينسب اليه بعض الناس من الدعوة الى الاجتهاد (كذا) هو ناشئ
 عن سوء التفاهم فقط وتكلم أيضا عن المذاهب الاربعة فقال ان ظهور مجتهد بعدهم
 متمسر ولا ينكر احد ان الاحوال تغيرت تغيرا محسوسا بعد زمانهم فيجب اذا ان
 تغير بعض الاحكام

وذكر لنا انه يرد في مجلته على المقالات التي تنشر في جرائد أوروبا باعترافها
 على الاسلام مستدلا بالآيات والأحاديث ولذلك حلت كتاباته واستدلالاته محل
 الدقة والاعتبار وقال انه يجب لاقناع الخصم الاستدلال من الكتاب والسنة وختم
 كلامه بأن ما ينشره في مجلة المنار يؤيد كل ما ذكر (١)

الى علماء الاسلام الاعلام (*)

« في الستانة وسائر الولايات المسماة ومصر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقزاق والهند وسائر البلاد الشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فيحضع لكم الملوك والامراء ، ونهتدي بكم الدماء ، كنتم قبتم
أو كدتم ، وبعدم عن الامة وبعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها
لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها
لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم ، فبم نجيبون ، وماذا تقولون
إذا أضغم الامة أضغم أنفسكم ، ولا تفرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام
الحكام لكم ، واعلموا ان كل ما لكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون
حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشعور بذلك على تعليم أولاده
في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آتينا مطمئنا على رزقهم
وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وإن أحدكم ليصوم وأولاده في الدار مفطرون ،
ويصلي وهم لا يصاون ولا يتطهرون ، أرضيتكم لكم ولهم بالحياة الدنيا من الآخرة ،
أم تزعموا انكم قتم بما يجب عليكم في هذه التربية الخاسرة ؟ ؟

إنكم حرمت في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض
الامور الشخصية ، وللقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة وراتبا من القاضي
بالتوانين الوضعية ، وحرمت في بعض البلاد من أكثرها ، وستحرمون فيها إذا

(*) نشرنا هذه المقالة بجرعة الحفاوة في الستانة

بقيم على حالكم من باقيا ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي تعليم الديني فيها بقية رسمية هي كالمضو الاثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد ولاكنكم ظلمتم أنفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما فعلوا في بعض البلاد فيسفلون وسيفعلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا الا يذكر في جنب ما سيفعلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا أنفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستحيوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، وان لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين الألمانية والفارسية لفرصة إن اغتنمتموها كانت القاضية لكم ، والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا ركن هذا الحكم الركين ، وحصنه الحصين ، تستعيدوا في ظله مجدكم ومجد ملكتكم وأمتكم ظلمتم أنفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقها الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مربية التعليم والتربية لأنفسكم ، فانكم لو نظرت في ذلك لسارغتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها لتحفظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكرتم تعليمها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها المالية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولامتكم ودولتكم ، ولماذا لم تفعلوا ؟ رأيت منكم من يستدر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستبداد الحكام ، ورأيت منكم من يستدر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم بقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء وانهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم الحائر الذي لا يدري كيف يستدر ، ورأيت وسمعت ما لا يتسم هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا لجميع الاسباب ، والعللة التي أراها هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلة تفاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء ، كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا اكد شيئاً كما كبد وجوب الاجتماع والاتفاق ، فان كان الشيطان قد سؤل الكثير من المخالفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لقلائنا اليوم ان يطلوا ان هذا التفرق سينتهي بالانقراض والزوال ، اذا لم تداركه بالاعتصام والالتزام ، فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وكونوا أنتم الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالعرف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم لزعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤثروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلاً نهيتهم عن التفاذل والتباين ، قد ألفوا جميعات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الضنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقوامهم ، ثم جذبوا اليه كثيراً من أهل الأديان الأخرى حتى في غير بلادهم ، أليس أولي منهم باحتكار تعليم أبناء دينكم ، وبتعميم الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزكم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضمركم ، حماكم الله تعالى ووقاكم

يخطر في بال ضملاء العزيمه منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصراني في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأتم جمعية اسلامية وأرأيتم الناس ثمرتها ، واقتسموهم بفائدتها ، وجئتوهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرقت عليهم من بواع منافعهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الأوقاف الكثيرة على المدارس والملاجي والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، وبعضهم وقف على ضمان الملفات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الاوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كنزا عظيما ، وان في ايديكم رفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان اوقاف جميع المال في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوكة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، انا اذا نحن المغبونون ، وانا اذا نحن الظالمون ، كلا ان لنا في نجدتكم أيها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من الفتن والخسر .

سارعوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولتكن جمعياتكم متعارفة متألقة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنه ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المناقشين فيكم ، الذين يوضعون خلالكم يفرقونكم الفتنة وفيكم ساءون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمعوا ، والائحاد قوة فائحدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والتسامح (والتعذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم العلماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وماعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية ونخرج الدعوة الى الاسلام ، فهل يلقى بكم ان تنكروا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن تستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام - الثمانية والارمانية - بالنواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا ينبغي معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، ومن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسة العالية ، وعدالته العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلانه لشأن الاجتماع ، ومحافظة على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاجدوا الله أن أتقذك من الاستبداد وجعل الدولة للأمة التي أنتم زعماءها واشكروا له ذلك بإتيان بمحقق هذه الزعامة لعلكم تفلحون

رمضان في عاصمة السلطنة (*)

لهذا الشهر في هذه العاصمة مظهر غريب لا نعرف له نظيراً في غيرها من بلاد الاسلام وهو يرى على أكله وائمه في قسم استانبول منها ، أما في النهار قدي أكثر المطاعم والمشارب والملاهي والمجامع العامة مقفلة لا يختلف اليها أحد ، وترى أمارات الصيام ظاهرة على أكثر الناس فلا تكاد ترى أحدا يدخن ، وترى المساجد الشهيرة عامرة بالمصلين والواعظين والمستمعين والمتفرجين الطوافين ولهذا كله نظير في البلاد الاسلامية الاخرى وانما روقه هنا بجمال المساجد وزينتها واختلاف الناس من جميع الطبقات إلى المشهور منها ولا سيما جامع اياصوفيا العظيم ، ويتبدى هذا من وقت صلاة العصر الى قرب المغرب فمن الناس من يسمع الوعظ ، ومنهم من يسمع الحفاظ ، وفي الأستانة كثير من حفاظ القرآن بعضهم من حملة العلم وبعضهم من حملة الطرايش ومنهم المرتلون المجيدون الذين يخشع المستمع لتلاوتهم مالا يخشع لتلاوة الحفاظ أمثالهم في مصر نخشوع جوارحهم واجتنابهم التطريب والتكلف والحركات التي اعتادها أكثر قراء المصريين . نعم ان أئمة المساجد هنا يقرأون القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة كما يلقون خطبتها بالنغم الموسيقي الذي يشبه نغم القسيسين في الكنائس ومنهم المسرفون في ذلك والمقتصدون

وبينا يكون الخلق الكثير من الناس في المساجد بين العصر والمغرب يكون شارع « شهزاده » مكتظاً بالرجال والنساء الذين يؤمونه من جميع أرجاء المدينة فيكون كالمعرض العام لهم حتى ان كثيراً من أفراد الأسرة السلطانية يجيئون كل يوم في هذا الوقت . وفي الخامس عشر من الشهر وهو يوم زيارة البردة النبوية الشريفة التي يسمونها « خرقة سادات » رأينا نساء القصر السلطاني ذاهبات في مركباتهن الكثيرة إلى جهة شارع « شهزاده » وليس لهذا الشارع مزية في السعة أو الجمال على غيره

(*) كتبناها في الأستانة لتشر في جزء رمضان قلم تدركه

الآن والله كان في وقت ما اوسم الشوارع وأجهاها على أن السكان في تلك الجهة
جلهم او كلهم من المسلمين وكان يكون فيه في هذا الوقت من تبرج النساء بزيتن
ومغازلة الرجال لمن مالا يكون في مكان آخر في وقت آخر الا في معاهد النزهة في
أزميتها الخاصة كالكاغدخانه ومروج (قاضي كوي) و«عيدر باشا» و«بكقوز»
وغيرها من المروج والوديان والفردان وموارد المياه والشراطي والغابات وكل ذلك
كثير في ضواحي هذه العاصمة التي لا نظير لموقعها في الدنيا ولكل معهد من معاهد
نزهتها موسم من أيام الربيع والصيف والخريف يؤمه فيها الرجال والنساء بمحلبين
الزاهية الالوان متبرجات بزيتن الخاطفة للابصار، حاسرات عن وجوههن المميلة
للأعناق، ولا تسلم عما يكون هنالك من المغازلة ولكن مع الوقوف عند حدود الادب
قلما يعتدون الا في الجاهم الكبيرة التي يجتمع فيها عشرات الالوف من النساء والرجال
كجمع عيد الخضر في الكاغدخانه

في هذه السنة عنت الحكومة بالمحافظة على الآداب الاسلامية في شهر رمضان
ومنها منع الخلعة والتهتك في معرض شارع الشاهزاده في أصل النهار كنع إظهار
الفطر وسبب ذلك انها علمت ان من تدبير الجمعية الخفية التي شاع امرها، وانكشف
سرّها، أنها كانت تريد ان تكيد للحكومة الاتحادية الحاضرة بأغراء بعض الفواجر
من النساء بالاسراف في التهلك في رمضان بصفة لم يسبق لها نظير ليبج على الحكومة
أهل الدين والفيرة على العرض، ولولا هذا لركت الحكومة الامر على حاله ولو تركه
لما وقف عند الحدود المعتادة من قبل لان الناس قد شعروا بما لم يكونوا يشعرون
به من الحرية والاطلاق في شئونهم الشخصية ودليل ذلك ما جرى من المنكرات
والفواحش في كثير من البلاد التي لم يكن يجري فيها ذلك وعدم مباح الحكومة
لشكوى أهل الدين والادب والفيرة على العرض بل قبضت الحكومة على بعض
أهل العلم والفضل لناهضتهم نساء الافرنج اللاتي جئن بلبدهم الرقص والفحش
وأرستهم الى ديوان الحرب العربي لحاكمهم على ذلك العمل الذي سمته حكومتهم
المحلية ارتجاعا ولكن قيل إن شيوخ الاسلام لما بلغه ذلك كتب الى ديوان الحرب
العربي بوجوب اطلاقهم لانهم عمارا ماهرو الواجب عليهم وقد أمسكهم ديوان الحرب

أياماً لتحقيق ثم سرّهم إلى بادهم ، وجملة القول ان الحكومة المركزية عيّنت
بمحافظة آداب الدين الظاهرة في العاصمة وحكومة بعض الولايات بإضاعتها
طالب بنا الاستطراد فنعود إلى بيان ما يتعلق بـرمضان خاصة فنقول ان وعظ بعض
وعاظ الترك هنا يشبه وعظ بعض الشيوخ الدجالين بمصر في خطط المسائل الدينية
بالخرافات والباطيل وقد وقفنا على واحد منهم في جامع أياصوفيا فإذا هو يقول في
وعظه ان الدين يأمرنا بالنذل والمسكنة والانكسار ورأينا بعض الواقفين للاستماع من
الشبان المتعلمين يتبرمون ويتأفف منه فقالت له : الواعظ يقول هذا والله تعالى يقول (۶۳ : ۸) والله
العزيز والرسول والمؤمنين ولكن المناهقين لا يعطون) ولعله لو واجهه أحد في قوله
وذكره بالآية الكريمة لذكر له أنه أخذ هذا القول من بعض كتب الفقهاء أو الصوفية
كالشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى ، وقال انما الواجب علينا ان نهتدي بأقوال العلماء
والصلحاء لا بالقرآن لانهم اعلم منا بالقرآن ، ولجعل الاحتجاج بالآية ضلالاً مبيناً لانه
يتضمن دعوى الاجتهاد وتخطئة العلماء ، فهذا ما تعودناه من مثله وما أجدر أمة تروج فيها
هذه التعاليم الباطلة ، وهذه الحجج الداحضة ، بأن تضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتكون
بها راضية متبذرة ، لا تسعى إلى العز سمية أو ترفض أمر الله ونهيه ، وهذا ما حل بالمسلمين ،
من جراء تعليم هؤلاء الجاهلين المقلدين ، فقد أعرض المستعدون لإدارة أمور الأمة
عن تعاليمهم إلى تعاليم مبنية على أساس الكفر والالحاد ، وقالوا اننا اذا بقينا على هذا
الدين فنحن سائرون إلى العدم والافتراض ، لان الأمة الدليّة المسكنة ، لا يمكن أن
تحتفظ استقلالها بين الأمم العزيرة الغنية ، فكذا يوجد فينا من يهدم الدنيا والدين ،
وحجته على المصلحين تحريم الاجتهاد وجوب تقليد جميع المؤلفين الميتين ،
هذا وان هنا وعظاً لا يوجد لهم نظير في مصر ولا في سورية وامثالها من
الاقطار الاسلامية وهم وعاظ السياسة واكثر وعاظ هذا العام يخوضون في السياسة بإيثار
الحكومة الاتحادية وقد سهل عليها هذا الايثار بأن شيخ الاسلام نهي أن يتصدى
أحد للوعظ الا من يأذنه مقام المشيخة به وهو لا يأذن الا لمن يعلم انه يقبع رغبة
الحكومة في تأييد سياستها حتى ان الجمعية العلمية عيّنت واعظين من قبلها وأذنت
شيخ الاسلام بذلك فأمر شيخ الاسلام بمنعهما من الوعظ فهاج ذلك سخط الجمعية

وجاهير العلماء واظهروا ذلك في مجلتهم « يان الحق » وما يقولونه أكثر مما كتبوه ومنه ان شيخ الاسلام ليس له حق في منع العلماء من الوعظ والارشاد وهو فرض عليهم الا اذا كان له حق في منعهم ومنع غيرهم من سائر فروض الكفاية كصلاة الجنائز مثلاً ، وزادهم سخطاً وحنقاً ما نقل اليهم من كتابته الى نظارة الداخلية بوجوب منع هذين العالمين من الوعظ بالقوة اذا هما تصدياً له ونحمد الله انهما لم يفعلوا لانهما لو فعلوا ومنعتهما الحكومة بالقوة لكان ذلك من سوء التأثير في الامة ما لا خير فيه

من هؤلاء الوعاظ السياسيون الممحمون ومنهم غير الممحمين ولعله لا يوجد في الممحمين القدر الكافي للقيام بالوعظ وبلقي ان بعض الضباط وعظ الناس في أول جمعة من رمضان في « يكي جامع » - الكاف هنا تركية تقرأ نونا - فقال في وعظه ان من الأمور المنافية للحكومة الدستورية وجود إمارة مكة المكرمة لانها عبارة عن حكومة مستبدة في ضمن الحكومة « المشروطية » فيجب إلغاؤها وان لا يكون في الحجاز أمر ولا نهي لغير الوالي ومن نعت ادارته من المأمورين ، ومن هؤلاء الوعاظ من حث الناس على أن يدفعوا ما عليهم من الزكاة لخزينة الحكومة مع علمه بأن مال الزكاة خاص بالمسلمين وله مصارف متفق عليها لا تصرفها الحكومة فيها بل تضعها مع سائر أموالها وربما تنفق منها على بناء الكنائس التي قررت بناءها للروم والبلغار - ومنهم من استنبط من إكرام النبي (ص) لكعب بن زهير (رض) بيردته الشريفة وجوب تعظيم المسكر وطاعتهم لأن سبب إكرامه هذا بعد أن كان أهله دمه هو قوله في قصيدته

ان الرسول سيف يستضاء به مهند من سيوف الله - سائل

قال والمراد بالسيف المسكر ، فهذا هو وجه الدلالة على ما استنبطه ، ومنهم الذين يدور وعظهم على طلب الاعانة للاسطول فهم يفسرون الآيات الآمرة بالبذل يستوكون بها الألف ومنهم من يجمع الدراهم والدنانير في درسه رأينا اسماعيل باشا مبعوث طوفاً يفعل ذلك وهو الذي قال في درسه ان الاسلام عبارة عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أي فسادة الاسطول أحد شطري

الاسلام ، وقد وقفنا على درسه فأعجبنا منه حثه على الاهتداء بالقرآن وتصريحه بأنه لا حياة لنا الا به ، ومما قاله ان هذا القرآن أنزل علينا لأجل أن نكون به سادات العالم ومالكي الممالك كلها ، وبلغنا عنه كلام غريب في تأييد جمعية الاتحاد والترقي وكذا عن غيره ولا نخوض في ذلك وان قال بعضهم ان كلمة التوحيد معناها الاتحاد والترقي فالجمعية عين الاسلام وواضحها هو الله تعالى وكل مسلم هو من افرادها ، وعلى هذه القاعدة يكون من فيها من اليهود والنصارى مسلمين ولكنهم لم يصلحوا بذلك

ووقفنا في مجلس أحد العلماء في جامع أياصوفيا فإذا هو احسن من رأينا في هذه المدينة وعظا وهو يدافع عن الاسلام وعن علمائه بعقل ويعرض بالشبان المتفرجين المارقين يقول يظن بعض شبانا ان الاسلام يحول دون الترقى وان العلماء هم الذين يمنعون المسلمين من وسائله وهو لا يعرفون بما لا يعرفون فان الاسلام هو دين الترقى والمدينة والعمران وحمته من العلماء هم الادلاء على ذلك وما اصحاب المسلمين من خير وسعادة فمنهم (قال) أرايتم هذه المدينة ان فاتحها السلطان محمد هو « خوجه » من اصحاب المهائم وهكذا كان جميع الفاتحين الذين اسسوا ملك الاسلام يمتاز علماء الآستانة على علماء مصر بالالمام بالسياسة علما وعملا وسبب ذلك أن الكثير من ابواب أعمال الحكومة مفتحة لهم ويكون منهم الوزراء و رؤساء المحاكم وغير المحاكم وناهيك بمنصب القضاء الشرعي في الدولة فان القاضي الشرعي يكون رئيس محكمة الحقوق والمضو الاول في مجلس الادارة وله وظائف أخرى في الحكومة ولو كان العلماء مستعدين كما يجب لكان زمام القضاء كله والادارة بأيديهم وميساب القضاء الشرعيون بعض ما كان لهم في هذا الدور من الحكومة والحق ان ما كان لهم هو كثير جدا

ليالي رمضان في استانبول

ذلك ما احببنا بيانه في أيام رمضان وأما لياليه فهي ليالي سرور وهو وعزف

وقصيف ، وتسم المعازف الوترية - كالعود والقانون والكنجا - وغير الوترية في أكثر الملامهي التي تدعى في البلاد العربية بالقهادي وفي البلاد التركية بيوت القراءة (قراءتخانه لر) وفي غير هذه الأماكن أيضا فتعجب الإنسان من كثرة المعازف في هذه العاصمة وسبب ذلك أن لاهلها نساء ورجالا عناية بالمزف والموسيقى ويعلمون ذلك في مدارس خاصة وتري اصحاب الطبول الكبيرة يجولون في الشوارع من أول الليل الى وقت الامساك قبيل الفجر ، وناهيك بدور التمثيل والرقص ولعل أكثر الناس يسهرون الليل في القهوه والسرور الا قليلا ، والتزاور في الليل معتاد أيضا كما نهود في مصر وسورية ولكن لا يوجد في البيوت حفاظ يرتلون القرآن كما يوجد في مصر

وقد ظهر لي ان لصلاة الجماعة وصلاة التراويح من الاقبال والعناية في الآستانة فوق ما لها في مصر فالمصلون فيها أكثر ، ومكثهم في الصلاة يكون أطول ، ولكنك ترى أكثر المصلين في بعض المساجد من العسكر وتجد عددا كثيرا من الصبيان ولا يخفى أن العسكر كله كان يكون من خارج الآستانة وبعد الدستور صار يؤخذ منها أيضا

نساء الآستانة في رمضان

يمتاز نساء الآستانة على نساء البلاد العربية بالصلاة في المساجد يقل ذلك منهن في غير رمضان ويكثر فيه حتى ان من المساجد الصغيرة ما هو خاص بهن لا يدخله من الرجال الا الامام الذي يصلي بهن والواعظ الذي يعظهن بعد الظهر وقد يكون الامام هو الواعظ ومنهن من يصلين في الجوامع الكبيرة وقد اتخذن في هذه السنة حظائر في مؤخر المساجد تحجبهن عن الرجال فيها ويدخلن من باب خاص بهن ، وإنك لتراهن قبل العشاء بنصف ساعة أو أكثر ذاهبات الى المساجد افرادا واسرا بالأم وبناتها والجاراة وجاراتها منهن المتلفعات بالملاآت والحبر ، ومنهن لا بسات الأردية والجلب ، وأكثرهن سافرات ، ومنهن من تصلي التراويح في بيتهن وهذا مما يفضلن به نساء مصر وسورية ، اني أرى أن اختلاف النساء الى المساجد يعطي نفوسهن ويرفع قيمتهن في نظر صواحبها وقد كن يصلين في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حمل المسلمين على منعهم منها في أكثر البلاد إلا شدة الغيرة وكراهة تبرج بعضهن في غدوهم ورواحهم ونساء الآستانة من هذا التبرج حظ عظيم وناهيك بالمبتخترات في الشوارع والسبع في أيديهن يعشن بها فتكون أشد جذبا لأبصار الرجال اليهن من سائر حليهن وزينتهن ، وكأني بهن يحجن من يعترض عليهن في ذلك بقول تلك الشاعرة العربية

ولله مني جانب لا أضيعه ولله مني وإخلاعة جانب

ومن زينة الآستانة في ليالي رمضان قناديل منارات المساجد ولكل مسجد من المساجد الكبيرة هنا منارتان على الأقل وبعضها أربع منارات ولجامع السلطان أحمد ست منارات فهم يمدون حبالا بين المنارات ويكتبون بالقناديل فيها كلمات : بسم الله ، الله محمد ، حسن حسين ، نور على نور ، يا حنان ، يا رمضان ، خوش كادي ، وأمثال ذلك وما يكتب بين منارات هذا المسجد الليلة يكتب غيره في الليلة الأخرى ، وما يكتبونه يقرأ من الأماكن البعيدة لوضوحه وسمته ، فهذا نأ تاريخي عن حال أهل الآستانة في رمضان لا يخلو من القوائد وربما يتغير بعضه في السنين الآتية فيكون مما يعرف به الفرق بين الماضي والآتي

حجاب المرأة في الاسلام (*)

أما ما ورد في القرآن والسنة في هذه المسألة من الآداب فهو قاصر على ما يأتي :
(١) الأمر للرجال بغض النظر عن النساء بغض الغض وكذلك للنساء فقال تعالى (ينعضوا من أبصارهم) و (ينعضن من أبصارهن) فإن الواجب أن لا يطل الإنسان النظر إلى وجه جميل يخشى منه الفتنة فإن له النظرة الأولى وليس له الثانية . وقد سوى الله تعالى في أمر الغض الرجال بالنساء وهو يشمر بأن كلا الطرفين مكشوف للآخر

(٢) نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كثرة الخروج من بيوتهن فان طبيعتهم تقتضي ذلك بسبب ما يصيبهن من حيض وحمل وولادة ونفاس ورضاعة وتربية الاولاد وادارة المنازل وملاحظة خدنها وجميع شؤونها وأعمالها . فالطبيعة في الحقيقة تارزمن بالقرار في البيوت في أغلب الاوقات لان أعمالهن وشؤونهن لا تسمح لهن بكثرة الخروج ولذلك قال الله تعالى مخاطباً نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فان كثرة خروج النساء مذموم ومضیعة لأعمالهن وشرفهن فلا يجوز لهن الخروج الا لضرورة (والضرورات تبیح المحظورات) فان كان ثم موجب للخروج جاز ذلك والا فلا. فمن موجبات الخروج قضاء بعض المصالح أو الحاجات اذا لم يوجد من يفعل ذلك لهن والسعي وراء العيش كذلك والسفر للحج والريضة البدنية والعقلية في الاماكن الخلوية والتمتع برؤية المناظر الطبيعية والصناعية المباحة (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وذلك في بعض الاحيان لاني أكثر الاوقات كما تفعل نساء الافرنج في الملاهي (والتيارات) فان ذلك من الافراط المذموم في الاسلام

قال بعض أهل النظر ان الامر بالقرار في البيوت هو خاص بنساء النبي لعدم حاجتهن للخروج في تلك الازمنة ولوجودهن في بيوت خاوية اذ ذاك قليلة السكان مستشعدا على صحة رأيه بسياق الآيات في سورة الاحزاب و بافرادهن بالخطاب في هذه الآية مع اشراكن بغيرهن في آية (قل لازواجك وبناتكن وبنات المؤمنين) حتما أراد أن يكون الامر فيها عاما للجميع وهو قول وجيه ولكننا نحن لا نرى مانها يمنع من كون المراد بأمر القرار جميع نساء الأمة وانما اختصاص نساء النبي (ص) بالخطاب هو لانهن أولى الناس بذلك كما سبق بيانه ولشدة الرغبة في حسن سمعتهم وتطهير أعراضهن من كل شائنة كما قال تعالى في آخر الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فالامر بالقرار في البيوت هو لنساء المسلمين واجب عندنا ولكنه لنساء النبي أوجب . ويصح أن يقال أيضا ان هذا الامر للجميع هو الارشاد والندب لا الوجوب ونساء النبي بهذا الارشاد أولى من غيرهن ولذلك قال في أول هذه الآية (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن)

(٣) حرم الاسلام الخلوة بالاجنية تحريماً باتاً لا هوادة فيه ونهى القرآن الشريف عن الدخول على النساء في خدورهن ومخاطبتن في منازلن الا من وراء حجاب لأن استباحة حرم النساء والدخول عليهن في بيوتن ومخاطبتن من غير حائل يؤدي الى الخلوة بهن أو مفارلتن أو رؤية شيء من زينتن أو عوراتن لأنهن في البيوت يكشفن منهن ما لا يكشفنه في الخارج ويبدن فيها لأزواجهن من زينتن ما لا يبدنه لغيرهن ولا يجوز الاطلاع على شيء من ذلك قال الله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات - الى قوله - ثلاث غورات لكم) الآية وقال أيضا في آداب البيوت (لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم - الى قوله - وإذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي فخطبوهن من وراء ستار ولا تدخلوا عليهن فأين هذا المعنى المفهوم من السياق من دعواهم انها تدل على تبرقم النساء وانتقابهن في الطرقات فستان ما بين هذا وذاك ، وإذا وجد داع للدخول عليهن في خدورهن وجب الاستئذان وتبنيهن اذلك حتى يخفين زينتن وغوراتن واصطحاب أحد محارمهن قال عليه الصلاة والسلام في حق المرأة (لا يدخل عليها رجل الا ومعه محرم) فهذه الآداب هي خاصة بالبيوت . وللطرقات آداب أخرى غيرها والآية السابقة هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب كما قلنا وهي مع ذلك لا تدل على شيء مما زعموا

(٤) ومن آداب الاسلام اصطحاب المحارم في الخروج وعدم السفر الا معهم والخروج الا باذنهم وعلمهم فلا يجوز لامرأة أن تخرج إلا باذن زوجها أو تسافر الا مع ذي محرم وقد جرى عمل المسلمين على ذلك من عهد الرسول وورد في ذلك كله أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام (لا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذي محرم) وقال (لا تسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعه محرم) وقال (لا تسافر المرأة بريدا الا ومعه محرم محرم عليها)

(٥) نهى القرآن الشريف عن التبرج بقوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية

(الاولى) وعن ابداء أي شيء من زينتین فی الطرقات سوى الوجه والكفين (ولا يبدین زینتین الا ما ظهر منها) وأمر بضرب الخمر (وهي أغطية الرأس) على الجيوب وهي الشقوق التي تكون في ملابس المرأة فوق صدرها ومنها تظهر النهود فقال (وليضربن مخمرهن على جيوبهن) وألزمین إطالة أثوابهن من جميع أطرافها حتى لا يظهر منها الضيق ولا الذراعان ولا الساقان فقال (يدين عليهن من جلايبهن) وهي الثياب التي تسمى الآن بالجلاليب أي انه يجب على المرأة أن تطيل أطرافها وتعدّها عليها حتى لا يظهر منها سوى الوجه والكفين أما الرأس فانه عندهن مغطى بالخمار لعدم جواز كشف الشعر . وهذه الملابس المذكورة في القرآن هي أشبه شيء بملابس نساء الفلاحين في مصر الآن ويمكن عملها بطرق أخرى كثيرة (مودات) بحيث لا يظهر من المرأة الا ما أباح الدين ظهوره وهو الوجه والكفان . فهذه هي آداب الطرقات .

ومما تقدم تعلم أن البرقع أو النقاب ليس له في الاسلام أثر ولا عين ولا ندري من ابن أتوابة في الدين ان هو الاعادة ورثوها عن الام الاخرى وهي لاخير فيها بل فيها كل الضرر كما ينافي ذلك ولذلك لم يرد لها ذكر في الاسلام . فلو التزمت نساء المسلمين ما أتى به دينهم القويم من الآداب المذكورة هنا لفقن نساء العالم في العفة والفضيلة والكمال والاحتشام بدون أدنى احتياج للحجاب والا فقل لي بأبيك أي ضرر يلحق بنا اذا تركنا الحجاب واكتفت نساؤنا بما أمرن به في الدين فأظهرت المرأة وجهها وكفيتها فقط وغضت من نظرها (وكذلك الرجال كما أمر القرآن) وسارت في طريقها غير متبخترة ولا متبرجة ولا مزينة . وأقلت من الخروج من بيتها الا لموجب واذا خرجت اصطاحت أحد محارمها ولا تخرج الا باذن زوجها وبعلمه ولا تسافر الا مع ذي محرم ولا تخلو بأجنبي عنها ولا يخاطبها رجل في بيتها الا من وراء حجاب . فقل لي بأبيك اذا عمل المسلمون بهذه الآداب الشريفة فأی ضرر يحصل لنا ؟ وأي حاجة لنا بالبرقع والنقاب وهما قد جريا علينا من المصائب ما قد جريا ؟ فهل اذا التزمت نساؤنا آداب هذا الدين أفلا يفقن نساء العالمين ؟

على هذه الآداب الاسلامية جرى نساء سلفنا الصالح فكن يأتين المساجد ويحججن ويفشين الأسواق ويسعن الجرحى في ميادين القتال ويخرجن في افلوات للرياضة ولا تستشاق الهواء ويخطبن على الرجال ويحضرن مجتمعاتهم ويناقشن الامراء وهن في كل هذه الاحوال مكشوفات الوجوه وكن يقن نساء العالمين في العفة والفضيلة ولم يكن هذا الحجاب معروفا بينهن وانما هن أخذنه بعد طول اختلاطهن بالامم الاخرى وتقليدهن في جميع أمورهن . وقد كثر بحث الفقهاء في الحجاب بعد القرن الثاني حينما امتدت الحضارة بين المسلمين وتطقت الامراء به لبعضهم أن يرى نساءهم وجواريتهم أحد من عامة المسلمين وقد قلدهم في ذلك أهل الطبقة الوسطى والعليا من سكان المدن ووجدوا من الفقهاء من يفتيهم بأنه من الدين (وهو ليس منه في شيء) . أما نساء المسلمين الآخرين البعيدات عن المدن وعن قصور الملوك والامراء فبقين على ماورثته عن أسلافهن من السفور الى يومنا هذا . ولو كان الدين الاسلامي هو الأمر بالحجاب لوجدته بين جميع الامم الاسلامية في سائر الطبقات وفي سكان المدن والافلوات وفي سائر الاوقات ولما وجدته عند الامم الاخرى غير الاسلامية قبل الاسلام وبعده كقدماء اليونانيين (الروم) والحق يقال ان الاسلام بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وجميع ما قيل فيه ليس له أصل في الكتاب والسنة وانما هو من اجتهادات الفقهاء المحدثين بعد القرن الثاني وفتاويهم ولسانا مزينا باتباع آرائهم وأفكارهم الزائدة عن الدين بل يجب رفضها رفضا باتا وخصوصا اذا أدت الى ما أدى اليه الحجاب الآن بين المسلمين مما سبق بيانه . فالعاقل من اكتفى بأوامر الدين ولم يعبأ بهوس المخرفين ولا بآراء الجاهلين وترك الابتداع في الدين أو تحريفه عن معناه القويم . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (وذکر فان الذکری تنفع المؤمنین)

(النار)

البرقم معروف عند العرب قبل الاسلام وفي كتب اللغة انه كان خاصا بالدواب ونساء الاعراب كأنهن لكثرة بر وزهن في الشمس كن يقين به وجوههن منها ثم صار من آيات الحياء والحشمة ، قال توبة بن الخير

وكننت اذا ماجئت ليلي تبرقعت وقد رايت منها الفداة سفورها
وينسب الى ذي الرمة

اذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع

يريك عيون الدمى غرة ويسفر عن منظر اشتم

وقد بينا في المجلد الثاني من المنار ان الخلاف في هذه المسألة في مصر انما سببه العادات لا المحافظة على الشرع وعدم المحافظة عليه فلا يوجد احد ممن شم رائحة الشرع يقول ان ما يشكو منه اعداء الحجاب من الملات والبراقع هو شرعي ، وما كنت احب ان تثنى الفادة على هذه العادات باسم الحجاب الشرعي . والآية التي ذكر فيها الحجاب خاصة بنساء النبي (ص) حتما كما بينه المحدثون ولا سيما الطحاوي في شرح الآثار ولكن أطلق على عادات نساء المدن المسلمات في السترا سم الحجاب فلاجل هذا ينتقدها الكتاب في هذا العصر بهذا الاسم

كثير خوض الكاتين والكاتبات بمصر في هذه المسألة في هاتين السنين وكذلك يفعل الكاتبون والكاتبات في الآستانة وقزاق والقريم والهند أي في البلاد التي سرت اليها عادات المدنية الحديثة فأكثر المهاجرين للحجاب أو للعادات التي نسمي حجابا من المتفرجين الذين يرون تقليد الاوربيين في عاداتهم واكثر الذين يردون عليهم من الذين يكرهون هذا التقليد ويرونه ضارا والدكتور توفيق صدقي من المعتدلين المستقلين في رأيه ولكن تغيير العادات في الأمة لا يمكن أن يكون بمجرد اقامة الحججة على كونها مخالفة للشرع أو للمصلحة أو موافقة لها وانما يكون بالتغيير التدريجي في التربية والتعاليم الذي تتغير به الآراء والافكار والميول والريجات فني كثير الذين يرون تغيير العادة يتجربوا بعضهم على التغيير بالفعل فينبه من يوافقه في الرأي ويتبعهم المقلدون الذين لا رأي لهم ومحبو الجديد كيفما كان . وربما كان الانتقال السريع من العادة القومية الضارة الى ضدها ضارا ، وقد بدأ نساء الآستانة في تغيير العادات بما هو امثل من التغيير الذي نراه بمصر

بيننا غير مرة أن حكم الشرع في المسألة التي بسمونها مسألة الحجاب هي أن لا تخلو المرأة برجل من غير محارمها وأن لا تبدي زينتها لرجال بابداء ما لا ضرورة

الى إبدائه من بدنها وهو ما عدا الوجه والكفين ، ومن المشاهد ان لا بات
الملاآت والخبر والبراقع التي يشكو منها اعداء الحجاب يدين من زينته
ما لا حاجة الى إظهاره فاذا كان هذا هو الحجاب فالشرع يرى منه وإنما يريد
أعداء الحجاب شيئاً آخر غير ترك هذا النوع من زينة النساء يريدون أن يباح
اختلاط الرجل بالنساء في البيوت والجامع العامة والخاصة وان يشارك النساء الرجال في
جميع أعمالهم أو أكثرها ، يريدون أن يكون هذا فجأة لا أن يكون أثراً طبيعياً لربية
جديدة وتعليم جديد كما كان يطلب زعيمهم قاسم أمين ، والالما كثروا من طلب النتيجة قبل
المقدمات والمسبب بدون اتخاذ ماله من الاسباب بل يريدون أن يكون سبب ذلك اقناع
الجمهور به في الجرائد ولا يتدبرون ما يكون وراء ذلك من الفساد وفوضى الآداب
وقد جاء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بشفة
سراي (القريم) بأسلوب جديد للاقناع فكتب ان امرأة من سروات النمسة
غنية لما أملاك ومعامل تدبر نظامها بنفسها قد كتبت اليه تقول انها اطلعت على حقيقة
الدين الاسلامي فأعجبها واعتقدت انه الحق واحبت الدخول فيه ولكن صدها
عنه شيء واحد هو الحجاب فانها لا تستطيع ان تستر وجهها وتحول بينه وبين الهواء
والنور ولا أن تكل أمر مصليا في ادارته ونفقته ودخله الى أحد سواها فهل يقبل
إسلامها مع بقائها على ما كانت عليه من كشف الوجه ومزاولة الأعمال مع الرجال
مع تقبها بحفة نفسها أم الاسلام يجعلها متهمة في عفتها ويحرم عليها كشف وجهها
والنظر في مصالحتها ؟ وكيف يسمح للمسلم أن يتزوج نصرانية ويأمره أن يأذن لها
في البقاء على عاداتها من السفور والذهاب الى الكنيسة ولا يرى ذلك حداثا لمقتها
أورد اسماعيل بك هذا السؤال الذي ذكرناه بالمعنى الذي بقي في ذهننا
وقال انه لا يمكنه الافتاء به بل يعرضه على علماء الاسلام في روسية وآستانة ومصر
والهند ومخاري وغيرها من البلاد الاسلامية ويطلب منهم بيان الحكم الشرعي ليكون
هو القول الفصل في هذه المسألة ، كأنه يطلب اتفاق العلماء أو إجماعهم لتقطع جبهة
قول كل خطيب ، وقد تقل ذلك عنه بعض جرائد الآستانة ولما انطلق على جواب لأحد

الخطب سهل فلا يمكن ان يقول أحد من العلماء ان صحة اسلام تلك المرأة تتوقف على ستر وجهها وترك أعمالها المالية فأما الأعمال المالية في نفسها فهي مباحة للنساء كالرجال بالأجماع وأما ستر الوجه فقد قال بعض العلماء بوجوبه لسد ذريعة الفتنة لئلا نه بما تتوقف عليه العفة وما وجب لسد الذريعة يباح للحاجة فضلا عن الضرورة وهي أعلم بحاجتها وثقتها بنفسها على ان أكثر نساء المسلمين في البدو والقرى وبعض المدن كالأستانة يكشفن وجوههن ولعل اللواتي يسترن وجوههن فلا يراها غير محارهن لا تبلغ نسبتهن الى الطامعات نسبة الواحد الى الالف ، ومن العلماء من يرى ان وجوب ستر الوجه ليس من أصل الشرع ولم يكن في اول الاسلام لئلا تلهو ولا لسد الذريعة وإنما قال به العلماء بعد ما دب ديب الفسق في المدن الاسلامية ويرى جميع علماء الاسلام ان اسماعيل بك قد أخطأ في ارجاء إفتاء تلك المرأة بصحة اسلامها انصح ان الواقعة أصلا لان من يطلب الدخول في الاسلام لا يجوز إرجاء قبوله ساعة ولا دقيقة وإذا صح هذا فلا يقاس عليه إباحة مثله للنساء اللواتي نشأن على عادة ستر الوجه وعدم معاملة الرجال لما يترقب على الانتقال الفجائي من ذلك الى ضده من المفاسد التي لا تقابلها مصلحة حقيقية ناجزة وان وقفن فيه عند حد ما يبيحه الشرع فكيف وهن يتعدينه حتما حتى الى المشق ومطلب الزواج بغير المسلمين !!! وقد سمعوا بخبر التركية مع الرومي بعد الدستور الذي قطعه الترك في الأستانة إربا إربا وصفوة القول ان هذه المناظرات في الجرائد لا تأتي بما يفي به المتأظرون ، وإذا ظلت مصر والأستانة وما مائهما من بلاد المسلمين على ما نراه من التفرج التدرجي فسيكون نساؤنا نساء الأفرنج في شرم ما هن عليه ينتهين الى ذلك بالتدرج السريع او البطيء كما سبق وجائنا المتفرجون في الغالب الى شرم ما عليه الأفرنج من السكر والزنا والفحار ، وأما اذا وجدت جمعيات اسلامية تتولى التربية والتعليم للبنات مراعية حاجة العصر مع حفظ آداب الدين وأحكامه فيمكن أن تكون المرأة المسلمة خير نساء العالمين أدبا وعلماء وفضيلة مع القدرة على النظر في مصالحها ومصالح بيتها واتقاء كل ما يهدد من ضرر العادات التي تنسب الآن الى الحجاب وأهمها الخطبة والنظر الى الخطية وحفظ المرأة لاموالها وحقوقها فالعبرة بالأعمال وإنما العمل في مثل هذا للجمعيات الخيرية

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ حياة الناسك ﴾

(في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك)

العبادات العمادة الظاهرة لاجال الخلاف في اركانها واجبا لانها قلت بالعمل الذي لا يحتمل التأويل ولذلك ترى صلاة السنين على اختلاف مذاهبهم والشيعية الامامية والزيدية والخوارج الاباضية وغير الاباضية كلها واحدة وانما وقع خلاف بينهم في بعض الاعمال غير المفروضة كرفع اليدين عند الركوع والقيام والقنوت في صلاة الفجر وسبب هذا الخلاف أن النبي (ص) فعل ذلك في بعض الاوقات وتركه في بعضها لسبب أو لغير سبب يعرف فأخذ بعضهم دائما برواية الفعل وبعضهم برواية الترك أو عدم الفعل وكان الاظهر فيما عرف سببه ان يناط به وما لم يعرف سببه ان يفعل تارة ويترك أخرى ولا يختلف طوائف المسلمين فيه فان الاختلاف في الاعمال من اسباب اختلاف القلوب كما يعلم من احاديث الامر باستواء الصفوف في الصلاة ومن التجربة الدالة على كون ذلك من سنن الله تعالى في خلقه وقد اهتموا الى هذه السنة الام العلية بطباع النفوس واخلقها وسنن الاجتماع فاجتهدوا في جعل افرادهم متقربين في الاخلاق والآداب المنزلية والاجتماعية والعادات في اللباس والطعام والشراب وغير ذلك وكان هذا من اسباب اتحادهم وقوتهم واستيلائهم على البلاد الاسلامية وغيرها . وهذه هي الحكمة في تشديد النبي (ص) في تسوية الصفوف بقوله «تسوّون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» أو قال بين وجوهكم رواه الشيخان في صحيحيهما واصحاب السنن من حديث الثعلبي بن بشير (رض) والوجه يراد بها القلوب ، فهل قدرنا هذا القسم حتى قدره وبجئنا

وبحثنا عن حكمته وسره ؛ انما حكمته وسره ما ذكرنا وفي معناه التشديد في رفع الرأس قبل الامام ولكن وجد في خلف المسلمين أقوام فتناووا بحسب الخلاف فصاروا يتفقون بأوهى الروايات وأضعفها ليخالفوا سائر اخواتهم في عمل ما ولا سيما اذا كان دينيا . وكنا نرى ان أغرب خلاف بين المسلمين في صلاتهم هو إرسال اليدين في الصلاة الذي جرى عليه اخواننا المالكية لانهم خالفوا سائر المسلمين فيه بل لاننا لم نعرف له أصلا في كتب السنة لا في موطأ الامام مالك ولا في غيره فكنا نقول كيف قال بذلك عالم دار الهجرة ولم يرو هو ولا غيره فيه شيئا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من اصحابه (رض)

وقد كشف الغمة في هذه المسألة صديقنا الشيخ محمد المكي بن عوزر في رسالة له سماها (حياة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك) فبين بالنقل الكثيرة عن اشهر علماء هذا المذهب انه لا خلاف بين المسلمين في هذه المسألة فذهب المالكية كسائر المذاهب فيها وأن سبب ما جرى عليه المالكية منذ قرون هو رواية لابن قاسم في المدونة عن مالك معناه الذي اوضحه المحققون انه يكره القبض بوضع اليمنى على اليسرى اذا قصد المصلي الاعتماد والاستناد لاجل الاستراحة وخص ذلك بصلاة الفريضة والمراد انه يكره لمصلي الفريضة ان يقصد الاعتماد والاستناد بقبض يديه وانما ينبغي أن يقصد بذلك السنة ، ونقل عن كثير من فقهاءهم التصريح بأنه لو فعل ذلك لا للاعتماد بل تسننا لا يكره وانه لا يكره في النقل ولو قصد به الاعتماد ، وان في هذه المسألة لعمدة يتبين بها الفرق بين المقلدين العميان الذين لا بصيرة لهم في دينهم وبين أهل البصيرة من المستقلين والمتبعين للأئمة والفقهاء قلنا مرارا إنه يجب على جميع المسلمين أن يهتدوا بالكتاب والسنة وان ذلك لا يمنعهم من اتباع أئمة العلم والافتاء بكتبهم فالمتبع لهم حقيقة لا تنقطع صلاته بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما المقاد الأعشى الذي ينبع آباءه ومشايخه من حيث لا يعلم وجه صلتهم بالكتاب والسنة فهو منقطع عن تلك الهداية غير مهتم بمجمل الله كما أمر عز وجل فهو يأخذ عنهم الحكم الموافق لا من حيث انه موافق ويأخذ عنهم الحكم المخالف وقد يدري انه مخالف وشبهته وشبهة من

قدم ان أولئك الأئمة أعلم منا بالكتاب والسنة فيجب أن نتمد على فهمهما دون فهمنا ونحن على تقدير تسليم ان الله يكلف كل إنسان بما يفهمه من يظن هو أنه أجود منه فهمها قول أولاً ان معنى اتباعنا لهذا الجيد الفهم هو أن نتلقى عنه الكتاب والسنة ونعمل بما يلقىه إلينا من فهمه لها وما عليه جماهير المقلدين من الخلف الجاهلين ليس كذلك فإن أحداً منهم لم يتلق شيئاً عن إمام مجتهد وإنما يتلقى دينه من آباءه ومشايخه المقلدين كما فهموا من مشايخهم المقلدين ومن كتب أمثالهم عصرًا بعد عصر وقد يكون مشايخنا مخطئين فيما فهموا من مشايخهم ومن كتبهم وقد يكون من قبلهم كذلك مخطئين وهكذا كما أخطأ الملايين من المالكية قرناً بعد قرن في ترك سنة قبض الدين وعزوا ذلك الى مالك خطأ في فهم رواية ابن قاسم عنه : فما جاز في هذه المسألة عليهم ووقع منهم بجور مثله على غيرهم ويقم منهم بل هو واقم لا محالة فان المسائل الخلافية الكثيرة لا يسفل أن يكون المصيب فيها دائماً واحداً وإنما يكون كل منهم مصيباً في بعضها ومخطئاً في البعض الآخر وحكم الله في مثلها ان ترد الى الكتاب والسنة فإنها هي المسائل المتنازع فيها وقد قال عز وجل : فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً أي ردوه الى كتاب الله ورسوله في عصره والى سنته بعد وفاته

فلو جرى الخلاف منا على سنة سلفنا الصالح في جعل علم الدين بياناً للكتاب والسنة دائماً لما استمر الجمهور منا على الخطأ في شئ - زمنا طويلاً ولما تفرقت كلمتنا ، واوجعلنا الواسطة بيننا وبين الكتاب والسنة كلام الأئمة المجتهدين الأولين وخدمنا لما بعدنا عنها هذا البعد الشاسع لا سيما اذا اتبعناهم فيما أمروا به من رد كلامهم الى كلام الله وسنة رسوله دون العكس ولكن الوسائط كثرت بيننا وبينهم جداً فنهض مخدوعون بدعوى اتباع الأئمة ولم تلتق عنهم ولم تقرأ ما كتبوه بأيديهم وليس لأكثر ما نعزوه إليهم أسانيد متصلة كأسانيد السنة نميز بين صحيحها وضيفها وموضوعها بالرجوع الى تاريخ رجالها

وجملة القول إن هذه الرسالة (هياة الناسك) قد جاءت حجة ناصمة على المقلدين

الصيان الذين يزعمون انهم باتباع آباؤهم ومشايخهم آخذون بما فيه الائمة المجتهدون عليهم الرحمة والرضوان من الكتاب والسنة ومستقنون به عن دراستها وفهمها والاهتداء بهما مباشرة أو بواسطة ما فسرهما به الائمة فقط

هذا وان اكثر الناس يؤثرون ما اعتادوه على ما يصح عن الائمة كما يؤثرون على الكتاب والسنة وسترى هؤلاء يصرون على سدل أيديهم في الصلاة ولا يرجعون عنه بعد ما بين لهم هذا العالم الواسع الاطلاع ان مذهب مالك واصاطين علماء مذهبه هو مذهب سائر المسلمين الثابت بالسنة الصحيحة قولاً وعملاً وانما يرجع الى ذلك بعض الفقهاء الذين يؤثرون الحق على العادات والتقاليم الموروثة وهنا يظهر فضل علماء المالكية فان رجعوا بالعامه الى العمل بهذه السنة ومراقبة المتبعين الى سائر الائمة فذلك مما يحمدهم ويحمد الله على توفيقهم الحق والانصاف

وانما نذكر عناوين أبواب الرسالة ترغيباً للناس في مطالعتها والاعتبار بها وهي عشرة (١) في نصوص الفقهاء على مشروعية القبض وكراهة السدل (٢) في تأويل رواية ابن القاسم كراهة القبض (٣) في احتجاج الفقهاء المحققين لسنة وضع اليد على اليد في الصلاة (٤) في اتفاق جميع شرائع الانبياء على سنة ذلك (٥) في ان القول المشهور لا ينحصر في المدونة (٦) في الفرق بين المشهور والراجح (٧) في محل اليدين عند الوضع (٨) في تكميل مهم قاطع للنزاع في المسألة (٩) في مندر الأفاضل الذين كانوا قائلين بالسدل (١٠) في جواز الافناء بالسدل لمن علم كراهته وكونه بدعة . فجزى الله المؤلف الجزاء الاوفى فانه لم يؤبد السنة على البدعة فقط بل أيد الاصلاح الاسلامي بتأييد هذه السنة وكشف شبهة البدعة عن وجهها وهكذا يكون نعم العلماء المستقلين الذين لا يكتفون بما ورثوه عن الآباء والمعاشرين بل يطلبون بأنفسهم الحق اليقين

﴿ حسن الصحابة . في شرح أشعار الصحابة ﴾

الشعر ديوان العرب ، ومادة الادب ، وخير اشعار العرب وأقربها شعر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فان فيه ما في شعر الجاهلية من الفوائد وزيادة . فانه يشارك شعر الجاهلية في ضبط من اللغة وجواز الاستشهاد به في بيان فنونها من النحو والصرف والبلاغة والاستعانة به على فهم القرآن والحديث وغير ذلك من الفوائد كتاريخ العرب وأنسابهم وسائر شؤونهم ويزيد عليه بما فيه من النزاهة والآداب ويبان نشأة الاسلام ومبدا تاريخه وشي من فضائله وآدابه ، فالرغبة في تحصيله يجب أن تكون أقوى والناية به ينبغي أن تكون أتم ، وقد كان متفرقا في كتب السير والتاريخ والادب فوفق الله له من عني بجمعه وشرحه ليسهل تحصيله ودروسه وحفظه وفهمه ، ذلك الذي ادخر الله له هذه المنفعة هو الشيخ علي فهمي بن شاكر المستاري المعروف بلقب « جابي زاده » الذي كان مفتيا في هرسك ثم هاجر الى القسطنطينية وصار مطلقا للادبيات العربية في دار الفنون أعلى مدارسها وأرقاها

لقيت هذا الرجل الصالح فأقيمت عنده من الناية بأشعار العرب وأنسابها ما لم أجده أومثله عند أحد في دار السلطنة الا ان يكون الشيخ محمد خالص (افندي) وكيل الدرس في المشيخة الاسلامية على ما عند علماء هذه الديار من الضعف في هذه اللغة لتلقيهم علومها الآلية والشرعية بالترجمة لان السياسة قضت بأن لا تقوى اللغة العربية في العصر التركي ، بل أقول قلما يوجد في مصر وسورية من له عناية بأنساب العرب وأشعارهم وآدابهم كهذا العالم المستاري الهرسكي الذي نشأ في ظل حكومة النمسا نشوء العلمي

رتب المؤلف ما جمعه من أشعار الصحابة على حروف المعجم وقد طبع الجزء الأول من شرحه لما بلغت صفحاته ٣٦٢ وهو من قافية الهزج الى قافية الدال . ومن طريقته في هذا الشرح أنه يترجم كل صحابي له شعر عند ذكر أول شعر له ، وهو يعزو كل شعر الى الكتب التي نقله منها وما كان مختلفا في غزوه الى صاحبه ذكر

الخلافا في ذلك ، ومن طريقته في الشرح انه يفسر المفردات ويبين معاني الجمل ويشرح الوقائع التاريخية التي تشير اليها الآيات ويأتي عليها بالشواهد والأمثلة أحيانا ويبين إعراب بعض الجمل عند ما يرى حاجة الى ذلك .
والكتاب يباع في مكتبة المنار وثمن النسخة منه اثني عشر قرشا ماعدا أجرة البريد فنعت طلاب الادب على مطالعته فانه من خير الكتب التي تقبل ملكة اللغة في النفس وتعين مطالعها على اعادة النظم والنثر وعسى ان يقرر في مدارس الحكومة فانه من افضل كتب الادب التي ترغب في مثلها نظارة المعارف

﴿ طلبة الطالب في شرح لامية ابي طالب ﴾

هي رسالة لطيفة شرح بها صاحب هذا الكتاب قصيدة ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله وناصره الامة الشهيرة وقد سبق لنا نشر هذه القصيدة ببلينة في المنار ويا ليت كل طالب للادب يحفظ هذه القصيدة ويستفيد من بلاغتها .
وهي تباع أيضا في مكتبة المنار وثمن النسخة منها قرشان

﴿ تحرير المرأة - ترجمته ﴾

رجم « الاصمعي » كتاب تحرير المرأة المشهور بالتركية والاصمعي هذا معروف عند الادباء بما ترجمه من الآثار العربية بالتركية ككتاب السياسة الشرعية وغيره .
وقد طبعت الترجمة التركية بعد الاقلاب العثماني وكان يظن انها تروج في الاستانة ولكن لم تكدر نسخها تعرف فيها حتي قرر مجلس الوكلاء (النظار) منعه فكان ذلك خريا جدا مع كثرة خوض كتاب الترك في مسألة النساء والحجاب وتقييح بعضهم للحجاب وتغييرهم منه حتي بعد منع هذا الكتاب وربما نذكر شيئا من ذلك في جزء آخر .
وأغرب من هذا ان الحكومة العثمانية تمنع القول في شيء يساعد عليه بالعمل فاتها كما قيل مساعدة لاجدرضا بك رئيس مجلس المبعوثين على المدرسة التي يريد أن يعلم فيها بنات المسلمين مع بنات الأفرنج وغيرهم من غير تربية دينية ولا تعليم إسلامي

نار الحيلة

حفلة وداع البستاني

وصلت الى القاهرة ظهر يوم الاثنين لست اوسبع خلون من شوال فأخبرني من قديمي من أصدقائي السوريين أنهم سيجمعون بعد المغرب في فندق كوستنتال للاحتفال بوداع صديقنا سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت وأنه يحسن أن أحضر الاحتفال ان لم يمنعني مانع فأجبت وجهت المكان متأخرا وكان رفيق بك العظم واقفا يتكلم في مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك ويهدد الى البستاني بتلافى ذلك عسى أن يرتق الفتق قبل انساعه

لم أسمع كلام الخطيب كله ولكني أعرف رأيه وحرصه على الاتحاد العثماني فقد قضينا السنين الطوال في العمل لذلك سرا وجهرا والبستاني يعرف لنا ذلك حتى قال لي في الآستانة وكنا نتكلم في هذه المسألة انني لأعرف أحدا من إخواننا السوريين أو قال العرب موافقا لرأيي مثلك ومثل رفيق بك أو قال غيركما ثم قام يعقوب افندي معروف فرد على رفيق بك بهذا الاعتراف له بما اشتهر به من الغيرة على الدولة والاخلاص لها وقال انه لا يوجد شيء من سوء الظن بين الترك والعرب وأن الترك يفضلون العرب على أنفسهم وان القابضين على زمام الاحكام يعملون بالاخلاص التام لتوحيد العناصر ومن وجد الاخلاص لا يضر الخطأ ان وجد وان سبب عدم نيل العرب نصيبهم من الوظائف هو عدم تحررهم وتدريبهم على اعمال الحكومة وادارتها كالترك !!

ثم قام البستاني فأثنى على رفيق بك وغيرةه واخلاصه وذكر ان سوء التفاهم

الواقع بين الضمرين سببه عدم الاطلاع على حقيقة الحال في الدولة فأكثر المناصب العسكرية في أيدي العرب وذكر منهم محمود شوكت باشا ناظر الحربية ومحمد هادي باشا قائد الفيلق الثالث وسامي باشا قائد حملة حوران قال والعسكرية هي كل شيء الآن ، ثم ذكر الشريف حيدر بك ناظر الاوقاف ووالي البصرة الجديد ، وان عمال الحكومة من الترك بيروت لا يزيدون على سبعة في المئة سواء الترك يشتغلون الخدمة لقتنا أكثرنا والحكومة تعد مشروعا لجعل تعلم العربية اجباريا في المملكة ، ومن البراهين على ترقيتها لغة العربية مساعدتها لمشروع السيد رشيد رضا صاحب المنار فانه اقترح إنشاء مدرسة كلية هرية في العاصمة فقلت الحكومة مشروعه باقبول وقررت مساعدته عليه بالمال

قال البستاني هذا كما قال هو وغيره من المبعوثين مثله في بيروت والشام ولم يكن عالما بأنني جئت من الأستاذة والتي في المجلس اسم لا تني جئت في أثناء الخطابة فلم يرني الا من جلست بالقرب منهم ، فقبل له هاهو ذا السيد رشيد فخاني واستشهدني فأرجأت شهادتي الى ان يتم كلامه وبعد ان أنهى قامت فتاة سورية عذراء فوقفت تحت العلم العثماني المحبوب وحيته بخطاب مشور مؤثرت فقلت له أيدي الحاضرين ورقصت له قلوبهم ثم قلت فقلت كلاما حاصله ان العثمانيين الحاضرين في هذه الحفلة هم من ارقى العثمانيين ان لم يكونوا ارقاهم في علومهم وأفكارهم وانهم مستمسكون بثمانيتهم متحدون تحت علمهم الذي تهف له ألسنتهم وقلوبهم ويحييه حتى المآزى منهم (قلت) فقد سمعتم ما فاهت به هذه العذراء العربية الثمانية في تحية العلم العثماني بالكلام الفصيح البالغ الصادر عن وجدان يتدفق غيرة وحمية واخلاما لا يوجد ارق منه في نساء الاستانة نفسها على ان نساء الاستانة ارقى من نساء سائر الولايات الثمانية تربية وتعلما ، ولكن لدينا في النساء السوريات من هن في الذروة التي لا تملوها ذروة أخرى في الاستانة ولا في غيرها من هذه المملكة

ان المرتقين من الأمة يجب ان يعرفوا كل شيء من أحوالها فاذا يجب ان يعرف هذا الجمع ان ما نعرضه بسوء التفاهم بين العرب والترك واقع حتما وان رفيق بك مصيب فيما خاطب به مبعوثنا العاقل المأروى من وجوب السعي

في تدارك ذلك وتلاؤه ، وكيف تكابر أنفسنا وننكر أمرا لمهجت به الجرائد في العاصمة والولايات ومصر وتناوله خيال الشعراء وعرفه العامة والخاصة وشكا منه العقلاء حتى قال أحد كبراء الحكومة في العاصمة لأحد معوثي العرب انا وصلنا بسياسة الأطفال الى درجة من سوء التفاهم صار ينجبل الي فيها اذا رأيتك مقبلا لما بقي منك وائب علي لتفك بي وانت ينجبل اليك مثل هذا

المسألة وصلت الى العامة فاذا تفلطت فيها صعب نزعا لذلك كان من حرص رفيق بك مخاطبة سليمان افندي بما خاطبه به لعله بأنه على رأيه في ذلك ، واتي قد بذلت جهدي في الآستانة لتلافي خطر هذه المسألة وكلفت فيها أولياء الامور الصدر الأعظم وغيره (وأشرت الى ذلك أيضا في نبذة الرحلة من هذا الجزء) والبستاني كان يسمى مثل هذا السمي وجري الحديث بيننا في ذلك غير مرة فاذا كان يقول لكم ههنا كما كان يقول في سورية انه لا خلاف ولا تغاير ، وما ثم الا الاتحاد والتآزر ، فما ذاك الا انه يجري على ما تعود من الدعوة الى الوفاق فهو يريد أن يسكب الماء البارد على هذه القلوب الحرى ليبرد حراوتها ، ولكنه كان يخاطب اخوتنا الترك في العاصمة بخير ما خاطبكم به ، كان ينكر عليهم كل ما يلفه من الأمور التي تهزك العصبية الجنسية والتنافر بين العنصرين فهو يقول في كل مكان ما ينبغي أن يقوله مثله من دعاة الوفاق والائتلاف فأنا اشكر له ذلك وأفاخر به أنه عربي سوري

ثم بينت لهم رأيي وما وصل اليه سعي في هذه المسألة وهو ما تقدم في نبذة الرحلة من هذا الجزء وما يتت من قبل في مقالات (العرب والترك) وغيرها من من المقالات التي نشرتها في الآستانة ، وملخصها ان الترك والعرب اخوة في الاسلام وفي المصلحة العثمانية لا يستطيع ان يفرق بينهما أحد فهما كالعنصرين المكونين للآء أو الهواء وان ما كان من سوء التفاهم فسيبه افراد من المتفرجين في العاصمة فهناك ولدت هذه المسألة ومن هناك دببت ودرجت وهناك تتلافى

ثم ذكرت أيضا ما وصل اليه مشروع العلم والارشاد (وتقدم يانه في نبذة الرحلة فلا نعيده) ولكن زدت ان نظام المدعوة (دار العلم والارشاد) مبني على ان التعليم كله بالحرية وان التركية إلزامية فيها وان بعض أعضاء الجمعية يقترحون

ان تعلم بعض القنن بالتركية . والنظام الداخلي لما تصدق عليه الجمعية بعد هذا قام البستاني فكلم كلاما وجيزا لم يقتض فيه شيئا من كلامي ولكنه صرح بأن أحسن ما قلته هو ان سوء النظام جاء من بعض الافراد فلا يجوز أن ينسب الى الترك أنفسهم وانه يعلم ان رفيق بك مخلص فيما اقترحه وانه هو أعلم الناس بغيرته وإصلاحه (قال) الا السيد رشيد فلا ادعي اني أعلم منه بذلك ثم تكلم خليل افندي مطران فأيد رفيق بك وذكر فضل العرب ومكانتهم وحقوقهم وقال ولي الدين بك يكن كلمة وجيزة في وجوب مزج النصرين وجعل العرب تركا والترك عربا ، وهذا ما كان صرح به حتى باشا الصدر الأعظم . ثم انقضت الحفلة والجميع متفقون على وجوب إزالة الخلاف فلهذا در العرب ما أشد إخلاصهم وقد بلغني بعد أيام أنه نشر في جريدة العلم مقالة لكاتب مجهول في تحفة رفيق بك وتخطيتي فيما قلناه وان من ضرره انه يحرك سائر العناصر العثمانية على المطالبة بحقوقهم اذا رأوا العرب يطالبون بحقوقهم وان الذي حمل رفيق بك على هذا الكلام هو طمعه في الوظائف بل زعم الكاتب انه طلب لنفسه وظيفة فلم ينلها فقام ينتقم لنفسه ويخدم الانكليز بمقاومة الدولة وتهديدها واستدل بكلام البستاني على خطاه لم أر ما كتبه هذا الا من المنافع ولكن رأيت لرفيق بك ردا عليه وعلى العلم في الاهرام ومثله لا يرد عليه لانه ميّ النية بدليل كذبه في دهواه ان رفيقا طلب وظيفة والبستاني يعلم كما نعلم ان رفيقا لو عرضت عليه الصدارة لما قبلها لأن صحته تمنعه من العمل حتى انه لم يقبل ان يكون مبعوثا ، ولأنه (أي الكاتب) جاهل بحال الدولة لا يدري ماذا طلبت العناصر الأخرى من الدولة بحق الدستور وبغير حقه أيضا ، ولا يدري ان هذه العناصر لا تنتظر الكلام الذي دار في حفلة وداع البستاني لتبني مطالبها عليه بل لا تعلم به وان نشر في الجرائد المصرية وان كلامه هو لا يصل اليها أيضا ولا الى أولي الامر في الآستانة فهو تعلق ضائع ونحن لم نطالب بحقوق العرب في الاحتفال وانما طالبنا بوجوب الاتفاق ولذلك لم نعرض لبيان الحقائق في مقالة البستاني وغيره بل كتبنا في المنار من قبل انه لا يضرنا ان نكون أكثر الوظائف في الترك وانما يضر ان نكون في غير الاكفاء . . .

﴿ عباس أفندي البائي البهائي ﴾

البهائية فرقة من البائية رئيسها الآن عباس أفندي بن ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء أو بهاء الله دفن عكا، وهم آخر طوائف الباطنية يعبدون البهاء عبادة حقيقية و يدينون بالوحيته وريويته ولم شريعة خاصة بهم ، وكان عباس أفندي محجورا عليه في عكا، فلما صارت الحكومة العثمانية دستورية تسنى له أن يخرج من عكا وقد جاء الاسكندرية في هذا الشهر وكتب مدير المويذ نبذة عنه وصفه فيها بالعالم المجتهد و بالتضلم من العلوم الشرعية والاحاطة بتاريخ الاسلام وقال ان أتباعه يعبدون بالملايين وانهم « يحترمونه الى حد العبادة والتقديس حتى أشاع عنه خصومه ما أشاعوا » ثم قال مدير المويذ « ولكن كل من جلس اليه يرى رجلا عظيم الاطلاع حلو الحديث جذابا للنفوس والأرواح يميل بكلية الى مذهب (وحدة الانسان) وهو مذهب في السياسة يقابل مذهب (وحدة الوجود) في الاعتقاد الديني تنوير تعاليمه وارشاداته حول محور إزالة فروق التعصب للدين أو الجنس أو الوطن أو لفرق آخر من مرافق الحياة الدنيوية »

أقول ان عباس أفندي رجل عظيم سيامي جذاب الحديث يخاطب كل أحد بما يرى انه يرضيه ويصعبه وكان منذ ثلاثين سنة يجي يبروت فيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين وكذلك كان يعامل المسلمين في عكا ، يجتمع بالعالم السني فيومهم ان فرقهم لم يكن ههما من الاصلاح الا إزالة تعصب الشيعة وتقريرهم من أهل السنة والتوفيق بين الطائفتين كما سمعت ذلك عنه من شيخنا الشيخ حسين الجسر (رح) وهو في الحقيقة زعيم دين جديد في بعض تعاليمه ومبادئه وان كان مبنيا على أصول الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية ، وهم يدعون المسلمين الى دينهم بدعوى أنهم منهم ويريدون ان يجماعهم على بصيرة في دينهم اي وثنيين يعبدون البشر فيالله من هذا الارتقاء، والتقدم بالرجوع الى الوراء، وكذلك يدعون النصاري بتسليم الوهية المسيح وادعاء انه هو البهاء وقد جعل قدامهم الدعوة أصولا

وأساليب حكيمة بينها المقريري وغيره من المؤرخين كالتشكيك في آيات القرآن وتأويلها باعتبار أنه اللغة والدين كتأويل البهاية السموات السبع بالآديان واختصاص الملا الأعلى باختصاص أولاد البهاء عباس وأخوته ، وتفسير دهل ينظرون الآن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، بظهور البهاء وأتباعه فهو إلههم وأتباعه ملائكتهم !! وعندهم أن القيامة قد قامت بظهور الباب والبهاء

ولما كان ما ذكره المؤيد عن عظيم القوم يؤهم أنه من علماء الاسلام المجتهدين في الدين كالأئمة الاربعة (مثلا) وأن سياسته كسياسة الماسون وكان هذا مما يسهل عليه نشر دعوته في مصر ويحمل من يفتخر بظاهر كلام المؤيد على الثقة به رأيت أنه يجب عليّ أن أنه الناس الى الحق الذي أعقده بعد الاختبار الطويل وما قرأته وسعته عن هؤلاء القوم وما قرأته في كتبهم وما جرى لي من المناظرة والمخالفة مع داعيتهم بمصر ميرزا أبي الفضل

أقول ان عباس أفندي ليس إماما من أئمة المسلمين المجتهدين والمؤيد ان يقول أنه غنى بالمجتهد معناه القوي لا الأصولي بل لا بعد من علماء المسلمين لأن قومه ليسوا منهم ولكن لا تنكر أنه مظلم على تاريخ المسلمين وعلومهم واجتماع مدير المؤيد به مرتين لا يكفي للحكم بأحاطته بالتاريخ وتضلعه من العلوم الشرعية ، وقوله إن أتباعه يمدون بالملايين غير مسلم أيضا وطالما سمعناهم يدعون ذلك لأنه مما يجذب الناس اليهم بل يجهلون هذا دليلا على حقية دينهم وقد سبق لي كلام معهم في ذلك . والمؤيد أخذ ذلك عنهم بالتسليم

وأما مسألة وحدة الانسان قائما يصنون بها دعوة الناس الى دينهم المبني على عبادة البشر وتقديسهم حتى قال داعيتهم أبو الفضل في أحد الملامح العامة بمصر في البهاء « هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » فقلونا نحن فاصلة الآية (سبحان الله عما يشركون) والمسلمون يدعون الى اتحاد البشر واتفاقهم على عبادة الله وتقديسه وحده وجعلهم أخوة في الاسلام لا يفرق بينهم تعصب لدين ولا جنس ولا وطن ولا غير ذلك ، والنصارى يدعون أيضا الى وحدة الانسان في النصرانية وعبادة المسيح عبد الله ورسوله (عليه السلام) فإذا امتاز البهاية

الافطيم الناس ان هولاء الباطنية قد قصدوا في وضع تعاليمهم الاولى نحو الاسلام وازالة سلطانه من الارض ، وضعا بعض محوس الفرس لافتح المسلمون بلادهم وازالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سيامي يرى ان الحكومة يجب ان تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبي (ص) فصاروا يبشرون دعوتهم في هذا الحزب بمحمد علي الفلاني بعض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وابي بكر وجهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب القوضوية ايضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم لان وجود هذه الاحزاب السياسية طبيعي في البشر ، وكذلك خلق الفلاني طبيعي في البشر ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورؤسهم بكتان بعض القرآن ولم يدروا ان ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لان رؤسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم ؟ انهم يحجبون عن هذا بما لا يقبله ذو عقل مستقل كالنقية وما كان علي بالجبان فيخاف في اظهار أساس دينه أحدا . على انه كان يمكنه ان يث ذلك سرا في آل بيته وشيعته وغرض الباطنية إخراج الشيعة من الاسلام كما كانوا يريدون إخراج غيرهم ولكنهم خابوا ولا يزالون خائنين والمسلمين من الشيعة وغيرهم السلطان والبرهان القالب عليهم . ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا إلا من كان أو صار من الباطنية وسنزيد هذه المسألة يانا . وعسى أن ينشر مدير المؤيد هذا في جريدته لينزيل الأبهام الذي علق بالأذهان من كلامه ولا يعقل ان يكون مقصودا له لأن اتحاد العامة المتهاونين في الدين لا يهدون السبيل لدعوة دين وضع نحو دينهم فكيف يفعل ذلك مثل مدير المؤيد وهو من يعد من خواص المسلمين في طه وسياسته

ومن أراد أن يعرف تاريخ هولاء الباية وشيئا من التفصيل في دينهم فيطالع كتاب مفتاح الأبواب تأليف الدكتور محمد مهدي خان وثمته خمسة عشر قرشاً صريحاً ويوجد في مكتبة المأرج وغيرها

أمير مكة المكرمة الشريف حسين

« سعيه المشكور في نجد »

علمت منذ أشهر وأنا في الآستانة ان الامير سافر من الطائف الى نجد في عسكر لجلب من العرب الخاضعين له وان قصده من ذلك منع أمير نجد عبد العزيز بن سعود من أخذ الزكاة من قبائل عتية التابعة للشريف والاعتداء عليهم لان أمير مكة هو الذي كان يأخذ زكاتهم، ثم عقد الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد، وبلغنا ان والي الحجاز عرض يومئذ على الشريف أن يأخذ معه ماشاء من العسكر فأبى، وكان ذلك حكمة منه تدل على بعد نظره وسعة علمه بأخلاق العرب وطباعهم، وقد ظهر أثر ذلك فانه أدرك ما أراد ولم ينفك دما ولا زاد القبائل خلافا وعدوانا فيما بينها وبدا عن الدولة وتنكرا منها وسوء ظن بها كما كانت تفعل بعثات الدولة العسكرية بل أصلح إصلاحا لم يسبق الى مثله فبذل عمله على فساد رأي الذين يريدون إلغاء إمارة مكة دفعة واحدة ورأي الذين يرون أن تلغى سلطة الشريف أولا ثم تلغى وظيفته، ولا خبر في هذا الرأي للدولة ولا في ذاك بالأولى، وان محاولة سياسة عرب الجزيرة ولا سيما الحجاز وادارتهم بالقوانين التي تنفذ في أوروبا العثمانية تهدض بامن الجنون والاعتقاد في إخضاعهم لها بالقوة فن آخر من الجنون أشد مما قبله خطأ وخطرا

قرأت في الجرائد ان الشريف فاز وأقبح فيما أراد ونحن نعلم أن عبد العزيز بن سعود كان قد استمد القتال باسم زحف الشريف على نجد فظاننا انه زحف بعسكر نظامي لقتال وإخضاعه بالقوة القاهرة حتى انه كتب في أواخر شعبان الى سليمان بن جبري وجماة أهل القوعية يأمرهم بالتميز العام قال في كتابه « ولا يترصد منكم أحد وترى أعرفكم عرقكم وطب لعل فزع لكن والله ما يذكر أحد متخلف تكون عقوبة الله عليه » الله الله في العجلة لغاية ما يكون، ولكنه لم يذكر السبب ولا اسم الشريف. ثم علم ابن سعود أن نية الشريف صالحة ومطلبه حق وأن القبائل الموالية له تحارب معه كل أحد الا الشريف، وانه قد انضم الى عسكر الشريف القبايل عربي من

القبائل التي مربها في طريقه الى نجد فلم ان الخير له في السم والطاعة ، ثم ان الشريف أمر أخاه (سدا) فعظم عليه ذلك ، ولولا ثقته بوفاء الشريف لتهور وأقدم على الحرب بمن معه فانه مانكر عرب الجزيرة من رجال الدولة وقوادعسكرها الا عدم الوفاء والوفاء هو الخلق الذي كانت تدين به في جاهليتها وزاده الاسلام تأكيدها عندها لو شاء الشريف لدخل نجدا وأمر أميرها عبد العزيز بن سعود آل فيصل أو قتله ان لم يفر هاربا ولكنه لحكته وسياسته العالية لم يفعل وقد خضع ابن سعود له وأجابه الى كل ما طلبه وأرسل اليه أخاه عبد العزيز عبد الله آل سعود بهديته النفيسة وهي « الصقلاوية والحمداني وكحلان » وهي أكرم الخيل العربية في نجد وجاءنا من أخبار الحجاز ونجد انه قد تم الاتفاق بينهما على الامور الآتية كتب بها ابن سعود (تهدا) امضاه وختمه وأرسله الى الشريف وهي

(١) عدم التعرض لعتبة كافة بحال من الاحوال من تنزيل أو ترحيل أو كل ما يحسب ويعد من التعرض عليهم من زكاة أو خلافه
(٢) عدم أخذ الباج (المكس) منهم بأي صورة كانت من أي قرية أمدوها واذا وقع منهم ما يخاف يخبر عنه

(٣) طاعة أمير مكة في كل ما يأمر به حسبما تقتضيه حقوق ومنافع الدولة العالية
(٤) القصب وهو بريدة وتوابها على خيرة أهله ان جاءت مضبطة منهم بأنهم يختارون امانة الأمير عبد العزيز بن سعود صاحب هذا التهديد يبقون تحت يده ويدفعون ثلاثة آلاف مجيدي سنويا باسم الخزينة العامة السلطانية بمكة المكرمة وان لم يجيئ منهم مضبطة يعين أميرهم برضاهم ويدفعون المبلغ المذكور على كل حال . وموعد المضبطة يمتد الى آخر شوال

هذا ما تقرر وتهدد بانفاذه ابن سعود وكتب وأمضاه وختمه وأشهد على نفسه فيه كبار قومه وهم محمد بن عبد الرحمن السعود وسعد بن عبد الرحمن السعود وسعيد بن عبد الرحمن السعود . والشيخ عبد الله عبد اللطيف ومحمد بن سعود بن عيسى

وعبدالله بن ابراهيم العسكو . وامضاء ابن سعود هكذا (خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود)

وقد اطلق الشريف سراخ أنخيه سمد فهاد معززا مكرما يثني اطيب الثناء على
عناية الأمير الشريف به . ووضع الشريف محمد بن هندي شيخ قبائل عتيبة وكيله
في نجد . وكذلك خضع ابن الرشيد وأرسل الهدايا الى الشريف ودان لأمره في
عدم التعرض لعتيبة وفي الكف عن محاربة ابن سعود . ويقال ان ابن السعود وابن
الرشيد كليهما عزموا على التشرف بزيارة الشريف وانهما ربما حضرا في الموسم
أليس هذا الاتفاق والسلام خيرا مما كان في عهد الاستبداد المشتم
من إغراء ابن الرشيد بابن سعود وإيقاع العداوة والبغضاء بين القبائل ؟ أليس
من المعجب ان يوجد في الدولة الآن من يظن أن اتباع خطوات عبد الحميد في
هذه الساسة السوءى هو الذي يحفظ سلطة الدولة ، أليس أعجب منه ان يتوهم
آخرون ان السياسة والادارة يجب ان تكون بالقهر والشدة والبأس والقوة .
لا بالعدل والحكمة ؟ ألا يعتبر رجالنا بادارة الانكليز في السودان وكيف استمالوا
اليهم العرب والزنج ؟ حتى ان فرنسة ارسلت وفدا الى السودان لتعلم كيفية الادارة
فيه لعل فرنسة تتبعها في افريقية . ألا يعتبرون بسياسة انكليز فيها جاور عدن من
بلاد اليمن ؟ لو عرف هذا ذلك الضابط الذي خطب في « يكي جامع » بعد صلاة
أول جمعة من رمضان خطبة استحسن فيها إلغاء امارة مكة لما فاه بكلمة في ذلك
فمضى ان يترك هو وأمثاله السياسة فالأمة محتاجة اليهم فيما تعدهوه من فن الحرب
والدفاع وحسبها سياسة طلعت بك وانخوانه

فصلى كل عثماني ان يشكر للشريف الحكيم أمير مكة المكرمة عمله
السلي وادارته المثلى وعسى ان تشكره له الحكومة الدستورية باناطة إصلاح جميع
عرب الجزيرة بحكمته وتقويضها الى رأيه ، فقد عمل لها بغير اهراق دم ولا اتفاق
درهم ما عجزت عن مثله حكومة الاستبداد بسفك الدماء وخسارة الاموال ، في
السنين الطوال ،

ومن أخبار الحجاز أن قبائل غامد وزهران (في حدود اليمن) الذين كانوا قد

أنصرفوا عن الشريف ووالوا الادريسي قد ندموا على ما كان منهم وطردوا وكيل
الادريسي الذي كان عندهم وتبرعوا منه وارسلوا (مرايعطهم) الى الشريف
بالطاعة والاقبياد . وأما قبائل حرب فهم في خوف ووجل و ينتظر ان يلتقوا الى الامير
الشريف السلم لئلا ينكل بهم تنكيلا ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لما فيه حقن الدماء
وسعادة البلاد المقدسة في ظل الدولة الدستورية ايدها الله تعالى

﴿ الاصلاح في حكومتنا الدستورية ﴾

يساء لي الناس مشافهة ومكاثبة عما عملته الحكومة الدستورية من الاصلاح
والفرق بينها وبين الحكومة الاستبدادية الفائرة ، فأما الفرق فهو مثل الصبح ظاهرا ،
وهل ياري في الصبح الا الأعمى أو المكابر ، كنا في آخر عهد الاستبداد على
شفا جرف من الخطر ، يُترى بنا الهلاك ففنا بعد نفس ، وقد قال لي صديق
لي من ضباط أركان الحرب في الآستانة : لو أن البلغار حاربنا عقب الاقلاب ،
لدخلت علينا العاصمة من الطاق والباب ، والآن نقدر أن نحارب البلغار واليونان
والصرب والجبل الاسود في وقت واحد ونرجو بحسب ما تفيد قواعده فن الحرب
أن نكون الغالين ، فأبشر قراء المار بآن الاصلاح الذي وقفنا له في جيشنا عظيم
ويله الاصلاح في البحرية فاهمة المبذولة فيه عالية ولكن فلك عبد الحميد في البحرية
كان أشد من فكه في سائر النظارات فنحتاج الى زمن طويل لاصلاحها كما يجب .
على أن المدرعين الذين اشتريناها من ألمانيا قد جعلنا لنا قيمة بحرية عظيمة عند جارتنا
في البحرين الايض والاسود (اليونان وروسيا) وان سائر النظارات موجهة وجوهها
الى الاصلاح ولكن ليس عندنا من رجال الادارة مثلا عندنا من رجال الحرب
فلا بد من الانتظار والأمل . وعندي أن مجلس الأئمة لم يأت بأقل مما كان ينتظر منه وهو
في بدايته والرجاء في الانتخاب الآتي أكبر ، ولعلنا نشرح ما سمعناه واستفدناه في
الآستانة من آراء الوزراء والكبراء والعلماء والأعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي
وغيرهم من أصحاب الرأي في اصلاح الدولة ومستقبلها ، ونجعل ذلك محاورة خيالية في

صورتها حقيقية في معناها ، اذ لا يجوز لنا أن نصرح بأسماء أصحاب تلك الآراء المختلفة
ومما علمته في الآستانة اننا كنا مخطئين في اعتقادنا أن فترة ٣١ مارس (أو ١٣
ابريل) كانت لاسقاط الدستور واعادة الاستبداد فالصواب انها كانت لاسقاط
جمعية الاتحاد والترقي ومنع سيطرتها على الحكومة وسعت هذا من بعض رجال
الجمعية المستقلين . وأما كون محمود شوكت باشا ليس عمر يا فاروقيا في نسبة لآييه
فقد علمناه قبل رحلتنا الى الآستانة فوالدته عمرية ووالده من (الفلن) ولكن أصرتهم
صارت عمرية وهو يصرح بأنه عربي

الرد على أعداء الإصلاح الاسلامي

تركنا عملنا ورحلنا الى عاصمة دولتنا لاجل السعي العملي النافع لدولتنا وامتداد بنائها
وكتاوتنحن مجدون لبناوتنهارنا في هذا السعي تأخذ المرة بعد المرة مكروبات من الشرق
والغرب والجنوب يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الإصلاح
كالنبهاني والشيخ احمد جمال التونسي وصاحب جريدة جديدة في ستغافوره والشيخ
محسن العاملي ، ورساوتن البنارساوتل وقصائد وجرائد هوؤلاء المفرقين طلاب المال
والجاء عند العامة ، فما كنا نسمح بأن نضع شيئا من وقتنا لمطالعة ما يرسلونه الينا
من رساوتل وجرائد هوؤلاء المفسدين لأن الوقت والمال قد صرفا الى ضد سعيهم ،
فنحن نشكر للذين طابونا بالرد غيرتهم ونذكهم بقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلبن) ولكنني رأيت بعض اخواننا مفروربن بالنبهاني لما كتبه من
الاوراد والصلوات ونحوها فأقول هوؤلاء المفروربن ان هذه الكتب كسجد الضرار
صورتها خدمة للدين وهي في معناها مفسدة ضارة

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الاولى وهي
بشهادة النبي (ص) خير القرون أيام كان الاسلام في كاله الديني ، ولا انتشرت
في القرون الثلاثة التي بعدها أيام كان الاسلام في كاله المدني ، وانما راج أمثال هذه
الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية وكانت هذه الكتب من
أسباب ضعفهم إذ صرفتهم عما آتاهم الله من المواهب واتقوى التي فاز بها سلفهم

وعلمت آماهم بالأموات ، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتجدي به وبما ورد في السنة من الأدعية والآذكار إلى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع فيضعوا للناس عبادات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وإن خلطوها بشيء من المأثور ويجهلها ، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة والمنكرة والضعيفة الشديدة الضعف ولذلك قلنا من قبل أنه لا يوثق بعلمه ولا بقله .

كان لهذا الرجل جاء في حكومة الاستبداد المأخوذة بتلقه لأخوان عبد الحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم على غش الأمة به من طريق الدين ، وناهيك بأكاذيب الشراء المتلقين ، وتأثيرها الذي يستبعمون به الفارين ، (والشراء يتبعهم الفارون) ألم ترأنهم في كل واد يهيئون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون) كان النبهاني يمدح أبا الهدى لما كانت كلمته عند عبد الحميد هي الكلمة الطيبة ، فكان يرفعه إلى الدرجات العلى ، ويجعله من أئمة الدين ، وأقطاب الأولياء الطارفين ، فلما غلبه وبزه عزت العابد في الزلفى قلب له النبهاني ظهر الجبن وصار يتقرب إلى عزت العابد بذمه ، ويدهي أن عزت هو ركن الدولة والإسلام بمد عبد الحميد الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو .

في ظل هذا الجلاء الباطل والمدح الكاذب والنش للمسلمين والعثمانيين كان يروج النبهاني كتب الملققة وناهيك بنفوذ في المحكمة النظامية ببيروت وكان يهد بذلك السبيل لأعداء المهديّة لنفسه كما قلنا بنا بعض المطلعين على مخبّأته ، ومن تهديداته ومقدماته لذلك ما كان يدعيه من الروى والنامات ،

ابن المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات ، وقاموا بما ورد في الكتاب والسنة من القرائن والمندوبات ، والأدعية والذكر والفكر ، وسائر أعمال البر ، ثم وجدوا فراغا لقراءة أوراد النبهاني وصلواته . وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغا لقراءة ما لققه من الكتب ، وخط فيه بين الحق والباطل ، ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين حتى غفلوا عن أنفسهم فلكت الأجنب عليهم أمرهم فليتهم كانوا كذلك الأعرابي الذي حاف أنه لا يزيد على ما فرض الله عليه ولا ينقص منه فقال النبي (من)

« أفصح الأعراي إن صدق » رواء الشيوخ وفي رواية دخل الجنة إن صدق ، فإن
الاسلام ما جاء ليجمع أتباعه كهباد بني اسرائيل في الصوامع ، ولا كرهبان النصارى
في الأديار ، بل جاء ليجمعهم سادة الأرض ووارثيها لتكون لهم مزرعة للأخرة
بأحسنة على المسلمين كيف سلبوا استقلال عقولهم وبعثوا عن هداية ربهم
وسنة نبهم وسيرة سلفهم وساروا وراء الدجالين الذين استهزؤهم وسلبوا منهم قلوبهم
وأموالهم ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم وأزالوا من بلادهم حكم
شريعهم ، فأضاعوا دينهم ودنياهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ،
كان النبهاني يشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الأخطار المحيطة بهم
من كل جانب وعن كل ما يجب عليهم للدفاع عن دينهم وأنفسهم بالخضوع والعبودية
الظاهرة للسلطان عبد الحميد ورجاله ، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله ،
وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلا واستشفاعا
الاعتقاد أنفسهم . وقد فضح الزمان كيدهم الأول ، وكلما استيقظ المسلمون
من غفائهم اتفصح كيدهم الآخر (ما كان الله ليذكر المؤمنين على ما أنتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب) والعاقبة للمتقين

ومن أراد الاطلاع على جمل النبهاني وخطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الأمان)
في الرد على النبهاني) وهو مجلدان لأحد العلماء المحققين وقد طبع في مصر

الطيب الشيخ حامد والي

قرأنا في جرائد الآستانة ونحن فيها أن صديقنا الحميم الشيخ حامد والي قد فاز
بالمدح الممل في الامتحان الأخير لمدرسة الطب العليا في برلين (عاصمة ألمانية) فكان
صاحب الشهادة الأولى من متخرجي المدرسة في هذا العام فسرورنا مرورا خاصا
أن كان هذا الفوز لمن نعد من أخص أصدقائنا الأوفياء وسرورنا مرورا عاما أن
كان السبق في أعلى المدارس الأوربية لشيخ عربي شرقي نشأ في المدارس الدينية
العربية وهي الأزهر ودار العلوم المصرية فهنته ونهت أنفسنا وامتننا به

﴿ وفاة أمير الأيادي صادق بك المؤيد السعدي ﴾

نجحت الحكومة الثابتة والامة العربية بوفاة هذا الرجل الكريم في وقت نرى الدولة فيه في أشد الحاجة الى مثله ومثل كثير في الأنام قليل ، في مطارف العسكرية والإدارية وغيره وصدقه واستقامته وإخلاصه فهو من الأفراد الذين خدموا الدولة في العهد الماضي خدما كثيرة ولم يلوثوا من أدرانها بشيء . فقد كانت أيمه كلها خلافا نافعا وقد وثقه الحكومة الدستورية القائمة (او متصرفية) جده في العلم الماضي فظهر من كفاءته وحسن إدارته ما لم يظهر من أحد غيره من رجال الإدارة بهذا المستوى فظهر انه من أعظم رجال الإدارة كفاءة في حكومتنا . وقد سمعنا أن العسكرية كانت عازمة على رفع رتبته ليعود الى ما كانت (رتبة الفريق) ولكن أراد الله أن يرفعه الى دار كرامته (ان شاء الله تعالى) ففواه اليه ولو كان المناج صحيفة تلويح لا طائل في ترجمته ولكن ذكرنا هذه الكلمات لعمرة بأقدار الرجال فرحه الله وعزى أسرته وقومه عنه

(افلاط في الاجراء الأخيرة : السابع والثامن والتاسع يجب املاحا بالعلم)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٨٣	١١	عن سته	من سته	٤٩٧	١٦	وذلك منتهى الكبر	X
٤٨٥	١٧	الوالدين	سلطة الوالدين	٤٩٩	٦	وهو	هو
٤٨٩	٨	يقضيان	يقضيان	٥٠٢	٢٢	قال	قاله
٤٩٤	١٦	الاجتهاد	أهل الاجتهاد	٥٠٣	١٣	في اتفاق	في عدم الاتفاق
٤٩٦	٢٠	تطرس	تطرس	٥٢٨	٢٣	عليه	عليهم
٥	٢٤	استغناقا	استغناقا	٥٣٠	٢٣	واحد (٩)	واحدا
٥٩٦	٢٥	تطرس الرجل	تطرس الرجل	٥٣٦	١٧	بوجود	بوجود
٥٩٧	١٥	بلا من النضر	بلا من النضر	٥٣٨	١٣	بأجرة	بأجرة
		بلا من النضر	X	٥٤٠	١٧	انقل	انقل
		بلا من النضر		٥٤٦	٢١	ولا أن	ولا أن

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٤٦	١٤	في	في	٥٤٦	١٤	في	في
٥٥١	١٩	من استقلال	في استقلال	٥٥١	١٩	من استقلال	في استقلال
٥٥١	٦	باستجداهم الدين	باستجداهم	٥٥١	٦	باستجداهم الدين	باستجداهم
٥٥١	١٠	المين	المين	٥٥١	١٠	المين	المين
٥٦٩	٥	(٥٦: ٤١)	(٥٦: ٤١)	٥٦٩	٥	(٥٦: ٤١)	(٥٦: ٤١)
٥٦٧	١٤	من	في	٥٦٧	١٤	من	في
٥٦٥	٤	عليه	عنه	٥٦٥	٤	عليه	عنه
٥٧١	١٠	ويملون	وهم يملون	٥٧١	١٠	ويملون	وهم يملون
٥٧١	١٥	أصوله	أحد له	٥٧١	١٥	أصوله	أحد له
٥٧٢	٢١	قبله	قبل	٥٧٢	٢١	قبله	قبل
٥٧٤	١١	فريقان فريق	فريقين فريقا	٥٧٤	١١	فريقان فريق	فريقين فريقا
٥٧٤	١٢	وفريق	وفريقا	٥٧٤	١٢	وفريق	وفريقا
٥٩٢	٥	الجل	الجل بالجل	٥٩٢	٥	الجل	الجل بالجل
٥٩٣	١٣	وأجله	وأجله	٥٩٣	١٣	وأجله	وأجله
٥٩٦	٩	موا	موا	٥٩٦	٩	موا	موا
٥٩٦	٢١	عجب	أعجب	٥٩٦	٢١	عجب	أعجب
٥٩٨	١٩	واكتساب	دع اكتساب	٥٩٨	١٩	واكتساب	دع اكتساب
٥٩٩	١٩	تضي	تضي	٥٩٩	١٩	تضي	تضي
٦١٢	١٧	لتزيد	لتزيد	٦١٢	١٧	لتزيد	لتزيد
٦٢٦	٨	الفرج	الفرج	٦٢٦	٨	الفرج	الفرج
٦٢٨	١٤	ملروا	سادوا	٦٢٨	١٤	ملروا	سادوا
٦٢٨	٢٥	ذلك	وذلك	٦٢٨	٢٥	ذلك	وذلك
٦٢٩	٢١	والتهيزات	والتهيزات	٦٢٩	٢١	والتهيزات	والتهيزات
٦٢٦	٢٣	لايجب	لايجب	٦٢٦	٢٣	لايجب	لايجب
٦٣٩	٢٤	الحصون	الحصون	٦٣٩	٢٤	الحصون	الحصون
٦٤١	٣	(٥٧: ٤٣)	(٥٧: ٤٣)	٦٤١	٣	(٥٧: ٤٣)	(٥٧: ٤٣)
٦٤٦	١٠	ان هنا	ان هنا	٦٤٦	١٠	ان هنا	ان هنا
٦٤٧	١٨	بالرور	المروور	٦٤٧	١٨	بالرور	المروور
٦٤٧	١٦	مشروعية	حكمة مشروعية	٦٤٧	١٦	مشروعية	حكمة مشروعية
٦٤٨	١٤	الحضر	السفر	٦٤٨	١٤	الحضر	السفر
٦٥١	٢٣	أعنى	اتمنى	٦٥١	٢٣	أعنى	اتمنى
٦٥٢	١٦	يربط	يربط	٦٥٢	١٦	يربط	يربط
٦٥٣	٨	عبد الرحمن	سيد بن عبد الرحمن بن أزي	٦٥٣	٨	عبد الرحمن	سيد بن عبد الرحمن بن أزي
٦٥٥	٣	الدقائق	قليلون أشهرهم الدقائق	٦٥٥	٣	الدقائق	قليلون أشهرهم الدقائق
٦٥٧	٢١	عبد الرحمن	سيد بن عبد الرحمن	٦٥٧	٢١	عبد الرحمن	سيد بن عبد الرحمن
٦٥٧	١٤	حلبا	وحلبا	٦٥٧	١٤	حلبا	وحلبا
٦٦١	١١	تأخذ	تأخذ	٦٦١	١١	تأخذ	تأخذ
٦٦٣	٢٠	المضالين	المضالين	٦٦٣	٢٠	المضالين	المضالين
٦٦٣	١٦	أوانما	وانما	٦٦٣	١٦	أوانما	وانما
٦٦٥	١٨	بشرى	بشرى	٦٦٥	١٨	بشرى	بشرى
٦٦٥	٥	مطاب	مطاب	٦٦٥	٥	مطاب	مطاب
٦٦٥	٦	مطابه	مطابه	٦٦٥	٦	مطابه	مطابه
٦٨٠	٥	يكن	تكن	٦٨٠	٥	يكن	تكن
٦٨٥	٢١	يتحسن	يتحسن	٦٨٥	٢١	يتحسن	يتحسن
٦٨٦	٢٠	لانشاء	لا تشاء	٦٨٦	٢٠	لانشاء	لا تشاء
٦٨٧	٢٣	كافي	كافي	٦٨٧	٢٣	كافي	كافي
٦٨٧	٨	لبيك	لبيك	٦٨٧	٨	لبيك	لبيك
٦٩٦	٢١	من ٦٨٩	من ٦٩٧	٦٩٦	٢١	من ٦٨٩	من ٦٩٧
٦٩٦	٢٢	وتدنا الخ	X	٦٩٦	٢٢	وتدنا الخ	X

بوتني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
غزيراً كبيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

في شهر ربيع الثاني يستمعون القول فينبهون أصدانه
أولاً - الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كثار الطريق

الجمعة ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٨ - ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٢٨٩ هـ ١٩١٠ م

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لا غاية أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج قالبا ورمعا قد مناهنا سخرنا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أحيانا غير مشترك لئلا هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا مذر صحيح لا فضاله

(من ٤٩ - ٥١) من صاحب الامضاء

حضرة أستاذنا العالم المنضال السيد محمد رشيد رضا الحسيني حفظه الله وادامه
نرجوكم الاجابة على الاسئلة الآتية بلسان منار الاسلام ولكم الفضل ، وهي :
١ ما هو تفسير قوله تعالى « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حنة »
٢ احقني ما قاله ابن خلدون من ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم من الصبح
٣ هل يجوز لعربي الجنس ان يتزوج بشرية أو قرشية وهل يجوز لأعربي
الجنس ان يتزوج بأعراية . افرونا مأجورين ولكم الشكر محمد الانور قريبط
من قبيلة أولاد علي
بناحية فراشة

(غروب الشمس في عين حنة)

(ج ١) المعنى ان ذا القرنين لما وصل الى نهاية بلاد المغرب المعروفة في عصره
بالنسبة الى بلاده وجد الشمس تغرب في ماء كثير لكثرة ما فيه من الحماة أو الحما
ومعناها الطين الاسود . وقد ذكر الراجب في مادة « وجد » من مفرداته ان الوجود
أنواع فيطلق على ما يدرك بأحدى الحواس الخمس وبالعقل وبالوجدان الباطن

(المجلد الثالث عشر)

(١٥٤)

(المذارج ١١)

٨٢٦ زعم ابن خلدون ان أكثر حملة العلم من العجم (المار ج ١١ م ١٣)

كالغضب والشهوة فيقال وجدت الشيء أو الشخص وجدت طعمه حلوا ووجدت رائحته طيبة ووجدت ضرته حسنا ووجدت خشونته شديدة ، ووجدت الشعب والسرور ، ووجدت برهانه صحيحا . وقال في تفسير « حيث وجدتمهم » حيث وأيتهم وفي تفسير « وجدت امرأة تملكهم » وقوله « وجدتها وقوبها يسجدون للشمس » انه وجود بالبصر والبصيرة فقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار بالبصيرة فقوله تعالى « وجدناها قريبا » بمعنى رآها وذلك كما رآها ونحن مسافرون في البحر نعلم منه وتغرب فيه وكذلك رآها في السواحل ويرى بعض الناس أن المراد بهذه العين الحثة البحر المحيط النري المعروف بالأتلاطيك وكانت العرب تسميه بحر الظلمات ، ويجوز أن يراد بها بعض البحيرات التي جفت أو الباقية فإن ذا القرنين قديم لا يعرف في أي عصر كان وليس هو الاسكندر المكدوني المشار له في القبط وقد كانت الأرض مغمورة بالمياه وظهرت اليابسة منها بالتدريج البطي . وكثيرا ما حصل في الاقاليم الاستوائية ان توجد البحيرة ثم تجف في مدة قصيرة

(زعم ابن خلدون ان أكثر حملة العلم في الاسلام من العجم)

(ج ٢) أخطأ ابن خلدون في هذه المسألة فقد كان العلم في الاسلام دول أو مناطق متعددة واحدة في الشام والحجاز وثانية في العراق وبلاد فارس وثالثة في مصر وما إليها من إفريقية ورابعة في الأندلس وما جاورها . وكان في كل منطقة من هذه المناطق العلمية ألوف من العلماء برعوا في العلوم واتقنوا الدينية واللغوية والأدبية والعقلية النظرية والعملية ولم يكن العجم كثيرين إلا في واحدة منها وهي منطقة البلاد الفارسية وما جاورها . على أن الذين نبغوا في العلوم هناك لم يكونوا كلهم من العجم ولا يمكن الحكم على أكثرهم أيضا لأن الاسلام بمواضعه بين العرب والعجم ومزجه بعضهم ببعض صار يتعذر التمييز بينهم إذ صار علماء العرب ينسبون إلى البلاد التي يقيمون فيها من بلاد العجم وهي بلادهم مذ صارت دلو إسلام فيقال في صاحب القاموس المحيط هو (محمد الدين الفيروز بادي الشيرازي) فيظن الجاهل نسب أنه عجمي النسب وهو عربي صديقي كان يرفع نسبه إلى أبي

بكر الصديق (رض) قال الحافظ ابن حجر ولم يكن مدفوعا فيها قالة ، ويقال في صاحب الأغاني (أبو الفرج الأصبهاني) فيظن أنه عجمي النسب وهو عربي أموي . ومن الناس من يحكم في النسب بدلالة الاسم واللقب فإذا وجد اسم الرجل أو اسم أبيه عجميا قال أنه من العجم وليس هذا بدليل ولو صح دليلا لحكما بأن أكثر العجم المسلمين من العرب لأطلاق الأسماء واللقاب العربية عليهم ولا يمكن أن يتصل قوم بقوم إلا ويأخذ بعضهم الأسماء والعادات من بعض ولكن الأدنى يكون أكثر أخذًا عن الأعلى فهذا عبد القادر الجيلي لم يخرجته تقييد أبيه أو جده بجني دوست عن كونه عربي النسب علويه وأنا نعرف الآن عدة أعلام فارسية وتركية قد استعملوا العرب كلفظ أرسلان ونازلي بل نرى العرب حرقوا كثيرا من الأعلام وغير الأعلام من لقبهم اتباعا للترك . ولعلنا نوفي هذا الموضوع حقه في مقال خاص خدمة للمأرج والأقاليم العرب والعجم في الإسلام سواء

(المصاهرة بين العرب والعجم)

(ج ٣) يجوز للعربي أن يتزوج القرشية والشريفة الملوية الفاطمية والمجمي أن يتزوج الاعرابية (البدوية) والعربية وإن كانت شريفة إذا هي رضية ورضي أولياؤها . وإنما ترد مسألة الكفاءة إذا لم يتفق الأولياء والزوجات على ذلك فليس للولي وإن كان أباً أو جداً أن يزوج بنته بدون رضاها لرجل ليس كفواً لها حتى عند من يرى أن الأب رلي مجبر كالشافعية وليس للمرأة أن تزوج نفسها من غير كفواً إذا لم يرضه أولياؤها حتى عند من يقول أن أمرها في الزواج لنفسها كالحنفية . على ما للفريقين من الشروط في ذلك . والكفاءة تعتبر في النسب عند بعض الفقهاء وصرح بعضهم بأن غير الشرقاء ليسوا أكفاء للشرقاء وإن العجم ليسوا أكفاء للعرب ولا نص على ذلك في الكتاب ولا في الأحاديث التي يحتاج بها وإنما العبرة في ذلك بالعرف فكل من يعد تزويجه في عرف قوم عاراً عليهم لا يكون كفواً لمن يلحقهم العار بين قومه بمصاهرته ، ولكن العادات الضارة والعرف الضار ينبغي للقلاء أن يقاوموها . وقد حررنا هذه المسألة في المجلدين السابع والثامن فراجع

في الاول لفظ الزواج حرف الزاي من الفهرس وفي الآخر لفظ كفاءة الزواج
من حرفة الكاف في فهرسه

﴿ حديث ان شريعتي جاءت على ٣٦٠ طريقة ﴾

(س ٥٢) من م م الجاوي في بتاوى

ما قولكم دام فضلكم في حديث رواه الطبراني مرفوعا وهو قوله صلى الله
عليه وسلم « ان شريعتي جاءت على ثلاث مئة وستين طريقة فمن سلك طريقة منها نجاء »
فما معنى الطريقة التي ميزت بها الشريعة الى ذلك العدد وكلها على هدى وصواب
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « فمن سلك طريقة منها نجاء » وكل واحدة منها على
خلاف الاخرى بدليل قوله « منها » الذي يشير الى التبعيضية ذكر ذلك الحديث الولي
الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه ميزان الخضرية وقال قيل ذلك
الحديث وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياكم والانكار على كلام
أحد من العلماء الا بعد الاحاطة بجميع طرق الشريعة ولم يجدوا ذلك الكلام فيها ثم
عقبوا واستنبطوا هذا الحديث بقوله « قد روى الطبراني مرفوعا » فتنفضوا باسادات الكرام
بالجواب بهذا وقد سألتنا عنه مشايخ الجاوه مرارا ولم يكشف أحد على ذلك فبقينا متألين
(ج) هذا الحديث لا يصح بل يمكن الجزم بوضعه لما يأتي من الدليل ولم يذكر
في أي كتب الطبراني هو وسليمان الطبراني قد أورد في معجمه الاوسط عن كل شيخ
من شيوخه ماله من الثرائب والمجائب في روايته قال الحافظ ابن حجر « وفيه كل
نفيس وعزيز ومنكر » والظاهر أن هذا من منكراته وصنف المعجم الصغير وهو عن كل
شيخ له حديث واحد . ومتى اطلق المحدثون ما انفرد به الطبراني عنوا انه ضعيف ، ونقل
الشعراني للحديث واحتجاجة به لا يدل على صحته ولا على كونه صالحا للاحتجاج
به وهذا الحديث مخالف لما ورد في الكتاب والسنة من كون سبيل الحق وطريقه
واحدة كقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله » وما فسره به النبي (ص) فيما رواه ابن مسعود قال : خط رسول

الله (ص) خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا من يمين ذلك الخط ومن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ هذه الآية . رواه احمد وابن حنبل وابن ماجه والبيهقي وابن المنذر وابن ابى حاتم وابن السكيت والحاكم ومصححه وابن مردويه . والآية والحديث المفسر لما موافقان للآيات والاجاديت الكثيرة الناهية عن تفرق المسلمين في دينهم الى الشيع والطرائق ، وحديث الطبراني هذا يخالفها ومنها قوله تعالى : « وانا من الصالحون » وما دون ذلك كنا طرائق قددا ، ثم قال في هذه السورة (سورة الجن) : « وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا » فلم من ذلك ان الطريقة المرفوعة هي طريقة الحق التي كان عليها الصالحون وان الذين كانوا على سائر الطرائق القدد ليسوا على الحق . ويخالف حديث تفرق الامة على ٧٣ فرقة كلها في النار الواحدة ، وهو مع ذلك لا ينطبق على حديث شمس الايمان كما ظن بعض اصحابنا لان تلك الشعب تجمعها طريقة واحدة هي طريقة الكتاب والسنة على الوجه الذي كان عليه النبي (ص) واصحابه فان اطلاقها شهادة التوحيد وادناها امانة الاذى عن الطريق ، ولا يمكن ان يكون التوحيد طريقة والصلاة طريقة أخرى وإمالة الاذى عن الطريق شعبة أخرى . فالحديث موضوع قطعا

* * *

(مسافة القصر)

(من ٥٣) من م . ب . ع . في سبب برنيو (جاوه)

حضرة فخر الانام ، سعاد الملة وشيخ الاسلام ، سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء ادام الله بعزيز وجوده النفع آمين وبعد اهداء اشرف التحية وازكي السلام فيا سيدي وعمدي ارجو منكم الالتفات الى ما القيه اليكم من الاستئلة لتجيروني عنها وهي : —
هل نجد مسافة القصر بحديث : « يا اهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف » أم لا ؟ وهل أربعة البرد هي ثمانية وأربعون ميلا هاشمية ؟ وعليه فكم يكون قدر المسافة المستبرة شرعا بحساب كيلومتر ؟ أقروا

فتوى لا نسل إلا بها ولا نول إلا عليها فلا زلم مشكورين وكنا لكم ذاكرين . —
(ج) الحديث الذي ذكره السائل رواه الطبراني عن ابن عباس وفي أسنده
عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير قال الإمام أحمد ليس بشيء ضيف . وقد نسيه
التنويري إلى الكذب وقال الأزدي لا تحمل الرواية عنه ، ولكن مالكاً والشافعي
روياه موقوفاً على ابن عباس وإذا لم يصح رفعه فلا يحتج به . وفي الباب حديث
أنس أنه قال حين سئل عن قصر الصلاة فقال « كان رسول الله (ص) إذا
خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود
من طريق شعب وشعبة هو الشاك في الفراسخ والأميال . قال بعض الفقهاء الثلاثة الأميال
داخلة في الثلاثة الفراسخ فيؤخذ بالأكثر . وقد يقال الأقل هو المتيقن ، وفيه
أن هذه حكاية حال لا تحديد فيها والمدد لا مفهوم له في الأقوال فهل بعد حجة
في وقائع الأحوال ؟ وهناك وقائع أخرى فيما دون ذلك من المسافة فقد روى سعيد بن
منصور من حديث أبي سعيد قال « كانت رسول الله (ص) إذا سافر فرسخاً
يقصر الصلاة » وأقره الحافظ في التلخيص بسكوته عنه وعليه الظاهرية وأقل ما ورد
في المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر بإسناد صحيح وبه أخذ ابن
حزم وظاهر إطلاق القرآن عدم التحديد وقد فصلنا ذلك في (ص ٤١٦ و ٤٤٩
من المجلد السابع من المنار)

والمشهور أن البريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وأصل الميل مد البصر
لأن ما بعده يميل عنه فلا يرى وحدوده بالقياس فقالوا هو ستة آلاف ذراع
والذراع ١٤ أصباً معتدلة والأصبع ست حبات من الشعير معتدلة .
وقال بعضهم هو اثني عشر ألف قدم بقدم الإنسان . وهو أي الفرسخ ٥٥٤١ متراً

(صلاة الظهر بعد الجمعة احتياطاً)

(س : هـ) من صاحب الامضاء في (اكراحي من ولاية ويانتا - روسية)

حضرة الأستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوكم ان تعيدنا عن الفتوى الآتية :

ماقولكم دام فضلكم في قول رجل يدعي ان الصلاة المسماة باحتياط الظهر بدعة والتي (عم) ماصلاها وليس فيها رواية من الصحابة والتابعين ، والعلماء المجتهدين (أول من بين في القرآن بدعة هذه الصلاة الشيخ شهاب الدين الجرجاني) ومذهب أبي حنيفة والباقي من الأئمة فرضية الجمعة فقط ما عندهم شيء من عناقيد ادعي مشروعية احتياط الظهر فليثبت لنا بالكتاب أو السنة أو الإجماع مجرد كتابة اللفاظ العربية ان كان من ترك الجمعة بالظن جزاؤه من الشارع صدقة ربع دينار أو صاع ونصف من الخنطة وليس مأمورا بأداء الظهر بدلا عن الجمعة فان كان الامر كذلك فادعاء بدعية الظهر عن الجمعة ليس بصحيح والقول بوجوب الاحتياط الأصلي بعيد جدا .

محسروكم بعد ما فهمت بدعية الاحتياط ما أصلها منذ عشرين سنة وأنه أيضا سامي كلامي وبعد ما سلم الامام أخرج من المسجد وأرجع الى بيتي وأصلي فيه ركعتين وهذا فعلي موافق لقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا) ومما بقي أيضا لسنة رسول الله (بخاري ٢ جزء ١٤ ص) وسب الجوال فعلي هذا بالاعتزال وغيره ليس بشيء عندي ولا أبالي به وفتاوى الناشكندان نظارنا بمقتضى الوجدان والانصاف ليست بشيء وقولهم رد الفتوى كفر أيضا كذلك . الحاصل عندي القول بوجوب الاحتياط شيء كبير لا جراحة لي عليه لأن الشارع صلى الله عليه وسلم ماصلي هذه الصلاة في عمره ولا مرة انتهى

المترجم من مجلة الشورى عدد ٣٣

السياح الحجازي أبو ادب حافظ حلي

(ج) تراجع ص ٧٢٩ و ٩٣٨ من مجلد المنار السابع فهناك بيان نافع ، ثم انا نظرم ان نية السائل في تركه لما جرى عليه بعض الناس في وطنه من صلاة الظهر بعد الجمعة ونية اولئك المصلين لها كانتا حسنة والمسألة متنازع فيها وقد قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) أي وأحسن عاقبة وما لا في الدنيا لأنه يزيل النزاع والفرق ويجمع الكلمة وفي الاخرة لأنه المرضي عند الله تعالى . وإذا رددنا المسألة الى الله تعالى برضاها على كتابه والى رسوله (ص) برضاها على سنته لا نجد

فبها دليل على مشروعية صلاتين من وقت واحد بل على عدمه وهو الأصل
 فمن كان يعتقد أن صلاة الجمعة لا تصح منه حرم عليه أن يصليها ووجب عليه الظاهر وحده
 ومن صلاها معتقدا صحتها من اجزائه ولم يجب عليه غيرها في وقتها إلى العصر ومن اعتقد
 أن صلاته للجمعة صحيحة ولكنها ناقصة نقصا لا يقتضي بطلانها فله أن يجبرها
 بالنوافل الرواتب وغير الرواتب وقد صح في حديث ابن عمر المتفق عليه أن النبي
 (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . وفي حديث أبي هريرة عند مسلم
 وأصحاب السنن الأمر بصلاة أربع ركعات بعدها وورد فقط « من كان منكم مصليا
 بعد الجمعة فليصل أربعاً » أي إن شاء . والأفضل أن تكون في البيت كسائر النوافل
 ولا يتوهم الذين يصلون الظاهر بعد الجمعة أن الخطب في ذلك سهل لأنه
 زيادة من الخير الذي هو الصلاة فإن فيه خطراً عظيماً من حيث أنه شرع عبادة
 لم يأذن بها الله والشارع هو الله وحده فمن أحدث في الشرع شيئاً فقد جعل نفسه
 شريكاً لله في ألوهيته أو ربوبيته ومن واقعته فقد اتخذ شريكاً كما قال تعالى
 (أم لم يشركوا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا مراراً تفسير النبي
 (ص) لا يتخذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أرباباً بأنهم كانوا يضمون لهم أحكام
 الحلال والحرام فيتبعونهم فيها وهم ما كانوا يضمون تلك الأحكام إلا بمثل الشبهات
 التي حدثت بها البدع الدينية في الإسلام من حيث أنها زيادة في الخير أو العبادة
 أو احتياط في ترك ما لا يرضي الله تعالى كما هو معروف في تاريخهم
 فبأنها المسلمون لا تفاؤ في دينكم وإن لكم في الفرائض والمندوبات اثابة في الكتاب
 والسنة بالنص الصريح غنية عن سواها وقد قال النبي (ص) في الأعرابي الذي حلف أنه
 لا يزيد على المكتوبات الخمس وسائر الفرائض من أركان الإسلام ولا ينقص « أفلح إن
 صدق » ودخل الجنة إن صدق . وبأيت السواد الأعظم من المسلمين يأتون جميع
 الفرائض القطعية ويتركون جميع المحرمات القطعية وفي النوافل المشروعة ما يستغرق العصر
 وما قاله السائل في رد الفتوى صحيح وإنما غنى أولئك المشددون المكفرون
 من رد الفتوى بحتمها وهو يعتقد أنها من دين الله تعالى ويقصد بذلك احتقار
 الدين لأمن اعتقد خطأ المقتي

الباطنية

﴿ وآخر فرقهم البائية البائية ﴾

قلنا في الجزء الماضي إن البائية البائية فرقة من الباطنية وإن الباطنية قد وضروا
تعاليم السرية منذ القرن الأول لأفساد دين الإسلام وإزالة ملكه فهم ماوضروا
شيئا يعتقدون حقيقته وهداية الناس بدعوتهم إليه ، وقول الآن أنهم لما انتشرت
دعوتهم وكثر عددهم وصار لهم قدرة على الحرب اضرمت نيران القتل والحروب
بمخرجهم على الدول الإسلامية مرارا ، وقد خابوا ولم ينالوا ما طلبوا بالملكة ولا بالقوة
ثم صار لبعض رؤسائهم قناعة بعبادة اتباعهم لهم وبذلهم أموالهم في سبيلهم كآفة
الأممائية المتأخرين ، وضعت دعوتهم حتى جددوا البائية في هذا العصر وإذا نقل
لقراء المتأثرين بما حفظه التاريخ من أخبارهم وطرق دعوتهم وتأويلهم للقرآن ثم
نئين حقيقة دعوة فرقة البائية منهم

قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق)
وهو من علماء القرن الخامس توفي سنة ٤٢٩ هـ أي منذ تسعة قرون ماضية

(الفصل السابع عشر من فصول هذا الباب - أي الخامس)

« في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام »

أظهروا أسدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود
والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم
بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان . لأن الذين ضلوا عن الدين
بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون في
وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد منفتحة على أربعين يوما ، وفتنة الباطنية أكثر
من عدد الرمل والقطر . وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة
(المجلد الثالث عشر) (١٠٥) (المجلد ١١ م ١٣)

الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديسان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز . ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيضان وميمون بن ديسان في سجن والي العراق أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية .

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بذيضان وابتدأ بالدعوة من ناحية فدخل في دينة جماعة من اكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديسان الى ناحية المغرب وانسحب في تلك الناحية الى عقيل بن ابي طالب وزعم انه من نسله . فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافض والحولية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الاغبياء ذلك منه على (أن) اصحاب الانساب (صرحوا) بأن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يقب .

ثم ظهر في دعوته الى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك قرمطة في خطه أو في خطوه وكان في ابتداء أمره أكره سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة

ثم ظهر بعده في الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجاني وكان من مستحبة حمدان وتطلب على ناحية البحرين ودخل في دعوته بنو شخير

ثم لما تمادت الايام بهم ظهر المعروف منهم بسعد بن الحسين احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديسان القداح فغير اسم نفسه ونسبه . وقال لاتباعه انا عبد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . ثم ظهرت ثلثته وأولاده اليوم يستولون على أعمال مصر

وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مبرويه اللنداني من تلامذة حمدان قرمط وظهر مأمون اخو حمدان قرمط بأرض فارس . وقرامطة فارس يقال لهم المأمونية لأجل ذلك .

ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم اسفند بن شرويه .

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعرازي قتل بآفيولانية أبي بكر بن محتاج

عليها . وكان الشمراني قد دعا الحسين بن علي المروروذي قام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر وأبو يعقوب السعزلي المعروف ببندانه وصنف النسفي لهم كتاب المحصول وصنف لهم أبو يعقوب كتاب أساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الأسرار وقتل النسفي والمرووف ببندانه على ضلالتهم وذكروا أصحاب التواريخ ان دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون وانتشرت في زمان المتصم . وذكروا انه دخل في دعوتهم الافشين صاحب جيش المتصم وكان مراهنا بابك الخرمي وكان الخرمي مستمعا بناحية الدين وكان أهل جهه خرمية (١) على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مالباطنية يدا واحدة . واجتمع مع بابك من أهل الدين ومن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاث مئة الف رجل . واخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتواني في القتال معه ودله على عودات عمائر المسلمين وقتل الكثير منهم . ثم لحقت الامداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثوري وأبو دلف القاسم بن عيسى المجلي ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر واشتدت شوكه البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لانفسهم البلدة المعروفة ببرزند خوفا من بيان (كذا) البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة الى أن أظهر الله المسلمين بالبابكية فأمر بابك وصاب بسر من رأى (٢) سنة ثلاث وعشرين ومئتين ثم أخذ أخوه اسحاق وصاب ببغداد مع المازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيائته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه ففعل ذلك .

وذكروا أصحاب التواريخ ان الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجهوس وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ولم يحسموا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الأعمار منهم أساسا من قبلها منهم صار في الباطن الى تفضيل أديان المجهوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أساسهم . وبيان ذلك

(١) المار : الخرمية بضم الخاء وتشديد الراء معناه الاباحية وأصل الكلمة فارسي قيل معناه المرورو (٢) هو البلد الذي يقال له الآن سامرا

أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان والنور منها فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار ، وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منها مشتمل على أربع طبائيم وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الأولان من الطبائيم الأربع مدبران هذا العالم . وشاركتهم الجحوس في اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الإله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذكروا زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خالق النفس فالإله هو الأول والنفس هو الثاني وهما مدبران هذا العالم . وسموها الأول والثاني وربما سموها العقل والنفس . ثم قالوا إنها يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطائيم الأول .

وقولهم إن الأول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول الجحوس بإضافة الحوادث إلى صانعين أحدهما قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثاني وهما الجحوس عنهما يزدات وأمر من فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية ووضعوا أساسا يؤولون إليه ولم يكتفهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تبحر المساجد كلها وأن يكون في كل مسجد مجرة يوضع عليها الند والعود في كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشد أن يتخذ في جوف الكعبة مجرة يتبخر عليها العود أبدا ففعل الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وأن تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة

ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام الجحوس . والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والإخوات وشرب الخمر وجميع اللذات . ويؤيد ذلك أن الفلام الذي ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سن لاتباعه اللواط وأوجب قتل الفلام الذي يمتنع على من يريد التجوز به وأمره قطع يده من أظفار ناراً بيده وقطع لسانه من أظفاره بنفخة . وهذا الفلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطائي

وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاث مئة وطالت فتنه الى ان سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية الى دين الجحوس أنا لا نجد على ظهر الارض بجوسيا إلا وهو مواد لم متقل ظهورهم في الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك . وربما استدلل اغمارهم على ذلك بما يرويه الجحوس عن زرادشت انه قال لكتاسب ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس . وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم ان الملك يعود الى المعجم لثام الف وخمس مئة سنة من وقت ظهور زرادشت . وكان في الباطنية رجل يعرف بأبي عبد الله الردي يدعي علم النجوم ويتعصب للجحوس وصف كتابا ذكر فيه ان القران الثالث عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق الالف العاشر وهونوبة المشتري والقوس . وقال عند ذلك يخرج انسان يبعد الدولة الجوسية ويستولي على الارض كلها . وزعم انه يملك مدة سبع قرات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك المعجم الى الروم واليونانية في أيام الاسكندر ثم عاد الى المعجم بعد ثلاث مئة سنة ثم زال بعد ذلك ملك المعجم الى العرب وسيجود الى المعجم لثام المدة التي ذكرها جاماسب . وقد وافق الوقت الذي ذكره أيام المكثني والمقتدر وأخلف موعدهم وما رجع الملك فيه الى الجحوس .

وكانت القرامطة قبل عذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المتظفر في القران السابع في المثة الثارية . وخرج منهم سليمان بن الحسين من الاحماء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف في القتل فيهم . ثم دخل مكة وقتل من كان في الطواف وأغار على أمتار الكعبة وطرح القتلى في بئر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم في بعض حروبه الى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها
أغركم مني رجوعي الى هجر ؟ فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المرجح في أرض بابل وقارنه النجمات قلحذر الحذر
أست أنا المذكور في الكتب كلها ؟ أست أنا المبعوث في سورة الزمر ؟

سأملك أهل الأرض شرقا ومغربا إلى قبروان الروم والترك والخرز وأراد بالنجسين زحل والمشتري . وقد وجد هذا القرآن في سني ظهوره ولم يملك من الأرض شيئا غير بلدته التي خرج منها . وطمع في أن يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رفته امرأة من سلعها بلينة علي رأسه فدمغته وقبيل النساء أخس قبيل وأهون قيد .

وفي آخر سنة ألف ومشتين وأربعين للاسكندر تم من تاريخ زرادشت ألف وخمس مئة سنة وما عاد فيها ملك الأرض إلى الجيوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام ونفع الله تعالى المسلمين بعدها بلاد بلاساغون (١) وأرض التبت وأكثر نواحي الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لغان إلى قنوج وصارت أرض الهند إلى سيترسقا يهرها من رقة الاسلام في أيام أمين الدولة أمين الملة . محمود بن سبكتكين رحمه الله . وفي هذا وغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسية الذين حكموا بعد الملك اليم فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة أمانهم يورا بمحمد الله ومنه

ثم إن الباطنية خرج منهم عبيد الله ابن الحسين بناحية القبروان وخدع قوما من كثافة وقوما من المصادمة وشردمة من اغنام بربر بجيل ونيرنجات اظهرها لهم كروية الخيالات بالليل من خلف الرءاء والازار وظن الاغمار انها معجزة له فجمروا لاجابها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسين بن بهرام على أهل الاحساء والقطيف والبحرين فأبى أتباعه على أعدائه وسبي نساءهم وذرائعهم واحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذرائعهم ونساءهم . ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الاطفال والنساء وانضم اليه المعروف منهم بإبن الفضل في أتباعه ثم إن الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الآكلة والطاعون فماتوا بهما

ثم خرج بالشام حفيد ليمون بن ديسان يقال له أبو القاسم بن بهرويه وقالوا لمن اتبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسم وثمانين ومشتين فقصدتهم سبكت صاحب المقتصد فقتلوا سبكتا في الحرب ودخلوا مدينة الرصافة واحرقوا مسجدها الجامع

(١) بلاساغون بالنيين المنجحة بلد عظيم في شرق الترك وراء نهر سيجون قريب من كاشغر

وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامي غلام بن طيلون وهزمهم الى الرقة
فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم
وقتل منهم الآلاف فانهزم الحسن بن زكريا بن مروييه الى الرملة فقبض عليه والي
الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه الى المكتفي فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد
عذاب . ثم انقطعت شوكة القرامطة الى سنة عشر وثلاث مئة

وظهرت بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة فانه
كبس فيها البصرة وقتل أميرها الملقبي ونقل أموال البصرة الى البحرين . وفي
سنة اثني عشرة وثلاث مئة وقع على الحبيج في المنيعر لشر بقيت من الحرم
وقتل أكثر الحبيج وسبي الحرم والذراري . ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة
وثلاث مئة فقتل الناس وأتعب الأموال . وفي سنة خمس عشرة وثلاث
مئة حارب ابن أبي الساج وأمره وهزم أصحابه . وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة
دخل مكة وقتل من وجدته في الطواف . وقبل انه كان بها ثلاثة آلاف وأخرج منها
سبع مئة بكر واقطع الحجر الأسود وحمله الى البحرين ثم رد منها الى الكوفة ورد بعد
ذلك من الكوفة الى مكة على يد أبي اسحاق بن ابراهيم محمد ابن أبي يحيى مزي نيسابور
في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة

وقصد سليمان بن الحسن بغداد في سنة ثمانى عشرة وثلاث مئة فلما ورد هبت
رمة امرأة من سطحا بلية فتكته وانقطعت شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن
الحسن مبدقين (١) فاجتمع من الكوفة والبصرة الى مكة فخصاة، ومال مضمون لهم
الى ان غلبهم الأصغر الطيلي على بعض ديارهم .
وكانت ولاية مصر وأعمالها للأخشيدية وانضم بعضهم الى حيد الله الباطني
الذي كان قد استولى على قبروان ودخلوا مصر في سنة ثلاث وستين وثلاث مئة
وابتغوا فيها مدينة سمروها القاهرة يسكنها أهل بدعته وأهل مصر ثابتون على السنة الى
يومنا وان اطاعوا صاحب القاهرة في اداء خراجهم اليه .

وكان أبو شعاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدي

(١) النار : أي خفراء والبندوة بالبدال المهمة والمعجزة الخفاوة

الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين :
ادخلوا مصر ان شاء الله آمين : وقال قصيدة أولها

اما ترى الاقدار لي طوائفا قواخيا لي بالبيان كالمطير
ويشهد الانام لي بانني ذاك الذي يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعي الى خليفة الله الامام المنتظر

فلما أخرج مضاربه للخروج الى مصر غاصه (١) الاجل فمضى لسيده فلما قضى
فناخسرو نجه طمع زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم بدعومهم الى البيعة
له فاجاب قايوس بن وشمكير عن كتابه بقوله : اني لا اذكرك الا على المستراح .
واجابه ناصر الدولة ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه
اليه (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) الى آخر السورة . واجابه نوح بن
منصور والي خراسان بقتل دعائه الى بدعته .

ودخل في دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله في
دينه شوقا عليه في دعاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى على الدولة وأمين الملة محمود
ابن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية .

وكان أبو علي بن سيمجور قد واقفهم في السرفداق وبال أمره في ذلك وقبض
عليه والي خراسان نوح بن منصور وبث به الى سبكتكين فقتل بناحية غزنة وكان
ابو القاسم الحسن بن علي الملقب بن الشتمد داعية أبي علي بن سيمجور الى مذهب
الباطنية وظفر به بكتودون صاحب جيش السامانية بنسابور فقتله ودفن في مكان
لا يعرف وكان أميرك الطوسي والي ناحية نرويه قد دخل في دعوة الباطنية فأسر
وحمل الى غزنة وقتل بها في الليلة التي قتل فيها أبو علي بن سيمجور . وباد بذلك
نصراء الباطنية من تلك البلاد ومن هذا بيان شوم الباطنية على متحليها فليعتبر
بذلك المتبرون (لما بقية)

(١) النار : كما في الاصل ولعل الصواب غاصه أي غابا واخذته على غرة

﴿ جمیل صدقی افندی الزہاوی ﴾

« مهاجۃ بشریاتہ للشریعة الاسلامیة فی حقوق النساء »

نشرت جريدة المؤید فی شهر شعبان من هذه السنة مقالة لجمیل صدقی افندی الزہاوی الشاعر البغدادي المشہور یتعصر فیها بتخیلاتہ الشرعیة للنساء علی الشریعة الاسلامیة الحکیمة « ومقالة أخرى یدعو فیها العرب الی ترک اللہة العربیة الفصیحة واستعمال اللغات العامیة التي یتخاطبون بها علی سخطها وعسر ضبطها وما تحتاج من العناية والزمن الطویل لتدوینها ووضع القنون لها لتعظیما وتجميل لتطبیها طریقة فنیة وعلى ما فی ذلک من تمزیق شمل العرب وجعلهم أما مختلفة فی اللہة فرد علیہ الكتاب المسلمون فی مصر وسوریة والعراق ویقال ان أهل العلم والدين طاجوا علیہ فی بغداد ورفعوا أمرہ الی الحكومة فخرته من عملہ فی نظارة المعارف وكان مطالاً للشریعة فی مدرسة الحقوق

كنت علمت بما کتبہ جمیل افندی وانا فی الآستانة فلم أر کتابہ هذه أهلاً لان تقرأ أو یرد علیها ولکنی رأیت نصیر الحریة الفیلسوف شبلی شمل قام یتعصر له فی هذه الايام ویدعو الكتاب الی ذلک فکتب فی المقلم یتفتی الرأي العام العثماني والمصري فی حادثہ وقد بنی استفتاءہ هذا علی رسالة جاءتہ من بغداد یتنکر فیها کاتبها (ولعلہ جمیل افندی نفسه) عزله فی عهد الدستور بواسطة مبعوث دستوري (هو مصطفی افندی مبعوث الحلة) وحاکم دستوري (هو ناظم باشا والي بغداد) ویقول ان فریقاً من الثائرين یریدون ان تفصل الحكومة بین الرجل وزوجہ لانه کفر وفریقاً یطلب إبعاده عن البلاد الاسلامیة وفریقاً یریدون قتله .

وقد عقب المقلم علی استفتاء شبلی شمل بکلام فی متعی الشیئة والانکار مع اعتراف المقب بأنه لم یقرأ مقالة الزہاوی ولكن انظم القطع الذی اصاب الزہاوی اضرم نار السخط فی صدرہ وجعل دمه یغلی فی مروقہ

في الدكتور شميل بأن اكتب وأني في المسألة فرجت الى مقالة الزهاوي في المؤيد لا تثبت وأتبع حقيقة الذنب الذي ترتبت عليه المقربة فأرأته يعترض فيها على ما ثبت في القرآن العزيز وينسب الى خطأ المسلمين وجهلهم يشير بذلك الى ان القرآن من أوضاعهم بل هو يصرح بذلك بقوله في الجنة « التي وصفوها بقولهم فيها ما تشتهي الانفس » هناك جملة من تلك المقالة ينصها

« وليست المرأة مضمومة من جهة واحدة بل هي مضمومة من جهات عديدة: ولو كان ربحاً واحداً لاقيته ولكنه ربح وثان وثالث

« فهي مضمومة لان عقدة الطلاق يد الرجل يحلها وحده ولا أدري لماذا يجب رضا المرأة في الاقتران ولا يجب رضاها بالفراق الذي تعود تبعته عليها وحدها « وهي مضمومة لانها لا ترث من أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل « وهي مضمومة لانها تعد نصف إنسان وشهادتها نصف شهادة « وهي مضمومة لان الرجل يتزوج عليها بثلاث آخر وهي لا تزوج الا به وحده

« وهي مضمومة لانها وهي في الحياة مقبورة بحجاب كثيف يمنعها من شم الهواء ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها والاستئناس بهم والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى « وليست المرأة المسلمة مضمومة في الدنيا فقط بل هي مضمومة كذلك في الأخرى لان الرجل المصلي يعطى من الخور العين من سبعين الى سبعين ألفاً وأما المرأة المصلاة فلا تعطى الا زوجها وربما اشتبهته (١) في الجنة التي وصفوها قائلين (فيها ما تشتهي الانفس) على حين يشتهي هو غيرها من الخور العين اللاء أعطيته « اهـ

فهذه الجملة الوجيزة من تلك المقالة كلها تهكم بالشريعة واعتراض على القرآن العزيز ولا يمكن أن يصدر مثلها من مسلم يؤمن بالله ورسوله (ص) وسكنت من كثير من الذين عرفوا جميل صدقي افندي في الآستانة انه ملحد لا يدين بهمين وما كان يجوز لي ان اكتب ذلك جازماً به اعتماداً على شهادتهم وان لم أتهمهم بالكذب لاتي عهدي من الناس تكفير من أعلم بالاختبار قوة دينهم ولكن هذه

العبارة كافية للجزم بأن قائلها ليس مسلماً ومن يقولها لا يختلف أحد من فقهاء المسلمين في رده ، لأن جميع هذه المسائل التي ذكرها ثابتة بنص القرآن إلا الحجاب على الوجه الذي ذكره . والأمسألة عدد الحور العين لكل مصل فانه عزها إلى الشريعة لجلبه بالكتاب والسنة فلا أصل لها في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة وإنما ورد في الحديث الصحيح أنه يكون للرجل في الجنة زوجان اثنتان وما ورد من السبعين واثنتين وسبعين حوراء فمن روايات الضعفاء والمتهمين بالمنكرات والموضوعات

هذه الأحكام التي اعترض عليها الكاتب اعترض من تهكم وإدراء هي من القوانين الشرعية التي تحكم بها في محاكم الدولة الدستورية وهي من دين الإسلام الذي هو الدين الرسمي للدولة المدنية بمقتضى قانونها الأساسي ، وقانون المطبوعات الذي وضعه وأقره مجلس الأمة لا يبيح الاعتراض والتحكيم بدين الحكومة الذي يجب عليها حمايته بل ولا تغييره من الأديان التي أقرتها الحكومة الدستورية في بلادها . فالدستور الأساسي لا يبيح إذاً نشر مثل تلك المقالة التي نشرت باسم الزهاوي والذي ينصر له بعد العلم بحقيقة ذنبه في نشرها يكون جانياً على الدستور خارجاً عن محيط الحرية التي يشترط عند جميع الأمم أن لا يتعدى بها حدود القوانين التي عليها العمل . لو أن الزهاوي اتبع سبيل الحكمة والعقل ، في اعتدائه حدود القانون والشرع ، قال كثير من العقلاء أنه يستحق الرأفة في الحكم ، وأين الحكمة والعقل ممن يزعم أنه يريد إصلاح قوم فينكر عليهم ما هو ثابت في أصل دينهم وكتاب ربهم لأنه هو لا يفقه ولا يدري حكمه .

كان من مقتضى الحكمة والعقل أن ينكر في عاقبة نشر هذا القول ويعلم أن عدم قبوله - وهو الأرجح إن لم يكن القطعي المحتمل - يهيج عليه الناس فيتأذى هو ولا يتفهمون هم على فرض أن ما دعاهم إليه نافع وإن قبوله لا يكون إلا بطلان الثقة بالدين من أصله وإذا أقسموا في فوضى نستباح فيها الاعتراض والأموال فيكون الله أكبر من نفسه

إن كان الزهاوي يرى أنه لا يمكن إصلاح حال المسلمين ماداموا متمسكين بدينهم وكان حريصاً على إصلاحهم فالفني كان يمثل منه أن يسلمه هو أن يدعوهم

الى ترك هذا الدين إما تركه الى إلحاد وكفر مطلق وإما الى دين آخر يراه يتفق مع الإصلاح . وان كان يرى انه يمكن إصلاح حالهم مع محافظتهم على دينهم فالذي يعقل منه أن يدعوهم الى ترك ما لا يحصى من المفاصد التي فعلوها والمصالح الكثيرة التي تركوها مخالفين للإسلام في فعلهم وتركهم وأما هذه الذبذبة وقوله تارة قال الله تعالى ويذكر آية من القرآن وإشارته تارة أخرى الى بعض الآيات بقوله ه وصفوها قائلين ه فليست من العقل ولا من الحكمة في شيء .

بعد هذا كله أقول فيما ذكر من عزله واضطهاد الناس له انه كان ينبغي أن يستل أولاً عن هذه المقالة فإن اعترف بأنه هو الكاتب لها فللحكومة أن تعزله قائلة انه لا ينبغي أن يدرس الشريعة من ينكر أصلاً الأحكام ومراجعتها الأئمة والناس ان ينكروا عليه ذلك اذ لا يأمن آباء التلاميذ على أولادهم من يشككهم في عدل شريعتهم وحقيقتها ويجب عليهم شرها أن يطالبوا الحكومة بمنعه من التدريس ويجب على الحكومة ان تنجيهم الى ذلك . وإذا دفع أمره الى القاضي الشرعي وثبت هذه انه هو الذي تهكم بالشريعة ونسبها الى الجور والظلم في أحكام الارث والطلاق وتعدد الزوجات بشرطه فليس عليه أن يحكم برده ويفرق بينه وبين امرأته ان كانت مسلمة

هذه هي شريعة الدولة ليس لما قل أن ينكر عليها تنفيذها ما دامت هي شريعتها وان كان هو لا يدين الله بها ولا يرى انها عادلة كما ان بعض رجال القانون بمصر يرون ان في القانون المصري امورا متقدمة ضارة يجب تنقيحها أو تغييرها ولكنهم لا يجيزون تغيير الحكومة في تنفيذها ما دامت مقررة في القانون

نعم اتنا لا نقى الناس بجواز الاعتداء عليه بقتل ولا ضرب ولا سب ولا على ماله بنصب ولا سلب فان اجازة اعتداء الناس على من يرويه مذنباً بالكفر أو العصية يوقع البلاد في الفوضى والفتن ويسلب منها الأمن على الأتقى والأموال والأعراض ويطل سلطة الحكومة ، ولكن لهم أو عليهم أن يظهروا له السخط والانكار فان انكار المنكر فرض محتم وهو الركن الأسمى لحفظ الآداب العامة والفضيلة فكل أمة تكرم أهل المنكر تهيط وتفسد وكل أمة تحترمهم تفسد وتصلح ، وقد علمنا ان بعض

سراة الانكليز ارنك فاحشة الواط ظا عرف ذلك عنه فضل بجمع نفسه (الاتجار)
على الظهور بين قومه مينا محتررا ، ومن ينظم ويكرم من يعتقد انه لا يستحق
التكريم فهو منافق ويستحيل ان ترقى أمة يفش فيها التفاف ما لم تترك

نعم ان احترام استقلال الفكر من أعظم أسباب ارتقاء العقل والعلم ولكن
مسألة الزهاوي لا تدخل في هذا الباب لانه لم يبد رأيا دينيا في ضمن دائرة الدين مخالفا
لبعض المذاهب بالدليل ، ولا رأيا علميا في ضمن دائرة العلم بعيدا عن مس كرامة
الدين ، بل أهان الامة بالتكلم بدينها ، والحكومة بالخروج على شريعتها وقوانينها
ويعتقد كل من الامة والحكومة ان ما كتبه يضر لانه يطل ثقة العامة بدينها ،
وما رأينا الدكتور شيلا استباح لنفسه مثل هذا وهو اشهر كتاب العرب استقلالاً
في رأيه وعلمه ولذلك يحترم استقلاله المسلمون كغيرهم ويكرمونه تكريماً ، وما أراه
يرضيه ما كتبه الزهاوي - وقد علمه - بل يرضيه منه إما ان يكون مسلماً بدع لكل
ما يعتقد انه من دينه وإما أن يصرح بأنه ليس مسلماً ويظهر رأيه المخالف للإسلام
على انه رأي له مع التزام الادب واجتناب جرح قلوب القوم الذين يخالفهم ، وما
أراه يستحسن منه في هذه الحال ان يكون مدرسا يقرر شريعة يعتقد انها ظالمة بل
لعله يحتم عليه ان يرفض هذا الدرس من نفسه كما رفض الفيلسوف سبنسر الوسام
الذي أعداه اليه عامل الالمان لانه هو يرى وجوب ترك الحرب وذلك الملك اشد
الملوك استعداد لما

وأما الحكومة فيجب عليها أن تحمي الزهاوي من اعتداء الناس عليه ومن
اهائته بما يماق عليه القاتون وان لا تماق به هي الا بعد المحاكمة وثبوت الجرم والحكم
به . ولعلم ان اتباعها لأهواء العامة أو الخاصة في مطابقة الناس هو قلب لمعنى السلطة
وإضاعة للحكومة فان اهراء الناس لا تقف عند حد الشرع والقانون ولا العقل
والمصلحة فاذا لم تمن الحكومة في كل مكان بحفظ الحرية الشخصية اشد الصيانة فان
الدستور لا تقوم له قائمة وتظل البلاد هاوية في الشقاء والخراب ، وقد قصرت حكومتنا
الدستورية بهذه المسألة في كل الولايات حتى ان الناس يشعرون أن النفوذ الاعلى
لا يزال لاصحاب العصية ولعصباتهم من الاشقياء ، وبلي هذا تأمين عمالها الموثقين

على وظائفهم وعدم عزل أحد منهم بغير محاكمة والمطالب بهذا عاصمة البلاد في حيثياتها
النابية والتنفيذية فليس الأمر خاصا بالعراق ، بل مصدره عاصمة المملكة فيجب
على الأحرار المحيين للإصلاح أن يطلبوه من هناك
وليس هذا المقام مقام الرد على شبهات الزهاوي ومن راجع مجلدات المثار
والنفسير يجد فيها الرد الكافي

بعد هذا تصح لجبل صدقي أفندي فنقول ان ما حصل هو نتيجة طبيعية لتلك
المقالة تكاد تكون بديهية وان أهل بلادنا العثمانية لا يطبقون الجهر بمخالفة عاداتهم
فيشربون على صاحبه باسم الدين وانك رجل مستعد وميال للفلسفة والعلوم الطبيعية
والادبية فدع البحث في الدين لأهل المستعدين له واشتغل بخدمة الأمة من الطريق
الذي يرجى ان تنفعها به . وقد قال الأستاذ الامام ان من اسباب هضم الأمة ان من
يتقن فيها علما أو عملا أو من هو مستعد لا قنانه ذلك يشتغل بغيره مما لم يفتق ولم يخلق
مستمدا له فلو صرفت ذكائك الى وضع كتب صغيرة حسنة الترتيب سهلة الاسلوب
لمطالعة العوام والتلاميذ وتعليمهم ما يطبع ألستهم على اللغة الصحيحة ويقوى ملكة
الآداب والفضائل في انفسهم او رسائل لتعليم بعض الفنون التي نحبها لاقت
واستغدت وكنت من المصلحين ، ولعلك تفعل ذلك بعد ان تتجلى هذه
الفكرة من قريب

• • •

حجة جديدة لبراءة الزهاوي من المقالة

بعد كتابة المقالة جاءنا المؤيد يقول إنهم قابلوا خط رسالة مقالة الدفاع من
المرأة بخط بعض القصاصد التي كان أرسلها الزهاوي للمؤيد من قبل فوجدوا الخط
مختلفا غير متشابه فاذا انكر الزهاوي تلك المقالة وتبرأ مما فيها من الاعتراض على
الشريعة تبرؤا جليا واضحا لا كما كتب في جريدة الرقيب فان ما كتبه المؤيد الآن
يصلح حجة على تأييد إنكاره وحينئذ نطالب الحكومة والاهالي بجعل الحادثة
كان لم تكن شيئا مذكورا

النظام الجديد

(للجامعة الأزهرية)

فتح الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى في الأزهر روح الإصلاح وشوق طلابه إلى النظام والعلوم والفنون ، وقال يستحيل أن يبقى الأزهر على حاله بعد قانا أن يصلح وإما أن يسقط ويذول ، وقد ظهر صدق رأيه بعدد قيام طلاب الأزهر وكثير من شيوخه يطالبون بإصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التي تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في الأزهر ، وهاج الأزهريون في السامعين السابقين واعتصموا لأجل ذلك حتى انقضت حلق الدروس كلها من الأزهر ، ووضعت لهم الحكومة في أثناء ذلك نظاما جديدا لم يقبلوه بل طلبوا أمورا أخرى لم تجبهم إليها الحكومة وسنتين ذلك في مقال آخر . بعد ذلك عهدت الحكومة إلى أحد قضي باشا زخلول وكيل نظارة الحفانية أن يضع نظاما جديدا للأزهر بمساعدة اسماعيل صدقي باشا وكيل نظارة الداخلية وبعد انطالق ثروت باشا النائب المصري . وقد غني رئيس هذه اللجنة أحمد فتحي باشا بالامر واشتغل به مدة صيف هذه السنة وراجع لأجله جميع القوانين والأنظمة التي وضعت للأزهر من ١٢٨٨ إلى الآن أي منذ أربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد طبعت اللجنة وطبعت معه القوانين والأنظمة التي أشرنا إليها في دفتر خاص فكان سفرنا كبيرا قدمته للحكومة وأنا نقدر في هذا الجزء من المناظر المذكورة التي بين فيها ما يشمل عليه النظام الجديد بالأجمال وسنشر بعدها قانون هذا النظام كله

من كرات

(بيان مشتملات المشروع)

لما كانت المعاهد الدينية الإسلامية آخذة في النحس وكان من الواجب أن يكون

نظامها وحالة التعليم فيها موافقا لرقى الأمة وحاجاتها وجب الاهتمام بأمر هذه المعاهد وتوحيد برؤسائها وتنظيم إدارتها بما يكفل الحصول على الفائدة المطلوبة منها ولذلك وضع مشروع القانون المرفق بهذه المذكرة شاملا للقواعد والاحكام التي تناسب حالة المعاهد المذكورة وخلاصته ما يأتي

(١) اعتبرت المعاهد الدينية الاسلامية الموجودة الآن بالقاهرة المصري مجموعا تتكون منه جامعة واحدة سميت (الجامعة الأزهرية) نسبة الى الجامع الأزهر الذي هو أكبرها وأقدمها وكنت المعاهد الأخرى وهي الموجودة في الاسكندرية وطنطا ودمشق ودمياط وذكر على وجه الاجمال الغرض من هذه الجامعة وهو تعليم العلوم الدينية وتعليمها على وجه يفيد الأمة

و يدخل في الجامعة كل معهد يؤسس في القاهرة المصري بإرادة سنية ثم لوحظ أن هناك معاهد أهلية يطلب منشؤها الخلق بالجامع الأزهر وقد يوجد مثل ذلك في المستقر فنقرر أن مجلس الأزهر الأعلى يضم لأئمة بيان الشروط التي يجوز بقتضاها الخلق المعاهد التي من هذا القبيل بالجامعة الأزهرية وأن يصدق على الأئمة المذكورة بإرادة سنية (راجع للمادتين ٢ و ١)

أما الرئاسة الدينية بالنسبة لأهل العلم ومن ينحى الى الجامعة فقد جلت لشيخ الجامع الأزهر جريا على ما كان معروفا من قبل كما صار بصفته رئيسا لمجلس الأزهر الأعلى المنفذ العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامعة الأزهرية (المادتين ٣ و ٤)

(٢) عوخت الإدارة العليا في الجامعة الأزهرية الى مجلس أعلى يتألف تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر من مفتي الديار المصرية وروثاء المذاهب ومدير عموم الأوقاف المصرية وثلاثة يختارون من ذوي المكانة والدراية ممن تستفيد منهم إدارة هذه الجامعة نظرا لخبرتهم ومعارفهم في المسائل النظامية والإدارية

وجعل لكل معهد شيخ تباط به إدارته وشكل تحت رئاسته مجلس إدارة في الجامع الأزهر ومعهدى الاسكندرية وطنطا فنظر في المسائل التي تفتي المشورة

وليكون ذلك ضامنا لحسن سير المعاهد وتنبه لاهلها فيما لهم من الحقوق وفيما على أداء ما هو مطلوب منهم من الواجبات

وأباح القانون تعيين وكلاء المشايخ في المعاهد اذا اقتضت حالة الادارة ذلك وأما بقية المعاهد فجعل أمر إيجاد مجالس الادارة فيها موكولا الى أحوالها التشريعية فاذا ارتقت وأصبح ذلك لازما لها فللمجلس الأعلى أن يقرره بقيود وشروط مخصوصة

وحددت اختصاصات كل ركن من أركان هذه الادارة بما يناسبه على وجه يضمن حسن سير النظام ورفي التعليم

ولما كان التعليم في الجامع الأزهر يحتاج الى مراقبة كبيرة نظرا لكثرة طلابه أنشئت فيه ثلاث ادارات للتعليم لكل قسم من أقسامه الثلاثة ادارة خاصة به تحت رئاسة شيخ مخصوص ومعه ما يلزمه في ذلك من المراقبين والعاملين (راجع المواد ٢٠ الى ٢٣) (٣) قرر أن يكون تعيين شيخ الجامع الأزهر ومشايخ المعاهد والوكلاء ومشايخ المذاهب وأعضاء المجالس بإرادة سنية

وأن يختار شيخ الجامع الأزهر ومشايخ المذاهب من هيئة كبار العلماء وأن يختار الباقون ماعدا أعضاء المجلس الأعلى ممن أمضوا سنين معدودة في التدريس وكانوا من أرباب كسوى التشريف (راجع المواد ٢١ الى ٢٣)

(٤) أما العلوم التي تدرس بالجامعة فهي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية يضاف اليها ما يلزم من العلوم والفنون الاخرى التي تلزم لئلا هذه الجامعة مما يكون فيه لطلابها عون على التسلح من علومهم الأصلية التي هي المقصد الاول من وجودها وقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولى وثانوي وعالي وخصصت مواد كل قسم كما حددت مدة التعليم فيه

ووضعت البروفغرامات بحيث ينتهي تعليم العلوم التي من النوع الأخير في نهاية القسم الثانوي حتى بذلك يتفرغ الطلبة الى العلوم الأساسية في الجامعة (راجع المواد ٢٤ الى ٣١)

(٥) تكفلت (المواد ٣٧ الى ٣٩) بيان مبدأ الدراسة السنوية ونهايتها وأيام العطلة في المواسم المحصورة لكل معهد بحسب أحوال المدينة التي هو موجود فيها
(٦) وضعت في الباب الثالث قواعد الامتحان والشهادات وتقرر أن الامتحانات تكون نصف سنوية وسنوية والامتحان الأولي والامتحان الثانوي والامتحان العالي وفصلت طريقة اجرائه وحددت الدرجات التي يحضر الطالب التي يجوزها فليجما في الامتحان (راجع المواد ٣٨ إلى ٥٣)

واعبرت الشهادات ثلاثا شهادة للقسم الأولي وشهادة للقسم الثانوي وشهادة للقسم العالي وحددت الامتيازات التي تكون لحامل كل واحدة منها بحسب العلوم التي يكون قد تلقاها

وأهم ما في هذا القسم هو إلقاء درجات العالية الثلاث واعتبار الحاملين لشهادة العالية الجديدة متساوين في الامتيازات المترتبة عليها مع ترقبهم بحسب متوسط درجات الامتحان « راجع المواد ٥٤ الى ٥٥ »

(٧) وفي الباب الرابع بيان شروط الالتحاق في الجامعة الأزهرية بالنسبة للمصريين والغرباء والشروط التي يمكن قبول الطلبة بها في غير السنة الأولى وذكرت واجبات الطلبة والمدرسين على وجه الاجمال مما تكمل اللائحة الداخلية بتفصيله (راجع المواد ٦١ الى ٧٥)

(٨) واشتمل الباب الخامس على بيان الاجازات الاعتيادية والاستثنائية والمرضية التي يجوز الترخيص بها للطلبة والمدرسين وبقية الموظفين (المواد ٧٦ الى ٨٦)
(٩) وذكر في الباب السادس الاحكام المختصة بتأديب الطلبة والمدرسين والموظفين وخوات السلطة فيها لمجالس الادارة بصفة ابتدائية بالنسبة لغير الطلبة والمجالس الاعلى بصفة مجلس استئناف

وحددت العقوبات وكلها مما هو معروف عند الأزهرين وفي بقية المصالح واختصت هيئة كبار العلماء بالنظر في أمر من يأتي من العلماء بما لا يناسب وصف العالية وأجيز الحكم عليه من ثلثي الهيئة بإبطال شهادة علميته راجع (المواد

(١٠) ونص في الباب السابع على إيجادية من كبار العلماء يكونون من الاختصاصيين في الفنون الأزهرية بشروط وقيود مخصوصة (المواد ١٠٣ الى ١١٥)
(١١) وفي الباب الثامن بيان الأحكام المختصة بمرتبة الجامعة الأزهرية واستقلالها وفيه إبطال توزيع النقود المبر عنها بدل الكسوي وكذلك ضمن الغلال المقابل للأعمال ومرتبات أولاد العلماء على النحو الذي كان معروفا من قبل
وتقرر إيجاد لائحة خاصة بالتقاعد وما يعود من ذلك على أولاد العلماء المشار اليهم (المواد ١١٦ الى ١٢٠)

وشكلت لجنة للبحث على تأليف الكتب النافعة لأهل الجامعة وجعلت لوفئها مكافآت مخصوصة وكذلك جعلت مراقبة الأوقاف التي للجامعة الأزهرية نصيب فيها حالا أو مآلا لشيخ الجامع الأزهر ومجالس الإدارة ومجلس الأزهر الأعلى مع المحافظة على ما لديوان الأوقاف من الحقوق والاختصاصات في ذلك
وشكلت لجنة لمصر الأوقاف المذكورة والنظر في توحيد المرتبات المأخوذة من ريعها ولتنظر في ابدال الجرايات بنقود (المواد ١٢١ الى ١٣٣)
وبينت الأحكام المختصة بمنح كسوي الشريف الطيبة والمظهيرية (المواد ١٣٤ الى ١٣٧)

(١٢) واشتمل الباب التاسع على الأحكام العمومية وهي ترجع الى بيان من هو العالم والى وجوب مراعاة شروط الواقفين والى ما يجب على مجلس الأزهر الأعلى أن يضعه من اللوائح المختصة بالمكاتب التحضيرية واللائحة الداخلية للجامعة الأزهرية ونظام الأروقة والخانات وترتيب درجات المدرسين والموظفين والتقرير السنوي العام (المواد ١٣٨ الى ١٤٦)

(١٣) أما الباب العاشر فيشتمل على الأحكام الوقتية وهي نوعان عامة وخاصة فالأولى تختص بأرباب المرتبات الحاليين وبالأزهر من المرتبات التي كانت خرجت من الأزهر بأحكام سابقة وأولاد العلماء من ذوي المرتبات وإبطال التمييز بين المال الذي يأتي للجامعة الأزهرية من ديوان الأوقاف العمومية وبين المال الذي يأتيها من قبل الحكومة وبالعلماء الغير المخصيين بالجامعة الأزهرية

وأما الأحكام الوقفية الخاصة قاتها تتعلق بكيفية سريان هذا النظام وأنه خاص بالمتنبيين للجامعة الأزهرية ما عدا طلبة الجامع الأزهر الذين انتسبوا فيه قبل وجوب العمل بذلك النظام

أما هؤلاء فوضعت لهم أحكام مخصوصة تلائم أحوالهم وتناسب التعليم الذي كان متبعا في الجامع الأزهر قبل ذلك

النكاح

إنما لم نكن نظن أن ينال الأزهر هذه المنح الجليلة ، في هذه المدة القصيرة ، ومن السنن الإلهية المطردة في الأجسام والصور أن الإصلاح والتدريج لا ينجح ويثبت إلا إذا تدرج أحده فيه تدرجا ، وقد قلنا في مقدمة العدد الأول من سنة المنار الأولى فيما يتناء من مذهبه وخطته ، وترشد (أي الصحيفة) العاملين إلى أن محاولة التطور ضرورية ، وأن طلب الغاية في البداية هيجز وحرمان ، وأن مراعاة السنن الإلهية ، ومسايرة النواميس الطبيعية ، كافية بفضل الله تعالى بلوغ كل مقصد وتبيل كل مرام ، فعلا بهذه القاعدة ننصح لاختواتنا الأزهريين أن يتقوا هذا النظام باقبال والشكر ، والعناية بتنفيذه فإني أخشى وأتألا لأراه متعيا الكمال أن تعجز عن تنفيذه وإن يكون ماردعي فيه من سنة التدرج تدرجا سريعا

إن المنار عني بالحث على إصلاح التعليم وتوسيع دائرته في الأزهر منذ أنشئ (منذ ١٣ سنة) وكنا ننكر تلك الحالة فيفضب منا الكثيرون إذ يسون الشكوى من تعليم الأزهر إهمالة لطلابه ثم اتفق سوادهم الأعظم على الشكوى مثلنا فاتفقنا والله الحمد وحسب أن يكون مما اتفق فيه قبول هذا النظام والعناية بتنفيذه فقد أعطاهم من السلطة الدينية الرسمية ما لم يكن لهم ووسع عليهم الرزق الذي يمينهم على أن يفرغوا لأهم وأباح لهم تنقيح النظام والتصرف فيه عند الحاجة إلى ذلك وما أظن أنهم يغفلون فيطالبون الطلبة ويدعون أن ما نراه كثيرا قليل

وقد كان مما طلبة الأزهر يرون إلقاء مدرسة القضاء الشرعي وكان هذا أشد ما أنكرته عليهم فلهذا المدرسة مشكون أم الإصلاح للجامعة الأزهرية بتخرجها

المعلمين القادرين على تدريس العلوم والفنون التي يسمونها الجديدة وقد جعلها النظام الجديد تابعة للأزهر دون نظارة المعارف فكان الأزهر ربح بها ما تنفقته الحكومة عليها وهو يزيد على عشرين ألف جنيه ، وسبغ على الأزهر ثلاثين ألف جنيه لأجل تنفيذ النظام الجديد ، فهل يصدر من لا يشكر الله على هذا النظام ثم الأمير وحكومته ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة واحد والترمذي والضياء بلفظ « من لم يشكر الناس لا يشكر الله » وبهذا اللفظ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعلم عليه بالصحة

باب المراسلة والمناظرة

جمعية المبشرين في روسيا

أنشأت مجلة الشورى التي تصدر في أوبنبرغ من روسيا في عددها السابع عشر الصادر في سنة ١٩١٠ مقالة عنوانها « نحن والمبشرون » بقلم هادي أفندي أطلاسف الذي كان عضوا في مجلس «الدوما» الأول فاستحسننا نقلا لقراء مجلة المنار الأخر ، ونصرفنا فيها تصرفا قليلا

بعد ما بين حضرته في مقاله معنى التبشير لا بناء جنسه قال ما يأتي بعد .
إننا نعرف من الجمعيات جمعية تسمى « جمعية مبشري الكاثوليك » المقصد الاسمي لها هو التبشير بالنصرانية والاجتهاد في تنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الأديان . وهذه الجمعية المذكورة تجتهد في ذلك الصدد وتجد فيه منذ أمد غير قريب ، فهي قصدت بمطليها هذا ممالك الهند والصين من القرن الخامس عشر بل الثالث عشر ، وأخذت تنصر من أهالي تبت المملكتين بقدر ما تستطيع فينصر لها أن تنصر من المجوس ما بلغ عددهم الآلاف بل الملايين . وكما بينا عدد هؤلاء الذين تنصروا باجتهاد تلك الجمعية يلزم علينا أيضا أن نبين ماصرفته في هذا الصدد

أي في تصيرهم . ولا نكون مخطئين اذا قلنا : إن هذه الجمعية لم تحظ بذلك الحظ الوفور ، إلا بأغاب نفسها القوية وصرف جهدها وبصرف المبالغ الكثيرة التي تعد بالملايين من الاصر الرنان في سبيل ذلك

وهؤلاء الضيوف الذين جاءونا من غير دعوة ، (أي المبشرون) ، ما اقتصر دعوتهم الى النصرانية على البلاد التي أحاطها من الجوس ، بل تصرف جهدها الجهد الآن بأخذ الوسائل لتشر دعوتها في الممالك الاسلامية مثل سورية ومصر وركية وإيران . كان عيسى عليه السلام روثقا رحيا بجميع الناس ووعظ أمته بقوله هذا : دلا قتلوا قسا وأحبوا أعداءكم ، ولكن كيف كانت سيرة هؤلاء الذين يدعون أنهم ناسرو دينه عليه السلام ؟ هل سلكوا مسلكه تماما ؟ أم خالفوه مخالفة لا يرضى عنها عليه السلام لو كان حيا ؟ الحق ان هؤلاء الذين يدعون أنهم ناسرو دين عيسى عليه السلام قد سلكوا مسلكا يخالف تعليمه وهديه أشد المخالفة . منذ آمد بعيد أسست في روسيا جمعيات كثيرة لأجل التبشير بالنصرانية وتنبير من لم يتنصر في هذه البلاد الى الآن . وكثرت في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون « بل يصح لنا أن نقول في بلاد المسلمين كقزاق وقوقاز وقرغيز وغيرها .

أسسوا تلك الجمعيات بين المسلمين . ولكن كيف كان حظهم منهم ؟ هل قالوا الحظ الوفور مثل ما قالوا من الجوس ؟ لا لا انهم ما قالوا ذلك قط بل كان حظهم منهم الأقل في الأقل . مثلا في سنة ١٨٩٣ صرفت جمعية انكاري ، جهدها المستطاع في هذا الصدد فنصرت ثلاث مئة واثنين وخمسين نسمة ولكن لم يتيسر لها أن تنصر في هذا العدد الكبير غير ثمانية أشخاص فقط من المسلمين . وفي سنة ١٩٠٦ لم يقع أحد في شركهم وأما في سنة ١٩٠٧ فنصروا مئة وأربعا وستين نسمة منهم ثلاث من المسلمين لا غير . قلنا كثرت تلك الجمعيات في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون ، فنذكر الآن من عمل تلك الجمعيات « جمعية مبشري القرغيز » ، وكم تنصر من القرغيز بهمة تلك الجمعية ، انه تيسر لها في سنة ١٩٠٦ أن تنصر ١٩ منهم . ولكنها لم يتيسر لها تنصير أحد في سنة ١٩٠٧ من أبناء القرغيز غير اثنين من أرذال الناس « كان أحد هذين الاثنين مسلما قبل تنصيره »

وارجعنا ففقت تلك الجمعية من التأثير في هذه المدة من أجل ذلك أمام
أعيننا لوجدناها تبلغ أربعة عشر ألفا من الروابل ، كل روبل عشرة قروش
مصرية ، ووجدنا أيضا هذين الشخصين من رغام القرغيز وأردالها قد بلغت قيمة
كل واحد منهما على الجمعية « سبعة آلاف روبل » ولوجدنا ربح هذه الجمعية أقصى
من ربح تلك التي تصدت لتصدير الجبوس بكثير

أسست في غضون هذه الأسابيع فقط في « ابركونسكي » جمعية تدعى أيضا
جمعية المبشرين فأصدرت جريدة « الربيع » وجريدة روسية تصدر في بطرسبورج ،
بالوم عليها في مقالاتها التي نشرتها في عددتها الموقفي متين ، قالت فيها : إن مبشريننا
لا يعرفون ما يجب عليهم لاتهم كسالى من جهة وجهلا من أخرى ، ولا يقدر
أن يؤدوا وظيفتهم التي أخذوها على عاتقهم حق التأدية ، ولكني لا أوافق فكرة
جريدة « الربيع » بل أريد أن أضافها أريد أن أمدح هؤلاء المبشرين ولا أعيبهم ،
ولكن مدحي لهم يكون كأضحوكة كما أنهم كذلك ، وإني وإن لم استحسن أن أمدحهم
من حيث أنهم يحاولون دائما أن ينصروا المسلمين ويجهتدون في ذلك بالتشهير عن
سائد جدم لا أرى بأسا بمدحهم من جهة أخرى ، فإني أفهم من محاولتهم هذه
أنهم بذلك يبهنون أمة التتر التي طال مكثها في ميائها الصيق وانفاسها في بحر الظلمة
سنين طويلة ، وكأنني بهم أي بالمبشرين يبينون بصلهم هذا أمة التتر اطاعة تذكر
ويوقظونها إيقاظا لا يطرا عليها النوم بعده أبدا ، والذي لا شك فيه عندي : إن
الذين بثوا روح الملية وحسبا وغيره الدين في روسيا الوسطى أي « في أطراف قزان
وسبير وساراتوف وأرينبورغ إلى آخره » ليسوا إلا أولئك المبشرين

والحجة الدينية وغيرها التي يستفيدونها الذي يقرأ ويطلع مؤلفات المبشرين
مطالعة جيدة مما لا يمكن تحصيلها من مؤلفات « الأيشان » وهم « رؤساء طرق الصوفية »
هذا معلوم لكل انسان ، والذي لا أشك في فقهه في بث روح الملية وحسبا وغيره
الدين الامة هو المكاتب المشهورة « لايمسكي » الذي كان من أكبر المبشرين في زمانه
وأهلهم وأكثرتهم دعاء « وليو يديونسف » وهذا أيضا كان كذلك حتى أتى أحد
تلك المكاتب أنفع وأفيد من مكاتب الامام الرباني كرات هدية

الآن تصدر في مدينة مسكوف مجلة تسمى مجلة « فيرنوست » من قبل المبشر « واسترغوف » المشهور في مجلس « الساتو » ويكتب في هذه المجلة أشياء كثيرة في شأن المسلمين ، وعلى الخصوص المقالات التي تكتب بقلم « واسترغوف » نفسه وقلم كاتب آخر يدعى « ميدفيدسكي » تكون عائدة للملل غير ملة الروس ، وفي هذه المجلة مجلة « فيرنوست » من قبية الأفكار وأحياء الشعوب الاسلامي لمن يعني قراءتها وما الصها مطالعة جيدة وليس في قراءة مجلة « دين وميشت » التي من شأنها أن تكون ذاتها حقيقة كأداء أمام العلوم والمعارف ولا أثر لها في المحافظة على الدين ولا الحياة وإن ادعت ذلك بل لا يمكن لأحد تحصيل تلك التيقظات والتحذيرات من مجلة دينية محضة أيضا . ولو كان الأمر لي في قراءة المجلات النبية للإنسان من سبائك العميق كما أريد لا مرت كل مشايخ التتر بقراءة مجلة « فيرنوست » لكي يعتبروا بما فيها ويكونوا بعد ذلك أثبت قدما في الدين الاسلامي المبين

نرى في بادئ النظر أن المبشرين أشد الناس ضررا للمسلمين ، وإذا أمعنا النظر لا نجدهم كذلك بل نجدهم عكس ما نعتقد فيهم ، نجدهم مما لا بد منهم في تزيد حجة أبناء التتر منهم وتثبيت جرثومة الاتفاق والاتحاد فيما بينهم . نعم إنهم ينصرون منا عدة أشخاص ، فليصروا ؟ وهم لا يضرونا بذلك شيئا بل العكس فيدونا لأن الذين يقتنون النصرانية بسببهم لا يكونون إلا من الذين لا يعرفون من الدين والشرعية شيئا بل يكونون من الفسقة والجملة وشياطين الناس . لأن المسلمين حقيقة ماذا يحصل علينا إن طهروا ملتنا النجاسة الترية وشذبوها من مثل هؤلاء الرغام الأراذل ؟ : ولاني لا أرى من تنصر مثل هؤلاء أقل ضرر للإسلام بل أرى إنه ليست فيهم أهمية للإسلام . إن الضرر الذي يطرأ على الإسلام من اجشاث تلك الأعضاء الفاسدة فيه وتشذيبه وتنقيته منها ليس شيئا يذكر بالنسبة إلى ما يحصل في الإسلام من المتانة وفي المسلمين من القوة والخبرة على الدين . وهذه الفائدة التي تحصل من ذلك مما لا تقاس بشيء . ومن أجل ذلك نحن نند أنفسنا مجبورين على مدح هؤلاء المبشرين وقول فيهم أنهم منبهو التتر من سبائك العميق ، بداء لطيف جدا يبادل فداء المؤذن « دحي » على الفلاح »

الخلافة الإسلامية

(والجامعة الثمانية)^(٥)

٢

تنبأ المستر غلادستون مرة على ما يقال فقال « ان الاسلام لا يطول عمره اكثر من ٢٠٠ سنة ثم تلاشي » فقال خليل بك خالد ردا عليه في كتاب « الهلال والصليب » : « ان ذلك المتنبئ يريد بنبوءته أحد أمرين — اما ان تفتي الدول المسيحية بالقوة القاهرة كل مسلم على وجه الارض كما تفعل روسيا أو تنصر جميع المسلمين بعد مائتي سنة . ولكننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه اذا تلاشي الاسلام في ذلك الزمن فلن تكون النصرانية اطول منه عمرا »

وبالرغم من هذه التخربات لا يزال الاسلام على مكانته وسعة انتشاره ونفوس اهل به مع ما يد النصراني من قوة المال والرجال التي ليس للاسلام شيء منها ولكي يقف القاري على ما عند المبشرين المسيحيين من معدات التبشير بدينهم نقل له هنا شيئا عن دعاة النصرانية من الانسكلوبيديا البريطانية « ان عدد جميات التبشير ٧٨ جمعية وعدد عمالها ٥٤٤٠ مرسلا ومجموع دخلها السنوي ٣٩٩ ر ٧٧٩ ر ١ جنيها »

يدعون مع هذا ان الاسلام دين اعتداء مذموم وتصبو هجوم تهيدا لاعمالهم وامالة للرأي العام في العالم المدني . وهل يجحد أولئك القوم ما جاء في القرآن : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بنت احدهما على الاخرى قاتلوا التي تبني حتى تقيء الى امر الله فان قامت فأصلحوا بينهما بالعدل واقتسروا ان الله

(٥) تأليف لما نشر في الجزء التاسع (ص ٧١٣) بقلم علي الهندي فهي محمد

يجب القسطين ، فمن ذلك يرى النصف ان محكمة التحكيم الدولي أو مؤتمر
الهاي الذي بذلت أوربا جهوداتها في تكبير شأنه وتأثيره دون أن تطلع بهذا الذي بلغته
من الرقي المدني لم يأت بما قد جاء به الإسلام منذ ثلاثة عشر قرناً . وفي حديث شريف :
« أحب الناس الى الله أكثرهم تحبوا الى الناس » والتعجب الى الناس أول وسائل
السلم والمصافاة . وفي حديث شريف : « لا يضيق سم الخياط من متعابين ولا تنقسم
الدنيا بمتباغضين » وفي حديث آخر « لا تلتعنون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون
حتى تحابوا »

(ثم أورد الكاتب آيات من القرآن على ناسخ الإسلام واعتباره لا دين
الانبياء السابقين وعدّها مع الإسلام ديناً واحداً وذكر حرية الإسلام وعده ثم قال)
إذا وجدت حرية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو مساواة أو إخاء فكل ذلك
مقتبس بل مقتضب من القرآن والإسلام قال بوسرست سيث المؤلف الإنجليزي
الشهير في كتابه (محمد والإسلام) : « ان مسيحياً في العصور الماضية اعتنق الإسلام
وجعل يذف المسيح عليه السلام ظناً منه ان ذلك يسر المسلمين فساقه الذين كانوا
معه منهم الى القاضي فحكم عليه باقتل » . وقد حصل مثل ذلك في تركيا منذ ٤٠٠
سنة كما هو مدون في سجلات محاكمها فان يهودياً أهان مسيحياً بمنه كرامة السيدة
مريم العذراء فساقه الذين سمعوه من المسلمين الى القاضي فحكم عليه باقتل كما ورد
في كتاب (فتاوى علي أفندي) ومع ذلك لا يدخر ساسة أوربا وسعاً ووجال
الدين أيضاً في رمي الإسلام بالتعصب والاعتداء . جاء في انسكلوبيديا شبريس :
لا شيء اقرب من ذم قسوس من النصارى وتطاولهم على الدين الإسلامي واتهامهم
اياهم بالقسوة : من هم الذين طردوا المغاربة من اسبانيا لانهم لم يقبلوا دين النصارى ؟
ومن هم الذين فتكروا بالملايين في بلاد المكسيك وبيرو لعدم اعتناقهم المسيحية ؟
وما الذي فعله المسلمون في اليونان من هذا القبيل ؟ لقد عاش المسيحيون قروناً
عديدة بجانب المسلمين غير مضطوط عليهم ولم يجبروا في يوم من الايام على ترك
عقيدتهم أو التخلي عن قسوسهم أو كنائسهم
ولكننا لا ننكر ان بعض المسلمين اتوا افلا شائنة ولا يعزى لهم هذا الى

عقيدتهم الدينية بل لأخلاقتهم الشخصية والاوجب علينا ان نبحث هل الدين يأمرهم بتلك الاعمال أم ينهاهم عنها فيتضح لنا جليا ان الاسلام يأمر كل مقتدائهم غير اننا اذا قارنا ما ارتكبه امثال هولاء (الافراد) بما كانت تأتبه (حكومات) أوروبا المسيحية البروتستانتية وغيرها ضد مذاهبها المختلفة لمان علينا كل شيء وهامي أنجلترا البروتستانتية كانت منذ ٣٠٠ عام فقط تدين الكاثوليك انواع العذاب والذل لتعلمهم على ترك مذاهبهم القديم واعتناق المذهب الجديد

ولكي يقف القارى على مقدار توحش أوروبا في تعصبا الديني — ذلك التعصب الذي كان يضرب رسيا من الحكومات لامن الافراد — نقل هنا ما كتبه الاسقف (جودمان) عن معاملة البرتستان وهم الغالية الكاثوليك وهم الاقلية في إنجلترا

وانهم (أي الكاثوليك) غنوا أنفسهم اتص حفا بما كانوا في زمن البصايات لانهم كانوا يؤملون خيرا بعد وفاتها كما ان الذين اضطهدوهم لم يفرطوا في ظلمهم خوفا من ان تدور عليهم الدوائر وكانوا يتعاملون أشد عقوبات القانون بكل نفس ذائقة الموت فلم تحفظ أرواحهم قوانين البلاد وكان احضار قسيس كاثوليكي إلى إنجلترا خيانة كبرى عقابها الأعدام فقد شق رجل ذو وجاعة لاستقباله قيسا واعدم غيره لجماهرته باللائم الكنيسة رومية وكانت العقوبات تنفذ على الفور والبروتستانتية يملكون ما يباع ويشترى في السوق من أيدي الكاثوليك وقد أكد لي أحدهم ان الثلث الذي بقي له من املاكه لم يتم بحاجة الابشق النفس حتى عجز عن دفع المظالم عن نفسه بالرشوة . وكان أولاد الكاثوليك يؤخذون صفارا لبشوا على المذهب الآخر وكانوا لا يملكون بالقانون الاساسي ولا يوظفون ولا يربون أولادهم ولا يزوجون بناتهم اللاتي لم يكن لمن أديرة واحبات يلجأن اليها . اما من كانوا خارج إنجلترا فلم يصرح لهم بالعودة الا بعد دفع مبلغ يعجزون عن ادائه لتقرهم المدقم ولم تقف الحاكم عند هذا الحد بل كانت تسجن كل من وصل اليها ولم تصرح لاحد بالدفاع عن نفسه . كانت حالة الكاثوليك في بدء حكم جيمس الاول وكان قد من قانونا في عهد البصايات خلاسته تعزيم من لم يكن من المذهب الجديد

٢٠ جنيا كل شهر قري وذلك هو الذي حارب الكاثوليك على خطيها واجلاس غير ما على العرش . وفي زمن الملك الذي خطها اعيد ذلك القانون وانت ترى ان هذا القانون يشتمل على جملة عقوبات أخرى منها ان من حرض أو سعى في تحريض أحد من أهل المذهب الجديد على تركه عذبا وحرقت على ذلك بغرامة قدرها ١٠٠ مارك وسجن سنة كاملة . ومنها ان من قابل قسيسا غشريا نعت اسم معلم هرهب القسيس بالسجن سنة والأخر بغرامة عشرة جنيهات في الشهر .

وقال ايفسورث مؤلف « جاي فوكيس » عن الثورة الانجليزية الدينية : « كان اذا صاح أحد الناس بأحد المارة (كاثوليكي) فلا يكاد يلفظ الكلمة حتى يكون هذا الشخص تمزق اربا اربا وكانت الحكومة تقبض على كل من تشبه في أمره وتدينه أنواع العذاب يستري في ذلك الرجال والنساء ليدلوها على أسماء الكاثوليك ولو زورا فكانت درجات التعذيب أولا سحق اصابع اليدين بوضعها بين مخالب حديدية . وثانيا تعليق الشخص من رجله في السقف وبتر اصابعها . وثالثا شد وثاقه وربطه في بلاطة تشوي ظهره حيا كالسكة . ورابعا وضعه في حفرة أرضية مملوءة ماء فتخرج اليه الجرد وتنش له حتى لا تبقى الا العظام . ومن التعذيب انهم كانوا يطيبون المسكين بعد كل نوبة حتى يشفى ثم يجي دور العذاب التالي وهكذا »

ومما تقول المتقولون وادعي المدهون فان الاسلام على سبيل مكاته سابق الاديان الاخرى عند ذويها وهي المزية التي خلت منها جميع المذاهب المسيحية وينجحون منها نجاح دعوة ولذلك يجبرون كل واسطة توصلهم الى هرقة مسامحة والفوز عليه عملا بأمر دينهم « ان يذهبوا ويشرحوا جميع الامم » ولما كان هذا الامر الزاميا تراهم متى فشلوا بالطرق السلمية عمدوا الى نشر عقيدتهم اعتمادا على قوات الدول المسيحية ومدافعها التي نعلي شأن مدينتها المسيحية بهذه الوسائل المبقرة ولكن الاسلام بالرغم مما يحيط به من الظروف السيئة لا يزال أهله يعتقدون حقيقته اعتقادا راسخا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وله تأثير في قوس أهله ويغيرهم على السواء . وما يلخص فرية كل همار شاء بنهم ما كتبه (دينالي) في وصف

عبادة المسلمين في كتابه د الاسلام والعلم ، قال : وما دخلت مسجدا الا واعتراني
تأثير شديد بل كنت آسف اني لم اخلق مسلما ، وما كتبه (كوست) الذي قام
بخدمات جليلة للصراية في الشرق الاقصى في كتابه (تفسير غير النصارى) قال :
« لا يدخل الانسان الى مسجد اسلامي الا وتدهشه مظاهر الاخلاص والولاء والوقار
والنشيم والجلال البادية على وجوه المصلين »

ذلك مجمل القول على الدين الاسلامي الخفيف فمن يلومنا بعد ذلك اذا صحننا
بملء افواهنا « ان الدين عند الله الاسلام » ؟

ولا يحسبن اخواننا غير المسلمين اننا نحقر الاديان الاخرى كلا بل نحن على رسوخنا
في ديننا نعرف لاهل كل دين حقهم ولكننا نقول لمن يريد منا نبذ ديننا : « وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .
قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا فرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون » . ويعجبني قول بعض كتاب الأفرنج : « ان الاسلام مسيحية
هرطوقية أو ان المسيحية اسلام هرطوقي » على ان دين الله واحد في كل زمان
ومكان ولكنها الاهواء والسلطة فرقت بين الناس . هذا مجمل القول من الوجهتين
الدينية والاجتماعية ولنبحث الآن عما نرمى اليه من الوجهة السياسية .

ان أول من استعمل لفظ الجامعة الاسلامية (بانسلامزم) بمعناه المقصود
الآن أهني ازالة سوء التفاهم واستبدال الامور السياسية والاجتماعية ونحوها به وان
يكون المسلمون بعضهم لبعض ظهيرا في الحق لا في التعصب المقيت - أول من
استعمل هذا الاسم هو عبد الله كويلم عند ما أسس جمعية الاسلام في لندن (*)
وهي التي يطلق عليها الآن اسم جمعية الجامعة الاسلامية . ففي سنة ١٩٠٣ ظهرت
هذه الجمعية الى عالم الوجود فقابلها انصار الاسلام وأعداؤه هاشين باشين . وانما

(*) المار ، الصواب ان أول من نبه المسلمين في هذا البصر الى ما بينهم من التناظم
والتناكر ، ونبيههم الى ما يجب عليهم من التعارف والتعاون ، هو السيد جمال الدين الافغاني وقد
بدأ عمله بمصر على عهد اسماعيل باشا سرا وأظهره في أوروبا

لوردون هنا المبادئ التي ترمي إليها هذه الجمعية يرى اخواننا المسلمون وغيرهم انه ليس المقصد من هذه الحركة الايقاع أو التكيل بالنير وانما هو تحسين أحوال المسلمين الاجتماعية والادبية وتتبعها السياسية وذلك قلا عن كتاب أصدره بالإنجليزية المشير حسين قدواي سكرتير شرف جمعية الجامعة الإسلامية »

« سلام قولاً من رب رحيم »

- ١ — ترقية العالم الاسلامي في شؤونه الدينية والاجتماعية والادبية والفنية .
 - ٢ — إيجاد حسن تفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .
 - ٣ — تنمية شعور الاخاء بين المسلمين (وغيرهم) وتبادل مصالحهم .
 - ٤ — ازالة سوء التفاهم الحاصل الآن بين المسلمين وغير المسلمين .
 - ٥ — مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .
 - ٦ — إيجاد معاهد علمية اسلامية في غير الاقطار الاسلامية .
 - ٧ — إيجاد فروع لجمعية الجامعة الاسلامية في أنحاء العالم وانشاء منظمات ومحاضرات وطبع ونشر الصحف التي يمكن أن تفيد الاسلام .
 - ٨ — جمع الاكتابات من جميع أنحاء العالم الاسلامي لتشييد جامع في لندن ونحن نرى ان من مصالح العالم الاسلامي ان يزداد على هذه المبادئ ما يأتي : (هـ)
 - ٩ — تمضيء الخلافة في آل عثمان
 - ١٠ — العمل لهذه الغاية حتى يعترف بذلك وينحضع له جميع امراء الاسلام وسلاطينه
 - ١١ — ان تساعد الخلافة العظمى مقابل ذلك الامم الاسلامية وتتوسط لدى الدول الاوربية المسيطرة على بعض ممالك الاسلام في دفع ظلاماتها
 - ١٢ — ان تلت الجمعية أو الجمعيات حكومات العالم الاسلامي الى تصرفاتها التي تنافي أصول الدين الحنيف اذا كانت تؤثر في مجموع الامة ونسبي سمة الاسلام .
- فأي انسان في قلبه ذرة من الانسانية وفي عقله ذرة من المدنية لا يطف على مثل هذه المبادئ إن لم يشجعها بكل قواه ؟ ليس في هذه المبادئ كما هي ظاهرة
- (هـ) المثار : ان مازاده الكاتب تناقض فيه جميع الدول القوية ومن يقف في وجهها اذا تلاومت فلا راي ان لا يكون في العمل سياسة ان كان هناك عمل

جلية ضرورية ألبتة بنهر المسلمين وإنما تخاف الدول الأوروبية الكبرى السيطرة على الشرق
وأكثر أهل من المسلمين أن يهبوا من وقادهم متآزرين متكاتفين فيكون لهم بذلك
قوة تقف في وجه الطامعين المسيطرين أنفك يزعمها كل عمل يقومون به أو يحاولون
اتخاذهم ونحن نوجس خيفة من كل حركة تبدو من جانب هذه الدول وهكذا تبقى
من خوف الضرر في الضرر. لقد قام الكثيرون من الأفرنج بمحاولات بجمع كلمة
المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا حتى قام مثل أورتان يقول في ملأ من الأفرنج :
« اخطوا أيها السادة أن هذه النهضة إذا تمت بالرغم منا فستقلب علينا وتم على
مالنا رضاه وما لا يتفق مع مصالحنا » فهم بذلك يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم
ويأبى الله إلا أن يتم نوره »

قال الأستاذ المرحوم عبد الله براون المستشرق الشهير في كتابه (برنابرت في
عصر) : « أنه حيث يوجد الإسلام توجد نهضة للجامعة الإسلامية وهي صغيرة
هوجاه عام ولكنها كبيرة بزعمائها المفكرين . وهذه الحركة تسير بزعماء أولئك الأبطال
يقصد الدفام لا يقصد المجهوم فهي والحالة هذه حركة عقلية سلمية لا حربية ولا عنادية
يحاربها الأنجليز لأنهم يخشون أن تتحقق في يوم من الأيام فتكون اقاضية على سلطاتهم
في الشرق . أن هذه الجامعة الإسلامية تكون أشبه بالخالفات المنقذة الخناصر بين
الدول المسيحية التي هي كما قال السلطان عبد الحميد : « تحاربنا حروبا صليبية بشكل
مباين » . وليس عجي من محاربة أوروبا للجامعة أو الخلافة الإسلامية إذ من
الواجب عليها أن تنظر لمصلحتها السياسية والاقتصادية وإنما عجي أنها تستعين ببعض
على محاربة البعض الآخر عملا بقاعدة (فرق تسد) فينبغي فلذلك البعض الظالم
على قومه « واختصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (لما بقية)

﴿ كتاب الاربعين في اصول الدين ﴾

1. *Al. L.*

Handwritten signature

(قال) والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيد
الأسباب الكلية بمركانها المقصورة المحصورة إلى مسبباتها المحدودة بقدر معلوم لا يزيد
ولا ينقص - ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره -
ولا تفهم ذلك إلا بمثال وإليك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف
أوقات الصلوات وإن لم تشاهده فجملة ذلك أنه لا بد فيه من آلة على شكل أسطوانة
تحتوي مقداراً من الماء معلوماً وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وتحتوي
مشابو أحد طرفيه في هذه الآلة المجوفة - وطرفه الآخر في أسفل غلاف صغير

موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة ونحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تنقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلاً قليلاً . فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخليط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكاً يقربه من الانكماش الى أن يتكس فتخرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وانما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه . وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدور معلوم بسبب تقدير سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون أهل الماء بذلك المقدار به ويتقدر ، وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخليط بها المشدود . وتولد الحركة في الطرف الذي فيه الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدير سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة أخرى . وتكون الحركة الأخرى سبباً لحركة ثالثة . وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم . فإذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور

أولها التدبير وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل وذلك هو الحكم والثاني ايجاد هذه الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية التي تحوي الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخليط المشدود بها والطرف الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة . وذلك هو القضاء

الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب أسفل الآلة ثقبه مقدرة السعة يحدث بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الخليط ثم الى حركة الطرف الذي فيه الكرة ، ثم الى حركة الكرة ، ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع ، ثم الى الطنين الحاصل منها ، ثم الى تنبيه الحاضرين

واستأصم ، ثم الى حركاتهم الى الاشتغال بالصلاوات والاعمال عند معرفتهم بالقضاء الساعة ، وكل ذلك بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى - وهي حركة الماء ،

فإذا ثبت ان هذه الآلات أصول لا بد منها للحركة ، وان الحركة لا بد من تقديرها ليقدر ما يتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ، ولا يتأخر إذا جاء أجلها أي حضر سببها . وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فالساعات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كذلك الآلات ، والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كذلك القبة الموجبة لزول الماء بقدر معلوم ، واقضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كاقضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعروفة لا قضاء الساعة ، ومثال تداعي حركات السماء الى تغير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم تغير على العالم الابصار فيتغير عليهم الانتشار في الاشتغال ، فإذا بلغت المغرب تغير عليهم ذلك فيرجعون الى المساكن ، واذا قربت من وسط السماء وسامت رؤوس أهل الاقاليم حيي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه ، واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد ، واذا توسعت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبثت الارض وظهرت الخضرة ، وقس بهذه المشهورات التي تعرفها القرائب التي لا تعرفها

فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر و (الشمس والقمر بحسبان) أي حركتهما بحساب معلوم - فهذا هو التقدير ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتقدير الاول الذي هو كالمح البصر هو الحكم ، وكذا أن حركة الآلة والخليط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة . بل ذلك هو الذي أراد بوضع الآلة - فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها قضاها وضرها وفير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله

تعالى ولا تجه دبر أسبابه ، وتفهم الأمور الالهية بالأمثلة العرفية عسير ، ولكن المقصود من الأمثلة التنبيه ، فدع المثال وتنب للعرض ، واحذر من التمثيل والتشبيه اهـ

(المراجع ١١ م ١٣) يرى القاري أن هذا التحقيق لمسألة القدر هو عين ما ذهبنا إليه وحققناه في المناو غير مرة ولم نكن قد اطلنا عليه لاحد ولكننا رأينا صريحاً من آيات القرآن الكثيرة عند قبحها وتدبرها ومنه يعلم أن الجمهور يجهلون القدر الآن بضد معناه ومحمد الله أن وفق أبا حامد وهداه اليه من قبل وآخر ما كتبناه في ذلك نشرناه في المجلد الثاني عشر (راجع ص ١٨٩ - ٢٠٠ منه)

وما كتبه في الساعة الدقاقة التي كانت مستعمله الي زمنه عما كان يتوق الناس الي معرفته بهذا التفصيل وقد ارتأى الشيخ احمد قارس في تسمية هذه الآلة «ساعة» ان يكون تسميته عربية قال في ص ٢١٨ من كتابه (كشف الحجاب عن فنون أوروبا) « قال مؤلف كتاب (المخترعات المعجبة) ذكر المؤرخون من الفرنسيين ان أول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد الي شارلمان ملك فرنسا وذلك في سنة ٨٠٧ م وكانت بدعاً في ذلك العصر حتى انها أودت رجال الديوان حيرة وذهولاً ، والظاهر انها كانت من الآلات التي يدبرها الماء المنحدرو ، وكان لها اثني عشر باباً صغيراً تنقسم بها الساعات فكلاً مضت ساعة افتتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقم على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ يخرج صورة اثني عشر فارساً على خيل وتصور على صفحة الساعة . رقلت) بودي لو أهرق اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة ، وأهل القرب يقولون « منكالة » وهي انكر اهـ

وقد عرفت من كلام الغزالي انهم استعملوا لفظ الساعة وفي الكتاب فوائد كثيرة ومفصلة من الاحياء له وفيه من القسائل في ايراد ما لا يصح من الاحاديث مثل ما في الاحياء ، وكان يرى ان العمل بكل ما ورد من الاحاديث أولى من تركه

ميزان العمل

الشيخ ابي حامد الغزالي أيضاً وهو مختصر في علم النفس والاخلاق على طريق

الفلاسفة والصوفية والمتكلمين جميعا وهو مختصر لطيف حسن الترتيب والتثيل وفيه فوائد كثيرة وتحقيقات مفيدة وانفع ما فيه خاتمة وهي في اختلاف الناس في المذاهب وهذا نصها :

(بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه)

لكم تقول كلامك في هذا الكتاب انقسم الى ما يطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا ؟ وان كان بعضه حقا فما ذلك الحق ؟

فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفك قط اذ الناس فيه فريقان ، فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب (احداها) ما يتعصب له في المباهاة والمناظرات (والاخرى) ما يشار به في التعليمات والارشادات (والثالثة) ما يستقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات . ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو عطاء الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب اهل البلد الذي فيه النشوء - وذلك يختلف بالبلاد والاقطار و يختلف بالمعنيين . فمن ولد في بلد المعتزلة او الاشعرية او الشافعية او الحنفية انفرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه . فيقال هو اشعري المذهب او معتزلي او شافعي او حنفي . ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويحري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض .

ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبذ دواعي العوام الا بحمام يحمل على التظاهر فحطت المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فاقسم الناس فرقا وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أمورا وخيلوا وجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالعالم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك مهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع

(المذهب الثاني) ما ينطبق في الارشاد والتطعيم على من جاء مستفيدا مسترشدا - وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل جلف بليد الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى (مستو) على العرش وأنه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء . وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المين يكشف له فالذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه

(المذهب الثالث) ما يعتقد الرجل سرا بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطعم أو بلغ رتبة (من) قبل الاطلاع عليه وفهمه - وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد وسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون (هـ) مثاله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن إزالته الا بمحرق الكاغد وخرقه - فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ما سمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال في دفعه . ولو أصفى غاية الاعضاء وانصرفت همه الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه ؟ - فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته - فهذا فريق من الناس .

وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون فيقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطبق به تعالما وارشادا مع كل آدمي كيما اختلف حاله وهو الذي يتعصب له وهو إما مذهب الاشعري أو المعتزلي أو الكرامى أو أي مذهب من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على أنهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يميز أن يذكر

أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد - وهذا يطل عليك بالسؤال عن المذهب
إن كنت عاقلاً فإن الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد . ثم يتفقون على
التعصب لمذهب أيهم أو مذهبهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهباً فما منعتك
فيه ومذهب غيره بخلافه وليس مع واحد منهم معجزة ترجع بها جانبه ؟
فجانب الالتفات إلى المذاهب وأطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب
مذهب ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائداً يرشدك إلى طريق وحوالك ألف مثل
قائلك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل . وستعلم في عاقبة
أمرك ظلم قائلك فلا خلاص إلا في الاستقلال

خذ ما تراه ودم شيئاً سمعت به في طالع الشمس ما يقينك من زحل
ولولم يكن في مجاري هذه الكلمات الا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتتدب
لطلب قناعك به فما اذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن
لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال فعوذ بالله من ذلك وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اهـ

(المئارج) يعتبر بهذا من ترتد فرائضهم من ذكر الدعوة إلى الكتاب والسنة
والنهي على التقليد الأعمى الذي يصرف صاحبه عن الاهتداء بهما وليعلموا انه مانع
عالم في الاسلام الا وكان متعياً شوطه وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة والاهتداء
بهما استقلالاً والفرزالي في ذلك كلام كثير بين تصريح وتلويح دأري فيه دولة
المتعصبين ونأهيك بما تقدم لنا قلله عنه من كتابه القسطاس المستقيم
وثمن هذا الكتاب أربعة قروش صحيحة

* * *

✽ الرسالة الدينية ورسالة مالا بد منه للمريد ✽

الاولى لابي حامد الفرزالي يتكلم فيها عن العلم اللدني والالهام والوحي والنفس
والروح والقلب والثانية للشيخ محيي الدين بن عربي في آداب سالك طريق التصوف
وقد طبعهما الشيخ محيي الدين الكردي معاً وضمنها قرشان صحيحان

بَابُ الْحُجُبِ وَالْأَلْبَسِ

الاسلام والمسلمون

﴿ رأي المسيو مونتيه ناظر المدرسة الجامعة بجنيف فيما ﴾

بدأ المسيو ادموند مونتيه ناظر مدرسة جنيف الجامعة بالقاء محاضرات ست في مدرسة فرانسا (كوليج دي فرانسا) عن حالة الاسلام الحاضرة والمستقبل . وذلك في كل يوم اثنين وخميس في الساعة الثانية ونصف مساء ابتداء من يوم ٧ الجاري وينتهي منها يوم ٢٤ الجاري . أما مسائل بحثه فهي :

• صالح المسائل الاسلامية . احصائيات الاسلام . انتشار الديانة الاسلامية . التمسك الشديد بالدين الاسلامي . التغييرات التي طرأت عليه . الانشقاق والاختلافات والمذاهب . عبادة الاولياء المسلمين . ارباب الطرق الاسلامية . تصوفهم ومحافظتهم على الاصول . تأثيرهم الاجتماعي والسياسي . محاولة اصلاح الاسلام . الباطية والبهائية . مستقبل الامم الاسلامية . الاميال نحو الحرية والمجهرودات التي تبذل في سبيل التخلص من الاجانب في الاسلام »

ولما كان المسيو ادموند مونتيه كاهنا بروتستانيا حر الافكار كانت افكاره وآراؤه في هذا الشأن من الاهمية بحيث لا يستهان بها

لذلك أرسلت جريدة « السبيكل » الى جنابه من يسأله عن آرائه في شأن الموضوعات التي سيجعلها موضوع بحثه فصرح له بالتصريحات الآتية :

« أما آرائي فيها فهي كثيرة جدا وان السؤال الذي ألقته علي سؤال مركب

كثير الفروع . فاسمع لي أن أجبك عليه بهذه أجوبة لأن الاسلام يظهر امامنا في مظاهر شتى »

« وأول ما يبدو أمام نظر الذي يرقب حركات الاسلام وبهجه شأنه حاله الحاضرة فالعالم الاسلامي الذي بشاع عنه خطأ انه في سبات عميق لا يتحرك هو في الحقيقة اليوم في حركة شديدة فهو عالم يسير ويتقدم . فالترك . ومصر . وقارس من جهة يظهر فيها الشوق الى الرقي ونور العلم ظهورا جليا . ومن جهة أخرى ترى في المستعمرات الانجليزية والفرنسية والمستعمرات الاوربية الاخرى تلك الحاجة بعينها تدفع جمهور المؤمنين الى طلب الزيادة في الحرية والحرية »

« ولكن رب قائل يقول لي ألا تظن أن تركيا التي كانت الثورة فيها على النسق اللاتيني سببا في وجود مذهب سيامي جديد . ليست كسائر الجهات التي ليس فيها الا مجرد آمال مبهمه في الوصول الى حالة خير من الحالة الحاضرة من الوجهة الاجتماعية أو السياسية ؟ »

« واني لأذهب هذا المذهب . وفي رأيي أن العالم الاسلامي كان كأنه محقون بسم نافع فتك به و ينتشر في جميع أعضائه . أما هذا السم فهو سم المدنية الحديثة . سم (مديتنا) التي يتعم على كل أمة أن تعتقها بها يكن ماضيها ومها تكن مدينتها الخاصة بها قديمة كانت أو حديثة . وبمجرد مريان هذا السم في أي جسم يكون من المستحيل اخراجه منه . فان فتكه يستمر فيه ولا مناص . ويقتاد هذا الجسم مع مرور الزمن الى الانقلاب التام »

« أما الموقف الذي سيقف فيه الاسلام حيال مديتنا فينبغي أن ينظر الى الاسلام من وجهتين مختلفتين الاولى أن ينظر اليه من حيث هو مجموع الامم الاسلامية وسكان البلاد منهم والاجناس المختلفة التي تعتق دين محمد صلى الله عليه وسلم والثانية أن ينظر اليه من حيث هو دين الاسلام نفسه »

« وانه ليخيل لي أن الامم الاسلامية يزداد دخولها في حضيرة المدنية الحديثة شيئا فشيئا . وذلك ما يفعله أكثر الامم الاسلامية . بعضها بقصد والبعض الآخر بلا قصد لأن الامر في نظرم ينحصر في مسألة اما الحياة واما المات لأن تيار المدنية

الحديثة لا استطاع مقاومتها والذي يريد أن يهرب من وجهه لابد أن يكتسحه .
والذي يريد أن يقاومه لابد أن يسحقه . ذلك ما يعتقد كثير من المتورين منهم
اليوم . وكثير من أبناء وطنهم يثبون أثرهم بحكم التقليد في سبيل التقدم الحديث .
« أما من الوجهة الدينية فإن الموقف يختلف عن ذلك كل الاختلاف . فإن
الاسلام بصفته ديناً كانت له غايات شبيهة بغايات النصرانية وقد وجد فيه التصوف
والمذاهب والميل الى المحافظة على القديم والى التخلص من رقة القيود ولا يزال
كل ذلك موجوداً فيه الى الآن وإذا كانت المسيحية قد ضمنت لها مستقبلاً في
الرقى وفي البقاء غير محدود فإن شأن الاسلام في ذلك شأن النصرانية تماماً . فإن
الاسلام احدى ديانات التوحيد الكبرى وان التوحيد في الديانة لا يمكن أن يزول
بل تبقى مبادئه بقاءً أبدياً ولو تغير في اعراضه »

« اني شديد اعتقاد الخير في الاسلام نفسه بصفته دين توحيد اعتنقه على
الخصوص أم آسيا وأفريقية والمسلمون على وجه العموم »

« ولطالما كانت لي علاقات شخصية مع المسلمين وأكثرتهم من أصل عربي
أوبربري (مغربي) واتي لأحفظ لهذه العلاقات جميل الذكري . واني شديد
الاحترام للأتراك والمصريين المتورين الذين قضيتهم بل ان لي من بينهم
بعض الاصدقاء المخلصين اخلاصاً تاماً . ولكني أتمسك على الخصوص بالصدقة
التي نشأت بيني وبين المتواضعين الخاشعين من المسلمين وهم على الخصوص في مراکش
فإن هؤلاء المسلمين الذين يعيشون عيشة في غاية البساطة والقرابة في نظرنا بالنسبة
لطرائق تفكيرنا قد حافظوا على أجمل الفضائل التي نحترمها نحن ولا شك ولكننا
نعمل العمل بها واني أريد بذلك فضيلة حسن الضيافة والكرم ، وفضيلة الوفاء التام
في الصداقة والاخلاص . وهم يصح انه يقال عنهم انهم الامثلة الصالحة في هذه
الفضائل . ولقد كان في خدمتي بعض المراكشين فأظهروا لي في كثير من الظروف
الحرجة دليلاً على اخلاصهم المتأبى . ولعمري اني مانستهم قط واني على يقين

من انهم لم يفسوني أيضا . وماذا كنت أنا بالنسبة لهم ؟ كنت رجلا غريبا بل مسيحيا
ولكنني كنت مسيحيا غريبا وأصبحت صديقا لهم ،
« ولي كلمة قبل أن أختم ملك هذا الحديث لا يعني الا أن أقولها وهي ان
روح الاسلام (وأريد روح الديانة الاسلامية) صلب على الغريب عنها أن يقف
على سرها . ولكن الذي يقف على كتبها ويقتها يرى أن هذه الروح جميلة جذابة .
ومنى قتها المرء فليس في قدرة أي شيء أن يحو من قوائده التأثير الذي تحدثه فيه
وليس في استطاعة المرء أن يفصل عنها ، اه من ترجمة المؤيد بتصحیح قليل

الترك والعرب

(دليل على ما سميته سوء التفاهم وشهادة كاتب تركي لعرب)

كان يجب على جرائد الآستانة أن تحمد سعي الشريف أمير مكة المكرمة في
فهد ولا سيما إخضاع أكبر أمرائها ورئيس عشائرها الأمير عبد العزيز آل سعود للدولة
الطليّة وحمله على الثقة بها ولكنه لم يسلم من اللوم والمواخذة حتى قالت بعض تلك الجرائد
ان سعيه كان حسنا ولكنه كان مخطئا فيه لأنه ليس له صفة ولا سلطة تميزه أن يحمل
و يعتقد !! وقد كانت جريدة « يكي تصوير أفكار » خاضت في مثل هذا الانكار
والتجاهل ثم اقترحت على سليمان بك نظيف الذي كان الى عهد قريب واليا لبصرة أن
يكتب اليها شيئا مما وصل اليه اختباره عن عرب الجزيرة فكتب اليها مقالا ترجمته
جريدة المفيد فقلناه عنها لما فيه من الانصاف واستقلال الرأي (١) وهو : قال الكاتب
« ان السلطة الثمانية في جنوب العراق وجزيرة العراق لا تأيد ما لم تأيد
(العدالة وحسن الإدارة) ففي كل وقعة من الوقائع خطر يتطير شره

« ان هذه البقاع المباركة بقاع بائسة وقت حصورا متطاولة في زوايا الاهمال من
قبل الحكومة الا في عهد مدحت باشا

« ارتكز فلقنا السادس ودق وقاده حيث كانت تهجم جيوش بابل وأشور

(١) بعد هذا رأينا في جريدة أخرى ان الكاتب ذكر ان نجبا مدية كان أهداها مدحت
بينا للدولة وان الشريف اعتدى على حقوق الدولة في إخضاع ابن سعود لها !!

بسلطوتها وهيبتها فرايناه اليوم يندحر امام بعض القبائل البدوية إما اندحار . كانت
(الجزيرة) في الغابر بمثابة اكبر مستغل يستمد منه العالم بأسره مؤثته ونزاه اليوم يموت
أهله جوعاً ، على حين ان الأرض لم تفقد قوة النمو ولا الخصب
وبعد فليس تمت من سبب هذه المصائب الأسوء ادارتنا التي اشترك بها هذا
العاجز مدة احد عشر شهرا

« كنت اعتقد قبل قدومي البصرة اعتقادا وادته في نفسي الأقوال المتضاربة
ان الأمة العربية عنصر يقبض من الجامعة العثمانية ولكن اقامتي فيها ومحاولتي
كشف النقاب عن الحقائق اثبتت لي ان هذا الاعتقاد وهم محض فسروا ماشامت
حيتي العثمانية . اذا صرفنا النظر عن عائلة واحدة في البصرة مكروهة منفور منها
لا يتجاوز افرادها عدد الاربعة فانا نشهر بحس واحد راسخ في نفوس عرب
الولاية كافة من بدويهم الى حضريهم الا وهو حب الجامعة العثمانية

« ولكن ينبغي لنا أن نصرف ونقر بأننا أسأنا المعاملة بجانب عرب البصرة في جميع
الاحايين وقسمنا أراضيتهم الى مقاطعات تحت اسم أميرية وسفوية ودعونا المتغلبين
الى أن يعدوا اليها أيديهم الجائرة الظالمة وعززناهم بقوة من الحكومة ووقارها حتى
بلغنا الى درجة التحكم بالقوت اليومي الذي كان يتناوله كل عربي بمجده وسعيه
« كل ذلك كان وكان هذا الشعب الصادق الجليل يتلقى من الحكومة تلكم
الصدومات بصبر وثبات كأنها هي من الأقدار ولم يلك ينبس يفت شفة

« حادثة « شطرة المتفك » بسيطة جدا أي انها فاجعة بسيطة سببها ان فريقا
عسكريا مأمورا بالأصلاح فلن ان سلطته تخوله فسخ احالة (ابطال عقدا التزام اعشار)
مقاطعة برمتها . فان عشيرة « عبوده » التي هزمت الفريق يوسف باشا قائد أربعة عشر
قائورا وحاصرته والتي تركت قوة أمير اللواء محيي الدين باشا جامدة لا حراك فيها كانت
حتى في أوقات ظفرها تبرق البرقيات الى الولاية تعرض اطاعتها للحكومة وتبين
انها مضطرة لمحاربة الفريق المسوق بسائق المطامع الشخصية دفاعا عن نفسها وذودا
عن شرفها . ولقد اثبت رجال هذه العشيرة صدق دعواهم بالفعل فان القوة العسكرية
البالغة واحدا وعشرين قايورا تخلصت من رقة الحصار الشديد بأمر واحد تلقاه

المحاصرون من الحكومة وليس تمت دليل اكبر من هذا الدليل على صدق عثمانية هؤلاء واطاعتهم للحكومة

و اهداني قنصل روسيا في البصرة الموسيو (طوخوفا) كتابا فرنسيا عنوانه (الثورة العربية والدول) اثناء (سيري) الى المتفك فوجدت صاحبه بلا الكتاب بموادث المتفك ويتحرى في جميع اتجاهاته ان يثر على امارات الانفصال والاستقلال فمظم الوهم الذي ولكن حينما شهدت عائلات المتفك ايقنت اليقين التام ان ذلك الكتاب مجموعة نفاق وبهتان وانا اليوم على ثقة تامة انه ليس في البصرة أزمة سياسية ما . ليست تلك الاصوات التي تمتد أحيانا الى العاصمة فتذبذبها من غفلتها الاصمغات متصاعدة من أفئدة عضها الجوع بأنياه ولو كنا . كان هؤلاء العرب لا تبنا أشد بما يأتونه . واذا تدبرنا وعقلنا الامر واقبلت تلك المبرخات الى سكوت يتم الى الابد عن شكره (المار) يننا في المقالات التي نشرناها في جرائد الآستانة ونحن فيها ان العرب كلهم مخلصون للدولة لا يخطر في بال أحد منهم ان بينهم وبين اخوانهم الترك أدنى فرق ، وان اتهم بعض رجال السياسة فيها إياهم وما تكتبه الجرائد التركية عنهم وفي العصبية الجنسية وما يسمه أبناءهم في مكاتب الدولة يخشى أن يغير قلوبهم ووعظنا رجال حكومتنا بالحديث الشريف « اذا ابتغى الأمير الرية بالناس أفسدهم » فلم يفتن النصيح شيئا فمضى أن يقبلوا شهادة هذا الشاهد منهم ويزيلوا أسباب الفرق وسوء الظن ويعلموا اننا كنا لهم ولا نزال من اخلص الناصحين

الاحتلال الاجنبي في ايران

هذا الاسلوب الاوربي من أساليب الفتح صار معروفا عند الباحثين والمستعمرين من أهل الشرق ومعناه فتح البلاد بدون ان يخسر الفاتح شيئا يذكر من الرجال والمال فان طريقه أن يضرب بعض البلاد ببعض ويحدث فيها الفتن ثم يدخل جيشه بحجة إطفاء الفتنة وتأمين تجارته وحفظ رعيته في البلاد ثم يحكم بعضها ببعض كما ضرب بعضها ببعض . ولا يهاب الفاتحون بهذا الضرب من ضرر الفتح والاستعمار ، بل يحمدون بتخفيف الضرر والضرار ، وإنما تعاب الامم التي تفتح بلادها بجهلها وتفرقها

وما فيها من الخلل والضعف الذي مكن الاجنبي من سلب استقلالها
كانت روسية وانجلترا تتنازعان النفوذ في فارس لجأوة الاولى لها من جهة
الشمال والثانية من جهة الجنوب كما تتنازعان النفوذ في البلاد العثمانية وقد اتفقا بعد
طول التنازع والعداء ولكن أعقب اتفاقهما نهوض المملكتين الاسلاميتين بالدستور
فأما العثمانية فانها نهضت بجيش قوي منظم فكان ذلك مانعا من التعرض لها بالقوة
المسكرة والاحتلال الذي كان ينوي البدء به في مكدرية وأما الفارسية فمن سوء
الحظ انه ليس لها جيش قوي منظم فبادرت روسية الى احتلال منطقة نفوذها
وهددت ان تكره باحتلال منطقة نفوذها أيضا، بادرتا بذلك صلاح حالها، وأخذها
بأسباب القوة التي تحول بينها وبينها،

لقد علم المستبصرون من الايرانيين وغيرهم ان المراد بهذا الاحتلال الامتلاك
فاضطربت له قلوب المسلمين في المملكة العثمانية والبلاد الهندية وبلاد التتار الروسية
ومصر وتونس وزادهم ميلا الى الاتفاق والاتحاد، وظهر هذا الاضطراب بأشد
مظاهره في الآستانة وفي بعض بلاد الهند ولم يظهر في مصر لان المشتغلين فيها بالسياسة
شغلهم حلهم أو شغلهم ان يحار؟ ويتحامون الاتهام بالليل الى الجامعة الاسلامية
يقال ان الايرانيين يفضلون أن يقيموا محلي بلادهم بالأعراض عن تجارتهم
وقد أمرهم علماءهم بذلك جبرا فان لم يجد فتأليف عصابت كالعصابت المكدونية
المؤلفة من البطارين واليونانيين لمقاومة حكومتهم العثمانية وانهم يفضلون تخريب
البلاد على سلب الاجانب لاستقلالهم . فأما غيرتهم وحميتهم المالية وشجاعتهم
الشخصية فما لا ينكر بعد ظهوره للبيان في مقاومة حكومتهم الماضية المستبدة الملعونة، وأما
آفتهم فوجود المنافقين من البايّة والمفرنجيين الذين فسدا عقادهم بالسواوس الاجنبية
يؤمنون خلاصهم بفنونهم الفتنة وفيهم من يماعون لهم وجعل العامة يهدد المنافقين بسبيل التفضيل
وعندي أن ما يصلح هذه البلاد في هذه الحال لا يدركه الا الافئاذ من
العقلاء الطارفين بالسياسة العامة وبأحوال الامة الروحية والاجتماعية، وان العارف لا يقدّر
أن ينفعها بمرفقه الا اذا اقم أصحاب النفوذ فيها من العلماء والزعماء فهل يسهل
تأليف جمعية من الطارفين وأصحاب النفوذ تقرر ما يجب أن يعمل وتنفعه ؟

﴿ المشيخة الإسلامية ، والقضاء الشرعي في الدولة العلية ﴾

خطاب من جماعة المسلمين الممانين الى شيخ الاسلام ومجلس المبعوثين في
عاصمة الدولة أيدها الله تعالى بهم وأيدهم بها :

الى متى يكون حظ القضاء الشرعي دون حظ سائر مصالح الدولة من عنايتكم
والى متى تظل المحاكم الشرعية استبدادية لا يقيد القضاء فيها بأحكام معينة معروفة
يطالب بها الخلق ووكلاء الدعاوي (كجلة الاحكام المدنية) ولا بأعضاء يستشارون
في الاحكام كالمحاكم النظامية ، ولا يرسل اليهم مفتشون يطالعون على أحكامهم
ويتعرفون سيرتهم وأعمالهم في ادارة تلك المحاكم ، ولا ينشأ لأجلهم قلم مراقبه تحفظ
فيه سيرتهم الرسمية ، ولا مجلس تأديب يحاكم فيه إذا جاروا وظلموا ؟ ألا إن هذا
الاهمال لهذه المحاكم يفسد نظام البيوت التي تتألف منها الامة ويضيع الاوقاف
ويحرب المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بل يؤدي الى الاشتباه
في حقبة الشريعة السمحة الحكيمة

من أمثلة الخلل في هذه المحاكم الذي عرفناه بالرؤية والنظر والخبر والخبر
ان عبد الحميد افندي هاشم الجعفري كان عين نائباً لمحكمة نابلس (بلده) فهاجت
سيرته الاهالي عليه على شرف يده ويقال أن بعض الوجاه أمر بضربه فضرب
ولم يتحملوه الى آخر مدته ثم عين نائباً اصيذا فأحدث الفتن بين الاهالي حتى
هاجوا عليه وهما به فهرب الى بيروت ليلاً ، ثم عين في بلاد الترك فكانت عاقبته
النفسي ، وبعد الدستور عين نائباً لطرابلس الشام فهاجت سيرته الناس عليه حتى
هجم الالوف منهم على المحكمة الشرعية لاجل الفتك به كالأينا في الجرائد السورية
وقبضت وأرسلت الشكاوى البرقية عليه الى المشيخة فأمرت بمحاكمته في بيروت ولكن
المحاكمة انتهت بالصلح رحمة من مفتي بيروت به ، ثم ان لجنة التفتيش حكمت بأنه
لا يجوز توليته في البلاد السورية وعزلته المشيخة عزلاً

بعد عزله ذهب الى الآستانة وطلب من المشيخة توليته القضاء فسأله مجلس

الانتخاب عن السبب في الامتناع من ختم إعلام الحكم ببعض الدعوى فانكر الدعوى ألبتة وزعم انه لم ينظر فيها ولا رفعت اليه فطلب شيخ الاسلام حسني افندي من خلفه في طرابلس الشام صورة ضبط تلك الدعوى مصدقاً عليها فأرسلت الى المشيخة فحاجه بها مجلس الانتخاب فاعترف بالدعوى واعتذر عن ختم الاعلام بكلام جهم فيه ولم يبين وفر من الآستانة يائسا ومجلس الانتخاب يحفظ هذا عليه قولاً وكتابة بعد هذا كله كتب الينا من يافا وغيرها انه عين نائباً لبغاري وانه لا يقبلها بل يرجو ان يرتقي الى نيابة (قضاء) ولاية بيروت لما ورثه من المال الكثير من أخيه ... فنعيد الذكرى للمشيخة الاسلامية وللمجلس الامة ونكرر طلب إصلاح هذه المحاكم وعسى أن يوجد في مجالس المبعوثين من يحملهم الفيرة وحب الإصلاح على الاستيضاح من شيخ الاسلام عن هذا النائب الباقعة ان صح أنه تقلد القضاء في عوده الآن

﴿ لجنة ترقية الوعظ الديني والخطابة في المساجد ﴾

ألفت لجنة في الأزهر بهذا الاسم رئيسها الشيخ محمد شاكر وكيل المشيخة ولما بلغني خبرها وأنا في الآستانة سررت سرورا عظيما ثم بلغني أن عمل هذه اللجنة محصورا في اقتراح إنشاء خطب في بعض المسائل الدينية كالحث على العبادات والنهي عن المحرمات لاجل أن تنشر في مجلة الملاجي العباسية وتصل الى خطباء المساجد ، واطلعت على بعض تلك الخطب التي قبلتها اللجنة وأجازت منشئها فاذا هي ليست خيرا من خطب خطيب جامع الست الشامية وخطيب جامع عزبان ولا مثلاً نعم أنها أمثل من خطب خطيب جامع الحين ومن في طبقة من الصوام ، وليس هذا هو الإصلاح الذي ننشده من زمن طويل ولا العمل الذي يحتاج الى لجان وإنما يكون الإصلاح بتعليم طائفة من طلاب الأزهر وغيرهم الخطابة الدينية على نحو ما شرحناه في كتاب (الحكمة الشرعية) منذ ٢٠ سنة أي تعلمهم ليكونوا أصحاب ملكة يقتدرون بها على الخطابة وتهجلا في جميع معاني الدين وما يصلح به حال الناس في الدنيا

(باب الانتقاد على المنار وصاحبه)

انتقد صاحب جريدة البريد التي تصدر في (ريودي جانيرو) ما كتبناه في خطاب علماء الاسلام الذي نشرناه في جريدة الحضارة ونحن في الآستانة وفي المنار انتقد منه حثا العلماء على الاستعانة بالمبعضين لأجل الوصول الى حقوقهم في التعليم والمناصب الشرعية وعلى الاجتهاد في جعل المبعضين في الانتخاب الآتي منهم ومن يرجى ان يساعدهم على خدمة ماتهم

انتقد هذا لانه فهم من انني أريد جعل أكثر النواب من صنف العلماء الذين يجهل أكثرهم حاجات الامة وانني لأريد ان يكون في المجلس نواب من غير المسلمين وجعل هذا مناقيا للدستور القاضي بالمساواة قال « وكأنه استكثر وجود مسيحي واحد بين نواب العرب فقام يدعو الامة المسلمة الى حرمان المسيحيين طبة كرسيا واحدا في مجلس المبعضين الثمانين »

« أساء سمعا فأساء جابة » رويدك أيها الرعيف الكريم انني كنت أول مساعد لانتخاب المسيحي العربي الذي تشير اليه فقد كنت أيام الانتخاب في بيروت ورأيت جماعة من المسلمين أصحاب النفوذ يارضون في انتخابه لانه مسيحي بل لانهم لا يعرفونه معرفة تفيدهم ثقة به فقلت لم انني عرفت به عرفت بعشر وعاشرته واثبتت عليه بما أقنعهم وحملهم على انتخابه ومساعدته

انني عندما كتبت ما كتبت في تلك المقالة لم يخطر في بالي المسيحيون ولا نوابهم وانما خطر في بالي وملا قلبي عند الكتابة ما علمته من حيولة بعض الملاحدة من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون مسلمين في كتب الجغرافية) دون خدمة رجال الدين الاسلامي لدينهم وماعلمت أحدا من النصاري يارضهم ولا يقاومهم في ذلك، وان المبعضين من النصاري يدافعون عن امتياز طوائفهم وكنائسهم افليس المسلمين حقوق دينية في الدولة يجب ان يدافع عنها العلماء؟ وسأبين رأيي في المبعضين من غير المسلمين واذكر ما أقنعت به المسلمين وأزلت به شبهتهم على منافاة وجودهم في مجلس المبعضين ومجلس الوكلاء لكون الحكومة اسلامية فقد ضاق عنه هذا الجزء

بوق الطيكة من يشاؤون من دون الحكمة قد أوتي
فوا كثيرا وما يدرك الا أولو الابصار

المجلد
١٣١٥

هذه مجلد في الدين يستعملون القول فيقولون أصب
ذلك الذي هداهم الله وأولئك هم أولو الابصار

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ه مناوا ه كنار الطريق ه

الاحد ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ - ١ يناير (كانون الثاني) ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م

فتاوى المتبائن

هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس مائة ، ونشعرط على السائل ان يبين
اسم ولقبه وبلده و عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج فالباور بما قد منا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولما
مضى على سؤاله شهر اني او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا من صريح لا نقاه

افتراق الامة الاسلامية والفرقة الناجية ه

(من ٥٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (شانكين - سومطرا)

سلام الله عليكم . والرجاء من سيادتكم ايضاح ما ابهم ولكم من الله الاجر
بزعم بعضهم ان افتراق الامة الى شيع أمر لازم اخبر به النبي صلى الله
(المجلد ١٢) (١١٣) (المجلد الثالث عشر)

عليه وآله وسلم . في حديث د مستشرق أمي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
لا فرقة . رواه الطبراني .

وبناء عليه فلا مضع في توحيد كلهم وإصلاحهم بل لا يزالون مختلفين . وقد
سألناهم عن الفرقة الناجية فقالوا هي الشيعة المذاهب الأربعة المشهورة .
فن عاد عن أحد هذه المذاهب فهو ولا شك (بزعمهم) في الدنيا من المؤمنين
وفي الآخرة من المؤمنين . (هنا ما تقوله جماعة التقليد والأقرب انه آخر منهم
في الكثرة)

فما قولكم سيدي في الحديث . هل هو صحيح متواتر أم مضمون في الزيادة
الآخيرة كما اشار اليها الأستاذ الحكيم السيد أبو بكر بن شهاب من أبيات نشرت
في الم - ٧ - ص ٢٦٤ من الماروهي .

وحديث تفرق النصارى واليهود د وأمي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار الا فرقة لم تغل عن طعان
ففضلوا علينا بالبيان الشافي المهود من حضرتكم لازلم خير خلف خير سلف
ح . م . في - شاكين - (ستر)

(ج) أما اقتراف الامة الاسلامية فهو واقم بالفعل ولكن لا يوجد دليل من
القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الامور العامة والاخوة
الاسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديههم كلهم وعلى مايفهم كلهم وان ظالوا مختلفين
في كثير من المسائل بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر
بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان

وأما الحديث الوارد في الاقتراف فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وأبو
داود والترمذي وهو في الجامع الصغير بلفظ « اقترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
واقترقت النصارى على اثنين وسبعين وتفرق أمي على ثلاث وسبعين » رواه
أحمد عن أبي هريرة . أقول ورواه الترمذي عنه بلفظ « تفرقت » ثم قال : في
الباب عن سميد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح . حدثنا
محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد

الأفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص)
 ليأتين على أمتي مائتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل - إلى أن قال (ص) -
 وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة .
 قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال « مائنا عليه وأصحابي » هذا حديث حسن غريب
 مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه اه كلام الترمذي فائدة الرواية التي
 تبين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن بن زياد الأفريقي
 رواها وهو قاضي إفريقية قال فيه الإمام أحمد ليس بشيء نحن لا نروي عنه شيئا
 وقال النسائي ضعيف في الثقات . وقال بعضهم لا بأس به وقال ابن حبان أنه يروي
 الموضوعات عن الثقات ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله « فأسرف » وروى
 بأسانيد أضعف من هذه وأوهى فالرواية إذا لم تخل من طعن فيها

ورواه الحاكم في صحيحه وما انفرد الحاكم بتصحيحه لا يسلم من مقال أبضاوكن
 قال في المقاصد إن الحديث حسن صحيح يعني بزيادة كلهم في النار إلا فرقة واحدة
 وروى بلفظ كلهم في الجنة الأفرقة واحدة . فستل عنها فقال الزنادقة والتفدية .

رواه العقيلي والدارقطني وهو موضوع وضعه ابن الأثير وفي شرح عقيدة السفاري
 مانصه : ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الإسلام والزندقة أن النبي (ص)
 قال « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة وهي فرقة (١) » هذا
 لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على أنه أراد الزنادقة
 من أمته إذ قال « ستفترق أمتي » ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته ، والذين
 ينكرون المعاد والمصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون أن الموت عدم محض
 وإن العالم كذلك لم يزل موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر وينسبون الأنبياء إلى التليس فلا يمكن نسبتهم إلى الأمة انتهى

« قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاسكندرية أما هذا الحديث فلا أصل له
 بل هو موضوع كذب باتفاق أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الذي في
 كتب السنن والمسند عن النبي (ص) من وجوه إنه قال « ستفترق أمتي على
 ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلاث وسبعون في النار » وروى عنه أنه قال

« هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا اليوم عليه وأصحابي » وضمه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهم . قال : وأيضاً لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن . وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولاً ورداً فللإيراد به عند المنافق الذي يظهر الأيمان ويطن الكفر اهـ

« (قلت) وقد ذكر الحديث الذي ذكره الخزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر أنه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة » قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضاً . قال أنس كنا نراهم القدرية . قال ابن الجوزي وضمه برد بن اشرس وكان وضاعاً كذاباً وأخذ عنه ياسين الزيات قلب أسناده وخطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهوؤلاء كذابون متروكون

« وأما الحديث الذي أخبر النبي (ص) أن أمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي أمامة وواثلة وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة . ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم اهـ ما أورده السفاريني

أقول حديث معاوية الذي أشار إليه رواه عنه أحمد والطبراني والحاكم بلفظ « أن أهل الكتاب اقتربوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » وفيه زيادة عزها السفاريني إلى أبي داود فقط وهي « وأنه ستخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل إلا دخله » وهذا أمثل ما رواه الحاكم من ألفاظ هذا الحديث وسنده لا يسلم من مقال ورواه غيره

هذا الافظ عن كبر بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده . وكثير هذا طعنوا فيه حتى قال الشافعي وابو داود انه ركن من أركان الكذب وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وذكر الذهبي ان العلماء لا يتمدون على تصحيح الترمذي لأنه روى عنه حديث « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه

وجملة القول ان تعدد طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا على طريقهم المتبعة في ذلك وأظن انه لا تسلم رواية منها عن طمان أو مقال كما قال ابن شهاب خلافا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها وكلها مشكلة مخالفة للاحاديث الصحيحة كما يأتي

وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده فهو ان الفرقة الناجية هي الفرقة التي تبقي السنة التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع وهوؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة على أن أهل الأثر والحنابلة أقرب من غيرهم إلى السنة واجد عن البدعة وذلك ان المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب لا ينحصر الحق فيها في مذهب دون غيره فثارة يكون الصواب مع الأشعرية وثارة مع المالكية فيما يختلفان فيه وقل مثل هذا في خلاف المعتزلة والشيعة وغيرهم وفي الفروع وسائر المذاهب . ثم ان المتبين الى هذه المذاهب ليسوا متبعين لائتباع حتى الاتباع فيكون أتباع المصيب هم الفرقة الناجية . فانظروا ان الناجين في كل زمان هم أهل الاتباع الذين يقفون الابتداع ولا يتخلو المنسبون الى مذهب من المذاهب المعتد بها في الاسلام عن طائفة أو افراد منهم يؤثرون السنة على كل بدعة ومجموعهم طائفة واحدة يجمعهم الاعتصام بالكتاب والسنة (ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين) وقد عد بعضهم هذا الحديث مشكلا وتوسع الشيخ صالح المصلي في بيان هذا الاشكال وحله في كتابه العلم الشامع وانا تلخص منه ما يأتي

قال « والاشكال في قوله كلها في النار الاملة فمن المعلوم انهم خير الامم وان المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الامم كالشجرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشجرة السوداء في الثور الأبيض حسبما صرحت به الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة وبعضهم تأول

الكلام بأن الفرقة الناجية صالحة كل فرقة وهو كلام متقضى لأن الصلاح ان
رجع الى محل الاقتراق فهم فرقة واحدة لأفراد من الفرق وان رجع الى غير ذلك
فلا دخل له لأن الكلام انهم في النار لأجل الاقتراق وما صاروا به فرقا
ثم ان الناس صنعوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليلبثوا بها الى ثلاث
وسبعين ثم يحكم كل منهم نفسه ومن وافقه بأنه الفرقة الناجية وانما يصنعون ذلك لادعاء
كل منهم انه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم صرح بذلك
صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتفق عليه جميع الفرق الاسلامية انما ينحصر النظر فيمن
الباقى على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن المعلوم ان ليس
المراد ان لا يقع منها أدنى اختلاف فان ذلك قد كان في فضلا الصحابة انما الكلام
في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتداء

«واذا حقت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل وفيما يترتب عليه
عظام المفاسد لا تكاد تنحصر ولكنها لم تخص منها من هذه الفرق التي قد تحزبت
والثام بعضهم الى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة حتى ادخلوا نوادر
المسائل وما لا ضرر في مخالفتها فربما لم يكن من مهمات الدين أولم يكن من الدين في
شيء ولكن كل تسمى باسم مدح اخترعه لنفسه وصاروا يجعلون المسائل شعارا لهم
من دون نظر في مكانة تلك المسألة في الدين والخوارج يسمون نفوسهم الشراة
والاشاعة يسمون نفوسهم أهل السنة والمعتزلة يسمون نفوسهم المدلية أو أهل
العدل والتوحيد لأن خصمهم يثبت الصفات أمورا مستقلة فليسوا بموحدين أولانهم
مشبهة اما صريحا أو إلزاما ونحو ذلك مما تخبرك به كتب المقالات والكلام. والانصاف
ان كلا منهم قد اخترع ما لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة
رضي الله عنهم واختلفت البدع فمن كبير وأكبر وصغير وأصغر وما بينهما اعني الكبير
والصغير اللغويين لا الاصطلاحيين فذلك مما لا سبيل اليه الا بالتوقيف والمفروض ان
هذه أشياء مختوعة فكيف التوقيف على ما لم يذكر بنفي ولا إثبات انما غايته ان يكون
دخل في عموم نهي أو نحو ذلك فتبين الفرق وتعدادها فرقة فرقة وانما هي التي
أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا سبيل اليه ألينة انما تكلموا فيها خطا

وجزأنا سها . هم ذلك وجراهم عليه البدعة الاولى التي خالفوا بها السنة
 ه فان قلت ومن ذا الذي بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وأصحابه ولم يشارك الناس في تحزبهم وابتداعهم (قلت) اما في العصور المتقدمة فكان
 ذلك هو الغالب وما زالوا من عام الى عام يزدلون وأما الآن في زمن الغربة فأما
 من يرجع اليه في مسائل الدين وهم المتقبة فهي غاية القوة وبذلك تصدق الغربة
 لان العلماء هم المعتد بهم وبهم يصير الدين غريبا وأهيبا على انهم قد قلوا في أنفسهم
 لا تكاد تجد اليوم مدعيا عنده بيئة وأما الأعصار المتوسطة من المئين الى سبع مئة
 تقريبا ففيها ثورة العلماء وجملة الجهابذة الحكماء وما شئت ان تأخذ منهم من خير وشر
 وجدته أما الخبير فتتبع فنون العلم وبها وأما الشرف فتأيد الفرقة ه

ثم انه قسم الناس الى عامة وخاصة وقال ان العامة ومنهم النساء والصبيد براء
 من البدعة ولا يسمون أهل السنة أيضا بل يسمون مسلمين

قال ه وأما الخاصة فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه وبلغ
 في قوتها كل مبلغ وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ثم تبعه أقوام من
 غلظة في الله والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحملوه ولكنه
 امامهم المقدم وهو هؤلاء هم المتبعة حقا لكن تختلف تلك البدعة في كونها ذات مكانة
 في الدين أم لا ه

ثم ذكر ان من الناس من تبع هؤلاء وتاصرهم وقوى سوادهم بالتدريس
 والتصنيف ولكنه عند نفسه راجع الى الحق وقد دس في تلك الابحاث قوضا
 لكن على وجه خفي لغرض . ومنهم من تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الابحاث
 وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح البحث فيه وبينها حائل لقصور الهمة
 والرضا من الأوائل قال ه هؤلاء هم الاكثرون عددا والأردلون قدرا فانهم لم
 يحفظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة ه وقال ان هؤلاء لم يحكم الابتداع
 والذين قبلهم ظاهرهم الابتداع ورأيه أن تعامل هذه الاقسام الثلاثة معاملة المتبعة
 وحسابهم على الله تعالى

قال ه ومن الخاصة قسم رابع ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين أقبلوا

على الكتاب والسنة وساروا بسيرها وسكتوا عما سكتا عنه وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يضيهم وكان تهمهم السلامة وحياة السنة أثر عظيم من حياة نفوسهم وقرّة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظاً وحكماً فهو لا هم السنة حقاً وهم الفرقة الناجية واليهم العامة بأسرهم ومن يشاء ربك من أقسام الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم .

ثم بين ان هذا هو المخرج من الاشكال ومناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الامة المرحومة واحتج لذلك بحديث حذيفة في الصحيحين وسنن أبي داود قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بك بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « نعم » قلت فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه قال « قوم يستنون بغير سبيل ويبتدون بغير هادي تعرف منهم وتكر » قلت فهل بعد هذا الخير من شر قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله فأتأمرني أن أدركني ذلك قال « تلزم جماعة المسلمين وإيمانهم » قلت وان لم يكن جماعة ولا إمام قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ثم شرح المصنف هذا الحديث وطبقه على أحوال المسلمين الى عصره في القرن العادي عشر وأكبر العبارة فيه الأمر باعتزال جميع فرق المسلمين اذا لم تكن كلمتهم مجمعة على الإمام الحق الذي يقيم الدين وينشر دعوته في العالمين

الاسلام دين التوحيد وما أمر المسلمون الا ليعبدوا إلها واحدا ويقبوا ديناً واحداً ويعتصموا لهم إماماً واحداً ويكونوا أمة واحدة لا يفرقهم نسب ولا لغة ولا وطن وقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر ولكن ظهر الاسلام في الاميين فلم تنكح الامم والشعوب تشين بعض معارفه حتى دخلوا فيه أفواجا من غير دعوة منظمة ولا هادئ شيعية لانهم فصلوا بعض ما عرفوا منه على كل ما كانوا يعرفون من

أديانهم فكان هذا الاقبال السريع على الدخول فيه من أسباب تفرق أهل شيعة ومذاهب ودولا وأما كل حزب بما لديهم فرحون « تنصر أحزاب السياسة أحزاب الدين وأحزاب الدين أحزاب السياسة على حزب التوحيد وتفریق الموحدين حتى جنوا على التوحيد نفسه توحيد الألوهية بالتوجه الى غير الله ودعاء سواه ، وتوحيد الربوبية بشرح مالم يأذن به الله ، وحتى سلطان الله تعالى على جميع هذه الاحزاب أعداء خضدوا شوكتها ، وزلزلوا دولتها ، فضعف القروور بها ، وعلى قدر ضعفهم وضعفها صار بعض المسلمين يشعرون بحاجتهم الى الاتحاد بسائر اخوانهم ، وكان أول من دعاهم في هذا العصر الى وجوب التعارف والاتحاد المصلح الحكيم الشير السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وقد صار المقتنعون بوجوب ذلك كثيرون ان تفرق المسلمين في السياسة والدولة قد خرج أمر تلافيه من أيدي المسلمين لأنهم صاروا كلهم حالة على دول أوربا القوية حتى ان أقوى دولهم تعيش بمال أوربا ويعمل فيها نفوذ أوربا مالا يستطيع أحد ان يمنعه فلا نبعث في هذا فان ارجلا لا بد ان يلكه وإنما نستفيد من حوادث الزمان في منقذ أوربا ما نستعين به على تلافى ضرر التفرق في المذهب والجنس واللغة « قد رأينا ميل الغرب وإحسانهم باخوة سائر المسلمين قد قوي بعد احتلال روسية لبعض بلادهم وتهديد انكسرة إياهم باحتلال البعض الآخر أما التفرق في المذاهب فقد ضعف بقله المذاهب وجعل المنتسبين اليها بهاوتة اتقاهم بعصبيتها وتوجه كثيرين منهم الى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فلهذا تفرق أمانا فرق كبيرة يذكرون بقب مذهبي الا الامامية والزيدية من الشيعة والاباضية من فرق الخوارج والوهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الخابطة ومعلم النزاع بينهم وبين الأشعرية وقد تلاشى لقب أشعري وماتريدي من غير الكتب وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه مخفولة ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي يتسبون اليها الا قليلا من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المائكة أيديهم في الصلاة ، وقد بقي لكل مذهب في الأصول والفروع طائفة من المنقطعين الى تعاليمها يتعصبون لها لانها مورد معيشتهم ومصدر جاههم

فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء باظهار دواعي
الائفة والوحدة ومضرات التفريق فيكون المؤمنون اخوة متحابين لا بينهم من ذلك
الاختلاف في بعض المسائل الدينية ، بل يكون كالاختلاف في المسائل الطبية والعادية
وأما الفرق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في العصر دعاة من المتفرجين
هم أشد آفة وقتة من دعاة الفرق بالمذاهب لأنهم يتقبلون على المناصب وأعمال
الحكومة ومصالحها بميل الحكومات الى تقليد الأفرنج في كل شيء حتى صار في مسلمي
مصر من يتفخر بالفراغة وإن كان فيهم من أنه الله وكلهم في الوثنية واستعباد البشر
سواء ، ومن القوم من يتفخر بسلفه من الجورس ، بل يرى بعض الشعوب التي
لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الاسلام أشد عصبية للصنف
واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك ، فيجب على علماء الاسلام الاعلام ان
يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الاسلامية لكبح شر هؤلاء وتحقيق الوحدة
الاسلامية التي جعلت المسلمين كلهم أخوة حتى تنسى بها لفتيق الحبشي أسود ان
يقتل أميراً قرشياً فأتى بعامته في مكان سلطانه وسودده امام الناس ويقوده بها
الى المحاسبة على ما أفق من مال الامة ، ذلك الفتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه
وذلك الأمير هو سيد بني مخزوم سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه
ان الوحدة الاسلامية الدينية الادبية التي ينشد لها المصلحون توقف على تهميم
لغة الاسلام بين جميع الشعوب الاسلامية إذ لا آلف بغير تعارف ، ولا تعارف بغير تفاهم ،
ولا يسهل التفاهم بين المسلمين الا بلغة دينهم المشتركة بينهم وهي العربية التي لم تعد خاصة
بالنصر العربي بالنسب كما ان الاسلام ليس خاصاً به - وعلى تعارف علماء المسلمين
وتعاونهم بالجميات العلمية الادبية والجرائد على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي
وقد أنشأوا بشعرون بهذه الحاجة لحياتهم وسيكون العمل قريباً ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ القرآن في الفونوغراف ﴾

(٥٦) من صاحب الامضاء في روسية

أرجو يا حضرة الاسناد أن تفيدنا عن السؤال الآتي :

قد افتح البحث بطرفنا في جواز استعمال القرآن في صندوق الفونوغراف

الذي حدث في هذا الزمان وهل بعد قرآنا وهل اذا كان قرآنا يجوز استعمال الصندوق للقراءة ويجوز سماعها منه .

وعندنا في هذه المسألة فريقان يختصمان فريق يحرمونه بالكلية ويقولون انه استعمال للقراءة في محل الله واللامب وإن الصندوق لا يستعمل لعبادة . وفريق يجوزونه والمحسوب من جملةهم . لأن أهل بلاد القرآن محتاجون لاصلاح قراءة القرآن الكريم بالانعام العربية ولا يتيسر لكل أحد منهم أن يذهب الى مصر أو الحجاز حتى يتلقى من أفواه المشايخ وان قلنا بجواز استعماله كنا نعلم وتأخذ ما في الصندوق من الانعام العربية المطربة والاصوات المدهشة وكنا كأبي سلامة الحجازي وغيره من القراء .

ولا شك ان استعماله بهذا القصد يكون عبادة أفيدونا ولكم الاجر والثواب

أبو أديب حافظ حلي

(ج) اذا كانت علة تحريم استعمال هذا الصندوق في القراءة هي أنه استعمال له في محل الله واللامب فالتحريم غير ذاتي عندهم ولا هو تحريم لا يداع القرآن في ألواح هذه الآلة أو اسطواناتها ولا لادارتها لأجل أدائها لتلاوة وانما تحريم لأجل هذا الأداء في محل الله واللامب الذي ينافي احترام القرآن واذا كان الحكم يدور مع العلة فيمكن أن يقال بانتفاء الحرمة عند انتفاء تلك العلة والسماع من الصندوق لأجل العلة أو ضبط القراءة أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة فان قيل انه ينبغي القول باطراد الحرمة لأجل سد ذريعة إهانة القرآن يمكن أن يجاب بمنع كون هذه الإهانة محقة أو غالبية في استعمال المسلمين لهذه الآلة في التلاوة وعلى تقدير التسليم يقال أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة كإباحة رؤية المرأة الأجنبية عند القائلين بتحريم رؤية وجهها لسد ذريعة الفتنة اذا احتجج الى ذلك لأجل توكيل أو شهادة وجواز رؤية الطبيب لأي جزء من بدنها المحرم ابدائه بالاجماع لأجل مداواة فالاصواب ان استعمال هذه الآلة في التلاوة لا يحرم الا اذا كان فيه إخلال بالأدب الواجب في الاستعمال والسماع والعمدة في ذلك النية والعرف وقد يكون مستحبا اذا كان فيه عظة أو ضبط للقراءة وربما كان واجبا كأن يتوقف عليه ضبط وحفظ ما يجب تلاوته في الصلاة كالفاتحة . وقد انتقدنا على السائل تعبيره عن الاداء

الصحيح والتجويد لتلاوة القرآن بلفظ الانعام المطربة فالتطريب الذي يكون من بعض القراء بمصر محظور لأنه يناهى الخشوع - وإذا كان يعني بأني سلامة الحجازي الشيخ سلامه حجازي المصري المشهور فليعلم انه ليس من القراء ولكنه من المطربين . والحاصل أن الأقدام على التحريم ليس بالأمر السهل لأنه تشريع جديد بخلاف القول بالحلل فإنه الأصل في الأشياء ، والنيات في القلوب ، والعرف العام ليس مما يخفى فيختلف فيه الناس ، ولا أنكر أن في مصر من لا يراعي الأدب الواجب في هذا الاستعمال فالحذر الحذر

(باب المقالات)

مشروع إحياء الآداب العربية (*)

﴿ مقاومة جريدة قبطية ﴾

عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية فقررت اضافته الى المجهوس على دار الكتب والاستعانة به على طبع تلك الآثار

عزم شريف على عمل صالح بحمده كل أديب عربي ولا ينتقده عاقل أعجمي لأن هذه الحكومة عربية والأمة الذي تحكمها عربية وهي حكومة غنية تعد الآلاف الجنيه قليلة منها على مثل هذا العمل التي تنفق حكومات أوروبا وشعوبها في سبيله ألوفا كثيرة من الجنيئات حتى صارت دور الكتب في بلادهم (كباريس ولندن وباريس وبرلين) أغنى من دار الكتب المصرية بمصنفات سلفنا العرب من المصريين وغيرهم وصاروا يطبعون من نقائسها ما تضطر الى ابقائه منهم بل صرفوا نرسل أولادنا ليتعلموا الآداب العربية في أوروبا وهذا عار علينا عظيم لم تكن العناية ببذل المال على جمع الكتب العربية ونشرها قاصرا على الحكومات

(* نرى الكلام على هذا المشروع مفصلا في موضع آخر من هذا الجزء

ورجال العلم من الأوروبيين بل رأينا بعض الجمعيات الدينية النصرانية تفعل ذلك كجمعية اليسوعيين فقد رأينا مكتبتها في بيروت جامعة لفائس الكتب العربية التي يمز نظيرها في مكتبتنا المصرية وقد طبعت لنا كثيراً من هذه الفائس لا ريب في أن العمل الذي شرعته فيه الحكومة المصرية العربية جليل ، ولا ريب في أن المال الذي خصصته له في هذا العام من ميزانيتها قليل ، فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الأمير يوماً واحداً ، وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الأفرنجي الذي يرى جمهور الأمة أن إنمائه أكبر من نفعه . وتنفق أكثر منه في البحث عن أسماك النيل والوقوف على أنواعها وهو عمل قلا يوجد مصري يتفهمه وإنما يد منه من كاليات فروع العلوم في أوروبا وأين نحن من مبادئ أصول هذا الفرع الآن على هذا كله حمد القلاء والآداب مشروع الحكومة الجديد ، وهم يرجون منها المزيد ، ولم يكن يخطر في البال أن يفتي هذا المشروع اعتراضاً ، ولا أن يصادف اعتراضاً ، حتى سمعنا نقاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والتبور وينهي على الحكومة المصرية عملها ويتدب الشعب المصري مدعياً أن الحكومة تريد بهذا العمل إفساد آدابهم ومنعه من العلوم والمعارف والآداب الصحيحة التي ترقيه وتخلصه من الشعوب الرقيقة ، وزجه في ظلمات « الخرافات والسفاهات والسفاهات والجهالات العربية » ، وزعم الكاتب أنه لا يوجد في الكتب العربية غير تلك المضار التي استفرغ كل ما في جوفه وجعله وصفاً لها وكل آراء ينضج بما فيه رأيت في بعض الجرائد بعض عبارات جريدة الوطن البذيئة في هذه المسألة وأظنني بعض الناس على عدد منها رأيت الكاتب فيه لم يكف بتحقير جميع العرب والقدح في كل ما كتبوا وصنفوا حتى صرح بدم دينهم في ضمن ذلك فقال في سياقه البذيء ، « وهل أصبح كل ما في مصر آداب العرب وتاريخ العرب وحضارة العرب ودين العرب وكتب العرب وخرافات العرب وغلاطات العرب وحرمة علينا أن نعلم بالمفيد وأن ينفق مالنا فيما يرقى الآداب والمعيشة ويرفقا من هذا الخفيض القذر إلى مقام الذين تطهروا من سفاهات الأجداد » الخ

يعني الكاتب بدين العرب دين الإسلام وهو يريد أن يحمي الإسلام ولحمته

وآدابها من مصر وتحمل محاسنها القبطية وهذا هو السبب الذي جعل مشروم طبع الكتب العربية يتقضى عليه اقتضاض الساعة كما قال في مقالة يوم السبت (٨ ذي الحجة) التي نقلنا هذه الجملة منها آنفا وهي أهون ما كتب وأقله بذاء، وما هو بالمصاب الكبير في نفسه الذي يصمق له الناس فيصرعون فيقومون كما يقوم الذي يتخطه الشيطان من المس لا يدرون ماذا يقولون

صاحب الوطن جاهل بلغة العرب وآداب العرب وحضارة العرب، وتاريخ العرب ودين العرب لا يعرف من ذلك ما يجيز له الحكم في نفسها وضررها . ولكن الجاهل وحده لا يستطيع أن يهبط بصاحبه الى الدرك الأسفل الذي وقع فيه صاحب الوطن ومن عاونه على تلك الكتابة وإنما ذلك الفلوف في التعصب الديني وبفضه لمسلمي وطنه جعله يصمق من كل شيء يستفيدون منه في دينهم وإن كان نافعا للبلاد المصرية لو كانت علمه هي الجاهل وحده لا يمكن مداواتها في هذه المسألة بإعلامه أن اللغة العربية ليست خاصة بالمسلمين وإنما هي مشتركة بينهم وبين غيرهم في نفس جزيرة العرب لا في مصر وحدها وقد كانت لغة لليهود والنصارى فيها قبل ظهور الاسلام وقد صارت بهذه اللغة الطبيعية لجميع العراقيين والسوريين والمصريين وسائر القسم الشمالي من أفريقية وأنه ليس في استطاعة صاحب جريدة الوطن وصاحب جريدة مصر القبطيتين ومن على رأيهما من المتعصبين نسخها واستبدال القبطية بها وإذا كان الأمر كذلك وكان من البديهيات أن ارتقاء أمة بدون ارتقاء لغتها وآداب لغتها من المحال وكان يجب ارتقاء المصريين عامة في العلوم والفنون والمدنية كما يدعي فالواجب عليه أن يشكر للحكومة عملها في خدمة آداب لغتها ولغة أمتها لا أن يصمق عند علمه بذلك لو كانت علمه هي الجاهل وحده لا يمكن مداواتها بإعلامه بما قال منصفو علماء الأفرنج في بيان فضل لغة العرب وآدابهم وحضارتهم كفوستاف لوبون صاحب كتاب مدنية العرب وسديو صاحب تاريخ العرب ودراير وغيرهم ، وقد سئل أحد علماء الانكليز : اذا أراد البشر أن يوحدوا لغتهم فأأي اللغات تختار أن تكون لغة جميع البشر ؟ قل اللغة العربية . وقد قال لي مرة مستر (منشيل أنس) الانكليزي الذي كان وكلاء نظارة المالية ما أظن أنه يوجد في العربية شعر راق كالشعر الانكليزي

قلت وأنا أظن العكس ولا عبرة برأيي ولا برأيك في ذلك فيجب أن نرجع الى العارف بالقتين، صاحب الذوق في الشعرين، ثم لقيت مستر (بلت) الكاتب الشاعر الانكليزي المشهور الذي نظم المخطات السبع العربية بالانكليزية فذكرت له ذلك فقال قل (لتشل أنس) ان العرب كانوا ينطقون بالحكمة في شعرهم عند ما كان الانكليز مثل الوحوش يطوفون في الغابات عمارة الاجسام

لو كانت علة هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها باعلامه ان الامم الحية تبحث عن الكتب القديمة في لغتها وكذا في لغة غيرها لاجل الوقوف على سير الصاوم والفنون والآداب فيها توسعا في التاريخ وتحقيقا لمسائله ولا سيما اذا كانت كتب تلك اللغات من حقائق سلسلة المدنية والحضارة كاللغة العربية التي هي الحلقة الموصلة بين المدنية الاوربية الحاضرة والمدنيات القديمة باجماع العارفين

لو كانت علة هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها باعلامه بما في الكتب العربية من الآداب والفنائل ولو بالاجال وبوجه حاجة الامة التي تسير في طريق الارتقاء من معرفة تاريخ لغتها وآثار سلفها فيه، وبأن تكونها من شعوب كثيرة لهم سلف آخرون في النسب والدين أو المدنية لا ينافي حاجتها الى احياء آثار سلفها في اللغة لأن رابطة اللغة هي التي تربط هذه الشعوب بعضهم ببعض وتجعل ارتقاءهم بها وحياتهم العامة بحياتها لو كانت علة هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها باعلامه أن البشر متشابهون في الصفات والأمراض البشرية وان ذلك خيره وشره يظهر في لغاتهم فاذا كانت عين التعصب أوتته في بعض الكتب العربية طعنا من مسلم في دين النصارى فليعلم أن في الكتب العربية القديمة والحديثة طعنا من النصارى في الاسلام مثل ذلك أو أشد اذا كان قد عي عما يكتبه هو وغيره من قومه في هذا العصر من الطعن في الاسلام وحسبه منه الصابة التي نقلناها آنفا التي جعل فيها دين العرب وآدابهم من الاقدار التي قامها في جريدته، ويوجد في كتب الافرنج من الطعن في الدين الاسلامي والمسلمين ما هو أشد من ذلك وأقبح وكاهية ان لم يخطر على بال أحد من أجهل جهلاء المسلمين بالاسلام . واذا كان قد رأى أو سمع أن في بعض الكتب العربية مجونا فليسال المطلعين على اللغات الاوربية يخبروه أن في بعضها من فنون المجون ما لم يكن

يخطر على بال أحد من العرب ولا يجري على لسانه ولا على قلبه ، وهل اتنت
الدنيا بفواحش بنايا أوربة و بقيت لغاتهم منزعة عن التعبير عن ذلك ؟
لو كانت عليه هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها بعلامه أن طبع الحكومة لبعض
الكتب العربية لا قصد أن تستغني به عما تستفيد من الأفرنج مما لا بد لنا منه من القنون
الصناعية والزراعية والاقتصادية ولا أن تبطل به نظام التعليم في المدارس فطم تلاميذها
الجغرافية القديمة بدلا من الجغرافية الحديثة (مثلا) بل لا نظن أن هذا مما يخفى عليه
لو كانت عليه هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها بمطالعه على نظام التعليم في مدارس
الحكومة التي يدعي أنها تريد قتل الأمة بجهالات العرب ... وإخباره بأن نظارة
المعارف قد أنشأت قلم جديدا لترجمة الكتب المفيدة فهي إذا التفتت الى ترقية
لغتها بأحياء تاريخها الماضي لفتة واحدة فقد نظرت الى ترقيتها بإدخال العلوم الأوربية
فيها قبل ذلك وكل مدارسها شاهدة على ذلك ، وإنما قلم الترجمة الجديد حسنة من
حسنت الناظر الجديد أحمد جشمت باشا

ليست علة صاحب جريدة الوطن هي الجهل فتداوبها بما ذكرنا وما لم نذكر
من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع الى أن يهبط به الى هذه الليرة
من الخذلان وإنما علة هي الفلوس في التعصب القبلي وكرامة كل شيء ينفع الاسلام
والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم وقد بلغتني وأنا في الاسنانة ان التعصب قد ج
به وبزمنه صاحب جريدة مصر في هذا العام حتى أنك ذلك عليها قوما وهذه
العلة لا علاج لها ولا دواء ولكن يمكن تخفيف أعراضها بحكمة الحكومة وعملها
أو بإظهار جمهور القبط المسخط عليها إن كانوا يفعلون

نشرنا هذه المقالة في المؤيد ثم ان الحكومة أنفرت صاحب جريدة الوطن بهذا الذنب وكان
قد أنذر من قبل فاذا أي بعد هذا بأي ذنب يعاقب عليه القانون ثقيل مريدته . وأما القبط فقد
ظهر من جمهور كبير منهم انهم راضون من وقاحة جريدة الوطن وتهجمها ولذلك ساعدتها جريبتهم
الثانية (مصر) على ذلك ، وأبدتها جريدة (الاخبار) أيضا ، والظاهر ان القوم يريدون بهذا
التهجم الذي لا يقر له سبب أحداث فتنة بين المسلمين والقبط ويظنون ان ذلك يكون سبب البطشة
الكبرى من انكلترا فلا تبقى للمسلمين في هذه الحكومة باقية

الدين والاحاد والاشتراكية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التمثيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المصطنين وكنت انا اظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جريها الكلام العادي وكنت انا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته ان هذه الكائنات في جلها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام ما يستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره المضم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له بمجولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون باقلناه وسموا ذلك المبدع (المادة) فلا اختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ، الخ مادار بيننا يومئذ وواقفي فيه مناظري أو محدثي على اثبات وجود الباري عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا بأنه الكنيسة لا يمكنه ان يكفر بأنه الطبيعة، واعني بأنه الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقاييم والصفات، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب معروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم اقتصارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء أكتبته أو كتبه في المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجند الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على ما لا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٢٦: ٣٥) ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والالهام مختلف ألوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء، ان الله عزيز غفور) فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لحرر المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية ويشرح هذه الآيات شرحا علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب كتابتها وهو ما نشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

واجنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه مومي) يرتأي فيها أن الحكومة المصرية لا يصلح حاكمها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه (لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة، وقال الكاتب في رسالته ما نصه «ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الاحاد؟ مانت بالأمس زوجة لصديق اشتراكي لي فشيئناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائنة علم تير مكتوب عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الأعمى «لا رب ولا سيد» ولم أو العالم اختل بذلك ولا الطريق تغيرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده»

وقد علق المقتطف على هذه الرسالة تعليقا وجيزا ثم أيده بذلك المقالة فرأينا أن نقل في المنازع كل ما كتبه تذكيرا للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان أصل الدين حقا لما انكر وجود الله تعالى العلماء الطارفون بنظام الكائنات» وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله قليدا

وقد رأينا أن نقل ما كتبه المقتطف في التطبيق على رسالة ذلك الملحد أولا ثم نقل مقالته التي أيد فيها الأيمان، ثم نقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي في مسألة من المسائل التي ألم بها المقتطف وهي حال المتدينين في انفضية وكون العمران مبني على أساس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تطبيقه على الرسالة (المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر وسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا . والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوي كثيرة يجب نزعها وأمراضا مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوي وهذه الامراض ولكن سهر العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررّة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية وبعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية وبعضهم بالثورة على المستبدّين . ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تنهأ وسائلها وتستعد الام لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد . وعلينا واختبارنا يدلنا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يكن سببه في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوي القديمة . قلنا الامة المصرية ولم تقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكباب وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهناهما باصلاح البلاد . والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائما كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ لورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والا فلا . والحكومة الفتية يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يهذر والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فرسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تهذر وضع مبدأ آخر يقوم مقامه ويرسخ رسوخه ولذلك يوجس المفكرون شرا مما يستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيها . هذا فضلا عن ان التعطيل غير معقول لذاته ففرضه خطأ علميا كما هو ضرر اجتماعيا والمجاهرة به تنفي الى اكبر المضار على نوع الانسان اه

وهذه مقاله الافتاحية :

آيات الله في خلقه

في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب يرى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لا يضر أحدا . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن ميب انه لا يضر فهل هو معقول ؟

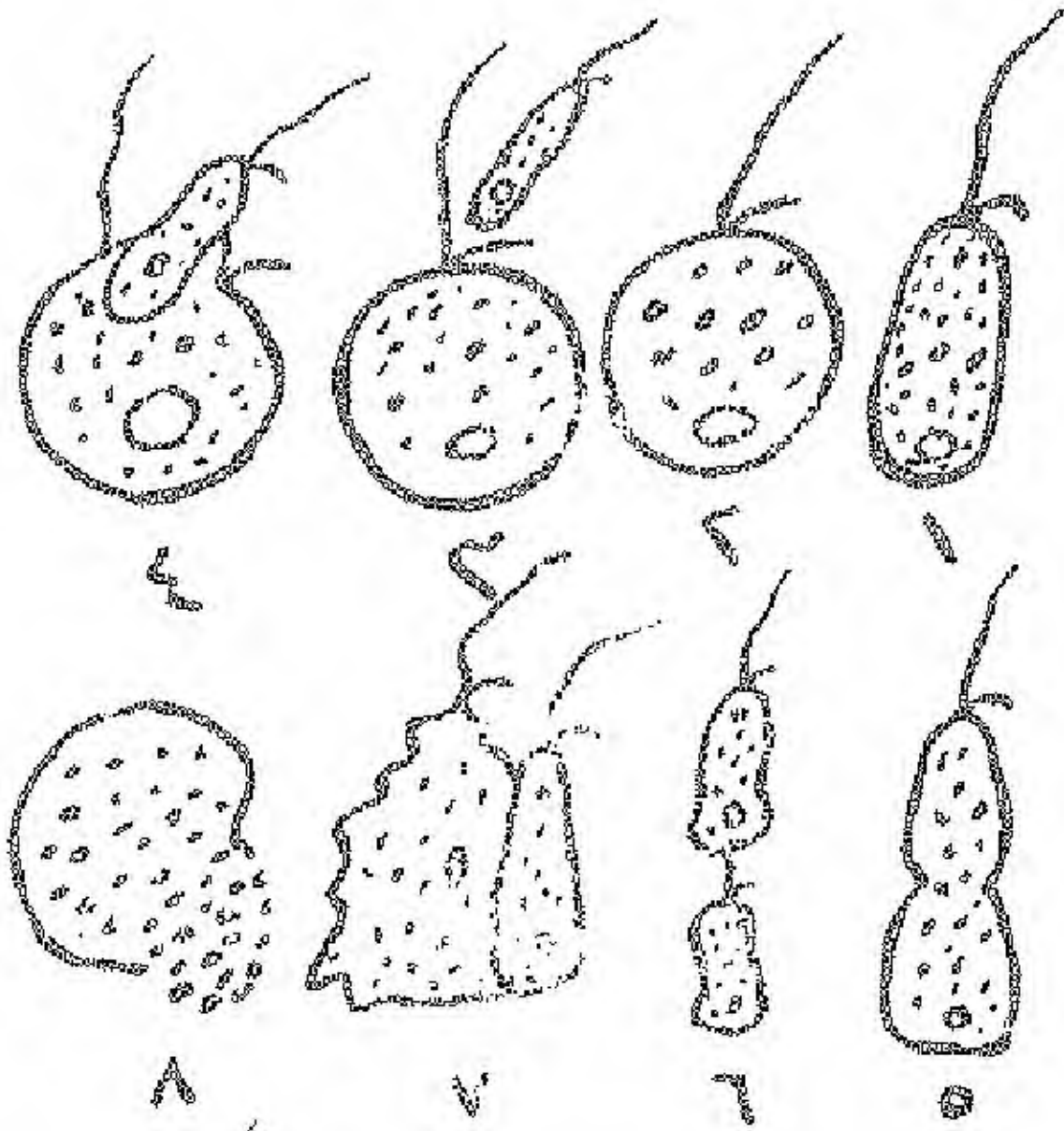
في إدارة المصطف مطبعة أو آلة طباعة يدبرها سير من الجلد تحركه الكهر بائية فتسحب الورق من لفين كبيرين وتخرجه فوق حروف الطباعة بعد ان تحبرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صفحتين بعد صفحتين وتضع إحداهما داخل الأخرى وتلتصقها بها وتطويهما طولا وعرضا أربع طيات فيخرج المقلم منهما مطبوعا مقصوصا ماصوقا مطويا . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلتصقها وتطويها وتعدّها تفعل ذلك كله من غير ان تساعد هيد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لا يخرج منها عدد واحد من المقلم مطبوعا الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الأيدي في بلدان كثيرة في عمل الورق والخبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهر بائية ناهيك بما يلزم للآلات الكهر بائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهر بائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل ما يلزم لطبع جزء واحد من المقلم لبلغ عددهم ألوفا وعشرات الألوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ما وراءها من العقول بخالف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الأفدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومئتي متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مئتي سنبل . فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة في القطر المصري وحده لا يقل عن مليون مليون سنبل أي أكثر من عدد كل سكان الأرض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبلة بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد مالا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شؤونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها واذا استنرت بنور الكيمياء وحلات دقائق حبة القمح رأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص ما يميز القمح الصيني عن البحيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان ما يزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مئة مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مئة الف جزء مما ينمو من سائر

الحبوب والبروز رأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لا ترى لها مندوحة عن الاعتراف بالقوة الخالقة المدبرة

وعالم الحيوان لا يقل عن عالم النبات في غرابته . ترى في هذا الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة



أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولها في سطر واحد ما بلغ طولها أكثر من عقدة (بوصه) فلا يرى الا بالميكروسكوب (الحجر) واقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول : رأته أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مغرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن و يصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمعجا كالافعى وحركته تجعل أمواجها في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكروبات . وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتفتح لها فتحة بين الذنبتين فتبلمها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهذه من الحيوانات المترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليبتلمها لكنها تملصت منه وهربت بعد ان كاد يقتربها . وفي باطنه سائل حامض يهضم ما يقتربه كما تهضم معدتنا الطعام ثم يسكن مدة بعد ما يتغذى الغذاء الكافي ويعد جسمه مستطيلاً كما كان اولاً وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويتصق به كما ترى في الشكل السابع فيترج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيواناً واحداً كروياً فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو أكثر ثم يتفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور تهوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيواناً كاملاً . أي ان هذا الحيوان الذي لا يرى بالعين لصفه يولد ويتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالتقسام وإما بالولادة

وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكم في هوائها وترابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد ويسمى ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنيتهم من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفاً إقنا واحكاماً عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشعر وتدبر حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتقترب وتهضم وتتغذى وتتزوج وتتوالد

وما هي هذه الحيوانات الميكروسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض ؟ فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خاتمة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجد بها وتقديرها وتقدير حر كاتها ؟ ؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا ينفي عقل الانسان عنها وعن ما تدل عليه الا اذا تكلف الاعضاء تكلفا أو كان خاملا لا يفكر ولا يقيس ولا يستتجاء

(النار) وأينا ان نريد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى ذلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ، في معنى ما جاء في تعليق المصنف عن ضرر الكفر وفساده للعمران ، ويبان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي للحفاظ العمران من افساد الكفر حتى يضم اليه الايمان بالوحي والرسول عليهم الصلاة والسلام وهو الاستاذ الامام : طاعة الرسول هي طاعة الله بينها لانه انما يأمرنا بما يوجهه اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يستقنون قبل اليهودية وبعدها وكذلك بعد الاسلام الى اليوم ان الانسان يمكن أن يستغنى بقله وعلمه عن الوحي ، يقول أحدكم انني أعتقد أن للعالم صانعا عليا حكما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخبر واجتنب الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الى الرسول وقد قدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الى هداية الدين وانها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بدهداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه وورقا له بدون معونة الدين أقول يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة : اننا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال التي تنفعهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرد عن التعصب الديني يتجنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم وارتقائهم . وأجيب عن هذا (أولا) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية سواء كانت بدوية أو مدنية وقد علمنا التاريخ انه لم تهم مدنية في الارض من المدينيات

اتي وعلمها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الام الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلما القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل طدايتها فمن بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم سرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كما سرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنتسبين اليها كالتصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من الممتنين الى الاسلام من لا يعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها ، فمن علم هذا لا يستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدينة لان الارتقاء المصنوي هو الذي يمث على الارتقاء المادي وهما نحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سينسر) ان آداب الام وفضائلها التي هي قوام مدنيها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين وبنائها على أساس العلم والعقل وان الام التي يجري فيها هذا التحويل لا بد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو الاستاذ الامام في حديث له معه : ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطعم المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أم أوربا تمسكا بالدين مع كون مدنيها أثبت وقدمها أعم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الأوروبية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الام لا سرفوا في مدنيهم المادية اسرافا غير معتبر بشي من البر وعمل الخير وإذا لم يادت

مدنيهم . ريعا . ومن يقل انه سيكون أبغدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك
لا يكون مفتتا في الحكم ولا بعيدا عن قواعد علم الاجتماع فيه . فحاصل هذا الجواب
الاول عن ذلك الايراد أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لا ينقض ما قاله
الاستاذ الامام من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى
كماله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانيا انه لا يمكن الجزم بأن فلانا الملعود الذي تراه عالي الافكار والآداب
قد نشأ على الالحاد وتربي عليه من صغره حتى يقال انه قد استقى في ذلك عن
الدين لاننا لا نعرف أمة من الامم تربي أولادها على الالحاد وانما نعرف بعض هؤلاء
الملعدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم
الاولى من أشد الناس تدينا واتباعا لآداب دينهم وفضائلهم ثم طرأ عليهم الالحاد
في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا
عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لا يوجد فيها ما يوجب له
الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته وأخلاقه الراسخة كلها ، وانما يسطو
الالحاد على بعض آداب الدين كافتقاره للمال الخلال فيزين لصاحبه ان يستكبر
من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس وإتقار بشرط ان يثني ما يجمله حقيرا
بين من يعيش معهم أو يلقيه في السجن وكالمعة في الشهوات فيبيع له من الفواحش
ما لا يخل بالشرط المذكور آنفا هذا اذا كان راقيا في أفكاره وآدابه ، وأما غير
الراقين منهم فهم الذين لا يصدهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل
الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوروبا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة
والشرطة (البوليس والضابطة) أتم تنظيم وجعلت الجيوش المنظمة عونا لها عند الحاجة لما حفظ
لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها القوضي والاختلال ، ولقد كانت
الحقوق والأعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان
الدين مرجعا في الآداب والأحكام . فتبين بهذا ان طاعة الله ورسوله لا بد منها لسعادة
الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الأخرى

الباطنية (*)

وآخر فرقه الباطية البهائية

وقد اختلف الحكمون في بيان اغراض الباطنية في دعوتها الى بدعتها فذهب اكثرهم الى ان فرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول مبيون بن ديسان كان مجوسيا من بني الاهواز . ودعا ابنه عبد الله بن مبيون الناس الى دين آية واستدلوا أيضا بأن داعيهم المعروف بالزدي قال في كتابه المعروف بالمحصل ان المبدع الاول ابدع النفس . ثم ان الاول مدير العالم بتدبير الكواكب السبعة والطيائير الاربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس ان أئزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مديران للعالم غير ان أئزدان قاهر الخيرات وأهرمن قاهر الشرور . ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بخران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد مبيون بن ديسان كان من الصابئة الحرامية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكفون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم الا لمن كان منهم بعد احلافهم اياه على أن لا يذكو اسرارهم لغيرهم .

قال عبد القاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بخدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ليلجوا الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والثاموس الاعظم وهي وصاية عبد الله بن الحسن القبرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تغرب اليهم بما يميلون

(*) انهم لما نزل في الجزء السابق (ص ٨٤) نقلا عن كتاب الفرق بين الفرق

اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انت منهم رشنا فاكشف له النطاء
واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فقل الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمون على ان
نواميس الانبياء (كذا) وعلى القول بقدم العالم لو ماخالفنا فيه بعضهم من ان العالم
مدبرا لا يعرفه . وذكر في هذا الكتاب القول بالبعاد والعقاب وذكر فيه أن الجنة
نسيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج
والجهاد وقال أيضا في هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ولا
يحصلون منه إلا على اسم بلاجسم . وقال فيها أيضا : اكرم الدهرية فانهم منا ونحن
منهم . وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية .

والذي يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه
من عند الله تعالى والصابئين يدعون نبوة هرمس وواليس ودور وتيوس وافلاطون
وجاهة من الفلاسفة : وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول
الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحي شامل للامر
والنهي والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيها الجزاء
عن الاعمال السالفة : والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من
السماء بالوحي والامر بالنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وانما يتأولون
الملائكة من دعائهم الى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفهم والابالسة على
مخالفهم . ويزعمون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فاساوا العامة بالنواميس والحيل
طلباً للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبب اذا انقضى
دوره سببه تبعه في دور آخر واذا ذكروا النبي والوحي قالوا النبي هو الناطق والوحي
أساسه الفائق والى الفائق تأويل نطق الناطق على ما نراه يميل اليه هواه فمن صار
تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ، ومن عمل بالفاهر فهو من الشياطين
الكفرة ، ثم تأولوا لكل وكن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً فزعموا
ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادماث خدمته . والمراد بالصوم
الامساك عن افشاء بسر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم
بغير عهد وميثاق . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك

٩٢٤ تشيكات الباطنية وطعنهم في الرسل والشرائع (المار ج ١٢ م ١٣)

قوله تعالى «واعبد ربك حتى ياتبك اليقين» وجمعا اتيهين على معرفة التأويل .
وقد قال القيرواني في رسالته الى سليمان بن الحسن : اني اوصيك بتشيك الناس في
القرآن والتوراة والزبور والانجيل و بدعوتهم الى ابطال الشرائع والى ابطال المعاد
والنشور من القبور و ابطال الملائكة في السماء و ابطال الجن في الارض و اوصيك بأن
تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم
وفي هذا تحققت دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويحقدون
الصانع . ويدل على دعوانا عليهم بالقول بابطال الشرائع وانت القيرواني قال ايضا
في رسالته الى سليمان بن الحسن : وينبغي أن تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم
في قولهم كهيسي بن مريم قال لليهود : لا ارفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا
من السبت و اباح العمل في السبت و ابدل قبة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتله البلاد
لما اختلفت كلمته . ثم قال له : ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سألوه عن
الروح فقال : « الروح من امر ربي » (١) لما لم يحضره جواب المسألة . ولا تكن
كموسي في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى الخرقه بحسن الحيلة والشبهة
ولما لم يجد الحق في زمانه عنده برهانا قال له : « لئن اتخذت الهاغبري » . وقال لقومه :
« انا ربكم الاعلى » لانه كان صاحب الزمان في وقته . ثم قال في آخر رسالته :

وما المعجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت
حسنة وليست له زوجة في حبسها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجني . ولو عقل
الجاهل اعلم انه أحق باخته وبنته من الاجني ما وجه ذلك الا أنت صاحبهم
حرم عليهم الطيات وخوفهم بنائب لا يعقل وهو إله الذي يزعمونه وأخبرهم
بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدتهم
بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته وادريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك
أموالهم بقواه « لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » (٢) فكان أمره مهم

(١) الروح هنا ملك ذكر في القرآن أو الوحي ولا يمكن الجواب عنه بنير هذا

(٢) مطالبهم بالمودة في القربى أي الاقربين من أولى ارحامه (ص) لا يقضي جعلهم عبيداً

وخولا لهم فكيف والظاهر انه اراد اتايرهم وارحامهم والاستثناء منقطع قطعاً

تقد وأمرهم معه نسبة . وقد استعجل منهم بل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ ثم قال سليمان بن الحسن في هذه الرسالة : وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلین المتسكين بشرائع أصحاب النواميس فهبتنا لكم ما نتم من الراحة عن أمرهم . وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات ثم أن الباطنية لهم في اصطیاد الأغنام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب يسمونها التفرس والتأسيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالإيمان واليهود وآخرها الخلع والسلخ . فأما التفرس فأنهم قالوا : من شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قويا على التلبس وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن ويكون مع ذلك ممیزا بين من يجوز أن يطعم فيه وفي اغوائه وبين من لا يطعم فيه . ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم لا تتكلموا في بيت فيه سراج يضيء بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس . وقالوا أيضا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأرادوا بذلك منع دعائهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الأرض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الأغنام أرضا زكية لأنها تقبل بدعتهم . وهذا المثل بالعكس أول ذلك أن القلوب الزكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الأبريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبل في التراب ولا ينقص في النار . والأرض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل ، ولا يردعهم شرع ، فهم أرجاس أنجاس « أموات غير أحياء » « إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا » وأقل حويلا قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها ، وأباح طعمة الغنم في براريها ، « لا يسئل عما يفعل وهم يسألون » وقالوا أيضا : من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى الانصاف .

فليست دعوة الانصاف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعي منه الى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا الى العبادات حمله على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعمل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذابحون وخلاعة قال له : العبادة به وجماعة وان الفطنة في نيل الذات وتمثل له بقول الشاعر

من راقب الناس مات هماً وقاز بالآلة الجسور

ومن رآه شاكاً في دينه أو في المخادع والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه الى قول الشاعر الما جن

أترك لذة الصبياء صرفاً لما وعدوه من لبن خمر

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من خلافة الرافضة كالسبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطائية لم يحتاج معه الى تأويل الآيات والأخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم . ومن رآه من الرافضة زيدياً أو إمامياً مائلاً الى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تميم لان أبابكر منهم وبغض بني عدي لان عمر بن الخطاب كان منهم وحشه على بغض بني أمية لانه كان منهم عثمان ومعاوية وربما استروح الباطني في عصرنا هذا الى قول اسماعيل بن عباد

دخول النار في حب الرومي وفي تقضيل أولاد النبي

أحب الي من جنات عدن أخلد لها بيم أو عدي

قال عبد القاهر قد أجبت هذا القائل بقولنا فيه :

اتطمع في دخول جنات عدن وأنت عدو تيم أو عدي

وهم تركوك أشقى من عمود وكم تركوك أفضع من دمي

وفي نار الجحيم غداً متصل إذا عاداك حديق النبي

ومن رآه الداعي مائلاً الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لما حظ في تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبابكر الى الفار ثم الى المدينة وأفضى اليه في الفار تأويل شريعته . فإذا سأله الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه اليهود والنصارى في كتابان ما يظهرون له . ثم ذكر له على التدرج بعض

التأويلات فإن قبلها منه أظهر له البدي وأن لم يقبل منه التأويل الأول ربطه في الباقي وكتبه عنه وشك الفر من أجل ذلك في أركان الشريعة .

والذي يروج مذهب الباطنية أصناف . أحدها العامة الذين قتل بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والأكراد وأولاد الجوس . والصنف الثاني الثموية الذين يرون تفضيل المعجم على العرب ويتمنون عود الملك إلى المعجم . والصنف الثالث اغنام بني ربيعة من أجل غضبهم على مضر لخروج النبي منهم . ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخراسان : ان ربيعة لم تزل غضايا على الله منذ بحث فيه من مضر . ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة سبيلة الكذاب طمعا في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر . فإذا استأنس الأعجمي الفر أو الرعي الحاسد المطن بقول الباطني قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب في عود الملك إلى قومه فإذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية نامة وقد دنا اقتضاؤنا وبعد اقتضاها يعود الملك إليكم . ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدرج . فإذا قيل منه ذلك صار ملجعا خرسا واحتقل العبادات واستطاب استحلال الحرمات . فهذا بيان الفر من منهم

ودرجة (التأسيس) قرية من درجة الفر من عندهم وهي تزين ماعليه الانسان من مذهبه في عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فإذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الإمام ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك حتى صار المدعو إلى اعتقاده ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات

أو الربط) عندهم تطبق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة . فلما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يوئل إلى رفضها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها .

ودرجة (التدليس) منهم قولهم للفر الجاهل بأصول النظر والاستدلال : ان الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر له قوله في القرآن (فصرب بينهم بسور له باب باطن فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب) فإذا سألهم الفر عن تأويل باطن الباب قالوا : جرت سنة الله تعالى في أخذ العهد والميثاق على رساله . ولذلك قال دواؤنا من التبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ،
 وذكر له قوله : ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، فإذا
 حلف لكم بالأيمان المظلمة وبالطلاق وانعتق وتسبيل الأموال فقد ربطوه بها
 وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤذي إلى رفعها برزخهم ، فإن قبل الإجماع ذلك منهم
 دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهرا ، وإن نفر الخائف عن اعتقاد
 تأويلات الباطنية الزنادقة كتبها عليهم لأنه قد حلف لهم على كتمان ما أظهره له
 من أسرارهم ، وإذا قبلها فقد حلفوه وسامخوه عن دين الاسلام وقالوا له
 حينئذ : إن الظاهر كالقشر والباطن كالحب واللب خير من القشر ، قال عبد القاهر :
 حكى له بعض من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وثقه الله تعالى لرشده وهداه إلى
 أهل إيمانهم انهم لما وثقوا منه بإيمانه قالوا له : ان المسلمين بالانبياء كنوح وإبراهيم وموسى
 وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نوايس ومخاريق أحبوا الزعامة
 على العامة فخدعهم بنير نجات واستعبدوهم بشرائهم ، قال هذا الحاكى لي ثم ناقض
 الذي كشف لي هذا السر بأن قال له : ينبغي ان تعلم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر
 هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : هاني أنا ربك فاخلم نفسك ، قال
 فقلت سخطت عينك تدعوني إلى الكفر برب قديم خالق للعالم ؟ ثم تدعوني مع ذلك
 إلى الاقرار بربوبية انسان مخلوق ونزعم انه كان قبل ولادته إلها رسلا لموسى ؟
 فإن كان موسى كذابا فالذي زعمت انه أرسله أكذب ، فقال لي انك لا تفصح
 أبدا وندم على افشاء أسرارهم الي وتبت من بدعتهم ، فهذا بيان وجه حيلهم على أتباعهم
 وأما أيمانهم فإن داعيهم يقول للمخالف : جمعت على نفسك عهد الله وميثاقه
 وذمته وذمة رسوله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق انك تسر ما نسمعه مني
 وما تعلمه من أمري ومن أمر الامام الذي هو صاحب زمانك وأمر أشياعه وأتباعه في
 هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك
 قبيلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابه أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الامام
 صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره للأذن له في دعوته فعمل في ذلك حينئذ
 بمقدار ما يؤذن لك فيه ، وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في

حائي الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال نعم . فإذا قال نعم قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بهذا الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسوله وتنصيحهم نصحا ظاهرا وباطنا ، وأن لا تخون الامام وأوليائه وأهل دعوته في انفسهم ولا في أهولهم . وانك لا تأول في هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها . وانك ان فعلت شيئا من ذلك فأنت بريء من الله ورسوله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وانك ان خالفت شيئا مما ذكرناه لك فله عليك ان تخرج الى بيته مئة حجة ماشيا نذرا واجبا ، وكل ما غللكه في الوقت الذي انت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو يده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تزوجها بعد ذلك تكون طائفا منك ثلاث طلاقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما خالفت به . فإذا قال نعم قال له : كفى الله شهيدا بيننا وبينك

فإذا حلف الفري بهذه الايمان فلن انه لا يمكن حلها ، ولن يعلم الفري انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا في حلها اثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا في الآخرة . وكيف يكون لليبين بالله وبكتبه ورسوله عندهم حرمة وهم لا يقرون بالله قديم بل لا يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء . وكيف يكون لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعون اليه ؟ ومن مال منهم الى دين الجوس زعم ان الاله نور بارائه شيطان قد غلبه ونارعه في ملكه . وكيف يكون انذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويصوم ؟ وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد ؟ فهذا بيان الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فلانا نقول : كل يمين يحلف بها الخائف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض أو سلطان يحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا في دعوى المدعي شيئا على الخائف النكر وكان المدعي

ظالما للمدعي عليه فيمين الخالف على نيته ، وان كان المدعي محقا والمنكر ظالما للمدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه . ويكون الخالف خائفا في يمينه .
 وإذا صحت هذه المقدمة فالبحت عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم معذور في يمينه . ويكون يمينه على نيته . فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم تنقض عليه أيمانه ولم يبحث فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تعلق نساؤه ولا تنق ممالكه ولا تلزمه صدقة بذلك . وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما ، ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وانما أظهر سر كافر ونديق .
 وقد جاء في الحديث المأثور : اذكروا القاضي بما فيه يحذره الناس ، فهذا يات حيلتهم على الاغمار بالآيان

فأما احتيالهم على الاغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة . وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها الا زعيمهم . فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغر : لم صار للانسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار للرجل ذكرا واحد ونخيتان ؟ ولم صارت الأعصاب متصلة بالكبد والشرايين متصلة بالقلب ؟ ولم صار الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنه الأعلى والأسفل وسائر الحيوان يفت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ؟ ولم صار ثدي الانسان على صدره . وثدي البهائم على بطنها ؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد (١) ولا كرش ولا كعب ؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية ؟ ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم . ومن مسائلهم في القرآن سؤلهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله « الم » و« حم » و« طس » و« يس » و« طه » و« كهيعص » وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ؟ ولم جاز وصل بعضها بما بينها بحرف ؟ وربما قالوا للغر : ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ ولم

(١) الغدد جمع غدة وهي كل عقدة في الجسد أطاف بها لحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب

جعل الله أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى « عليها تسعة عشر » ؟
وما فائدة هذا العدد ؟

وربما سألوا عن آيات وأوهوا فيها التناقض وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا زعيمهم
كقوله « فيومئذ لا يثبت عن ذنبه أنس ولا جان » مع قوله في موضع آخر
« فو ربك لنسألنهم أجمعين »

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم : لم حارت صلاة الصبح ركعتين والظهر
أربعاً والمغرب ثلاثاً ، ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدة ثان ، ولم كان الوضوء
على أربعة أعضاء والتيمم على عضوين ، ولم وجب الفسل من المني وهو عند أكثر
المسلمين طاهر ولم يجب الفسل من البول مع نجاسته عند الجميع ، ولم أعادت
الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ، ولم كانت المقربة في
السرقه بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ، وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت
اليدين التي بها سرق في السرقه ،

فإذا سمع القوم هذه الأسئلة ورجع إليهم في تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند
المأذون في كشف أسرارنا . فإذا تقرر عند القوم أن إمامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله
اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل
بأحكام الشريعة . فإذا اعتاد ترك العبادة واستعمل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا
له : أو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم
ولا في طوافهم حول بيت من حجار ولا في سعي بين جبليين . فإذا قبل منهم ذلك
قد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحداً له وزنديقاً

قال عبد القاهر : والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم إلى
تشكيك الأغمار في أصول الدين من وجهين (أحدهما) أن يقال لهم : إنكم لا تعلمون
من أحد أمرين إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له هاتماً قديماً عالماً حكماً يكون له
تكليف عبادة ما شاء كيف شاء وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفي
الضائع . فإن اعتقدتم قدم العالم ونفي الضائع فلامني لقولكم : لم فرض الله كذا ولم
حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا إذ لم تقرروا بالله فرض شيئاً

أوحزمه أو خلق شيئاً أو قدره . ويصير الكلام يتنا و بينكم كاللحام يتنا وبين
 الدهرية في حدوث العالم وإن أقررت حدوث العالم وتوحيد صانعه وأجرت له
 تكليف عباده ما شاء من الأعمال كان جواز ذلك جواباً لكم عن قولكم : لم فرض
 ولم حرم كذا لا أقراكم بجواز ذلك منه إن أقررت به وبجواز تكليفه . وكذلك سؤلهم
 عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها وإن أنكروا الصانع فلا معنى
 لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع إنكارهم أن يكون لذلك صانع قديم .
 والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوها عنه من عجائب خلق الحيوان أن
 يقال لهم : كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة عال ذلك وقد ذكرته
 الأطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف أرسطاطاليس في طبائع الحيوان كتاباً وما ذكرته
 الفلاسفة من هذا النوع شيئاً إلا مسروقاً من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان
 الفلاسفة من العرب القحطانية والجرهية والطسمية وسائر الأصناف الجهرية . وقد
 ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن في زمانها باطني
 ولا زعيم للباطنية . وإنما أخذ أرسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول
 العرب في أمثالها كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض ، ولهذا كان الخفاش من الطير
 ولوداً لا بيوضاً لأن لها أذناً شرقاء وكل ذات أذن صكاء بيوض كالحية والضفدع .
 والطيور البائضة

(ثم ذكر هنا كلاماً طويلاً في طبائع الحيوان والنبات الذي عرفته العرب ثم ختم
 الكلام بقوله) :

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها
 بالتجارب من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية . بل عرفوه قبل وجود الباطنية
 في الدنيا باحساب كثيرة . وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها أن زعماءها
 مخصصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الإسلام
 بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك . انتهى

باب المراسلة والمناظرة

(الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية)^(*)

٣

« أفقحتن القسطنطينية واتعم الأمير

أميرها واتعم الجيش جيشها »

حديث شريف

كان المرحوم عبد الرحمن الكواكبي وهو ذلك العالم الحر والمفكر الأبي يشكو من حالة الدولة السابقة فارتاح الأنجليز الى مطالبته بالخلافة العربية هو عن حسن نية وبدون إنعام النظر السياسي وهم عن خبث ملوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحهم . الف المرحوم كتابه « أم القرى » ولو أنعم نظره السياسي لرأى الضرر الذي يلحق العالم الإسلامي بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى . ولم يقتصر الأنجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف الخصوصية بل ان جراتهم فاقت حد التصور واللباقة اذ كانوا لا يترقبون بالقاضي الشرعي في الصومال الا اذا أقره شريف مكة . وبمثل هذا التفريب كادوا يضعون غشاوة على بصيرة بعض أمراء الشرق لا يقدر أحكام وضعها الا السياسة الانجليزية .

واني آتي هنا على مثالين اثبتهم اجليا كيف ان الأنجليز بحاربون الخلافة الإسلامية ثم يستفيدون بادعائهم صداقة (أمير المؤمنين) أو شيخ الاسلام سياسيا ولو بالتزوير والتزييف يعلم الكثيرون بالحركة الوطنية المناهضة فارها في الهند . ولما كان الأنجليز في حسن تفاهم مع العثمانيين زوروا كتابات باسم الخليفة وسماحة شيخ الاسلام وادعوا فيها انهما يوصيان مسلمي الهند بالولاء والاخلاص للدولة الانجليزية . واقرب هذه

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن (ص ٨٥٧) بقلم علي افندي فهمي محمد

الكتابات ذلك الحديث الذي مرزاه مكتب التيمس الى سماحة شيخ الاسلام في
الآستانة الذي فني مرزاه رسميا وفي ذلك الوقت نفسه كانوا يهرجون الاسلحة الى
بلاد العرب فضبطت أخيرا عند الشواطئ وانضج من التحقيق انها من منم بدلا أنجليز
وكان لسان حالهم يقول انه ذلك ينافي صداقتهم للدولة الطيبة صاحبة الخلافة الإسلامية
هذه القوة الإسلامية السياسية التي يحللها الأنجليز لانفسهم ويجرمونها على غيرهم
ترشد فرائضهم منها حتى ان كثيرا من جرائدهم الاستعمارية كالدبلي تلغراف ومجربها
لما منأت جمعية الاتحاد والترقي جلالة السلطان بقولها الى صاحب الخلافة والجلالة
أمير المؤمنين وولطان الثمانين « زارت وزجرت وجردت قول العدوان وشهوت
وقالت ان مرسل التلغراف متشعبون بمبدأ الجامعة الإسلامية الشديدة الموقرة وهكذا
السياسة الأنجليزية تقري علينا وتفتقح حين توتوي منا وتنفخ !

نحن نود ابقاء الخلافة الإسلامية في آل عثمان ونعمل لذلك بامل المصلحة
وذلك لان الدولة الثمانية هي أقوى ممالك الاسلام في الحال وستبقى كذلك في
الاستقبال وهي التي بيدها الحرمان الشرقيان فيبغي أن تكون الخلافة في أيدي الثمانين
حقا لدماء ومراعاة للمصلحة العامة . وليس لنا من منازع قوي يؤمل أو يخشى نجاحه وإنما
الدول الأجنبية تفرق بيننا وتفري بعضا بعض حتى تنهك قوانا الفرعية وتضعف
السلطة المركزية والواجب على كل عاقل مخلص ان يجعل هذا السبب نصب عينيه .
قال حضرة الكاتب الاسلامي الكبير محمود بك سالم : « جاء اسماعيل باشا
ففتح سعيدا في سياسته الفرنسية فبالغ في مجاملة نابليون الثالث الذي افهمه انه
سيساعده على الوصول الى ترمي الملكية المستقلة فأكثر من الترف والبدخ ليهل
على الاكاسرة والقيصرة وجبايرة القراعنة ووزع الهدايا الفاخرة على ملوك أوروبا
وملكاتها وعلينها وكتابها ووزرائها وأغنيائها وصاليها بطريقة أبكت العقلاء وأضحكت
الجهلاء . وما زال كذلك حتى انكسر نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ فبذفرننا وتعلق
بأنجلترا فألم انه لا يكون ملكا مستقلا الا اذا قارب عدد رعاياه عدد رعايا السلطان
نفسه ومن هنا ابتدأت حروب السودان والصومال والحيش ودارفور وأوغندة
وزنجبار على غير جدوى للمصريين بل لفائدة الأنجليز الذين أرسلوا صموئيل بيكر

الجماعة ولا يهوانهم القول بالخلافة الإسلامية التي مع احترامها لشعائرهم الدينية تكسبهم كثيرا من المزايا السياسية والاقتصادية واني أوصيهم بما أوصاهم به شاعر مصر حافظ ابراهيم في تهنته إليهم بالدستور :

فصباؤا ظل الهلال فانه جم المبرة واسع الفجوات
يرعى لموسى والمسيح وأحمد حق الولاء وحرمة الأديان
فخذوا المواثيق والعهود على هدى النبوة والأنجيل والفرقات
وما قاله شوقي بك شاعر الأمير :

أما الخلافة فهي حائط يتحكم حتى يبين الحشر عن أحواله
أخذت بمحمد المشرقي ونالها لكم القنا بقصاره وطواله
طمع القريب أو البعيد بفيلها طمع الفتى من دهره بعماله
ما الذئب مودعا على ليث الشرى في الغاب مقتديا على أشباله
بأقل عقلا وهي في أيمانكم ممن يحاول أخذها بشماله

واني بما قدمته من الحجج التاريخية والنظريات السياسية أو مل الا يكون لمساعي أولئك
الأعداء السياسيين المتلبسين بجرمهم بوشاح الصداقة الكاذبة ادنى نصيب من الالتفات
فلا تنهوا ولا تحزنوا ولا يقتب بهضكم بعضا واعملوا بنص الحديث الشريف :
« المؤمن لله من كالبنيان يشد بعضه بعضا » اهـ

(المنار) نشرنا هذه الرسالة كما هي ولم تعرض لتخرج ما ذكر من الأحاديث
فيها ولا للبحث في مسائنها ولكننا نقول ان أفكار الكواكبي السياسية كانت
مبنية على قواعد منها البأس من الدولة العلية ولم يكن يريد أن يكون الخليفة القرشي
الذي يخلف الخليفة التركي سلطانا حاكما سائما للمرب أو لغيرهم وانما كان رأيه أن
يكون رئيسا دينيا ينظر في مصالح المسلمين الروحية الأدبية ويرقيها ، وأكثر الذين
يتكلمون عن سياسته لا يعرفون منها شيئا ولم يكن للانكليز ولا لغيرهم من الأجانب
رأي ولا علم بتأليفه لسجل جمعية أم القوي فانه كتبه في حلب وزاد فيه بمصر ولم يكن يعلم
بذلك أحد الا افراد من العثمانيين كصالح أفندي جمال من حزب تركيا الفتاة . وقد
ذكرنا في ترجمته في المجلد الخامس اننا لم نكن موافقين له في جميع آرائه السياسية

إحياء اللغة العربية

﴿ وطبع نواذره مصنفاتها ﴾

كانت العلوم العربية والآداب العربية في عهد الدول العربية في الشرق والغرب والجنوب والشمال زينة الدنيا وأساس عمرانها ومدنيتها وعنها أخذت أوروبا مدنيّتها وعلومها وفنونها وارتقت فيها بعد أن تدلى العرب وضمفوا بذهاب دولهم وتغلب الأعاجم عليها ، وأما ترتقي العلوم والفنون بتأييد الدول القوية لها .
لم يقم في الشرق الإسلامي بعد الدول العربية الأصلية والمستعربة دولة قوية إلا الدولة العثمانية ، ومن سوء حظ الشرق والإسلام أن كان الترك المؤسسون لها من أهل البداوة ولم يجعلوا عاصمتهم في مدينة من مدن الحضارة العربية كقنّداد والشام ومصر فيتمربوا ولوفعلوا تجددت الحضارة العربية الإسلامية واستمرغوها وكنا نحن السابقين لأوروبا ولكنهم لم يفعلوا ذلك جهلا منهم لأرغبة في جعل لغتهم هي لغة العلم والحضارة لأن لغتهم بقيت على بداوتها لم تدرن ولم يوضع لها نحو ولا صرف ولا بيان في عهد قوتهم وعظمتهم وإنما حاولوا ذلك في هذا العصر فالدولة العثمانية كانت سبب ضعف اللغة العربية بجعلها لا تعتمد منها إذ لم تكن دولة علم ولا حضارة بل دولة حرب وقوة

ويحاول كثير من ساستها اليوم أن يحبوا لغتهم ويجعلوها اللغة الطليمية للشعوب العثمانية كلها ولو كان ذلك ممكنا لكانوا معذورين في عرف السياسة النفسية ، ومعذولين في حكم الديانة الإسلامية ، ويرى كثير منهم أن اللغة العربية هي العقبة الكؤد في طريقهم مقصدهم هذا فهم يحاولون إماتة هذه اللغة وإن كان موتها موتا للدين الإسلامي (وحاش لله أن يميت) وهذه السياسة المبينة على المعصية النفسية

الجاهلية يمنع بعض حكام الترك العرب من إنشاء المدارس في بلادهم كما فعل
متصرف نابلس في منع فضلاء وجوائها من إنشاء مدرسة فيها وحجته في ذلك أنهم
يجنون اللغة العربية فتضف اللغة التركية عندهم . ولا تذكر هنا ما فعلوه في المحاكم
وغيرها من مصالح الحكومة في الولايات العربية فأوجب الشكوى والظلم
وأيت كثيرا من العرب العثمانيين خائفين على اللغة العربية أن تموت بمقاومة بعض
حكامهم لها ويجهل هؤلاء أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة أهم الأفرنجية يتدارسون
ويجيرون موات علومها وآدابها ، وإن لها دولة هي أقوى من الدولة العلية حضارة -
وإن كانت دونها جندية وهي تحت سيادتها دون سياستها وإدارتها - ألا وهي
الحكومة المصرية العربية

التعليم في الأزهر ومطبعاته من المدارس الدينية في هذه البلاد كله باللغة
العربية ، وجميع مدارس الحكومة والمدارس الأهلية فيها تدرس اللغة العربية
وتعلم بعض الفنون بها وبعضها بأحدى لغتي العلم في الغرب الانكليزية والفرنسية
وقد شرعت الحكومة تستعد لجعل تدريس جميع الفنون بالعربية
وقد شرعت في هذا العام بإحياء المصنفات العربية القديمة في الفنون المختلفة
بطلبها في مطبعتها المشهورة ، واسترشدت في ذلك بصديقنا أحمد زكي بك الكاتب
الثاني لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة في هذا الباب ، وقد جاءنا منها الرسالة
الآتية في بيان هذا المشروع وما هي ذي نصها :

الحكومة الخديوية المصرية

« مجلس النظار »

« إحياء الآداب العربية »

اجتمع مجلس النظار بسراي رأس البنا بالإسكندرية في يوم الاثنين ٢١
شوال سنة ١٣٧٨ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٠)
تحت رئاسة الجانب الخديوي العظيم عباس جلي الثاني

محضر صاحب المطوعة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وناظر الداخلية
واسحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر الحفانية
وحسين رشدي باشا ناظر الخارجية
وامام عيل سري باشا ناظر الاشغال العمومية والحرية
واحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية
ويوسف سابا باشا ناظر المالية

وحضر الجلسة جناب المستر هنري بول هرقى المستشار المالي

كاتب السر الثاني احمد زكي بك

اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من صاحب المطوعة محمد سعيد باشا رئيس
المجلس وعلى التقرير الذي كتبه صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف
العمومية عن الوسائل المقترحة لتحيا الآداب العربية بالديار المصرية
وبعد المناقشة قرر المجلس الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك
المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها رئيس المجلس
كاتب السر (احمد زكي) (محمد سعيد)

مذكرة

مرفوعة الى مجلس النظار

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان
القديم طلب المباراة في مبادئ سبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعيًا وراء
النصر الخلد والمجد المؤبد وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن
اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقعتها وانقاذ
العزائم على خدمتها وتعضيد أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط
فغير أن نوب الزمان وطوارى الحدثن تناولت هذه العناية فيما تناولته فأخذت
كلها وحجبت أنوارها فأضلت العزائم وتلاشت الهمم وكادت محبة الدهر قضي

على ملكة الاختراع والابتكار بين أهل هذه الديار وتقدم ميل النفس الى التصنيف والتأليف ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بينما بعد ان كانت قائمة على الدهر تشهد للأمة المصرية بما لو كتبها وجميل أثرها في هذا الباب وما زالت يد الزمن تعث وتدمر حتى سخر الله هذه البلاد محي مواتها وباعث رفاتها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الأسرة المالكة فزواج بين ترقية الأمة المصرية ماديا وأديا ومزج بين اصلاحها معاشا وموادا حتى منحه التاريخ لقباً ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محي مصر » .

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو ما رسم وقدر فكان من حسنات المفور له امبا عيل باشا ان جهم من هنا وهناك ما بهته عوادي الايام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة ثقافة شواذرها وضم اشائها وأسس دار الكتب الخديوية القائمة الآن وأفاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص ما يضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها فكانت غلة المقار المحبوس عليها كفيلة بتقدم هذا المجهود وارتقائه .

ولكننا لا تزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل . وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطواتها الواسعة في هذا السبيل وتبرز للملا من جليل الاعمال ما فيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

وأمامنا اليوم فرصة حاضرة حانت لنا بالنظر في المفكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وضمناها ما عن له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر . وقد ذيلها ببند قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطينية والبلاد الاجنبية .

وقد مضى على واضع هذه المفكرة زهاء عشرين سنة وهو بوالى البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمة لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاجلاء العلوم والآداب العربية . ولذلك

قابل اصحاب الحل والعقد ما شرحه من سديد الآراء ومحكم الوسائل بين الرضا والقبول . وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ويقرر فيه ما يرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست أرى وسيلة لشرح ما رآه سعادته في هذا الموضوع افضل من إلحاق مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المفكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابرار هذا المشروع الى حيز الوجود ولقد بادرت باطلاع هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعا برأبي في المرافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ما أشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادته ساجا باشا ناظر المالية هذا المشروع كتب الى كتابا تاريخه ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه : ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك الجهود التي ما زال يبذلها احمد بك زكي ولما توافق بنام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في سبيل تجديد الآداب العربية .

وختم سعادته كتابه بأن نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه مصري مربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الارضية الكريمة تدهونا الى تدقيق البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل ما يقتضيه من البقاء والاستمرار ، وبما أن المصنفات التي نقابها حضرة أحمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والأدبية ، وبما أن معظم هذه المصنفات التي أشار اليها هي من رضع المؤلفين المصريين ولا نكاد نرى لها أثرا في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

فللهذا الاسباب

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

أولاً - المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن إحياء الآداب العربية حسب البيانات التي أوضحها سعادة أحمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانياً - تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض
ثالثاً - الابتداء في إحياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم « نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الألبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري

رابعاً - الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي أشار إليها حضرة أحمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الأخرى الكثيرة النادرة العظيمة الفائدة

هذا وأنا أرى من جهة أخرى أن ضمان النجاح لهذه الحركة الخيرية يرجب على مجلس النظار أن يسهل على نقارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي ينتجها هذا الإصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجنب الخديوي المعظم أن تكلف نقارة المالية بأمرين اثنين أيضاً وهما :

أولاً - جعل مبلغ الآلاف جنيه تحت تصرف نقارة المعارف العمومية بصفة إعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانياً - إصدار الأوامر اللازمة إلى مطبعة بولاق الأهلية للإسراع في إنجاز أعمال الطبع بكل ما في الإمكان وأملّي وطيد في أن المجلس يتكرم بالمواظقة على ما أبدته من الاقتراحات ليعجري العمل بانتظام وفق المرغوب فلت إنجاز هذا المشروع على أجل حال مما يجعل بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بين مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل
رئيس مجلس النظار

القاهرة في ١٧ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٠) محمد سعيد

كشف

﴿ بأسماء الكتب المشار إليها في المذكرة السابقة ﴾
وهي التي ستعخذ أساساً لأحياء الآداب العربية بمصر

﴿ موسوعات ﴾

نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين التويري
مسالك الأبحار في عمالك الأمصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لفرعيم تلميذ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

﴿ أدب وبلاغة وإنشاء ﴾

الفاخر المفضل الضبي
ديوان الحماة الصغرى المعروف بالوحشيات لأبي تمام
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل إلى تعليم التوسيل للحميدي
رسائل وخطب وأشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي
من جمع حفيده
مجموعة ترسل القاضي القاضى عبد الرحيم اليسانى

﴿ حديث ﴾

فنون العجائب
أكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتب الحاج للباط

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن أمر بإرسال رسول ومن نهى عن ذلك
وكيف ينبغي لمن أرسل إلى ملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه ولئن أرسله ومن
قدم من الرسل ومن حمد لأبي علي الحسن المعروف بابن الهراء
كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الأمم والممالك)

التاريخ

كتاب المقاتلين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب
ذيل تجارب الأمم وتناقب المهم في وقائع العرب والعجم لأبن مسكويه
تأليف أبي شعجاع أحد وزراء الدولة الباسية
دور التيجان وغرر تواريخ الزمان لأبي بكر بن عبدالله بن أيك الدواداري المصري
كنز الدرر وجامع الغرر له أيضا

التراجم

إنباء الرواة على أنباء النحاة للقاضي الأكرم الوزير القفطي
نزهة الألباب في الألقاب لأبن حجر
التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد
جقيق لأبن عمر بشاه
هدية المبد القاصر إلى الملك الناصر أبي السعادات محمد بن السلطان
الملك الأشرف عبد الصمد الصالح
سبك النصار وكسب المفانر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الأشرف
السيدي أقباي الأسد الظافر كافل المديكة الغزية (في أيام قايتباي) لعبد الله
بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الأشرف أبي النصر
قائمه النوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الأقاليم الإسلامية لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (بالخرط)
صورة الأرض وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان
ومحل القامر منها والامران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل ملتبها وتقسيم ما تفرد
بالأعمال المجموعة إليها (بالخرط)
هيئة أشكال الأرض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار (Roger) للشريف
الأدريسي (بالخرط)

﴿ رحلة ﴾

تاريخ الأمير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في
آسيا الصغرى في أيام السلطان الملك الأشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر
السلطان قائمه النوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

مرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب
الباهر في علم الحيل
الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالأشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في
خزائن العباسيين عند ما هاجمها مع التتر فقله الى بلاده وأمر بترجمته ثم ضاعت
النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما اقتسموها
ترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن
طب الطيور (مستخرج من خزنة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجواهر في الجواهر لقياسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني
ازهار الافكار في جواهر الاحجار للقيشقي

﴿ علم الفلك ﴾

الفهم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني
علم الساعات والصل بها ارضوان بن محمد الخراساني بخط بيك بن عبد الله القبطاني

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي المفضل الضبي
كشف القوم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بالآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)
الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)
التذكرة المروية في الخيل الحربية لصلاح المروزي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب نسطرس الذي امره بعضهم

(المآرج ١٢ م ١٣) تحرير ناظر المعارف في إحياء الآداب العربية ٩٤٧

وترجمها أحد المسلمين مع شرح الأناشيد والألحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين
وبديانة المجوس)

كتاب الأسماء لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف لنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع للإصلاح الصفدي

الأمم وأدب دخول الحمام

الكوكب الدرّي في أجوبة السلطان النوري

فنائس المجالس السلطانية في حقائق الأسرار القرآنية لجمية من العلماء في عصر

السلطان النوري وهو في جملتهم

الترقي في النظر للفيلسوف الكندي

كتاب الأطلحة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

﴿ إحياء الآداب العربية ﴾

مقتبس من التقرير المقدم إلى صاحب المطبعة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار

« من صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية »

بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

رئيس مجلس النظار عطوفتكم افتدّم حضر تاري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي للدرس المفكرة المقدمة من حضرة أحمد بك زني

« عن الأسباب والوسائل المؤدية لإحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة

الكتب التي استسخناها حضرة باغوتغرافية واستحضرها من الآستانة وأوروبا

ولقد أمنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم ما أراه في هذا الشأن

ان هذه المفكرة تشرح بأجلى بيان ما كان تقاهرة من التأثير في رفع منار
العرفان وترقية الآداب العربية فانها بفضل مركزها وعناية أهلها أصبحت في أوائل
المصور الحديثة محطاً لرجال أهل العلم وبهبطا لطلاب الفضل

وقد أشار صاحب المفكرة الى مبلغ الأريحية التي كان يجود بها ملوك مصر
وسلاطينها والى مقدار المساهمة المتواصلة التي بذلها رعاياهم لأعلاء شأن الحضارة
الإسلامية وازدهار روتها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج
ان ظهرت في مياه المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات النفيسة
في كل فن ومطلب ولكن سوء الحظ قضى بأن لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات
الثمينة سوى النذر اليسير

ثم جاء دور الأفول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أخضعت ذخايرها
وكنوزها في أثناء الثقبات التي أصابتها والحن التي توات عليها مما لا فائدة من
ترديد ذكرها الآن

فانطلقنا ذلك السراج الوهاج ونجا ذلك الذكاء المصري يد ان شاعها ضئيلاً
من الأمل تبدي في الأفق فانبعث معه ذلك الذكاء من مرقدته بعد ان كان الناس
يظنونه قد دخل في خبر كان ولكنه في الحقيقة انما كان في سبات لاني عمات والفضل
في تجديد هذه الحياة الأدبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

لذلك توخى صاحب المفكرة ان يستفيد من هذه الیقظة الأدبية فأخذ يعمل على
ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس
الثاني الذي تعود ان يقفوا آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر
والوصول الى هذه الغاية التي مازال ينشدها واضع المشروع قد اقترح
محضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيمًا يشمل جميع فروع الإصلاح التي
تستوجبها مكاتبتها لتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

واتي أوافق محضرته من هذه الوجهة موافقة تامة ولذلك شرعت فعلا في
درس هذا الإصلاح درساً دقيقاً لا يمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا
النفيسة كفيلاً بالقيام بجميع الأغراض التي انشئت لأجلها أو التي يحق لنا انتظارها

منها حتى تكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية
ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها
السابق وذلك بطبع التأليف التي تفخر بها علماء مصر حتى ينسى لأهل الجيل
الحاضر ان يشعروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب
التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لا يقف عند الإشارة الى
نظريات مبهمه أو ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لا يكون كفيلا باستكمال
وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعه وبذل جهده ولم يرض بشيء من ماله ووقته
وراحته حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه وذلك
انه قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانهز فرصة الاقلاب الذي حصل في
الدولة العلية وشخص الى الآستانة وتمكن هناك من استخدام القنوجراف في قتل
جلال المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصاً تلك التي كانت فيما
مضى من أجل الدخار في الخزائن المصرية

ولم تقف همه هذا البعثة عند حد التقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها
في القسطنطينية بل واصل سعيه أيضاً في ربوع العلم بأوروبا لاستيفاء كل المعدات
ولاتمام عمله على احسن حال

هذا وقد ألم في فكرته بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات
النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان
العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

وقد رأيت من الواجب أن استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو بعضها أثر
ما في دار الكتب الخديوية أو في إحدى مكتبي الازهر الشريف والمجلس البلدي
بالاسكندرية فوافقتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتعريح بأن المؤلفات
التي نقلها حضرة أحمد بك زكي واستحضرها لا توجد أصلاً ضمن مكاتبنا وبمجاميعنا
الاهلية وانها لم تبلغهم حتى الآن وان في طبعها نفعا عظيماً للمتورين من أبناء مصر
وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في أن حكومة الجنب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على ترويجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها وإضافتها إلى خزانة كتبها النفيسة خصوصاً وأن معظمها مما جادت به قرائح البلّادين من المصريين

وليس من العوالب أن يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتناط بالحصول على هذه المجموعة وإضافتها إلى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا أن نبادر إلى السعي في طلبها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلًا سائغًا للقاصد ومورداً غنياً لكن طالب .

ونحن إذا نظرنا إلى أهل الشرق وإلى العلماء المستشرقين في هذه الأيام نراهم جميعاً يتهاقنون إلى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الإسلامية ولا شك عندي في أن الحفظ الأوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر إن لم تكن هي القائدة لحركتها والمديرة لشؤونها وذلك نظراً لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الأيدي البيضاء على العلوم والآداب وبهذه المناسبة أرى من الواجب علينا أن نشكر المأهدين العلمية الغربية لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاختصاص بها . ولا غرو فإن المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسائر أوربا وأمريكا لا يألون جهداً في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحوثها فيها عن شتى الموضوعات وأبعدها عن مجال الخواطر والأوهام . فهؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس والبراعة في التتقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أهميات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها في بعض الأحيان إلى لغاتهم أو يتخذونها موضوعاً لمباحثهم كما يشاركونهم قومهم في الاستفادة منها وهم بهذا المسعى يشيرون فينا روح الأمل بأمنرجاع كنوز آدابنا الشرقية رويداً رويداً ومن المؤكد أن هذا الأمل لا يلبث أن يدخل في حيز الاستحالة ويتحقق في عالم الوجود إذا ما تهديته مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة والمعاونة على إحياء العلوم والآداب العربية وقد آن للحكومة الخديوية أن تمضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث

ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف في عصر آباءهم وبصنعوا
مثل ما صنعوا واني لعل يقين من أنهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة
أحمد بك زكي على تكوينها وإيجادها جميع الوسائل التي تبحث فيهم روح العمل
فيحصل عود الدرس ويثر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من أقطار الشرق
وأرى لأطراد هذه الحركة أن تبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تقتصر
بها مصر والعرب على الإطلاق وأعني بهما « نهاية الأرب في فنون الأدب »
لتنويري و« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري لأن
هذين الأثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعه من الكنوز
الفوال على إثر ما اكتابها من الطوارق والطواري

ولقد أعيى العلماء الغربيين استكمال هذين الأثرين النقيبين فلم يوفقوا إلى
جمع أشات هذه الضالة المشردة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الأزمان حتى
أقبح الله (ذلك) لأحد مؤلفيها تفسير له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاما واحتدى
لجمع المواد والأجزاء التي يتألف منها هذان السفران وأثبتها كلها بالتصوير فحق
لنا بعد ذلك أن نهني أنفسنا على هذا النجاح الباهر

وإذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بعد الجتاب الخديوي العالي الذي
تفضل فأظهر عنايته العالية بأمرها فلا شك أن الاقبال على اقتنائها سيكون عاما
عند جميع الطبقات وخصوصا عند الفئة المولدة بالدرس وأرباب القول المستبصرة
بمصر والشرق بل يمتداهما إلى الجامعات ودور الكتب في البلاد الأجنبية
والمستشرقين الذين يقدرونها حق قدرها لأنهم طالما استفادوا منها

وعلى ذلك فأنني أشير بتشكيل لجنة من أهل البراية تختارها نظارة المعارف
العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الأصول
وضبطها بالدقة قبل تسليمها للطبعة الأهلية لأن الطبع إذا ما باشرته الحكومة
الخديوية بنفسها وأشرفت عليه برعايتها يجب أن يكون مستوفيا لكل أسباب الكمال
ليجيء مناسبا لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وبهذه المناسبة أقول إن الضرورة والعدل يقضيان بأن تكون إدارة هذا المشروع من الوجهة الفنية موكولة إلى حضرة أحمد زكي بك لواسع علمه وعظيم شهرته خصوصا وأنه هو البادئ بالتفكير في هذا المشروع الخطير والمهم الذي جمع شوارده بعد أن كانت مبعثرة هنا وهناك

ولا جرم أن طبع هاتين الموسوعتين في مطبعة بولاق سيكون جامعا لما ينبغي من الدقة والجمال خصوصا بعد أن دخل التحسين الجديد على حروفها ونظرا لما هي عليه الآن من كمال الاستعداد وبذلك تعود هذه المطبعة إلى ما كان لها من المكانة السامية والآثر النافع في نشر نور العرفان العربي

وأرى أيضا مخاضرة نقارة المالية لأمر المطبعة الأهلية بتوسيع نطاق القسم الأدبي حتى يقضى له طبع ثلاث ملازم أو أربع في اليوم الواحد فذلك أمر يمتحن علينا الوصول إليه بقدر رغبتنا في تسهيل أمر الطبع حتى لا يضيء زمن طويل على ظهور هذا العمل الجسيم في حيز الوجود

ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع للمعاونة على تزويج هذا العمل الأدبي الصميم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الأفكار ونعيم المعارف إذ بفضل هذه المنحة يمكننا أن نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والأكلاف وبذلك يقضى لنا أيضا تخفيض قيمة الاشتراكات وأمان البيع تخفيضا محسوسا يساعد على زيادة الأقبال وتسهيل أسباب الانتفاع

بقي علينا أن ننظر في تدبير المال اللازم للمشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فإن هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لأحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر أغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيا مصريا ويجب الإشارة إلى أن استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنه ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلا عما يترتب عليه من الزايا الأدبية الكثيرة

وعلى كل حال فلو فرضنا أن هذا المشروع لا يكون من وراءه مضم مادني فإن الحكومة الخديوية ينبغي لها أن تقبض بهذا المسمى الذي يفني إلى إقاضة نور

الادب : ربي في بلاد الشرق وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع
 الاهلية في ديار أوروبا هي التي تأخذ دائما على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية
 الكبيرة القبة الراسعة الحجم ولو أدى الى ذلك خسارة مالية فادحة وذلك لقصور
 يد الأفراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة أما مشروعنا هذا فإنه بيد
 عن ذلك بالمرّة لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والأهم بشارته
 فإذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما ابتغيه لها من حسن القبول لدى
 عطوفة الرئيس رجوته أن يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لإنجاز هذا المشروع
 على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسود ، المشغول بمن تحيطونا
 المحبوب الامجد ، الحامي لواء العلم والادب ، الراغب في قلم لسان العرب
 ناظر المعارف الصومية
 (أحمد حشمت)

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ الهيئة والاسلام ﴾

كتاب جديد في استخراج مسائل علم الهيئة الفلكية الذي وصل اليه طلاء هذا العصر
 من ظواهر الكتاب والسنة وأقوال أئمة آل البيت الكرام ، وعلماء الصغابة الاعلام ، عليهم
 السلام والرضوان ، يشغل تصنيف أحد علماء النجف الاعلام (السيد هبة الله الشيرستاني)
 وقد صدر جزآن منه في أكثر من ثلاث مئة صفحة كصفحات رسالة التوحيد
 وفضل المؤلف بأهدائه البنا ونحن في القسطنطينية مع كتاب مودة وتبى الى وجه
 الحاجة الى مثل هذا الكتاب في هذا العصر الذي كثرت فيه المشكوك في الدين
 بشبهات متزفة من علم الهيئة وغيره من العلوم . وقد حالت الشواغل الكثيرة
 هناك وهنا دون مطالعة الكتاب التي نمكننا من بيان مزيته وتلخيص شيء من فوائده

فأنا ان نكتفي الآن بذكر بعض مسائله المهمة من الفهرس وسنقل في جزء آخر فوائدنا منه نقراء ان شاء الله تعالى

المسألة الأولى حقيقة الفلك توافق النصوص فيها ما عليه المتأخرون ويخالف ما كان عليه اليونانيون ، (المسألة ٢) شكل الأرض وحامها ، (٣) حركة الأرض ، (٤) عدد الأرضين ، (٥) في أن السيارات تسع فكيف تكون الأرضون سبعة ، (٦ و ٧) في حقيقة السموات السبع والأرضين وتربيعها ، (٨) مركزية الشمس لحركة السيارات . المسألة التاسعة الصفات الخمس لجرم الشمس ، (١٠) في أوصاف القمر (١١) عدد السيارات (١٢) في سكنى السيارات (١٣) المذنبات والشهب (٧٤) في عدد النجوم . يذكر المؤلف في كل مسألة أقوال علماء الهيئة وما ورد بعضها في الكتاب أو السنة أو كلام الأئمة أو الصحابة رضي الله عنهم

﴿ منطق المشرقين ﴾

هو آخر ما ألفه الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا في فن المنطق فهو زبدة التحقيق هذه لهذا العلم وقد قال فيه دوما جمعا هذا الكتاب لنظيره الا لاقتنا أعني الذين يقومون من مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاويل هذا الشأن فقد أعطينا في منطق الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وقد طبعه في هذا العام صاحب المكتبة السلفية بمصر وطبعا معه القصيدة المزودة في المنطق للشيخ الرئيس أيضا . وطبعا في مقدمته ترجمة طويلة للمؤلف وهو يطلب من مكتبتها ومن مكتبة المنار بمصر ونعمه أربعة قروش صحيحة

﴿ منتخبات البارودي ﴾

ان قوى النفس ، قوى الحس ، نصف وقوى ، وتعرض وتشفى ، وتهبط وترقى بل تموت ونحيا ، وانما حياتها وارقاؤهايرة الشعور والوجدان ، ودقة التوسم والادراك ، يدرك حديد البصر من معارف وجه محدثة ولو على بعد ، مالا يدركه الكليل على القرب ، ويستشف من موسم ما يمرض لها من التأثير ، ما تنقطع دونه اشعة بصر الحسبر ، فهذا يعا عن إدراك دقائق معارف الوجه ، وحركات الطرف ، فلا يعرف

امامه الا شبحا ماثلا ، وهيكلا شاخصا ، وذاك يدرك ما وراء هذه الممارف من آثار
الخطاب في نفس المخاطب ، فيميز بين ما عرف منه وما أنكر ، وما أحب وما كره ،
يتوسم فيه فيوحى اليه ذلك انبساط الاسارير واقتباسها ، ولما لها واقتسامها ،
واحمرار البشرة واصفرارها ، ونقاوص العينين وجعوظلها ، وترنيقها ورنوها ، وحركاتها
وسجوها ، وتصويبيها وتصعديها ، وسائر ضروب النظر ، كالجدج والشور ، والشخص
والشفن ، فلكل نظر أثر باعث من نفس الناظر ، وأثر حادث في نفس المنظور اليه ،
فن لا يؤثر بنظر عينيه ، ولا تؤثر فيه نظرات الحيون ، فجدير به ان يعد من الاموات
لا من الاحياء ، أو من مرضى النفوس لا الاصحاء ،

في القرآن العزيز آيات كثيرة في تأثير النظر ، وأحوال البصر ، كقوله تعالى
« وان يكاد الذين كفروا ليزفونك بأبصارهم » وقوله « فاذا برق البصر » وقوله
« تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » وللشعراء في ذلك رقائق هي المظهر
الأعلى لدقائق صناعتهم كقول الكيواني

وانظر اليّ مرتقا حتى أخيب عن الشهور

وقول علي بن المهدى

وراني منه اني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني اذا نظرا

وقول أبي نواس حكاية

ويصل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

والشعر في هذا المعنى كثير يدخل في فنون شتى

وان من كان سميعا خيرا بأنواع الاصوات ، وضروب اللهجات ، ودلالة
كل جرس ، على كيفية خاصة في النفس ، وما في لحن القول وفخواه ، من إيحاء الى
غير ما يدل عليه مناه ، ليسمع مع الكلام ما كان باعثا عليه من نفس المتكلم ،
وما ينثني عليه صدره ، وينطوي عليه قلبه ، من حب ورفض ، ووفاء وغدر ، وأمن
وخوف ، ورضى وكره ، قال تعالى « ولو نشاء لأريناكم فلمعرفتهم بسيماهم » ولتعرفهم
في لحن القول ، أي فخواه ومماريضه ، ومن أعجب الكلام الي في استخراج
خيال السرائر من كيفية أداء القول ، وجرس اللفظ ، قول امرأة كعب ابن الأشرف

له عند ما دعاه في القبل الذين يريدون قتله ، مظهرين الالتجاء الى حصنه ، وقد
نهته عن الخروج اليهم ، انني اسمع صوتاً يقطر منه الدم .
ان دقة الادراك ، ودقة الشعور والاحساس ، هما آيتا ارتقاء النفس في درجات
الكمال الانساني ، ويرى الحكماء ، ان مظهر هذا الارتقاء ، يكون في ثلاثة أشياء : الشعر
والتصوير والموسيقى ، وهي التي يهرون عنها بالفنون الجميلة ، فالتصوير هو الاشارة بالاشياء
برسمها في الالواح والصحف ، والشعر هو تصوير الاشياء بالقول ، ومتعمق الكمال فيها ان
لا يفوت صاحبها شيء من دقائق الصورة الظاهرة ، ولا من دقائق أنواع الشعور الباطنة ،
لولا أن كانت العرب على حظ عظيم من الارتقاء في الشعر لما انتشر فيهم
الاصلاح الاسلامي بتلك السرعة ثم رقي بهم في معارج المدنية حتى صاروا الاساقفة
المصلحين لجميع الامم ، ذلك بأن الابداع في الشعر قد اُعلى مداركهم ، وأودع في
طياتهم الرقة ، وقبول التأثير بالمورثات الشريفة ، فالشعر هو ديوان حكمتهم ، وكتاب
تاريخهم ، ودقير آدابهم ، وقد ارتقى بلقمتهم الواسعة وارتقت هي به ، حتى انك
تجد فيها من الدقائق ما يسلس لك زمام التعبير عن كل محسوس ومعقول ، فترية
الخيال الشعري فيها أكبر معين على تزيينها ، وما مرضت آدابنا ، الا بما طرأ علينا من
الجهل بلقنتنا وآدابها وأشعارها ، حتى صار يسر على أخطب الخطباء وأشعر الشعراء
أن يحفزهم الجمهور منا الى دفع خطر نخبره ، أو المبادرة الى خير عام نرجوه ،
أفسدنا لغتنا فأفسدنا نفوسنا ، فاضف ذوقها واحلل وجدانها ، وضمف تأثيرها
وتأثيرها ، ولم نستعص عما فقدناه من رقائق الشعر بالبراعة في الموسيقى ولا التصوير ،
وان أقرب الوسائل الى اصلاح ذوق آخرنا ، هي الوسيلة التي صلح بها ذوق أولنا
ألا وهي الشعر الذي لا ترتقي آداب اللغة وذوق أهلها الا بارتقائه ، أعني ان يكون
كل عربي شاعراً ، وان لم يكن ناظراً ، وإنما الشاعر من يشمر بدقائق الماني ، في
صورها من الماني ، ويبلغ بالكلام ما يلفه الكلام منه ، اذا أصاب موقع الرجاء
من النفس ، والاقناع من العقل ،
جعل الادباء شعراءنا أزواجاً لثلاثة الجماهير والمخضرمين الذين أدركوا الاسلام
منهم والمولدين ، ولكل منهم أسلوب وفنون من الماني يختلف باختلاف

الحال الاجتماعية التي عاشوا فيها ، وقد جمت الدواوين للشعورين الذين منهم
 حفظت أشعارهم فوصل اليها بعضها دون بعض ، وأتى علينا حين من الدهر لا يالي
 جماهير المتعلمين منا بالموجود ، ولا يبحثون عن المفقود ، حتى كانت النهضة الادبية
 العلمية الحاضرة وطفق الناس ينشرون آثار السلف ، كما ينشرون ما جدد الخلف ،
 حتى أثروا بما لديهم من كتب ومبررات ، فكثر الطبائع على تراش ، وضاعت الاوقات
 من النظر في كل ما ينشر ، واشتدت الحاجة الى اختيار أحسن ما يروى منه ويؤثر ،
 عندنا شيء من مختار أشعار الجاهليين (كديوان الحماسة لابن تمام) وقد وفق
 الله تعالى نافلة هذا العصر ، وإمام أهل في الأدب والشعر ، محمود سامي باشا
 البارودي الشير ، لجمع ما اختاره من اشعار ثلاثين شاعرا من فحول الموالدين ، في الادب
 والمدح والرثاء والصفات والسيب والهجاء والزهد ، ورتبها في كل باب على
 حروف المعجم ، ووضع لها هوامش في تفسير بعض الغريب والمبهم ، فكان ذلك
 أربعة أسفار كبار ، جديرة بأن تكون ندامى للكبار وأستاذة للصغار ،
 فأما الشعراء الذين اختار أحسن أشعارهم ، ومثل لنا بدائع خيالهم وأفكارهم ،
 فهم فرسان البلاغة السابقون ، وفحول الشعر المقرون ، وأستاذة المقدمون ،
 كبشار وأبي نواس وأبي القاسم ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحري وابن الرومي
 وابن المعتز والمتقي والشريف الرضي والمهمي والديلمي والتهامي والخفاجي والطبراني الخ
 وأما ذلك المنتخب فهو صاحب الأدب الرائع ، والذوق السليم ، والنقد الصحيح ،
 الذي جرى مع أولئك الفرسان في كل حلقة ، وضرب معهم بكل سهم ، وعارضهم
 في كل ضرب من ضرب الشعر ، وقد طبعت ، طبعة الجريدة بحرف جديد على
 ورق جيد ، فكان حسن طبعا ، لائقا بحسن وضعها ، كما تجلي غواني المرائس
 بعمارضا ، أو كما تجلي الشهبان بسافاتها وأسلحتها ، فكان ذلك مما يمت النشاط في
 قراءتها ، وصححها كاتب يد مستغنيا (الشيخ ياقوت المروسي) أحد علماء الأزهر ،
 فأجبر بهذه المختارات أن تكون ذكرى حبيب ، ومداد أديب ، ودرسا لطالب
 البلاغة والأدب ، وهونا على إحياء آداب لغة العرب

﴿ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب ﴾

إن أقصى أماننا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بأسا ، ومملكتها
أوسع الممالك عمرانا ، وشعوبها أشد الشعوب اتحادا ، ولا شيء أعز علينا من دولتنا
الدينية ، ولا قوام لديننا إلا بلفته ، فلماذا كثر الكلام في مثل سورية من بلاد
الحضارة العربية بالمسألة العربية وقد صدق ذلك الكاتب التركي الذي كتب إلى
جريدة طين أنه ليس في سورية مسألة ترك وعرب إنما فيها مسألة عربية وتركية ، فأم
ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الدولة هو المحافظة على اللغة العربية وترقيتها بجعلها
إجبارية في جميع مدارسها الرسمية وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية
وأما من تطلب عليهم البداة من العرب كأهل اليمن ونجد وخليج فارس وبوادي
العراق وما بين النهرين فتسنى أن يدخلوا في الاتحاد المثاني كافة وترتقي بلادهم في
ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هذا الاتحاد يستحيل أن يكون بالقوة العسكرية القاهرة ، كما
يرتابي المفرورون بالعاصمة ، وإن إبادتهم أسهل من إخضاعهم بالقوة لشعب لا بعدونه منهم ،
ولا يحترم حالم الروحية والاجتماعية ، وإنما يسهل إخضاعهم بالسلام والحكمة ، فلماذا اقترحت
على الحكومة الدستورية مساعدة جمعية من فضلاء الأمة على تأسيس مدرسة لتخرج
المُرشدين الذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب وبلاد الأكراد والارمن
إن جزيرة العرب لم تر الدلة العلية حاكمة فيها إلا في بعض البلاد الساحلية
وليس لها عند القوم هناك أثر حسن ولا ذكروا لها في شيء من الأشياء وإنما يوجد في
اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتوارى القدر وسفك الدماء ونهب الأموال ويعرف
عنهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم
الدستوري الذي وقفت الدولة بآبائه الآن فلا ينتظرون منها إلا ما لا يملأ اليأس من
قبل ومع هذا كله فأنني أعتقد أنه يمكن وضع قانون لإصلاح جزيرة العرب يكون
من أوائل مواده أن هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية وليس لأحد من أمرائها
ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما لا تأذن لها بقوانين
الدولة ، وأن تدفع للدولة أموالا أميرية ، وأنت تقرر الدولة إمام اليمن على إمامته

في طاقته، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها .
 وأن يترك لهم سلاحهم ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد وتكافل الأمراء والزعماء على
 منع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب وتبعية ذلك الجندية
 إذا وقعت الدولة لئلا هذا العمل فإنها تملك جزيرة العرب ملكاً حقيقياً من
 غير سفك دماء أبنائها، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أوربا بالربا
 الفاحش والذل، وتفتح نفسها باباً واسماً من الثروة، وإن أبت إلا التصجيل بإزالة
 نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية قاتلي أخشى أن يكون الخطر عليها من هذه السياسة
 من أشد الأخطار لأنها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد، وتزريق القوة العسكرية
 في بلاد لا يمكنها البقاء فيها، وما وراء ذلك إلا المذابح الواصب، أو استيلاء الأجانب

﴿ جمعية ندوة العلماء في الهند ﴾

كنا فرحين مضطربين بفضل الله على المسلمين بتأليف هذه الجمعية وخدمتها العالية للإسلام
 والمسلمين حتى جاء تاجر اندالاند الأخيرة بأحزن قالو بناوا بكى عيوننا من وقوع الشقاق
 بين العلماء المؤلفين لهذه الجمعية، فأواه، إلى متى يفتك في هذه الأمة الحسد والخلاف
 الفضل الأكبر في تأليف الجمعية ونجاحها للشيخ شولي النعماني فهو العالم المصلح
 الذي تشهد له تصانيفه وآثاره، فيسببه وجدت، وبهيمته أثبت واستقرت، ووقفت بها
 الأمة فأمدتها، والحكومة فساعدها، وقد حسده على ما آتاه الله من فضله بعض العلماء الذين
 أعوزهم مثل علمه وعقله، وأعيانهم مثل عمله وسببه، فلجأوا إلى السلاح الذي أهلك هذه
 الأمة وهو الخلاف الذي يكبره ويمده الحسد والبغى «وما اختلف في إلا الذين أوتوه من
 بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم» فاتهموه بالاعتزال وترك الصلاة، كما اتهم من قبل المصلحان
 العظيمان في هذه البلاد، وقاوموه فيما يتوخاه من تسهيل أساليب التعليم الإسلامي
 كما قاوم أمثالهم أمثالهم من المصلحين، متصممين للكتب المعقدة التي ألفوها،
 هذا مجمل ما بلغنا من أمر هذه الجمعية فنسأل الله تعالى أن ينزع ما في قلوب
 الحاسدين من غل، ويظهرهم من الحسد والبغى، فيتذكروا أن في الخلاف والتفرق
 الهلاك، وفي التآلف والتعاون النجاة والسعادة، فحسب هذه الأمة ما فعل فيها الخلاف
 من إضعافها وتزيتها وإزالة عزها وسلطانها، التي هي إلى متى، إنما يتذكر أولو الألباب

﴿ خاتمة السنة الثالثة عشرة ﴾

تمت السنة الثالثة عشرة المنار بحمد الله وتوفيقه وقد كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية تارة في قنادقها وتارة في المراكب البخارية التي تجول في زقاقها (البوسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه فكان القلطي فيه كثيراً وقد وضعنا جداول المهم مما عثرنا عليه منه ونشرناه في الأجزاء الماضية ولشقيقنا السيد صالح والسيد حسين مافي الأجزاء الثمانية الأولى من التقاريف وقد ذيل كل منها ما كتبه بامضائه .
وهما اللذان اختارا بعض الرسائل التي جاءت المنار وأوردت في بعض الصحف . ولهما بعض الهوامش كالتعريف بأصحاب الرسائل أو القصائد التي نشرت في تلك الأجزاء .
وتفسير بعض الألفاظ وخبران في آخر ص ٣٩٢ كتب هذا باسم المنار ، وتنبه في آخر ص ٦٩٦ نشر خطأ ولا حاجة إليه

أما الانتقاد على المنار فلم يرد إلينا شيء منه على شرطنا في هذا العام إلا ذكرناه وبينما عندنا فيه فمن أرسل شيئاً من ذلك ولم يره فليذكرنا به أو ليعده إلينا لعله فقد أو أهملت إدارة المجلة إرساله إلينا ونحن في سفرنا . وندعو أهل العلم والأخلاص إلى تعاقدنا بالانتقاد والنصيحة عندما يجدون ما يوجب ذلك ، ونحن على وعدنا بنشر تقدمهم ، فمن عاب المنار أو خطأه ولم يكتب ذلك إليه فهو فاسق مقتاب ، لا قاصد لبيان الحق والصواب ، وأما المشتركون فالماطلون منهم كانوا أشد مطالاً وأقل وفاء في هذه السنة التي فيها أكثر شهورها وقد انتدب أحد الأنجاد الأبحاد في تونس لتحصيل حقوق المنار من المشتركين والحق أن لكثيرين منهم ومن غيرهم بعض العذر بما ألفوا وتعودوا من عدم دفع المال ، إلا بالألحاح في السؤال ، ونحن قد أكرمناهم أن نلج عليهم ، ووكنا الأمر إلى مروءتهم ، وما كل أحد يخطر بباله هذا فالتقصير منا أكثر ، واللوم علينا أكبر ، وفي الختام نسأل الله تعالى دوام التوفيق والأخلاص وله الأمر من قبل ومن بعد ، وصلاة وسلام على المرسلين ، ونحية ورضوان على المصلحين ، والحمد لله

منشي المنار ومحرره

رب العالمين

محمد رشيد رضا